THE BOOK WAS DRENCHED

رسید بهم روز ... هفتم شهر رجب سنه ۱۳۲۰ ... هشتم شهر اکتوبر سنه ۱۹۰۲ م چهارم شهر آذر ماه الهی ۱۳۱۲

كتاب
الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور

تأليف

الاديبة الفاضلة والبارعة الكاملة السيدة زينب بنت على بن
حسين بن عبيد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن
يوسف فواز العاملى السورية مولدا
وموطنا المصرية منشأ
وسكنا

كتابى تبدّى جنة فى قصورها * تروح روح الذكر حور التراجم
خدمت به جنسى اللطيف وانه * لأكرم ما يهدى لغر الكرائم

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣١٢
هجرية

(ثمن النسخة الواحدة خمسون غرش صاغ)

فهرست

الدر المنثـــــور

فى طبقات ربات الخـــدور

فهرسة الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور

(تمت)

م شهر رجب ١٣٢٠ م و ... هم شهر اکتوبر سنه ١٩٠٢ ع م چهارم شهر آذر ماه

كتاب

الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور

تأليف

الاديبة الفاضلة والبارعة الكاملة السيدة زينب بنت على بن
حسين بن عبيد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن
يوسف فواز العاملى السورية مولدا
ومو طنا المصرية منشأ

وسكنا

كتابى تبدى جنة فى قصورها * تروّح روح الفكر حور التراجم
تقدمت به جنسى اللطيف وانه * لأكرم ما يهدى لغرّ الكرائم

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٢

هجرية

تقريظ جميل لهذا الكتاب جادبه فكر ملتزمه الماجد الامثل
حضرة محمد أفندى زهران قال حفظه الله

من أمعن فكره ونظر بنبراس عقله علم جليا أن من أهم ما يقتنى وأنفس ما يدخر نشر المنافع العمومية والسعى وراء الخدمة الانسانية فان بها يتحقق معنى الانسان ويكون قد ارتقى أوج الكمال واستحق أن يلقب بالعضو النافع لجسم الهيئة الاجتماعية فينال الذكر الحسن والثناء الجميل ويكون عاملا بقول القائل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكذا ينال الجزاء العظيم من العزيز الحكيم فى دار الخلد والنعيم كما وعد بذلك جل وعلا فى قرآنه الكريم لاسيما اذا كانت المنافع متعلقة بالعلوم الادبية الموشحة بالنبذ التاريخية فانها تكون أجل وأسمى لان الشئ يشرف بشرف متعلقه وناهيك بالعلم شرفا ولما كان كتاب الست المصونة ربة اليراع البارع وصاحبة الذهن اللامع نادرة العصر وغرة جبين الدهر (زينب فواز) المسمى بالدر المنثور فى طبقات ربات الخدور فائقا فى هذا الباب أحببت أن أشاركها فى ذلك الفضل فالتزمت بطبعه على نفقتى قياما بواجب الانسانية ومعاونة لحضرتها على البر عملا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ورغبة فى شهرة هذا الكتاب بين ذوى الالباب لاسيما ذوات الحجاب عسى أن يسرن سيرها وينسجن على منوالها فانه وايم الحق كتاب جليل قد اشتمل على حكم جليلة ومزايا جزيلة بها يهتدى الى الرشد وتستنير سماء العقل وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

محمد زهران

وبعد أن انتهى تأليف هذا الكتاب المستطاب ورد لنا هذا التقريظ الجليل من حضرة الاديب الفاضل والفيلسوف العاقل العالم النحرير والكاتب الشهير حسن بك حسنى صاحب جريدة النيل فأدرجناه فى فاتحة هذا الكتاب وشكرنا حضرته على ما أولانا من الثناء وهو هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملهم الصواب والصلاة والسلام على منبع الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه الاطهار الانجاب (وبعد) فقد أحطت خبرا بجمل هذا الكتاب الجزيل الفائدة الجليل العائدة النبيل المقصد الشريف المبدا والغاية فألفيته سديد المآل ثمين المضمون على الامل مبرور العمل جمع الى رشاقة الاساليب لطف المفاد وضم الى حسن السياق والترتيب جمال العبارة وكمال التركيب فجاء اسمه (الدر المنثور فى تراجم ربات الخدور) عنوانا لمسماه مجلى عرائس الافكار فى أعالى قصور الاعتبار متحلى السطور بجواهر المعانى مسترق أحرار الاذهان برصانة هاتيك المبانى وقد اشتمل على تراجم العدد العظيم من ربات الخدور وسيدات القصور وأميرات العصور على سياق غير مسبوق المثال فى متقدمى الاجيال فسبحان من وفق ووهب وأقام للسيدات ظهيرة فضل وأدب والحق أحق أن يقال ويسمع ان هذا الموضوع من أهم ما يجب أن يعتنى به العالم المدنى لاشتماله على قسم عظيم من تراجم شهيرات نصف العالم البشرى وهن القيم الوحيد على تربية الملكات الاولى والشريك الامين فى الاعمال الحياتية وناهيك ما هنالك من الاهمية التهذيبية التى تستفاد بتداول مثل هذه الآثار النفيسة خصوصا وقد قامت بأداء هذا الواجب حضرة المحسنة الفاضلة البارعة الكاتبة الشهيرة ذات العفاف

السيدة زينب فواز فجادت وأجادت فى هذا الكتاب بما يروق ذوى العقول ويشوق أرباب الالباب ولا غرابة فانها ربة الفكر والقلم اللذين طالما زينا الاوراق وطارا بجناحى شهرتها الفاضلة فى الآفاق وسابقا الشمس فى السير والاشراق فنثنى على هذه السيدة الثناء الجزيل ونشكر مسعاها المثيل بكل لسان شكرا جميل فلا برحت ربة العلم والادب ولا زالت مشكورة الايادى العالية عند كل من قال وكتب

بدا درّها المنثور بالفضل زينب * فياحبذا الدرّ النثير المرتب
جلت لعيون الفكر آثار حكمة * عرائسها تزهى وبالفضل تخطب
حكى الفلك الاعلى فكل صحيفة * به أفق فيها من الزهر موكب
حوى حسنات الدهر بين سطوره * وقومها ذاك اليراع المهذب
فلا برحت للفضل بالفضل زينب * تقول مقال الفاضلين وتكتب

﴿ حسن حسنى ﴾

وصل لنا هذا التقريظ من حضرة شاعرة العصر وربة الفضل السيدة عائشة التيمورية فقبلناه مع الشكر والممنونية لحضرتها

سجدت لعزة بالبطيح خول * لما تحلى جيدها المصقول
لمعت لآلى العقد تزهو نضرة * كصفا لجين راق فيه شمول
دعنى وما التقطوه من بحر طمى * فمن ادعى طبق القياس جهول
هذا هو الدر الذى غواصه * بعزيز آيات الثنا مشمول
اذ ذاك من صدف وهذا جوهر * لفطنه أذهان ذكت وعقول
درّ كدرىّ زهت أنواره * يشهد بها المعقول والمنقول
هنوا ذوات الخدر بالفوز الذى * يعلو على سحب البها ويطول
ولقد علت طبقاتهن وزانها * بتفاخر بعد الخمول قبول
طبقات منثور بريق ضيائها * كشعاع شمس بالسها موصول
كم أمطرت غيث الدموع بقولها * تاج الفخار وهل اليه وصول
نالت سواء عدعزها مالم تكن * رؤياه فى سنة الكرى مأمول
لله درّ طباق زينب أصبحت * بدرا له بين الانام هلول
مذ أسفرت عن أصل جوهر عفة * قد كان قبل سطورها مجهول
فعلى العفيفات الثناء لفضلها * ماجددت فى العالمين فصول

عائشة عصمت
التيمورية بمصر

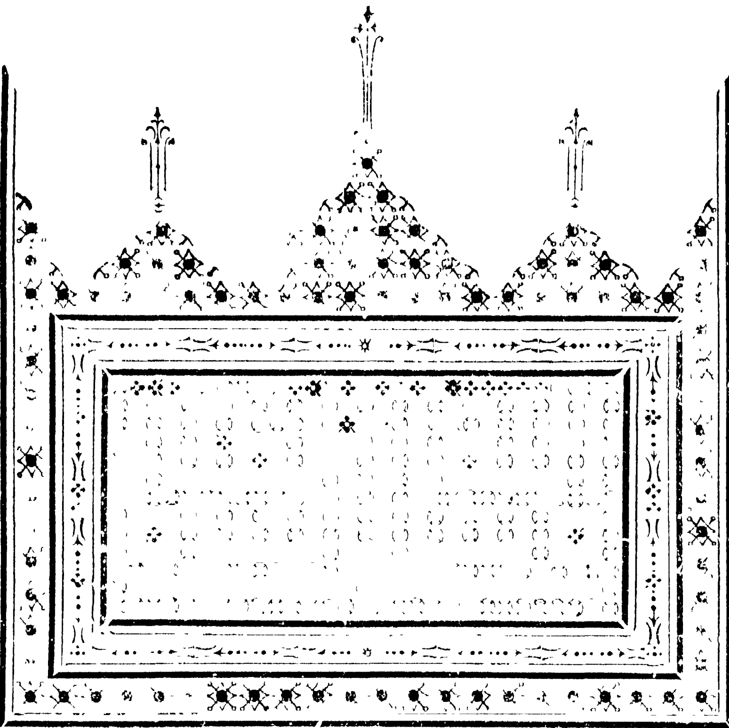
وأتانا هذا التقريظ أيضا من حضرة شاعر عصره وأديب دهره عبد الله أفندى فريج الشهير فتلقيناه بغاية الشكر والممنونية

الشرق لا تعجبوا أن عمه النور * فالشرق بالنور منذ الدهر مشهور
لاسيما فى زمان ساده ملك * بالحلم والعلم والآداب مجبور
عباس باشا الذى عمت مآثره * فالكل منها بفضل الله مغمور
به غدت مصر كالجنات يانعة * فراح يحسدها الولدان والحور

والعلم اذ خفقت أعلامه شرفا * به انجلى عن ظلام الجهل ديجور
ألم تروا قاصرات الطرف كيف غدا * محض الثناء عليها وهو مقصور
أضحت تبارى رجالا فى العلوم ولم * تته بعجب وذيل الفخر مجرور
وقد سمت بينهن اليوم غانية * وحظها فى بنى الآداب موفور
أعنى كريمة فواز التى برعت * بالفضل فينا ومنها السعى مشكور
لم ينكر الفضل منها فى الورى أبدا * الا حسود حليف الغى مغرور
وحسبنا تحفة منها قد اشتهرت * فذكرها فى جميع الكون منشور
مؤلف فيه بالسحر الحلال أتت * فكل لب به فى الناس مسحور
به نرى فاضلات الشرق من عرب * كل لها خبر فى العلم مأثور
لها جزيل الثنا منا عليه كما * لها من الله أجر فيه مأجور
والآن اذ جمعه رقت شمائله * والكل منه نبدى وهو مسرور
شدا فريد بأبيات يقرظه * وبيت تاريخه بالدر معمور
أبهى كتاب سما جاها لفاضلة * بالسعد فيه بهى الدر منثور

١٨ ٤٢٣ ١٠١ ١٠ ١٣٤١ ١٦٧ ٩٥ ١٧ ٢٣٥ ٧٩٦

سنة ١٨٩٣ مسيحية   سنة ١٣١٠ هجرية



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أزهر روض المنى بما تألف من منثور الافراح وبما أسفر من حسن أبكار الافكار على مشهد الايضاح والافصاح وانجابت براقع الغياهب عن مخدرات العبارات وتألق نبراس عقائل الفضائل فاستنارت أرجاء البراعات وأشكرك يامن زينت بشكرك صدور سطور المبانى كما زينت بقلائد الفصاحة نحور خرائد المعانى وأنرت مشكاة البصيرة بزواهر جواهر معارفك المستنيرة ونظمت أخبار الازلين فى سمط كتابك المستنير المستبين فسبحانك من اله اتسعت دائرة علمه فأحاط بجميع الكائنات وعلم ماتحت الارض كما علم مافوق أديمها من المخلوقات وشرف نوع الانسان بما خصه به من كمال الحس والعرفان ونشر نور المعرفة بين أولى الالباب فمن أصاب من ذلك النور فعلى قدر ما أصاب والصلاة والسلام على من أرشدنا بكتاب قويم الى صراط مستقيم محمد الذى جمع من المحاسن مانشتت فى غيره أحسن من حسنت سيرته وأحسن فى سيره وعلى آله مصابيح الدجنة وأصحابه الذين حاروا الجد بالاقلام والاسنه (وبعد) فاقول وأنا المفتقرة الى الله وبه أستعين زينب بنت على فواز بن حسين بن عبد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن يوسف فواز السورية مولدا وموطنا المصرية منشأ وسكنا انه لما كان علم التاريخ أحسن العلوم وأفضل المنطوق والمفهوم كثرت رجاله واتسع نطاقه وانتشرت فى الخافقين صحفه وأوراقه لان أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا فى الادب وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان وخاضوا فى بحر تاريخ كل زمان وكل متكلم منهم أفرغ غايته وبذل مجهوده فى اختصار تاريخ المتقدمين واختيار أهم المشهورين من السالفين وبعضهم ألف المطولات فى ذلك حتى احتاجت الى اختصار ولم أر فى كل ذلك من تطرف وأفرد لنصف العالم الانسانى بابا باللغة العربية جمع فيه من اشتهرن بالفضائل وتنزهن عن الرذائل مع أنهن

تبيغ منهن جملة سيدات أبهن المؤلفات التى حاكين بها أعاظم العلماء وعارضن فحول الشعراء فلحقتنى الحمية والغيرة النوعية على تأليف سفر يسفر عن محيا فضائل ذوات الفضائل من الآنسات والعقائل وجمع شتات تراجمهن بقدر ما يصل اليه الامكان وايراد أخبارهن من كل زمان ومكان ولما كانت هذه الطريقة صعبة المسالك تعسر على كل سالك خصوصا على من كانت مثلى ذات حجاب ومنتقبة من المنعة بنقاب فقد استعنت على هذا التأليف بما جاء فى التواريخ العمومية والمجلات العلمية ووضعته على الحروف الهجائية حتى ظهر غريبا فى بابه فسيحا فى رحابه وقد سميته (الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور) وجعلته خدمة لبنات نوعى بعدما أفرغت فى تنقيحه وسعى متجنبة كل ما يؤدى الى الملل مختصرة عن الاسانيد والعنعنة والامكنة والازمنة وقد ابتدأت فى تأليفه فى ٤ ربيع الاول سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق ٧ اكتوبر سنة ١٨٩١ افرنجية وقد جمعته من كتب جمة تاريخية وأدبية منها الكتب الآتية وهى

تاريخ الكامل لابن الاثير

تاريخ الكامل للمبرد

تاريخ الوفيات والاعيان لابن خلكان

تاريخ نفح الطيب لاحمد المقرى

تاريخ أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من الدول للاسحاقى

كتاب العبر لابن خلدون

كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى

كتاب دائرة المعارف لبطرس البستانى

كتاب السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبى

كتاب السيرة النبوية للسيد أحمد زينى دحلان

كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه

كتاب تزيين الاسواق للشيخ داود الانطاكى

كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف لشهاب الدين أحمد الابشيهى

كتاب ثمرات الاوراق لابن حجة الحموى

كتاب قطف الزهور فى تاريخ الدهور ليوحنا ابكاريوس

كتاب أسد الغابة بمعرفة الصحابة لابن الاثير الجزرى

كتاب نور الابصار فى مناقب أهل بيت المختار للشيخ سيد مؤمن الشبلنجى

كتاب ألف با ليوسف بن محمد البلوى

خطط مصر التوفيقية للامير على باشا مبارك

ديوان الحماسة لابى تمام

ديوان الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمى

رسالة الشيخ الصبان

تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى

الفتح الوهبى على تاريخ أبى النصر العتبى

روض الرياحين للشيخ عفيف الدين

تحفة

تحفة النظار فى غرائب الامصار لابن بطوطة
مشاهير النساء تركى لمحمد ذهنى
الطبقات الكبرى للشيخ عبد الوهاب الشعرانى
قصص الانبياء المسمى بالعرائس للشيخ أحمد الثعلبى
حديقة الافراح
فتوح الشام للواقدى
اللطائف لشاهين مكاريوس
المقتطف ليعقوب صروف وفارس نمر
خزانة الادب لابن حجة الحموى
الروضتين فى أخبار الدولتين
الفتح القدسى للعماد الكاتب
بدائع هرون لسليم عنحورى
سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون
مروج الاخبار فى مناقب الابرار

وهذه خلاف ما جمعته من المجلات العلمية والجرائد الدورية وما التقطه من مقالات لبنات هذا العصر اللاتى تربين أحسن التربية وتعلمن العلم فى المدارس العالية وصار لهن شهرة فى هذا العالم الانسانى وانى ذاكرة بعض مقالاتهن فى مقدمة هذا الكتاب ليعلم قرّاؤه أن عصرنا هذا نبغ فيه نساء لم يتقدمهن أحد من نوعهن فى الاعصر الخالية وماذلك الا باعطائهن حقوقهن من ذويهن الذين عرفوا الحق واتبعوه

وانى ابتدأ بمقالة حضرة الآنسة الاديبة السيدة سارة نوفل كريمة الفاضل نسيم أفندى نوفل من الاقتراحات التى اقترحتها على علماء اللغة العربية قالت

نحن فى عصر سطعت فيه شموس العلوم والآداب فأنارت بأشعتها مدارك ذوى الالباب فلا غرو اذا سميناه بعصر الاختراعات والاكتشافات وقد رأينا فيه من فعل البخار والنور أعجب العجائب ومن قوة البرق والكهرباء أغرب الغرائب حتى لم يبق فيه محل للغرابة اذ تطفلت فى هذا المقام على نصراء العلم والعلماء وأرباب الفضل الالباء باقتراح يهمنى الحصول على نتيجته والوصول الى فائدته كما يهم البنات الشرقيات اللواتى [illegible] ما كان لهن من الحق المسلوب وما عليهن من الواجب المفروض فاقول بعد الاستسماح [illegible]ن ذوى الفضل والآداب

قد علم السواد الاعظم أن الاوربيين وغيرهم من الامم الاكثر تمدنا قد اتحدوا بعقد الخناصر واتفاق الخواطر سواء كان فى محافلهم العلمية ومجتمعاتهم الادبية أوفى نواديهم العمومية وهيئاتهم الاجتماعية وقرروا وجوب احترام المرأة يوم عرفوها عضوا مهما فى جسم الكون للارتقاء وحسن التربية

ولما عم فى أرجائهم هذا القرار العادل وصار نظاما مرعيا بين الخاص والعام أخذت المرأة بالتقدم الى مراتب الوجود وسلم الكمال الانسانى حتى بلغت ما بلغته من المعارف والواجبات وقد رفعت بواسطتها علم السلام بين أولادها وذويها وتمكنت بسببها من عقد وثاق الحب والولاء بين كل من أفراد عائلتها الى غير ذلك مما نراه من آثار آدابها فى أكثر الشعوب الغربية

ولم يكتف الغربيون بهذه الامنية حتى استنبطوا للتمييز بين البنت العذراء والمرأة المزوجة اسنة افتخارية قائمة بذاتها كقولهم فى اللغة الفرنساوية للمرأة مدام (وللعذراء مدامواريل) وفى الانكليزية مسس ومس

وباليونانية كريادسبينيس وبالايطالية سنيوره وسنيوريته أومادامأومادام وهكذا في غيرها من اللغات الاجنبية الاكثر انتشارا في وقتنا الحاضر

أما نحن الشرقيين عموما والغربيين خصوصا فقد أغمضنا الجفن عن هذا التخصيص رغما عن اتساع اللغة العربية وتسابقنا الى انتحال أكثر عوائد الغربيين وأزيائهم واشتراكنا في معظم هيئاتهم ومنتدياتهم واستحسان أخلاق البعض منهم الا أننا لسوء الحظ لم نحتذ حذوهم باعطاء البنات هذا التمييز الاحترامي والاشارة الخاصة بهن عندهم

والاغرب من هذا أننا لو فتشنا وبحثنا مليا بين مائة مليون نفس وأكثر من الناطقين بالضاد لما وجدنا فيها كلمة واحدة تقوم مقام المدام والمداموازيل في مبناها ومعناها وان قيل ان كلمتي ست وستيته يستعملان بمعنى مدام ومداموازيل في الفرنساوية الا أن هاتين الكلمتين ليستا صحيحتين على ما يظهر وفضلا عن ذلك فان التصغير في ستيته هو للاحتقار لا للافتخار خلافا للمعنى المقصود بالمداموازيل كما لا يخفى على كل لبيب أديب نعم عندنا كلمتان مترادفتان وهما السيدة والخاتون ولكن نراهما غير وافيتين بالمرام لانهما تطلقان على العذراء والمتزوجة في آن واحد بلا استثناء وليس في احداهما صفة خاصة تدلنا على معرفة الموصوفة باحداهما معرفة حقيقية والدليل على ذلك أننا لو عثرنا على مقالة لاحدى السيدات والخواتين الشرقيات في احدى الجرائد العربية لما قدرنا أن نحكم ما اذا كانت المحررة بنتا أو امرأة بل نقف بالالتباس حيارى بين هذه وتلك الى ما شاء الله

هذا وان شئنا أن نعرب كلمتي مس أو مداموازيل ونستخدمهما كما هما في كتاباتنا وحديثنا العام نخاف الملامة ممن درسوا مفردات اللغة ولسان حالهم يقول (كل الصيد في جوف الفرا) فنحتاج وقتئذ الى أحد أمرين إما المباحثة والجدال الطويل واما أن نسكت ونستر الوجه بأكمام الخجل حين لا نرى في كتب اللغة كلمة واحدة تتميز بها العذراء من المتزوجة احتراما كما تتميز في اللغات المذكورة آنفا فرجاؤنا من أئمة اللغة وجهابذة الفضل من أبناء هذا العصر أن يتحفوا الناس بكلمة عربية تقوم مقام المداموازيل بوضعها ومعناها بحيث تصبح عامة بين الرفيع والوضيع لفظا وكتابة والا فلا لوم علينا ولا تثريب اذا التجأنا الى لغات الاعاجم باستخدام هذه الكلمة ونظيرها مما الاشبه له في لغتنا العربية التي ان طال عليها مطال هذه الاستعارات أصبحت يوما كاللهجة المالطية اختلالا وامتزاجا

ولا نكر أن في زمن تدوين اللغة العربية كانت المرأة في عين الرجل حقيرة ذليلة وليست بأكثر من أدوات البيت أو كباقة من الازهار تطرح خارجا حين تذبل ولذلك لم يخطر ببال أحد من ذلك العصر أن يستنبط في اللغة كلمة مثل هذه تدل على المرأة دلالة صريحة باحترام وتوقير ولكن نحن الآن في عصر تنوعت فيه أنواع الاستنباطات فلا يعسر على نصراء اللغة استنباط كلمة كالمداموازيل للدلالة والتمييز حفظا لصفة الاحترام والافتخار وحبذا لو أضافوا الى اللغة ما لا يوجد فيها من الكلمات المستحدثة ولكن هذا يحتاج الى معاضدة الحكومة باقامة مجمع علمي (أكاديمي) وليس من خصائصي أن أبحث فيه وأحث عليه في هذا المقام هذا وأرجو من جمهور الالباء وأصحاب الفضل الاذكياء أن يسبلوا حجاب العفو والمعذرة على ما نطقت به تجاه ساحات حلمهم اذ لا قصد لي من هذا الاقتراح الا أن نباري الاجانب في هذا الشان والاستفادة مما ينفثه أصحاب الفضل وخير الناس من أفاد وبناء على هذا الاقتراح استنبط بعض علماء اللغة لفظة آنسة للبنت وعقيلة للمرء جة واستعملها أكثر الجرائد

وقالت حضرة الآنسة جليلة كريمة الخواجة نخله موسى حاضة على لزوم تربية الاولاد والبنات لاجل تحسين حالة نسلهم وهذا ما قالت

لقد علم كل انسان بان كل ما يراه الولد فى صغره يستمر راسخا فى ذهنه أيام حياته كلها فعلى الوالدين أن يجتهدوا فى تربية أولادهم وأن يكون اجتهادهم هو القاعدة الوحيدة لتثقيفهم وقد أجمع على أن المرأة هى علة الترقى والنجاح وأنها قابلة للتقدم فمن ثم لا بدّ أن يكون لتربيتها تأثير عظيم فقد رأينا سلوك الانسان مدى حياته قائما على محور التربية التى ترباها فى طفوليته وحداثته ولما كان فى نعومة أظفاره على الفطرة كان قابلا أن يتخلق باخلاق الخير أو باخلاق الشر على ما يربيه والداه وما يسمعه ويراه منهما من التصرف فهل من مناسبة بين من تربى أولادها بالاحتداد والشتائم والكذب والحيل ومن تربيهم بطول الأناة والنصائح والارشاد والصدق فمن تربى على الخير قام بأعماله حق قيام مكرما فى حياته ومأسوفا عليه بعد مماته والعكس بالعكس فمن أراد أن يحيا بمقتضى النواميس الأدبية والدينية يجب أن يحيد عن طريق الشر ويسير بحسب الاستقامة فاذا أخل بشئ كان من الخاسرين قيل (ومن يشابه أبه فما ظلم)

ففى ذلك دليل على اتباع الاولاد أثر والديهم صلاحا أو طلاحا وقيل ربّ الولد على مخافة الله فتى شاخ لا يحيد عنها وذلك برهان على رسوخ التربية فى الأحداث ففى حسن التربية سعادة الوالدين والاولاد معا

ويجب على الوالدين أن ينظروا الى طرق أولادهم وأن ينصحوهم وينذروهم لكيلا يسلكوا طريقا معوجة ولا ينهمكوا فى الشهوات ولا يتورّطوا حبا فى الدنيا وغرورها بل يقتصون هذه الشجرة فى صغرها فكم من الاولاد يتعلمون القذف والشتائم والكلام القبيح قبل أن يتفوهوا بالصالحات ولا يخفى على الوالدين أنهم مسؤلون فى أولادهم عند الله وعند السلطة والامة معا فانما الاولاد للآخرة ولوطنهم ولابناء جلدتهم

فاذا فطن الآباء الى تهذيب أولادهم فى صغرهم ارتاحوا وأراحوا مدى الحياة فخير للوالدين أن يشدّدوا على أولادهم فى صغرهم من أن يطلقوا لهم العنان فيندموا ويوقعوا أولادهم فى ورطات عظيمة

فمن الناس من يرى ولده عليلا ولا يبادر الى دفع الاذى عنه أو جريحا ولا يسعى فى مداواة كلومه فاذا كانت هذه غيرتهم وعلل أولادهم جسدية فكم يقضى من الزمن فى مداواة أمراضهم النفسية فمن أحب ابنه أدبه فليس التأديب اهانة وذلا بل شفاء وخلاصا

فقد نهى تعالى شعبه عن الامتزاج بالامم لفسادها وسن له نواميس الاصلاح حتى انه أذن بان ينهوا فى التربية ويهلك جيلهم فيهما من أن يدخلوا أرض الميعاد بفساد مصر

فعلى المرأة الراغبة فى تربية أولادها أن تكون على جانب وافر من الادب وحبذا لو كانت ذات معارف وصاحبة تدبير ففى ذلك تهذيب أولادها وراحة قرينها فعلى المرأة تدبير المنزل فتساعد قرينها فى الاقتصاد فكم من امرأة شدت بيتها بسوء تدبيرها وكم من امرأة أحيت موات منزلها بحسن ادارتها فلا فائدة للغنى مع الاسراف ولا للداخيل مع التبذير وهى خلال اذا تربى عليها الاولاد زاد البلاء بلاء وما ينفع أبو العائلة اذا سعى وجدّ وحرص وأحرز اذا كانت المرأة تبدد أمواله وتفسد تربية أولاده بعدم تعقلها وتروّيها فمن رام الاصلاح علم الفتيات وغرس فى فؤادهن المبادى الصالحة وزين عقولهن بالحكمة وحملهن على حب الفضيلة ولله در من قال (لو كانت الآداب بالعقود والقلائد والاساور والخواتم لكان المال انما هو نفس التمدن) فاشقى الامم من حجب الله عنهم الحكمة والادب فأول شئ يقتضى غرسه فى فؤاد الولد من أنثى وذكر حب الله وحب الوالدين وحب السلطة وحب القريب فمن رسخت فى فؤاده هذه المبادى وتربى عليها أفلح ومال الى الشغل وكدّ واجتهد وكان أديبا حسن السلوك والتدبير ففى الدرس والمطالعة والمجالسة والمعاشرة حسن الحديث ولين الجانب ولطف الاخلاق ودماثتها

هذا ولا بد لكل أنثى أو ذكر من مهمة يهتم بها فقيمة المرء ما يحسنه فعليه باحكام صناعته وأن يحرص على

حاله ويستعبدها فالصناعة تكسبه مالا وتجبره على نبذ الكسل وعلم الحساب يقيه من الخطا وأعمال اليد تساعده على ترتيب المعيشة وثمرة السعي الترتيب وحسن النظام

أوليس الاليق بنا التخلق بالاخلاق الحميدة وأن نزدان بالعلوم والمعارف ونعكف على الشغل والعمل من أن نمضي الاوقات فيما لا طائل تحته من الاحاديث بل بالقدح والطعن والنميمة والثلب والتعصب والاغراض فعلينا أن نكون كالرياحين زهرا وزهاء لا كالارض البورقرطبا وعوسجا

وقالت حضرة الاديبة الفاضلة العقيلة هنا كوراني مظهرة واجب الزوجة نحو الرجل واليك ما قالت

والحق اذا علا والفضل اذا سما والصلاح اذا بدا والعقل اذا ارتقى فهنالك مقام البهجة والحبور ومرتع الانبساط والسرور ومجتمع السلام والهناء وملتقى الراحة والصفاء في منزل من سارت به زوجة تلاقيك بوجه طلق ومحيا بشوش وتهدي اليك من رقة أنغام صوتها الطفا وحلاوة يأخذان منك بمجامع القلوب وتنظر اليك بألحاظ الفطنة والذكاء فتعيرك نشاطا جديدا وتهديك طريقا قويما تلك التي رسم التعقل والحلم والرصانة على جبينها آيات بما الهامن الفضل والعفاف وكريم المبادئ معلنات بثبات الزوجة كما تعاون مدبرة العالم الانساني وعليها يترتب أمر التقدم والانحطاط وذلك لانها ربة المنازل وسيدة المساكن من قصر باذخ يناطح برأسه السحاب الى كوخ على جانب كبير من الفقر ورثة الحال ولهذا كان مركزها في غاية قصوى من الاهمية جديرا بأن يعار معظم الاعتبار وخليقا بأن تحوم حوله دوائر صائبي الافكار لتسلم من شر عواقبه الوبيلة على العباد أجارنا الله منه

اذا تأملنا في أحوال ما حولنا من البشر ووقفنا على دخائل أمورهم نرى بعين آسفة أن معظم الشقاء والتعاسة والآلام التي نصادفها صادرة عن جهل اللاتي يتخذن مقام الزوجة بما يترتب على ذلك من الواجب واللازم فيه ودفي مساكنهن الخصام والشقاق وتفر الراحة من أمامهن على جناح السرعة الى مقام السلام وتكون حياتهن مع أزواجهن عبارة عن سلسلة متصلة حلقاتها بالمرارة والويلات مرتبطة أجزاؤها بالمصائب والتنهدات مع أنه كان بوسعهن لو دبرن أو أردن أن يتقين ذلك البلاء الاعظم الذي يفتك ببهجة الحياة ورونقها

ولا واقي لذلك الداء العضال الذي لا ملجأ من آلامه مدى الحياة سوى عمل الزوجة بما يفرضه عليها الدين والادب حتى الطبيعة من الواجب نحو رجلها فالزوجة التي هي شريكة حياة الرجل يجب أن تتأكد بان مسرتها ومسرة زوجها يتوقفان على محبتها الحقيقية له وخدمتها الامينة لجميع حاجاته كما أنه يدور بخدمتها ويفعل ما به يطيب خاطرها ويشترط عليها أن تعمل بتطلب فرح اذ لا أحب الى الرجل من الزوجة البشوشة لان البشاشة تنير وجهها وان يكن غير جميل فالفتاة الجميلة الفاتنة التي تصنع بعد زواجها حجرة كدرة لا تقدر أن توجه لوما الا على نفسها اذا غاب رجلها كثيرا عن المنزل لانه من طبع الرجل كراهة الوجه المنقلب والسحنة الشكسة

وعلى المرأة أن تدرس طباع وأخلاق رجلها ادرسا جيدا لتستطيع السلوك معه بحسب مشتهاه لانها ان فعلت ذلك لا ريب تصيب لديه المنزلة الاولى والمقام الاجل فتصبح ارادته رهن رضاها ومناه تلبية أمرها اللهم الا اذا كان بعيدا من الانسانية بشيء لا يخفى في داخل جسده البشري ذا قلب وحشي لا يلين ومن أهم واجب الزوجة الذي قلما تكترث به المحافظة على حسن صحتها في الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس لئلا تبتلى بداء يرمها العمر على فراش السقام فتكون حملا لا يطاق على عاتق رجلها فضلا عن أنها تخسر محبته الاولى وهذا أمر بديهي اذ الرجل لم يقترن بالمرأة لمرضها بل لتكون عونه وشريكته في حمل أثقال الحياة ومتاعبها

الجة وماقصدت بهذا أن يراد الرجال الذين لا يعتنون بنسائهم كلا لانه من أول واجب الرجل أن يبذل مستطاعه فى تطبيب زوجته اذا فاجأها مرض أو بلاء بل لا أذكر المرأة بأمر ربما لم يخطر لها ببال فتستفيد للاستقبال حقا واجبا

ان واجب الزوجة نحو رجلها فرض مقدس سن من قبل الخالق والوجود فاهماله يعود عليها بشقاء مستمر اذ أنها تخسر محبة زوجها وثقته بها ويا لعظم الخسارة فيه مر فان حياتهما فى تعسر وتكدير بخلاف ما اذا قامت بمطلوبات مركزها بجهد وأمانة فالسعادة تظلها باجنحتها والبركة والسلام يأويان منزلها وكم قد أطنب الشعراء والكتبة فى وصف الزوجة الصالحة ورفعوا من منزلتها وأكثروا من مدحها وذلك دلالة على سمو شأنها وعزيز نفعها فى عالم الوجود

والزوجة الصالحة هى التى تمتاز بافكارها الطاهرة الشريفة وبشعورها الخفى اللطيف وباخلاقها البهجة الانيسة وبصبرها الجميل وعريكتها اللينة وعفتها النقية فتراها مرتدية النظافة واللياقة ثوبا ومعتنية مع عائلتها على حدود الاعتدال والاقتصاد تلك التى تسر بيدها بالعمل وتكره رجلها التبختر فتنهض فى الصبح باكرا متسربلة القوة والنشاط لترتيب أشغال النهار والقيام بمهام منزلها فتكون ينبوع سعادة رجلها وفخر أولادها الذين يسمعون أناشيد مدحها فيهيمون طربا ويزيدون من اكرامها شيأ عظيما

هذه هى المرأة التى ترفع شأن الانسانية وتعمل فى تقدم الجنس البشرى أشرف وأجل عملا والتى فوائدها لا تحصى وآثارها لا تستقصى فانها تفعل فى ارتقاء العالم أكثر جدا من التعليم والانذار والتوبيخ وبدونها لا تفيد وسائل التقدم شيأ مذكورا ولذلك كانت حاجتنا نحن الذين أخذنا نتدرج سلم المعالى لمثلها شديدة فانى أرى البلاد ظمأى لتأثيرها المحيى وما ترها الغراء فرجائى أن يصيب مقالى فى قلوب نسائنا ثرى ثريا لتجتنين نكرا ويزددن فضلا ويثمرن معروفا فتسمو بهن البلاد والعباد والله ولينا وبه نتوفق الى خير الاحوال

وقالت حضرة الكاتبة الاديبة مريم خالد فى مقالتها التى عنوانها

(وجوب تعليم البنات ردا على معترض هذا المقصد)

لا أدرى ما الذى دفع بالمتعرض الى هذا القول ولا أعلم ما هذا الغشاء الذى قام أمام عينيه فلم يعد ينظر من ورائه الفوائد الحاصلة التى لا ينكرها الا من أعماه الجهل وخيم فوق رأسه الغرور وكأنى به وقد رأى كلا يبدى رأيا ويتكلم بما يعن له من محسنات ومسببات النجاح كقوله هل تقصد أن ترسل ابنتك للمكتب . . . أراد أن يتكلم فبحث فى زوايا دماغه وفتش مخبآت قريحته فلم ير الا أن تعلمنا صورة خارجية وضرر عظيم فهل يظن أن العلم خلق للرجل لعمرى انه فى ضلال مبين وخطأ عظيم

ولنفرض أننا سلمنا اعتقاده وجاريناه على قصده حسب زعمه أن العلم لا ينفع البنات بل ينتج المضار فاهى يا ترى أيحسب أن أولها النفقات التى تبذل لوضعهن فى المدارس

ثم ان المدارس جامعة البنات من رتب وطبائع مختلفة فتدخل الابنة بسيطة لا تعرف الحى من اللى فتستنير بعد إذ وتتغلب عليها آفة الغيرة فتجرب أن تجارى البنات اللواتى هن أعظم منها رتبة وغنى بالملابس والزينة الخارجية وتقتبس كل عوائدهن حتى يصعب على الانسان أن يرى الفرق بين الغنية والفقيرة وتتمرن على الراحة والرفاهية حتى متى رجعت الى البيت تراها شامخة بانفها معجبة بنفسها لا يعجبها العجب ولا تمارس الاشغال البيتية فتخسر والديها مبالغ لا طائل تحتها فكان الاجدر بها أن تبقى فى البيت مثل هذه حجة المعترض لكن وا أسفاه على المعترض لا يعلم أن هذا الغلط غير لاحق بالبنات فقط بل بالشبان أيضا فانى قربهذا الغلط ولكنه ليس عموميا ألا يعلم أن للناس طبائع وأميالا مختلفة فالبعض يميلون الى الاسراف

والتبذير والبعض الى العلم والتهذيب والبعض لغرور العالم وشهواته فلا خوف على ابنة واقعة تحت ظروف كهذه فهما كانت طائشة وميالة للاسراف لابد من أن يعلق فى ذهنها أثر التهذيب والتى لا يفعل فيها التهذيب المدرسى لا يفعل فيها ولزمت البيت فكفى أن المدرسة تربى فيها ميلا للعلم والادب وتدربها فى أعمال الحياة بعد خروجها من المدرسة ودخولها فى العالم ومن جهة الاشغال البيتية لا يلزمها أفكار وتعب جزيل لتتعلم ممارستها فعليك أيها المعارض أن تتشجع ولا تخاف من هذه المضار بل أن تصوب آمالك للفوائد الجمة التى تنتج من تعليم البنات ولا تحتقر علمهن فانك بذلك تحتقرهن ولا تنس أن المرأة هى المحور الذى تدور عليه أسباب النجاح وهى سبب التقدم والفلاح وهى حافظة للهيئة الاجتماعية ومرآة الآداب العمومية

لامشاحة أنها تبلغ فى العالم مبلغ الرجل أحيانا فلذلك يجب تعويدها على اطلاق أعنة الاقلام فى ميادين التصورات العقلية لتجتنى من الطبيعة عسلها الشهى وبذلك يعلم العالم أنها على شئ وينطق لسان الابكم بفضلها وعند ذلك تبكم الالسنة القائلة بحطة عقلها وحقوقها أما أنا فعندى أن صرير أقلامنا الحاضرة سيدوى فى وديان سوريا ويؤثر فى آذان الهيئة الاجتماعية فعلينا أيتها السيدات بالتحفظ من كل أمر يحط شأننا وملازمة الخطة التى ترفع قدرنا ومقامنا واعلمن بأن الانظار تراقبنا والاصلاحات تنتظرنا والمرأة مرآة الوطن فيها يظهر هيكله ومنها يعرف كيف هو ورجاؤنا أن نكون نحن الراجحات والمعترضون الخاسرين وأخيرا يجب علينا الشكر لله ولوفرة اهتمام الحضرة العلية الشاهانية فى ترقى البلاد والرعية وأكثر الآباء الآن أدركوا أهمية تعليم بناتهن حتى صار تعليمهن عند البعض أمر الازما فاطلقوا قيودهن حتى بادرن على نزر المساعدة المبذولة لهن الى مجاراة الرجال

وقالت حضرة الاديبة الآنسة استير ازهرى مقالتها التى عنوانها (الاحسان الكتابى)

المرء بعد الموت أحدوثة * يفنى وتبقى منه آثاره

وأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره

وماذا يفضل حالة من يكرس نفسه لنشر الآداب واعلاء منارها وأى خير نشره أطيب ممن يصل سواد ليله ببياض نهاره ساعيا وراء هداية غيره سبل المعرفة مستجليا عويصها كاشفا غوامضها لا يأخذه بذلك ملل ولا ينال كلل أجل أليست هذه حالة العلماء والفلاسفة منذ نشأ العلم الى اليوم أشغلوا جل أوقاتهم بكتابة الكتب التى تعود على عموم العالم بالنفع وتدرأ عنهم المضار وبهذه الواسطة لم تقصر افادتهم على الجيل الذى عاشوا معه أو البقعة التى قضوا فيها احياتهم بل لن تزال منتشرة فى كل قطر مدت المعرفة سماءها عليه لابسة من الحياة ثوبا قشيبا لا تبليه الايام ولا يؤثر به كرور الاعوام فخلدت أسماؤهم وكانت خير أثر ومن رغب فى أن يأتى بالاحسان الكتابى لا يحتاج أن يجمع الشعب من حوله ليلقى عليهم معارفه كما كانت تفعل العلماء فى سالف الايام بل خولته التقدمات العصرية مقدرة على وضع أفكاره وتعاليمه فى كتاب ينشره بين الملا فتتناوله الايدى ويقطف أثماره القاصى والدانى ونرى تأليفه يقوم مقامه فى كل عصر حتى اذا فنى المؤلف واعبث الديدان فى جسده بقى كتابه بين أيدى الذين بعده يغذون عقولهم بموادّه وعليه نرى الاحسان الكتابى آلة يستخدمها المحسنون لاذاعة الآداب واستمرارها فتغنى الطلاب عن الاساتذة فكم من الناس الذين لم تسمح لهم أحوالهم بالدخول الى المدارس وجدوا هذا الاستاذ ينادى بصوته الجهورى قائلا تعالوا يامحبى المعرفة وراغبى التقدم فها أنا أستقبلكم على الرحب والسعة وسترون منى أستاذا شفوقا ومحبا محسنا أرغب فى تقدمكم واعلاء شأنكم لا أطلب منكم أجرا ولا تعويضا فلا أترك

غامضا في السماء أو تحت الثرى الا وأجلوه لكم وأظهر محياه فلا يأخذكم بذلك ملل بل ثابروا على خطتكم واجتهدوا بالثبات فيها ترون طلق المحيا لا أسأم عندما يتعذر عليكم فعل أمر وها أنا أهدى الشاب منكم صراطا سويا وأعدكم بالتقدم ممثلا له قول الشاعر

لا تقل قد ذهبت أربابه * كل من سار على الدرب وصل

فاطاعوا دعوته وولجوا حدائقه الناضرة ومروجه الخضراء فاقتطفوا منها ما طاب لهم وعادوا ظافرين فعند إذ شعروا بفضل ومنة من أحسن اليهم بتآليفه التي أنارت عقولهم فاقتدوا به وبدؤا بتآليف الكتب التي تخفف على الغير مشاق الدرس الذي لزمهم فاحسنوا كما أحسن اليهم ومن يتأمل المتاعب التي تحدق بالعلماء لا يتبعد عن اكرامهم وتبجيلهم ما أمكن فضلا عن الاضطهادات التي كان يجازى بها من صرح بحقيقة لم يدركها زملاؤه في الاجيال الغابرة وكفى (بغاليلو) برهانا فعندما صادق على قول (كوبرنيكوس) بكون الشمس ساكنة والارض متحركة نفي الى سجن مدينة غريبة بعيدا عن أهله وخلانه ومات فيه وعليه فغليلو كان أسير الاعتصاب كما قال ملتي الشاعر الانكليزي عند مخاطبته عنه الا أن أضداده لم يقدروا على سجن الحقيقة التي أذاعها غليلو وعليه فكم يجب علينا أن نقدم الشكر لله تعالى الذى أوجدنا في هذا العصر الحميدي تاج العصور الغابرة ففسح فيه للعلماء مجال بث حقائقهم بين الشعوب فكان ذلك أكبر نصير لتقدم العلوم وأعظم عاضد لنشرها ومما نرى أن العلماء لم يكن يستفزهم وعد أو يرهبهم وعيد بل كانوا يقبلون الموت فداء لحقائقهم فكانوا يساقون لتناول ضروب العذاب كمن يذهب لينال اكليل الظفر ولولا ذلك لانفقت المعرفة وعم الفساد واذا رغبوا في الحياة لا تكون غايتهم منها سوى نفع الغير فينكرون ذواتهم في سبيل الاحسان ويؤيد ذلك ما قاله (ملتون) عندما كان يؤلف كتابه المسمى (بدفاع الانكليز) عندما أنذره الاطباء بالعمى ان لم يكف عن الدرس والتأليف فقال (ان كثيرين يبتاعون الخير الصغير بالشر الكبير أما أنا فحسبي أن أبتاع الخير الكبير بالشر الصغير) حاسبا عمى عينيه شرا صغيرا في جنب الخير الكبير الذى هو خير بلاده

وعلى الراغب بالاحسان كتابيا أن لا يرهب في الحق لومة لائم بل يذيع الصواب منتصرا له بكليته ولو خالف المسكونة باسرها مبتعدا عن أن يطوى عليه كشحا واذا فعل ذلك لا يكون قد أدى المعارف حق خدمتها ولكن عليه أن يراعى ذوق الجمهور بالبحث عن كل ما يرى منهم الاقبال عليه فاذا أراد مثلا ردعهم عن طرق ألفوها وهى مضرة لهم لبعدهم عن التقدم فعليه أن يظهر وجوه المضار التى تحصل منها الوسائط للابتعاد عنها ولا يؤخذ من كلامه لهجة الامر بل كمريد الاصلاح وعليهم حسن الاختيار وعند ذلك يكونون قد قاموا بالخدمة المطلوبة منهم

وقالت حضرة الكاتبة الاديبة الآنسة استيرا زهوري في مقالتها التي عنوانها (الروايات) التي تلتها في دار المدرسة الاسرائيلية عند تمثيل رواية (المسرف)

الروايات والكل تعلمون حقائق لا بل فوائد ملبسة بلباس الهزل ومنافع قدمت في معرض المجون تلذ للسامع وتخول الناظر قوة تحكم بين صحيح الامور وفاسدها فيراها بعين الخبرة وقد أميط النقاب عن مؤداها ويسبر غور تجارب أخذت قسما عظيما من الزمن بما يفوق القليل منه فتحنكه بلا تعب ولا كد وربما عن غير قصد في معرض اللذة التي ينالها عند تمثيلها فتفيده وبالحرى تربيه بالوقائع التي يشاهدها كأنها مرت عليه وقد قال الشاعر

تعطى التجارب حكمة لمجرب * حتى تربى فوق تربية الاب

وفوائدها أعظم من أن تحصر بخطاب يدونه قلم عاجزة نظيرى ومقالة يحصرها يراع قاصرة مثلى بيد أنى
وجدت للكلام مجالا فعملت بقول من قال (وان وجدت قائلا فقل)
فاذا تتبعنا فى الروايات منذ نشأتها الى عهدنا هذا نرى أنها كانت عنوان فضائل الاجيال الغابرة أو أخلاقها
بحسب الموضوع الذى كتبت فيـه ولكن عند ابتداء عهدها كانت لعقاب المجرمين واعـدام الاسرى
فكانت تمثل فى ذلك الوقت بهيئة تقشعر منها الابدان وتشمئز منها النفوس بحيث ان ممثليها قلما يستطيعون
أن يلعبوا دورهم بعد ذلك فى رواية الحياة الكبرى
ثم سمت غايتها بعـد إذ فاستعملت لاظهار بعض العقائد الدينيـة ثم صارت لتسلية الملوك والامراء الى أن
تحسنت أكثر فأكثر وصارت غايتها العظمى اصلاح ما فسد من العوائد والاخـلاق وبيان مصير تابعيها
الى النتائج الرديئة التى تكدر كأس صفاء حياتهم وتعبث براحتهم من كل جانب واظهار ما للفضائل من
المزايا الحسنى لكى نقتدى بها ولا نحب أن يعزب عن بالنا ما لها من الفوائد التاريخية فتخبر الجمع الحاضر
بكل ما جرى فيما سلف من الزمان
وهى مفيدة لتلامذة المدارس بما ليس دون فائدتها فى الناس بل أسمى وأجـل لان تأثير الحوادث فى مخيلة
الاحـداث يفوق بمرات تأثير الكلام المجرد فيها فاذا راجع كل منا تاريخ حياته يرى صحـة قولى وناهيك
بالفوائد التى يجتنيها المشخصون أنفسهم من عبارات يلتقطونها وأمثال يحفظونها وحكم يستوعبونها
فكما طرقوا خزانة التذكار يرون ما الذى وعوه فيها من الآثار ولا حاجة أن نقول ان وقوفهم وهـم فى
هذا السن فى محفل حافل كهـذا يجعل وقوفهم فى المستقبل بأحسن مما ترون منى الا (تصفيق) وللروايات
شروط لو تعدتها اسقطت فوائدها وعبث بالمقصود منها غير أنى أضرب عن تعدادها الآن ولدينا رواية تنطق
بأوضح ما يعبر عنه لسان موضوعها من أحسن المواضيع ومادتها من أغزر المواد ومغزاها أحسن مغزى
فهى قد خاضت بحر الشعر والنثر فالتقطت منها أنفس الدرر وتقلدت بها زينة وبهاء فشكرا للناسج بردها
أفاض فأجاد ولمساعى رئيس المدرسة الهمام ومدحا للفتية نجباء أحسنوا التمثيل وأجادوا الالقاء نسأل
الله دائما نفعنا بما نراه فهو المجيب السميع

وقالت حضرة الاديبة سارة نوفل تحت عنوان (الصحة أفضل من المودة) (الزى)

هرعت نساء الغرب الى دائرة التفنن بأنواع البهارج وأساليب الزخارف وأخـذن بمناظرة بعضهن فى
اختراع الازياء والتلاعب فى صورها وأشكالها تباهيا وافتخارا حتى وصلن بها الى ما هى عليه فى الوقت
الحاضر من الوضع والتركيب ولسان حالهن يقول

لم يرق لى منزل بعـد النقا * لا ولا مستحسن من بعدمى

ولما كانت هذه الازياء بعيدة عنا غريبة منا كانت نساؤنا وبناتهن قانعات بما ورثنه من التقاليد والعوائد
سـواء كانت صحيحة المبنى أو سقيمة المبدا راضيات بما يختاره رجالهن وآباؤهن من الازياء وأشكالها
والاثواب وألوانها وكن بحالتهن هـذه متمتعات بتمام الرفاهية والهناء وكمال الصحة والصفاء
ولكن لم نلبث أن تقدمت نحونا تلك المناظرة بخيلها ورجلها ودخلت بلادنا ضيفا غـير محتشم واستمالت
قلوب النساء والبنات الى الاخـذ بناصرها فتغـيرت الحالة الاولى بضدها واستحالت عوائدنا القديمة الى
عكسها وارتفع علم المودة (أى الزى الجديد) فى ربوعنا حتى راجت بضاعته ونال من أفئدتنا بغيته وما كان
رافعـه الا بعض اللواتى أغمضن الجفن عما يتخلل هـذه المودة من الاضرار بالصحة العمومية وأقدمن بحكم
التشبه والتمثل ببنات جنسهن الغربيات الى الانقياد لحكم الازياء الجـديدة التى لو عرضناها على الاقدمين

لظنوها من أثواب الهزل كأثواب المساخر التي تلبسها الآن بعض النساء في أيام المرافع لما فيها من اعداد التقاطيع والاشكال وعديد الصور والالوان ولو تصفح هذا البعض كتب الحكمة وقانون الصحة لحكمن على نفوسهن بالخطا وعلمن كيف تورّطن باهوائهن الى ماعس الواجب المفروض عليهن في نظام الصحة العامة التي يترتب على سلامتها نموّ الجنس البشري وصيانته من آفة الامراض الوراثية

ومن البديهي المقرر في الاذهان أن الاثواب الضيقة جدا هي وحدها عثرة للدورة الدموية في جسم لابسها ومتى اختل نظام هذه الدورة الطبيعي كان الجسم معرضا لكثير من الامراض فكيف لو شدّت النساء خصورهن بمشدّ موسوم بلغة الافرنج (بكورسيه) أو (بوسطوري) حبال متينة وأضلاع حديدية لا يقوى على احتمال قوتها الضاغطة جسم أو نضممن أرجلهن وأصابعهن بأحذية لا نقدر أن نفيها حق التشبيه الا بقولنا بالاحذية الصينية صغرا وقالبا حتى لا يستطعن بعد ذلك أن يأكلن بلذة أو يمشين مستقيمات بحرية بل نرى الواحدة منا مع هذه المضايقة وذلك الاسر ممسكة بأذيال هذه العادة الوخيمة صاغرة لاحكامها الصارمة قائمة بأمرها الى ماشاء الله

واذا سألنا احدى اللواتي ربين في مهد الفضيلة والآداب وتثقفت عقولهن في مدارس الحكمة حتى عرفن أن الكمال انما هو بمحاسن الاعمال أن أي الثوبين الآتي ذكرهما أحسن نفعا وأكثر فائدة وألطف منظرا أثوب بسيط منسوج من الصوف أو من القطن أو الحرير أو الكتان يوافق كلا من فصول السنة الاربعة ويجر بذيله عنوان العفة والوقار وسمات الطهارة والقناعة ثم يحفظ بوسعه القليل راحة المرأة وصحتها مدى الحياة أو ثوب من أثواب الازياء الجديدة الحاكمة علينا بالخضوع لاحكام التقليد واستبداده فضلا عما يلهيها من الاسراف والتبذير لقالت

وما عن رضا كانت سلمى بديلة * بليلى ولكن للضرورة أحكام

نعم نقدر أن نلومك أيتها القائلة اذا كنت متوسطة الوجاهة والثروة ولا ننكر عليك حكم الضرورة التي أشرت اليها لانك معذورة بعدم انفرادك عن زميلاتك والاقتداء ببنات جلدتك على أننا نلوم ولا نعذر تلك المرأة الوجيهة الغنية التي نفح الدهر عليها بواسع الخيرات وغاية الوجاهة ولم تثن عزما عن مناظرة اللواتي هن أقل منها رتبة ومقاما وأضعف حالا وثروة لانها قادرة أن تجعل نفسها نبراس الفضائل ليقتدي بها النساء اللواتي هنّ أصغر منها منزلة وهكذا تقتدي الصغرى بالكبرى تدريجا حتى تصل الى حيث المطلوب والمقصود والمرغوب

أما الآن فنرى المسئلة معكوسة من جميع وجوهها حيث نجد المثريات منا اللواتي ينبغي أن يكنّ قدوة لجميعات يتسابقن في ميدان المودة ويبرزن بحللهن وحليهن تيها واعجابا ويتفاخرن كل يوم بثوب جديد اعلاما بيذخهن واسرافهن الى غير ذلك مما يجدد في نفوس عامة النساء روح الغيرة والاقتدار ويحملهن على اقدامهن على نحو هذا التقليد المضر بصالحهن المادّي والأدبي فضلا عن اضراره بصحتهن وراحتهن وقد سمعت يوما من احدى السيدات المثريات مايعرب عن ميلها الى استئصال المودة ومضارها الصحية والمادية حيث قالت اني أود من صميم فؤادي أن أحذو حذو السيدات الامريكيات في أزيائهن لما فيها من اللطافة واللياقة واللباقة والراحة لكني أخاف أن أكون البادئة لئلا ينسب الى البخل والتقتير المخل لا بشرف وجاهتي وثروتي أو يظن بي الفقر وعدم الاقتدار على مجاراة نسيبتي دعد وحبيبتي وصاحبتي أسماء وحبيبتي سلمى وهذا أمر يزري بالمجد ويمس التمدن ولكن بحكم الوهم على أني لو رأيت واحدة من أمثالي تقدمت قبلي الى نبذ أحكام المودة لكنت وايم الله تابعة لها والله عليم بذات الصدور

فالى ذوات الاثر والمأثوريات الفضل والمبادي الصحيحة أرفع مقالتي هذه بعد أن ألتمس من منازل لطفهن

حلما ومن واسع آدابهن عفو العلى أفوزعن تحمد من هذين الامرين مالا يقبل النقض والابرام والتنكيت والتبكيت لان التطرف بالمودة قد أوصلنا الى منازل لاتحمد عواقبها والتشبه يقضى بين الاحساب والانساب والاقران والامثال بأن ينفقوا كل غال حبا للمساواة بين المقلد والمقلد وكم من امرأة قدباعت مالديها من الحلى والعقار وابتاعت بقيمته قبعات وأثوابا ومراوح الى غير ذلك من لوازم المودة العائدة بخراب بلادنا والمنفعة لغيرها من البلاد التى تختلق لنا لزوم مالا يلزم فنتهافت الى ابتياعه ولاتهافت الجياع الى القصاع حالة كوننا موجودين فى عصر كثرت فيه احتياجات الانسان كما قلت موارد الرزق وسدت أبواب المصالح تجاه وجوه أربابها ولم يبق من سبيل للتخلص من الضنك المستحوذ على أكثر الشعوب الا الاقتصاد بعدم الالتفات الى مهالك الازياء فعلينا أن نترك التقاليد الافرنجية ونتمسك بأحاسن العوائد التى يمكننا أن نقتطفها من مجموع عوائد الغربيين والشرقيين وحبذا لو اقتدينا بعقائل نساء الافرنج اللواتى لايملن الا الى الجد والصالح وحسبنا شاهدا اللواتى نراهن كل عام يسحن من جهة الى جهة ثانية ومن قارة الى قارة أخرى تبديلا للهواء واستطلاعا لما فى الوجود من المناظر والغرائب والآثار والعوائد وهن بغاية البساطة فى ملابسهن وتقليداتهن ومن المستحيل أن ترى واحدة منهن لابسة ذاك المشد الحديدى الذى يستلزمه المودة لضم أضلاع الصدر وترفيع دائرة الخصر الى حد لاتطيقه المعدة والمعدة بيت الداء كما لايخفى وبناء على ذلك يجدر بنا نحن الشرقيات أن نقتبس من أدبيات الاجانب ونقتدى بفاضلاتهن ولانتجرع كأس الضرر ونحن على علم بأن السم فى الدسم ويجب علينا أن نتحد من الآن فصاعدا على نبذ كل عادة مضرة بأجسامنا ومصالحنا ونعرف مالنا من الحقوق وما علينا من الواجبات فهلم يابنات سوريا الادبيات يامن سطعت بكن شموس ذوات الخدور فغنيتن بالضياء عن البدور الى نشر هذه المبادى فى جرائد الوطن ولسان الحال لكى تصيرعلمنا ونفوز بالامنية ونستأصل من بين ظهرانينا آفة الاقتداء بغيرنا ممن لايهمهم همنا ولايسرهم وفاقنا والسلام ولنبدأ الآن بسرد التراجم والله المعين فى البداية والنهاية

(حرف الالف)

آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب أم النبى صلى الله عليه وسلم

قال القرمانى أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به حكيمة قومها وكانت من الفصاحة والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها اليه أحد من نساء العرب توفيت بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بست سنوات ودفنت بالابواء قال ياقوت فى معجمه والسبب فى دفنها هنالك أن عبد الله والد رسول الله كان قد خرج الى المدينة يمتار تمرا فمات بالمدينة فكانت زوجته آمنة تخرج الى المدينة تزور قبره فلما أتى على رسول الله ست سنوات خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله فلما صارت بالابواء منصرفة الى مكة ماتت بها ويقال ان أبا طالب زار أخواله بنى النجار بالمدينة وحمل معه آمنة فلما رجع منصرفا الى مكة ماتت آمنة بالابواء وقيل دفنت بدار رائعة وهو موضع بمكة وقيل بمكة فى شعب أبى دب وكانت من شاعرات العرب المجيدات ومن شعرها قولها وهى فى نزع الموت وكانت نظرت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب بجانبها فتأسفت على تركه صغيرا وانه سينشأ يتيما من الاب والام ولكن تأسيت بما يناله من الفخر والمجد فى قومه وفى العالم بأسره مما رأته منه فى حال صغره وهذا ما قالته

بارك الله فيك من غلام * ياابن الذى فى حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام * فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث الى الانام * تبعث فى الحل وفى الحرام
تبعث بالتوحيد والاسلام * دين أبيك البر ابراهام
فالله أنهاك عن الاصنام * أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وسلمت روحها وقيل ان بعضهم رثاها بهذه الابيات

نبكى الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * أم نبى الله ذى السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة متينه
لا تبق ظعانا ولا ظعينه * الا أتت وقطعت وتينه
أما ذللت أيها الحزينه * عن الذى ذو العرش يعلى دينه
فكلنا والهة حزينه * نبكيك للعطلة أو للزينه

آمنة ابنة عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعى

كانت شاعرة من شاعرات العرب فى الجاهلية اللاتى يشار لهن بالبنان وكان شعرها قليلا الا أنه ذو بلاغة عجيبة وكان أبوها عتيبة قتله ذؤاب بن ربيعة الاسدى يوم خو من أيام العرب ثم أسر ذؤاب وقتل فوراً بعتيبة ولآمنة فى أبيها مراث كثيرة لم يصل الينا منها الا قولها

على مثل ابن مية فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا
وكان أبى عتيبة سمهريا * فلا تلقاه يدخر النصيبا
ضروبا للكمى اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

آمنة ابنة أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ولها يقول نابغة بنى جعدة

وشاركتم قريشا فى تقاها * وفى أنسابها شرك العنان
بما ولدت نساء بنى هلال * وما ولدت نساء بنى أبان

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس معاصر العبد المطلب بن هاشم جد النبى وولدت لامية العاص وأبا العاص وأبا العيص وعويص وصفية وتوبة وأروى بنى أمية وقد سموا بالاعياص وكانت دائما تفتخر بهم فلما مات تزوجها بعده ابنه أبو عمرو وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده فولدت له أبا معيط فكان بنو أمية من آمنة اخوة أبى معيط وعمومته وقيل ان ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا عمرو وكان هذا نكاحا نكحه الجاهلية فأنزل الله تعالى تحريمه قال الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فسمى نكاح المقت وكانت آمنة مسموعة الكلمة مطاعة عند قومها وكانت موصوفة بالشجاعة والمنعة وطالما افتخرت على باقى العرب فى عزها ورجالها

آمنة الرملية رضى الله عنها

كانت من أهل القرن الثالث للهجرة وكانت من الزاهدات العابدات المنقطعات للتبتل وكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها ويتبركون بها وكان بشير بن الحرث رضى الله عنه يزورها ومرض بشير مرة فعادته

آمنة من الرملة فبينما هي عنده اذ دخل الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يعوده كذلك فنظر الى آمنة فقال لبشر من هذه فقال له بشر هذه آمنة الرملية بلغها مرضى فجاءت من الرملة تعودني فقال أحمد لبشر فاسألها أن تدعو لنا فقال لها بشر ادعى الله لنا فقالت اللهم ان بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين قال الامام أحمد فلما كان من الليل رأيت فيما يرى النائم أن طرحت لى رقعة من الهواء مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد رضى الله عنهم

آن لويز جرمان ابنة الكونت نكر وزير مالية فرنسا

ولدت هذه الشهيرة بباريس سنة ١٧٦٦ وتولت أمها تعليمها ولكنها كانت تجهل مقتضيات التربية ومراعاة حال الاولاد من حيث مزاجهم وميلهم واتجاه عواطفهم فشددت على ابنتها في التعليم واتخذت الصرامة ديدنا في التربية والتأديب فلذلك لم يعلق قلب ابنتها بها ولا كان لكلامها وقع قبول في نفسها ومن جملة ما بين ذلك أنها كانت تحب اللعب بما يشبه التشخيص في المراسح وتميل الى ذلك ميلا شديدا فتعمل ملوكا وملكات من الورق وتشخص لها مواقع من فكرتها وتتكلم في التشخيص عنها وكانت أمها تكره المراسح والتشخيص وتمنعها من اللعب بتلك الصور رغير مراعية ميلها الشديد الى ذلك فكانت ابنتها تختبئ وتلعب خفية عنها ولا تكاشفها بشئ مما يخطر ببالها من ذلك وأما أبوها فكان أوفر من أمها حكمة وأكثر معرفة في معاملة ابنته فيلاطفها ويمازجها ويحدثها حتى تأنس اليه وتكشف له قلبها وكان رجلا عظيما ووزيرا على مالية لويس السادس عشر ملك فرنسا مهيبا بعيد الصيت والسطوة والنفوذ يختلف الى بيته عظماء فرنسا وعلماؤها وشعراؤها فكانت أمها تأتى بها وهى صغيرة السن الى قاعة الاستقبال وتجلسها على كرسى مستدير بجانبها وتوصيها من حين الى حين بالجلوس مستقيمة لئلا تكون حدباء الظهر متى كبرت فتجلس هناك شاخصة الى الزوار وتلتقط كل كلمة تخرج من أفواههم وتصغى أتم الاصغاء الى أحاديثهم وتذوق معانيهم حتى يرى الناظر من علامات وجهها أنها لا تدع فائدة تفوتها وانها تبتلع المعانى ابتلاعا على صغر سنها وكانوا كلهم يحدثونها كما يحدثون كبار السن ويباحثونها فيما تعلمته ويحدثونها على درس ما لم تتعلمه فلم تكثر عليها السنون حتى بلغت قوى عقلها مبلغا قلما تدركه العقول في سنها ولم تجئ عليها السنة الخامسة عشرة حتى شرعت في التأليف واشتد حبها للعلماء والعظماء فكان قلبها ينبض شديدا عند رؤيتهم وصيتهم يستفزها الى مجاراتهم ومسابقتهم ولما بلغت عشرين سنة من عمرها شاع ذكرها في الآفاق وانطلقت الالسنة بوصفها تزوجت بسفير أسوج في فرنسا واسمه روستايل سنة ١٧٨٦ فانفتح أمامها باب السياسة وكانت في بداية عمرها تعتبر فلاسفة جان جاك روسو اعتبارا عظيما ولما ابتدأت الثورة الفرنساوية وكان أبوها قد أنجد حزب الثائرين مالت اليها حاسبة أنها الطريقة الوحيدة لسعادة فرنسا ونعيمها ولكن لما تفاقم خطبها ورأت فظائعها وعلمت أن أحسن أهل وطنها يقتلون بها نفرت منها وجعلت همها تخليص الذين قد وقعوا في حبالها من الموت فسعت في نجاة العائلة الملكية وفرارها الى بلاد الانكليز ولكنها خابت مسعى فعمدت الى تخليص غيرهم وكانت كلما خلصت شخصا لا تستريح حتى تخلص كل من يتعلق به من الاقرباء والاصدقاء وتخاطر بنفسها لخلاص غيرها مخاطرة أعظم الناس بأسا واتفق أن الدول المتحالفة ضيقت على الحكومة الثورية سنة ١٧٩٢ فقال رجال هذه الحكومة لا نأمن على أنفسنا ان لم نقتل كل من له ضلع مع الملكية في باريس فاستباحوهم قتلا ونهبا وكان لمدام روستايل أصدقاء كثيرون بينهم فخلصت بواسطتهم حياة كثيرين وبقي رجل اسمه رومونتسكيو فعزمت على أن تخرج به من باريس كخادم لها فلقيها الثائرون في الطريق فأنزلوها من مركبها كرها

وذهبوا بها الى زعيمهم فاخترقت الصفوف من تحفة والسيوف والبنادق قد سدّت الآفاق من حولها ولوزلت قدمها القتلت دوسا ولكنها اثبتت على ضعفها ست ساعات تسمع صراخ القتلى وأنين المعذبين حتى أطلق سبيلها فخرجت من فرنسا فرحة بانها قد لقيت ما لقيت فداء نفس خلصتها من الموت وكتبت كتابا بليغا فى الدفاع عن الملكة مارى انتوانت ولكنه لم يأت بالفائدة المقصودة فجزعت على قتلها جزعا شديدا وفى سنة ١٧٩٧ عادت من سويسرا حيث كانت متوجهة الى باريس فوقع الخلاف بينها وبين نابليون بونابارت لانها أوجست منه السوء بعد تعرّفها به بقليل قالت انى لما تعرفت به أعجبنى خلقه وعقله وقلت انه قد انفرد بهما كما انفرد بنصراته وأنه رجل معتدل الطباع من أهل الجد والوقار بعكس زعماء الثورة ذوى الطباع الصعبة الذين كانوا يحكمون قبله ولكن لما هدأ الجأش من اعجابى به وعدت الى نفسى شعرت بنفور عظيم منه لما وجدته فيه فانه كالسيف البارد الماضى يجمد جمودا على حين يجرح جرحا وعلمت أنه يحتقر الامة التى يريد أن يملك عليها وجاهرت بمعاندته فكانت ترى قاعتها غاصة بجماهير النافرين من بونابارت الناقمين عليه فأوجس بونابارت خيفة منها وحاول أن يرشوها بالمال لترجع عن معاندته فوعدها بان يدفع لها مليونى ليرة كان لابيها على الدولة فرفضت قبول تلك الرشوة فقال لها جوزف بونابارت قولى اذا ماذا تشتهين قالت لا أشتهى شيأ وان سيرى هذا طبق لما أعتقده وكانت تحب سكنى باريس محبة شديدة وتخاف النفى منها جدا ولا سيّما لانها كانت مباشرة الادباء محفوفة بأهل الفضل والاصدقاء وكان نابوليون بونابارت يعلم ذلك فلما رأى اصرارها على معاداته أبى الا أن ينتقم منها فنفاها الى مدينة سويسرا ولم يسمح لها بالابتعاد عن منزلها أكثر من ميلين وحرمها من العودة الى باريس فكان ذلك عليها مصيبة لاتطاق فقضت باقى أيامها حزينة على فراق باريس وتولت تربية أولادها فكانت تعلمهم أكثر النهار ولم تنقطع عن ذلك فى أشد أيامها حزنا وكآبة ولذلك كان أولادها يحبونها حبا عظيما ويخاطرون بأنفسهم دفاعا عنها كما روى ذلك كثيرون من المؤرخين المشهورين وقد اشتهرت مدام روستايل بمحامد كثيرة ظهر بعضها فيما مر ونزيد عليه محبتها للحق والوقوف على حقائق الامور ولذلك كانت تبذل جهدها فى تعلم كل شئ ولو مهما كانها من المشقة وكانت تقول جهل الناس للحق والحقائق أكبر دليل على انحطاطهم وقالت عن بونابارت انى علمت بانحطاطه منذ رأيته لايهتم بحقائق الامور وكانت تحب الموسيقى وتلهو بها عن أشغال التآليف وتزيد السامعين طربا بحلاوة صوتها وكان لها ميل شديد الى التشخيص وموهبة عظيمة فيه فكانت تعرف كل المراسح الاجنبية جيدا وتعلمت فى كبرها اللغات التى فاتها تعلمها فى صغرها ومن أقوالها ان درس اصطلاحات اللغة أحسن المثقفات للعقل وأسهل السبل لمعرفة أخلاق أهلها كما هى وأعظم ما اشتهرت به كتبها التى بلغ عددها ثمانية عشر مجلدا فى كل فن مستظرف حتى سموها فولتير النساء لكثرة المباحث التى بحثت فيها وقد قضت مؤلفاتها ثلاث غايات من أسمى الغايات احداها توسيع علم الجمال عما كان فى زمانها والثانية مهاجمة فلاسفة فرنسا المؤدين كديدرو ودولباش وكندلاك وغيرهم مهاجمة عنيفة زعزعت أركان فلسفتهم والثالثة بث روح الحرية فى صدور قومها اذ أبانت لهم أن الحرية أعظم شرط لسلامة الآداب والديانة الصحيحة وكانت فاضلة تقية ورعة غير مترفضة وماتت فى ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٨١٧ بعد أن جالت زمانا فى النمسا وروسيا وأسوج وبلاد الانكليز الذين كانت تعتبرهم اعتبارا عظيما

﴿ إيت كجك ابنة السلطان أوزبك ﴾

قال ابن بطوطة فى رحلته اسمها ايت كجك وايت (بكسر الهمزة وياء مدوتاء مثناة وكجك بضم الكاف وضم الجيمين) وقال انه لما كان عند السلطان أوزبك طلب منه أن يزور نساءه وبناته وخواص مملكته

على حسب عادة أهل ذلك الزمان فأذن له وكان من ضمن بنائه لجعل هذه قال انه لما توجه الى هذه الخاتون وهى فى محلة منفردة على نحو ستة أميال عن محلة والدها أمرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى فقعد معها على فراش واحد وهو معتل بالنقرس لا يستطيع السعى على قدميه ولا ركوب الفرس وانما يركب العربة واذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدمه وأدخلوه الى المجلس محمولا ورأى من هذه الخاتون ابنة السلطان من المكارم وحسن الاخلاق مالم يره من سواها وأجزلت له الاحسان وأفضلت وأما معارفها وعلومها وكرمها فلم يضاهها فيها أحد سواها من نساء زمانها

﴿ اتالانتا ابنة شينى ملك سكروس (مملكة يونانية) ﴾

كانت شديدة الكلف بالصيد فاكتسبت من ذلك سرعة فى العدو لا مزيد عليها حتى انه لم يكن لاحد من الرجال الاقوياء السريعى الجرى أن يجاريها فى الميدان وقتلت بالنشاب حيتين كبيرتين تبعاها ليقتلاها وكانت ذات جمال باهر فتان فطلبها كثيرون للاقتران بها وألحوا عليها فاقسمت أن لا تقترن الا بالذى يسبقها فى الميدان بشرط أن يكون عاريا من السلاح ويكون بيدها حربة تضربه بها اذا أدركته فهلك بمسابقتها كثيرون من طلابها وأتاها ايومان وكان من المقربين عند الكهنة والفائزين بوقايتها فتسابقا ولما وصلا الى نصف الميدان أخذ ايومان ثلاث تفاحات من ذهب كانت قد أعطته اياها الكهنة المذكورون فرماها على الارض بعياقة ولباقة فتشاغلت اتالانتا بها فتمكن من سبقها وتقرر له الفوز فاقترن بها وبعد ذلك غضب عليهما الكهنة لانهما دلساهيكل الزهرة فقتلوهما وقد قيل فى اتالانتا هذه غير ذلك وهو أنها ولدت فى اركاديا وأنها ابنة ياسيوس كان أبوها قد طلب الى معبوداته أن ترزقه ولدا ذكرا فولدت اتالانتا فاغتاظ من ولادتها وألقاها على الجبل البرتنيانى فرضعت من دبة وأخذت تنمو حتى بلغت مبلغ النساء وحافظت على بكارتها وصارت أسرع الناس جريا على قدميها فغلبت الحيتين المقدم ذكرهما واشتركت مع الابطال فى قتل خنزير كاليدون وكان لها مواقع فى الالعاب المليانية ثم رضى عنها أبوها وألح عليها بان تتزوج فكان من أمرها ما تقدم ولعل الرواية الاولى أصح

﴿ اديسا ابنة ادغر ملك انكلترا ﴾

ولدت سنة ٩٦١ للميلاد ربتها أمها فى ديرولتون بالقرب من سلزبرى ولما كانت السنة الخامسة عشرة من عمرها صارت راهبة وبعد ذلك بثلاث سنين قتل أخوها ادورد الذى خلف أباها وذلك بأمر رابته الفريدا فعرض عليها تاج الملك فرفضته بانضاع مسيحى وآثرت تخصيص نفسها للتقربة الفقراء والايتام على تخت الملك وصرفت أيامها فى ذلك الى أن توفيت سنة ٩٨٤ ودفنت فى كنيسة سان دنيس التى بنتها فى حياتها وتعتبرها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ولها عندها تذكار فى ١٦ أيلول (سبتمبر) من كل سنة

﴿ اديلينه دبياتى المغنية ﴾

ان هذه المغنية كانت تربت من صغرها فى المراسح وتخرجت بضروب الغناء وساعدها الحظ بحسن صوتها وجمالها الذى جذب اليها الانظار ولما آنست رشدها بلغت من الشهرة مالم يبلغه غيرها من مغنيات الافرنج وزادت شهرتها فى بلادها على شهرة مغنيات الخلفاء فى مدة العباسيين والامويين ونالت من الثروة ما يبلغ دخله السنوى المليون فرنك وقد حازت جملة نياشين افتخار من ملوك أوروبا وملكاتها والذى زاد افتخارها تشرف ملوك أوروبا بوضع امضاآتهم على مروحتها لانها كانت تحمل مروحة فريدة فى نوعها وبلا مثيل فى العالم فان جميع الملوك والمعاصرين لها كتبوا عليها بخط أيديهم أقوالا مختلفة تتضمن

الثناء عليها والرضا عنها فكتب القيصر الروسي (لاشيء يسكن مثل غنائك) وكتب امبراطور المانيا (الى بلبل جميع الازمان) وكتبت الملكة خرستيان في اسبانيا (ملكة تفتخر بان تحسبك في جملة رعاياها) وكتبت فكتوريا ملكة انكلترا (اذا صدقت كلمات الملك ليار القائل ان الصوت العذب موهبة تكونين أنت يا عزيزتي أديلينه أغنى النساء) والامبراطور النمساوي والملكة ايزابلا وضعا امضاءهما أدناها وكتبت ملكة البلجيك صورة المشرع الاول "لاغنية الشهيرة" ثم يوجد في وسط المروحة هذه الكلمات (أمد اليك يدي يا ملكة الطرب) مذيلة بهذا الامضاء تيرس رئيس الجمهورية الفرنساوية ان هذا الافتخار وهذا الاعتبار لم ينله أحد في العالم وما ذلك الا لحسن الآداب من هذه المرأة التي بها جذبت اليها قلوب أكبر أهل الارض

﴿ ارجي ابنة ادرستوس ﴾

هي زوجة بولينيكوس اشتهرت بحبها لزوجها فانها بعد انهزام الرؤساء السبعة أمام طيوه عاصمة المصريين العدماء ذهبت مع انتيفونه امرأة أخيها التقدم لزوجها الواجبات الأخيرة فقتلت بأمر كريون ملك ذلك الزمان وماتت صابرة حبا في زوجها الكي تلحقه في حفرته

﴿ ارّاكه ملكة قسطيله ﴾

هي بكر الفونس السادس وأخت بريسة زوجة ملك البرتوغال تزوجت أولا بريمون البرغوني الذي جعله الفونس السادس كونت جيليقة ثم تزوجت سنة ١١٠٩ بالفونس لوبانلبود ملك نواره وأراغون ثم كرهها زوجها هذا الابتذال الحرية في سلوكها وعنادها في طلب حقوق الملك ارثا عن أبيها الفونس السادس ثم خلعت نائب ملك قسطيلة بواسطة زوجها الذي اتخذله حزبا قويا هنالك فاسرت وحجز عليها في اراغون لكنها فرت من السجن وطلبت الى الكرسي فسخ عقد زوجيتها فصالحها الفونس موقتا ثم طلقها ثانيا سنة ١١١١ فلجأت الى محاربته لتطرده من مملكتها فانكسرت ومضت الى جيليقة وكان لها من زوجها الاول ولد الفونس الثامن فنادت باسمه ملكا سنة ١١١٢ وحكمت باسم محبوبها كونت لاراه في سنة ١١١٢ فخلعه كبار قسطيله ونادوا باسم الفونس الثامن فلم تقبل ذلك ارّاكه الا بعد معاركة انتشبت بينها وبين ابنها فأسرت وحجز عليها في دير سردتها فماتت فيه بعد أربع سنوات

﴿ أريا الرومانية ﴾

قد اشتهرت بشجاعتها وذلك أن ابن زوجها دخل في مؤامرة ضد الامبراطور فحكم عليه بان يقتل نفسه فلكي تشجعه أخذت خنجرا وطعنت به نفسها ثم ناولته اياه وقالت خذه فانه لا يؤلم ففعل مثلها وماتا معا فهذه لعمري هي المحبة الزائدة التي تفضي الى الهلاك من جنس النساء خصوصا

﴿ ارسلان خاتون ﴾

هي خديجة ابنة داود أخي السلطان طغرلبك السلجوقي تزوجها الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٤٨ هجرية ثم لما وقعت الوحشة بينهما أخذها طغرلبك صحبته الى الري سنة ٤٥٥ ثم أعيدت الى بغداد سنة ٤٥٩ واستقبلها الوزير فخر الدولة بن جهير على بعد فرسخ وهي التي دعتها امرأة السلطان ملكشاه في تزويج ابنتها بالخليفة المقتدي من غير اشتراط المهر لانها كانت تعززت واشترطت حمل مهرها أربعمائة ألف دينار فأشارت عليها ارسلان خاتون بان تزوجها له بدون اشتراط مهر فوثقت بكلامها وفعلت ما أرادت وكانت المترجمة من النساء الكريمات الخيرات محبة للعلماء ولها جملة أوقاف على محلات خيرية مثل

جوامع وتكايا وبيمارستانات ومدارس وخلافها في بغداد وغيرها من الممالك الاسلامية

﴿ ارسولا العذراء ﴾

هي من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قيل انها ابنة أمير مسيحي من بريطانيا وقد اختلفوا في تاريخ استشهادها فقيل سنة ٢٣٧ بعد الميلاد وقيل سنة ٣٨٣ وقيل سنة ٥٤١ وسبب ذلك قيل ان أميرا طلب أن يتزوجها فأجابته في الظاهر خوفا على بيت أبيها من شره لكنها اشترطت أن يعطيها فرصة ثلاث سنوات واحدى عشرة سفينة وعشر رفيقات من بنات الاشراف والها ولكل واحدة منهن ١٠٠ عذراء فلما أعطيت ذلك أخذت تدرس معهن فن سلك البحار ولما دنا وقت زفافها تضرعن الى الله فأرسل فجأة عاصفة قذفت سفنها الى مصب نهر الرين ومن هنالك الى بازل فتركن السفن ومضين ماشيات الى رومية وبينما هن راجعات صادفن في كولونيا جيشا من الهونيين فلما رآهن أمير الجيش دعاهن اليه فلما حضرن أعجبته أرسولا فطلب أن يقترن بها فابت عليه فأمر بقتلهن جميعا وتركوهن وانصرفوا فوارى أهل كولونيا أشلاءهن في التراب وأقيم لتذكارهن بعد ذلك معبد مخصوص الى الآن يوجد في ذلك المعبد مجموع عظام يقال انها عظام ارسولا ورفيقاتها وجعل لأرسولا عيد في ٢١ تا (اكتوبر) من كل سنة

﴿ ارسينوى ابنة بطليموس الاول ملك مصر ﴾

تزوجت بليسيماخوس ملك تراقة بعد أن طلق امرأته لاجلها فحاولت ارسينوى أن يكون الملك لولدها بعده فسعت بقتل اغاتوكليس ابن زوجها وهربت امرأته بأولادها الى سورية ملتجئة الى سلوقس وطلبت اليه أن يأخذ بثارها فنشأت عند ذلك حرب بين ملك تراقة وملك سورية قتل بها ليسيماخوس سنة ٢٨١ قبل الميلاد فمضت ارسينوى الى كسندريه من مدن مكدونيه وبقيت هي وأولادها مدة تحت ظل الامان فلما قتل بطليموس سيرونوس سلوقس واستولى على مكدونية سنة ٢٨٠ طمعا في الزواج بارسينوى ليقتل أولاد ليسيماخوس فلما أجابته الى الزواج واستولى على كسندريه قتل الاولاد بين يدي أمهم فهربت هي الى تراقة ومنها الى مصر فقبلها بطليموس فيلاذ بالاكرام ثم تزوج بها

﴿ ارسينوى ابنة بطليموس اقلية وأخت كليوباترا الشهيرة ﴾

أقامها الاسكندريون ملكة بعد أن أسر القيصر الروماني أخاها بطليموس دنيسيوس سنة ٤٧ قبل الميلاد ثم وقعت هي أيضا في قبضة القيصر المذكور سنة ٤٦ فأرسلها الى رومية افتخارا بأسرها غير أن حسن سلوكها مال بالرومانيين اليها فارجعت الى مصر ولما هربت من وجه اختها كليوباترا الى هيكل ديانا أخرجها منه انطونيوس بأمر كليوباترا وقتلها في ذلك سنة ٤١ قبل الميلاد

﴿ ارسينوى ابنة بطليموس افرجيه ﴾

تزوج بها أخوها فيلوباتر ورافقته في حربه مع انطيوخوس الكبير سنة ٢١٧ ميلادية وبعد سنين قليلة قتلها فيلون أحد خواص الملك فنهض أحبابها وقتلوه بثارها مع كل عائلته وارسينوى هذه هي أم بطليموس أبيفانوس فيلوباتر قد اشتهرت بحسن سياستها وخبرتها بالاحكام وخصوصا في الفنون الحربية ولذلك كان زوجها دائما يرافقها في غزواته وقد انتصر على أعدائه جملة مرار وكل ذلك بآرائها الصائبة

﴿ اريانو ابنة منيوس ملك اكريت ﴾

هي ابنة منيوس من زوجته باسيفا قال أوميروس أحبت تيسيوس لما أتى اكريت لمقابلة منيوتودمع

الاثنين الذين أتوا اليقدموا له الجزية وأعطته ربطة من الخيطان استعان بها على الخروج من البربى التى دخلها القتل مينوثور فعرض عليها تيسيوس أن يتزوجها مقابلة لها على صنيعها فأجابته اريانوا الى ذلك وسافرت معه الا أنهما لما وصلا الى جزيرة نكسوس تركها تيسيوس ورجع الى بلاده قائلا ان التى لم يكن لها خير فى وطنها وأهلها لم يكن لها خير فى غيره وبقيت هنالك الى أن ماتت جوعا

اريانوا ابنة لاون ملك اليونان

تزوجت زينون الذى جلس على تخت الملك سنة ٤٧٤ للميلاد وساءها ما بدا من فواحش زوجها وخطئه ويقال انها دفنته فى الارض حيا وهو سكران وتزوجت انسطاس وأجلسته على تخت الملك بدلا عنه وكانت وفاتها سنة ٥١٥ للميلاد ولها جملة مآثر فى مملكتها

اردوجا خاتون زوجة السلطان أوزبك

اسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهملة وجيم وألف) واردو بلسانهم المحلة وسميت بذلك لولادتها فى المحلة وهى ابنة الامير الكبير عيسى بيك أمير الالوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الامراء قال ابن بطوطة فى رحلته لما مررت بتلك البلاد وزرت السلطان أوزبك وامرأته ووزراءه وكان ذلك الامير حيا وهو متزوج ببنت السلطان آيت كججك وابنة اردوجا خاتون من أفضل الخواتين وألطفهن شمائل وأشفقهن وهى التى بعثت الى لما رأت بيتى على التل عند جوار المحلة ولما دخلنا عليها رأينا من حسن خلقها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالشراب فشرب أصحابنا وسألت عن حالنا فأجبناها وانصرفنا من عندها ونحن شاكرون معروفها ولها مآثر وخيرات دارة على مساجد وتكايا ومدارس فى بلادها وكانت مقربة عند السلطان لتقرب أبيها منه ومسموعة الكلمة عنده

أروجا ملكة كيلوكرى فى بلاد طوالس

هذه الملكة بنت ملك طوالس وهى بلاد واسعة مجاورة لبلاد الصين كان أبوها يفتح الفتوحات ويضع فيها من يشاء من أولاده ولما فتح كيلوكرى وضع ابنته أوروجا لعلمها بالسياسة وشجاعتها بالحرب واقدامها على الاهوال قال ابن بطوطة فى رحلته لما وصلنا الى كيلوكرى ورسينا بمينائها استدعت هذه الملكة الناخورة أى (القبودان) صاحب المركب والكرانى وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتندبل وهو مقدم الرجال وسباسالار وهو مقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم على عادتها ورغب الناخورة منى أن أحضر معهم فأبيت الذهاب فلما حضروا عندها قالت لهم هل بقى أحد منكم لم يحضر فقال لها الناخورة لم يبق الا رجل واحد بخشى (وهو القاضى) بلسانهم (وبخشى بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين) وهو لا يأكل طعامكم فقالت ادعوه فجاء جنادرتها وأصحاب الناخورة فقالوا أجب الملكة فأتيتها وهى بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة بأيديهن الازمة يعرضن ذلك عليها وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلسن تحت السرير على كراسى الصندل وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مساطب خشب منقوش وعليها أوانى ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابى والقلال والبواقيل أخبرنى الناخورة أنها مملوءة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة حلو المطعم يفرح ويطيب النكهة ويهضم فلما سلمت على الملكة قالت لى بالتركية مامعناه كيف حالك كيف أنت وأجلستنى بالقرب منها وكانت تحسن الكتابة العربية فقالت لبعض خدمها آتنى دواة وقرطاسا

فأتى بذلك فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ماهذا فقلت لها تنضرى تنكرى نام (وتنضرى بفتح
التاء الفوقية وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون وألف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت
جيد ثم سألتنى من أى البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد الفلفل فقلت نعم فسألتنى عن
تلك البلاد وأخبارها فأجبتها فقالت لابد أن أغزوها وآخذها لنفسى فانى يعجبنى كثرة مالها وعساكرها
فقلت لها افعلى وأمرت لى بأثواب وحمل فيلين من الارز وبجاموستين وعشرين من الضأن وأربعة أرطال
جلاب وأربعة مرطبانات وهى ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والضبا كل ذلك مملوح مما يعد
للبحر وأخبرنى الناخورة أن هذه الملكة لها فى عسكرها نسوة وخدم وجوارى يقاتلن كالرجال وأنها
تخرج فى عساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال وأخبرنى أنه اوقع
بينها وبين أعدائها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها وخرجت
الجيوش حتى وصلت الى الملك الذى كانت تقاتله فطعنته طعنة كان فيها حتفه فمات وانهزم عسكره وجاءت
برأسه على رمح فافتكه أهله منها بمال كثير فلما عادت الى أبيها ملكها تلك المدينة التى كانت بيد أخيها وأخبرنى
أن أبناء الملوك يخطبونها فتقول لا أتزوج الا من يبارزنى فيغلبنى فيحتشمون مبارزتها خوف المعرة أن
تغلبهم ولهذه الملكة غارات ووقائع غريبة مع ملوك الهند وملوك الصين من المسلمين وعبدة الاوثان
ومازالت مالكة تلك البلاد مدة من الزمان حتى توفى والدها واخوتها جميعا وملكت سائر ملك أبيها وأخيرا
قتلت بفراشها بدسيسة أحد ملوك الصين وانقرض ملكها بموتها

﴿ اربلاى المؤلفة ﴾

مدام دوار بلاى مؤلفة انكليزية ولدت سنة ١٧٥٢ وتوفيت سنة ١٨٤٠ وكانت فى حداثتها قليلة
الكلام جبانة لكنها لما كبرت هذب العلم أخلاقها فكتبت سنة ١٧٧٨ قصة تشهد ببراعتها وطول باعها
فى هذا الفن ثم كتبت عدة روايات غيرها واتخذتها الملكة لخدمتها الخصوصية وبعد أن خدمت ٥ سنوات
ألجأها ضعف جسمها الى الاستعفاء واقترنت سنة ١٧٩٣ برجل فرنسى واستمرت على التأليف حتى ان
مؤلفاتها ازادت جدا وبقيت بعدها ميراثا لورثتها حتى أغنتهم عن فائق الحد وطبعت جميع مؤلفاتها
وانتشرت فى جميع أنحاء العالم الغربى

﴿ ارتمسيا ملكة هاليكرناسوس من كاريا ﴾

هذه الملكة كانت من ذوى الحكمة والدراية بالامور الحربية والسياسية وكان قورش ملك فارس لما هاجم
بلاد اليونان اشتركت معه لكونها كانت خاضعة له وأخذت معها أسطولا مؤلفا من خمس سفن واشتهرت
بما كان منها من البسالة والحكمة فى معركة سلاميس التى انتشبت سنة ٤٨٠ قبل الميلاد وذكر فى رواية
مشكوك فى صحتها أنها شغفت بحب شاب من أبيدوس اسمه وردانوس الا أنه لم يشاركها فى حبها فسملت
عينيه لكنها ندمت فيما بعد على قساوتها واستشارت المعبودات فيما يجب أن تفعل كفارة عن ذنبها فقالت
لها من الواجب أن تطرح نفسها فى البحر عن صخر جزيرة لوكاريا ففعلت ذلك وماتت غريقة

﴿ أرجوان جارية أبى العباس الذخيرة ﴾

وهو محمد بن القائم بالله العباسى بسببها بقيت الخلافة فى ولد القائم لانه لم يكن له ولد سوى أبى العباس هذا
وتوفى فى حياة أبيه ولم يعقب فحزن القائم فى أواخر أيامه حزنا لامزيد عليه وانقطع أمل الناس من خلافة

عقبه وظنوا أن دولة البيت القادرى قد انقرضت وكان أبو العباس يختلف الى هذه الجارية فاتفق أنها حملت منه فلما رأى الناس هذه الحالة وما ألمّ بالقائم من الهم والحزن أعلنت حملها فتعلقت آمال الناس بها وتوجهت الافكار اليها ثم انها ولدت بعد وفاة مولاها بستة أشهر غلاما ففرح القائم فرحا مفرطا وفرح الناس لبقاء الخلافة فى بيته وهذا هو الذى لقب بالمقتدر وكان من أمره ما جاء فى تاريخه وأرجو أن هذه أم ولد أرمينية تدعى قرة العين وأدركت خلافة ابنها المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله

﴿ أروى ابنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكرها أبو جعفر فى الصحابة وذكر أيضا أختها عاتكة ابنة عبد المطلب قال محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى لما أسلم طليب بن عمير دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال لها قد أسلمت وتبعت محمدا أو تبعينه فقد أسلم أخوك حمزة قالت أنظر ما تصنع أخوتى ثم أكون مثلهن قال فقلت انى أسألك بالله الا أتيته وسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا اله الا الله قالت فانى أشهد أن لا اله الا الله محمد رسول الله ثم كانت بعد تعضد النبى صلى الله عليه وسلم وتعينه بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بامره وكانت من الشاعرات الاديبات والمتكلمات فى العرب * ومن قولها ترثى والدها عبد المطلب مع باقى اخواتها حين طلب منهن ذلك قبل موته ليعلم قوتهن فى الرثاء

بكت عينى وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليقة أبطحى * كريم الخيم شيمته العلاء
على الفياض شيبة ذى المعالى * أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمى * أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح أورع ذو فضول * له المجد المقدم والثناء
أبى الضيم أبلج هبرزى * قديم المجد ليس له خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر * وفيصلها اذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا * وبأسا حين تنسكب الدماء
اذا هاب الكماة الموت حتى * كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بذى رأى مصيب * عليه حين تبصره البهاء

وقد أسنت وماتت فى خلافة عمر بن الخطاب ودفنت بما يليق بها من الاكرام

﴿ أروى ابنة الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ﴾

كانت فريدة زمانها وبليغة عصرها وأوانها اذا خطبت أعجزت وان تكلمت أوجزت ولا غرو فانها ابنة البلاغة ومعدن الفصاحة والحصافة

قيل انها وفدت على معاوية بن أبى سفيان لما ولى الخلافة وكانت عجوزا كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت يا ابن أخى لقد كفرت يد النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة فى الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هى العليا ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا الامر فكنا فيكم

بمنزلة بنى اسرائيل فى آل فرعون وكان على بن أبى طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو بن العاص كفى أيتها العجوز الضالة وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك اذلا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة بغى بمكة وآخذهن للاجرة ادعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أمك عنهم فقالت كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به فقال مروان كفى أيتها العجوز وأقصرى لما جئت له فقالت له وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ما جرّأ علىّ هؤلاء غيرك فان أمك القائلة فى قتل حمزة

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لى عن عتبة من صبر * وشكر وحشىّ علىّ دهرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها ابنة عمى وهى تقول

خزيت فى بدر وبعد بدر * يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك فقالت مالى اليك حاجة وخرجت عنه وبعد خروجها التفت معاوية الى أصحابه وقال لهم والله لئن كلمها كل من فى مجلسى لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر بدون توقف وهكذا فان نساء بنى هاشم أصعب فى الكلام من رجال غيرهن وأمر لها بجائزة تليق بمقامها وبقيت مكرمة بين قومها الى أن توفيت بالمدينة بخلافة معاوية

أروى ابنة كريز بن عبد شمس

كذا نسبها ابن منده وأبو نعيم والصواب ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثمان بن عفان وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم ماتت فى خلافة عثمان وكانت عاقلة ورعة لها صحبة بالنبى صلى الله عليه وسلم وروت عنه الحديث وحدّثت أناسا كثيرين

أزرميدخت ابنة أبرويز

كانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن ذكاء وأوفرهن عقلا وأليقهن فعلا ولتعلق الفرس بمحبتها ورغبتهم فى علو همتها ملكوها عليهم بعد قتل خشنينده من بنى عم أبرويز والدها الابعدين وكان عظيم الفرس يومئذ هرمز اصبهبد خراسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك منى فسر الى وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار اليها فى عسكر حتى نزل بالمدائن وحاصرها حتى ضاقت به ذرعا فطلب أهلها منه الامان فأمنهم بشرط تسليم الملكة اليه فقبلوا منه ذلك ودخل المدينة وألقى القبض على أزرميدخت وسمل عينيها وقتلها وقيل بل سمت نفسها وكان مدة ملكها ستة عشر شهرا

أسباسيا زوجة بركليس

كانت من أشهر نساء اليونان حسنا وجمالا وعقلا وفصاحة وبلاغة وأدبا وفطنة وخطابا لها اليد الطولى على جميع نساء عصرها بموافقتها الزوجها حتى انها كانت تسير معه أين سار وتشاركه فى كل أعماله العقلية والفعلية والالعاب الرياضية وميادين النزال وتعمل أعمالا يعجز عنها أقوى الرجال حتى انها اكتسبت بذلك

شجاعة وشهرة لم يسبقها عليها أحد من نساء اليونان وتقاطرت على بابها العلماء والشعراء والفلاسفة والرياضيون والبلغاء وكان ناديها أحسن ناد جمع فيه العلم والادب ولذلك وصفتها المؤلفة الشهيرة مدام أون في كتابها المشتمل على سير أبطال النساء عند ترجمتها اذ قالت ان بيتها أعظم بيت من بيوت عظماء اللاتينيين فلذلك لو نظرت الى جدرانه تجدها مرصعة بتماثيل الرجال العظام وأمام بابه رواق رفيع العماد وعلى الباب أسجاف الارجوان وبجانبيه أفاريز من المرمر الاصفر وكوى البيت مشبكة كلها بقضبان النحاس على أشكال وضروب شتى وأرضه مغطاة بالفسيفساء البديعة الاشكال وعليها أرائك من القرمز والارجوان أهدابها مطرزة بالذهب وفي البيت مكتبة من الخشب الثمين مملوءة بالدروج من الرق والحلفاء فلو نظر القارئ في الصباح الى هذا البيت يرى اسباسيا قد نزلت من غرفتها على درج من المرمر الابيض ومشت في الصحن وخرجت الى الرواق الجنوبي الذي يطل على بستان البيت لتستنشق نسيم الصباح مضمخا باريج الازهار والرياحين وخرج بركليس وهو ماش بجانبها وتجاذبا أطراف الحديث في السياسة والفلسفة وهي طويلة القامة ممشوقة القد جعدة الشعر شقراؤه نجلاء العينين حوراواهما شماء الانف صغيرة الاذنين حمراء الوجنتين والشفتين

تفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

لابسة رداء أبيض على ردنيه أبازيم من الذهب وفوقه رداء قصير من الارجوان بل أردان أذياله مطرزة بالذهب وعلى كتفيها رداء ثالث مسدول عليها مسدلا والنسيم يعبث به في ذهابها وايابها فتخالها حمامة ناشرا جناحيه للطيران وفي أصابعها خواتم الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ولم تكن اسباسيا من ربات الغنج والدلال اللواتي يباهين بالحلي والحلل بل من أهل الجدال المربين مع الفلاسفة والحكماء وكان بيتها هذا ناديا تتقاطر اليه الفلاسفة ورجال السياسة كسقراط وأفلاطون وغيرهما فتباحثهم في أسماء المواضيع الفلسفية والسياسية حتى اذا كل عصب الدماغ منها ومنهم أدارت أزمة الحديث الى الفكاهات واللطائف تديرها عليهم صرفا فتسكرهم بعذوبة كلامها كما أسكرتهم بسمو معانيها وكان سقراط الحكيم يعترف بفضلها عليه ويشهد بانها هذبت أخلاقه وكملت معارفه وبركليس زوجها كان ينسب اليها كل شهرته في الخطابة وقال انه تعلم منها البلاغة والسياسة وكان نساء أثينا يترددن على بيتها أيضا ويتعلمن منها التهذيب واللباقة وكانت الفنون الجميلة كالتصوير والبناء والنقش في أوج مجدها فعضدتها اسباسيا بيمينها ووسعت جهدها في رفع شأن ذويها ولم تكن هذه الفاضلة من الاثينيات ولذلك لم تحسب زوجة شرعية لبركليس لان شريعة الاثينيا كانت تحرم على الاثينيين اتخاذ الزوجات من الاجانب الا أن جمالها المفرط وسمو عقلها وغزارة معارفها وكثرة فضائلها ألجمت ألسن الناس عن الطعن عليها زمانا طويلا والحسد وقاك الله منه عدو للدلايبره الجمال ولا تغلب عليه الفضائل فنفخ في آذان بعض ذويه فقاموا عليها واتهموها باحتقار الاثينيات وبلغت القحة منهم حتى طعنوا في عرضها واتهموا معها انكفوراس الفيلسوف وفيدياس النقاش فقتلوا أحدهما ونفوا الآخر نفيا مؤبدا وحامى بركليس عنهما بكل جهده فلم يستطع انقاذهما ولما وصل الدور الى اسباسيا صار كله ألسنة وبلاغة فدافع عنها في مجمع أريوس باغوس وكان من أفصح أهل زمانه لسانا وأثبتهم جنانا وأقواهم حجة ولما عجز لسانه عن أقوال اربه دافع عنها بدموع عينيه حتى قيل انه أنقذها من الموت بالدمع ولم يكن من ضعاف العزائم الذين تفيض دموعهم عند أخف النكبات ولا كان من المتعلقين بحبال الهوى المنقادين بزمام الشهوات فانه لما فشا الوباء واختطف ابنته البكر وأخته وكثيرين من أقاربه تحمل هذه النكبة الشديدة بصدر أرحب من البيد وصبر أعز من الحر ولم يسكب عليهم دمعة ولكنه لما رأى الفضيلة مهانة باهانة زوجته والعفة والطهارة مهتوكة أستارهما ظلما وعدوانا

لم يتمالك عن البكاء وكذا لما اختطفت أيدي المنون ابنته الصغرى وحملا كايل الفرهر ليكلل به جبينه غلبت عليه الشفقة الابوية ففاضت دموعه رغما عنه وكانت ولادة اسباسيا بملتيوس سنة ٤٧٠ قبل الميلاد واقترن بها بركايس بعد أن هجر زوجته الاولى وانقاد اليها أشد الانقياد حتى قال ارستوفانيس انها هي التي حملته على اثارة حرب ساموس وبلوبونيسوس ولكن فلوطرخس المؤرخ الثقة نفى عنها هذه التهمة وتوفي بركايس بالطاعون فتزوجت اسباسيا بعده رجلا من التجار فصار بسببها من مشاهير أثينا وخطبائها

﴿استير ستنهوب ابنة كارلوس الثالث في عائلة ستنهوب﴾

امرأة انكليزية شريفة ذات أطوار غريبة ولدت في لندن في ١٢ أذار (مارس) سنة ١٧٧٦ وتوفيت في جون التابعة اقليم الخروب من جبل لبنان في ٢٣ حزيران (جونيو) سنة ١٨٣٩ وكانت أكبر أولاد كارلوس الثالث ارلات ستنهوب من زوجته استير ابنة ارل تشتام دخلت في السنة العشرين من عمرها بيت عمها وليم بت فكان يعتمد عليها ويكاشفها أسراره واستمرت عنده الى أن مات سنة ١٨٠٦ وقبل وفاته أوصى بها الامة الانكليزية فعين لها مرتب سنوي قدره ١٢٠٠ ليرا انكليزية غير أن المبلغ لم يكف لسد المصاريف التي كان يقتضيها مركزها ونذخها فانفردت في والسن ثم تركتها وطافت أوروبا وكانت حينئذ فتية نضرة جميلة غنية فقوبلت في البلدان التي زارتها بالتكريم والتعظيم اللذين تقتضيهما صفاتها الا أنها أبت الزواج مع أن خاطبيها كانوا من أهالي الرفعة والشأن وبعد أن زارت أكبر عواصم أوروبا لاح لها أنها تحصل في الشرق على مركز عظيم فسارت الى القسطنطينية وأقامت فيها بضع سنين واختلف الناس في سبب خروجها من بلادها فذهب بعضهم الى أنه حملها على ذلك حزنها على جنرال انكليزي شاب قتل في اسبانيا وكانت تحبه فأثر فيها موته تأثيرا شديدا حتى لم تطب لها الاقامة بعده في انكلترا وذهب آخرون الى أن الذي حملها على ذلك اعاهو ميلها الى القيام بعظائم الامور وحب الشهرة ثم خرجت من القسطنطينية قاصدة سوريا سنة ١٨١٠ في سفينة انكليزية كان فيها قسم كبير من ثروتها وأنواع كثيرة مختلفة من الحلي والتحف فلما وصلت السفينة الى جون مكرى تجاه جزيرة رودس صدمت صخرا فتحطمت على مسافة بعض أميال من الساحل وغرقت أمتعة استير ستنهوب وأموالها ولم تنج هي من الموت الا بعد عناء شديد فحملت على لوح السفينة الى جزيرة صغيرة قفرة فقامت فيها ٢٤ ساعة لم تذق طعاما ولم يكن لها منقذ ولا مجير الا أن جماعة من صيادي مرمور يزاوجدوها في تلك الجزيرة في أثناء تفتيشهم على بقايا السفينة فساروا بها الى رودس وهناك أخبرت قنصل انكلترا فجمعت ما بقي لها من المتاع وباعت قسما من أملاكها بابخس الاثمان وركبت سفينة مملأتها تحفا نفيسة وهدايا ثمينة للبلدان التي عزمت على السياحة فيها فلم يصادفها في مسيرها نوء وأتت اللاذقية فاقامت هناك وتعلمت اللغة العربية وعرفت عادات الاهالي وطباعهم وجهزت قافلة كبيرة وحملت الى البدو هدايا نفيسة على ظهور الجمال وطافت أنحاء سوريا كلها فزارت القدس ودمشق وحمص وبعلبك وتدمر ولما وصلت الى تدمر اجتمع اليها كثيرون من قبائل البدو ومكنوها من الوصول الى تلك المدينة وكان عددهم حينئذ من ٤٠ الى ٥٠ ألفا وكانوا كلهم يتعجبون من جمالها ولطفها وأنها جعلوها ملكة لتدمر وعاهدوها على أن جميع الافرنج الذين يحصلون على حمايتها يمكنهم أن يزوروا بعلبك وتدمر آمنين على أرواحهم ولكن بشرط أن يدفع كل منهم ضريبة قدرها الف قرش واستمرت تلك المعاهدة مدة طويلة يعمل بها وعند رجوعها من تدمر عزمت قبيلة قوية من البدو عدوة لتدمر التعدي عليها غير أن أحد حشمها أنبأها في الحال بوقوعها في ذلك الخطر الجسيم فاخذت في السير ليلا وكان خيلها من أجود الخيل فاجتازت في مدة ٢٤ ساعة

مسافة

مسافة طويلة وبذلك تمكنت هي ومن معها من النجاة وأتت دمشق وأقامت فيها أشهرا عند الوالي العثماني الذي كان الباب العالي قد وصاه باكرامها واعزازها وصرفت زمانا طويلا في الطواف والجولان في البلاد الشرقية وأذهل الاهالي ما شاهدوه من أعمالها وغناها فكانوا يعاملونها كملكة وكانت هي تحاول بحذاقتها أن تضاهي زينوبيا ملكة الشرق في أعمالها وسنة ١٨١٣ استوطنت دير القديس الياس المهجور الواقع في جوار قرية على مسافة ساعة من صيدا فبنت هنالك عدة بيوت محاطة بسور أشبه بالاسوار التي كانت تبنى في القرون المتوسطة وأنشأت هنالك بستانا على نسق البساتين التركية فغرست فيه الازهار والاشجار والفاكهة وكروما وأقامت كشوكا مزينة بالنقوش والصور العربية وجعلت للماء قنوات من الرخام وكانت تنبعث من نوفرات وسط بلاط من الرخام مزين بأنواع النقوش أيضا وكانت أشجار البرتغال والتين والاترج الملتفة تزيد ذلك البستان جمالا ونزهة ولم يمكث ذلك الدير حتى صار حصنا وملجأ يلتجئ اليه المظلومون فتجيرهم فبقيت هنالك عدة سنين في أبهة شرقية محاطة بتراجمة سوريين وأروبيين وحاشية كبيرة من النساء وجماعة من العبيد السود وكانت تلبس لبس أمير وتتقلد السلاح وتدخن وكان لها علائق حبية وسياسة مع الباب العالي وعبد الله باشا والامير بشير الشهابي حاكم لبنان والشيخ بشير جان بلاط ومشايخ البدو في براري سورية وبغداد ثم اتخذت لها مسكنا في بيت أخذته من رجل دمشقي مسيحي غني واقع على مرتفع يعرف بظرف جون نسبة الى قرية جون التابعة لمديرية اقليم الخروب من جبل لبنان على مسافة ٨ أميال من صيدا ووسعت دائرة ذلك البيت وأقامت حوله جنينة وسورا وبقيت فيه الى أن توفيت ثم أخذت ثروتها العظيمة تتناقص لعدم انتظام مصالحها التي لم يكن من يحسن القيام عليها في غيابها فبلغ دخلها السنوي ٤٠،١٣٠ ألف فرنك وكان مع ذلك غير كاف لسد المصاريف التي تقتضيها حالتها غير أنه مات بعض الذين صحبوها من الافرنج وتركها البعض الآخر وخمدت محبة الاهالي لها لان نوافدها كان موقوفا على مواساتهم بالهدايا والعطايا فامست منفردة وقلت علائقها مع الناس ولكن ظهر منها في هذه الاحوال ما يدهش الخواطر ويحير العقول لانها صبرت وتجلدت ولم يخطر لها البتة أن ترجع عن الاعمال التي أقبلت عليها ولم تأسف على ما فات ولا على العالم أجمع ولم يحزنها ترك خلانها وثروتها وميلها الى الشيخوخة فأقامت وحدها من غير كتب ولا جرائد ولا رسائل من أوروبا ولم يكن عندها صديق يؤانسها ولا سمير يجالسها بل بقي لها فقط جماعة من الجواري السود وعبيد سود صغار السن وبضعة فلاحين سوريين يعتنون بشأنها وخيلها ويسهرون عليها من الطوارق وقد تحققت أن ما امتازت به من الصبر والعزم والحزم لم يكن ناشئا عن طباعها فقط بل عن مبادئها الدينية المؤذنة بالشطط وكان في تلك المبادي شيء على أنها جمعت بين الحقائق وعوائد شرقية خرافية ولا سيما غرائب فن التنجيم وعجائبه وقصارى الكلام انها حصلت بأعمالها على شهرة عظيمة في الشرق وزهدت أوروبا كلها وكان الاهالي عموما يسمونها بالست الانكليزية وأما الافرنج فتعرف عندهم بلادي ستنهوب ولما عزم ابراهيم باشا على فتح سوريا سنة ١٨٣٣ اضطره الامر الى أن طلب اليها أن تكون على الحيادة ويقال ان بعد حصار عكا في السنة نفسها آوت مئتين من الفارين وكانت تتعاطى فن التنجيم وغيره من الفنون السرية واستمسكت ببعض عقائد دينية مستغربة فلم تعدل عنها حتى مماتها ومما يدل على أن عقلها لم يخل من الاختلال في بعض الامور أنها ربت حجرتين في اسطبل لتركب المسيح واحدة منها عند مجيئه الى الارض وتركب هي الاخرى مرافقة له الى القدس وفي السنين الاخيرة من حياتها كان قد بلغ أهلها في انكلترا ما كان من أمرها واسرافها فقطعوا عنها الامدادات المالية فتراكمت عليها الديون التي كانت تقترضها من الاهالي بسعي رجل يعرف باللقمجي فتوفيت ولم تقدر على وفائها وهكذا الذين كانوا يحسبون أن في القرب منها

ربما الهم آل الامر الى خسارتهم ويقال ان مضايقاتها المالية مما كان بينها وبين الامير بشير الشهابي من الاختلاف والضغينة وقد سبب ذلك فيها من الخوف الذي أوقعها في مرض عضال قضت به نحبها ولم يكن عندها حال وفاتها أحد من الافرنج بل أحاط بها جماعة من خدامها من أهل البلاد فنهبوا بيتها حالما أدركتها المنية وعند وفاتها حضر قنصل الانكليز من بيروت لاجل دفنها ودفنت بالبستان المجاور لدارها وقد روى الاهالي عنها قصصا كثيرة غريبة تكاد أن تكون من الخرافات لا يوثق بها وكتب الدكتور مريون الذي بقي عندها بضع سنين طبيبا لها سيرة حياتها باالانكليزية في ثلاث مجلدات رواية عنها وقصة أسفارها في ثلاث مجلدات طبعت بالانكليزية بعد وفاتها بمدة قصيرة

وقد زارها كثير من السياح الاوربيين ومن جملتهم دولامرتين الشاعر الفرنساوي المشهور فانه لما كان في سوريا سنة ١٨٣٢ يطوف في نواحيها ويتفرج على بلدانها ومناظرها رغب في زيارة تلك الخاتون الا انه كان في ذلك الوقت من أصعب الامور على الافرنج أن يقابلوها ولا سيما الانكليز ومن كانوا من ذوي قرابتها فبعث اليها مع رسول بالرسالة الآتية ترجمتها

سيدتي من سائح مثلك في الشرق وغريب في هذه الديار جاءها ليتأمل في مناظر الطبيعة وآثارها وأعمال الله فيها وقد وصل الى سورية منذ مدة مع عائلته وهو يحسب يوما يتمكن فيه من مقابلة امرأة هي نفسها من عجائب الشرق الذي جاءه زائرا من أجمل أيام سياحته وألذها فاذا شئت أن تقابليني فاذكري لي اليوم الملائم لذلك وقولي لي أ ينبغي أن أتوجه وحدي أو يمكنني أن أسير اليك بجماعة من خلاني يرغبون مثلي كل الرغبة في التشرف بمقابلتك وأرجو يا سيدتي أن لا يكون هذا الطلب سببا لتكلفك ما يزعجك في عزلتك فاني أعرف من نفسي قيمة الحرية ومحاسن الانفراد ولذلك لا يسوءني البتة رفضك مقابلتي بل أتلقى ذلك بالتوقير والاحترام الى آخره

وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) من السنة نفسها سار اليه طبيبها ودعاه الى جون فذهب مع الدكتور رليوزدي والموسيو ريسيقال ولما وصلوا نزل كل منهم في غرفة ضيقة لا نوافذ لها ولا أثاث فيها ولم يتمكنوا من مقابلتها حال وصولهم لانها لم تكن تقابل الناس قبل الساعة الثالثة بعد الظهر فلما حان الوقت أتاه غلام أسود وأدخله غرفتها قال وكان الظلام قد أسبل عليها ذيله فلم أتمكن بسهولة من أن أتبين هيئتها اللطيفة المؤذنة بالهيبة والجلال وذلك الوجه الابيض الصبيح فنهضت وهي في زي الشرقيين ودنت مني ومدت الي يدها مسلمة علي فامعنت بها النظر واذا فيها من لطف المعاني ما لا تستطيع السنون محوه نعم ان نضارة الوجه واللون والرونق تفنى مع الفتوة الا أنه متى كان الجمال في القد وهيئة الوجه مع العظمة والجلال وطرأ عليه تقلبات باختلاف أزمان الحياة لا يزول تماما وهذا كله على لاري ستنهوب وكان على رأسها عمامة بيضاء وعلى جبهتها عصابة من الكتان أرجوانية اللون طرفاها مرسلان على كتفيها وعلى بدنها شال من الكشمير الاصفر وفستان تركي كبير من الحرير الابيض كماه متدليان وهو مشقوق عند الصدر يظهر من تحته فستان آخر من نسيج الفرس تتصاعد منه أزهار تكاد أن تصل الى عنقها وهي مرتبطة بعضها ببعض بخرز من اللؤلؤ وكان في رجليها خفان تركيان أصفران وهي تحسن لبس ذلك جميعه كأنها تعودته من صغرها وبعد السلام قالت لي قد أتيت من مكان بعيد وكابدت مشاق السفر لترى ناسكة فاهلا بك واني قلما يزورني الاجانب فيراني منهم في السنة واحد أو اثنان في الاكثر غير أن مكتوبك أعجبني وودت أن أعرف انسانا يحب الله والطبيعة والانفراد وذلك نفس ما أحبه ولاح أيضا أن نجمعنا متحابين واننا نتوافق في المشرب ويسرني الآن اني لم أخطئ في ظني وقد توسمت فيك عندما رأيتك أمورا تجعلني أن لا أندم على رغبتي في مشاهدتك وناهيك اني لما سمعت وقع قدميك وأنت داخل خالجني نفس تلك الخواطر فاجلس ودعنا

نتحدث لانك قد صرت لى صديقا فقلت لها يا سيدتى وكيف تشرفين بهذا اللقب رجلا لا تعرفين اسمه ولا سيرته قالت نعم انى لا أعرف حالك قدام الله ولا تحسبنى مجنونة كما يسميني العالم فى الغالب لان صدرى قد انشرح لك فلا أستطيع أن أخفى عليك شيأ وقد نشأت فى الشرق علم ضاع الآن فى بلادكم غير أنه لم يزل باقيا الى الآن فى البلاد الشرقية وقد تعلمته وأتقنته فانى أرصد الكواكب وأدرك أسرارها فكل منا ولد لنا من تلك النيران السماوية التى تولت أمر ولادتنا وتأثيرها ما حسن وما ردى وهو يظهر فى عيوننا وجباهنا وهيئتنا وأسارير أيدينا وشكل أرجلنا وحركاتنا ومشينا وبذلك عرفتك حق المعرفة كأننا معا منذ قرن كامل مع أنى لم أرك الا منذ بضع دقائق فقلت باسما مهلا يا سيدتى انى لا أنكر ما أجهل ولا أثبت ما لا أوجد فى الطبيعة المنظورة والغير المنظورة التى تتجاذب فيها الاشياء أو يرتبط بعضها ببعض كائنات كالانسان دونه الكائنات الكبرى تحت سلطة كائنات أعظم منها كالكواكب والملائكة الا أنى أحتاج الى وحيهم لاعرف نفسى التى هى عبارة عن فساد وسقم وشقاوة وأما أسرار مستقبلى فاحب أن لا أعرفها وعندى أنى أجازف على الله الذى أخفاها عنى اذا طلبت الى مخلوق أن يوضحها لى فامر المستقبل بيد الله وانى لا أعتقد الا فيه وفى الحرية والفضيلة قالت مالى ولهذا فاعتقد فيما يحلولك أما أنا فارى انك خلقت تحت سلطة ثلاثة أنجم سعيدة قادرة صالحة فاعتقد مثل تلك الصفات وهى تشوقك الى غاية يمكننى أن أكاشفك بها الآن اذا شئت ذلك وقد أرسلك الله الى لانير عقلك وأنت من الرجال الذين حسنت نواياهم وطابت سريرتهم وستنفذ منك الله بانفاذ الاعمال العجيبة التى يريد أن يجريها بين الناس وهذا جواب كاف وبعد أن أطالا الجدال فى هذا الباب قالت له وهل ترى فى سياسته ودينه ومعشره كامل الانتظام ولا تشعر بما يشعر به العالم أجمع من أنه لا بد من موح وفاة وهو المسيح الذى تنتظره وتطير شوقا اليه فلا ترى أحدا موافقا لك فى ذلك وأن العالم أجمع محتاج الى الاصلاح وانى أتوقع أكثر من الناس كلهم قدوم مصلح يقوم المسالك ويرشد الناس الى سواء السبيل فان كان ذلك المصلح هو ما تسميه مسيحا فهذا أنتظره مثلك وأرجو أن يظهر بعد أمد وجيز وأطالت الكلام فى هذا الباب وقالت لى اعتقد كما تشاء أما أنا فعندى أنك رجل من الذين كنت أنتظرهم وقد أرسلتك العناية الى وسيكون لك دخل كبير فى العمل المزمع حدوثه وسترجع أوروبا الآن أوروبا قد مضى زمانها وبقى انفرنسا وحدها أن تقوم بعمل عظيم وستشترك فيه ولم أعلم بعد كيف يكون ذلك ولكننى ان شئت أذكر لك فى هذا المساء عندما أستشير أنجمك ولم أعرف الى الآن أسماءها كلها فقد رأيت منها أكثر من ثلاثة فهى أربعة أو خمسة وربما كانت أكثر ولا شك أن عطاردا من جملتها فهو يهب العقل نورا واللسان طلاقة وطلاوة وأنت شاعر لا محالة لان فى عينيك والقسم الاعلى من وجهك ما يدل على ذلك الى أن قالت نشكر الله على هذه النعمة لانه قلما ولد تحت سلطة أكثر من نجم وندر من كان نجمه سعيدا واذا كان سعيدا فقلما يخلو من مفاعيل نجم آخر خبيث يقارنه أما أنت فقد كثرت نجومك وأجمعت كلها على أن تخدمك وهى تتعاون على ذلك فما اسمك فذكرت لها اسمى قالت هذه أول مرة سمعت به ثم ذكرت لها ما نظمته من الشعر وان اسمى مشهور عند أهل العلم فى أوروبا الا أنه لم يتمكن من اجتياز البحور والجبال حتى يصل الى الشرق قالت سيان عندى كونك شاعرا أو غير شاعر فانى أحبك ولى فيك أمل أتحقق أننا سوف نلتقى ثانية فانك سترجع الى الغرب ولكن لا تلبث حتى تعود الى الشرق فانه وطنك قلت ان لم يكن وطنى فهو ميدان أفكارى قالت دع عنك المزح فانه وطنك الحقيقى ووطن آبائك وقد تحققت ذلك الآن فانظر الى رجلك فانها أشبه برجل رجل عربى وما زلنا نتحادث حتى دخل عبد أسود فخر على وجهه ساجدا أمامها ويداه على رأسه وخاطبها بكلمات عربية لم أفهمها فالتفتت الى وقالت قد هيئ لك الطعام فاذهب فكل أما أنا فلا آكل الآن أحدا الان عيشى عيشة نسكية فاغتذى بالخبز والثمار عندما أحس بالجوع

ولذلك لا ينبغي لي أن أكره ضيفي على مجاراتي وبعد أن فرغت من مناولة الطعام استدعتني اليها فلما حضرت وجدتها تدخن بقضيب طويل واستحضرت لي قضيبا لادخن أيضا قال وكنت قد رأيت أجمل نساء الشرق وأظرفهن يدخن مثلها فلم أستغرب ذلك وكان الدخان ينبعث من شفتيها اللطيفتين على شكل أعمدة فتعطرت به الغرفة وأقمنا نتحدث في أمورها وأطلت فيها التفكر فتبين لي أنها أشبه بالساحرات القديمات المشهورات وهي أشبه بسيرسه معبودة الاقدمين وان عقائدها الدينية وان كانت غامضة فهي مقتطفة بحذق من أديان مختلفة فقد جمعت بين أسرار الدروز وتسليم المسلمين واعتقادهم القدر وانتظار اليهود مجيء المسيح وعبادة النصارى للمسيح وممارسة تعاليمه وآدابه وزد على ذلك التصورات البعيدة الغريبة الناشئة عن فكر مشغوف بالشرق ومتوقد بطول العزلة والانفراد وبعض ايضاحات أوضحها لها المنجمون العربيون فاذا تصورت ذلك كله انجلى لك شيء من هذا السر العظيم المستغرب الذي يؤثر في الانسان ما يسميه جنونا ليتخلص من مشقة البحث وامعان النظر فيه والحق أولى ان يقال ان هذه المرأة غير مجنونة فان للجنون أمارات واضحة تظهر في العينين وليس له أثر البتة في تلك الالحاظ اللطيفة ويظهر الجنون أيضا في الكلام فان صاحبه كثيرا ما ينقطع عن الحديث فترى فيه اختلالا وشططا أما حديثها فسامي المعاني رمزي متسلسل مرتبط متسق قوي وفي مذهبي أن جنونها اختياري وانها تعرف نفسها حق المعرفة ولها أسباب تحملها على التظاهر بما قد تظاهرت به وما أخذ القبائل العربية المجاورة للجبال من العجب من حذقها وبراعتها يدل دلالة واضحة على أن ما ترجم به من الجنون انما هو وسيلة لبلوغ بعض ما ترب ولا يخفى أن سكان أرض أجريت فيها العجائب وكثرت فيها الصخور والبراري وتلونت تصوراتهم بألوان جوهم لا يصغون سمعا الا الى كلام نبي أو الى كلام من كان كلاري ستنهوب فانهم يميلون الى فن التنجيم والنبوآت الوحي وما أشبه وقد عرفت اللادي المذكورة ذلك واتخذت لها الحيلة لما هي عليه من قوة الحذق ولكن ربما ساقتها القوة المذكورة كما هو الغالب في أمثالها الى الاهتداء الى مذهب وضعته لغيرها وبعد أن جالت هذه التصورات في فكري قلت لها الا ألومك الاعلى أمر واحد وهو أنك حسبت للحوادث حسابا فعاقك ذلك عن الوصول الى مركز كان في طاقتك أن تصلي اليه فأجابته انك تتكلم كمن يعتقد اعتقادا صحيحا في الارادة البشرية وتشك في فعل القدر فقولي على ما لهما لم تتغير غير أني أنتظر سنوح الفرصة ولا أجد في طلبها وقد أمسيت وحدي مهجورة بين هذه الصخور القفرة عرضة لمفاجئ جسور يطرق منزلي فينهب أمتعتي وحولي جماعة من الخدم الخائنين والعبيد الكنودين وهم ينهبونها في كل يوم ويتهددون حياتي أحيانا وفي المدة الاخيرة لم ينجني من الموت الاحمر الا هذا الخنجر (وأورته اياه) الذي اضطرني الامر الى استخدامه لادفع عني عبدا أسود لشمارني في بيتي ومع ذلك تراني سعيدة بقولي الله كريم وأتوقع المستقبل الذي أخبرتك به وياحبذا لو كنت تحققه مثلي وبعد أن تباحثنا كثيرا وشربنا القهوة التي كان يأتي بها العبيد كل ربع ساعة مرة قالت لي هلم فاني سأسير بك الى مكان مقدس لا يدخله أحد من البشر وهو بستاني فدخلناه وجلسنا فيه مسروري الفؤاد لانه من أجمل البساتين الشرقية التي رأيتها وكنا من وقت الى آخر نجلس في الكشوك براحة ونتحدث على النسق الاول فلبثنا مدة على هذه الحالة ثم التفتت الي وقالت اذا كان القدر قد ساقك الى هذا المكان وما بين نجمينا من الاتفاق يمكنني من مكاشفتك بأمور أخفيها عن كثيرين من بني البشر سأريك بعينك عجيبة من عجائب الطبيعة لا يعرف مستقبلها الا أنا وأتباعي وهي التي ذكرها الانبياء الشرقيون منذ قرون عديدة في نبوآتهم ثم فتحت بابا من أبواب البستان يشرف على حوش صغير فوقع نظري على مهرتين عربيتين جميلتين من أطيب أصل وأكمل شكل فقالت لي هيا بنا فأريك هذه المهرة الكميت ألم تحفها الطبيعة بكل ما هو مكتوب عن المهرة التي ينبغي أن يركبها المسيح (وستوله مسرجة)

فأمعنت بها النظر فرأيت فيهما من غرائب الطبيعة ما يقوى ذلك الاعتقاد عند قوم لم يزح عنهم الجهل ستارته لان لهما في مكان المنكبين تجويفا عميقا واسعا يشبه السرج وشيأ أشبه بركابين في مكان ركوبهما من دون سرج صناعي ولاح لي أن تلك المهرة أحست بما لهما من المنزلة والاعتبار عند لاري ستنهوب وعبيدها بما سيكون من أمرها في المستقبل لانها لم تركب البتة وقد عهدت سياستها الى سائسين عربيين يسهران عليها الليل ونهارا ولا يفارقانها لحظة وبالقرب منها مهرة أخرى بيضاء أجمل منها تشاركها فيما لها من المنزلة عند اللادى المذكورة وهي كأختها لم يركبها أحد وفهمت من كلام مضيفتي أنه وان كان مستقبل المهرة البيضاء دون مستقبل المهرة الكميت قداسة فهو سري وهي وان كانت لم تقل لي ذلك قولا صريحا استنتجت منه أنها تركبها هي حين تسير بجانب المسيح الى أورشليم ثم أمرت السائسين أن يخرجا المهرتين الى مرج خارج السور ففعلا وبعد أن أطلت النظر فيهما وتأملت في محاسنهما رجعت الى الدار وطلبت منها بالحاح أن تأذن لمسيو برسيفال بمقابلتها فانه كان صديقي وتبعني رغما عني وأقام منذ الصباح ينتظر صدور الاذن بمقابلتها وهي تبخل عليه بذلك فأجابتني الى طلبي بعد التردد مدة ودخلنا جميعا الى غرفتها المتصرف فيها ليلتنا فأقمنا ندخن ونشرب القهوة وبعد مباحثة طويلة دارت بيننا في أمور السياسة ونظام الحكومات فانتقلت أنا منها الى أمور مزحية عن طريقة تنبئها قال وأردت أن أختبرها فسألتها عن سائحين أوربيين أتيا من أصحابي مروا بها منذ ١٥ سنة فأدهشني كلامها عن اثنين منهم لانني رأيتها مصيبة في حكمها كل الاصابة ومن العجب العجاب أنها وصفت بحذق وبلاغة لا مزيد عليهما واحدا من ذينك الاثنين كنت أعرفه حق المعرفة مع أن من أصعب الامور أن يعرف انسان طباعه من أول وهلة لان ظواهره تؤذن ببساطة تامة وبخدع أبعد الناس عن الانخداع ومما أذهلني أيضا قوة ذاكرتها الان السائح المذكور لم يصرف عندها الا ساعتين ومضى بين زيارتي لها وزيارته ١٦ سنة كاملة فلا جرم أن العزلة تجمع قوى النفس وتقويها وقد تحقق ذلك الانبياء والقديسون وأكابر رجال الدنيا والشعراء فكانوا يطلبون البراري والقفار ويعتزلون الناس وهم بينهم ثم تكلمنا عن بونابرت وعن مواضيع أخرى بحرية تامة ومازلنا على تلك الحالة الى أن مضى أكثر الليل قال ولما حان الافتراق ظهر الحزن والكدر على وجهينا فقالت لي لا تودعني لاننا سنلتقي مرارا في هذه السياحة ونلتقي كثيرا في سياحات أخر لم تخطر لك ببال بعد فاذهب واسترح واذكر أنك قد تركتني في قفار لبنان ثم مدت الي يدها فوضعت يدي على قلبي على عادة العرب مودعا وكان ذلك خاتمة اجتماعنا

هذا ملخص ما دار بينناه بين لامرتين من الكلام والمقام يضيق دون ما ذكره بالتفصيل أما بيتها في جون فقد استولى عليه صاحبه الدمشقي الذي مات بعدها بقليل فانتقل الى ابن له وحيد مسلم ثم أفضى به الامر الى أن شنق نفسه فاحدث امرأته تبيع كل ما يمكن بيعه من أدوات البناء خوفا من أن يؤخذ البيت منها وهكذا عجلت خراب تلك الدار الجميلة حتى أمست الآن خاوية على عروشها يأوي اليها البوم وينعق فيها الغراب وكذلك تكاد آثار الضريح الذي أقيم لها تمحى وهكذا لم يبق لتلك المرأة التي حاولت أن تضاهي ملكة الشرق ولا لاعمالها أثر في بطون التواريخ التي حفظت ذكرها ليكون عبرة لمن يعتبر وتذكرة لاولي الالباب

أسماء ابنة أبي بكر الصديق

هي أسماء ابنة ابي بكر الصديق وأمها قتيلة بنت عبد العزى وهي أخت عائشة لابيها تسمى ذات النطاقين لانها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما لما هاجر فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها وشدت به الطعام فدعيت ذات النطاقين تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله وعدة أبناء وكان عبد الله أول مولود ولد

فى الاسلام بعد الهجرة ثم طلقها الزبير فكانت مع عبد الله ابنها بمكة المشرفة حتى قتل ابنها فبلغت من العمر مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة سنة ٧٣ هجرية و٦٩٢ ميلادية ولها شعر قليل فى رثاء زوجها وابنها ومن كلامها لابنها عبد الله حين قاتل الحجاج اذ دخل عليها وقال لها يا أماه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق واليه تعود فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين لم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فقال يا أماه أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى قالت يا بنى ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيى والذى خرجت به رائيا الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة فانظرى يا أماه فانى مقتول فى يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الامر الى الله فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عمد بفاحشة ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شئ آثر عندى من رضا ربى اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ولكنى أقوله تعزية لامى حتى تسلو عنى فقالت أمه لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلا ان تقدمتنى احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك أخرج حتى أنظر الام يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا فلا تدعى الدعاء قالت لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر مكة والمدينة وبره بأبيه وبى اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يدها ليقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت مودعا لانى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن منى حتى أودعك فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبسته الا لاشد متنك قالت انه لا يشد متنى فنزعها ثم درج لمته وشد أسفل قميصه وجبته تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول مرتجزا

انى اذا أعرف يومى أصبر * وانما يعرف يومه الحر

اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر ان شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية ابنة عبد المطلب ثم حمل على القوم وقاتل حتى قتل وصلب وطلبته أمه من الحجاج فأبى عليها اعطاءه فكتبت لعبد الملك فسمح لها بذلك فغسلته ودفنته وبقيت بعده قليلا وماتت بعد ما أضرت وذلك فى سنة ٧٣ هجرية ومن قولها فى زوجها الزبير بن العوام حين قتله عمرو بن جرموز المجاشعى وهو منصرف من وقعة الجمل بوادى السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم الهياج وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

﴿ أسماء ابنة سلمة وقيل سلام بن مخرمة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التميمية الدارمية ﴾

وهى أم الجلاس قاله أبو عمرو وقال ابن منده وأبو نعيم أسماء ابنة مخربة التميمية وهى أم الجلاس وأم عياش وعبد الله بن ربيعة روى عنها عبد الله بن عياش والربيع بن معوذ وذكر ابن منده وأبو نعيم حديث

عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم بعض بيوت أبي ربيعة اما العيادة مريض أو لغير ذلك فقالت له أسماء التميمية وكانت تكنى أم الجلاس وهي أم عياش بن أبي ربيعة يا رسول الله ألا توصني قال ائتي الى أختك ما تحبين أن تأتي اليك ثم أتى بصبي من ولد عياش به مرض فجعل يرقي الصبي ويتفل عليه وجعل الصبي يتفل على النبي صلى الله عليه وسلم وجعل بعض أهل البيت ينهى الصبي وقال أبو عمرو ذكر نسبها كما تقدم وقال كانت من المهاجرات هاجرت مع زوجها عياش ابن أبي ربيعة الى أرض الحبشة وولدت له بها عبد الله بن عياش ثم هاجرت الى المدينة وتكنى أم الجلاس روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها عبد الله بن عياش وجماعة من التابعين وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب

﴿أسماء ابنة عميس بن معبد بن الحرث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أقبل وهو خثعم﴾

وأمها هند ابنة عوف بن زهير بن الحرث الكنانية أسلمت أسماء قديما وهاجرت الى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبد الله وعونا ومحمدا ثم هاجرت الى المدينة فلما قتل عنها جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك وزعم ابن الكلبي أن عون بن علي أمه أسماء بنت عميس ولم يقل ذلك غيره وأسماء أخت ميمونة ابنة الحرث زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل امرأة العباس وأخت أخواتها لامهم وكن عشر أخوات لام وقيل تسع أخوات وقيل ان أسماء تزوجها حمزة بن عبد المطلب فولدت له بنتا ثم تزوجها بعده شداد بن الهاد ثم جعفر وهذا ليس بشيء وانما التي تزوجها حمزة سلمة ابنة عميس أخت أسماء وكانت أسماء ابنة عميس أكرم الناس أصهارا فمن أصهارها النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة والعباس رضي الله عنهما وغيرهم روى عن أسماء عمر بن الخطاب وابن عباس وابنها عبد الله بن جعفر والقاسم بن محمد وعبد الله بن شداد بن الهاد وهو ابن اختها وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم وقال لها عمر بن الخطاب نعم القوم أنتم لولا أنا سبقناكم الى الهجرة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال لكم هجرتان الى أرض الحبشة والى المدينة قال عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان أسماء ابنة عميس قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم وقد توفيت في خلافة علي رضي الله عنه

﴿أسماء ابنة النعمان بن شراحيل﴾

وقيل أسماء ابنة النعمان بن الاسود بن الحرث بن شراحيل بن النعمان قاله أبو عمرو وقال ابن الكلبي أسماء بنت النعمان بن الحرث بن شراحيل بن كندي بن الجون بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الاكبر الكندية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعاذت منه ففارقها وقال يونس عن أبي اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء ابنة كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلقها قال أبو عمر أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل اليمن أسماء بنت النعمان بن الجون فلما دخل عليها دعاها فقالت له تعال انت فطلقها قال وزعم بعضهم أنها قالت أعوذ بالله منك قال قد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني فطلقها وقيل انما التي قالت له كانت امرأة من بلعنبر من سبي ذات الشقوق كانت جميلة فخاف نساؤه أن تغلبهن على النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا لها انه يعجبه أن يقال نعوذ بالله منك وذكر نحو ما تقدم في فراقها قال وقال أبو عبيدة كلتاهما

عاذت بالله منه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل ونكح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من كندة وهي الشقية فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردها الى أهلها ففعل وردها مع أبي أسيد الساعدي وكانت تقول عن نفسها الشقية وقيل ان التي قال لها نساء النبي صلى الله عليه وسلم استعوذي بالله منه هي الكندية ففارقها فتزوجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي ثم خلف عليها قيس بن مكشوح المرادي قال وقال آخرون ان التي تعوذت بالله منه امرأة من سبي بلعنبر وذكر في قول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لها نحو ما تقدم قال وقال آخرون وكان بها وضح كالعامرية ففارقها وقيل انه قال لها هبي لي نفسك قالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده اليها فاستعاذت منه ففارقها قال أبو عمر الاختلاف في الكندية كثير جدا منهم من يسميها أسماء ومنهم من يسميها أميمة واختلفوا في سبب فراقها على ما ذكرناه والاختلاف فيها وفي صواحباتها اللواتي لم يجتمع بهن عظيم

أسماء ابنة يزيد الانصارية

من بني عبد الاشهل هي رسول النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبي وأمي أنت يا رسول الله أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك وانا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الاجر والخير فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه فقالوا يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقال افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت وهي تهلل حتى وصلت الى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن وسميت المترجمة رسول نساء العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم

استير ابنة أبي حائل بن شمعي بن قيس ملكة الفرس

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأبهاهن منظرا وكمالا وأعذبهن منطقا ومقالا تزوجت بالملك أحشويروش ملك الفرس الذي ملك من الهند الى كوش على مائة وسبع وعشرين كورة وكانت في ابتداء أمرها رباها رجل اسرائيلي يدعى مردخاي وهو ابن عمها لان أباها وأمها توفيا فأخذها هو وجعلها ابنة لنفسه وكان في شوشن القصر الذي هو كرسي ملك أحشويروش لانه سبي من أورشليم مع السبي الذي سبي مع يكنيا ملك يهوذا الذي سباه بنوخذنصر ملك بابل وسبب زواجها بالملك أحشويروش المذكور أنه جلس ذات يوم على كرسي ملكه الذي في شوشن القصر وعمل وليمة لجميع رؤسائه وعبيده جيش فارس وأخذت هذه الوليمة مائة وثمانين يوما وعند قضاء هذه الوليمة عمل لجميع الشعب الموجودين في شوشن القصر من الكبير الى الصغير وليمة سبعة أيام وفي اليوم السابع لما طاب قلبه أرسل الى وشتي الملكة زوجته أن تأتي أمامه بتاج الملك لبرى الشعوب والرؤساء جمالها لانها كانت حسنة المنظر فأبت أن تأتي حسب أمر الملك فاغتاظ جدا واشتعل غضبه وقال لمن حوله من العارفين بالازمنة ماذا اعمل بالملكة وشتي لانها خالفت

أوامري فقال أحدهم ليس الى الملك وحده أساءت بل اساءتها عمت جميع الرؤساء وجميع الشعوب الذين في كل بلدان الملك وسوف يبلغ خبرها الى جميع النساء حتى يحتقرن أزواجهن في أعينهن عندما يقال ان الملك أحشويروش أمر أن يؤتى بالملكة وشتي الى أمامه فلم تأت فان رأى الملك فليكتب أمرا من عنده أن لا تأتي وشتي أمامه مطلقا وليعط ملكها لمن هي أحسن منها فرأى الملك والرؤساء ذلك صوابا فأرسل كتبا الى كل بلدانه يخبرهم بذلك

وبعدما خمد غضب الملك احشويروش قيل له فليطلب الملك فتيات عذارى حسنات المنظر ويوكل وكلاء في كل بلاده ليجمعوهن بشوشن القصر ويعين عليهن خصيا ويرتب لهن لوازمهن مما يحتجن اليه وبعد ذلك يختار منهن التي توافقه ويملكها مكان وشتي فرأى ذلك حسنا فأمر بجمع البنات حتى اجتمع عنده منهن شئ كثير فلما سمع مردخاي مربي استير أمر الملك وقد اجتمعت فتيات كثيرات الى شوشن القصر أخذ استير الى بيت الملك وسلمها الى حارس النساء فلما نظرها الحارس استحسنها ونالت نعمة بين يديه فبادرها بأدهان عطرها بها ونقلها الى أحسن مكان في بيت النساء ولم تخبر استير عن شعبها وجنسها لان مردخاي أوصاها بذلك واستمرت استير مقيمة الى أن بلغت نوبتها للدخول الى الملك بعد أن أقامت اثني عشر شهرا لانه هكذا كانت تكمل أيام تعطرهن ستة أشهر بزيت المر وستة أشهر بالطياب فلما دخلت عليه ونظرها أحبها أكثر من جميع النساء ووجدت نعمة واحسانا أمامه أحسن من جميع العذارى فوضع التاج على رأسها وملكها مكان وشتي وعمل وليمة عظيمة لجميع رؤسائه وعبيده ودعاها وليمة استير وأعطى عطايا حسب كرم الملوك

وفي تلك الايام بينما مردخاي جالسا في باب الملك اذ علم بفتيين ورئيس الخصيان في دار الملك أرادا أن يغتالاه فعلم الامر عند مردخاي فأخبر استير وهي أخبرت الملك باسم مردخاي ففحص عن الامر فوجده حقيقيا وأمر بصلبهما فصلب كل منهما على خشبة وازداد اعتبار مردخاي في عيني الملك وقربه منه قربا عظيما وبعد هذه الامور قدم الملك أحشويروش وزيره هامان وجعل كرسيه فوق جميع الرؤساء الذين معه فكان كل من بباب الملك يسجد لهامان كما أوصى به الملك وأما مردخاي فلم يسجد له فقال عبيد الملك الذين ببابه لمردخاي لماذا تتعدى أمر الملك ولم تسجد لهامان فقال لا أسجد لغير الملك واني أعلم ما لا تعلمون فأخبروا هامان بذلك وأعلموه بأنه يهودي ولما رأى هامان ذلك امتلأ غضبا وأسر في نفسه على اهلاك مردخاي وشعبه ولما أمكنته الفرصة قال للملك انه موجود شعب متشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك وسننهم مغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون بسنن الملك فلا يليق بالملك تركهم فاذا رأى الملك فليكتب بأن يبادروا وأنا أزن عشرة آلاف وزن من الفضة تعطى للذين يعملون العمل من مالي الخاص فلما سمع الملك كلامه نزع الخاتم من يده وأعطاه لهامان وقال له الفضة قد أعطيت لك من الخزينة الملكية والشعب أيضا افعل به ما تريد فاستدعى بالكتاب وكتب الى جميع عمال البلاد يأمرهم بابادة جميع اليهود من الطفل الى الشيخ وان يسلبوا أموالهم غنيمة وختم الكتب بختم الملك وسلمها الى السعاة وخرجت بها ولما علم مردخاي كل ما عمل شق ثيابه ولبس مسحا برماد وخرج الى وسط المدينة وصرخ صرخة عظيمة وجاء الى باب الملك وكانت مناحة عظيمة عند اليهود وصياح وبكاء ونحيب فلما رأى جواري استير ذلك دخلن عليها وأخبرنها فاغتمت غما شديدا وأرسلت ثيابا لمردخاي لاجل نزع مسحه عنه فلم يقبل فدعت استير واحدا من خدامها وأمرته أن يذهب الى مردخاي ويأتيها بالسبب فذهب الخادم اليه وأخبره مردخاي بكل ما أصابه وأعطاه صورة الكتب التي صدرت من الملك لجميع الجهات لكي يريها الاستير ويخبرها ويوصيها أن تدخل الى الملك وتتضرع اليه وتطلب منه العفو عن شعبها فرجع الخادم الى استير وأخبرها بكلام

مردخاى فأمرت الخادم بأن يرجع اليه ويعلمه بأن كل عبيد الملك وشعوب بلاده يعلمون أن كل شخص دخل الى الملك بالدار الداخلية بدون اذن لم ينج من القتل الا الذى يمد اليه الملك قضيب الذهب فيحيا فأخبره الخادم بذلك فقال له اخبر استير بأنك لا تفتكرى فى نفسك انك تنجين فى بيت الملك من دون اليهود انك ان سكت فى هذا الوقت يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر واما أنت وبيت أبيك فتبادون فقالت استير للخادم اخبر مردخاى بأن يجمع اليهود الموجودين فى شوشن القصر ويصوموا من جهتى ولا يأكلوا ولا يشربوا ثلاثة أيام ليلا ونهارا وأنا أيضا أصوم كذلك وهكذا أدخل على الملك ولعل الله أن يمد الىّ يد المساعدة فانصرف مردخاى وعمل على حسب ما أوصته به استير وفى اليوم الثالث لبست استير ثيابا ملكية ووقفت فى دار بيت الملك الداخلية مقابل الملك وهو جالس على كرسى ملكه فلما رأى استير واقفة مد لها قضيب الذهب الذى بيده فدنت ولمست رأس القضيب فقال لها الملك مالك يا استير وما هى طلبتك اذا كانت نصف مملكتى تعطى لك فقالت له اذا رأى الملك فليأت ومعه هامان اليوم الى الوليمة التى عملتها فقال الملك أسرعوا بهامان تنفيذا لكلام استير فحضر وابه وأتى الملك وهامان الى الوليمة التى عملتها استير فقال لها الملك عند شرب الخمر ما هو سؤالك وما هى طلبتك فيعطى لك فقالت ان سؤالى أن يأتى الملك وهامان الى الوليمة التى أعملها لهما غدا وهناك أطلب طلبتى فخرج هامان فى ذلك اليوم فرحا وفى اليوم الثانى جاء الملك وهامان عند استير فقال الملك لاستير ما هو سؤالك يا استير وما هى طلبتك فاجابته ان كنت قد وجدت نعمة فى عين الملك فيعطى لى الملك طلبتى بالعفو عن شعبى لانه قد صار بيعنا أنا وشعبى للهلاك والقتل ولو كنت بعنا عبيدا واماء لكنت سكت مع أن العدو لا يعوض عن خسارة الملك فقال الملك لاستير من هو وأين هو الذى يتجاسر بقلبه على أن يعمل هكذا قالت هو رجل خصم وعدو وهذا هامان الردىء الخبيث فارتاع هامان أمام الملك والملكة فقام الملك بغيظه عن شرب الخمر الى جنة القصر ووقف هامان يتوسل لنفسه أمام استير الملكة لانه رأى أن الشر قد أعيد عليه من قبل الملك ولما رجع الملك من جنة القصر الى بيت شرب الخمر وهامان متواقع على السرير الذى كانت استير عليه قال وهل أيضا يدخل على الملكة معى فى البيت وأمر بصلبه فصلبوه على خشبة ارتفاعها خمسون ذراعا ثم سكن غضب الملك

وفى ذلك اليوم أعطى الملك لاستير بيت هامان وأتى مردخاى أمام الملك لان استير أخبرته بذلك فنزع الملك خاتمه الذى أخذه من هامان وأعطاه لمردخاى وأقامت استير مردخاى فى بيت هامان ثم عادت استير وسقطت عند رجلى الملك وتضرعت اليه أن يزيل شر هامان الذى دبره على اليهود فأجاب طلبها وقال لها ولمردخاى اكتبا أنتما ما يحسن فى أعينكما باسم الملك واختماه بختمى لان الكتابة التى كتبت أولا لا ترد فدعا كتاب الملك فى ذلك الوقت وكتب حسبما أمر به مردخاى وختم عليه الملك وأرسل الى كل الجهات وخرج مردخاى من أمام الملك بلباس ملكى وتاج من ذهب وكان اليوم عند اليهود يوم بهجة وفرح وصار عيدا يعيدون فيه وهو الثالث عشر من شهر أذار فى كل سنة

اسكندره ملكة اليهود

وهى زوجة اسكندر ملك يهوذا ملكت وحدها بعد وفاة زوجها وذلك فى مدة قصر ابنها هرقانوس الثانى وقد ارتكب الفريسيون فى عهدها مظالم كثيرة وقد ذكرها ابن خلدون فقال وأوصى اسكندر امرأته الاسكندره قبل وفاته بكتمان موته حتى يفتح الحصن (وهو حصن كان خرج لحصاره ولم يذكر ابن خلدون اسمه) ويسير بشلوه الى القدس فتدفنه فيه وتصانع الربانيين على ولدها (هو هرقانوس الثانى) فتملكه لان العامة أميل اليه ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا من الربانيين وجمعتهم وقدمتهم للمشورة واستبدت

بالملك وكان لها ابنان من الاسكندر اسم الاكبر منهما هرقانوس والآخر ارستيلوس وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت هرقانوس للكهنوتية وقدمت أرستيلوس على العساكر والحروب وضمت اليه الربانيين وأخذت الرهن من جميع الامم وسألها الربانيون فى الاخذ بثارهم من القرايين وكانوا خلقا كثيرا وجاء القرايون الى ابنها الكهنوت يشكرونه ذلك وانه اذا فعل بهم ذلك وقد كانوا سيفا لابيه الاسكندر وقد تحدث الدفرة من سائر الناس وسألوه أن يلتمس اذنها فى الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين فاذنت له رغبة فى انقطاع الفتنة وخرج معه وجوه العسكر ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ويقال ان ظهور عيسى صلوات الله عليه كان فى أيامها وفيما ذكره ابن خلدون فى آخر هذه القصة أن ظهور السيد المسيح كان فى أيام الاسكندرة مخالفة لم تتفق عليه المؤرخون المحققون والصحيح أنها توفيت سنة ٧١ أو سنة ٧٠ قبل الميلاد

﴿ أسماء معشوقة جعد بن مهجع العذرى ﴾

هى من بنى كلاب ولم أعثر لها على اسم الا من قوله

لعمرك ما حبى لاسماء تاركى * صحيحا ولا أقضى به فأموت

وكان سبب عشقه لها أن له أخوالا من كلاب حول ماله اليهم خشية التلف فاقام عندهم ثم خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر وظهرت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فاستتر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء يطرد مخلة وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثه فوجد فى ألفاظه عذوبة لا تقدر وخلب عقله فدعاه الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدى كحق العاج فقال امرأة أنت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمنا كهة فعلقها من تلك الساعة وسألها الزيارة فذكرت أن لها اخوة شرسة وأبا كذلك ثم مضت ولازم الوساد سنة كاملة ثم شكى الى أحد أصحابه فأشار عليه أن يخطبها من أبيها ومضى معه حتى نزلا بالشيخ فاحسن ملقاهما فقال له قد أتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة وزوجه بها فبنى بها من ليلته فلما كان الغد جاء صاحبه فقال كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال أبدت لى كثيرا مما أخفته عنى قديما وسألتها عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعض الصديق يريد

فان تطرحنى أو تقول فتية * يضربها برح الهوى فتعود

فوريت عما بى وفى الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فبارك لهما وانصرف فكان ينشد

يرب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى والرحه

أنت حسيب الخصم يوم الروحه

﴿ أسماء ابنة حصن ﴾

هى ابنة حصن بن حذيفة الفزارية قد استودعها عامر بن الطفيل درعه فى يوم الرقم فأدتها اليه بعد ذلك وذكرها فى شعره الذى هجا فيه بنى غطفان اذ قال

قد سألت أسماء وهى خفية * نصحاءها أطردت أم لم أطرد

فلا بغينكم اتصاد عوارضا * ولاقبلن الخيل لابة ضرغد

ولابرزن بمالك وبمالك * وأخى المروات الذى لم يسند

وهي طويلة اقتصرنا على هذا المقدار فاجابه نابغة بني ذبيان يلومه على تعريض عقائلهم في شعره فقال

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب
فانك سوف تحلم أو تباهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب
فكن كابيك أو كابى براء * توافقك الحكومة والصواب
فلا تذهب بحلمك طامثات * من الخيلاء ليس لهن باب

أسماء ابنة رويم

كانت من النساء العاقلات الحكيمات الاديبات الولودات وكانت تسمي أولادها باسماء الوحوش الضارية قيل انه مر بها وائل بن ساقط فرآها منفردة في خبائها فهم بها فقالت والله لئن هممت بي لأدعون أسبعي فقال ما أرى سوى الذ في الوادي فصاحت ببنيها يا كلب يا ذئب يا فهد يا دب يا سرحان يا سبع يا ضبع يا نمر فجاؤا يتعادون بالسيوف فقال وائل ما هذا الا وادي السباع فلزم هذا الاسم ذلك الوادي وقالوا لها ما شأنك قالت انه نزل بنا ضيف فاحببت أن تكرموه فاكرموه اكراما زائدا وانصرف وهو يتعجب من ذريتها ومن حضور بديهتها التحمل العذر الذي أبدته لاولادها

أسماء ابنة محمد بن صصرى

هي أخت قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى كانت شيخة مسندة جليلة مباركة كثيرة البر سمعت العلماء وحدثت وحجت مرارا وكانت تتلو في المصحف وتفيد الفائدة التامة لمن يسمع منها ومما قيل فيها

كذلك فلتكن أخت ابن صصرى * تفوق على النساء حسبا ونسبا
طراز القوم أنثى مثل هذى * فلا التأنيث لاسم الشمس عيبا

أسماء العامرية

كانت فصيحة ظريفة أديبة لطيفة عذبة المنطق سلسة الالفاظ لها أشعار رائقة ومعانيها شائقة وقصائد مطولة تمدح فيها خلفاء زمانها ونثر منسجم لطيف العبارة فمن ذلك الرسالة التي أرسلتها الى عبد المؤمن ابن علي التي نمت اليه بنسبها العامري وتسأله رفع الضريبة عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالى * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

فلما اطلع على قصيدتها ومقالها أجاب طلبها في جميع ما سألته عنه

آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون

كانت من خيار النساء المعدودات تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ولم تلد منه مدة حياتها معه وكان يحبها لحسنها ولكمالها مطيعا

وكان فرعون راى مناما قدهاله فاحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته وقص عليهم رؤياه فحذروه من مولود يولد في ذلك العام ويكون هو سببا لخراب ملكه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في ذلك العام من بني اسرائيل وكان في دار فرعون بستان فيه نهر كبير فخرجت الجواري اليه ذات يوم

ليغتسلن فيه فوجدن تابوتا فاخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت فيه غلاما فالقى الله عليه محبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا فلما بلغ الذباحين ان فى دار الملك غلاما استأذنوه بان يدخلوا داره و يذبحوا الغلام تنفيذا الامر فاذن لهم بذلك فاقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الغلام فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا ليس من بنى اسرائيل فان أتى فرعون استوهبته منه فان وهبه لى كنتم أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا مانع من ذلك ثم انها اتت به الى فرعون وقالت له ليس لى ولا لك ولد فلا تقتلوا هذا عسى أن ينفعنا فسمح به اليها أن تربيه فلما أمنت آسية عليه سمته موسى وأحضرت المراضع فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية عليه أن يمنع من اللبن فيموت فامرت باخراجه الى السوق ترجو أن يصيب امرأة يرضعه من ثديها الى أن أتت أمه وأعطته ثديها فرضع منها فانطلق البشير الى آسية يبشرها بانه وجد لابنها امرأة مرضعة فامرت باحضارها وقالت لها امكثى عندى لترضعى ابنى هذا فانى لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لها لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتى فيكون معى ولا أولى له الا خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى فأعطتها اياه فاخذته ورجعت الى بيتها فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن ترينى ابنى فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت لخواصها وجواريها لا يبقى منكن أحد الا استقبل ابنى بهدية ومكرمة فانى باعثة بأمينة تحصى ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على آسية فلما دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقى به الى فرعون ليكرمه فلما دخل عليه أكرمه ووضعه فى حجره فتناول الغلام لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعيرات فغضب غضبا شديدا وخاف منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك آسية فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك فى هذا الصبى الذى وهبته لى فاخبرها بما فعل فقالت له انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بينى وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر علمت انه صبى ثم وضعت له طشتا فيه الياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد الغلام يده الى الجوهر ليقبض عليه فزاغت عينه الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها فى فمه فجاءت على لسانه فاحرقته فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وأنه صبى لا يعقل فكف عن قتله

وكانت يوما مطلعة من كوة فى قصر فرعون اذ نظرت الى الماشطة امرأة حزقيل تعذب وتقتل فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت آسية الويل لك يا فرعون فقال لعلك قد اعتراك الجنون الذى اعترى صاحبتك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى آمنت بالله ربى وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذى أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالهها فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فابت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله وهى تقول رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله رحمها الله رحمة واسعة

﴿ اعتماد زوجة المعتمد بن عباد ﴾

هى أم أولاده وتشتهر بالرميكية وسبب اتصالها بالمعتمد هو كما قيل ان المعتمد ركب فى النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لوزيره أجز (صنع الريح من الماء زرد) فاطال الوزير الفكرة فقالت

امرأة من الموجودات على ضفة النهر (أى درع اقتال لوجد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هى غاية فى الحسن والجمال فاعجبته فسألها أذات بعل أنت قالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء

ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة فى المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله والقصيدة أولها

ألا حى بالغرب حيا حلالا * أناخوا جمالا وحازوا جمالا

وعرّس بيومين أم القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أرلية بنى عباد

ومنها

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ما تساوى عقالا

فجاءت بكل قصير العذار * لئيما يجارين عما وخالا

قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا

أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا

أعانق منك القضيب الرطيب * وأرشف من فيك ماء زلالا

وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيأ فشيأ * وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له

يا سيدى * لقد هنا هنا

فقال

قالت لقد هنا هنا * مولاى أين جاهنا

قلت لها الاهنا * صيرنا الى هنا

أغسطينا عذراء سرقسطه

عذراء توفيت فى كوتا من اسبانيا فى شهر حزيران سنة ١٨٥٧ بعد أن طعنت فى السن كانت فى صباها تبيع مشروبات فى سرقسطه فلما حاصر الفرنسيون المدينة المذكورة سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٠٩ اشتركت فى المدافعة واشتهرت بما أبدا منها من الشجاعة ولقبت بلرتيلبارا ومعناه طوبجيه لانها انتزعت فتيلة من لبرطوبجى كان فى حالة النزع وأطلقت المدفع على المحاصرين ومكافأة لها على خدمتها فى وقت الحصار وجهت اليها قيادة فرقة من العساكر الاسبانيولية مع عدة نياشين واستمرت فى القتال حتى حازت النصر مرارا بفرقتها على الفرنساويين

افروسينى القديسة

ولدت بالاسكندرية نحو سنة ٤١٣ للميلاد وكان أبوها من الاغنياء وتربت هى على العبادة والتقوى ونذرت نفسها للبتولية وأنها لا تقبل زوجا لها بالكلية فلما بلغت مبلغ النساء أراد أبوها أن يزوجها باحد أقربائها فلما أيقنت ذلك لبست ثوب رجل وفرت من بيت أبيها والتجأت الى أحد النساك ثم مضت الى أحد الاديرة وسمت نفسها ازمردفقبلها الرهبان ولم يعرفوا أمرها فاخذ أبوها يبحث عنها حتى جاء الدير وأخبر الرئيس بالخبر وهى حاضرة تسمع بدون أن يعرفها أبوها ولا الرئيس فكانت تخاف أن تعرف وعلى

الخصوص ان أباها تردد كثيرا الى ذلك الدير وكان يشكو للرئيس أمرها واستمرت على هذه الحالة ١٨ سنة وقيل ٣٠ سنة وهي ملازمة للصلاة والصوم والتقشفات والعبادة الحارة حتى مرضت وعرفت أن أجلها قد اقترب فدعت والدها وكشفت له أمرها وتوسلت اليه أن يفرح بذلك ثم توفيت

﴿ افروسيني امبراطورة الشرق ﴾

هي امرأة الكسيس الثالث الملقب انجلوس (أي الملاك) ودبرت على وضعه على تخت الملك عوضا عن أخيه اسحق انجلوس سنة ١١٩٥ غير أنها هي التي ملكت بالحقيقة وكانت موصوفة بجودة العقل والشجاعة والفصاحة غير أنها كانت متكبرة وسيرتها غير مرضية فعلم بذلك الكسيس سنة ١١٧٨ وخشي حدوث فتنة شديدة فطردت افروسيني من البلاط وحبست في دير وسنة ١١٨٤ استدعاها الامبراطور الى البلاط غير أنها لم تتهنأ بالملك ثانية من جرا ثورة الكسيس الملقب بالشباب وهو ابن أخي الكسيس الامبراطور فانه ثار على الامبراطور بعد خذلانه في حرب البلغاريين واستنجد الجيوش الصليبية فاتت لمساعدته ولما استولى الفرنسويون في الحرب الصليبية الخامسة على القسطنطينية هربت افروسيني وطافت مدة مع زوجها في آسيا ثم قبض على زوجها وحبس فبقيت منفردة من سنة ١٢١٠ الى أن توفيت سنة ١٢١٥

﴿ أفذوكسيا زوجة الامبراطور اركاديوس ﴾

اثليا ابنة الكونت بوتون الفرنجي قائد بتودسيوس الكبير زوجها اطروبيوس الخرجي بالامبراطور اركاديوس وباسم اركاديوس ملك كلاهما ولما سقط اطروبيوس من الملك حكمت افذوكسيا بالقسط بين الناس ولم تقبل رشوة البتة كعادة ملوك ذلك الزمان ولما نفت القديس يوحنا فم الذهب سنة ٤٠٣ لانه وعظ عن زينة النساء وأبطل زهرهن وشعب عليها الشعب فاستدعته بعد أشهر ثم نفته سنة ٤٠٤ لانه وبخ الشعب بقوة على ما حدث من الامور الغير اللائقة عند نصب تمثال افذوكسيا ثم توفيت افذوكسيا وكانت قد ولدت لاركاديوس تيودسيوس الثاني

﴿ أفذوكسيا ابنة الفيلسوف ليونكيوس اليوناني ﴾

امرأة تيودسيوس الثاني كان اسمها قبل أن تعمدت وتزوجت اثيناس وكان أبوها قد علمها العلوم الفلسفية والمعارف والآداب وكانت فوق ذلك بديعة الجمال ولما رآها أبوها في درجة عالية من حسن العقل والجد حرمها من ميراثه لعلمه بكفايتها في تحصيل أكثر مما يلزمها فتوجهت الى القسطنطينية تطلب حقها من الامبراطور بلكيريوس فعجب من علمها وحسن تصرفها وزوجها بأخيه تيودوسيوس سنة ٤٢١ ثم تممل العلوم واشتهرت بها ونشطتها فازدحمت على بابها أقدام العلماء وأحبها واحد منهم يقال له بولنيوس فقتله تيودوسيوس غيرة اذ رأى كثرة اتصاله بها وأسقط منزلة أفذوكسيا وطلبت الرحيل الى بيت المقدس فأذن لها وأتبعها الملك بالرقباء وأمر والي أورشليم بقتل خوري وشماس كانا يترددان اليها فغضبت أفذوكسيا وقتلت الوالي فنزع عنها الملك كل شرف واستحقاق ملكي وكانت أفذوكسيا قد تبعت رأي أوطيخا غير أنها ارتدت بارشادات القديس أفثيموس وتوفيت باورشليم سنة ٤٦٠ بعد أن برأت نفسها بالاقسام من التهم التي اتهمها بها الامبراطور وكانت قد أسست أديرة وكنائس وألفت عدة تآليف وكتب سيرة حياتها فليفنور المؤرخ الشهير

﴿ أفذوكسيا ابنة أفذوكسيا زوجة فالنتيانوس ﴾

كانت أفذوكسيا امرأة تيودوسيوس وتلقب بالفتاة ولدت في القسطنطينية سنة ٤٢٢ ولما قتل

زوجها كان شخص يدعى مكسيموس شريكا فى قتله وهى لم تعلم ذلك فتزوجته وزوجت ابنتها بابنه لكنها لما علمت الامر من نفس مكسيموس استدعت الى ايطاليا جنسريك ملك القندالة فاكتسح رومية وأبقى أفذوكسيا عنده سبع سنين ثم رجعت الى القسطنطينية سنة ٤٦٢ وأكملت حياتها بالرياضات والعبادة

أفذوكسيا زوجة الامبراطور قسطنطين دوكاس

دعت لنفسها بالملك بعد وفاة زوجها سنة ١٠٦٧ لتثبت لاولادها حق الملك وأراد بعض كبراء الدولة ان يخلعها من السلطنة فحكمت بقتله غير أنها لما رأته خلب لبها جماله غضت عنه وجعلته قائد جيوش المشرق ثم تزوجته سنة ١٠٦٨ بعد أن احتالت على البطريك كسيفينوس وأخذت منه صكا كانت قد تعهدت فيه لزوجها الاول انها لا تتزوج بعد موته طول حياتها ولما تولى الامبراطورية ابنها ميخائيل بعد ثلاث سنين من زواجها حبسها فى دير وكانت أفذوكسيا قد تضلعت من العلوم وألفت تآليف معتبرة منها تأليف فى نسب المعبودات والابطال من رجال ونساء وهو كتاب لطيف جدا وكتاب فى تعليم النساء وكتاب فى شغل الاميرات وكتاب فى عيشة الرهبانية الى غير ذلك من الكتب العلمية والتاريخية التى خلدت لها ذكرا فى بطون الاوراق

أفذوكسيا لابوشين امبراطورة روسيا

هى أول امرأة لبطرس الاكبر وأم الكسيس المنكود الحظ اتهمها زوجها بمواصلة رجل من الاشراف اسمه كابو وهجرها ثم نفاها الى دير بالقرب من بحيرة لادوغا وأما كابو فحكم عليه بالموت تحت العذاب الشديد ومع ذلك لم ينطق الابامراة أفذوكسيا ثم استرجع الامبراطور امرأته وماتت بعد ذلك بقليل

اكتافيا شقيقة الامبراطور اوغسطوس

زوجة مرقس انطونيوس توفيت سنة ١١ قبل الميلاد تزوجت أولا بكلوديوس مرشلوس وكان يوليوس قيصر يرغب فى فصلها عنه ليزوجها بپومبای الا أن پمبای أبى ذلك فبقيت مع زوجها ولما توفى سنة ٤١ قبل الميلاد تزوجها مرقس أنطونيوس فتمكن بذلك الاتحاد بينه وبين أخيها اكتافيوس وصحبت زوجها الجديد فى حروبه بالشرق وبواسطتها ازال ما كان بينه وبين أخيها من الخلاف سنة ٣٧ قبل الميلاد ثم سار مرقس أنطونيوس لمحاربة البرثيين فشغف بحب كليوباتره ولما أتت اكتافيا الى بلاد الشرق سنة ٣٥ قبل الميلاد بنجدات ومهمات ونقود لزوجها قبل ما أتته به ولكنه أبى مقابلتها فرجعت الى ايطاليا ولم ترغب قط فى مقابلة زوجها بل أقامت فى بيته وكانت تربى أولاده الا أن أخاها أوغسطوس ساءه ذلك وعزم على الاخذ بالثار فشهر الحرب على انطونيوس وكسره فى موقعة اكتيوم المشهورة غير أن مرقس بعث الى اكتافيا بكتاب الطلاق سنة ٣٢ قبل الميلاد فانتقلت الى بيت أخيها أوغسطوس وبعد وفاة زوجها المذكور جعلت أولاده من فولفيا وكليوباتره مع أولادها فكانت تربيهم تربية واحدة من دون فرق بينهم وكان لها خمسة أولاد ثلاثة من مرشلوس وابنتان من مرقس انطونيوس اسم كل منهما أنطونيا احداهما تزوجت بدوميتيوس أهنوبربوس دتبرون الذين جلسوا على تخت الامبراطورية الرومانية وماتت اكتافيا حزنا على ابنها مرشلوس الذى ولد لها من زوجها الاول فانه توفى فى عنفوان شبابه بعد أن كان أوغسطوس قد زوجه ابنته جوليا وعينه وارثا له فى الامبراطورية

وكانت اكافيا على جانب عظيم من التهذيب وحسن الاخلاق وجودة العقل وسعة المعارف وقد أجمع أهل زمانها على أنها كانت أجمل من كليوباتره

﴿اكافيا ابنة الامبراطور كلوديوس﴾

من زوجته مسالينا خطبها لوسيوس سيلانوس حفيد أوغسطوس الا أن أمها أبطلت تلك الخطبة وزوجتها بابنها نيرون من زوجها الاول دوميتيوس أهينوبربوس فطلقها لما جلس على تخت الملك مدعيا انها عاقر وتزوج بپوبيا وبعد ذلك نفاها الى اكمبانيا لان پوبيا اتهمتها بعشق عبد مصري شاب اسمه أوساروس كان يحسن الغناء بالمزمار فاضطرب لذلك وساءهم هذا الظلم جدا فاضطر الى أن يطفىء غيظهم نيرون فاستدعى اكافيا الى رومية فقابلها الشعب باكرام وسرور لا مزيد عليهما وكسر واتمثال پوبيا فعزمت هذه على الانتقال وحرمت نيرون بتذمرها لذيذ المنام فأمر انيسيت قاتل أمه أن يصرح انه ضاجع اكافيا فنفاها الى جزيرة بنداتاريا وهنالك قطعت عروقها لقتلها بنزف دمها فمنعت الرعبة جريان الدم فخنقت ببخار حمام حار وأرسل رأسها الى پوبيا سنة ٦٢ للميلاد وكان لها من العمر حينئذ ٢٠ سنة فقط

﴿اليصابات زوجة زكريا﴾

هي أم القديس يوحنا المعمدان وقد ولدته في شيخوختها بعد أن كانت عاقرا وكان أبوها من نسل هرون وامها من سبط يهوذا ولذلك كانت من ذوات قرابة السيدة مريم العذراء وقد زارتها السيدة المذكورة في حبرون (الخليل) في أيام حملها وذهب القديس بطرس الاسكندري الى انها تركت تلك المدينة عند ما قتل هيرودس الاطفال والتجأت مع ولدها الى كهف في جبال يهوذا فماتت هناك بعد أربعين يوما من دخولها الكهف المذكور وتركت القديس يوحنا وحده من دون معين فأقام على هذا الحال مدة طويلة وقد أطنب المؤرخون في تعداد فضائلها ووصف تقواها

﴿اليصابات ابنة هنري الثامن ملكة انكلترى﴾

ولدت لهنري من زوجته حنة بولين وآخر من ملك من بيت تودور ولدت سنة ١٥٣٣ وتوفيت سنة ١٦٠٣ جعلت ولية للعهد حال ولادتها وذلك بموجب قرار صدر من المجلس العالي وبه حرمت أختها ماري ابنة كاترينا الاراغونية من الملك مع أنها كانت أكبر منها بسبع عشرة سنة وفي السنة الثالثة من عمرها حدث ما أفضى الى قتل أمها فصرّح بنها ابنة غير شرعية وتبدل ما كان لها من الاعتبار بالاحتقار وتعلمت اليصابات اللغات اللاتينية والفرنسوية والايطاليانية والاسبانيولية والفلمنكية وترجمت مؤلفا من اللغة الايطاليانية الى انكليزية وجعلته تقدمة لرابتها غير أنها كانت تفضل التاريخ على ما سواه من العلوم وشاركت أخاها في الدروس التي ألقاها عليه رجل من أوفر أهل انكلترا علما وأوسعهم معرفة ولما توفي هنري الثامن في سنة ١٥٤٧ أوصى بالملك من بعده لابنه ماري ولليصابات من بعدها وعين لليصابات مرتبا وافرا وكان الناس حينئذ يحسبونها مناظرة لاختها ماري ورئيسة للحزب البروتستانتي كما كانت ماري رئيسة للحزب الكاثوليكي وسنة ١٥٥٤ تزوجت ماري بفيليب الثاني ملك اسبانيا وأمست تؤمل أن ترزق منه ولدا يرث الملك من بعدها وكان فيليب يعامل اليصابات باللطف ويظهر لها الوداد وتمكنت الصداقة والمحبة بين الاختين في الاشهر الاخيرة من حياة ماري ولما توفيت ماري سنة ١٥٥٨ خلفتها اليصابات على تخت الملك من دون ممانع وبعد ستة أشهر من جلوسها على التخت أبطلت الصلوات الكاثوليكية من كنيستها

الخصوصية وأبت فى أول الامر أن تلقب برئيسة الكنيسة البروتستانتية وسمت نفسها والية لها الا أنها أنفذت فيها سلطتها أخيرا ولم يكن لها معارض فيما تفعله وكان القوم فى فرنسا يدّعون لمارى ستوارت ملكة سكوتلاندا بحق التملك على انكلترا وكانت هذه الدعوى من شأنها أن تأتى بنتائج رديئة وتسوق الى الحرب وأخذت اليصابات تتداخل فى أمور سكوتلاندا ونجح الحزب البروستانتى فيها بمساعدتها وحاول البابا بيوس الرابع أن يرد المملكة الى الدين الكاثوليكى فخبط سعيه وأرجعت قيمة المسكوكات الانكليزية الى ما كانت عليه سنة ١٥٦٠ فنشأ عن ذلك الاصلاح خير عظيم ونجاح للبلاد وأرسلت الى الهوغنو الفرنسويين امدادا من المال والسلاح والرجال وأمدّت أيضا بروتستانت الفلمنك سرا ولما طلبت مارى ملكة سكوتلاندا أن يسمح لها أن تنطلق بأمان من فرنسا الى سكوتلاندا لم تجبها اليصابات الى طلبها ويقال انها حاولت القاء القبض عليها وسنة ١٥٦٣ طلب اليها المجلس العالى أن تتزوّج لان مسئلة ارث الملك مما يهم رعاياها وخطبها كثيرون من انكلترا والبلدان الاجنبية وكان من أعظم الانكليز الذين رغبوا فى الاقتران بها (هنرى فتزالان) ثامن عشر أرلات ارندل وآخرهم وطلب اليها أيضا أن تعترف بمارى ستوارت ولية للعهد فأبت ولم تبرم المسئلة وخطبها شارل التاسع ملك فرنسا فلم تجبه الى سؤاله ومن جملة الذين رغبوا فى الاقتران الارشيدوق كارلوس ابن أمبراطور المانيا وكانت محبة الارشيدوق تنمو يوما فيوما فى قلبها وكان الناس ينتظرون يوما فيوما اقتران الملكة بحبيبها وساء اليصابات تزوّج دارنلى بمارى ستوارت وتكدر الانكليز عموما من ولادة ولد لهما لان ذلك دل على أن الملك سينتقل فيما بعد الى كاثوليكى وفى تلك الاثناء حدثت قلاقل داخلية جديدة واشتدّت المصاعب الخارجية على الدولة لان قبول المضطهدين الفارين من الفلمنك فى انكلترا وتأمينهم على أرواحهم ساء اسبانيا فأهينت الراية الانكليزية فى خليج مكسيكو وكذلك سفيرها فى مدريد فاستولت الملكة على مال لاسبانيا وجدته فى سفن اسبانيولية التجأت الى مرافىء انكلترا ولما حجز الفلمنكيون أملاك الانكليز فى الفلمنك وسجن أصحابها أمرت بالقبض على كل الاسبانيول المقيمين فى انكلترا وعلى سفير دولتهم أيضا وخاطبت فيليب الثانى فى ذلك رأسا فأجابها بكبرياء وتهددها بالحرب وكان دوق نرفلك قد انحاز الى مارى ستوارت وتعلق بها فحذرته اليصابات من ذلك ثم ألقت عليه القبض وسجنته وسنة ١٥٦٩ حدثت الثورة الشمالية العظيمة تحت رياسة ارلى وستمورلاند ونورثمبرلاند الكاثوليكيين فأخمدها ارل سكس فى الحال وقتل ٨٠٠ من العصاة وسنة ١٥٧٠ حرم البابا بيوس الخامس الملحد اليصابات وعلق رجل من الكاثوليك اسمه فلتون نسخة من الحرم على باب قصر الاسقفية فى لندن فقبض عليه وقتل صبرا وبعد أن حبط مسعى القوم فى عقد الزواج بينها وبين الارشيدوق كارلوس عرض عليها أن تتزوّج بدوق انجو الذى صار فيما بعد ملكا لفرنسا وسمى هنرى الثالث وكان آخر رجل من بيت فالوا فلما ألقيت المسئلة على ديوان المشورة قال بعض الاعضاء ان الدوق لا يلائم الملكة لانه أصغر منها سنا (كان عمره ٢٠ سنة وعمرها ٣٧) فأغضبها ذلك جدا ويستدل من هذه الحادثة وما أشبهها انها لم تكن تراعى جانب الخلوص فى مثل هذه الامور وأنها كانت تغتاظ غيظا شديدا عندما ترى أحدا من خاطبيها يتزوج بغيرها بعد أن ييأس منها وجعلت (سسيل لورد بورليغ) وزيرا لها ووجهت اليه نظارة الخزينة والى السير توماس سميث مستشارية الدولة وحصل لهاتون أهمية كبرى لان الملكة أحبته كثيرا لكمال صفاته وجماله واتهمها الناس انها اتعشقته وحبا بنفعه نزعت من اسقف لها كثيرا من الاوقاف وبعثت اليه برسالة فى ثلاثة أسطر غاية فى الخشونة وفى أثناء الكلام عن اقترانها بدوق انجو عرضت عليها أمه أن تزوجها بأخيه النسون وكان أصغر منها باثنتين وعشرين سنة قبيح الخلق والخلق ثم انقطعت المراسلات بين اليصابات وانجو فطلب اليها الامبراطور مكسيمليان الثانى أن تتخذ ابنه رودلف بعلا لها مع

انها كانت فى العمر أكبر من أمه وعرض عليها أيضا هنرى دونوارة الا أن قلبها كان لم يزل متعلقا بدوق انجو وأظهرت انها عدلت عنه لاسباب دينية وحاول فيليب الثانى أن يقتلها فواطأ على ذلك كلا من نرفلك ومارى ستوارت فكشفت المؤامرة وقتل نرفلك ثم استأنف الكلام عن اقترانها بالنسون أخى دوق انجو وأصدر المجلس العالى قرارا بقتل مارى ستورت فلم تسلم اليصابات بذلك وفى تلك الاثناء حدثت ملحمة سنت برتلماوس سنة ١٥٧٢ فاشتد غيظ الانكليز وهاجوا على مارى وطلبوا قتلها فلم تجبهم اليصابات الى ذلك رأسا بل قبلت بتسليمها الى السكوتلانديين الذين كان الانكليز يعتقدون أنهم يقتلونها حالما يقبضون عليها وسنة ١٥٧٥ طلب الهولانديون الى اليصابات أن تملك عليهم لانهم كانوا يعتبرونها من نسل فيليبا دوهينو فلم تجبهم الى ذلك ولا ساعدتهم ولكنها قبلت سنة ١٥٧٨ أن تمدهم بالمال والرجال واشترطت عليهم شروطا يمكنها بها أن تسترجع ما تنفقه عليهم وحدث فى ايرلاندا ما أتعبها وأقلقها وكان الايرلانديون يسمون الحرب التى أقامها اللورد منجوى هناك حرب الساحرة استهزاء بالملكة وتكاثرت المؤامرات حولها وكان محورها مارى ستوارت وكان لليسوعيين يد قوية فيها وثبتت مداخلة مندوزا سفير اسبانيا فى احداها فأكره على الخروج من انكلترا وقتل وسجن كثيرون من المتآمرين أما فيليب هوردارل ارندل وابن دوق نرفلك فحكم عليه بالقتل وبعد أن حبس مدة طويلة مات فى السجن وألف ليسستر جمعية لوقاية الملكة ممن سماهم بالمتآمرين الثانويين وأثبت المجلس العالى ذلك بقرار أصدره وعزم على قتل مارى ستوارت اذ سعت فى قتل اليصابات ثم كشفت مؤامرة تحت رياسة انتونى بابنتون كان فى نيتها قتل الملكة واخلاء سبيل مارى فعاد ذلك بالويل على مارى بدلا من أن تجنى منه نفعا فجرت محاكمتها واختلف القضاة فى ذلك اختلافا عظيما غير أنه حكم عليها بالاشتراك فى المؤامرة وقتلت فى فوثرنغاى فى ٨ شباط (فبراير) سنة ١٥٨٧ فحزنت عليها اليصابات ظاهرا حزنا شديدا وقد تقرر فيما بعد واتضح جليا أن توقيعها على الحكم الصادر بقتل مارى كان محض تزوير ومما لا ريب فيه أنها أرسلت الى قلعة فوثرنغاى من دون علمها ولا أمرها وكانت أحوال فرنسا مما لا يوجب الخوف من هذا القبيل الا أن البابا وملك اسبانيا كانا من أعداء اليصابات الالداء يرغبان فى تنكيلها وقهرها فحرمها البابا سكستوس الخامس وشهر عليها حربا صليبية وادعى فيليب الثانى بتاج الملك وبنى دعواه على انه وارث شرعى لبيت لانكستر لكونه من سلالة ابنتى جون اف غونت اللتين ملكتا برتوغال وقصطيلة وجهز جهارا للحصول على مطالبه ووعده البابا بمساعدات كثيرة شرطية وفى تلك الاثناء أغار دراك على سواحل اسبانيا فعاث فيها ونهب سفنها وهجم على مينا قادس فالحق بسفنها ضررا كبيرا وتهيأ الانكليز بسرعة لملاقاة عسكر فيليب فنزعوا الشقاق من بينهم واتحد الكاثوليك والبروتستانت وباقى الشعب فكانوا يدا واحدة وجهزوا اسطولا مؤلفا من ١٨٠ سفينة تحت قيادة اللورد هوردا اف افنغام وقيادة دراك وفروبيشر وهوكنس وجمعوا جيشين مؤلفين من ٦٠ ألف مقاتل أما الاسطول الاسبانيولى فسار من اسبانيا فى ٢٩ أيار (مايس) سنة ١٥٨٨ لغزو انكلترا ولكن هبت زوبعة شديدة أكرهته على الرجوع ولم يلتق الاسطولان الا فى شهر تموز (جولية) فتقاتلا قرب ساحل انكلترا وبعد أن استمرت الحرب بينهما مدة سبعة أيام انكسر الاسبانيون وتبدد شملهم وسنة ١٥٨٩ أرسلت اليصابات جيشا لتخليص البرتوغال من أيدى الاسبانيول فصادف فشلا مع انه خرج من البحر ووصل الى ضواحى لسبون وأمدت هنرى الرابع ملك فرنسا بالمال والرجال لانه كان يحارب اسبانيا والاتحاد المشهور بين سنة ١٥٩٠ وسنة ١٥٩١ وسنة ١٥٩٣ التأم المجلس العالى وبعد مشاحة جرت له مع الملكة خضع لها وساء اليصابات عزم هنرى الرابع على ترك المذهب البروتستانتى وكشفت مؤامرة عقدها جماعة أرادوا أن يدسوا اليها السم فى شراب أو غيره وقتلت رودريا

غولوس وهو بهورى اسبانيولى الاصل كان فى خدمتها عدة سنين وذلك لاشتراكه فى تلك المؤامرة وفى ذلك الوقت عمت الاضطهادات الدينية انكلترا كلها وقتل كثيرون من وجوه البيورتيانة وكانت الحرب مع اسبانيا جارية على قدم وساق وسنة ١٥٩٦ فتح قادس اسطول وجيش انكليزيان تحت قيادة هوردا ف افنغام واسكس وكان اسكس حينئذ أكثر أهل انكلترا نفوذا وسطوة الا أنه لقصر عقله وسوء تدبيره لم يعد عليه مركزه ولا اعتبار الملكة له بأقل نفع وكثرت الدسائس فى البلاط الملكى فامسى اسكس وهو أكرم رجال الدولة وأقلهم دراية آلة فى أيدى أهل الغايات والمطامع وأرسل اسكس لمحاصرة الاسبانيين فى بلادهم وفى الاقيانوس الاتلنتيكى ان فيليب الثانى حاول ان يجعل بنته ملكة لانكلترا فلم يفعل شيأ فأغضب لذلك الملكة ولكن لم تلبث أن رضيت عنه وتمكن من مقاومة بورليغ ومضادته الى أن عرف بورليغ المذكور ان بينه وبين ملك سكوتلاندا مراسلة ولما عزم هنرى الرابع على عقد الصلح مع اسبانيا ورأى ان ذلك مما يغيظ اليصابات عرض على انكلترا واسبانيا عقد الصلح وتوسط الخلاف بينهم فصادق بورليغ على ذلك وخالفه اسكس وفى مجلس من الوزراء عقدته الملكة للنظر فى مصالح ارلاندا حول اسكس قفاه للملكة باستخفاف فصفعته وقالت له اذهب لاسلمك الله فاغلظ لها ارل اسكس الكلام وهاج وماج وخرج من المجلس وبينما كان قوم يحاولون مصالحتهما توفى بورليغ فى ٤ اب (أغسطوس) سنة ١٥٩٨ وبعد ذلك بستة أسابيع توفى فيليب الثانى فرجع اسكس الى البلاط الملكى وبعد مدة وحيرة انتخب لورداوالبا لارلاندا وكانت تلك البلاد حينئذ فى حال تعيسة ولم يوجه اليه ذلك المنصب عن حب بل عن غيظ وسعى له فيه أعداؤه المدبرون على هلاكه وكان هو من أهل السياسة الدولية لا من المضطلعين بسياسة الاهالى ومن أهل الشرف لا من رجال الحرب فخبطت مساعيه فى ارلاندا فرجع منها من دون اذن وسلك طريق التهور والشطط فكان كالباحث على حتفه بظلفه فسيق الى دكة المجرمين فقتل عليها سنة ١٦٠١ وأمسى السير روبرت سسيل بن بورليغ أكثر وزراء اليصابات نفوذا وكان بينه وبين ملك سكوتلاندا مراسلة وطلبت الملكة أن هنرى الرابع ملك فرنسا يزورها فى دوفر لانه كان فى كالى الا انه أرسل اليها سفيره موسيو دى روسنى فقابلته ودار بينهما حديث مهم فانها تكلمت فى أول الامر عن ملك سكوتلاندا وقالت له انه سيخلفها فى الملك ويصير ملكا لبريطانيا العظمى كلها وهى أول من لقب بهذا اللقب ثم أرسل اليها هنرى الرابع سفارة أخرى فاحسنت ملتقاها وكان آخر اجتماعات المجلس العالى فى أيامها فى شهر تشرين أول (اكتوبر) سنة ١٦٠١ فقاوم الامتيازات الجائرة التى كانت قد منحتها فبلا مقاومة شديدة ولكن ادرأت أن مقاومتها له لا تجدى نفعا عدلت عنها بوجه لا يمس فيه شرفها وفى أوائل سنة ١٦٠٣ ورد عليها تشكيات شتى فاعتلت لذلك صحتها الا ان سبب موتها هو أنه أصابها ارل فى رتشمند فتوفيت فيها ودفنت فى ٢٨ نيسان هذا وان الحوادث التى جرت فى عهدها هى من أهم الحوادث التى جرت فى انكلترا والعصر اليصاباتى فى التاريخ الانكليزى هو من أزهى الاعصر وأزهرها وقد جعل له رجال السياسة والحرب والفلاسفة الكثيرون الذين نبغوا فيه من غيرهم من أهل الحذق والدراية مقاما فى تاريخ العالم لم يتجاوزه عصر البتة والحوادث المهمة التى جرت فى حياة اليصابات مقررة ثابتة لا يتدافع فيها اثنان أما أوصافها فقد اختلف فيها المؤرخون وهذه ترجمة ما ذكره عنها فرود فى آخر تاريخه قال ان مركزها من أول الامر كان متعبا جدا وتعلقها بالمسترتعلقا مشؤما أو غير مرسب جعلها تكره الزواج وما حل بها من اليأس زاد أطوارها غرابة ولم تتحزب للاصلاح عن طيب خاطر بل ظروف زمانها احكمت عليها بذلك فاضطرتها الى وقاية الاراتقة والعصاة مع أنه لم يكن لها صالح فى مقاصدهم ولا كانت تؤمن بتعاليمهم وكانت تشعر بالضرورة حال خضوعها لها وما بدا منها من التردد نشأ عن حملها رعاياها على سلوك طريق تكرهه المسير فيه وكانت حاذقة

جدا تدرك دقائق الامور الا أنها لم تكن تهتم كثيرا بالامور الخطيرة وكانت خالية عن الانفعالات النفسية التى تجعل للطبع البشرى قوة وثباتا غير أنه كان لها صفة أدبية سامية جدا وهى الشجاعة فاستمرت ثلاثين سنة عاكفة على قتل الناس ولم يلحق بعقلها من جراء ذلك خلل ولا هالها أمر القساوة وكانت تحتقر التنعم والحلم فى غير موضعهما وتحب البساطة فى المعيشة وتقوم باشغال صعبة وتسلك مسلك الاقتصاد فى بيتها ومع أن غرورها لم يقف عند حد لم يحل لها التملق البتة وكانت اذا سمعت غيرها يتكلم بالكذب لا تنفر منه ولذلك هان عليها ارتكاب الكذب وكانت كثيرة الدهاء والحيل لا تلوح عليها البساطة الا عندما تخاتل وتخادع وكانت اذا وعدت بشرفها تنسى ما وعدت به فضلا عن أنه لم يظهر منها البتة ما يدل على أنها تفهم معنى الشرف ولاغترارها بدرايتها وفهمها كانت لا تقوم بتغيرات يسددها اليها بورلايغ من دون أن تلحق ضررا بالمملكة وبنفسها معا ولم تعدل عن مقاومة أو مضادة الابعد وقوعها فى المشاكل وكانت حذاقة بورلايغ المذكور وحذاقة ولسنغهام مما لا تكاد تكفى لتخليصهما منها والنتائج العظيمة التى حصلت عليها انكلترا فى أيامها لم تنشأ عن سياستها بل عن سياسة رجالها التى كان من رأيها أن تضعفها وتوهنها مع أن الامور كانت تقتضى عزما وحزما واجماعا ولم تركب فى ابرام الامور متن الشدة والعجلة ونسبوا ذلك الى حكمتها لانه طالما كانت له نتائج جيدة فربحت بذلك وقتا وأعقد مشاكلها ما كان حله حلا مرضيا مما يقدر عليه الوقت فقط وكانت تحب أن تملك بالراحة الى حين وفاتها تاركة للاجيال التابعة حل ما يعرض فيها من المشاكل وكانت ترغب كل الرغبة فى أن تشتهر بالحلم والرأفة التى عاملت بها المتآمرين هى من الامور الغريبة التى لم يبارها فيها أحد الى الآن وكان بينها وبين أبيها فى هذا الباب بون عظيم فانه كان يعاقب رؤساء المتآمرين ويعفو عن أتباعهم أما اليصابات فقلما تمكنت من حمل نفسها على امضاء أمر بقتل بعض الاشراف على أنها كانت تستطيع أن تأمر بخنق فلاحى يوركشير عشرات بموجب النظام الحربى من دون أن يؤاخذها ضميرها فى ذلك والحاصل أنها طالما كانت صارمة عند وجود الحلم وحليمة عند وجود الصرامة وسبب نجاحها وسلامتها انما هو انقسام أعدائها وضعفهم لا حكمتها وثبات عزمها

اليصابات ملكة اسبانيا

ولدت سنة ١٦٠٢ وتوفيت سنة ١٦٤٤ وهى ابنة هنرى الرابع ملك فرنسا من زوجته ماريا رومديشى زفت الى فيليب بن ملك اسبانيا سنة ١٦١٥ وسنة ١٦٢١ جلس زوجها على تخت الملك وسمى فيليب الرابع فعهد زمام المملكة الى كونت أوليفارز وانهمك فى اللذات والملاهى فحاولت اليصابات أن تنبهه من غفلته وتحضه على مقاومة سياسة وزيره التى كان من شأنها أن تفضى بالبلاد الى الخراب فخاب مسعاها وسنة ١٦٤٠ حدثت ثورة فى قطلونية وانفصلت البرتوغال عن اسبانيا وساعدت عساكر فرنسا العصاة فاستفزت الملكة أهالى قسطيلة للقتال وفى مدة بضعة أسابيع جمعت جيشا مؤلفا من خمسين ألف مقاتل ثم سارت الى القصر الذى كان يتنعم فيه الملك فى بونرتيرو فأخذت ولدها من يده وقالت للملك سيدى ان هذا الغلام ولدنا الوحيد سيكون أفقر انسان فى أوروبا ان لم تعزل حالا لتكم فى الحال وزيرا ساق اسبانيا الى الخراب فنفى أوليفارز ودبت الحماسة مؤقتا فى عروق فيليب أما اليصابات فقطعت كل علائقها مع بيت أبيها لانهم أمسوا ألد اعداء اسبانيا وقبضت على زمام المملكة بيدها وأخذ فيليب يحاول فى مقدمة عساكره استرجاع ما خسره من بلاده فلم يصادف نجاحا وأبدت اليصابات فى ادارة مصالح البلاد حكمة ومحبة لوطنها ووفقت بين الاحزاب بانذاراتها وفصاحتها وباعت حليها وقللت مصاريف بيتها كثيرا مساعدة للخزينة حتى حسب الاسبانيول وفاتها مصيبة وطنية وحزنوا عليها حزنا شديدا

﴿اليصابات بتروفنا امبراطورة روسيا﴾

هى ابنة بطرس الكبير من زوجته كاترينا الاولى ولدت سنة ١٧٠٩ وتوفيت سنة ١٧٦٢ تولت الملك بعد وفاة أبيها بطرس الثانى بن الكسيس (سنة ١٧٢٧ أو ١٧٣٠) وابنة عمها حنة ابفانقنا بنت أكبر أولاد بطرس الكبير (سنة ١٧٣٠ أو ١٧٤٠) ولم تكن اليصابات تميل الى التملك بل كانت تقول ان لذة الحب أشهى شئ اليها الا أن حنة جعلت ايفان ابن أنطونى أولريك دوق برنسويك ولى عهدها تحت وصاية أمه حنة لانه كان ولدا لم يبلغ من العمر الا بضعة أشهر وأوصت أن تكون وكالة الملك مدة قصيرة فى يد محبوبها بيرون فحرمت اليصابات الملك بذلك ثالثة ولم تقف الامور عند هذا الحد بل أمست حرية اليصابات فى خطر لان الحسد الذى ربى فى عروق أم الغلام الذى جعل ولياللعهد حملها على أن تتبصر فى التخلص من وكيل الملك ومن اليصابات نفسها فأشارت عليها أن تترهب الا أن استوق جراحها ومحبها واطأ جماعة على رد كيد أعدائها فى نحورهم وساعده على ذلك الحزب الروسى الوطنى ودسائس سفير لويس الخامس عشر ملك فرنسا فأفضى الامر بالمتآمرين الى حمل السلاح والخروج على الحكومة فغلبوا حنة وايفان ونصبوا اليصابات أمبراطورة فى شهر كانون الاول (دسمبر) سنة ١٧٤١ وجعلت حنة مع زوجها وكثيرين من حزبها فى السجن وحبس ايفان فى قلعة شلسلبرغ فلم يخرج منها فيما بعد وعهدت مصالح الدولة والبلاد الى جماعة من رجال اليصابات كانوا مثلها خالين عن الشهامة والدراية واستوت فيها محبة البطل والشهوات وبدا منها أحيانا ما دل على شدة قساوة وتوحش الا أنها كانت مرارا حليمة وكانت كريمة الاخلاق وقدرقت الى المناصب العالية رجالا روسيين من الافاضل وأهل السياسة وعينت بطرس ابن أختها حنة رشيس هلستين غترب المتوفاة وليا للعهد وانتصرت فى حرب جرت لها مع اسوج وانتهت بمعاهدة صلح انعقد فى آبو سنة ١٧٤٣ ثم كشفت مؤامرة أقيمت عليها فألقت القبض على المتآمرين وقاصتهم قصاصا شديدا وأمدت مريا تيريزا بجيش لمحاربة فردريك الكبير فساعدت بذلك على عقد معاهدة صلح فى اكس لاشابل سنة ١٧٤٨ ثم حركها كل من شوفالوف وبستوزف ضد بروسيا وكان قد ساءها استهزاء وقع عليها من ملكها فحالفت النمسا وفرنسا عليه فى الحرب المعروفة بحرب السنين السبعة وقامت عساكرها تحت امرة سوتيكوف وبوتورلين وأبراكسين وفرمور بأعمال جرت ويلات كثيرة على بروسيا فانتصروا فى موقعتى غروس ياغرندرف وكورنسدرف كلتيهما واستولوا على كلبرغ وحلوا فى نفس برلين ولما توفيت الامبراطورة تخلص فردريك من عدوة قوية وترجى أن يلقى مساعدة من خلفها بطرس الثالث أما الفساد الذى وقع فى بلاطها فاستمر فيه الى وفاتها وكان رازوموفسكى فى الاصل من القرق المجهولى الحسب والنسب فجعلته من بعض خدمها ثم جعلته نديمها ووجهت اليه رتبة فلدمارشال واتخذته لها بعلا فى السر ويقال انه أب لثلاثة من أولادها ومن الاعمال الخطيرة التى تذكر بها اليصابات تأسيسها المدرسة الكائنة فى موسكو واكاديمية الفنون المستطرفة فى بطرس برج وكانت تحب نشر الفنون المذكورة وجرى لها مع فولتير المشهور مراسلة مكنته بها من الحصول على المواد اللازمة لتاريخ أبيها

﴿اليصابات ملكة بوهيميا﴾

ولدت سنة ١٥٩٦ وتوفيت سنة ١٦٦٢ وهى ابنة جمس الاول ملك انكلترا كانت حسنة الصفات أديبة خطبها كثيرون فآثرت هى وأبوها فردريك الخامس المنتخب البلاتينى لانه كان على مذهب البروتستانت فعقد الزواج باحتفال عظيم سنة ١٦١٣ بلغت مصاريفه ٥٣ ألف ليرا وكان المهر ٤٠

ألف الى انكليزية وكان زوجها رأس الحرب البروتستانتي في المانيا ولما عرض عليه عصاة بوهيميا سنة ١٦١٩ أن يملك عليهم ألحت عليه باجابتهم الى ذلك وقالت له ان كنت تخشى أن تصير ملكا فلماذا تزوجت ابنة ملك ثم دخلت براغ وجلست على تخت الملك بأبهة غير أن مدة ملكهما لم تطل لان الجنود الامبراطورية تقدمت الى أملاك فردريك الاصلية وأغارت على بوهيميا أيضا وبعد موقعة براغ سنة ١٦٢٠ اضطر الامر كلا من فردريك وزوجته الملكة الى الفرار فأمنهما عمه موريس دوناسو في هاغ وولدت هناك أكثر أولادها ومن جملتهم البرنس روبرت المشهور في تاريخ الحروب الاهلية الانكليزية أما صغرى أولادها فصارت أميرة منتخبة (الهانوفر) وهي جدة البيت الملكي الانكليزي الحالي وولدت سنة ١٦٣٠ بعد ولادة شارل الثاني ابن أخيها ورجعت اليصابات الى انكلترا سنة ١٦٦٠ فأقامت نحو ستة أشهر في بيت اللورد كرافن وتوفيت به بعد وفاة زوجها سنة ١٦٣٨ وكان بينهما مودة عظيمة وقد تغزل السير هنري ووتن بمحاسنها في بعض أشعاره

اليصابات دوفالوا أو ايزابلا دوفالوا ملكة اسبانيا

ولدت في فونتينبلو في ١٣ نيسان (افريل) سنة ١٥٤٥ وتوفيت في مدريد في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٥٦٨ وهي ابنة هنري الثاني ملك فرنسا من زوجته كاترينا دومديشي خطبت بموجب معاهدة عقدت في انجلس سنة ١٥٥١ لادورد السادس ملك انكلترا الا أن ادورد المذكور توفي قبل قيام عقد الزواج ثم خطبت بموجب مقدمات معاهدة الصلح التي أبرمت في كاتوكمبريسيس للدون كارلوس بن ملك اسبانيا وفي ٣ نيسان (افريل) سنة ١٥٥٩ قررت المعاهدة ولكن اذ كانت زوجة فيليب الثاني والد الدون كارلوس قد توفيت اتخذها زوجة له عوض ابنه وسنة ١٥٦٠ أقيم في توليدو باحتفال عظيم للعرس

الينورا رغويانه

هي ابنة وليم العاشر آخر دوقات اكويتانيا ووارثته ولدت سنة ١١٢٢ وفي سنة ١٥ من عمرها تزوجت لويس الثامن ملك فرنسا فجعلت دوقية غويانه وغسكونيا وسنتونج وبواتو وبيارن مهرا لها الا أن طيشها وميلها الى الخلاعة والملاهي ساء لويس زوجها واشتد الخلاف بينهما في أثناء الحرب الثانية الصليبية وكانت قد صحبته فيها سنة ١١٤٧ فاستأذن مجمع بوجنسي في طلاقها فسمع له بذلك فطلقها سنة ١١٥٢ وبعد ذلك بـ[illegible] أسابيع تزوجت هنري بلانتاجنت كونت انجو ودوق نورمنديا الذي صار بعد ذلك ملكا لانكلترا وسمي هنري الثاني سنة ١١٥٤ فانتقلت بذلك ولايات اكويتانيا الى انكلترا الا أن زواجها هذا لم يكن خيرا من الاول لان نساء البلاط الملكي حسدنها كثيرا وقتلت روزمند احداهن وألقت الرعب في قلوب أهل البيت الملكي وحركت البنين على آبائهم فلما علم هنري بأعمالها فسجنها في دير سنة ١١٧٣ فلم تخرج من سجنها الا عندما جلس ابنها رتشرد الملقب بقلب الاسد على تخت الملك وذلك سنة ١١٨٩ وعهدت اليها ادارة المملكة مدة غياب رتشرد المذكور في الحرب الثالثة الصليبية وبعد رجوعه الى انكلترا عادة وجيزة دخلت دير فونتفرو وبقيت فيه الى أن ماتت سنة ١٢٠٣

الينورا دوغوزمان

امرأة اسبانيولية كانت تعتبر في زمانها أجمل نساء اسبانيا عشقها الفونس الحادي عشر ملك قسطيلة الملقب بالمنتقم واستعرت في قلبه نيران الغرام فغاب عن الهدى وافتتح فيها افتضاح العاشقين وخلع

العذار وتصامم عن كلام العاذلين وكان يعاملها معاملة زوجة فلا يستحي في هواها ولا يخشى لوم لائم ولولا أسباب سياسية مهمة جدا لطلق زوجته البرتوغالية واتخذها له زوجة بدلا منها غير أن الينوره لم تكن دون الملكة الا في اللقب فقط واستمرت ٢٠ سنة مالكة قلب الفونس وولد لها منه توأمان أحدهما هنرى روترنستامار الذي جلس على تخت الملك والآخر فردريك رئيس كافلير يه ماريوحنا ولما توفي الملك سنة ١٢٥٠ أرادت الملكة أن تنتقم من عشيقته فألقت عليها القبض في اشبيلية سنة ١٣٥١ ولم يتمكن ولداها من انقاذها مع أنهم ما بدلا في ذلك السبيل ما في وسعهما فقتلت خنقا في قصر الملكة على مرأى منها ومن ولدها بطرس الملقب بالعاص

﴿ الينورا زوجة دون جوان دوا كنها ﴾

كانت بديعة الجمال وكان زوجها غنيا الا أنه كان دونها في الشرف وأكبر منها سنا سار بها الى بلاط ليسبون ولما رآها فرديناندو الاول أسره حسنها ودلالها وحرمه حبها لذيذ المنام فأخذ يلاطفها ويغازلها ويؤانسها وطلب اليها أن تكون له عشيقة فأبت فحمل زوجها على أن يطلقها واتخذها له زوجة بعد أن قطع ما كان بينه وبين بنت الملك قسطيلة من العلائق فنشأ عن ذلك ثورة في ليسبون ولكنها أخمدت في الحال وجعلت الينورا ملكة سنة ١٣٧١ وكانت على جانب عظيم من الكبرياء والطمع فوجهت الى ذوي قرابتها أسمى المناصب وخشيت أن يقع بينها وبين أختها زوجة الانفنك دون جوان منازعة على تخت الملك فحملت دون جوان المذكور على قتلها وقتلت أيضا باقي أعدائها وغمرت المتحزبين لها بالعطايا والاموال ثم جعلت الدون جوان اندير ومن أعيان قسطيلة رئيس الوزارة ووجهت اليه لقب كونت أورين وذلك لانها كانت تحبه أكثر من زوجها وجعلها فرديناندو قبل وفاته وكيلة للملك فأشركت حبيبها المذكور في ادارة المملكة الا أن الوقت لم يصف لهما لان الدون جوان أراد أن ينزع الوكالة من يدها فدخل قصرها وقتل أنديرو في حضنها سنة ١٣٨٣ وتفاقم غيظ الشعب من سلوكها فخافت على نفسها وخرجت من ليسبون ولم تزل سائرة الى أن وصلت الى شنترين فاستدعت صهرها فرديناندو ملك قسطليه وتخلت له عن الملك وكانت تؤمل أن يأخذ بثارها من سكان ليسبون فانها كانت تبغضهم جدا الا أنه هو أيضا خشي عواقب خبثها وطمعها فحبسها في دير تورديز بلاس قرب بلادالوليد فتوفيت فيه سنة ١٤٠٥ بعد أن مزق الحزن فؤادها

﴿ امستريس زوجة دارا ملك فارس ﴾

اشتهرت بشدة انتقامها من امرأة شقيق زوجها اردانيت وكان زوجها قد عشقها وكان من عادة ملوك فارس أن يمنحوا زوجاتهم في بعض الاحتفالات أي شيء طلبنه فانتهزت امستريس تلك الفرصة وطلبت ان تدفع اليها اردانيت فأجابها الى ذلك فقطعت أنفها وأذنيها وحاجبيها ولسانها وثدييها وطرحت شلوها للكلاب فتحرك الغيظ في قلب زوجها ماسستس وعزم على أن يأخذ بثارها فلم تمهله امستريس بل أنفذت اليه من قتله ولكي تؤدي للآلهة شكرها على ما أولتها من نجاح مقاصدها الفظيعة قربت لها ١٤ شابا من أشراف فارس أمرت باحراقهم أحياء * انظر الى هذه العظمة والكبرياء التي كانت أول خراب ملك دارا حتى صار كما أرانا ه التاريخ

﴿ امستريس ابنة أخي داريوس ﴾

وامرأة ديونيسيوس طاغية هرقلية البنطس يظن انها أسست مدينة امستريس المسماة الآن امصري

أوحسنتها ويقال انها ابنة الملك داريوس لا ابنة أخيه كانت ذات جمال فائق وعقل رائق حتى سلبت عقول اليونان بحسن سياستها وتدبير أعمالها حالة كونها ابنة ألد أعدائهم وتوفيت وهم راضون عنها حتى ان بعضهم كان يعظمها مثل المعبودات

اليصابات كارمن سيلفا ملكة رومانيا

هو الاسم الذى انتخبته لنفسها وأصل اسمها اليصابات أوتيلى لويز رونويد ولدت هذه الملكة فى ٢٩ خلت من دسمبر سنة ١٨٤٣ ببلدة موترو بقرب نويدا اقترن بها فى الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ البرنس شارل دى هوهترلون الذى ألقيت اليه فيما بعد مقاليد الحكم برومانيا فقبل وجعل هذه الامارة من عداد الممالك المشهورة وذلك بعد حرب الترك والروس سنة ١٨٧٧ وقد رزقه الله فى بادئ الامر بنت يسحر جمالها الالباب وتأخذ نباهتها وذكاؤها بالقلوب ولكن لم يكن لها من طول الحياة نصيب حيث قصمت المنية عود شبابها وقد تسبب موتها لوالدتها من الآلام المرة مالا يمكن الفهم وصفه ومحا من مخيلتها ماهى فيه من العز والجاه والفخار ولها الحق فى أن تقدم نفسها ضحية على مذبح الهموم والاكدار لان بنتها وقطعة كبدها حلت من الادب والعلم الى درجة قل أن يدرك شأوها من كان أكبر منها سنا من الذكور والاناث وكان للملكة ميل غريزى للشعر كامن فيها فلما توفيت بنتها برز هذا الميل وقالت من الشعر الرقيق واللفظ الرشيق حتى انها حازت بين قومها شهرة لم يسبقها اليها من انتهى اليه علم الشعر وكانت لها المشاركة الكلية فى علم الادب والوقوف التام على كلام الفصحاء وأما خصالها الجيدة وأفعالها المحمودة فحدث ولا حرج فانها هى التى استحوذت على قلوب قومها واستولت على عقول عشيرتها بما لها من لهجة الجانب ووداعة الاخلاق والشفقة على المساكين من الرعايا والتلطف بهم وشاهدنا على ذلك لما كان زوجها يحارب تحت أسوار مدينة بلفنا بشجاعته المشهورة وشهامته التى لا تنكر كانت هى من جهة أخرى تداوى من أصيب بالجروح من العساكر وتسليه بالالفاظ التى لو كان به مهما كان لقام على قدم الصحة وشاركها فى طريق العافية والشفاء ولما عمل عقد السلم وانقشعت سحب الحرب عادت الى مقر وحدتها ومركز عزلتها وهو قصر السمائية لتسلم نفسها فى مخالب الحزن والهم على بنتها وتقطع حبل الوقت بمواصلة الليل بالنهار فى المطالعة

واليها تنسب الآن نهضة أهل رومانيا فى العلوم الادبية لاسيما فى الشعر منها ولما شدت أذن الشاعر المشهور اسكندر باشيلى الذى هو الآن معتمد رومانيا فى باريس ومدت اليه يد المساعدة فى الاعمال الفكرية والمؤثرة الشعرية ومؤلفات المترجمة عديدة كثيرة التباين والاختلاف فمنها ما هو نثر ومنها ماهو شعر وقد اشتهر فضلها فى البلاد الفرنساوية فأخذ علماء هذه الديار فى ترجمة مؤلفاتها النفيسة فقد ترجم الكاتب الشهير لويز أولياك كتابا لها عنوانه (خطرات أفكار ملكة) وترجم الكاتب سال مؤلفاتها الشعرية والحوادثية وممن تصدى الى كتابة تاريخ حياة هذه الملكة باللغة النمساوية جناب البارون هكارج وقد طبع تاريخ حياتها جملة مرات وكانت الطبعة الخامسة بمدينة هردلبرق سنة ١٨٨٩ وجناب الموسيو ميت كرمنتر طبعه بمدينة برسلو سنة ١٨٨٢ ومفصل ترجمة حياتها أيضا بقلم الموسيو سرجى طبع فى باريس سنة ١٨٩٠ ولم تشتهر ترجمة ملكة مثل ترجمة هذه الملكة

أم السعد ابنة عصام الحميرى

وتعرف بسعدونة من أهل قرطبة روت عن أبيها وجدها وغيرهما وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها هذا البيت

سألثم التمثال ان لم أجـد * للثم نعل المصطفى من سبيل

وهى قولها

لعـلى أن أحظى بتقبيله * فى جنة الفردوس أسنى مقيل

فى ظـل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواب من السلسبيل

وأمسح القلب به عـله * يسكن ما جاش به من غليل

فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهل الحب فى كل جيل

أم العلاء بنت يوسف الحجارية

كانت شاعرة لبيبة فصيحة أديبة ذات حسن وجمال وأدب وكمال لها قصائد طنانة وموشحات رنانة ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة فمن شعرها قولها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعلياكم يحلى الزمن

تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن

من يعش دونكم فى عمره * فهو فى نيل الامانى يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا ينجع فيه الصبا * بحيلة فاسمع الى نصحى

فلا تكن أجهل من فى الورى * يبيت فى الحب كما يضحى

ولها أيضا

افهم مطارح أحوالى وما حكمت * به الشواهد واعذرنى ولا تلم

ولا تكلنى الى عذر أبينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم

وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت فى متن من ذلك الكرم

وتوفيت فى بلدها وادى الحجارة بالاندلس

أم الكرام

هى ابنة المعتصم بن صمادح ملك المرية كانت تنظم الشعر وتقول العروض ولها الباع الطويل بالموشحات الاندلسية وقد افتخرت بها نساء العرب وكانت عشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمسار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب

لولاه لم ينزل بدر الدجى * من أفقه العلوى للترب

حسبى بمن أهواه لو أنه * فارقنى تابعه قلبى

أم الهناء ابنة القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية

سمعت عن أبيها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف فى القبور ولى أبوها القضاء فى المرية دخل داره مرة وعيناه تذرفان وجدا لمفارقة وطنه فأنشدته تمثله

ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات وهى

جاء الكتاب من الحبيب بانه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى

غلب السرور على حتى انه * من عظم ما قد سرني أبكاني

وبعده البيت السابق وبعد هذا البيت الآتي

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودعي الدموع لليلة الهجران

﴿ام بسطام بن قيس النصراني سيد بني شيبان﴾

كانت من نساء العرب المتقدمات في الادب ذات شعر رائق ومعنى فائق فمن قولها ترثي ولدها بسطام حين قتل يوم الشقيقة قتله بنو ضبة

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل * فقد بان فيها زينها وجمالها

اذا ما غدا فيها اغدون كأنهم * نجوم سماء بينهن هلالها

فيالله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها

عزيز مكر لايهد جناحه * وليث اذا الفتيان زلت نعالها

وحمال أثقال وعائذ مجحر * تحل لديه كل ذاك رحالها

سيبكيك عان لم يجد من يفكه * وتبكيك فرسان الوغى ورجالها

وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها

مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ * حروب اذا صالت وعز صيالها

فغشى بها حيا كذاك فجعت * تميم بها أرماحها ونبالها

فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمري عثرة لا تقالها

أصيبت به شيبان والحي يشكر * وطير يرى ارسالها وحبالها

﴿ام حكيم ابنة عبد المطلب الهاشمية الملقبة بالبيضاء﴾

كانت من النساء الحكيمات العاقلات في بني هاشم جمعت مع الحكمة وفرة الادب ومع البلاغة فصاحة العرب كانت مع أخواتها رثت أباها في حياته كطلبه بهذه الابيات

ألا يا عين جودي واستهلي * وبكي ذا الندى والمكرمات

ألا يا عين ويحك أسعديني * بدمعك من دموع هاطلات

وبكي خير من ركب المطايا * أباك الخير تيار الفرات

طويل الباع شيبة ذا المعالي * كريم الخيم محمود الهبات

وصولا للقرابة هبرزيا * وغيثا في السنين الممحلات

وليثا حين تشتجر العوالي * تروق له عيون الناظرات

عقيل بني كنانة والمرجى * اذا ما الدهر أقبل بالهنات

ومفزعها اذا ما هاج هيج * بداهية خصيم المعضلات

فبكيه ولا تسمي بحزن * وبكي ما بقيت الباكيات

﴿ام حكيم ابنة قارظ﴾

هي حليلة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كانت من فصحاء نساء العرب واحسنهن أدبا وجمالا وأثبتهن جنانا وكانت تقول الشعر وأكثر أشعارها رثاء على ولديها وكانا صغيرين اسم أحدهما عبد الرحمن والآخر

قثم فلما فاز معاوية بعد تحكيم الحكمين بعث بالضحاك بن قيس و بسر بن أرطاة بجيش وأمرهما أن يقتلا كل من كان من شيعة علي بن أبي طالب حتى الاطفال والحرم فذهب بسر الى اليمن وكان عبيد الله ابن العباس عاملا هناك فلما لم يجده أغار على بيته فعثر بولديه المذكورين فذبحهما بشفرة كانت معه فجزعت أمهما عليهما جزعا شديدا وخالط عقلها بعض الألم فصارت لا تعقل ولا تعي ولا تصغي الى قول داع ولا تقبل على نصح بل علقت تطوف الاحياء وتقصد المنتديات في المواسم وحيثما رأت مجتمعا رفعت صوتا يقطعه البكاء وتنشد مراثي يرق لها الجلمود ومن مراثيها قولها

يامن أحس بابني اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحس بابني اللذين هما * سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهف
يامن أحس بابني اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مختطف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته * شم الانوف لهم في قولهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته * هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دل والهة حرى مولهة * على حبيبين ضلا اذ غدا السلف

فكان كل من سمعها تنفجر منابع عينيه حزنا عليها وتتفطر صفاة قلبه رثاء لها فسمعها يوما يماني ذو نفس أبية ونخوة يمنية فذهب الى بسر وتلطف بالتزلف اليه حتى وثق به فخرج يوما بولديه الى وادي أوطاس وقتلهما ثم فر وأنشد

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت * شمس النهار ولا غابت عن الناس
خير من الهاشميين اللذين هما * عين الهدى وسمام الاسوق القاسي
ماذا أردت الى طفلي مولهة * تبكي وتنشد من أثكلت في الناس
اما قتلتهما ظلما فقد شرقت * من صاحبيك قناتي يوم أوطاس
فاشرب بكاسهما ثكلا كما شربت * أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

ومن قولها أيضا

ألا يا من بنى الاخوين * ن أمهما هي الثكلى
تسائل من رأى ابنيها * وتستسقي فما تسقى
فلما استيأست رجعت * بعبرة واله حرى
تتابع بين ولولة * وبين مدامع تترى

وقيل انه لما بلغ علي بن أبي طالب قتل بسر الصبيين جزع لذلك جزعا شديدا ودعا على بسر بقوله اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلب عقله فاصابه ذلك وفقد عقله وكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم وقيل دخل عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان وعنده بسر بن أرطاة فقال له عبيد الله أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ قال نعم أنا قاتلهما فقال عبيد الله لوددت أن الارض كانت أنبتتني عندك فقال فقد أنبتتك الآن عندي فقاما فقال عبيد الله ألا سيف فقال له بسر هاك سيفي فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر أخزاك الله شيخا قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك قال عبيد الله أجل والله وكنت أثني به

﴿ أم خالد النميرية ﴾

كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء والتدبير في قبيلتها بني نمير وهي مشهورة بأم خالد وشهرتها غلبت اسمها ولذلك لم تأت الرواة عليه ولها أبيات في ولدها خالد وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربة وهي

اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه * أتتنا بريات نصاب هبوبها
أتتنا بمسك خالط المسك عنبر * وريح خزامى باكرتها جنوبها
أحن لذكراه اذا ما ذكرته * وتنهل عبرات تفيض غروبها
حنين أسير نازح شد قيده * واعوال نفس غاب عنها حبيبها

وقالت وهو يروى لأم الضحاك المحاربية

وكيف يساوي خالداً أو نباله * خميص من التقوى بطين من الخمر

﴿ أم الخير ابنة الحريش بن سراقة البارقية ﴾

كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب وفدت على معاوية كما قال عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي ان معاوية كتب الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير ابنة الحريش ورحلها وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا بقولها فيه فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فاقرأها كتابه فقالت وأما أنا فغير زائغة عن طاعته ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لامور تختلج في صدري فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الى أنه مجازيني بالخير خيرا وبالشر شرا فما عندك قالت يا هذا لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لها وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم قالت يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب قال صدقت فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى سرت اليك فانا في مجلس أنيق عند ملك رفيق قال معاوية بحسن نيتي ظفرت بكم قالت يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تخشى عاقبته قال ليس هذا أردنا أخبريني كيف كان كلامك اذ قتل عمار بن ياسر قالت لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات نفثها [illegible] عند الصدمة فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت فالتفت معاوية الى جلسائه فقال أيكم [illegible] كلامها فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين قال هات قال كأني بها بين بردين زئبريين كثيفي النسج وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف أم رغبة عن الاسلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق الى أهله هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والرضي التقي والصديق الاكبر انها احن بدرية وأحقاد جاهلية وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ثم قالت فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان

الهم لعلهم ينتهون صبرا يامعاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لاتدرى أيا يسلك بها من فجاج الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ان من ضل والله عن الحق وقع فى الباطل ألا ان أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطالوا الآخرة فسعوا لها فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق وتعطل الحدود وتقوى كلمة الشيطان فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبى سبطيه خلق من طينته وترفع من نبعته وجعله باب دينه وأبان ببغضه المنافقين وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الاصنام صلى والناس مشركون وأطاع والناس كارهون فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أحد وهزم الاحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفرق به جمع أهوائهم فيالها من وقائع زرعت فى القلوب نفاقا وردة وشقاقا وزادت المؤمنين ايمانا قد اجتهدت فى القول وبالغت فى النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله فقال معاوية يا أم الخير ما أردتى بهذا الكلام الا قتلى ولو قتلتك ما حرجت فى ذلك قالت والله ما يسوءنى أن يجرى قتلى على يد من يسعدنى الله بشقائه قال هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله قالت وما عسيت أن أقول فى عثمان استخلفه الناس وهم به راضون وقتلوه وهم له كارهون قال معاوية يا أم الخير هذا اثناؤك الذى تثنين قالت لكن والله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ولكن كان سابقا الى الخير وانه لرفيع الدرجة غدا قال وما تقولين فى الزبير قالت وما أقول فى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فان قريشا تحدثت أنك أحلمها أن تعافينى من هذه المسائل وتسألنى عما شئت من غيرها قال نعم ونعمة عين قد عفيتك منها ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة الى الكوفة وبقيت فى عز الى أن توفاها الله

﴿أم سلمة زوجة السفاح﴾

هى ابنة يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومى وكانت ذات أدب وجمال ومال تزوج بها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هاشم فهلك عنها وسبب زواجها بالسفاح هو أنها بينما كانت ذات يوم جالسة فى منزلها اذ مر بها أبو العباس السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فارسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه سبعمائة دينار أوجه بها اليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا مملق لا مال عندى فدفعت اليه المال فانعم لها وأقبل الى أخيها فسأله التزويج بها فزوجه اياها فاصدقها خمسمائة دينار وأهدى لها مائة دينار ودخل عليها من ليلته واذا هى على منصة فصعد عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدفعت بعض الجوارى فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فرشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يغرنك هذا كذلك كان غيرك يصيبه مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت له محمدا وريطة وغلبت على أمره غلبة شديدة حتى انه كان لا يقطع أمرا الا بمشورتها حتى آلت الخلافة اليه فلم يكن يدنو من غيرها لا حرة ولا أمة ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فبينما كان ذات يوم فى خلافته اذ خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين انى فكرت فى أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ واستطراف الجوارى ومعرفة أخبارهن وحالاتهن والتمتع بما تشتهى

منهن فان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والفضة البيضاء والعقيقة الادماء والدقيقة السمراء
والبربرية العجزاء من مولدات المدينة تفتنن بمحادثتهن وتلذ بخلوتهن وأين أمير المؤمنين من بنات الاحرار
والنظر الى ماعندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء
والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة
والاوساط المخصرة والاصداغ المطرفنة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زيهن وزينتهن
وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد فى الوصف ويجد فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه
فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك يا خالد ما صك مسامعى والله قط كلام أحسن مما سمعته منك
فأعد على كلامك فقد وقع منى فأعاد عليه خالد أحسن من الاول ثم انصرف وبقى أبو العباس مفكرا فيما
سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت انى لا نكرك يا أمير المؤمنين فهل
حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت منه قال لم يكن من ذلك شئ قالت فما قصتك أخبرنى عنها فلم تزل به
حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله ينصحنى وتشتميه فخرجت من
عنده مغضبة وأرسلت الى خالد عشرة من الخدم ومعهم العصى وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا
صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلى وأنا فى غاية السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيت
اليه ولم أشك أن صلته ستأتينى فلم ألبث حتى صار أولئك الخدم وأنا قاعد على باب دارى فلما رأيتهم قد
أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة والصلة حتى وقفوا على فسألوا عنى فقلت ها أنا ذا خالد فبادر الى أحدهم
بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الى وثبت فدخلت منزلى وأغلقت الباب على واستترت ومكثت أياما
على تلك الحال لا أخرج من منزلى ووقع فى خلدى أنى أوتيت من قبل أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا
فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فايقنت بالموت فركبت وليس على لحم
ولا دم فلما وصلت اليه أومأ الى بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد أرخيت وحركة
خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين فقال ويحك انك وصفت لى فى آخر
دخلة من أمر النساء والجوارى مالم يخرق سمعى قط كلام أحسن منه فأعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين
أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وان أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان فى
جهد فقال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء
كأثهن فى قدر يغلى عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت
منك هذا فى حديثك الاول قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر صريح لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه
ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال
ويلك أتكذبنى قال أو تريد أن تقتلنى قال مر فى حديثك قال وأخبرتك أن أبكار الجوارى رجال ولكن
لا خصى لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا ان بنى مخزوم ريحانة قريش
وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لى
من وراء الستر صدقت والله يا عماه بهذا حدثت أمير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق بما فى نفسه عن
لسانك فقال له أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وهو يشتم وقد
أيقنت بالحياة فلما وصلت منزلى أخذت راحتى وصرت أفكر فيما حصل فما أشعر الا ورسل أم سلمة قد
صاروا الى ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فأخذتها وانصرفوا وبقيت أم سلمة عند
السفاح الى أن توفاه الله وهى مالكة قلبه

أم سنان ابنة جشمة

كانت من شاعرات العرب الموصوفات بالادب اللائى لهن اليد الطولى بالنظم والنثر مع رقة المعنى ودقة المبنى والحماسة الزائدة التى تقصر عنها حماسة الرجال وناهيك ما قالته فى مدح آل البيت وتحريض آل مذحج على نصرتهم وقد وفدت على معاوية كما قال سعيد بن أبى حذافة قال ان مروان بن الحكم وهو والى المدينة حبس غلاما ليس فى جناية جناها فأتته جدة الغلام وهى أم سنان ابنة جشمة المذحجية فكلمته فى الغلام فأغلظ لها مروان فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لها مرحبا يا ابنة جشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا قالت ان لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة وأحلاما وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو وان أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت قال صدقت نحن كذلك فكيف قولك

عذب الرقاد فمقلتى لا ترقد * والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا * ان العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كالهلال تحفه * وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد * ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهر الحروب مظفرا * والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا فقال رجل من جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهى القائلة

اما هلكت أبا الحسين فلم تزل * بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك سلام ربك ما دعت * فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا كما * أوصى اليك بنا فكنت وصيا

قالت يا أمير المؤمنين لسان صدق وقول حق ولئن تحقق ما ظننا فحظك الاوفر والله ما أورثك الشنآن فى قلوب المسلمين الا هؤلاء فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم انك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا قال وانك تقولين ذلك قالت سبحان الله والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان والله على أحب الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك قال فمن قالت من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص قال وبما استحقا ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم عفوك قال انهما يطمعان فى ذلك قالت هما والله من الرأى على غير ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله قال والله لقد قاربت ما حاجتك قالت يا أمير المؤمنين ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة يتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابنى فأتيته فقال كنت وكنت فاسمعته أخشن من الحجر والقمته أمر من الصبر ثم رجعت الى نفسى باللائمة وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظرا وعليه معديا قال صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلاقه قالت يا أمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة وقد نفد زادى وكلت راحلتى فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم وانصرفت الى قومها

أم عقبة زوجة غسان بن جهضم

كانت ابنة عمه وكان مفتونا بها لانها كانت من أجمل النساء وأحسنهن وأفضلهن خصالا وكان لما حضرته

الوفاة جعل ينظر اليها ويبكي ثم قال لها اني منشدك أبيات أسألك فيها عما تصنعين بعدي وأعزم عليك أن تصدقيني فقالت قل فوالله لا أكذبك فأنشد

أخبري بالذي تريدين بعدي * ما الذي تضمرين يا أم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لما قد * كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمال ومال * وأنا في التراب رهن سجن وغربه

فأجابته

قد سمعنا الذي تقول وما قد * خفته يا خليل من أم عقبه
سوف أبكيك ما حييت بشجو * ومراث أقولها وبندبه

فقال

أنا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الازواج يا خير من عو * شر فارعي حقي بحسن وفاء
انني قد رجوت أن تحفظي العهـ * ـد فكوني ان مت عند رجائي

فلما مات تواقد عليها الخطاب فقالت

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة * تجري على الخدين مني فتكثر

فلما طالت الايام وكثر الحاح الناس أجابت الخاطب فلما كانت الليلة التي زفت فيها جاءها غسان في النوم فأنشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك قالت ما ترك غسان لي في الحياة أربا ولا في السرور رغبة أتاني في المنام فانشدني هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكي فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها ووفت لزوجها

﴿ أم عمران ابنة وقدان ﴾

كانت من النساء المتحمسات في الجاهلية وكلامها يغلب عليه الهجاء بين العرب قيل انها حينما اقتتل بعض رجال قومها قالت تحرضهم على أخذ ثاره وتوبخهم على تغافلهم عنه

ان أنتم لم تطلبوا بأخيكم * فذروا السلاح ووحشوا بالابرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا * نقب النساء فبئس رهط المرهق
ألهاكم أن تطلبوا بأخيكم * أكل الخزير ولعق أجرد أمحق

﴿ أم قيس الضبية ﴾

لهاني ابن سعد زوجها مراث روى منها صاحب الحماسة قولها

من للخصوم اذا جد الضجاج بهم * بعد ابن سعد ومن للضمر القود
ومشهد قد كفيت الغائبين به * في مجمع من نواصي الناس مشهود

فرجتــه بلسان غير ملتبس * عنـد الحفاظ وقاب غير مذؤد
اذا قناة امرئ أزرى بها خــور * هز ابن سـعد قناة صلبـة العود

أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب

أمها فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت قبل وفاة النبي خطبها عمر بن الخطاب الى أبيها علي فقال انها صغيرة فقال عمر زوجنيها يا أبا الحسن فاني أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد فقال له علي أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرده فقال لها قولي له هذا البرد الذي قلت لك عليه فقالت ذلك لعمر فقال لها قولي له قد رضيت رضي الله عنك ووضع يده عليها فقالت له أتفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم جاءت أباها فاخبرته وقالت له بعثتني الى شيخ سوء قال يا بنية انه زوجك فجاء عمر فجلس الى المهاجرين في الروضة وكان يجلس فيها المهاجرون الاولون فقال رفؤني فقالوا بماذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي وصهري وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب فاردت أن أجمع اليه الصهر فرفؤه فتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في وقت واحد وكان زيد قد أصيب في حرب كانت بين بني عدي خرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم في الظلمة فشجه وصرعه فعاش أياما ثم مات هو وأمه وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدمه الحسن بن علي وذلك بعد وفاة عمر بن الخطاب ولما قتل عنها عمر تزوجها عون بن جعفر وقيل لما تأيمت أم كلثوم بنت علي من عمر بن الخطاب دخل عليها الحسن والحسين أخواها فقالا لها انك ممن قد عرفت سيدة نساء المسلمين وبنت سيدتهن وانك والله ان أمكنتي عليا من رمتك لينكحنك بعض أيتامه ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالا عظيما لا تصيبينه فوالله ما البثنا حتى طلع علي يتكئ على عصا فجلس فحمد الله وأثنى عليه وذكر منزلتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة وأثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتكم منه قالوا صدقت رحمك الله فجزاك الله عنا خيرا فقال أي بنية ان الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك وأنا أحب أن تجعليه بيدي فقالت أي أبت اني امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي فقال لها لا يا بنية ما هذا من رأيك وما هو الا رأي هذين ثم قام فقال والله لا أكلم رجلا منهما أو تفعلين فأخذا بثيابه فقالا اجلس يا أبانا فوالله ما على هجرتك من صبر فقالا لها اجعلي أمرك بيده فقالت قد فعلت قال فاني قد زوجتك من عون بن جعفر وانه لغلام وبعث لها بأربعة آلاف درهم وأدخلها عليه وبقيت معه حتى مات عنها قتيلا في وقعة كربلاء وهي مع أخيها الحسين ورجعت مع السبايا من العراق الى الشام ثم الى المدينة وذلك في قصة مشهورة وتوفيت في المدينة

أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط

أسلمت وهاجرت وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت هجرتها سنة ٧ هجرية وتزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة ثم تزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب وطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابراهيم وأحمد وغيرهما ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده وكانت أول مهاجرة من مكة الى المدينة قيل مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولما عزمت على المهاجرة أتى أخواها عمارة والوليد يطلبانها فنزلت الآية (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) وكانت أم كلثوم أخت عثمان

ابن عفان لأمه وقد نزلت فيها (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن الى آخرها

أم كلثوم ابنة عبدود

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وكمالا ذات أدب وفصاحة وكياسة وملاحة ولها باع طويل فى الشعر ولما قتل أخوها يوم الخندق وكان قد خرج فى نفر من القرشيين الى المسلمين وقال لهم من يبارز فبرز له على بن أبى طالب فقال له يا عمرو انك آليت على نفسك انه لا يدعوك أحد الى احدى ثلاث الا أجبته وانى أدعوك الى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك فقال أدعوك الى الانصراف فان كان محمد صادقا تقربت عنده بذلك وان كان كاذبا فاعليك من كذبه شئ و يقع بيد غيرك فقال كيف تقول عنى نساء قريش ان تركت النزال و رجعت فقال له انى أدعوك الى النزال فقال هذه ما كنت أظن أحدا من العرب يتجاسر أن يدعونى اليها ولكن يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك فقال له على لكننى أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على سنة ٥ للهجرة و ٦٢٧ للميلاد وذلك فى خبر طويل

ولما نعى عمرو الى أخته أم كلثوم سألت من قاتله فقيل لها على بن أبى طالب فقالت لم يأت يومه الا على يد كفء كريم وأنشدت

أسدان فى ضيق المكر تجاولا * وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا سلب النفوس كلاهما * وسط المجال مجالد ومقاتل
وكلاهما حسر القناع حفيظة * لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب على فما ظفرت بمثله * قول سديد ليس فيه تحامل

وأنشدت أيضا

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكى عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به * من كان يدعى أبوه بيضة البلد
من هاشم فى ذراها وهى صاعدة * الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى الله الا أن يكون لهم * مكارم الدين والدنيا بلا لدد
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعى * بكاء معولة حرى على ولد

ولما بلغت أبياتها النبى صلى الله عليه وسلم علم وفور عقلها وأنها مائلة الى الاسلام فدعاها الى ذلك فلبت طلبه وكان ذلك يوم فتح مكة وبقيت الى أن توفيت فى حياته

أم موسى الهاشمية

هى امرأة أديبة عاقلة حكيمة ذات مكر ودهاء وفطنة قد جعلها المقتدر كهرمانة داره سنة ٢٩٨ هجرية فكانت تؤدى الرسائل من المقتدر وأمه الى الوزير وكان لها كلمة نافذة وهى التى تسببت فى عزل على بن عيسى عن وزارة المقتدر سنة ٣٠٤ هجرية وذلك أنها أرادت الدخول عليه لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية من الكسوات والنفقات فوصلت اليه وهو نائم فقال لها صاحبه انه نائم فلا أحد يوقظه فاجلسى فى الدار ساعة حتى يستيقظ فغضبت من هذا وعادت فاستيقظ على بن عيسى فى الحال وأرسل اليها حاجبه وولده يعتذر اليها فلم تقبل ودخلت على المقتدر وتحرشت على الوزير عنده وعند أمه فعزله وأعيد

أبو الحسن علي بن الفرات ثم عزلها المقتدر سنة ٣١٠ وذلك لانها زوجت ابنة أختها من أبي العباس أحمد بن محمد بن اسحق بن المتوكل وأكثرت من النثار والدعوات وخسرت أموالا جليلة فسعى بها أعداؤها الى المقتدر وقالوا انها قد سعت لابي العباس في الخلافة وحلفت له القواد وكثر القول عليها فقبض عليها المقتدر وأخذ منها أموالا جسيمة وجواهر نفيسة

أم ندبة زوجة بدر بن حذيفة

كانت عقيلة قومها كريمة بيتها مسموعة كلمتها وكان ولدها ندبة يكنى أبا قرافة قد قتله قيس بن زهير العبسي في حرب داحس والغبراء فقالت ترثيه وتلوم زوجها بقبول الدية

حذيفة لا سلمت من الاعادي * ولا وقيت شر النائبات
أيقتل ندبة قيس وترضى * بأنعام ونوق سارحات
أما تخشى اذا قال الاعادي * حذيفة قلبه قلب البنات
فخذ ثأرا باطراف العوالي * أو البيض الحداد المرهفات
والا خلني أبكي نهاري * وليلي بالدموع الجاريات
لعل منيتي تأتي سريعا * وترميني سهام الحادثات
أحب الي من بعل جبان * تكون حياته أردى الحياة
فيا أسفي على المقتول ظلما * وقد أمسى قتيلا في الفلاة
ترى طير الاراك ينوح مثلي * على أعلى الغصون المائلات
وهل تجد الحمائم مثل وجدي * اذا رميت بسهم من شتات
فيا يوم الرهان جمعت فيه * بشخص جازعن حد الصفات
ولا زال الصباح عليك ليلا * ووجه البدر مسود الجهات
ويا خيل السباق سقيت سما * مذابا في المياه الجاريات
ولا زالت ظهورك مثقلات * بعمان الجبال الراسيات
لان سباقكم ألقى علينا * هموما لا تزال الى الممات

امالتونسا ابنة ثيودوريك

وأمها أوديفليد أخت كلوفيس ملك فرنسا وكانت امالتونسا بيدها أزمة أحكام البلاد الايطالية وذلك لانه لم يكن لثيودوريك ابن يرث ملكه من بعده فزوج ابنته هذه بفتى سليل أحد أعضاء العائلة الملكية الذي فر هاربا الى اسبانيا فرقاه الملك الفوتي الى رتبة قنصلية وأمير ولكن ذلك الفتى لم يتمتع زمانا طويلا بلذة ارتقائه واقترانه بامالتونسا بل مات مخلفا طفلا يدعى أثالاريك فتولت زوجته بعد وفاته وموت أبيها أحكام البلاد بالنيابة عن ابنها القاصر واشتهرت هذه بجمالها البديع وحسنها الباهر وذكائها العظيم وسعة معارفها وكثرة عوارفها وكان لها القدم الاولى في المباحث العلمية والفلسفية قيل انها درست اللغة اليونانية واللاتينية والفوتية وتضلعت منها حتى أصبحت قادرة أن تتكلم بكل منها بفصاحة ورشاقة ولا ريب أنها كانت حسنة المبادي كريمة النفس لانها عاملت الرومانيين سكان روميا وايطاليا الاصليين معاملة رعاياها وأشفقت عليهم خلافا للفوتيين الذين لم يزالوا يعتبرونهم أعداء وعبيدا

وكان ابنها أثالاريك خاملا يبغض العلوم والمعارف ويتأوه من الدرس ومشقاته واجهاد العقل في سبيل

التحصيل وينفر من والدته لاكراهها اياه على المواظبة والاجتهاد فحدث ذات يوم ان الذوثيين كانوا مجتمعين فى قصر رافنا ففر هذا الامير الفتى من غرفة أمه وانتصب بين الجميع وهو يذرف عبرات الغضب والكبرياء وشكا الى الحاضرين قساوة أمه وضربها اياه بسبب عصيانه وعناده فاثر هذا الكلام باولئك المتوحشين وتوهموا أن الملكة راغبة فى اهلاك ابنها واختلاس سرير ملكه وطلبوا اخلاص الفتى وتربيته كاجداده ورجال امته فى ميادين القتال والعراك لينشأ بطلا وقدروا بفظاظتهم والحاحهم أن يحرموا الغلام وسائل التمدن والتهذيب فتركوه وشأنه يقضى أوقاته فى السكر والملاهى وارتكاب الفواحش ولما رأت الملكة عصيان ابنها وزيغه وأحاطت الاعداء بها من كل جانب خابرت يوستنيان بقصد السكن فى بلاده وأرسلت الى مدينة دارخيوم فى اقليم ابيروس ٤٠ ألف دينار غير أن حب التسلط على الناس كان متسلطا على فؤادها فأعارت صبوة الطمع أذنا صاغية وقلبا واعيا وحينما أزمعت على مبارحة ايطاليا نجحت بدسائسها وقدرت ان تهلك بعضا من كبار الرؤساء الثائرين عليها وتمكنت بموت هؤلاء من الاستبداد بالاحكام والقبض على أزمة البلاد بالنيابة عن ابنها كما كانت أولا غير أن هذا الفتى الجاهل لم يعش زمانا طويلا لان الفسق والفواحش واللذات أضنته فمات يافعا لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر فاضطرت اذ ذاك الى مشاركة ابن عمها سيبودونس الجبان البخيل فثار الفوتيون عليها ونفوها الى جزيرة صغيرة فى بحيرة بولسينا وهناك قتلوها سنة ٥٣٨ بالحمام خنقا وهكذا انتهت حياة هذه الملكة الفاضلة

أمامة ابنة أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية الهاشمية

أمها زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت على عهد جدها صلى الله عليه وسلم وكان يحبها ويحملها فى الصلاة وكان اذا ركع أو سجد تركها واذا قام حملها وروى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لأدفعنها الى أحب أهلى الى فدعا أمامة ابنة زينب فعلقها فى عنقها ولما كبرت أمامة تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة عليها السلام وكانت فاطمة أوصت عليا أن يتزوجها فلما توفيت فاطمة تزوجها من الزبير بن العوام لان أباها قد أوصاه بها فلما جرح على خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده فلما توفى على وقضت العدة تزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى فهلكت عند المغيرة

أمامة ابنة حمزة بن عبد المطلب

أمها سلمى بنت عميس وهى التى اختصم فيها على وجعفر وزيد رضى الله عنهم لما خرجت من مكة وسألت كل من مر بها من المسلمين أن يأخذها فلم يفعل فاجتاز بها على فأخذها فطلب جعفر أن تكون عنده لان خالتها أسماء ابنة عميس عنده وطلبها زيد بن حارثة أن تكون عنده لانه كان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لجعفر لان خالتها عنده ثم زوجها رسول الله من سلمة ابن أم سلمة وسماها الواقدى عمارة وأخواها لامها عبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد وهى من الصحابيات المحدثات اللاتى أخذ عنهن جملة من مشاهير المحدثين

أمامة المريدية

كانت شاعرة من شاعرات نساء العرب الا أن شعرها قليل ولم يكن فى وقتها من يجمع الشعر وكانت صحابية محدثة أخذ عنها جملة من المحدثين ومما روى عنها أنها قالت لما قتل سالم بن عمير أبا عفك أحد بنى عمرو بن

عوف وكان من المنافقين وظهر نفاقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى من هذا الخبيث فخرج اليه سالم بن عمير فقتله فقالت فى ذلك

تكذب دين الله والمرء أحمدا * لعمرى الذى أمناك أن بئس ما يمنى
حباك حنيف آخر الدهر طعنة * أباعانك خذها على كبر السن

﴿أمامة ابنة ذى الاصبع﴾

أبوها ذو الاصبع العدوانى الشاعر الفارس المشهور وكانت أمامة شاعرة مشهورة يشار اليها بالبنان أخذت العلم والشعر عن والدها وهى أصغر أولاده وكان يحبها محبة عظيمة ولمحبته أحبها جميع قبيلتها ولها يقول ورأته قد نهض وسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال

جزعت أمامة اذ مشيت على العصا * وتذكرت اذ نحن ملفتيان
فلقبلما رام الاله بكيده * إرما وهذا الحى من عدوان
بعد الحكومة والفضيلة والنهى * طاف الزمان عليهم بأوان
وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم * وتبددوا فرقا بكل مكان
خربوا البلاد فأعقمت أرحامهم * والدهر غيرهم مع الحدثان
حتى أبادهم على أخراهم * صرعى بكل نقيرة ومكان
لا تعجبين أمام من حدث عرا * فالدهر غيرنا مع الازمان

ومن شعرها قولها ترثى قومها

كم من فتى كانت له منعة * أبلج مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بحافاتهم * مر غيث بجبل عاطر
قد لقيت فهم وعدوانها * قتلا وهلكا آخر الغابر
كانوا ملوكا سادة فى الورى * دهرا لها الفخر على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم * بغيا فيا للشارب الخاسر
بادوا فمن يحلل بأوطانهم * يحلل برسم مقفر داثر

﴿أمة العزيز ابنة دحية الاندلسية الشريفة الحسنية﴾

كانت ذات قناع تفرعت من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتجردت من سلالة أكابر وأشراف رقاة أسرة منابر من بنى عبد مناف تصرفت فى أثناء شبيبتها بين دراسة معارف وافاضة عوارف لها أشعار رائقة معناها بديعة مبناها منها ما قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى المطرب من أشعار المغرب قال أنشدتنى أخت جدى الشريفة الفاضلة أمة العزيز الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى أوجب جرح الصدود

قال العلامة المقرى فى كتابه نفح الطيب هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت للقاضى الامام الفاضل أبى الفضل قاسم العقبانى التلمسانى رحمه الله تعالى جوابه والغالب أنه من نظمه وهو قوله

أوجبه منى ياسيدى * جرح بخد لبس فيه جحود
وأنت فيما قلته مدع * فاين ما قلت وأين الشهود

﴿أمة ابنة خالد بن سعيد﴾

ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الاموية تكنى أم خالد مشهورة بكنيتها ولدت بارض الحبشة مع أخيها سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس وأمها أمية بنت خلف تزوج أم خالد الزبير بن العوام وولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير وبه كانت تكنى وهي من المحدثات المشهورات بالصدق وقد روى عنها جملة من التابعين منهم موسى وابراهيم ابنا عقبة وكريب بن سليمان الكندى وغيرهم ويروى عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر

﴿أميمة ابنة رقيقة﴾

ابنة خويلد بن أسد أخت خديجة بنت خويلد فاميمة ابنة خالة أولاد النبي من خديجة وهي أميمة بنت عبد ابن بجاد بن عمير بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة وكانت من المبايعات المحدثات روى عنها محمد بن المنكدر وابنتها حكيمة بنت أميمة وروى عن محمد بن المنكدر أنه سمع أميمة بنت رقيقة تقول بايعت النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطعتن قلت الله ورسوله أرحم بنا منا بانفسنا ومما رويته حكيمة بنت أميمة عن أمها بنت رقيقة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه يضعه تحت السرير فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته فطلبه فلم يجده فقيل شربته بركة فقال لقد احتظرت من النار بحظار

﴿أميمة ابنة قيس بن أبي الصلت الغفارية﴾

كانت عابدة زاهدة محبة للخير صانعة للمعروف ناهية عن المنكر لها صحبة حسنة وروت أحاديث كثيرة وروى عنها جملة من التابعين وكانت شفيقة على المجاهدين ودائما تحضر الوقائع وتداوى الجرحى وتدور بين القتلى وكانت تحث الناس على ذلك فقالت يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءته في نسوة من غفار انا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله وكان ذاهبا الى خيبر فذهبن معه وصرن يداوين الجرحى ويوارين القتلى وهي تهديهن لما يلزم لذلك حتى انتهى الحرب ورجع المسلمون منصورين فنالت بذلك رضا ربها ومدح قومها

﴿أم جعفر ابنة عبد الله بن عرفطة بن قتادة بن معد بن غياث بن نداح ابن عامر بن عبد الله بن خطمة بن مالك بن جشم بن الاوس﴾

كانت ذات عقل وأدب وعفة وكان يشبب بها الاحوص ولم يرها قط فلما كثر تشبيبه وشاع ذكره توعده أخوها أيمن وهدده ولم ينته فاستعدى عليه والى المدينة فربطهما في حبل ورفع اليهما سوطين وقال لهما تجالدا فتجالدا فغلب أخوها الاحوص وأتبعه أيمن حتى فاته الاحوص هربا وقد كان الاحوص قال فيها

لقد منعت معروفها أم جعفر * واني الى معروفها لفقير
وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتي * وقد وغرت فيها على صدور
أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بابياتكم ما درت حيث أدور
أزور البيوت اللاصقات ببيتها * وقلبي الى بيت الحبيب يزور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد أن سيزور
أزور على أن لست أنفك كلما * أتيت عدوا بالبنان يشير

فقال السائب بن عمر يعارض الاحوص في هذه الابيات ويعيره بفراره

وقد منع المعروف من أم جعفر * أخو ثقة عند الجلاد صبور
علاك بمتن السوط حتى اتقيته * بأصفر من ماء الصفاق يفور

فقال الاحوص

اذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه * فمن ذا الذى يغفر له ذنبه بعدى
أريد انتقام الذنب ثم تردنى * يد لأدين ٣ مباركة عندى

ولما أكثر الاحوص من ذكرها جاءت متنقبة فوقفت عليه وهو فى مجلس قومه ولا يعرفها فقالت له اقض ثمن الغنم التى ابتعتها منى قال ما ابتعت منك شيأ فاظهرت كتابا قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجة وفاقة وقالت يا قوم كلموه فلامه قومه وقالوا اقض المرأة حقها فحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها فكشفت عن وجهها وقالت ويحك أما تعرفنى فجعل يحلف أنه ما يعرفها ولا رآها قط حتى اذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغطهم وأقوالهم قامت ثم قالت أيها الناس اسكتوا فسكت الناس ثم أقبلت عليه وقالت يا عدو الله صدقت والله مالى عليك حق ولا تعرفنى وقد حلفت على ذلك وأنت صادق وأنا أم جعفر وأنت تقول قلت لام جعفر وقالت لى أم جعفر فمن أين قلت لك وقلت لى وأنت لم ترنى الا هذه الساعة فخجل الاحوص وانكسر عن ذلك وبرأت عندهم

﴿ أميمة أم تأبط شرا ﴾

وهى من بنى القين بطن من فهم ولدت خمسة نفر تأبط شرا وريش لغب وريش نسر وكعب جدر والاترا كى وقيل انها ولدت سادسا واسمه عمرو تأبط شرا لقب به لانه كان رأى كبشا فى الصحراء فاحتمله تحت ابطه فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحى ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فاذا هو الغول فقال له قومه ما تأبطت يا ثابت قال الغول قالوا لقد تأبطت شرا فسمى بذلك وقيل بل قالت له أمه كل اخوتك يأتينى بشئ اذا راح غيرك فقال لها سآتيك الليلة بشئ ومضى فصاد أفاعى كثيرة من أكبر ما قدر عليه ووضعهن فى جراب وذهب متأبطا به فألقاه بين يديها ففتحته فتساعين فى بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحى ماذا أتاك به ثابت فقالت أتانى بأفاعى فى جراب قلن كيف حملها قالت تأبطها قلن لقد تأبط شرا فلزمه هذا اللقب

وكانت شاعرة من شاعرات العرب وقولها منسجم وله طلاوة وأغلبه مراث فى ولدها تأبط شرا وخلافه ومن ذلك قولها فيه

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك
ليت شعرى ضلة * أى شئ قتلك
أمريض لم تعد * أم عدو ختلك
أم تولى مارد * غال فى الدهر السلك
والمنايا رصد * للفتى حيث سلك
أى شئ حسن * لفتى لم يك لك
قبل شئ قاتل * حين تلقى أجلك
طالما قد نلت فى * غير كد أملك
ان أمرا فادحا * عن جوابى شغلك
سأعزى النفس اذ * لم تجد من سألك

ليت قلبي ساعة * صبره عنك ملك
ليت نفسي قدمت * بالمنايا بدلك

ولها فيه أيضا

بثابت ابن جابر ابن سفيان * نعم الفتى غادرته برحمان
يحدو ويروي ظمأ الندمان * رواء من يحمي حمى الاخوان

ولها مراث وأشعار كثيرة غير ذلك

أميمة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة ابن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة الخزاعية

وهي عمة طلحة بن عبد الله بن خلف الملقب طلحة الطلحات وهي زوجة خالد بن سعيد بن العاص هاجرت معه الى أرض الحبشة وكانت من السابقات الى الاسلام وقيل اسمها أمينة وقيل همينة وولدت بالحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ولها صحبة حسنة وعشرة لطيفة ورجعت مع من رجع من مهاجري الحبشة الى المدينة

أميمة ابنة عبد شمس الهاشمي بن عبد مناف القرشي

وأمها تمخر بنت عبيد بن دوس بن كلاب كانت ذات مجد أثيل وبيت أصيل وباع طويل تزوجها حارثة ابن الاوقص السلمي فولدت له أمية بن حارثة وقتل أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس أخاها في يوم عكاظ من حرب الفجار وكان بعد أبو سفيان واخوته من العنابس وهي الاسد فقالت أميمة ترثيه وترثي من قتل في حرب الفجار من قريش

أبى ليلي أن يذهب * ونيط الطرف بالكوكب
ونجم دونه الاهوا * ل بين الدلو والعقرب
وهذا الصبح لا يأتي * ولا يدنو ولا يقرب
بعقر عشيرة منا * كرام الخيم والمنصب
أحال عليهم دهر * حديد الباب والمخلب
فحل بهم وقد أمنوا * ولم يقصر اذا يشطب
*
وما عنه اذا ما حل * من منجى ولا مهرب
ألا يا عين فابكيهم * بدمع منك مستغرب
فان أبكي فهم عزي * وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي * وهم نسبي اذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي * وهم حصني اذا أرهب
وهم رمحي وهم ترسي * وهم سيفي اذا أغضب
فكم من قائل منهم * اذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطق فيهم * خطيب مصقع معرب
وكم من فارس منهم * كمي معلم مجرب
وكم من مدره فيهم * أريب حوله مغلب

وكم من جحفل فيهم * عظيم النار والموكب
وكم من خضرم فيهم * نجيب ماجد منجب

أميمة ابنة عبد المطلب الهاشمية

كانت صاحبة جمال وجلال وفصاحة وذكاء وبلاغة وسخاء وشعر ونثر ونسب وفخر قال لها أبوها يوما مع اخوتها أسمعيني شعرك رثاءبي كأني ميت فقالت له أعيذك من ذلك فقال لابد من أن تقولي فقالت

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد * وساقي حجيج الله حامي عن المجد
ومن يألف الضيف الغريب بيوته * اذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد ياشيبة الحمد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن اذ كل حي الى بعد
فانى لباك مابقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجد
سقاك ولى الناس فى القبر ممطرا * وسوف أبكيه وان كنت فى اللحد
وقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيث ما كان من حمد

أم هرون رضى الله تعالى عنها

كانت من الخائفات العابدات وكانت تأكل الخبز وحده وكانت تقول ما أنشرح الا بدخول الليل فاذا طلع النهار اغتممت وكانت تقوم الليل كله فتقول اذا جاء السحر دخل قلبى الروع وصرخت مرة فسمعت قائلا يقول خذوها فوقعت مغشيا عليها وما دهنت رأسها بدهن مدة عشرين سنة وكانت اذا كشفت رأسها وجد شعرها أحسن من شعر النساء وكانت اذا عرض لها الاسد فى البرية قالت له ان كان لك فى شئ فكل فيولى راجعا عنها رضى الله عنها

أمة الجليل رضى الله عنها

كانت من العابدات الزاهدات واختلف مرة العابدون فى تعريف الولاية على أقوال فقالوا امضوا بنا الى أمة الجليل فقالوا لها ما الذى عندك من تعريف الولاية فقالت ساعات الولى ساعات شغل عن الدنيا ليس لولى فى الدنيا ساعة يتفرغ منها الشئ دون الله عز وجل ثم قالت لواحد منهم من حدثكم أن أولياء الله تعالى لهم شغل بغير الله تعالى فكذبوه رضى الله عنها

انياس خليلة شارل السابع ملك فرنسا

ولدت فى قرية فرومنتو من تورين نحو سنة ١٤٠٩ وتوفيت نحو سنة ١٤٥٠ وهى ابنة (سوريل دوسان جيرار) أحد أعوان الكونت (دوكليرمون) كانت فى أول أمرها رفيقة (لايزابو دوسورينة دوقة انجو) وسنة ١٤٣١ صحبت سيدتها الى باريس وزارت بلاط شارل الرابع فلما رآها شارل المذكور فتن بجمالها وسحر بمحاسنها فأبقاها لديه وجعلها رفيقة للملكة ثم اتخذها عشيقة بعد أن ماطلته وردت مطالبيه وبلته بهيام شديد ويقال انها لم تستخدم ما كان لها عليه من السطوة الا لانهاض همته واثارة الحمية فى صدره لانه كان قد استغرق فى اللذات بينما كان الانكليز يفتحون بلاده وبذلك أنقذت فرنسا من وبال عظيم وخطر جسيم فتمكن حبها من قلب شارل فأجزل لها العطاء وفتح لها كنه كما فتح لها قلبه فوهبها القصر المسمى بالفرنساوية بوتى ومعناه الجمال وهو على ضفة نهر المرن بقرب سانور ولذلك لقبت بمادام لوبوتى ومعناه سيدة بوتى أو الجمال وفى ذلك من التورية ما لا يخفى وكانت الملكة نفسها تحبها وتكرم مثواها

الا أن غناها وتنعمها جلا رجال البلاط والامة على كرهها وسنة ١٤٤٥ أساء اليها ابن الملك شارل السابع فتركت البلاط الملكي وأقامت في قصر كان قد بناه لها الملك في لوس وسنة ١٤٥٠ سارت الى جوميالك لمقابلة عاشقها فتوفيت هنالك فجأة وظن الناس أن ابنه دس اليها السم في بعض المشروبات وكان قد ولد لها من شارل السابع ثلاث بنات فاعترف بهن ورباهن وكن يعرفن ببنات فرنسا

أولغا امرأة ايغور دوق كيف

ثالث غراندوق روسي وكانت تلقب بالقديسة أولغا ولدت من عائلة فقيرة في قرية قرب بسكوف وكانت ذات جمال بارع وذكاء سام فتزوجها ايغور سنة ٩٠٣ وجلس معها على كرسي الملك سنة ٩١٢ ومات عنها سنة ٩٤٥ فحكمت بعده بالنيابة عن ابنها (سفياتوسلاف) وقد انقسمت حياتها من ذلك الوقت الى حين وفاتها الى قسمين ممتازين خصص أحدهما بالسياسة والآخر بالدين والتعبد وسبب وفاة زوجها هو أنه جمع عسكرا وخرج به ليغزو قبيلة (الدريفليان) ويجمع منهم الضريبة السنوية وبعد أن جمعها رجع ظافرا وبينما هو على الطريق خطر له أن ما جمعه يسير فأمر عسكره بالرجوع ليجمع ضريبة أخرى فأبت العسكر أن ترجع معه فعاد بشرذمة يسيرة فلما رأته تلك القبيلة سألته ماذا يطلب فأمرها بجمع الجلود والعسل والمال فلما سمعوا ذلك احتدوا غيظا وهجموا عليه وقتلوا من معه وأما هو فمسكوه وأحنوا شجرتين وربطوه بطرفيهما وتركوهما فرجعتا الى مكانهما فتمزق الامير اربا اربا ومات شهيد الطمع فلما قتله الدريفليان انتخبوا منهم عشرين رجلا وأرسلوهم الى امرأة ايغور يطلبون اليها أن تتزوج أميرهم فلما أتى اليها الرسل سألتهم ماذا يطلبون فأجابوا اننا قتلنا زوجك لانه خرب أرضنا والآن نطلب أن تقبلي أميرنا زوجا لك فقالت حسنا تقولون أجيب طلبكم وانما أريد أن أعظمكم في أعين شعبي فارجعوا الى سفينتكم وعندما يأتيكم رسلي اطلبوا اليهم أن يحملوكم على أكتافهم وبعد انصراف الرسل أمرت أولغا أن يحفروا خندقا وراء قصرها وأرسلت رسلها وأمرتهم أن يحملوهم ويطرحوهم في الحفرة فلما أتى رسل أولغا اليهم قالوا لهم أولئك لا نذهب مشاة ولا نمتطي صهوات الجياد ولا نركب العجلات احملونا على أكتافكم فأجابوا طلبهم وعندما أتوا القصر طرحوهم في الحفرة المعدة لهم وواروهم التراب وبعد ذلك أرسلت أولغا تقول لهم اذا كنتم ترغبون حقيقة أن أكون امرأة لاميركم فأرسلوا رؤساء قومكم لاحضر معهم فلما أتوا أمرتهم أن يغتسلوا في الحمام فلما دخلوه أمرت باحراقه فماتوا عن بكرة أبيهم وعند ذلك أرسلت تقول للدريفليان استعدوا للاستقبال وهيئوا المشروبات على قبر زوجي فاني عازمة على أن أبكي هنالك ومن ثم أتزوج بأميركم فأجابوا طلبها ولما قدمت اليهم سألوها أين رجالنا فأجابتهم سيحضرون مع عسكر زوجي وبعد ذلك أولمت وليمة عظيمة وعندما لعبت الخمر في رؤس الدريفليان بطش بهم رجال أولغا وقتلوا منهم خمسة آلاف رجل ورجعت على الاعقاب الى مدينتها وبعد مضي سنة جمعت عسكرا وأخذت ابنها وغزت الدريفليان وحاصرت عاصمتهم ولما لم تقدر أن تأخذها أرسلت تقول لهم أعازمون أن تموتوا جوعا وعطشا اجمعوا الى جزية وأنا أرحل عنكم وأنا أطلب منكم جزية خفيفة وهي ثلاث حمامات وثلاثة عصافير من كل بيت فسروا سرورا عظيما وحالا جمعوا المطلوب وأرسلوه على جناح السرعة فأمرت أولغا عساكرها بان يربطوا باذنابها خرقا ملوثة بمواد ملتهبة وعندما بدا لهم الظلام يشعلون الخرق ويطلقون الحمام والعصافير ففعلوا ذلك ورجع كل طير الى عشه فالتهمت النار البيوت وفرارا من الحريق هرب سكان المدينة فالتقتهم أولغا بعسكرها وفرقتهم أيدي سبا ونهبت أرضهم ودوخت عدة قبائل وضربت عليهم الضرائب الثقيلة ورجعت الى كييف ثم سافرت الى (نوفوغورود) فاستمالت بحكمتها كل القلوب وسنة ٩٥٥ سلمت زمام

الملك لابنها المذكور وتفرغت لامور العبادة فاعتنقت المذهب المسيحى وعمدها فى القسطنطينية فى السنة المذكورة البطريرك بحضور الامبراطور قسطنطين (بورفير وجينيتوس) وحاولت اقناع ابنها بالاقتداء بها فلم يغن اجتهادها شيأ وماتت سنة ٩٦٨ فأسف عليها الناس جدا واحترمها الرؤس احترام قديسة وفى أيامها ذاع اسم روسيا فى الاقطار الاوروبية الشاسعة

أولمبياس ابنة نيو بتولمس ملك أبيروس وامرأة فيلبس المكدونى وأم اسكندر الكبير

اشتهرت بكثرة قبائحها وتسليمها نفسها الى شهواتها فهجرها فيلبس فمضت الى ابيروس ودست الى زوجها من قتله وهو (بوسانياس) ثم رجعت الى مكدونيا وأعلنت فرحها بقتل زوجها واحتفلت بجنازة بوسانياس قاتله بلا وجل ولا خجل ولما ملك ابنها الاسكندر حاولت أن تشاركه فى الملك غير أن حكمته حالت دون مطامعها ولما مات اسكندر طمعت فى الاستيلاء على المملكة غير أن ثبات (انتيباتر) وزيره اضطرها الى الرجوع الى ابيروس فدعاها (بوليسبرخون) الذى خلف (انتيباتر) ولقبها نائبة الملك فلم تلبث أن قتلت (ادخيدوس) وهو ابن فيلبس من امرأة أخرى وعددا كثيرا من أعوانه فكانت مثالا لسفك دم عائلة الاسكندر وقتلت نيكانور (أخى كاسندروس) فأتى اليها كاسندروس وحاصرها فى (بدنا) وحصلت معها حفيدها اسكندر ايغوس بن الاسكندر الاكبر أملا فى معاونة الامة لها اذا رأوه معها فلم يلتفت اليها أحد فاستسلمت فلم يجسر (كاسندروس) أن يقتلها بنفسه وهى أم سيده فوكل بقتلها جماعة من الضابطة المكدونيين غير أن هيبتها وتذكرهم مجد ابنها منعاهم عن اتمام العمل فدعا كاسندروس الذين قتلت أولمبياس أبناءهم وأقرباءهم فذبحوها بدون تردد وذلك سنة ٣١٧ قبل المسيح

أوجين ملكة الفرنسيس

هى حليلة شارل لويس بن لويس نابليون الذى تولى سدة الملك باسم نابليون الثالث كانت فى صباها المشار اليها بالبنان والمثنى عليها بكل شفة ولسان ولما أودعها الله من الحسن واللطف وحسن التربية مع الكياسة والرقة والظرف رقت فى عصر زوجها مقاما تحسدها عليه السبع الطباق وبلغت شأوا أطار ذكرها فى الآفاق وناهيك أنها تصدرت فى مائدة جمعت ملوك الارض وكلهم يحسب احترامها كالسنة وتعظيمها كالفرض وحسبك أنها لما أتت مصر عام الاحتفال بفتح خليج السويس كان عزيز مصر فى خدمتها ولفيف من أمراء الشرق والغرب فى عداد حاشيتها ولما قدمت القسطنطينية استقبلها ساكن الجنان السلطان عبد العزيز حتى المرفأ وأبدى لها من التحية والتجميل ما يعز عن المثيل واذ ذكت نار الحرب بين الفرنسيس والالمان أقامها الامبراطور خليفة له على العرش تنظر فى أمره وتقضى فى حالتى خله وخمره وخرج قائد الجيش يصدم به العدو ولسان حالهما يقول

هى الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام * فقولى مضحك والفعل مبكى

فان الدهر بعد أن سقاها سلسبيلا ودار عليهما من الصفو أكوابا كان مزاجها زنجبيلا فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود عاد فسقاها الزقوم والغسلين وهبط بهما من أعلى عليين الى أسفل السافلين فغادرها سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم وذلك أن زوجها بعد أن كان حالفه النصر فى معركة (سادبروك) وأمل العالم لامة الفرنسيس بالفتح المبين والفوز المكين خالفه التوفيق فى سائر المعارك فقهره أعداؤه أى قهر وكسره مساجلوه أى كسر حتى اذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر

دخل الى الاستئمان بعد واقعة (سيدان) التى حدثت فى أربعة ايلول عام ١٨٧٠ فاخترط حسامه وسلمه الى الملك غليوم عدوه الالد مكتفيا من النصر بالاسر مع ثمانين ألفا من جيشه ومابرح مأسورا فى فاستافاليا من بلاد الالمان حتى حيث لظى الحرب بين الفريقين ثم لم يأت حين من الدهر حتى ألم به داء فى المثانة عياء ذهب به الى دار الفناء بعد أن أذاقه صنوف الويل وأفانين البرحاء تاركا وراءه المسكينة أوجين على فراش من القتاد ووسادة من الرمضاء ولم يكتف بهذا الدهر الظالم حتى نكلها فى وحيدها وبقية آمالها البرنس أمبريال شهيدا فى بلاد الفرولوس الافريقية مطعونا بأسنة أمة بربرية وهو يافع فى نضارة العمر وريعان الشباب وبقيت بعده كالغزالة النافرة من زرود جزعا على خشفها العزيز تنثر لآلئ الدمع على يواقيت الخدود وتغرس عقيق الشفاه ببرد الثغر البرود ولسان حالها يقول لقد جئت يادهر شيأ فريا ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا تحاول الاعتصام بالصبر على ما انتابها به الايام وهو بعيد عنها بعد المسجد الاقصى عن المسجد الحرام وبقيت على ذلك الى هذه الايام

﴿ اربنى أمبراطورة بيزنطية ﴾

ولدت فى أثينا سنة ٧٥٣ وتوفيت فى جزيرة (لسبوس سنة ٨٠٣) واشتهرت بالعقل والجمال فاختارها قسطنطين كوبردنيموس زوجة لابنه المعروف (بلاون) الرابع فاستولت على قلبه كل الاستيلاء ولما مات عهد اليها وصاية ابنه قسطنطين الخامس سنة ٧٨٠ فقامت باعباء الملك حق القيام حتى اذا ساعدها القدر وخدمها السعد بطرت واستكبرت وداخلها الطمع فعقدت مع هارون الرشيد صلحا غير موافق لانتفاعها به وسنة ٧٨٧ عقدت مجمعا فى نيقية أمرت فيه بعبادة الايقونات وألغت انشقاق الكنيسة الشرقية فلما رشد ابنها سنة ٧٩٠ نفاها وهجرها فى قصر لكنها تخاصت بعد خمس عشرة سنة واتصل بها الامر لكى تستبد بالمملكة الى ان سملت عينى ابنها بلا خوف ولا خجل ولكى تنسى الناس هذا العمل الفظيع شرعت باعمال عظيمة فقيل انها عرضت نفسها على شارلمان ليتزوجها أو قبلت بالاقل أن تزوج احدى بناتها بأحد أولاده لكن قبل أن يتم لها ذلك حجر عليها (نيقيفوروس) خازنها الاكبر سنة ٨٠٢ ونفاها الى جزيرة لسبوس فخط بها الدهر هنالك حتى احتاجت أن تأكل من غزل يدها وهنالك ماتت سنة ٨٠٣ فتأثر اليونان لمصائبها وجعلوها قديسة وأقاموا عيد تذكارلها فى ١٥ آب من كل سنة واسمها فى بعض كتب العرب أربنى

﴿ ايزابلا الاولى الملقبة بالكاثوليكية ملكة قسطيلة وليون ﴾

ولدت سنة ١٤٥١ وتوفيت سنة ١٥٠٤ كانت بنت يوحنا الثانى ملك قسطيلة من ايزابلا البرتوغالية زوجته الثانية وفى السنة الرابعة من عمرها توفى أبوها فخلفه فى الملك ابنه هنرى من ماريا الاراغونية زوجته الاولى واستمرت ايزابلا مع أمها الى سنة ١٢ من عمرها وكانتا منفردتين فى بلدة اريفالو فلما ولدت جوانا نقلتها هنرى الى بلاطه محاولا بذلك أن يمنع تألف حزب يمكنها ارث الملك من بعده بدل البرنسيس جوانا المذكورة وكان حصولها على تاج الملك أمرا مستبعدا لان أخاها البكرى كان ملكا وله بنت وكان لها أيضا أخ أصغر منها فى قيد الحياة غير أن أكابر ملوك أوربا أتوها خاطبين أملا بمستقبلها قال برسكوت وكان فرديناند أول من خطبها وهو الذى تزوجها بعد أن حال دون ذلك مصاعب شتى فانها خطبت فى السنة الحادية عشرة من عمرها لاخيه كارلوس وكان قد بلغ الاربعين فدفع عنها ذلك المكروه بموت كارلوس بالسم سنة ١٤٦٤ وعدبها أخوها هنرى الفونس ملك البرتوغال فعارضته فى ذلك مدعية أن بنات ملوك قسطيلة لايتزوجن الا بموافقة أشراف المملكة ثم حدثت ثورة تحت رياسة مركيز فلينا وعمه رئيس أساقفة

طليطلة وكان من بواعثها اعتقاد كثيرين من الاشراف أن البرنسيس جوانا التى أقسم لها أكابر الدولة بالطاعة بناء على طلب الملك لم تكن من صلبه بل من صلب بلتران دولاكويا عشيق الملكة فأعلن الثائرون انتقال الملك من هنرى الى أخيه الفونس وجمعوا جيشا لاجراء ذلك فحاول الملك اسكات رؤساءهم بتزويج ايزابلا بالدون بدر وجيرون الفاسق أخى مركيز فلينا أما هى فقالت لاخيها انزوجتنى به أشق صدره بخنجر وأرفع عن نفسى العار غير أن الدون المذكور مات فى طريقه الى العرس وبعد ذلك بسنتين أى سنة ١٤٦٨ توفى الفونس فعرض الثائرون تاج الملك على ايزابلا فرفضته وآثرت أن تجعل وارثة لاخيها فعاهد العصاة هنرى على أن يطلق الملكة ويعترف بان ايزابلا وارثة لمملكتى قسطيلة ولاون وأن لها حقا فى اختيار بعل تتزوجه برضاها ولم يلبث المجلس العالى أن قرر حق ايزابلا فى الارث أما هنرى فلا يبالى بشروط المعاهدة وحاول اكراه أخته على الاقتران بملك البورتغال غير أن السياسة والحب استمالاها الى فردنندو برنس أراغون فتهددها أخوها بالحبس فلم تعبأ به وعزمت على أن تباشر الامر بنفسها فردت الرسول الاراغونى بجواب مرضى ووقع فردنندو على عقد الزواج فى سرفيرا وذلك سنة ١٤٦٩ وضمن لعروسه جميع حقوقها الملكية الاصلية فى قسطيلة ولاون فانفذ هنرى فى الحال فرقة من العساكر لالقاء القبض على شقيقته فهربت الى بلاد الوليد وأرسلت الى فردنندو تحثه على أن يوافيها بسرعة لاتمام الزواج فلم يتمكن فردنندو من أن يسير بخفر لان أباه كان يحارب عصاة قطالونيا وكان بيت المال فارغا فلبس ثوب خادم وسار متنكرا مع ستة رفقاء استأمنهم فلم يعرفه العساكر الذين أقامهم هنرى لمنعه المرور وخرج من تلك المدينة بزى لائق فأغذوا السير الى بلاد الوليد وتزوج ايزابلا سنة ١٤٦٩ فاعلن هنرى أن أخته أضاعت جميع الحقوق التى تقررت لها بموجب المعاهدة وجعل جوانا ولية عهده فانقسمت البلاد الى قسمين كبيرين متحاربين وعضدت فرنسا الملك غير أن ايزابلا كانت بحكمتها وفضائلها تستميل اليها أهالى قسطيلة شيأ فشيأ وتكتسب طاعتهم وأمانتهم وفى سنة ١٤٧٤ توفى هنرى وبعد يومين من وفاته أقيمت ايزابلا ملكة فى سيروفيا فاقسم لها كثيرون من الاشراف بالطاعة الا ان حزب جوانا كان قويا فلم تعترف البلاد كلها بالملكة الا بعد حرب جرت لها مع الفونس ملك البرتغال وكان قد خطب جوانا ومن ثم شرعت فى أعمال تحلى بها تاريخ اسبانيا فأصلحت قوانين البلاد وأدارت المملكة الداخلية وعضدت الآداب والصنائع وبذلت جهدها فى تغيير تصرفات زوجها فانها كانت قرينة القساوة والخداع ومع أنها كانت روح الحرب التى شهرت على العرب وكانت تحارب فيها بنفسها وتلبس درعا لم يزل محفوظا الى الآن فى مدريد كانت تقاوم القساوة التى اتخذها الاسبانيول فى تلك الايام سياسة نحو الامة المذكورة ولم تأمر بطرد اليهود من قسطيلة ولا سلمت على غير ارادتها باجراء الفحص الدينى الا لاعتقادها ان سلامة الدين الكاثوليكى تتوقف على ذلك وزادها شهرة مساعدتها كرستوفورس كولمبوس فاتح أميركا على انفاذ مقاصده فان الاسطول الذى اكتشف به أميركا جهز على نفقتها وضادت استرقاق الهنود الاميركان فلما وصل الاسرى الذين أرسلهم اليها كرستوفورس المذكور أمرت بارجاعهم الى بلادهم وبمساعدة الكردينال كسيمنس أصلحت الراهبات وبذلك جعلت للكنيسة فى اسبانيا نظاما يباراها كالنظام الذى سنته للدولة ولم يكن المال ولا علو المرتبة يشفعان عندها بالمذنبين بل كان سيف العدل يعلو رقاب المجرمين من الاكابر والاصاغر والاكليروس على حد سواء وكانت ايزابلا جامعة بين عقل الرجال ومحاسن النساء وفضائل ناضرة عديمة النظير فباتت موضوعا محبوبا للمؤرخين فى الاعصر التالية والاسبانيول الآن يحبون ذكرها كما كان رعاياها منهم يحبون شخصها أما الموت الفجائى الذى أصاب كلا من الدون كارلوس والدون بادرو جيرون وأخيها الفونس فلم يوقع عليها أقل شبهة مع أنه نالها بذلك ربح عظيم وكانت تحب زوجها حبا شديدا لا يعتريه

فتور البتة غير أنه لم يكن يقابلها دائما بمثل ذلك وكانت تقواها الطبيعية تزين كل أعمال حياتها وكان جمال خلقها يعادل حسن خلقها وكانت صافية اللون ذات عينين زرقاوين وشعر أسمر وولد لها خمسة أولاد وهم ايزابلا التى تزوجت عمنوئيل ملك البرتوغال وجوان وكان أميرا فاضلا توفى سنة ١٤٩٧ وله من العمر ٢٠ سنة وجوانا التى تزوجت فيليب أرشيدوق أوستريا وولد لها منه الامبراطور كارلوس الخامس وماريا التى تزوجت عمنوئيل بعد وفاة أختها وكاترينا زوجة هنرى الثامن ملك انكلترا

﴿ايزابلا الثانية ملكة اسبانيا﴾

ولدت فى مدينة مدريد سنة ١٨٣٠ وهى بكر بنات فرديناندو السابع من ماريا كرستينا رابع زوجاته نشأ عن مسئلة ارثها الملك بعد أبيها حرب أهلية شديدة لانه لم يكن لابيها ولد ذكر يخلفه ففى ٢٩ اذار (مارس) سنة ١٨٣٠ أبطل القانون الذى وضعه فيليب الخامس وما له حرم الاناث تخت الملك وجعل بنته خليفة له وبذلك حرم أخاه الدون كارلوس ولى العهد ما كان له من الحق المقرر بموجب القانون المذكور وفى سنة ١٨٣٣ توفى فرديناندو وكانت ايزابلا فى السنة الثالثة من عمرها فأقيمت ملكة فشهر الدون كارلوس السلاح وعضده حزب كبير سمى بالكارلوسى نسبة اليه ولم تلبث دائرة الخلاف أن اتسعت وصارت الى حرب أهلية رديئة وانحاز الاكليروس الى الدون كارلوس أما حزب الملكة فسمى بحزب الحرية أو بالحزب النظامى لان أم الملكة التى استولت على زمام الملك بالنيابة عن ابنتها تعهدت بوضع قانون أساسى لاسبانيا وكان معظم الشعب من حزب ايزابلا وفى سنة ١٨٣٤ أجمع أكثر أعضاء المجلس العالى على حرمان الدون كارلوس ونسله الملك وفى سنة ١٨٣٩ عقد الصلح بين الجنرال ماروكى الكرلوسى والجنرال اسبرتيرو النظامى وهرب الدون كارلوس الى فرنسا وفى أثناء الحرب كانت الملكة النائبة تتردد بين حزب المحافظين أو المعتدلين وحزب الحرية أما وزارة مندزابال فغيرت النظام ووسعت دائرة قانون الانتخاب وقامت باصلاحات أخرى غير أن ديوان المشورة الكبير لم يكتف بذلك وطلب اعادة النظام الذى تقرر سنة ١٨١٢ فحصل عليه أخيرا ثورة حدثت فى مدريد سنة ١٨٣٧ وفى سنة ١٨٣٩ حدثت ثورتان كبيرتان فى برشلونة ومدريد فأكرهت أم الملكة على الفرار الى فرنسا وفى سنة ١٨٤٠ تولى اسبرتيرو زمام البلاد وفى سنة ١٨٤١ جعل وكيلا للملك غير أن أصدقاء كرستينا والمحافظين ثاروا عليه واضطروه الى الاستعفاء وكانت الملكة قد ناهزت سن الرشاد ولم يبق الا ١١ شهرا لبلوغها السن القانونية فضرب عنها المجلس العالى صفحا وأجلسها على تخت الملك فى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٨٤٣ وفى سنة ١٨٤٤ وجهت رياسة الوزارة الى الجنرال نرفايز الذى كان قد تولى رئاسة الثائرين وفى السنة التالية غير النظام تغييرا غير موافق لاهل الحرية وفى سنة ١٨٤٦ تزوجت ايزابلا بابن عمها الدون فرنسسكو دواسيس وفقا لمشورة الملك لويس فيليب وفى الوقت نفسه زوجت أختها ماريا فرديناندا لدوق منبنسيا غير أن زواج الملكة أدى الى تأويلات مستهجنة ووقع الخلاف بين الزوجين وكثرت الاشاعات فذهب قوم الى أن الملك ليس كفؤا للملكة وكان آخرون يتهمون الملكة بخيانة زوجها وعقدت ايزابلا الصلح مع النمسا وروسيا وفى سنة ١٨٤٩ أنفذت جيشا لمساعدة البابا وفى سنة ١٨٥٢ حاول بعضهم قتلها فحملها الحزب المحافظ على فض المجلس العالى واتخاذ وسائل مشددة ونفى كثيرون من جنرالية الحزب النظامى وفى سنة ١٨٥٤ قام الجنرال اودونل والجنرال دلشى بثورة عسكرية ومدنية فى مدريد وتمكن من اقامة حكومة محلية فهربت أم الملكة ثانية الى فرنسا أما ايزابلا فصرحت بالعفو التام وفتحت مجلسا عاليا جديدا وأباحت بيع الاوقاف وفى سنة ١٨٥٦ حاول أودونل أخذ القوة بالبطش وأخمدت الملكة ثورات حدثت فى جنوب اسبانيا فتوطد سلطانها وأعادت النظام الذى تقرر سنة ١٨٤٥

فأدّى الى نهج سياسة مضادة لاهل الحرية وكانت نتيجة ذلك سقوط وزارة ترفاير فى السنة التالية وقيام وزارة أخرى تميل الى الحزب النظامى وذلك فى سنة ١٨٥٧ وتولى أودونل قيادة العساكر التى أنفذت لمحاربة مراكش فاستظهر على المراكشيين وانتهت الحرب سنة ١٨٦٠ ثم تداخلت ايزابلا مع فرنسا فى أمور مكسيك وأرسلت اليها جيشا تحت قيادة الجنرال بريم سنة ١٨٦١ و سنة ١٨٦٢ الا أن الجنرال المذكور لم يلبث أن قصر حبل المداخلة وحاولت المملكة الاستيلاء على سنتود ومنفوو بيروو شيلى ففشلت وفى سنة ١٨٦٦ استعفى وزراؤها فاضطر الامر الى تقرير قرار مبطل نظام سنة ١٨٦١ الذى بموجبه ضمت جمهورية دومينيكا الى المملكة وفى السنة نفسها أمرت ببيع جميع الاملاك المختصة بافراد البيت المذكور وصرفت أثمانها فى أمور نافعة للامة وفى سنة ١٨٦٦ حملها الاكليروس والوزارة الجديدة التى تألفت تحت رياسة ترفاير على ابطال حرية المطبوعات وجعل التعليم العمومى فى أيدى خدمة الدين فحدثت ثورات تولى قيادة بعضها بريم وذلك فى السنة نفسها والسنة التالية وكان الثائرون منتشرين فى جهات مختلفة من البلاد غير أن مساعيهم هبطت لعدم انتظامهم وخلف ترفاير فى رياسة الوزارة غنزالز برافو فضاد أهل الحرية أكثر من سلفه غير أنه سنة ١٨٦٨ ابتدأت الثورة فى قادس فانتشرت فى الحال فى اسبانيا كلها ونشأ عنها فرار المملكة الى فرنسا مع أولادها وعشيقها مرفورى وقسيسها كلاريت فقدم لها نابليون الثالث قصر بوفاه صدرت منه اعلانا الى الشعب الاسبانيولى فأقامت به الحجة على الثورة وفى سنة ١٨٦٨ صرح فى مدريد بخلعها فاستوطنت باريز غير أنها أقامت مدة فى جنفيا فى أثناء الحرب التى جرت بين فرنسا وجرمانيا وفى ٢٥ حزيران (جون) سنة ١٨٧٠ تنازلت عن تخت الملك لابنها الفونس فسمى نفسه الفونس الثانى عشر فى اسبانيا

﴿ايزابلا فيليب لوبل الملقبة بالفرنساوية ملكة انكلترا﴾

والدها فيليب ملك فرنسا ولدت سنة ١٢٩٢ وتوفيت سنة ١٣٥٨ وتزوجت أدورد الثانى ملك انكلترا سنة ١٣٠٧ غير أنه أهملها لان ندماءه الاشرار كانوا قد ملكوا قلبه فكان يوافقهم فى جميع آرائهم ومشوراتهم فصرحت بخلعه بمساعدة أخيها شارل لوبل واستولت على زمام الملك بالوكالة عن ابنها ادورد الثالث سنة ١٣٢٦ الا أن عشيقها روجرمرتيمر أهلك أدورد الثانى فى السنة التالية بعد أن أذاقه أمر العذاب فاغتاظ ابنها وخلع نيرها وأمر بقتل مرتيمر (سنة ١٣٣٠) أما هى فحبسها فى سجن ماتت فيه بعد ٢٨ سنة وقد زعم أدورد الثالث وحلفاؤه ان لهم حقا فى ملك فرنسا لان ايزابلا المذكورة كانت من البيت الملكى الفرنساوى وقيل انها لما توجهت الى فرنسا لتسوية الخلاف الذى وقع بين أخيها وزوجها رأت كثيرين من الانكليز الهاربين وهم من أصحاب (ارل لنكستر) وكان أكثرهم اقداما ونشاطا شاب اسمه روجرمرتيمر فجمعتهم اليها وقر رأيهم على خلع أدورد وفى شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٣٢٦ وصلت المملكة الى ساحل سفلك بعساكر أجنبية مؤلفة من ٣٠٠٠ مقاتل تحت قيادة (روجرمرتيمر وجون منهينو) فاسرع لملاقاتها أكابر الاشراف والقسوس واستنجد ادورد برعاياه فلم ينجده أحد ففر هاربا الى تخوم ولس فاقتفت المملكة أثره وقبضت عليه فى ديزنيت من كونتيه كلامرغان وأرسلته الى قلعة كينلورس وفى تلك الاثناء ألقى القبض على (هدلود سنسر) وقتل خنقا واجتمع المجلس العالى بأمر ايزابلا ومرتيمر فاصدر قرارا فى شهر يونيو سنة ١٣٢٧ يؤذن بسقوط (أدورد اف كرنارفون) ونقله الى قلعة بيركلى وكان حرسه من الاوباش فبقى فيها الى أن وجد فى ٣١ أيلول عند الصباح ملقى ميتا على فراشه وكان قد سمع صراخ وأنين من غرفته ولم تبق جثته على حالها الطبيعية فدل ذلك على أنه قتل قتلا ذريعا والمظنون ان أمعاءه أحرقت بحديد محمى

بالنار

بالنار ولما بلغ ادورد الثالث من العمر اثنتي عشرة سنة أخذته والدته الملكة ايزابلا المذكورة الى فرنسا ولبثت ملكية شارل الرابع فى ولايتي غينا ونبتيو اللتين وهبهما اياهما أبوه ادورد الثانى وهنالك عقدت الملكة ايزابلا بين أدورد وبين فيليب عقد زواج فتزوجها فى ٢٤ يونيو سنة ١٣٢٨ ولما أسر ادورد الثانى وسمى ادورد الثالث ملكا لانكلترا أمرت الملكة ايزابلا بتعيين أربعة أساقفة وعشرة أشراف لكى يقرروا وكالة الملك وكان أكثرهم من حزبها فقرروا الهاولوردنيمر الذى صار ارل مرتش حق ادارة المملكة من تلك الاثناء فقضى روبرت تروسل شروط الهدنة التى كانت بينه وبين مملكة انكلترا وأنفذ جيشا عظيما تحت قيادة رندولف وزغلاس فحملوا فى كتيبة كبرلانه وآلقوا فيها الخراب والدمار فارسلت ايزابلا ولدها ادورد الى الشمال بجيش يزيد عن الاربعين ألف مقاتل وهنالك حصل بينه وبين الاسكوتسيين وجرى له معهم موقعتان وهم فى مراكز منيعة جدا فلم يتمكن من التغلب عليهم ويقال انه بكى لما رأى جماعة يسيرة قد استظهروا عليه وانتهت تلك الحرب المشؤمة فعقد معاهدة اعترف فيها باستقلال اسكوتسيا تماما وهذه الحالة ألقت المسؤلية على ايزابلا ومرتيمر وكانا قد غاظا الشعب بافعالهما ضد ارل اف كونت فانهما سعيا فى قتله لخيانة كبرى اتهمته بها وذلك سنة ١٣٣٠ وفى السنة نفسها استبد ادورد بالسلطة وتخلص من طاعة أمه ومحبيها وقتل مرتيمر لخيانة بدت منه وأما ايزابلا فامر بحبسها طول حياتها فى قصر رشنغ حتى توفيت كما تقدم

﴿ايزابلا البافارية ملكة فرنسا﴾

وهى ابنة دوق باباريا ولدت سنة ١٣٧١ وتوفيت سنة ١٤٣٥ تزوجت شارل السادس سنة ١٣٨٥ فلما جن سنة ١٣٩٢ جعلت رئيسة لمجلس الوكالة الملكية وكان من أعضائه دوق أورليان أخو الملك وجان دوق بورغونيا الملقب بعديم الخوف فحصل بين هذين الاميرين مناظرة شديدة نشأ عنها الخصام الذى جرى بين البورغونيين والارمنياكيين وكانت ايزابلا تميل الى دوق اورليان ويقال انه كان بينهما علائق حبية فانتمر لها دوق برغونيا الشرو قتل خصمه سنة ١٤٠٧ رغبة فى الانتقام منها فاغمها الامر جدا ولكنها رضيت بمعاهدة القاتل لتحفظ لنفسها السلطان ولما قتل دوق برغونيا نفسه سنة ١٤١٩ واطأت خلفه فيليب لوبون على تسليم فرنسا اليد أجنبية حارمة بذلك من الملك نفس ابنها شارل السابع ووقعت على معاهدة تروا التى بموجبها وجه تخت فرنسا الى هنرى الخامس ملك انكلترا وذلك سنة ١٤٢٠ وقلت أهميتها بعد وفاة شارل السادس وهنرى الخامس سنة ١٤٢٢ فلم تكن تتداخل فى الاحكام وفى سنة ١٤٣٥ توفيت ... وبة باحتقار الشعب غير مأسوف عليها

﴿ألمس﴾

المغنية الشهيرة التى فاقت كافة أرباب الالحان وآلات الطرب وحازت شهرة عظيمة لامزيد عليها وقد جمعت أموالا كثيرة حتى قيل فيها انها سلبت أموال القطر المصرى برقة صنعتها وحلاوة صوتها الشاجى وكانت ابنة رجل فقير يتعاطى صنعة الصباغة وكان ظهورها فى أواخر أيام سعيد باشا وأوائل حكم اسماعيل باشا الخديوى وكانت فى ذلك الوقت سائدة على مغنيات مصر لاسيما كنة المغنية الشهيرة وكانت قد أسنت وكانت ألمس صغيرة لاتتجاوز على مابلغنى الثانية عشرة من سنيها وكان اسمها الحقيقى سكينة ولكنها فى مبادى ظهورها القبت باسم (ألمس) وقد غلب على الاسم الاصلى فشهرت به وفى أول ظهورها قد طلبت احدى سيدات العائلة الخديوية جملة بنات من بنات الاهالى حسنات الاصوات لاجل تعليمهن الالحان فجاءتها احدى أتباعها بما طلبت ومن جملتهن ألمس فاختبرت أصوات الجميع فلم يرق لها سوى صوت المترجمة

فطلبت اليها الاقامة عندها فامتنعت واعتذرت أنها لا تقدر على ترك والدها الفقير فقبلت عذرها بكل أسف وأنعمت عليها بشيء من النقود وانصرفت ثم بعد ذلك اشتهرت بين سيدات مصر وذواتها فكثر طلبها وتحدث بذكرها الرجال والنساء ولما رأت ساكنة المغنية ذلك خافت على مركزها وشهرتها ان تسترها ألمس بما منحها الله من حسن الصوت ورقة الصنعة فضمتها اليها وصارت من ضمن أتباعها فصار الالتفات الكلى من الاهالى وولاة الامور لجهة ألمس وصارت ساكنة لا يعبأ بها فداخلها الحسد والحقد فساءت معاملتها ولما رأت المترجمة ذلك انفصلت عنها وجعلت لها تختا خصوصيا وكبر شأنها وطلبها ولاة مصر وذواتها وتركت ساكنة ونسي أمرها فازداد الحقد والحسد لها من جميع مغنين ومغنيات مصر وكان عبده الحمولى المغنى الشهير هو المشهور بين الرجال فى ذلك الوقت فأخذه الخوف على شهرته وارتعب من اطفاء اسمه كما حصل لساكنة فاظهر لالمس فى بادئ الامر العداوة ووقع الخلاف حتى صار اذا أراد أحد أن يزين أفراحه ويجعل لها رونقا جمع ما بينهما فى سامر واحد فيظهر كل منهما ما عنده من حسن الصنعة ورقة الصوت فيطرب السامعين ويصح فيهم المثل السائر ﴿تشاحنت المراكبيه بسعد الركاب﴾ ولما رأى ذلك عبده الحمولى وان الاهالى متجهة أفكارها الى جهة ألمس وكثر مادحوها وقل الالتفات الى جهته عمد الى الحيلة والمكر اللتين يتهم بهما النساء وأظهر لها الحب والود الذى لا يشك فيه وطلب اليها الاقتران وبذل جهده فى اتقان الحيلة حتى قبلت اقترانها به وكانت من قبل تزوجت برجل ايرانى وانفصلت منه لا أعلم ان كان بموت أو بالحياة ولما دخلت على عبده كان آخر العهد بها فمنعها عن الغناء وتقدم هو فرجعت له شهرته الاولى اذ لم يبق غيره فى القطر المصرى وأسف الاهالى جميعا من غياب سناء ألمس عن عيونهم وحزن الكثير من هذا الاقتران

ولما صارت تحت حكمه سلمت له كل مالها وما تملكه ففتح محل تجارة وحيث انه كان مسرفا فى بذل الاموال لم تدم تجارته الا قليلا فقفل محله التجارى وكانت المترجمة حملت منه ولم تلد بل توفاها الله بحملها وهى فى نضارة الشباب وعنفوان الصبا فأسف عليها المصريون كل الاسف وكان لها يوم مشهود جمع أكابر مصر وأصاغرها واحتفل بمشهدها فقلد أعناق الرجال وتسقى الارض بانهر من الدمع المدرار

وحزن عبده عليها الحزن الشديد وحاقه الندم على ما فرط منه فى معاملتها بالقسوة حيث انه كان يعاملها بكل فظاظة وهجر حتى قيل انه كان يقصد خسارة أموالها فيركب العربة تقلها الخيل الجياد من خيلها فلا يحملانه أكثر من الاسبوع وخسرت التجارة ما ينوف عن الثلاثين ألف جنيه وغير ذلك من الخسائر الباهظة غير ما عاملها به من الهجر والاعراض فلحقها الغم وندمت من حيث لا ينفع الندم حتى قيل ان ذلك كان سبب موتها لما لحقها من الكدر

فاثر هذا الامر فى عبده بعد موتها وثابر على الحزن مدة من الزمن وغنى عليها ابا الحان محزنة نذكرها على سبيل الاستئناس وهو

﴿مذهب﴾

شربت الصبر من بعد التصافى * ومر الحال ما عرفتش اصافى
بغيب النوم وأفكارى توافى * عدمت الوصل آه يا قلبى على

﴿دور﴾

يقضى لوم يكفانى ملامه * وزادنى الحال يا الله السلامه
منت بهجة فؤادى باندامه * عدمت الوصل آه يا وعدى على

(دور)

على عيني بعاد الحلو ساعه * ولكن للقضا سمعا وطاعه
لان الروح فى الدنيا وداعه * عدمت الوصل اه ياقلبى على

(دور)

زمان الانس راح عنى وودع * وصرت اليوم من والهى مولع
وبعد الهجر هو الصبر ينفع * عدمت الوصل آه ياقلبى على

هذا ما بلغنى من ترجمة ألمس ولم أجد من يطلعنى على شئ من نوادرها وملحها الكثيرة

(حرف الباء الموحدة)

(باقو الملقبة بالطاهرة زوجة السلطان مراد الثالث)

هى امرأة من البندقية كانت ذات فكر ثاقب وجمال بارع أسرها اللصوص البحرسنة ١٥٨٠ وهى سائرة مع أبيها من البندقية الى كورفو وسيقت الى القسطنطينية وصارت فيها من جوارى السلطان مراد الثالث ثم تزوجها وجعلها سلطانة وأخذ حبها بمجامع قلبه فنفذت كلمتها وكانت لها سطوة عجيبة فى أيام ابنها السلطان محمد الثالث فكان يستشيرها فى مصالح السلطنة غير أن حفيدها السلطان أحمد تغير عليها سنة ١٦٠٣ للميلاد ووضعها فى السراية القديمة الى أن ماتت

(بثينة حبيبة جميل بن معمر العذرى)

هى بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذ بن عمر بن الاصب بن حر بن ربيعة كذلك نسبها صاحب الاغانى وهى من بنى عذرة هام بها وذكرها فى شعره جميل بن عبد الله بن معمر فعرف بها حتى انه لايعرف الا بجميل بثينة تزوجها رجل يقال له نبيه بن الاسود وبقى جميل يتردد عليها بالاريبة وكانت بثينة من أحسن النساء وأكملهن أدبا وظرفا وأطيبهن حديثا ولها مع جميل نوادر وأشعار ومغازلات كثيرة كلها مستورة بالعفة والادب فمنها ان سبب ما علق بها جميل انه أقبل يوما بابله حتى أوردها واديا يقال له بغيض فاضطجع وأرسل ابله ترعى وأهل بثينة يومئذ فى جانب الوادى فاقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء فمرتا على فصال له بروك فنفرتهن بثينة (أى انتهرتهن) فقال قد نفرتهن وكانت اذ ذاك جويرية صغيرة فسبها جميل فبادلته السب وشتمته هى أيضا فاستحسن سبابها وهام بها من ذلك الحين وفى ذلك يقول

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادى بغيض يابثين سباب
وقلنا لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يابثين جواب

وخرجت بثينة فى يوم عيد وكانت النساء اذ ذاك يتزين ويجتمعن ويبدو بعضهن لبعض ويبدون للرجال فى كل عيد فجاء جميل فوقف على بثينة وأختها أم الحسين فى نساء من بنى الاحب فرأى منهن منظرا طيبا فقعد معهن ثم انصرف وكان معه فتيان من بنى الاحب فعلم أن القوم قد عرفوا فى نظره حب بثينة ووجدوا عليه فراح وهو يقول

عجل الفراق وليته لم يعجل * وجرت بوادر دمعك المتهلل
طربا وشاقك ما لقيت ولم تخف * بين الحبيب غداة برقة مجول
وعرفت أنك حين رحت ولم يكن * بعد اليقين وليس ذاك بمشكل
ان تستطيع الى بثينة رجعة * بعد التفرق دون عام مقبل

ولما سمعت بثينة أن جميلا شبب بها حلفت بالله أن لا يأتيها على خلوة الا خرجت اليه ولا تتوارى منه فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث معها ومع أخواتها حتى نمى الى رجالها أنه يتحدث اليها وكانوا أصلافا (أى غيارى) فرصدوه بجماعة نحو من بضعة عشر رجلا وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف ببثينة وأم الحسين وهما يحدثانه وهو ينشدهما قوله

حلفت برب الراقصات الى منى * هوى القطا تجتزن بطن دفين
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقيا * سليمى ولا أم الحسين لحين
فليت رجالا فيك قد نذروا دمى * وهموا بقتلى يا بثين لقونى

فبينما هو على تلك الحال اذ وثب عليه القوم فاطلق عنان الناقة فخرجت من بينهم كالسهم ووعدت جميلا يوما أن يلتقيا فى بعض المواضع فاتى لوعدها وجاء أعرابى يستضيف القوم فانزلوه وقروه فقال لهم قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثة نفر متفرقين متوارين فى الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض ابلكم فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده فلما أسفر الصبح انصرف كئيبا سيئ الظن بها ورجع الى أهله فجعل نساء الحى يقرعنه بذلك ويقلن له انما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بوصلك منها كما أن غيرك يحظى بوصلها فقال فى ذلك

فلرب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها فى القول بعد تستر * حبى بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى صدرى كقدر قلامة * فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى
ويقلن انك قد رضيت بباطل * منها فهل لك فى اجتناب الباطل
ولباطل ممن أحب حديثه * أشهى الى من البغيض الباذل
ليزلن عنك هواى ثم يصلنى * واذا هويت فما هواى بزائل
أبثين انك قد ملكت فاسجحى * وخذى بحظك من كريم واصل

وفى وعدها بالتلاقى وتأخرها يقول أيضا قصيدته الرائية التى أولها

ياصاح عن بعض الملامة أقصر * ان المنى للقاء أم المسور

(ومنها)

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور
يستاف ريح مدامة معجونة * بذكى مسك أو سحيق العنبر

(ومنها)

انى لاحفظ غيبكم ويسرنى * اذ تذكرين بصالح أن تذكرى
ويكون يوم لا أرى لك مرسلا * أو نلتقى فيه على كأشهر
ياليتنى ألقى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر
أو أستطيع تجلدا عن ذكركم * فيثيبنى بعض صبابتى وتفكرى
لو قد تجن كما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذرى
والله ما للقلب من علم بها * غير الظنون وغير قول المخبر
لا تحسبى أنى هجرتك طائعا * حدث لعمرك رائع أن تهجرى
فلتبكنى الباكيات وان أبح * يوما بسرك معلنا لم أعذر
يهواك ما عشت الفؤاد فان أمت * يتبع صداى صداك بين الاقبر

انى اليك بما وعدت لناظر * نظر الفقير الى الغنى المكثر
يعد الديون وليس ينجز موعدا * هذا الغريم لنا وليس بمعسر
ما أنت والوعد الذى تعديننى * الاكبرق سحابة لم تمطر
قلبى نصحت له فرد نصيحتى * فمتى هجرتيه فمنه تكثرى

والتقت بجميل بعد طول تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعاتبا طويلا ثم قالت له ويحك يا جميل أتزعم أنك تهوانى وأنت القائل

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * وفى الغر من أنيابها بالقوادح

فاطرق طويلا وهو يبكى و ينتحب ثم رفع رأسه وقال بل أنا القائل

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى * بثينة لايخفى على كلامها

فقالت ويحك ما حملك على هذه المنى أوليس فى سعة العافية ما كفانا جميعا

وسمعت جارية من جوارى بثينة بها الى أبيها وأخيها وقالت لهما ان جميلا عندها الليلة فاتياها مشتملين سيفهما فرأياه جالسا اليها يحدثها و يشكو اليها وجده بها وشوقه لها ثم قال لها يا بثينة أرأيت ودى لك وشغفى بك ألا تجزينه قالت بماذا قال بما يكون بين المتحابين فقالت له يا جميل أهذا تبغى والله لقد كنت عندى بعيدا منه ولئن عاودت تعريضا بريبة لارأيت وجهى بعدها أبدا فضحك من كلامها وقال والله ما قلت لك هذا الا لاعلم ما عندك فيه ولو علمت أنك تجيبينى اليه لعلمت انك تجيبين غيرى ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفى هذا ما استمسك فى يدى أو هجرتك ان استطعت الى الابد أو ما سمعت قولى

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا وبان لا أستطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى * أواخره لانلتقى وأوائله

فقال أبوها لاخيها قم بنا فما ينبغى بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاهما وقال جميل يوما لاحد أترابه هل لك فى مساعدتى على لقاء بثينة فمضى معه حتى كمن له فى الوادى وأرسل معه خاتمه الى راعى بثينة ودفعه اليه فمضى به اليها ثم عاد بموعدها اليه فلما جن الليل جاءته فتحدثا طويلا حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته وهى باركة قالت له بثينة ادن منى يا جميل فدنا منها وقال

ان المنازل هيجت أطرابى * واستعجمت آياتها بجوابى
فترى تلوح بذى اللجين كأنها * أنضاء رسم أوسطور كتاب
لما وقفت بها القلوص تبادرت * منى الدموع لفرقة الاحباب
وذكرت عصرا يا بثينة شاقنى * وذكرت أيامى وشرخ شبابى

وقال كثير لقينى جميل مرة فقال لى من أين أقبلت قلت من عند أبى الحبيبة أعنى بثينة فقال والى أين تمضى قلت الى الحبيبة أعنى عزة فقال لابد أن ترجع عودك على بدئك فتستجد لى موعدا من بثينة فقال عهدى بها الساعة وأنا أستحى أن أرجع فقال لابد من ذلك فقلت متى عهدك بها قال فى أول العيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادى الردم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها فلما أبصرتنى أنكرتنى وضربت بيدها الى ثوب فى الماء فالتحفت به (تسترا) وعرفتنى الجارية فأخبرتها فتركت الثوب فى الماء وتحدثنا حتى غابت الشمس وسألتها الموعد فقالت أهلى سائرون وما وجدت أحدا غيرك يا كثير حتى أرسله اليها فقال له كثير فهل لك فى أن آتى الحى فأنزع بأبيات من الشعر أذكر فيها هذه العلامة ان لم أقدر على الخلوة بها قال ذلك الصواب فأرسله اليها فذهب وقال انتظرنى حتى أعود ثم سار حتى أناخ بهم فقال له أبوها

ماردك يا كثير قال ثلاثة أبيات عرضت لى فأحببت أن أعرضها عليك قال هاتها قال كثير فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الخدر

فقلت لها يا عز أرسل صاحبى * اليك رسولا والمو كل مرسل
بأن تجعلى بينى وبينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه أفعل
وآخر عهدى منك يوم لقيتنى * بأسفل وادى الردم والثوب يغسل

فضربت بثينة صدرها وقالت اخسأ اخسأ فقال أبوها مهيم يا بثينة قالت كلب يأتينا اذا نام الناس من وراء هذه الرابية ثم التفتت الى الجارية وقالت أبغينا من الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له فقال كثير أنا أعجل من ذلك وخرج وراح الى جميل فاخبره فقال له جميل الموعد الدومات بعد أن تنام الناس وكانت بثينة قد قالت لاختها أم الحسين وليلى ونجيا بنات خالتها انى قد رأيت فى نحو نشيد كثير أن جميلا معه وكانت قد أنست اليهن واطمئنت بهن وكاشفتهن باسرارها فخرجن معها وكان جميل وكثير خرجا حتى أتيا الدومات (اسم محل) وجاءت بثينة ومن معها فما برحوا حتى برق الصبح فكان كثير يقول ما رأيت عمرى مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ولم أدر أيهما كان أفهم

ولما ندر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل فكان يصعد بالليل كثيب رمل ويتنسم الريح من نحو حى بثينة ويقول

أياريح الشمال أما ترينى * أهيم وانى بادى النحول
هبى لى نسمة من ريح بثن * ومنى بالهبوب الى جميل
وقولى يا بثينة حسب نفسى * قليلك أو أقل من القليل

فاذا ظهر الصبح انصرف وكانت بثينة تقول لجوار من الحى عندها ويحكن انى لاسمع أنين جميل من بعض الغيران فيقلن لها اتقى الله فهذا شئ يخيله لك الشيطان لا حقيقة له واجتمع كثير بجميل يوما فقال له يا جميل أترى بثينة لم تسمع بقولك

يقيك جميل كل سوء أماله * لديك حديث أو اليك رسول
وقد قلت فى حبى لكم وصبابتى * محاسن شعر ذكرهن يطول
فان لم يكن قولى رضاك فعلمى * هبوب الصبا يا بثن كيف أقول
فما غاب عن عينى خيالك لحظة * ولا زال عنها والخيال يزول

فقال جميل أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك

يقول العدا يا عز قد حال دونكم * شجاع على ظهر الطريق مصمم
فقلت لها والله لو كان دونكم * جهنم ماراعت فؤادى جهنم
وكيف يروع القلب يا عز رائع * ووجهك فى الظلماء للسفر معلم
وما ظلمتك النفس يا عز فى الهوى * فلا تنقمى حبى فما فيه منقم

قال فبتنا ليلتهما الى أن بزغ الصباح ثم انصرفا وخرج جميل لزيارة بثينة ذات يوم فنزل قريبا من الماء يترصد أمة لبثينة أو راعية ليتخذها واسطة لتبليغ رسالته واذا بأمة حبشية معها قربة واردة على الغدير لتملأها وكانت عارفة به ولما تبينها وتبينته سلمت عليه وجلست معه وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويخبرها بما يعانيه من ألم الفراق ويحملها رسائله الى بثينة ثم أعطاها خاتمه وسألها أن تدفعه لها وأخذ عليها موعدا ترجع له فيه ومكث ينتظر رجوعها وذهبت الجارية الى أهلها وقد أبطأت عليهم فلقيها

أبو بثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها فالتوت عليهم ولم تخبرهم بشئ مما حصل لها مع جميل وتعللت عليهم فضربوها ضربا مبرحا ومن ألم الضرب أعلمتهم حالها مع جميل ودفعت اليهم خاتمه وصدف أنه مر بها في تلك الحالة فتيان من بني عذرة فسمعا القصة جميعها وعرفا الموضع الذي فيه جميل فأحبا أن يدرآ عنه هذا الخطر فقالا للقوم انكم ان لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كل مكروه وكان أهل بثينة أعز بني عذرة فدعوا الامة وأعطوها الخاتم وأمروها أن توصله الى بثينة وحذروها من أن تخبرها بأنهم علموا القصة ففعلت ولم تعلم بثينة بما جرى ومضى الفتيان فأنذرا جميلا وقالا اقم عند نافي بيوتنا حتى يهدأ الطلب ثم نبعث اليها فتزورك وتقضي من لقائها وطرا وتنصرف سليما فقال أما الآن فابعثا اليها من ينذرها فأتياه براعية لهما وقالا له قل بحاجتك فقال ادخلي اليها وقولي لها اني أردت اقتناص ظبي فحذره ذلك جماعة اعتوروه من القناص ففاتني الليلة فمضت فأعلمتها ما قال لها فعرفت قصته وبحثت عنها ففهمتها تماما فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تبرح من مكانها ومضوا يقتفون أثره فوجدوا ناقته فعرفوا انه قد فاتهم وفي ذلك يقول جميل

خليليّ عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر
ألما بها ثم اشفعا لي وسلما * عليها سقاها الله من سائغ القطر

﴿وقال﴾

أبى القلب الاحب بثينة لم يرد * سواها وحب القلب بثنة لا يجدى
اذا مادنت زدت اشتياقا وان نأت * جزعت لنأى الدار منها وللبعد
سلي الركب هل عجنا لمغناك مرة * صدور المطايا وهي موقرة تخدى
وهل فاضت العين الشروق بمائها * من اجلك حتى اخضل من دمعها بردى
واني لأستجري لك الطير جاهدا * لتجري بيمن من لقائك من سعدى
واني لأستبكي اذا الركب غردوا * بذكراك أن يحيا بك الركب اذ تحدى
فهل تجزيني أم عمرو بودها * فان الذي أخفي بها فوق ما أبدى
وكل محب لم يزد فوق جهده * وقد زدتها في الحب مني على الجهد

ولما ضاقت برهط بثينة الحيل ائتمنوا عليها عجوزا منهم يثقون بها يقال لها أم منظور فجاءها جميل وقال لها أريني بثينة فقالت لا والله لا أفعل وقد ائتمنوني عليها فقال أما والله لأضرنك فقالت المضرة والله في أن أريكها فخرج من عندها وهو يقول

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت * بالحجر يوم جلتها أم منظور
ولا انسلابتها خرسا جبائرها * الي من ساقط الاوراق مستور

قال فما كان الا قليل حتى انتهى اليهم هذان البيتان فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها وعاقبوها على ذلك هكذا رواه صاحب الاغاني عن الزبير بن بكار وفي رواية أخرى أن رجلا أنشد مصعب ابن الزبير البيت الاول من البيتين المذكورين فقال مصعب لوددت أني عرفت كيف جلتها فقيل له ان أم منظور هذه حية فكتب في حملها اليه مكرمة فحملت اليه فقال لها أخبريني عن قول جميل

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت * بالحجر يوم جلتها أم منظور

كيف كانت هذه الجلوة قالت ألبستها قلادة بلح ومخنقة بلح في وسطها تفاحة وضفرت شعرها وجعلت في فرقها شيأ من الخلوق ومر بنا جميل راكبا على ناقته فجعل ينظر اليها بمؤخر عينه ويلتفت اليها حتى غاب عنا

فقال لها مصعب فانى أقسم عليك الا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة ففعلت وركب مصعب ناقته وجعل ينظر الى عائشة بمؤخر عينه مثل ما فعل جميل ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع

وجاء جميل الى بثينة ليلة وقد تزيا بزى راع لبعض الحى فوجد عندها ضيفا نالها فانتبذ ناحية وجلس فيها فسألته من أنت فقال مسكين مكاتب فعشت ضيفانها وعشته وحده ثم جلست هى وجارية لها تجاه النار تصطليان واضطجع القوم منتحين فقال جميل

هـــل البائس المقرور دان فمصطل * من النار أو معطى لحافا فلابس

فقالت لجاريتها صوت جميل والله اذهبى فانظرى فذهبت ثم رجعت وقالت هو والله جميل فشهقت شهقة سمعها القوم فاقبلوا يجرون وقالوا مالك فطرحت بردا لها من حبرة فى النار وقالت احترق بردى فرجع القوم وأرسلت جاريتها الى جميل فجاءتها به فحبسته عندها ثلاث ليال ثم ودعها وخرج

ورصـــدها ليلة فى نجع لبنى عـــذرة حتى اذا صادف منها فرصة وهى مارة مع أترابها فى ليلة ظلماء ذات رعود وأمطار فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت والله ما حذفنى فى مثـــل هذا الوقت الا الجن فقالت لها بثينة وقد فطنت انصرفى الى منزلك حتى نذهب الى النوم فانصرفت وبقى مع بثينة أم الحســـين وأم منظور فقامت الى جميـــل فأخذته الى الخباء معها وتحـــدثا طويلا ثم اضطجع واضطجعت الى جانبه فذهب بهما النوم حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به اليها زوجها (يظهر من تواريخ العرب أنهم كانوا على الطريقة التى اتخذها الافرنج فى وقتنا هذا بان الزوج لا يرقد وزوجته فى محل واحد بل كل منهما فى محل) فلما رآها نائمة مع جميل مضى لوجهه حتى يخبر سيده فرأته ليلى والصبوح معـــه وكانت قد عرفت خـــبر بثينة وجميـــل فاستوقفتـــه كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجاريتها اليها وقالت حذرى بثينة وجميلا فجاءت الجارية فنبهتهما فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت يا جميل نفسك نفسك فقد جاءنى غلام زوجى بصبوحى من اللبن فرآنا نائمين فقال لها وهو غير مكترث لما خوفته منه

لعمرك ما خوفتنى من مخافـــة * بثـــين ولا حذرتنى موضع الحذر

فأقسم لا يلفى لى اليوم غـــرة * وفى الكف منى صارم قاطع ذكر

فاقسمت عليـــه أن يلقى نفسه تحت النضد وقالت انما أسألك ذلك خوفا على نفسى من الفضيحة لا خوفا عليك ففعل ما أمرته به ونامت كما كانت واضجعت أم الحسين الى جانبها وذهبت خادمـــة ليلى وأخـــبرتها الخـــبر فتركت العبد يمضى الى ســـيده فمضى والصبوح معه وقال انى رأيت جميلا مع بثينة فى فراش واحد مضطجعا الى جانبها فمضى الى أخيها وأبيها وأخـــبرهم الخبر وأخـــذهما وأتى بهما الى خباء بثينة وهى نائمـــة فكشفوا عنها الثوب فاذا أم الحسين الى جانبها نائمـــة فخجل زوجهـــا وسب عبده وقالت ليلى لاخيها وأبيها قبحكما الله أفى كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هـــذا الاعور فيها بكل قبيح قبحه الله وقبحكما معـــه وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح وأقام جميل عند بثينة حتى جن الليل ثم ودعها وانصرف وخافت بثينة مما جرى فتحامت منه مدة فقال فى ذلك

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهة * تبكى عـــلى جمـــل لورقاء تهتف

فلو كان لى بالصرم يا صاح طاقة * صرمت ولكنى عن الصرم أضعف

لها فى ســـواد القلب بالحب منعة * هى الموت أو كادت على الموت تشرف

وما ذكرتك النفس يا بثن مرة * من الدهـــر الا كادت النفس تتلف

والا اعترتنى زفرة واســـتكانة * وجاد لها ســـجل من الدمع يذرف

وما استطرفت نفسى حديثا لخلة * أسر به الا حـــديثك أطرف

وهى قصيدة طويلة منها قوله

ولست بناس أهلها حين أقبلوا * وجالوا علينا بالسيوف وطوّفوا

وقالوا جميل بات فى الحى عندها * وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا

ولما اشتهرت بثينة بحب جميل اياها اعترضه عبد الله بن قطنة أحد بنى الاحب وهو من رهطها الاقربين فهجاه وبلغ ذلك جميلا فأجابه وتطاولا فغلبه جميل وكف عنه ابن قطنة واعترضه عمير بن رمل رجل من بنى الاحب أيضا واياه عنى جميل بقوله

اذا الناس هابوا خزية ذهبت بها * أحب المخازى كهلها ووليدها

أمن رجعو زطرقت بك انى * عمير بن رمل لابن حرب أقودها

بنفسى فلا تقطع فؤادك ضلة * كذلك حزنى وعثها وصعودها

قال فاستعدوا عليه عامر بن ربعى وكان الحاكم على بلاد عذرة وقالوا يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا فأباحهم دمه وطلب فهرب وغضبت عليه بثينة لهجائه أهلها جميعا فقال جميل

وما صائب من نائل قذفت به * يد وممر العقدتين وثيق

له من خوافى النسر حم نظائر * ونصل كنصل الزاعبى فتيق

على نبعة زوراء أما خطامها * فمتن وأما عودها فعتيق

بأوشك قتلا منك يوم رميتنى * نوافذ لم تظهر لهن خروق

تفرق أهلانا بثين فمنهم * فريق أقاموا واستمر فريق

فلو كنت خوارا لقد باح مضمرى * ولكننى صلب القناة عريق

كأن لم يحارب يا بثين لو انه * تكشف غماها وأنت صديق

وبعد ذلك بمدة وقع الصلح بينه وبينها وأخذ منها موعدا لقائه فوجدوه عندها فأعذروا اليه وتوعدوه وكرهوا قتله خوفا من أن ينشب بينهم وبين قومه حرب بدمه وكان قومه أشد بأسا من قوم بثينة فأعادوا شكواه الى السلطان فطلبه طلبا شديدا فهرب الى اليمن فاقام بها مدة ومن شعره وهو فى اليمن

ألم خيال من بثينة طارق * على النأى مشتاق الى وشائق

سرت من تلاع الحجر حتى تخلصت * الى ودونى الاشعرون وغافق

كأن فتيت المسك خالط نشرها * تغل به أردافها والمرافق

تقوم اذا قامت به عن فراشها * ويغدو به من حضنها من تعانق

ولم يزل فى اليمن الى أن عزل ذلك الوالى وانتقل أهل بثينة الى ناحية الشام فرجع اليهم فشكا أكابر الحى الى أبيه وكان ذا مال وفضل وقدر فى أهله فناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عن فتاتهم وعن تشببه بها وما يفضحهم به بين الناس فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ثم انصرفوا فدعا به وقال له يا بنى حتى متى أنت أعمى فى ضلالك ألا تأنف من أن تتعلق فى ذات بعل يخلو بها وأنت عنها بمعزل تغرك بأقوالها وخداعها وتريك الصفاء والمودة وهى مضمرة لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلا وغرورا فاذا انصرفت عنها عادت الى بعلها على حالتها المبذولة ان هذا الذل وضيم وما أعرف أخيب سهما ولا أضيع عمرا منك فأنشدك الله الا كففت وتأملت فى أمرك فانك تعلم أن ما قلته حق ولو كان اليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له وفى النساء عوض فقال له جميل الرأى ما رأيت والقول كما قلت ولكن هل رأيت قبلى أحدا قدر أن يدفع هواه عن قلبه أو ملك أن يسلى نفسه أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبى أو أزيل شخصها عن عينى لفعلت

ولا سبيل الى ذلك وانما هو بلاء بليت به لحين قد أتى لي ولكن أنا أمتنع من طروق هذا الحي والالمام به ولو مت كمدا وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه وقام وهو يبكي فبكى أبوه ومن حضر جزعا لما رأوا منه من حب بثينة ثم أنشد

ألا من لقلب لا يمل فيذهل * أفق فالتعزي عن بثينة أجمل
سلا كل ذي ودّ علمت مكانه * وأنت بها حتى الممات موكل
فما هكذا أحببت من كان قبلها * ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل
فيا قلب دع ذكرى بثينة انها * وان كنت تهواها تضن وتبخل
وقد أيأست من نيلها وتجهمت * ولليأس ان لم يقدر النيل أمثل
والا فسلها نائلا قبل بينها * وأبخل بها مسؤلة حين تسئل
وكيف ترجي وصلها بعد بعدها * وقد جد حبل الوصل ممن تؤمل
وان التي أحببت قد حيل دونها * فكن حازما والحازم المتحول
ففي اليأس ما يسلي وفي الناس خلة * وفي الارض عمن لا يواتيك معزل
بدا كلف مني بها فتثاقلت * وما لا يرى من غائب الوجد أفضل
هبيني بريئا نلته بظلامة * عفاها لكم أو مذنبا يتنصل
فتاة من المران ما فوق حقوها * وما تحته منها نقا يتهيل

والتقى جميل بعمر بن أبي ربيعة فقال له يا جميل قم بنا نذهب الى زيارة بثينة قال قد أهدر اهم السلطان دمي ان وجدوني عندها وهاتيك أبياتها فاذهب اليها فأتاها عمر حتى وقف على أبياتها فقال يا جارية أنا عمر بن أبي ربيعة فأعلمي بثينة مكاني فأعلمتها فخرجت اليه في مباذلها وقالت والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك فانكسر عمر وقال لها أقول جميل

وهما قالتا لو ان جميلا * عرض اليوم نظرة فرآنا
بينما ذاك منهما وأتاني * أعمل النص سيره زفيانا
نظرت نحو تربها ثم قالت * قد أتانا وما علمنا منانا

فقالت انه استملى منك فما أفلح وقد قيل (اربط الحمار مع الفرس فان لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه) فخجل من قولها وانصرف

ولما ضاقت بجميل الحيل وأراد الخروج الى الشام هجم ليلا على بثينة وقد وجد غفلة في الحي فقالت له أهلكتني والله وأهلكت نفسك ويحك أما تخاف فقال لها هذا وجهي الى الشام وانما جئتك مودعا فحادثها طويلا ثم ودعها وقال يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد هذا وبكيا بكاء طويلا وبكت ثم قال وهو يبكي

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا * لنا منك رأي يا بثين جميل
وما لم تطيعي كاشحا أو تبدلي * بنا بدلا أو كان منك ذهول
واني وتكراري الزيارة نحوكم * بثين بذي هجر بثين يطول
وان صباباتي بكم لكثيرة * بثين ونسيانيكم لقليل

وخرج الى الشام وطال غيابه فيها ثم قدم وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحي تذكر شوقها اليه ووجدها به وطلبها الحيلة في اتيانه وواعدته لموضع يلتقيان فيه فسارا اليها وحدثها وبث اليها أشواقه وأخبرها خبره بعدها وقد كان أهلها رصدوها فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما فوثب جميل وانتضى سيفه وشد عليهما فاتقياه بالهرب وناشدته بثينة الله الا انصرف وقالت له ان أقمت فضحتني

ولعل الحي أن يلحقوا بك فأبى وقال أنا مقيم وامض أنت وليصنعوا بي ما أحبوا فلم تزل تنشده حتى انصرف وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدة وفي ذلك يقول

ألم تسأل الربع الخلاء فينطق * وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق
وقفت بها حتى تجلت عمايتي * ومل الوقوف الارحبي المنوق
تعزوات كانت عليك كريمة * لعلك من رق لبثنية تعتق
لعمركم ان البعاد لشائق * وبعض بعاد البين والنأى أشوق
لعلك محزون ومبد صبابة * ومظهر شكوى من أناس تفرقوا
وبيض غريرات تثنى خصورها * اذا قمن أعجاز ثقال وأسوق
غرائز لم يلقين بؤس معيشة * يجن بهن الناظر المتنوق
وغلغلت من وجد اليهن بعدما * سريت وأحشائي من الخوف تخفق
معي صارم قد أخلص القين صقله * له حين أغشيه الضريبة رونق
فلولا احتيالي ضقن ذرعا بزائر * به من صبابات اليهن أولق
تسوق بقضبان الاراك مفلجا * يشعشع فيه الفارسي المروق
أبثنة للوصل الذي كان بيننا * نضا مثل ما ينضو الخضاب فيخلق
أبثنة ما تنأين الا كأنني * بنجم الثريا ما نأيت معلق

وأقام مرة لا يلم بها ثم لقي ابني عمه روقا ومسعدا فشكا اليهما ما به وأنشدهما قوله

زورا بثينة فالحبيب مزور * ان الزيارة للمحب يسير
ان الترحل أن تلبس أمرنا * واعتاقنا قدر أحم بكور
اني عشية رحت وهي حزينة * تشكو الي صبابة لصبور
وتقول بت عندي فديتك ليلة * أشكو اليك فان ذاك يسير
غراء مبسام كأن حديثها * در تحدر نظمه منثور
محطوطة المتنين مضمرة الحشا * ريا الروادف خلقها ممكور
لا حسنها حسن ولا كدلالها * دل ولا كوقارها توقير
ان اللسان بذكرها لموكل * والقلب صاد والخواطر صور
ولئن جزيت الود مني مثله * اني بذلك يابثين جدير

فقال له روق انك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها وانك منها بين فجور أرفعك عنه أو ذل لا أحبه لك أو كمد يؤديك الى التلف أو مخاطرة بنفسك لقومها ان تعرضت لهم بعد اعذارهم اليك وان صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة الحزم وتصبر نفسك عليها طائعة له أو كارهة ألفت ذلك وسلوت فبكى جميل وقال يا أخي لو ملكت اختياري لكان ما قلت صوابا ولكني لا أملك لي اختيارا ولا أنا الا كالاسير لا يملك لنفسه نفعا وقد جئتك لامر اسألك أن لا تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم وأن تحمل على نفسك في مساعدتي فقال له فان كنت لا بد مهلكا نفسك فاعمل على زيارتها ليلا فانها تخرج مع بنات عم لها الى ملعب لهن فأجي معك حينئذ سرا ولي أخ من رهط بثينة من بني الاحب نأوي عنده نهارا فأسأله مساعدتك على هذا فتقيم عنده أياما نهارك وتجتمع معها بالليل الى أن تقضي أربك فشكره ومضى روق الى الرجل الذي من رهط بثينة فأخبره الخبر واستعهده كتمانه وسأله مساعدته فيه فقال له لقد جئتني باحدى العظائم ويحك ان في هذا معاداة الحي جميعا ان

فطن به فقال أنا أتحرز في أمره من أن يظاهر فواعده في ذلك ومضى الى جميل فأخبره بالقصة فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده وأرسل الى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته اليها فلما رأته عرفت فتبعتها وجاءته فتحدثا ليلتهما وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها وقال لها عن غير قلى والله ولا ملال يا بثينة كان وداعي لك ولكني قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه وقد أقمت عنده ثلاثا ولا مزيد على ذلك ثم انصرف وقال في عذل روق له

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة * حبيب اليه في ملامته رشدي
وقال أفق حتى متى أنت هائم * ببثنة فيها قد تعيد وقد تبدي
فقلت له فيها قضى الله ما ترى * علي وهل فيما قضى الله من رد
فان يك رشدا حبها أو غواية * فقد جئته ما كان مني على عمد
لقد لج ميثاق من الله بيننا * وليس لمن لم يوف لله من عهد
فلا وأبيها الخير ما خنت عهدها * ولا لي علم بالذي فعلت بعدي
وما زادها الواشون الا كرامة * علي وما زالت مودتها عندي
أفي الناس أمثالي أحب فحالهم * كحالي أم أحببت من بينهم وحدي
وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما * لقيت بها أم لم يجد أحد وجدي

قيل وقع بين بثينة وجميل هجر في غيرة كان غار عليها من فتى كان يتحدث اليها من بني عمها فكان جميل يتحدث الى غيرها فشق ذلك على بثينة وعلى جميل وجعل كل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه فدخل جميل يوما وقد غلب عليه الامر الى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة فلما رأته جاءت الى البيت ولم تبرز له فجزع لذلك وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه وقد بلغ الامر من جميل كل مبلغ فأنشأ يقول

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة * وفي النفس حاجات اليك كما هيا
واني لتثنيني الحفيظة كلما * لقيتك يوما أن أبثك ما بيا
ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني * أظل اذا لم أسق ريقك صاديا

فرقت له بثينة وقالت لمولاة لها كانت معها ما أحسن الصدق بأهله ثم اصطلحا فقال له أنشدني قولك

تظل وراء الستر ترنو بلحظها * اذا مر من أترابها من يروقها

فأنشدها اياها فبكت وقالت كلا يا جميل ومن ترى أنه يروقني غيرك

وروى بعضهم عن عجوز من بني عذرة قالت كنا على ماء لنا بالجناب وقد تجنبنا الجادة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز وقد خرج رجالنا لسفر وخلفوا معنا أحداثا فانحدروا ذات عشية الى صرم قريب منا يتحدثون الى جوار منهم فلم يبق غيري وغير بثينة اذا انحدر علينا منحدر من هضبة تلقاءنا فسلم ونحن مستوحشون وجلون فتأملته ورددت السلام فاذا جميل فقلت أجميل قال اي والله واذا به لا يتماسك جوعا فقمت الى قعب لنا فيه أقط مطحون والى عكة فيها سمن ورب فعصرتها على الاقط ثم أدنيتها منه وقلت أصب من هذا فأصاب منه وقمت الى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا فشرب منه وتراجعت نفسه فقلت له لقد بلغت ونقيت شرا في أمرك قال أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجة فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودعكم وأنا عامد الى مصر فتحدثنا ساعة ثم ودعنا وشخص فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه روى عن رجل كان شاهد جميلا لما حضرته الوفاة بمصر قال انه دعاه فقال هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيأ أعهده اليك قال فقلت اللهم نعم قال اذا أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عيبتي فاعزلها جانبا ثم كل شيء سواها لك وارحل الى رهط بني الاحب من عذرة وهم رهط بثينة فاذا

صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه الابيات وخلاك ذم ثم أنشدني هذه الابيات

صدع النعي وما كني بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل في وادي القرى * نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

قال فلما قضي وواريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الابيات حتى برزت الي امرأة يتبعها نسوة قد فرعتهن طولا وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برز في دجنة وهي تتعثر في مرطها حتى أتتني فقالت ياهذا والله لئن كنت صادقا لقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت والله ما أنا الا صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول

وان سلوي عن جميل لساعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

وقيل انها كررت هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثة أيام من سماعها بموت جميل وله فيها أشعار كثيرة ولو أنه لم يقل فيها سوى هذين البيتين لكفاها شهرة وفخرا وهما قوله من قصيدة طويلة هي من ضمن أشعاره

هي البدر حسنا والنساء كواكب * وشتان ما بين الكواكب والبدر
لقد فضلت بثن على الناس مثلما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

﴿بثينة ابنة المعتمد بن عباد﴾

أمها الرميكية كانت بثينة هذه نحوا من أمها في الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على أنها جارية ووهبها لابنه فنظر في شأنها وهيئت له فأراد الدخول عليها فامتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد وان أذنت بمخاطبة والدي بذلك فعلت واني أحب أن أكون قرينتك في سنة الله تعالى فوقع عنده كلامها موقعا عظيما وداخله سرور زائد لكونه صاهر المعتمد بن عباد وان كان في نكبته وأذن لها بما أرادت فكتبت لابيها تستأذنه وكان الذي كتبته بخطها ما صورته

اسمع كلامي واستمع لمقالتي * فهي السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا أني سبيت وانني * بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * وأذاقنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمرادي
فخرجت هاربة فأحرزني امرؤ * لم يأت في اعجازه بسداد
اذ باعني بيع العبيد فضمني * من صانني الا من الانكاد

وأرادني لنكاح نجـل طاهر * حسن الخلائق من بني الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك في الرضا * ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به * ان كان ممن يرتجي لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو بأغمات واقع في شراك الكروب والازمات سرّ هو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها اذ علما ما آل اليه أمرها وجبر كسرها اذ ذلك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب وأشهد على نفسه بعقد انكاحها من الشاب المذكور وكتب اليها أثناء كتابه

بنيتي كوني به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد وقد أضربنا عنها خوف الخروج عن الموضوع

﴿بدور وقيل قدور الساحرة﴾

هي امرأة مصرية ساحرة كانت في زمان دلوكة وكانت السحرة تعظمها وتقدمها ولما حل ما حل بفرعون والمصريين من الغرق في البحر الاحمر عند اتباعهم بني اسرائيل ولم يبق في مصر من الرجال المقدمين والابطال من يقدر على حفظ البلاد بعثت دلوكة الى بدور تقول لها انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك فاعملي لنا شيأ نغلب به من حولنا وقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب أكابرنا وبقي أقلنا فبنت بدور بربى من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة أبواب الى جهة القبلي والبحري والشرق والغرب وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أراد كم من أي جهة تؤتون منها برا وبحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فانهم ان كانوا في البر على خيل أو بغال أو ابل أو في سفن أو رجالة تحركت هذه الصور فيصيبهم في أنفسهم قيل ولم تزل تلك العجوز تدبر مصر نحو أربعمائة سنة وكلما انهدم من تلك البربى شئ لم يقدر على اصلاحه الا هي أو ولدها أو ولد ولدها ولما انقرض بيتها تهدمت البربى ولم يقدر أحد على اصلاحها ذكر ذلك المقريزي

﴿بديعة ابنة السيد سراج الدين الرفاعي﴾

كانت ذات عرفان ويقين وبكاء وحنين أخذت عن أبيها وسمع منها الامام محمد الوتري وغيره وحدثت ولها شعر عجيب ومنه قولها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

رسول الهدى أدعوك والقلب خاشع * هلوع فيا للغارة الاحمدية
عليك تحياتي ولو أن همتي * حطيطة حد عن مقام التحية
فانك مصباح الوجودات كلها * وشمس أسارير الهدى للبرية

ولها كرامات ومناقب وأحوال ظاهرة وكانت من الحياء والدين وعلم الشريعة بمنزلة رفيعة وتوفيت رضي الله عنها سنة ٨٩٠ هجرية

﴿بذل المغنية﴾

هى من مولدات المدينة ربيت بالبصرة وهى من المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية للاغانى قيل كانت تغنى ثلاثين ألف صوت ولها كتاب فى الاغانى يشتمل على ١٢ ألف صوت وكانت ظريفة الوجه لطيفة المحاضرة وأخذت عن أبى سعيد مولى فائد ورحمانة وفليح وابن جامع وابراهيم الموصلى وطبقتهم وقرأت على جحظة البرمكى واشتراها جعفر بن محمد الهادى فوصفت لمحمد الامين بن الرشيد فبعث الى جعفر يسأله أن يريه اياها فأبى فزاره محمد الى بيته فسمع شيأ لم يسمع مثله فقال لجعفر يا أخى بعنى هذه الجارية فقال ياسيدى مثلى لا يبيع جارية قال فهبها لى قال هى مدبرة منزلى فاحتال عليه محمد حتى أسكره وأمر ببذل فحملت معه الى الحراقة وانصرف بها فلما انتبه جعفر سأل عنها فاخبر بخبرها فسكت فبعث اليه محمد من الغد فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيأ فلما أراد جعفر أن ينصرف قال محمد أوقروا حراقة ابن عمى دراهم فأوقرت قيل كان مبلغ المال ألف ألف درهم وبقيت بذل فى دار محمد الى أن قتل ثم خرجت فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولاءها فلما ماتت ورثها عبد الله بن محمد الامين وقيل وهب لها محمد من الجواهر شيأ لم يملك أحد مثله فكانت تخرج منه الشئ بعد الشئ فتبيعه بالمال العظيم فكان ذلك معتمدها مع ما يصل اليها من الخلفاء الى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة ولم تقبل أن تتزوج وقد رغبت اليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين وكان يهواها على بن هشام ويكتم ذلك وهجرته مدة فاسترضاها وكان ابراهيم بن المهدى يعظمها ويتوافى لها ثم تغير بعد ذلك استغناء بنفسه عنها فسارت اليه فدعت بعود وغنت فى طريقة واحدة وايقاع واحد واصبع واحد مائة صوت لم يعرف ابراهيم منها صوتا واحدا ثم وضعت العود وانصرفت فلم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها وتضرعه اليها فى الرجوع اليه وقيل ان اسحاق بن ابراهيم الموصلى خالف بذلا فى نسبة صوت غنته بحضرة المأمون فامسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات وسألت اسحاق عن صانعها فلم يعرفه فقالت والله يا أمير المؤمنين هى لابيه أخذتها من فيه فاذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتد ذلك على اسحاق حتى رؤى فى وجهه

﴿برقا جارية علاء الدين البصرى﴾

قال الرياشى اشترى علاء الدين البصرى جارية على أرفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مسرفا فانفق ماله عليها ولم يبق شيأ فاشارت عليه بان يبيعها شفقة عليه فلما حضر بها الى السوق أخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف أنشدت

هنيأ لك المال الذى قد حويته * ولم يبق فى كفى غير التذكر
أقول لنفسى رهن غم وكربة * أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى
اذا لم يكن للامر عندى حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكاء مولاها وأنشد

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاصبرى

أروح بهم في الفؤاد مبرح * أناجي به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لازيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا لفرقة محبين (انظر الى كرم هذا الامير) وبقيت عند مولاها الى أن ماتت وهما في نعمة وأمان وقد أعاد الله لهما سعدهما وبقيا أحسن مما كانا عليه حين اشتراها

بربارة القديسة

كانت عذراء ذات شهرة معتبرة في الكنيسة اليونانية والرومانية يقال انها نالت اكليل الشهادة في اليوبوليس سنة ١٣٠٦ للميلاد وفي نيقوميديا من بثينيا سنة ١٢٢٥ وانها ولدت في اليوبوليس من مصر من أبوين وثنيين وان أباها حبسها في برج خوفا من أن تؤخذ منه لجمالها البارع فبينما كانت في الحبس سمعت بوعظ أوريجانوس فكتبت اليه طالبة منه أن يعلمها الديانة المسيحية فأرسل اليها أحد تلاميذه فعلمها الديانة المسيحية وعمدها وقيل انه لما بلغ أباها ذلك سلمها الى الوالي فعذبها عذابا مبرحا فتهيأ لها الهرب الى أحد الجبال فجد في طلبها والدها الى أن أدركها فاحتز بالسيف رأسها ويقال انه أصيب وهو راجع بصاعقة ماتت بها اوصاله ومن ثم اتخذت محامية للملاحين في النوء وللطبجية وتصور غالبا وبجانبها برج ولها عيد يحتفل به في ٤ كانون الاول ومن عادة أهالي الشرق أن يتخذوا ليلة عيدها حلويات من قطائف وعوامات ونحوها وأن يطوفوا على البيوت مساخر مؤلفة من أولاد ورجال قد غيروا زيهم وصبغوا وجوههم بالسواد ولا يعلم بالتحقيق أصل هذه العادة وربما كانت تذكارا للسعي أبيها مع جماعة من الشرط في طلبها وربما كان الشرط من السودان فيكون ذلك أصلا لصبغ الوجوه بالسواد

برنيقة ابنة لاغوس وانتيفونه

كانت من أجمل وأعقل نساء زمانها صاحبة رأي صائب وفكر ثاقب ولما تزوج بطليموس الاول باوريديقي بنت ملك سوريا توجهت في موكبها برنيقة وكان لها احتفال عظيم ومن جمالها ومهارتها واتقانها تزوج بها بطليموس وصارت زوجة ثالثة له وأقنعته بأن يجعل ابنها بطليموس فيلازلفوز خليفة له دون ابن آخر له أكبر منه من أوريديقي وقد شهر حكمتها وفضلها كل من جالوترخوس وشيوكراتوس وبعد وفاتها قضي بها باكرامات الهية

برنيقة ابنة بطليموس الثاني

الملقب فيلاذلفوس وزوجة انطيوخس الثاني ملك سورية الملقب بثوس فان انطيوخس عقد معاهدة سنة ٢٩٤ قبل الميلاد قبل بموجبها أن يطلق زوجته لبوديكة ويتزوج برنيقة لكن عند موت فيلازلفوس بعد ذلك بسنتين أرجع انطيوخس لبوديكة وطلق برنيقة في دورها ولكن لبوديكة لم تركن الى انطيوخس فدست اليه سما مات به وهربت برنيقة من وجه لبوديكة الى دفني فقتلها هناك مع ابنها واتباعها قوم من حزب لبوديكة

برنيقة ابنة ماغاس ملك القيروان

هى زوجة بطليموس الثالث ملك مصر الملقب افرجيتس وعذبها أبوها بطليموس هذا ومات بعد ذلك بقليل وأما أمها فكانت راغبة جدا عن اتخاذ هذا القرين لابنتها ولكى تمنع تزويجها به عرضتها على ديمتريوس بوليورستس ولكن عند وصول ديمتريوس الى القيروان ليتخذها زوجة علق قلب أمها به فغاظ برنيقا تفضيل ديمتريوس لامها عليها فسعت فى قتله وهو على ذراعى الملكة وحينئذ ذهبت الى مصر وتزوجت بافرجيتس وعند رجوع زوجها من سفره الى سوريا فاء بما نذرته كانت نذرته قدمت شعرها الى الزهرة ولما علم ابنها بطليموس الرابع الملقب بفيلوباتر هذه التقدمة أمر بقتلها فقتلت وذلك عند جلوسه على سرير الملك

برنيقة ابنة بطليموس الثامن

الملقب لاسيروس ملك مصر وتسمى أيضا كليوباتره وهى زوجة اسكندر الثانى أى بطليموس العاشر أجلسها أهل الاسكندرية على تخت الملك بعد وفاة أبيها سنة ٨١ قبل الميلاد فقبل اسكندر الذى جعل ملكا سلايا بأن يتخذها زوجة ويشاركها فى الملك الا انه بعد أن تزوج بها بتسعة عشر يوما سعى فى قتلها و يقال ان ذلك غاظ أهالى الاسكندرية جدا فخرجوا عليه وقتلوه

برنيقة ابنة بطليموس الحادى عشر

الملقب بافليتس وهى أكبر أخت لكليوباتره المشهورة نودى باسمها ملكة عند خلع أبيها سنة ٥٨ قبل الميلاد وكانت تحب أن تتزوج بأمير من دم ملكى فأرسلت الى سورية فى طلب سلوقس كيبوساكتس الذى كان يدعى أنه من سلالة السلوقيين الملكية ولما وجدت ما كان عليه من الدناءة أمرت بخنقه بعد ذلك بأيام قليلة ثم تزوجت بارخيلاوس من كوموبا الذى كان يدعى أنه ابن متريداتس أو باتور وان أفلوس غابينوس الذى كان يحاول رد افليتس الى تخت الملك حاربها فكسرها هى وزوجها فى ثلاث معارك متوالية سنة ٥٥ قبل الميلاد وقتل ارخيلاوس وأول أعمال افليتس بعد جلوسه على تخت الملك أنه أمر بقتل ابنته المذكورة

برنيقه ابنة كوستوبارس وسالومى

هى أخت هيرودس الكبير ملك اليهودية تزوجت بابن عمها ارسطوبولس فعيرها ارسطوبولس بدناءة أصلها فشكته الى أمها فزاد بذلك العدوان على زوجها وبعد أن قتل سنة ٦ قبل المسيح تزوجت بثوربون خال أنتيباتر وهو أكبر ابن لهيرودس وبعد وفاة ثوربون ذهبت مع أمها الى رومية وبقيت هناك الى أن أدركتها المنية وهى أم أغريبا الاول

برنيقه ابنة أغريبا الاول

تزوجت هيرودس ملك كلخيدة فرزقت منه ولدين وعند موته سنة ٤٧ بعد الميلاد بقيت مع أخيها أغريبا مدة ثم تزوجت بوليمون ملك كليكية ثم تركته وكانت مقيمة فى بيت أخيها عندما احتج بولس الرسول

أمامه في قيسريا وفي حصار أورشليم رآها تيطس فسباه حسنها فأخذها معه الى رومية فرغب أن يتزوج بها ولكن اضطره الرأي العام في رومية الى ارجاعها الى اليهودية ضد ارادته وارادتها وقد بنى راسين على فراقهما ترا جيدية مشهورة

﴿ بريجيتا القديسة ﴾

ولدت في أسوج سنة ١٣٠٢ للميلاد وتوفيت في رومية في ٢٣ تموز سنة ١٣٧٣ ويظن انها ابنة برجر وهو برنس أسوجي من سلالة ملوك الغطيط ولما كان عمرها ١٦ سنة تزوجت باولغوف وكان لها منه ثمانية أولاد والكبيرة منهم جعلت في درج القديسين الروماني باسم القديسة كاترينا الاسوجية ثم نظر الوالدان العفة وبنيا مستشفى خيرية كانا يخدمان فيه بنفسهما وسافر الزيارة سنتياغوري كومبستلا وبينما كانا راجعين عزم أولغوعلى دخول دير القستري وتوفي سنة ١٣٤٤ وحينئذ قسمت زوجته الاملاك بين أولادها وبنت ديرا كبيرافي ورستينا جعلت فيه ٢٥ راهبا وستين راهبة وذلك على قانون مار أوغسطينوس فصرفت هنالك سنتين منفردة لا تقابل أحدا ثم ذهبت الى رومية فبنت هنالك منزلا للمسافرين والطلبة من الاسوجيين وذهبت الى أورشليم لزيارة الاماكن المقدسة ثم رجعت الى رومية فثبتها البابا بونيفاشيوس التاسع سنة ١٣٩١ والكنيسة الرومانية تعيد لها في ٨ تشرين الاول وكانت بريجيتا مشهورة في رومية على الاكثر بواسطة اعلاناتها وعلى الخصوص المتعلقة بالام يسوع المسيح والحوادث التي كانت مزمعة أن تجري في بعض الممالك وقد كتبت عن لسانها ولكن طعن برسون في تلك الاخبار بعبارات قاسية الا أن مجمع باسل ثبتها بعد أن فحصها بالتدقيق جون دوتر كريماتا ومن جملة كتاباتها خطاب في مدح مريم العذراء وصلوات عن ام المسيح ومحبتها

﴿ بريرة مولاة عائشة ﴾

بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكانت مولاة لبعض بني هلال وقيل كانت مولاة لابي أحمد بن جحش وقيل كانت مولاة أناس من الانصار فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقتها ولما أرادت عائشة أن تشتري بريرة اشترطوا عليها الولاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم الولاء لمن أعطى الثمن أولي ولي النعمة وكان اسم زوجها مغيثا وكان مولى فخيرها رسول الله فاختارت فراقه وكان يحبها فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي واستشفع اليها برسول الله فقال لها فيه فقالت أتأمر قال بل أشفع قالت فلا أريده وكان عبدا وقد جعل النبي عدة بريرة حين فارقها زوجها عدة المطلقة وروى عن عبد الملك بن مروان انه قال كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لي يا عبد الملك اني أرى فيك خصالا وانك لخليق أن تلي هذا الامر فان وليته فاحذر الدماء فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد ان ينظر اليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق

﴿ بركة خوند والدة السلطان الاشرف ﴾

كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها في مملكة مصر عظم شأنها وحجت سنة ٧٧٠ بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكوسات تدق معها ومعها ما يجل وصفه من ذلك قطار جمال محملة

مخاثر قد زرع فيه البقل والخضراوات وعند قدومها خرج السلطان بعساكره الى لقائها وسار الى البويب حتى تقابل معها وسار بركابها حتى وصلت الى مصر وكانت خيرة عفيفة لها بركثير ومصروف تحدث الناس بحجتها مدة سنين لما كان لها من الافعال الجميلة فى تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد فى أهل الخير ومحبة فى الصالحين ومن مآثرها المدرسة المشهورة بمدرسة أم السلطان خارج باب زويلة بقرب القلعة بمصر يعرف خطها الآن بخط التبانة وكان موضعها مقبرة أنشأتها سنة احدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة وفيها دفن الملك الاشرف بعد قتله وبقيت مدة تجتمع فيها الطلبة والمدرسون يدرسون فيها جميع العلوم حتى صارت أخيرا جامعا بمعرفة أحد ولاة مصر وهو مقام الشعائر لغاية الآن

وتوفيت الست المشار اليها سنة ٧٧٤ هجرية ودفنت بمدرستها المذكورة واتفق حين ماتت أنه أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الاعرج هذين البيتين

فى ثامن العشرين من ذى القعدة * كانت صبيحة موت أم الاشرف
فالله يرحمها ويعظم أجرها * ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال وغرق الحائل يوسف فى شهر محرم سنة ٧٧٥

﴿برة ابنة عبد المطلب الهاشمية﴾

كانت من الشاعرات الاديبات ذوى المعانى الرائقة والالفاظ الموزونة المتناسقة رثت أباها عبد المطلب فى حال حياته مع أخواتها بناء على طلبه بقولها

أعينىّ جودا بدمع درر * على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجدّ وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المكارم جم الفخر
له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر
أتته المنايا فلم تشوه * بصرف الليالى وريب القدر

﴿بصبص جارية ابن نفيس﴾

كانت أعجوبة وقتها فى الحسن والغناء ويتمنى كل من سمع بها رؤيتها ولو بذهاب نفسه ولشدة رغبة الناس فى سماع صوتها قال بعضهم فيها هذه الابيات

بصبص أنت الشمس مزدانة * فان تبدلت فأنت الهلال
سبحانك اللهم ما هكذا * فيما مضى كان يكون الجمال
اذا دعت بالعود فى مشهد * وعاونت يمنى يديه الشمال
غنت غناء يستفز الفتى * حذقا وزان الحذق منها الدلال

وتذاكروا بخل مزيد أبى اسحق فى مجلسها يوما وكان من جملتهم ابن مصعب فقالت أنا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشى وأولمت لك يوما فقالت ارفع الغيرة فقال ان رفع رجليك

لم أقل شيأ فخرج ابن مصعب فرآه في مسجد بالمدينة فقال له يا أبا اسحاق أما تحب أن ترى بصيص جارية ابن نفيس فقال امرأتي طالق ان لم يكن الله ساخطا علي فيها وان لم أكن أسأله أن يرنيها منذ سنة فما يفعل فقال له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأتي طالق ان برحت من هنا حتى تجيء صلاة العصر قال فانصرفت في حوائجي حتى العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذته بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فأقبلت بصيص على مزيد فقالت له يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليهـ ـربوا منا فلم يئلوا

فقال امرأتي طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي أن تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات وأغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأتي طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وبأي أرض تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني وأغنيك هزجا

أنا أبصرت بالليـل * غلاما حسن الدل

كغصن البان قد أصبـ * ـح مسقيا من الطل

فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحاق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا اسحاق هلم درهما أشتري به ريحانا فوثب وصاح واحرباه أي زانية أخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى اليك وغطغط القوم وعلموا أن حيلتهم لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم في حديث مزيد والضحك منه وبقيت بصيص في عز واقبال مدة حياتها وهي تتفنن في ضروب الالحان حتى فاقت أهل زمانها

بلقيس ملكة سبا

المشهورة قصتها مع النبي سليمان بن داود ورد ذكرها في الكتب المنزلة واشتهرت في كتب التواريخ وضرب بها المثل في المجد والسلطان والجمال وقد شرح العلماء تفاصيل سيرتها وسبب ورودها الى سليمان بأقوال متباينة مرجعها الى ما يأتي قال المؤرخون في نسب بلقيس انها بلقمة بنت يشرح بن الحارث بن قيس ابن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل أبوها يشرح بن تبع ذي الاذعار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش ويلقب هاددا أو هداد وقيل اسمها الحارث بن سبا وقيل الشيصبان وقيل شراحيل وقال كثير من الرواة ان أمها كانت جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة أو ريحانة بنت السكن وقيل بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني وسبب اتصال أبيها بالجن أنه كان ملكا عظيم الشأن اخر أربعين ملكا من ملوك اليمن وملك كل تلك الاقاليم ولم يكن في ملوك الارض من هو كفؤ له فكان يقول لهم ليس أحد منكم يدانيني وأبى أن يتزوج من الانس لرفعة شأنه فكان يخرج الى الصيد وبه طاد الجان بصورة الظباء فيخلي عنها فظهر له ملك الجن وشكره على صنيعه فاغتنمها فرصة وخطب ابنته فأجابه وقيل بل خرج مرة فوجد حيتين

سوداء وبيضاء تقتتلان وقد ظفرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء حتى أفاقت فأطلقها وعاد الى داره فجلس منفردا واذا بجانبه شاب جميل فذعر منه فقال له لا تخف أنا الحية التي أنجيتها وانى مكافئك بالمال أو علم الطب فقال أما المال فلا حاجة لى به وأما الطب فقبيح بالملوك ولكنى أختار ان كان لك ابنة أن أخطبها اليك فأجابه بشرط أن لا يغير عليها شيئا تعمله فاذا غير عليها فارقته وشرط أيضا أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين الى عدن فاذعن لذلك ثم تزوج بالجنية فولدت له غلاما وألقته فى النار فجزع لذلك ولكنه سكت للشرط ثم ولدت جارية فألقتها الى كلبة فعظم عليه الامر ولكنه صبر ثم عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار ليقاتله وهى معه فلما صار وافى مفازة رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب والماء ينصب من أفواه القرب فايقن بالهلاك وعلم أنه فعل الجن بأمر زوجه فضاق ذرعا عن حمل ذلك الجور فأتى وجلس أمامها وأومأ الى الارض وقال يا أرض صبرت لك على احراق ابنى واطعام ابنتى للكلاب ثم الآن قد فجعتنا بالزاد والماء حتى أشرفنا على الهلاك فقالت له لو صبرت لكان خيرا لك فان عدوك خدع وزيرك فجعل السم فى الزاد والماء وتحقيق ذلك أنه يمنع من شرب شئ من الماء الفاضل فأمر وزيره بالشرب فامتنع فقتله ثم دلته على نبع وميرة يمتارها ثم قالت وأما ابنك فقد سلمته الى حاضنة تربيه وقد مات وأما بنتك فهى باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهى بلقيس وفارقته زوجته وسار الى عدوه فظفر به وفوض اليها أبوها الملك فملكت بعده وقيل بل مات بلا وصية فاختلف الناس بعد موته وافترقوا فرقتين فرقة بايعتها وفرقة بايعت ابن أخ أبيها فساء السيرة فى الرعية وكان فاحشا خبيثا فاسقا لا يبلغه عن بنت جميلة الا أحضرها وهتكها فأراد قومه خلعه فلم يقدروا فلما رأت بلقيس ذلك أخذتها الغيرة وقد طلب منها الحضور اليه فقالت له بل احضر أنت عندى وأعدت له رجلين يقتلانه اذا دخل قصرها فلما حضر قتلاه فأحضرت وزراءه ووبختهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ثم أرتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك وقيل بل هى عرضت نفسها عليه فقال ما منعنى الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومى واخطبنى اليهم ففعل فسألوها فقالت قد أجبت فلما زفت اليه سقته الخمر حتى سكر فحزت رأسه وانصرفت الى منزلها وأمرت أن تعلق رأسه على باب دارها فلما رأى الناس ذلك علموا الحيلة فملكوها عليهم وقال قوم ان أباها لم يكن ملكا بل وزير ملك وكان الملك قبيحا يفعل ما تقدم ذكره فقتلته بلقيس فملكوها عليهم فعظم شأنها وكثر جندها واتسع نطاق ملكها حتى قال بعضهم انه كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة وله ٤٠٠٠ مقاتل وكان لها ٣٠٠ وزير يدبرون ملكها وكان لها ١٢ قائد يقود كل واحد ١٢ ألف مقاتل وبالغ بعضهم فى ذلك وأما عرشها الوارد ذكره فى القرآن الحكيم فقيل كان سريرا ضخما من ذهب وفضة مرصعا بالجواهر النفيسة وكان فى جوف سبعة بيوت عليها سبعة أغلاق كل بيت داخل الآخر وهو فى آخرها وقيل كان مقدمه من الذهب منضدا بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكللا بانواع الجواهر واللآلى وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من در أبيض وصفائح السرير من ذهب وقيل أنه قمت بلقيس على الكوة التى تدخل منها الشمس فتسجد لها ثلثمائة ألف أوقية من الذهب قال ابن الاثير قد تواطئوا

على الكذب والتلاعب بعقول الجهال حتى يصدقوا المحال لان أوصاف عرشها وعدد جيوشها من الامور التي لا يمكن تصديقها وأما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها على يده فروى أن سليمان رأى يوما رهجا قريبا منه ولم يكن يبدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فسأل عن ذلك الرهج فقالوا هو عرش بلقيس فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال أريد أسرع من ذلك فقال آصف ابن برخيا (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) وقيل ان أحد بني اسرائيل قال لسليمان أنت أقرب الناس الى الله فلو طلبت اليه لاحضره باسرع ما يكون فصلى سليمان واذا بالارض انشقت وظهر العرش يتلألأ وقيل ان سليمان في بعض مغازيه احتاج الى الماء من تحت الارض فطلب الهدهد فلم يره وقيل بل أصابت الشمس سليمان فنظر ليرى من أين نفذت اليه لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغا (فقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف القصر فمال الى الخضرة فرأى هدهدا فقال له أين أنت من سليمان وما تصنع هنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله فقال وأين أنت من هذه الدنيا الواسعة والحدائق الانيقة والقصور الشاهقة والرياض البهجة فقال ولمن هذا كله فقال هو لبلقيس صاحبة العرش العظيم ووصف له عرشها فأتى الهدهد الى سليمان وأخبره بخبره فكتب لها سليمان كتابا وقال له (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) فوافاها وهي في قصرها فرمى الكتاب في حجرها فقرأته وأرسلت أعلمت قومها بذلك واذا بالكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين) فقال قومها (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) قالت اني مرسلة اليهم بهدية فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبي من الله واني أمتحنه بها ثم وجهت اليه الهدية وكانت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن وخمسمائة جارية على زي الغلمان كلهم على سروج الذهب والخيل الموسومة وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالياقوت والمسك والعنبر وحقا فيه درة يتيمة وخرزة منقوبة معوجة الثقب وأرسلتها مع أشراف رجالها المنذر بن عمرو وآخر ذي رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك غضبا فهو ملك فلا يهولنك أمره وان رأيت شيأ لطيفا فهو نبي فاعلم الله سليمان بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشت في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا مشرفة شرفة من ذهب وشرفة من فضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر أن يربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر باولاد الجن فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على كرسيه والكراسي عن يمينه ويساره واصطفت الشياطين والجن والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم منهم نظروا فرأوا الدواب تروث على الذهب فرموا ما معهم منها فلما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق ثم قال (أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم) ثم قال أين الحق الذي فيه كذا وكذا فقدموه بين يديه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء وقد جعل خيطا بفيها فرت في ثقب الخرزة ثم دعا بالماء وأمر الغلمان والجواري أن يغسلوا أيديهم ووجوههم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى وتضرب به وجهها والغلام كان يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فرجع القوم وأخبروها بما شاهدوا فعلمت أنه نبي وأرادت الشخوص اليه في اثني عشر ألف قيل فلما قربت من مكانه قال حينئذ من يأتيني بعرشها قبل أن

يأتوني مسلمين فأتى به كانقدم وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجد فلما علم الجن أنها آتية وان سليمان ربما تزوجها فتفشي له أخبار الجن لانها تربت عندهم وأنها اذا ولدت ولدا انتقل الملك اليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده أساؤا فيها القول وقبحوها له وقالوا انها غير عاقلة ولا تميزوان رجليها كحافر الفرس وهي شعراء الساقين فأراد سليمان أن يمتحن ذلك فنكر عرشها بأن جعل تبديلا في الجواهر حتى ينظر هل تعرفه وأمر أن يبنى له صرح من زجاج وأجرى تحته الماء وجعل فيه من دواب البحر حتى اذا رأته حسبته ماء فتكشف عن ساقيها فيتحقق الامر وقيل بل بنى الصرح من قوارير زجاج أخضر وجعل له طوابق من قوارير زجاج أبيض وتحت الطوابق صور دواب فصار كأنه البحر وجلس سليمان على سرير في صدر المكان فلما وصلت بلقيس (قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو) ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء ههنا وقيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها فلم تقل نعم خوفا من الكذب ولا لا خوفا من التنكيت فعلم سليمان كمال عقلها ثم (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) لتخوضها وقد قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون علي من هذا فلما رآها سليمان صرف نظره عنها (وقال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي) ثم دعاها سليمان الى الاسلام فأجابت فأراد أن يتزوجها وكره كثرة شعر ساقيها فسأل عن شئ يزيله ولا يضر الجسد فعملت له الشياطين النورة وأشاروا بالحمام قيل فكان ذلك أول ظهور النورة فتزوجها وأحبها حبا شديدا وردها الى ملكها باليمن وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام فولدت له غلاما سماه داود ومات في حياة سليمان وقيل أمرها سليمان أن تتزوج برجل من قومها فأنفت من ذلك فقال لا يكون في الاسلام الا ذلك فقالت ان لم يكن بد فزوجني ذا تبع ملك همذان فزوجه بها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذا تبع في بناء عدة قصور حصينة منها صلحين وقيل سلحين ومرواح وقليون وهنيدة وبنون وقصر غمدان أشهرها فلما مات سليمان لم يطع الجن ذا تبع فانقضى ملكه وملك بلقيس بموت سليمان وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر وأخفى قبرها عن الناس

بكارة الهلالية

كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والاقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة حضرت مع علي ابن أبي طالب حرب صفين ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب وقد دخلت على معاوية يوما وهو يومئذ بالمدينة وكانت قد أسنت وغشي بصرها وضعفت قوتها ترتعش بين خادمين لها فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت ياخالة قالت بخير ياأمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات فقد فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة ياأمير المؤمنين

يازيد دونك فاحتفر من دارنا * سيفا حساما في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة * فاليوم أبرزه الزمان مصونا

وقال مروان وهي والله القائلة ياأمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا * هيهات ذاك وان أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة * أغراك عمرو للشقا وسعيد

وقال سعيد بن العاص وهي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى * فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتي فتطاولت * حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم * بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت يا معاوية كلامك أغشى بصري وقصر حجتي أنا والله قائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك اذكري حاجتك قالت أما الآن فلا وانصرفت فوجه اليها معاوية بجائزة سنية

﴿بلنش ملكة فرنسا﴾

ولدت سنة ١١٨٧ وتوفيت سنة ١٢٥٢ وهي ابنة الفونس التاسع ملك قسطيلة من زوجته اليونورا الانكليزية ابنة هنري الثاني وكانت مقتدرة في الامور السياسية ولما دعا الامراء المتحالفون زوجها سنة ١٢١٦ للجلوس على تخت انكلترا ألحت عليه باجابة طلبهم وأرسلت اليه مالا ونجدات ولكن نشأ عن موت الملك يوحنا وجلوس ابنه على تخت الملك خضوع الامراء للحكومة وعند وفاة فيليب أوغسطوس وجلوس زوجها على التخت باسم لويس الثامن كانت تقوده بحكمتها وحسن ادارتها وقد رافقته في الحرب الصليبية التي أقيمت على الالبيجوا وعند وفاته جعلت نائبة للملك في مدة قصر ابنها لويس التاسع وسنة ١٢٣٤ زوجت ابنها وهو في سن ١٩ بمرغريتا البروفنسية وكان عمرها ١٢ سنة وسنة ١٢٣٦ تنازلت عن نيابتها لابنها المذكور وكانت المملكة في أيامها زاهرة زاهية وقد ألحق بها أرض كبيرة مهمة وكان ابنها يعتمد رأيها ولا يدعها تفارقه الا انه دخل ضد ارادتها في الحرب الصليبية لانقاذ الارض المقدسة وفي مدة غيابه تسلمت نيابة الاحكام وقابلت بحكمتها واقدارها المعتادين الصعوبات الجديدة التي حدثت في تلك الايام وكانت على الدوام ترسل المال والنجدات الى ابنها لتساعده في تلك الحركة المشؤمة ولما انكسر هو واخوته وأسروا في مصر التزمت أن تقوم بدفع فدية بليغة لانقاذهم فنشأ عن ذلك ضرائب جسيمة خسرت بها البلاد ثروتها ومع ارتباكاتها وتقواها كانت تقاوم تعديات خدمة الدين بنشاط عظيم وقد حمت منهم بنجاح حقوق التاج الملكي وقد ناحت البلاد عموما ولبست الحداد عند موتها وهي تحسب من أشهر من حكم فرنسا

﴿عمادور خليلة لويس الخامس عشر﴾

ولدت سنة ١٧٢١ في باريس وتوفيت في فرساليا سنة ١٧٩٤ وهي ابنة جزار قد ربتها أمها تربية حسنة وزوجتها سنة ١٧٤١ بملتزم أعشار وبعد ذلك بقليل رآها الملك وهو يتصيد في غابة سنبرت فعلق قلبه بها ولكن لم يظهر ذلك الا بعد وفاة مادام دهشانور وسنة ١٧٤٤ وقد رافقت لويس في حرب فونتنوا في ابار سنة ١٧٤٥ وعند رجوعها عرفت بمركيزة عمادور وكانت تعضد العلوم والصنائع وبمساعدة فولتر وبرني رتبت أعيادا زاهرة حتى انها بعد أن ضعف حب الملك لها حافظت على سطوتها بجعلها نفسها ضرورية لراحته ثم

بعد قليل أخذت تريحه من أتعاب الاحكام وكانت تتداخل فى المالية وتعزل وتولى الوزراء وتقرب اليها الجنسينين والسكوبتيين والكفار والمجلس كلا فى دوره لكى يكون لها عاضد من جميع الاحزاب وقد تملقتها مرياتريزا بارسالها لها كتابا بخط يدها وغضبت من فردريك الثانى لطعنه فى حكومتها فعقدت محالفة بين فرنسا والنمسا ضد بروسيا فنشأ عنها حرب السبع سنين المهلكة وسنة ١٧٥٧ حاول داميان قتل الملك فاضطرها الامر أن تخرج من البلاط ولم يمض الا قليل حتى دعيت اليه ثانية فسعت فى معاقبة الوزراء الذين أشاروا بطردها وكانت سطوتها فى تعيين المأمورين العسكريين من أعظم أسباب قتل العساكر فى الحرب فتوفيت محجوبة ببعض الشعب وعدم أسف الملك وكان لها زيادة على مرتبها السنوى الباهظ مداخيل جسيمة فى العقارات وكانت تعطى الفقراء بسخاء وتساعد المخترعين والصناع وأصحاب المعارف وجمعت كمية عظيمة من أعمال الصناعة والتحف وكانت ماهرة فى التصوير والنقش وقد كتب كثيرون سيرة حياتها وينسب اليها ترجمات ورسائل ليست لها

﴿ بنلوبا زوجة عواس اليونانى ﴾

هى أم تليماك ابنة ابكاريوس وقد خطبها كثيرون ولكن أباها وعد بها من يغلب فى سباق العدو فغلب عواس ولما ألح عليها أبوها أن تبقى معه ولا ترافق زوجها الى انباكى سمح لها زوجها بان تفعل كما تشاء فاظهرت عزمها على مرافقته بسترها وجهها بمنديل خجلا ولما كان عواس فى حصار تروادة أحاط بها عشاق كثيرون ألحوا عليها باجابة طلبهم فخدعتهم بقولها انه يجب أن تكمل كفنا كانت تنسجه لعمها الشيخ قبل ان يقرر أيها الا انها كانت تحل ليلا كل ما كانت تنسجه نهارا فلما عرف عشاقها بمكيدتها كان عواس قد رجع بعد أن غاب ٢٠ سنة فقتلهم جميعا وقد أشاع بعض المضادين لها انها ولدت بنتا من عشاقها فطلقها زوجها عند رجوعه من تروادة فذهبت عند ذلك الى اسبرطه ومنها الى منتينا وقد استدل قوم على قبرها هناك بعد ذلك بزمان طويل

﴿ بهية ابنة عبد الله البكرى ﴾

من بكر بن وائل وفدت مع أبيها الى النبى صلى الله عليه وسلم فبايع الرجال وصافحهم وبايع النساء ولم يصافحهن قالت فنظر الىّ ودعا لى ومسح رأسى ودعا لى ولولدى ولما رجعت وتزوجت كثرت علىّ الاولاد وامتلأ المنزل وخشيت الفقر من كثرة العيال وكان عدد أولادى ستين ولدا أربعون رجلا وعشرون امرأة فاستشهد منهم عشرون فى الجهاد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة ولم يعلم بامرأة ولدت ستين ولدا غير هذه فسبحان الخالق الرازق

﴿ بوديسيا ملكة الايسينه ﴾

هى أم قبيلة بريطانيا كان موطنها ما يدعى الآن ببلاد كمبروج وسفولك ونورفولك وهردفرد توفيت نحو سنة ٦٢ بعد المسيح ولما توفى زوجها براسوتاغوس ملك الايسينه جعل ابنتيه مع الامبراطور نيرون ورثة لثروته العظيمة لانه كان يأمل أنه بذلك يحفظ عائلته ومملكته من تعديات الغزاة ولكن حالما مات أخذ قائد المائة الرومانى مملكته وجلدت الملكة البريطانية جهارا الذنب حقيقى أو وهمى وتركت بناتها الشهوة العبيد

فاستغنمت بوديسيا فرصة غياب سوتيونيوس باولينوس الحاكم الرومانى من تلك الجهة من انكلترا وجمعت كل القوة العسكرية من شيعتها البرابرة وثارت فى مقدمتهم على مستعمرة لندن الرومانية وقتلت بالسيف فى تلك المستعمرة والاماكن المجاورة لها سبعين ألفا على الاقل من الرومان والتجار والايطاليان وغيرهم من رعايا المملكة فبادر سوتونيوس الى محل تلك القطائع وكان تحت قيادة ملكة الايسينه ١٢٠ ألف جندى وكان عددهم يتزايد شيأ فشيأ حتى بلغوا ٢٣٠ ألف حال كون سوتونيوس لم يكن قادرا أن يأتى الى ميدان القتال بعشرة آلاف جندى فانتشبت نيران القتال وأظهرت بوديسيا شجاعة عظيمة ولما قهرت عساكر الرومانية المنتظمة عساكرها أخذت سما وابتلعته فماتت به وأما الغالبون فلم يعفوا عن شئ فانهم قطعوا الاولاد والدواب والكلاب جميعا اربا ويقال انه ذبح فى ذلك اليوم ثمانون ألف بريتونى وأما العساكر الرومانية فلم يقتل منها الا ٤٠٠ شخص وجرح بقدرهم

﴿ بوران ابنة ابرويز بن هرمز ﴾

كانت من أحسن نساء بنى الترك والفرس وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز وأصلحت القناطر والجسور وردت خشبة الصليب الى ملك الروم ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجل تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته وأقامت سبعة أشهر ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغى للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا فى ليلة عينتها له فجاءها فى تلك الليلة فقتلته فسار اليها رستم فقتلها وذلك بخبر طويل فى تاريخ الفرس

﴿ بوران ابنة الحسن بن سهل ﴾

كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن أخلاقا وأفضلهن أدبا وأوفرهن عقلا لها المام بصناعة الطرب تربت فى بيت أبيها أحسن تربية وخالطت نساء الرشيد واكتسبت من آدابهن ولما ولى المأمون الخلافة افتتن بها وخطبها من أبيها الحسن وكان وزيره بعد أخيه الفضل بن سهل وقد زفت اليه بناحية فم الصلح (بلدة من العراق) فى شهر رمضان سنة ٢١٠ هجرية

فلما دخل عليها كانت عنده حمدونة بنت الرشيد وزبيدة بنت جعفر وأم الفضل والحسن جدة بوران فنثرت عليه أم الفضل ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون فأمر بجمعها فجمعت فأعطاها البوران وقال هذه نحلتك وسلى حوائجك فأمسكت فقالت لها جدتها سلى سيدك فقد أمرك أن تسأليه فسألته الرضا عن ابراهيم ابن المهدى فقال قد فعلت وسألته الاذن لزبيدة فى الحج فأذن لها وبنى بها فى ليلته وأوقدوا فى تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعين منا وأنفق الحسن على المأمون مالا جزيلا قيل انه أقام عند الحسن تسعة عشر يوما يعد له فى كل يوم ولجميع من كان معه ما يحتاجون اليه فكان مبلغ النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم وأقطعه فم الصلح المذكورة فجلس الحسن وفرق المال على قواده وحشمه وعسكره وقيل احتفل أبوها بأمرها وعمل من الولائم والافراح مالم يعهد مثله فى عصر من الاعصر فانه نثر على الهاشميين والقواد والوجوه بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وجوار ودواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت بيد رجل فتحها فيقرأ ما فى الرقعة فاذا علم ما فيها ذهب الى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها اليه ويستلم ما فيها ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر على

المأمون وقواده وجميع أصحابه وأجناده وأتباعه وكانوا خلقا لا يحصون وعلى الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره فلم يكن في العسكر من يشتري شيأ لنفسه أولدابته وقد قالت الشعراء والخطباء في ذلك الزفاف أشياء كثيرة وممايستطرف في ذلك قول محمد بن حازم الباهلي

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

ياامام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

وبقيت بوران عند المأمون الى أن توفي سنة ٢١٨ وتوفيت هي سنة ٢٧١ وعمرها ٨٠ سنة

﴿ بيلون زوجة السلطان أزوبك ﴾

قال ابن بطوطة في رحلته اسمها بيلون وهي ابنة ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور قال لما مررنا ببلاد السلطان أوزبك ودخلنا عليه التزمنا بعد خروجنا من عنده أن ندخل على الملكة بيلون زوجته حسب عادة تلك الديار أنه متى زار أحد الملك يلزم أن يزور أزواجه وعائلته وأكابر مملكته فدخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمه فضة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات والفتيات على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وعن بعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان في يدها رقة منها وشفقة وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها ولما أردنا الانصراف قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا علينا وطالبونا بحوائجكم وأظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاث من جياد الخيل وعشرة من سواها قال وبقيت هذه الخاتون عند السلطان أوزبك مدة طويلة وهي تتفقدنا بخيراتها ومبراتها حتى قصدت الذهاب الى القسطنطينية فذهبت معها وكان ذهابها لاجل زيارة أهلها ومكثت هناك ولم ترجع لزوجها الى أن ماتت

(حرف التاء)

﴿ تحفة الزاهدة ﴾

هي جارية لبعض تجار بغداد كانت بارعة في الجمال تحسن صنعة العود وكان سيدها صرف عليها ماله وزاد في تعليمها وتهذيبها وكان [illegible] رأوها عليه بعشرين ألف درهم وغايته الربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها وكمال أدبها واستقامتها [illegible] اهي يوما جالسة والعود في حجرها وهي تغني وتقول

وحقك لانقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا

ملأت جوانحي والقلب وجدا * فكيف ألذ وأسلو وأهدا

فيامن ليس لي مولى سواه * تراك تركتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت فاتهمها سيدها بمحبة انسان فاستقصى عن ذلك فلم يجد له أثرا فحار سيدها في أمره ولم يجد لها سلوى عن الاكتئاب والهيام وقيام الليل ومناشدة الاشعار وطول التذكار وتشتت الافكار فسألها عما أصابها فأنشدت تقول

خاطبني الحق من جناني * فكان وعظي على لساني

قربني منه بعد بعد * وخصني الله واصطفاني

أجبت لما دعيت طوعا * ملبيـا للذى دعانى
وخفت مما جنيت قدما * فأوقع الحب بالامان

ولما أعيته الحيل ذهب بها الى المارستان راجيا أن تشفى مما أصابها ولما دخلت البيمارستان أودعوها فى حجرة مغلولة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأت ذلك بكت بكاء مرا وأنشدت تقول

أعيذك أن تغل يدى * بغير جريمة سبقت
تغل يدى الى عنقى * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت
وحقك ياسنى قلبى * يمينا برة صدقت
فلو قطعتها قطعا * وحقك عنك مارجعت

ويروى عن السرى السقطى أنه قال دخلت يوما على تحفة فى المارستان فوجدتها أنضر الناس وجها وعليها أطمار حسنة فشممت منها رائحة عطرية وهى تفوح شذاها الى خارج المارستان فسألت القيم عنها فقال هى جارية مملوكة قد اختل عقلها فحبسها مولاها لعلها تنصلح فلما سمعت كلامه اغرورقت عيناها بالدموع ثم أنشدت

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبى صاحى
أغللتم يدى ولم آت ذنبا * غير جهدى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى * وفسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال السرى فسمعت ما أقلقنى وأشجانى وأحرقنى وأبكانى فلما رأت دموعى قالت ياسرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق معرفته ثم أغمى عليها فلما أفاقت جعلت تقول

ألبستنى ثوب وصل طاب ملبسه * فأنت مولى الورى حقا ومولائى
كانت بقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على مافات من زللى * والنفس فى جسدى من أعظم الداء
والشوق فى خاطرى منى وفى كبدى * والحب منى مصون فى سويداء
اليك منك قصدت الباب معتذرا * وأنت تعلم ما نمته أحشائى

فقال لها السرى ياجارية سمعتك تذكرين المحبة فلمن تحبين قالت لمن تعرف الينا بنعمائه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مجيب لطلب المحبوب سميع عليم بديع حكيم جواد كريم غفور رحيم ثم أنشأت

قلبى أراه الى الاحباب مرتاحا * سكران من راح حب بالهوى باحا
ياعين جودى بدمع خوف هجرهم * فرب دمع أتى للخير مفتاحا
ورب عين رآها الله باكية * بالخوف منه تنال الروح والراحا

لله عبـــد جنى دنيا فأحزنه * فبات يبكي و يذري الدمع سفاحا

مستوحش خائف مستيقن فطن * كأن في قلبـه للنور مصباحا

قال السري فبينما نحن كذلك اذا بسيدها أقبـل فقال للقيم أين تحفة قال هي داخل وعنـدها السري السقطي رضي الله عنه ففرح سيدها ودخل وسلم عليه وعظمه فقال له السري هي أولى بالتعظيم مني فالذي تكرهه منها حتى حبستها ههنا فقال أمور كثيرة وجعل يعدد له خصالها فقال له السري على الثمن وأزيدك فصاح سيدها وافقراه من أين لك ثمن هـذه الجارية وأنت رجل فقير فقال له لا تعجل دعها في المارستان حتى آتي بثمنها ثم ذهب باكي العين رأفة على الجارية حتى طرق باب أحمد بن المثنى فأخبره بالخبر فدفع له ثمنها ومثـله معه فلما كان الغـد أقبل الى المارسـتان فقال له قد جئتك بثمن الجارية ومثله معه فقال لا والله لو أعطيتني الدنيا ما قبلت بل هي حرة لوجه الله تعالى فلما سمعت ذلك بكت بكاء مرا وأنشأت تقول

هربت منـه اليه * بكيت منه عليه

وحقـه هو مولى * لازلت بـين يديه

حتى أنال وأحظى * بما رجوت لديه

وتوجهت الى مكة وهناك دخلت الكعبة وجعلت تقول

محب الله في الدنيا سـقيم * تطاول سقمه فدواه داه

سقاه من محبتـه بكأس * فأرواه المهيمن اذ سـقاه

فهام بحبـه وسما اليـه * فليس يريد محبوبا سواه

كذاك من ادعى شوقا اليه * يهيم بحبـه حتى يراه

ثم مكثت على ذلك مـدة وهي بين الخوف والرجاء الى أن توفاها الله بمكة المكرمة وبعـد ما خرجت من المارستان سأل السري السقطي مولاها عن سبب عتقه لها وعدم قبوله ثمنها بعد ما كان مشددا على لزوم استلام الثمن ان وجد من يدفعه اليه ولما عرض عليه ازدراه واستهزأ بقوله ظانا أنه لا يقدر على ثمنها فقال له مولى الجارية انه بعد ما حصل منه ذلك راجع صوابه وقال ان السري السقطي مع ضيق ذات يده وعدم اقتداره على ثمن جارية مثل هذه تعهد بأن يستحضر ثمنها ولا بد لذلك أن يكون من أهل الخير وليس هو بأكرم مني حالة كوني قادرا على فعل الخير بدون أن يحصل لي ضرر وغلب على الكرم ففعلت ما فعلت وأرجوك الدعاء فدعا له السري بصلاح حاله وبزيادة البركة في ماله وتصدق بثمن الجارية الذي استحضره من أحمد بن المثنى المار ذكره

﴿تذكارباي خاتون﴾

هي ابنة الظاهر بيبرس كانت تقية صالحة محبة للخير مقربة للفقراء وأخصهن النساء الصالحات حتى انها من محبتها لهن بنت لهن رباطا وسمتـه رباط البغـدادية ووصفه المقريزي بقوله ان هـذا الرباط بداخـل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المتجر ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكارباي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٨٤ للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات ومابرح الى وقتنا هذا (أي وقت المقريزي)

يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائماً شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها زينب بنت فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت سنة ٧١٤ في ذي الحجة وقد أنافت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات اخلاص وخشية وأمر بالمعروف انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس وصار بعد كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٧٩٦ وأدركنا هذا الرباط ويودع فيه النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات

ثم لما فسدت الاحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ٨٠٦ تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من اقامة النساء المتعبدات فيه وهذا الرباط قد زال بالكلية وبني في محله الآن الحوانيت المتسعة على باب الدرب الاصفر

﴿ تركان خاتون الجلالية ابنة طغفاج خان من نسل فراسياب التركي ﴾

هي زوجة السلطان ملكشاه ووالدة السلطان محمود بن ملكشاه كانت من النساء العاقلات الدينات والحكيمات المدبرات شهدت لها التواريخ وألسنة الاقلام بالحكمة والتدبير وعلو الهمة والاقدام وكانت مطاعة في أوامرها مسموعة الكلمة عند أمراء المملكة محبوبة لديهم وكانت تبذل لهم العطايا والاقطاعات وكان زوجها لا يرد لها طلبا وهي المالكة والمشاركة له في الملك وكانت من حسن سياستها وتدبيرها توصلت لان تصاهر الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي وذلك من كثرة ترددها على حريم الخلافة ومعها ابنتها خاتون وهي كانت من الجمال على جانب عظيم وصفوها للمقتدي فأحبها على الوصف وأراد الاقتران بها فأرسل الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان ملكشاه يخطب ابنته ولما سار فخر الدولة الى أصبهان ووصل الى السلطان يخطب منه ابنته للخليفة فقال له ان ذلك مما يزيدني شرفا ولكن الامر في ذلك الى والدتها تركان خاتون فيجب أن تذهب اليها وأمر نظام الملك أن يمضي معه الى تركان خاتون ويتكلم معها في هذا المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية وماوراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فلم أرض فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فبلغ الخبر أرسلان والدة الخليفة فتأثرت من ذلك وأرسلت الى تركان خاتون تقول ان ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة لم يحصل لاحد غيرها وكلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه مال فأجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فأجيبت الى ذلك فأعطى السلطان يده فعاد فخر الدولة الى بغداد وفي محرم نقل جهازها الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان أكثر الاحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وستين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيم

اكبير

اكسير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان خرج من بغداد متصيدا ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع الى تركان خاتون وبين يديه نحو الثلثمائة موكبه ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم غرفة الاوقد شعلت فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها وقال الوزير لما وصل لتركان خاتون ان سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل الوديعة الى داره فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فن دونه دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل شئ كثير وجاء نساء الامراء والكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشموع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ وقد أحاط بالمحفة مائة جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطنة وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع الى تركان خاتون والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك وبعدما مكثت مدة فى دار الخليفة وولدت منه ولدا لم يطب لها المقام معه فأخبرت والدتها بذلك وهى أرسلت الى الخليفة تطلب ابنتها طلبا لابد منه وسبب ذلك أن الخليفة أكثر الاطراح لها والاعراض عنها فأذن لها فى المسير فسارت فى ربيع الاول سنة ٤٨٢ وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدى بأمر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى أصبهان فأقامت بها الى ذى القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان وسار ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها فى الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥ لقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير واتفق أن السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وأنشب الموت أظفاره فيه وكان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يصر اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمته محرقة فتوفى ليلة الجمعة فى النصف من شوال سنة ٤٨٥ ولما ثقل نقل أرباب الدولة أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدى بأمر الله وسارت الى بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الى أصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله ولم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة ٤٧٦ وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام من أقصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد وما ذلك الا باتحاده مع تركان خاتون وعدم اتيانه أمرا الا برأيها ومشورتها حتى دانت لهما العباد وذلت لسلطانهما البلاد ولما مات ملكشاه وفعلت زوجته كما ذكر أرسلت الى الخليفة المقتدى فى أمر الخطبة بان يخطب لولدها محمود فأجابها بشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون مدبر زعامة الجيوش الامير انز يصدر عن رأى تاج الملك وهو الذى يدبر الامر بين يدى تركان خاتون فلما جاءت رسالة

الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان مخاطبها الغزالى فأذعنت له وأجابته اليه ولقب ناصر الدنيا والدين وأرسلت تركان خاتون الى أصبهان فى القبض على بركيارق أكبر أولاد السلطان خيفة أن ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثبت المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وساروا من البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وملكوه بأصبهان وكانت والدته زبيدة بنت ياقوتى بنت عم ملكشاه خائفة على ولدها من تركان خاتون أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على تركان خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيأ ولما وصلت تركان خاتون الى أصبهان لحقها تاج الملك واعتذر لها بأن مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره وأما بركيارق فانه لما قاربت تركان خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم أرغش النظامى فى عساكره وصاروا يدا واحدة فلما اجتمعوا حاصروا قلعة طبرق وأخذوها عنوة وسيرت تركان خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فاجتاز جماعة من الامراء والذين فى عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم وآخر ذى الحجة اشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى أصبهان وصار بركيارق فى أثرهم فحصرها بأصبهان

وكان تاج الملك فى عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فأخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر أصبهان وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره فشرع تاج الملك فى اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى ألف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وأن لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله فى محرم سنة ٤٨٦ وحمل الى بغداد احدى أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة

وفى شعبان سنة ٤٨٦ أرسلت تركان خاتون الى اسماعيل بن ياقوتى بن داود خال بركيارق وابن عم ملكشاه تطمعه أن تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فأجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم أصحاب سرهنك ساوتكين فى خدمة وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء فى عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسماعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وسار معه فانهزم اسماعيل وعسكره وتوجه الى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت باسمه وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر فى الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء عند ذلك لا سيما الامير انز وهو مدبر الامر ورئيس الجيش وآثروا خروج اسماعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وأرسل يستأذن أخته زبيدة والدة بركيارق فى اللحاق بهم فأذنت له فى ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم أياما يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبرزوان وبسطوا له فى القول فأطلعهم على سره وأنه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه

وفي سنة ٤٨٦ أرسلت تركان خاتون جيشا مع الامير انز لقتال توران شاه بن قاورت بك حاكم بلاد فارس فسار اليه وحاربه وأخذ أكثر بلاده وبقي حاكما عليها ولما لم يحسن الامير انز تدبير بلاد فارس استوحش منه الاجناد واجتمعوا مع توران شاه وهزموا انز ومات توران شاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها وبقيت تركان خاتون في عز ورفعة ومنعة لم يقدر عليها أحد من الملوك والسلاطين وطالما حاول بركيارق اذلالها وأخذ السلطنة منها فلم يقدر عليها وذلك من كثرة حكمتها وكرمها وحسن ادارتها فان جميع الامراء كانت تحبها وتسعى في خدمتها الى أن توفيت في رمضان سنة ٤٨٧ بأصبهان

وكانت قد برزت من أصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت وأوصت الى الامير انز والى الامير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أتراك وكان لها جلة آثار مثل بناء مساجد وأضرحة ومدارس وبيمارستانات وخلاف ذلك في جميع أنحاء المملكة وأسف الناس عليها أسفا شديدا تغمدها الله برحمته

﴿ تقية ابنة أبي الفرج ﴾

ذكرها الحافظ السلفي في تعليقه وأثنى عليها وأخذت عنه العلم بثغر الاسكندرية وفاقت الرجال فيه ولها زيادة على ذلك الباع الطولى في الشعر والادب ولطائفها الادبية مع الحافظ المذكور كثيرة منها أنه كان مارا بمنزله فعثر فجرح باطن قدمه فقطعت جارية من الدار قطعة من خمارها وعصبت بها قدمه فأنشأت تقية تقول

لو وجدت السبيل جدت بخدي * عوضا عن خمار تلك الوليده

كيف لي أن أقبل اليوم رجلا * سلكت دهرها الطريق الحميده

ومن غرائبها في الادب أنها مدحت الملك المظفر بن أخي السلطان صلاح الدين بقصيدة خمرية فقال ممازحا أتعرف الشيخة هذه الاحوال من صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية وصفت فيها الحرب وما تتعلق به أحسن وصف وبعثتها اليه وقالت علمي بهذا كعلمي بذلك وهي في القرن السادس من الهجرة

﴿ تماضر الشهيرة بالخنساء ﴾

هي ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة وقيل بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وتكنى أم عمرو وانما الخنساء لقب غلب عليها وشبي الظبية وكان دريد بن الصمة رآها تهنأ جملا وهي تهنأ جملا فعلق بها وقال فيها

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم * وأصابه تبل من الحب

وخطبها بعد ذلك الى أبيها فقال له أبوها مرحبا بك يا أبا قرة انك لكريم لا يطعن في حسبه والسيد لا ترد عن حاجته ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وانا ذاكرك لها ثم دخل عليها وقال يا خنساء أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ودريد يسمع قولهما فقالت يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا وأنشأت تقول

أتخطبني هبلت على دريد * وتطرد سيدا من آل بدر

معاذ الله ينكحني حبركى * يقال أبوه من جشم بن بكر
ولو أمسيت في جشم هديا * لقد أمسيت في دنس وفقر

فخرج اليه أبوها فقال يا أبا قرة قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد فقال دريد سمعت ما دار بينكما وانصرف غضبان وقال يهجو الخنساء

لمن طلل بذات الخمس أمسى * عفا بين العقيق فبطن ضرس
أشبهها غمامة يوم دجن * تلألأ برقها أو ضوء شمس

وهي طويلة أشمر بناتها فقيل للخنساء ألا تجيبيه فقالت لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه ولما ردت دريدا خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر فولدت له يزيد ومعاوية وبنتا اسمها عمرة حكى بعضهم أنه لما كانت ليلة زفاف عمرة كانت أمها جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت وهي تلحظ ابنتها لحظا شديدا فقال القوم يا عمرة ألا تحرشت بأمك فانها الآن تعرف بعض ما أنت فيه فقامت عمرة تريد شيأ فوطأت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت لها وقد اغتاظت حسن البلد يا حنفاء كأنما تطئين أمة ورهاء أنا كنت أكرم منك عرسا وأطيب ورسا وذلك زمان اذ كنت فتاة أعجب الفتيان لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم كالمهرة الصنع لا مضاعة ولا عند مضيع فضحك القوم من غيظها وكانت الخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهي تعد من الطبقة الثانية في الشعراء وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر وكان معاوية أخاها لامها وأبيها وكان صخر أخاها لابيها وأحبهما اليها واستحق صخر ذلك منها لانه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محظوظا في العشيرة وأجمل رجل في العرب فلما قتل جلست الخنساء على قبره زمانا طويلا تبكيه وترثيه وفيه جل مراثيها وكانت في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها معاوية وصخر وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها وقيل لجرير من أشعر الناس فقال أنا لولا هذه الخبيثة يعني الخنساء قال بشار لم تقل امرأة قط شعرا الا تبين الضعف في شعرها فقيل له أوكذلك الخنساء قال تلك فوق الرجال وكان الاصمعي يقدم ليلى الاخيلية عليها قال المبرد كانت الخنساء وليلى فائقتين في أشعارهما متقدمتين لاكثر الفحول وكان النابغة الذبياني يجلس للشعراء في سوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها فأنشدته الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي في أخيها صخر فأعجبه شعرها وقال لها اذهبي فأنت أشعر من كانت ذات ثديين ولولا هذا الاعمى أنشدني قبلك يعني الاعشى لفضلتك على شعراء هذا الموسم فانك أشعر الانس والجن وكان ممن عرض شعره في ذلك الموسم حسان بن ثابت فغضب وقال أنا أشعر منك ومنها فقال ليس الامر كما ظننت ثم التفت الى الخنساء وقال يا خناس خاطبيه فالتفتت اليه الخنساء وقالت ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا قال قولي فيها

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت ضعفت افتخارك وأنزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا قال قلت لنا الجفنات والجفنات ما دون الغر ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت الغر والغرة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعا وقلت يلمعن واللمع شئ يأتي بعد شئ ولو قلت يشرقن لكان أكثر لان الاشراق أدوم من اللمعان وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر طراقا وقلت أسياف والاسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوفا لكان أكثر

وقالت يقطرن ولو قلت يسلن لكان أكثر وقلت دما والدماء أكثر من الدم فسكت حسان ولم يرد جوابا وكان في أثناء ذلك ظهور الاسلام فقدمت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت واستنشدها فأنشدته فأعجب بشعرها وهو يقول هيه يا خنساء ثم انصرفت

وقيل ان عمر بن الخطاب سألها ما أقرح ما قي عينيك قالت بكائي على السادات من مضر قال يا خنساء انهم في النار قالت ذلك أطول لعويلي عليهم اني كنت أبكي لهم من الثار وأنا اليوم أبكي لهم من النار وقيل انها أقبلت في خلافته حاجة فنزلت بالمدينة بزي الجاهلية فقام اليها عمر في أناس من الصحابة فدخل عليها فاذا هي كما وصفت له فعذلها ووعظها وقال لها ان الذي تصنعين ليس صنع الاسلام وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهيب وحشو جهنم فقالت اسمع مني ما أقول في عذلك اياي ولومك لي فقال هات فأنشدته من شعرها في أخويها فتعجب من بلاغتها وقال دعوها فانها لا تزال حزينة أبدا وقيل انها أتت عائشة فنظرت اليها وعليها الصدار وهي محلوقة الرأس تدب من الكبر على عصى فقالت لها عائشة أخناس فقالت لبيك يا أماه قالت أتلبسين الصدار وقد نهي عنه في الاسلام فقالت لم أعلم بنهيه قالت ما الذي بلغ بك ما أرى قالت موت أخي صخر قالت عائشة ما دعاك الى هذا الاصنائع من جميله فصفيها لي قالت نعم ان لشعاري سببا وذلك أن زوجي كان رجلا متلافا للاموال يقامر بالقداح فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا فأسأله فأتيته فشكوت اليه حالنا وقلة ذات أيدينا فشاطرني ماله فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالته فصار لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي فلما كان في الثالثة أو في الرابعة خلت بصخر امرأته فعذلته ثم قالت ان زوجها مقامر وهذا مالا يقوم به شيء فان كان ولا بد من صلتها فأعطها خس مالك فانما هو متلف والخير فيه والشر سيان فأنشأ يقول لامرأته

والله لا أمنحها شرارها ✱ وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت مزقت خمارها ✱ واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه فلما هلك اتخذت هذا الصدار والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت وكان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين بفتح فارس صارت معهم وهم رجال وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هجرية وسنة ٦٣٨ ميلادية وأوصتهم من الليل بقولها يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة فلما أضاء لهم الصبح باكروا الى مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغ الخبر اليها فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الاربع وكان لكل منهم مائة درهم حتى قبض وأخبار الخنساء كثيرة وهي أشهر من أن تذكر ومن شعرها قولها في أخويها معاوية وصخر وأبيها عمرو

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة ✱ قليل اذا نام الخلي هجودها

وصنوىّ لا أنسى معاوية الذى * له من سراة الحرّتين وفودها
وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا * بسلهبة الأبطال قرم يقودها

وقولها فى أخويها

من حس بالأخوين كالـ * ـغصنين أو من راهما
قرمين لا يتظالما * ن ولا يرام حماهما
ويلى على الأخوين والـ * ـقبر الذى واراهما
رمحين خطيين فى * كبد السماء سناهما
ما خالفا اذ ودّعا * فى سودد ثرواهما
سارا بغير تكلف * عفوا بفيض نداهما

وقولها ترثى أخاها معاوية

ألا لا أرى فى الناس مثل معاويه * اذا طرقت احدى الليالى بداهيه
بداهية يصغى الكلاب حسيسها * وتخرج من سر النجىّ علانيه
ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا * اذا ما علته جهرة وعلانيه
وكان لزاز الحرب عند شبوبها * اذا شمرت عن ساقها وهى ذاكيه
بلينا وما تبلى تعار وما ترى * على حدث الايام الا كما هيه
فأقسمت لا ينفك دمعى وعولتى * عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقولها أيضا فيه وكان مقتله فى بنى مرة

ألا ما لعينك أم ما لها * لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشريد * حلت به الارض أثقالها
وأقسمت آسى على هالك * وأسأل نائحة ما لها
سأحمل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها
نهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أبقى لها
ورجراجة فوقها بيضها * عليها المضاعف أفيالها
ككرفئة الغيث ذات الصبير * ترمى السحاب ويرمى لها
وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فسهلتها * ولم ينطق الناس أمثالها
فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها
تزول الكواكب من فقده * وجللت الشمس اجلالها

وأما مراثيها فى أخيها صخر فكثيرة جدا كما قلنا وأشهر ما قالت فيه قولها عند مامات

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل * درّاك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب * مركب فى نصاب غير خوّار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما أضاءت نجوم الليل للسارى

شدوا المآزر حتى تستعادلكم * وشمروا انها أيام تشمار
وابكوا فتى الحى لاقته منيته * وكل حى الى وقت ومقدار

وقولها

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى * على موناهم لقتلت نفسى
ومايبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

وقولها

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا
ألا تبكيان الجرىء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا بايديهم * الى المجد مد اليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم * الى المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ماعالهم * وان كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهدى الى بيته * يرى أفضل المجد أن يحمدا
وان ذكر المجد ألفيته * تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقولها

قذى بعينيك أم بالعين اعوار * أم أقفرت اذ خلت من أهلها الدار
تبكى لصخر هى العبرى وقد ذرفت * ودونه من جديد الترب أستار
لابد من موتة فى صرفها غير * والدهر فى صرفه حول وأطوار
ياصخر وارد ماء قد تناذره * أهل الموارد مافى ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت * فانما هى إقبال وإدبار
لاتسمن الدهر فى أرض وان رتعت * فانما هى تحنان وتسجار
يوما بأوجد منى يوم فارقنى * صخر وللدهر إحلاء وإمرار
فان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار
لم تره جارة يمشى بساحتها * لريبة حين يخلى بيته الجار
ولا تراه ومافى البيت يأكله * لكنه بارز بالصحن مهمار
مثل الردينى لم تنفد شبيبته * كأنه تحت طى البرد أسوار
فى جوف رمس مقيم قد تضمنه * فى رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين لفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
في رفقة حار حاديهم بمهلكة * كأن ظلمتها في الطخية القار
كان دمعي لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذرابها الدهر ان الدهر ضرار

وتوفيت الخنساء في البادية في خلافة معاوية بن أبي سفيان رحمة الله عليها

﴿تماضر زوجة زهير﴾

كانت من بنات بني عبس الاكابر الذين ورثوا المجد كابرا عن كابر تزوجت بالملك زهير العبسي على محبة ووفاق وزادت به شرفا ومقاما واجلالا واكراما وولدت له جملة أولاد نجباء منهم قيس ومالك ابنا زهير وزوجها زهير ملك بني عبس ولها رثاء قليل في ولدها مالك قتله حذيفة بن بدر ومن قولها

كأن العين خالطها قذاها * لغيبتكم فلم تعطى كراها
على ولد وزين الناس طرا * اذا ما النار لم ترمن صلاها
لئن حزنت بنو عبس عليه * فقد فقدت بنو عبس فتاها
فمن للضيف ان هبت شمال * مزعزعة يجاوبها صداها
أسيدكم وحاميكم تركتم * على الغبراء منهدما رحاها
ترى الشم الجحاجح من بغيض * تبدد جمعها يوما تراها
فيتركها اذا اضطربت بطعن * وينهبها اذا اشتجرت قناها
حذيفة لا سلمت من الغوادي * ولا روتك هاطلة نداها
كما أفجعتني بفتى كريم * اذاوزنت بنو عبس وفاها
فدمعي بعده أبدا هطول * وعيني دائم أبدا بكاها

﴿تنوسة جارية علية بنت المهدي العباسي﴾

كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وأدب ماله مثال تعلمت الغناء حتى صارت أحسن المغنين والمغنيات وساعدها على ذلك صوتها وحدة ذهنها وشدة استحضارها وكانت تختلف الى الامير محمد بن عبد الله بن طاهر وترتاح لمنادمته وهو يشتاق لسماع صوتها وقيل ان محمد بن عبد الله جلس يوما في مجلس أنسه وكان عنده صديقه الحسن بن محمد بن طالوت وكان أخص الناس به فقال له لابد لنا في يومنا هذا من ثالث نطيب بمعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته حتى نسمع صوت تنوسة فمن ترى أن يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق فأعمل فكره الحسن وأمعن نظره وقال أيها الامير قد خطر ببالي رجل ليست علينا في مجالسته كلفة قد خلا من ابرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الوقفة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أمرت قال ومن ذلك قال مان الموسوس قال أحسنت والله فتقدم الى أصحاب الارباع بطلبه فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ فساربه الى باب الامير فادخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثيابا نظافا ثم أدخل عليه فقال السلام عليك يا أمير فقال عليك السلام يامان ألم يأن أن

تزورنا على حين نوقان منا اليك ومنازعة قلوبنا نحوك فقال مان الشوق شديد والمزار بعيد والحجاب عتيد والبواب فظ عنيد ولو سهل الاذن لسهلت علينا الزيارة قال لقد أطنبت فى الاستئذان فلا تمتنع فى أى وقت جئت من ليل أو نهار ثم أذن له فجلس ثم دعا له بالطعام فأكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدى فأحضرت فكان أول ما غنت

واست بناس اذ غدوا فتحملوا * دموعى على الاحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم * بوا كرتخدى لا يكن آخر العهد

فقال مان أحسنت والله ألا زدت فيه

أقت أناجى الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الجهد والصد
ولم يعدنى هذا الامير بعزه * على ظالم قد لج فى الهجر والبعد

فاندفعت تغنيه فرق محمد بن عبد الله له وقال أعاشق أنت يا مان قال فاستحيا وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فيسقط من عينه فقال بل هلع وطرب أعز الله الامير وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد المشيب من صبوة ثم اقترح محمد على تنوسة هذا الصوت من شعر أبى العتاهية

حجبوها عن الرياح لانى * قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها يوم الرحيل الكلاما

فغنته فطرب محمد ثم دعا برطل فشربه فقال مان ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه

فتنفست ثم قلت لطيفى * آه لو زرت طيفها إلماما
خصها بالسلام سترا والا * منعوها الشقوتى أن تناما

فكان أبعث للصبابة بين الاحشاء وألطف تغلغلا على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامه وانتهائه الى غاية تمامه قال محمد أحسنت والله يا مان ثم أمر تنوسة بالحاقها هذين البيتين بالاولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبى نواس

ياخليلى ساعة لا تريما * وعلى ذى صبابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب الا * فضح الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مان لولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب الا صدأ استحسانه اياهما فقال محمد الرغبة فيما تأتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالغزال لو تلحظ الصخر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ما تبدى * من الثغر لؤلؤا منظوما

قال محمد أحسنت والله فاجز

لم تطب اللذات الا لمن * طابت له لذات تنوسه
غنت بصوت أطاقت عبرة * كانت بحسن الصبر محبوسه

فقال مان

وكيف صبر النفس عن غادة * تظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان شبهتها بانة * فى جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت فقال محمد فأعدلى وصفك لها فقال

وغير عدل ان قرنابها * جوهرة فى التاج مغروسه

جلت عن الوصف فما فكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقالت تنوسة وجب علينا بامان شكرك فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله تعالى يديم لنا السرور ببقاء من ببقائه اجتمع شملنا فأنشأ يقول

ليس لى الف فيقطعنى * فارقت نفسى الاباطيل

أناموصول بنعمة من * حبله بالجد موصول

أنامشمول بمنة من * منه فى الخلق مبذول

أنا مغبوط بزورة من * ربعه بالجد مأهول

فأومأ اليها ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

ملك عز النظير له * زانه الغر البهاليل

طاهرى فى مركبه * عرفه للناس مبذول

دم من يشقى بصارمه * مع هبوب الريح مطلول

فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سلفت منا اليك ثم أقبل على ابن طالوت فقال يا هذا ليس خساسة ثوب المرء وانتماع المنظر ونبو العين بمذهب جوهر الادب المركب فيه ولله در صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبذول

فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

﴿ ثم قال وهو واقف ﴾

مدمن التحقيق موصول * ومطيل اللبث مملول

فأنا أستودعكم الله ثم انصرف فأمر له محمد بن عبد الله بصلة سنية قال ابن طالوت فما رأيت أحدا أحضر ذهنا منه اذ تقول له الجارية عطف عليك الفلك فينفيها بقوله ليس لى الف فيقطعنى البيت قال ولم يزل محمد جاريا عليه رزقا سنيا الى أن مات وبقيت تنوسة معززة مكرمة فى منزل علية ابنة المهدى الى أن ماتت بعدما عمرت ولم يتغير شئ من صوتها وجمالها

(حرف الثاء)

﴿ ثبيتة ابنة الضحاك بن خليفة الانصارية الاشهلية ﴾

ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت على جانب عظيم من الجمال والكمال واللطافة والادب وعزة النفس وكان يضرب بها المثل فى الجمال بين نساء العرب وكانت كلما خرجت من منزلها تمايل اليها الانظار وتهوى اليها القلوب بالابصار وكان مرة سهل بن أبى حثمة مارا فى الطريق فرأى محمد بن مسلمة يطارد ثبيتة بنظره فقال له أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم انى سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول اذا ألقى الله عز وجل فى قلب رجل خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها ومن ذلك يتضح أن من أراد الخطبة فله أن ينظر مخطوبته قبل زواجه بها وبقيت ثبيتة محط أنظار شبان الصحابة حتى تزوجت وهى فى غاية العفة والصيانة ولم يمدد اليها أحد يده بسوء ولها صحبة حسنة وأحاديث نبوية

ثبيتة ابنة مرداس بن خفان العنبرى

كانت من شاعرات العرب وكرمائهن اللاتى يضرب بهن المثل وكان زوجها كريما لم يوجد أكرم منه فى زمانه قيل انه أتاه أخو امرأته يوما فاعطاه بعيرا من ابله وقال لامرأته هاتى حبلا يقرن به ما أعطيناه الى بعيره ثم أعطاه بعيرا آخر وقال هاتى حبلا ثم أعطاه ثالثا فقال هاتى حبلا فقالت مابقى عندى حبل فقال على الجمال وعليك الحبال فرمت اليه خمارها وقالت اجعله حبلا لبعضها فانشأ يقول

لاتعذليني فى العطاء ويسرى * لكل بعير جاء طالبه حبلا
فانى لاتبكى على افالها * اذا شبعت من روض أوطانها بقلا
فلم أر مثل الابل مالا لمقتن * ولامثل أيام الحقوق لها سبلا

فاجابته فورا

حلفت يمينا يا ابن خفان بالذى * تكفل بالارزاق فى السهل والجبل
تزال حبال المحصدات أعدها * لها ماشى منها على خفه جمل
فأعطى ولاتبخل لمن جاء طالبا * فعندى لها خطم وقد زالت العلل

ثبيتة ابنة يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الانصارية

كانت من المهاجرات الاوائل ومن فاضلات النساء الصحابيات وهى امرأة أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهى مولاة سالم مولى أبى حذيفة قتل سالم يوم اليمامة

وكانت ثبيتة من النساء الاديبات العابدات الزاهدات الصابرات على العبادة مشهورة بحسن صحبتها ولها رواية مشهورة عند المحدثين

الثريا ابنة عبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر

كانت من شهيرات نساء قريش وأبرعهن جمالا وكمالا وكان عمر بن أبى ربيعة مستهاما بها وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو اليها كل غداة اذا كانت بالطائف على فرسه فيسائل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن أخبارها فلقى يوما بعضهم فسأل أحدهم عن أخبارهم فقال مااستطرفنا خبرا الا أننى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم من السماء وقد سقط على اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كداء وهى أحسن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوق له وتتشوف فوجدها سالمة ومعها أختاها رضيا وأم عثمان فاخبرها الخبر فضحكت وقالت والله أنا أمرتهم لاختبر مالى عندك فى ذلك فقال هذا الشعر

تشكى الكميت الجري لما جهدته * وبين لو يستطيع أن يتكلما
فقلت له أن ألق للعين قرة * فهان على أن تكل وتسأما
لذلك أدنى دون خيل رباطه * وأوصى به أن لا يهان ويكرما
عدمت اذا وفري وفارقت مهجتي * لئن لم أقل قرنا ان الله سلما

وسأل مسلمة بن ابراهيم أيوب بن مسلمة أ كانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة فقال وفوق الصفة كانت والله كما قال عبد الله بن قيس

حبذا الحج والثريا ومن بالـ * ـخيف من أجلها وملقى الرحال
يا سليمان ان تلاقي الثريا * تلق عيش الخلود قبل الهلال
درة من عقائل البحر بكر * لم يشنها مثاقب اللآلي

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية فقال فيها عمر

أصبح القلب في الحبال رهينا * مقصدا يوم فارق الظاعنينا
قلت من أنتم فصدت وقالت * أمبد سؤالك العالمينا
نحن من ساكني العراق وكنا * قبله قاطنين مكة حينا
قد صدقناك اذ سألت فمن أنـ * ـت عسى أن يجر شأن شؤونا
وترى أننا عرفناك بالنعـ * ـت بظن وما قتلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعت * قد تراه لناظر مستبينا

وبلغت الابيات الثريا فبلغتها اياها أم نوفل فقالت انه لوقاح صنع بلسانه ولئن سلمت له لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه ولأعرفنه نفسه وهجرت عمر فلما هجرته قال في ذلك

من رسولي الى الثريا فاني * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتني مجاجة المسك عقلي * فسلوها ماذا أحل اغتصابي
وهي مكنونة تحير منها * في أديم الخدين ماء الشباب
أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد القطر والحصا والتراب

فلما سمع ابن عتيق قوله (من رسولي الى الثريا فاني) قال اياي أراد وبي نوه لا جرم والله لا أذوق أكلا حتى أشخص فاصلح بينهما ونهض قال بلال مولى ابن أبي عتيق فركب وركبت معه فسار سيرا شديدا فقلت أبق على نفسك فان ما تريد ليس يفوتك فقال ويحك * أبادر حبل الود أن يتقضبا * وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع بين عمر والثريا فقدما مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته فقال له اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه فركب معه وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلبت له الحيل لاصلاحها فلم يمكنها فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني المسير من المدينة اليك فجئتك به معترفا لك بذنب لم يجنه معتذرا من اساءته اليك فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله ورجعوا الى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل وزاد عمر في أبياته فقال

أرهقت أم نوفل اذ دعتها * مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت * من دعاني قالت أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما لي * رجال يرجون حسن الثواب

وكانت أم نوفل دعتها الابن أبي عتيق ولو دعتها العمر ما أجابت
وأتى عمر الثريا يوما ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج اليه رأت صاحبه فرجعت فقال لها انه ليس ممن أحتشمه ولا أخفي عنه شيأ واستلقى فضحك وكان النساء اذ ذاك يختمن في أصابعهن العشرة فخرجت اليه فضربته بظاهر كفها فأصابت الخواتم ثنيتيه العليين وكادت أن تقلعهما فعالجهما فثبتتا واسودتا وكان يفتخر بهما ويعدهما أثرا عزيزا عنده وواعدت الثريا عمر أن تزوره فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحرث قد طرقه وأقام عنده ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوب فلم يشعر الا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله فانتبه وجعل يقول اعزبي عني فلست بالفاسق أخزاكما الله فلما علمت بالقصة انصرفت ورجع عمر فأخبره الحرث بخبرها فاغتم لما فاته منها وقال أما والله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها لعنة الله
وتزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان وكان عمر بن أبي ربيعة أخرجه مسعدة بن عمرو والي اليمن في أمر عرض له وتزوجت الثريا وهو غائب فلما رجع وجدها نقلت في ذلك اليوم الى الشام فأتى المنزل الذي كانت فيه وسأل عنها فأخبر أنها رحلت من يومئذ فخرج في أثرها فلحقها في مرحلتين وكانت قبل ذلك مهاجرته لامر أنكرته عليه فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكرا حتى مر بالخيمة فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها كلميه فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا وقالت ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل فحادثها الى طلوع الفجر ثم ودعها وبكيا طويلا وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول

يا صاحبي قفا نستخبر الطللا * عن حال من حله بالامس ما فعلا
فقال بالامس لما أن وقفت به * ان الخليط أجدوا البين فاحتملا
وخادعتك النوى لما رأيتهم * في الفجر يحتث حادي عيسهم رحلا
لما وقفنا نحييهم وقد صرخت * هواتف البين واستولت بهم أصلا
... بعادا وقالت للتي معها * بالله لوميه في بعض الذي فعلا
و... ... واستمعي * ماذا يقول ولا تعيي به جدلا
حتى ترى أن ما قال الوشاة له * فينا له بالينا كان لذ تقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظي * في بعض معتبة أن تخطئ الرجلا
فان عهدي به والله يحفظه * وان أتى الذنب ممن يكره العذلا
لو عندنا اعتيب أو نيلت نقيبته * ما آب معتابه من عندنا جذلا
قلت اسمعي فلقد أبلغت في لطف * وليس يخفى على ذي اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلا لا عذرها * وقد أرى أنها لن تعدم العللا
ما سمي القلب الامن تقلبه * ولا الفؤاد فؤادا غير أن عقلا

أما الحديث الذي قالت أتيت به * فما عنيت به اذ جاءني تبلا
ما ان أطعت بها بالغيب قد علمت * مقالة الكاشح الواشي اذا محلا
اني لأرجعه فيها بسخطته * وقد يرى أنه قد غرّني زللا

وهي قصيدة طويلة وقال فيها أيضا

أيها الطارق الذي قد عناني * بعد ما نام سامر الركبان
زار من نازح بغير دليل * يتخطى الي حتى أتاني
أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

وكتب اليها يوما وقد غلبه الشوق

كتبت اليك من بلدي * كتاب موله كمد
كئيب واكف العينين * بالحسرات منفرد
يؤرقه لهيب الشو * ق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد * ويمسح عينه بيد

وكتبه في قوهية وشنفه وحسنه وبعث به اليها فلما قرأته بكت بكاء شديدا ثم تمثلت

بنفسي من لا يستقل بنفسه * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

وكتبت اليه تقول

أتاني كتاب لم ير الناس مثله * أمد بكافور ومسك وعنبر
وقرطاسه قوهية ورباطه * بعقد من الياقوت صاف وجوهر
وفي صدره مني اليك تحية * لقد طال تهيامي بكم وتذكري
وعنوانه من مستهام فؤاده * الى هائم صب من الحزن مسعر

ولما مات عنها سهيل خرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في قضاء دين عليها فبينما هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان اذ دخل عليها الوليد فقال من هذه فقالت الثريا جاءتني أطلب اليك قضاء دين عليها وحوائج لها فأقبل عليها الوليد فقال أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيأ قالت نعم يرحمه الله كان عفيفا أروى قوله

ما على الرسم بالبليين لو بيّـ * ـن رجع السلام أو لو أجابا
فالى قصر ذي العشيرة فالطا * ئف أمسى من الأنيس يبابا
اذ فؤادي يهوى الرباب واني الـ * ـدهر حتى الممات أنسى الربابا
وبما قد أرى به حي صدق * طاهري العيش نعمة وشبابا
وحسانا جواريا خفرات * حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن في الحديث ولا يتـ * ـبعن ينعقن بالبهام الظرابا

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها لله در الثريا أتدرين ما أرادت بانشادها ما أنشدتني من شعر عمر قالت لا قال اني لما عرضت لها به عرّضت لي بان أمي أعرابية وأم الوليد

وسليمان ولادة بنت العباس بن جزي بن الحرث بن زهير بن جذيمة العبسي فلما ماتت الثريا أتى الغريض المغني الى كثير بن كثير السهمي فقال له قل لي أبيات شعر أنح بها على الثريا فقال له هذين البيتين

ألا يا عين مالك تدمعينا * أمن رمد بكيت فتكحلينا
أم أنت حزينة تبكين شجوا * فشجوك مثله أبكى العيونا

وكانت قد ربت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرة

﴿ثيودورا زوجة الملك يوستينيان﴾

هي ابنة اكاسيوس القبرصي حارس الادباب في الملعب فلما مات أبوها باتت مع أختيها كوميتو وانسطاسيا في حالة فقر يرثى لها وجميعهن صغيرات في السن لا يتجاوز عمر الكبرى سبع سنوات وكانت ثيودورا جميلة حسناء فقيرة فلم تجد سبيلا للكسب الا الانخراط في سلك الممثلات فأعجبت الناس بمهارتها واتخذت خلانا وبذلت أحبة لتعيش في راحة وهناء قيل انها كانت في بلاد باغلاغونيا فحلمت أنها ستصير امرأة ملك قوي فعادت الى القسطنطينية مسرعة وتابت واتخذت لها بيتا عاشت به بالبر والطهارة والتقوى تشتغل الليل والنهار باشغال يدية لتعيش وتساعد المساكين فعلم بها يوستينيان ونظرها فتيمه هواها وشغفه جمالها الباهر وأعجبه نشاطها وعفتها فاقترن بها على رغم مضادة أمه ونسبائه والشرائع القديمة التي تحظر على الشريف أن يقترن بعبيدة أو ممثلة أو غريبة وأغرى عمه يستين على اصدار أمر يخالف القانون ويبطله ويفتح سبيلا لتوبة بنات الهوى وأملهن بالارتقاء الى أعلى الدرجات وذروة المجد والفخار ولما تولى يوستينيان العرش شارك امرأته بالملك وأجلسها على عرشه ووضع التاج القيصري على هامته وهامة ثيودورا الممثلة بنت اكاسيوس حارس الادباب ولم تنج هذه الملكة بتوبتها من نحو العالمين فرشقتها ألسنة المبغضين المضادين بسهام الاحتقار والتنديد وجهدوا في تذكيرها حالتها الاولى ونكايتها بكل أوان فهجرت لذلك مدينة القسطنطينية وعاشت بقصورها وجناتها الواقعة على شاطئ البوسفور وارعت عثرات الناس وانتقمت منهم بما استطاعت وكان زوجها في ابتداء ملكها مريضا فبذلت جهدها في جمع الاموال ليمكنها أن تعيش بها عزيزة بعده مكرمة والحق يقال ان ثيودورا كانت امرأة ذكية فاضلة أتت أعمالا عظيمة مبرورة مشكورة وساعدت زوجها في السياسة أشد المساعدة بآرائها وحكمتها ولكن الشعب اليوناني أبغضها لاتباعها مذهبا افتتن بمضادتها بعض الاساقفة وفي حزيران سنة ٥٤٨ ماتت بعلة رديئة كست جسمها بثور افتكون مدة ملكها ٢٢ سنة

ومن أعمالها السديدة ما كان منها في وقت الثورة المشهورة التي حصلت في القسطنطينية في أيام ملك يوستنيان وقد اجتمع الملك والوزراء والعظماء حائرين منتظرين يرجون بالهرب خلاصا فنهضت الملكة ثيودورا وقالت اني أحتقر الفرار الامن الراحة والسلام فالى الموت مصير الانسان وحياة الامراء المالكين كالعدم بعد فقدهم العز والملك فاطلب الى الله أن لا يجعلني يوما واحدا عارية من التاج وأدوات الزينة الملكية بل يميتني قبل خلعي وسقوطي عن منصة الفخر والمجد واذا اعتمدت أيها الملك على الهرب فجميع وسائله ميسورة لك فهذه خزائنك ملآى بالذهب والجواهر وهذا البحر مغطى بالسفن المواخر ولكن خف من يوم تعيش به عيشة دنيئة حقيرة في المنفى أما أنا فناهجة منهج القدماء القائلين ان العرش

ضريح مجد وأحيت هذه المرأة بكلامها وشجاعتها شجاعة زوجها فرفض الفرار وعاد الى التفكير والتدبير فتيسرت له وسائل اقناع الاقوام بخطئهم فاذعنوا اليه خاضعين وبخضوعهم ذل الآخرون فتمكنت الحكومة من قهرهم وراق الوقت للملك بوسنيان بسبب مشورة هذه الفاضلة وحسن آرائها

حرف الجيم

﴿جان دارك﴾

وتسمى لابوسل وتعرف بالسيدة أورليان هي فتاة فرنساوية كانت نقية البشرة مهفهفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محياها الصبيح سيما الحياء واللطف والدعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبعد الهمة وثبات الجاش ولطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مسرج ولا مشكوم جراءة وفروسية وكانت ذات كلام بالغ بين الرشد وأفعال دائرة على محور الاستقامة والصلاح ولدت في دومرمي من مقاطعة لورين سنة ١٤١١ للميلاد من راع يدعى جان وكان قد رباه الفقر وهذبه الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينية ولما بلغت الخمس سنوات اخذت ترى في هجعتها رؤيا علوية زاعمة أن الملائكة والاولياء تتجلى عليها باظهر نوراني فلما أنس أبوها منها ذلك أراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار والانطواء الى أرملة من ربات الفنادق فأقامت في خدمتها زمنا تبذل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تذكر به فتشكر ثم عادت الى أبيها زمان اذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والانكليز يذيقونها من حروبهم نقيع الويل الممزوج بالشنار وكان قد مر بقريتها فريق من الاعداء فاكتسحوها واستاقوا أموالها فاقتسموها وتركوها خاوية على عروشها ينديها لسان الخراب ويأوي الى أطلالها البوم والغراب فصدع فؤادها الشفاف ذل قومها وبوارهم وانكسارهم للعدو المفضي الى دمارهم فعاودتها الاحلام والرؤيا وزعمت أنها مأمورة بالالهام بانقاذهم وبلادهم من الهلكة والمعرة وانتشال قومها من هوة الحيف والمضرة وبعد تردد واعمال روية سارت الى شارل ملك فرنسا وذلك في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلادية وكان عليها أن تقطع مسافة ١٥٠ فرسخا في أقطار مشحونة بعدائية الانكليز ومحفوفة بالمكاره والاهوال حتى تبلغ مدينة لوزين حيث يقيم الملك فتزيت بزي فارس وعلت جوادها بعد أن تقلدت حساما بتارا واخترقت تلك المهامه حتى اذا أشرفت على مقر الملك بعثت تنبئه بقدومها وتخبره بانها ستكون منقذة العرش ورافعة الحصار عن (أوليان) وانها ستمهد سبيل تتويجه في (رام) فلما قدم عليه البشير بذلك النبا ابتسم ذريا عن قلب مشحون بالغيظ ثم استمر مع وزرائه في شأنها ثلاثة أيام فكان فريق يسخر منها ويضحك عليها وفريق يذود عنها ويرى القاء المقاليد اليها والملك بين ذلك من حزب لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء حتى أسفر الرأي عن لقائها فلبس الملك ثياب أحد أتباعه وألبسه ثوبه الملكي اختبارا لامرها ثم أذن لها فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتى وقفت بازائه فانحنت جاثية لديه قائلة له بلسان ذرب حييت وحبيت أيها الملك الحليم فقال لها أخطأت فان الملك هو ذاك مشيرا الى من ألبسه ثوبه فقالت ما الملك الا أنت وما أنت الا الملك واني لمأمورة أنا العذراء المسكينة من الروح الامين بشد أزرك والذأب لاسباب نصرك وما على الرسول الا البلاغ فخلا بها الملك حينا من الدهر ثم ناجى وزراءه فقال لهم لقد أحاطت لعمر الله بما في سرائري وأدركت مما لا يدركه بعد الله الا ضمائري واني

لا أشك أن أكون من أمرها على ثقة ولكن لا بأس من التأنى ريثما تمتحن ثم أتاها رهط من مهرة الاطباء وأساطين العلماء حاولوا أن يفتروها بمسائل مشكلات وغوامض حتى اذا أعيتهم الحيل وعادوا بالخيبة والفشل عززها الملك بكتيبة من خواص فرسانه فبرزت أمام الجيش شاكة السلاح معتقلة بيدها رمحا وبالاخرى راية وأخذت تعدو على جوادها متفننة فى أنواع الفروسية حتى سحرت الناظرين فهتفوا ترحيبا بها واستحسانا لها وتحياتها ثم صارت بجيشها تنهب الارض هملجة وخببا حتى بلغت العسكر فى أورليان واذا بأرواح القوم تكاد تبلغ التراقى والعدو محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر وأهلها فى شدة من ضيق الخناق فأمرت بادئ بدأة بتطهير العسكر من عواهر النساء وحضت الرجال على الاستبسال بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثم زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا ما هذه بشر ان هى الا ملك كريم أو ساحر أثيم وكانت ترتدى بحلة بيضاء وتركب جوادا أشهب وتنشر فوقها راية بيضاء فاذا بصر بها الانكليز وهى فى هذا الهندام فروا من أمامها كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ومابرحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلى بالعدو البلاء الحسن وهى تتجرع من انحراف جيشها عنها وعدم انقياده لها أنواع الغصص وضروب الاحن حتى استتب لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا فألجؤا الى الجلاء على أورليان فكفوا عن حصارها فى ١٨ ايار سنة ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شئ فسارت جان دارك الى بلاد التهنئة الملك بما أوتيه على يدها من النصر وكان القرويون فى تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون على لثم أقدامها ولمس ثراها فأكرم رجال البلاط وفادتها ودعاها الملك الى وليمة فأبت قائلة ان الوقت وقت جهد وثبات لا وقت قصف ولذات وان الروح أنبأنى بان الموت قد دنا فتدلى حتى صار على قاب قوسين وانه لم يبق بينى وبينه أكثر من عامين فاذهب بجندك الى رام حيثما أتوجك بيدى وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء وصارت أمامه بفصيلة من الجيش حتى اذا بلغت جارجوا اعترضها العدو فهاجمته ورقت سلما نصب لها على السور فرميت من أعلاه بما جندلها من الخندق فصرعت ولكنها أفاقت بعد قليل وجعلت قائد الجيش يستثير حمية العساكر بكلام أرق من السحر وأفعل فى الرؤس من نشوة الخمر وهى تعانى آلاما مبرحة فدبت النخوة فى صدور الرجال وحملوا حملة صادقة أذاقت العدو الازرق بلاء أسود وأرته من بريق النصل الابيض موتا أحمر فاستولت على البلد عنوة بعد أن أسرت ولما طار الخبر الى الامير تلبوت قائد الانكليز العام أخلى سائر المدن وكر قافلا الى باريس ومابرحت جان دارك آخذة فى سيرها وكلما عثرت بشرذمة فتكت بها حتى بلغت مدينة رام وهناك تم تتويج شارل فى ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت جان دارك ممسكة بسيفه وعليها أثواب الكماة وبعد انقضاء الحفلة جثت عند قدميه وعانقتهما باكية ثم قالت اليوم أكملت لكم نصركم وأنجزت كل ما وعدتكم فاطلقوا سراحى فأعود الى أبى فى قرية العين حيثما أرعى الماشية وأغزل الصوف جريا على سنة بيت ربيت فيه ونشأت عليه فامتنع الملك قائلا كيف أغادر من بها نجاة الامة والبها يرجع أمر استتباب راحتها وعليها يتوقف استكمال سعادتها ذلك لان الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقادا وعلقوا على بسالتها وإقدامها آمالا طوالا حتى كانوا يرون حول رايتها أرواحا من الفراش البراق فساءها امتناع الملك وعرتها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحمية والبسالة وانقطعت عنها أحلامها الروحانية حتى أصبحت أعمالها رهينة الحيرة والفشل وأقوالها قرينة الوهم والركاكة وكانت ترى أبدا حائرة النفس

دائمة البكاء ولما لم يجد ها الالحاح نفعا استعادت من معبد رام سلاحها وبرزت ثانية فى زى الابطال غير أن كبراء القادة وأمراء الجيش كانوا قد أشربوا بغضها وأثمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويسيؤن معاملتها ويغرون العساكر على نبذ طاعتها ويلقبونها بالالقاب المستهجنة ويتهمونها بهتك حجابها ويقذفونها أمام العموم فكانت تردهم أقبح الرد ولا تجالس الا حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الا مع امرأة تخفرها فلم يجد أحد فيها محلا للوم والقذف ومع أنها جرحت جراحات لم يثبت كونها سفكت بيدها دم أحد ثم أشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فسار وأوجاندرك سائرة فى ركابه حتى اذا بلغها بعد شق الانفس أمرها بالهجوم على قو بورسنت أونرى حيث يقيم الاعداء فأثخنت فى تلك الواقعة جراحا وصرعت عدة صرعات ولما استعادت رشدها قامت فعلقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها باعفاء قريتها من الضرائب ومنحها رتبة جليلة فعاودت الخدمة مرغمة وفى سنة ١٤٣٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن كوبيين فسارت متدرعة بالاقدام بيد أنها لما أرادت الايقاع بالحاصرين خذلها أتباعها فرميت بسهم فصرعت واستسلمت الى الامير فندوم وذلك فى ٢٤ ايار سنة ١٤٣٠ فذاع خبر أسرها فى تلك الاصقاع وأقبل الناس لرؤيتها ثم بويعت للانكليز وخذلها الملك شارل جاحدا جميلها كافرا نعمتها الوهامنه وخسة أصل وخاض الناس فى حديثها وكان أهل باريس يشددون عليها النكير ويغرون الانكليز على اتلافها فلبثت مسجونة فى قلعة جان دولكسنبرغ حتى أقيمت عليها الدعوى فى ١٣ شباط سنة ١٤٣١ تحت رئاسة (كوشون) مطران (بوفه) من صنائع هنرى السادس عامل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرة أبدت فى خلالها ثباتا عجيبا ودفاعا مفحما على أنهم حكموا أخيرا بأنها مبتدعة ساحرة وبأن تجازى بالحبس الابدى مقصورا قوتها على الخبز والماء ثم أرغموها على الحلف بأن لا ترتدى بعد ذلك بلباس الرجال ثم نصبوا لها شركا بأن بدلوا ثيابها ليلا بثياب رجل فلما أرادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرة فهوجمت وسيقت الى الحاكم بهذا الزى فحكم بأنها حانثة تستحق الاحراق فقالت بثبات وجلال انى أستأنف حكمك الى عرش الحكيم العظيم ولكنها لما أخرجت الى حيث استوقدت النار خارت قواها فأنت متأوهة ولما حمى الوطيس ولعلع لسان اللهيب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان أبكى أعداءها وحير الكردينال (بوفور) فحول وجهه عنها تألما والدموع تحدر من مآقيه كالسواقى وقد تم هذا المشهد الاثيم فى ٢١ ايار سنة ١٤٣٠ فى ساحة تسمى موضع البكر وذرى رمادها بالهواء فوق نهر السين ثم بعد عشرين عاما نقض مطران باريس ومطران (رام) هذا الحكم وأثبتا براءتها وفى سنة ١٨٢٠ أقيم لها تمثال فى موطنها (دومرمى) وآخر فى محل احراقها (دون) ثم آخر فى باريس وهو أجل تماثيلها وفى سنة ١٨٥١ نصب لها أهل أورليان تمثالا فى مدينتهم وهم يعيدون تذكارها فى ٨ ايار فى كل عام وقد عاب الرأى العام (فولتير) بقصيدته التى أودعها ذم جاندارك وتسويد صحيفتها بأنواع السب الظالم والقذف الغادر ولكنه لا يستغرب ذلك ممن أوقف حياته على تقويض عمد الديانات وتزييف أوليائها وقد ألف كتبة الافرنج بموضوع قصتها عدة روايات محزنة من النوع المعروف (بالتراجيدى) أى الفاجعة وهى مما يذيب تمثيلها القلوب ويشق المرائر فيما قاتل الله الانسان انه لكافر

ليت السباع لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا

ان السباع لتهدا عن فرائسها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

جليلة بنت مرة الشيبانى

هى أخت جساس قاتل كليب بن ربيعة أخى المهلهل وكانت جليلة تزوجت بكليب فلما قتل جساس أخوها كليبا زوجها اجتمع نساء الحى للمأتم فقلن لاخت كليب أخرجى جليلة عن مأتمك فان قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فقالت لها يا هذه اخرجى عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا فخرجت وهى تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد حليل وقتل أخى عن قليل وبين ذلك غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت جليلة أمنية مخدوع ورب الكعبة أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها قال ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ جليلة قولها فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله خيرا أختى أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشدت تقول

يا ابنة الاقوام ان لمت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن أخت امرئ ليمت على * شغف منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا * حسرتى عما انجلى أو ينجلى
فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فديت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين أذى العين كما * تحمل الام أذى ماتفتلى
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته * وانثنى فى هدم بيتى الاول
ورمانى قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائى دونكن اليوم قد * خصنى الدهر برزء معضل
خصنى قتل كليب بلظى * وأرانى ولظى من أسفل
[illegible] ن يبكى ليومين كمن * دائما يبكى ليوم ينجلى
يشتفى المدرك بالثار وفى * دركى الثار اثكل المثكل
ليته كان دمى فاحتلبوا * دررا منه دمى بالحلى
انى قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لى

جميلة الخزرجية

هى مولاة بنى سليم التى قيل فيها

ان الدلال وحسن الغنا * ءوسط بيوت بنى الخزرج
وتلك جميلة زين النسا * ءاذا هى تزدان للمخرج

كانت جامعة بين أجل طبقات الغناء والجمال وأسمى مراتب العفاف والكمال وفورة السمت رخيمة الصوت بهية الشارة فتانة الملامح رزينة الحصاة عذبة الكلام وجيزة العبارة أجمع مجيدو عصرها مثل الغريض وابن سريج وابن محرز ومعبد بن جامع وحبابة وابن عائشة وسلامة وزمين وخليدة وعقيلة العقيقية على كونها امام هذا الفن ومجلى مضمار السبق فيه شرقا وغربا بين الانس والجن وكان معبد يقول لولم تكن جميلة لم نكن نحن مغنين واطالما تحاكم لديها أولوا الفن المجيدون من مكيين ومدنيين وبصريين فقضت بينهم قضاء آخذا بناصية الانصاف مأمونا به جانب الحيف والاجحاف قيل حجت ذات سنة فخرج الى لقائها كبراء مكة وساداتها ومشاهير مغنيها وقيناتها فكثر الزحام وازدحمت في أرجاء الحرم الاقدام والتفت الساق على الساق حتى كأنه يوم التلاق ولما انقضى الحج اقترح عليها الامراء عقد مجلس للغناء فقالت ما كنت يا ذوي الفضل لاخلط الجد بالهزل ثم عادت الى يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلها سراتها وأشرافها يتقدمهم الاطفال والنساء وكان قد صحبها قوم من غرر مكة وأعيانها فلما حلت دارها أتاها الجميع مهنئين بالالطف والايناس فغصت الساحات والسطوح بتخليط الناس واصطف المغنون طبقتين متناوحتين فكان كلما دمدمت وشدت علا من الخلق ضجيج ينطح عنان السماء وأذن السمع صماء الكل يقول مارأينا ولا سمعنا بمثل هذا ثم اقترحت على المغنين أن يهذبوا شفعا ووترا ففعلوا وكانت تصلح لكل أغلاطه وتريه وجه الاصابة من الطرب طريقا حتى أبهتت الناس عجبا وحيرتهم وأبكتهم طربا وصبابة فانصرفوا يقولون اللهم غفرا فسبحان من جعلها في كل معنى غاية انه ولي التوفيق

جميلة بنت ثابت بن أبي الافلح الانصارية

هي أخت عاصم بن ثابت امرأة عمر بن الخطاب تكنى أم عاصم بابنها عاصم بن عمر بن الخطاب سمته باسم أخيها وكان اسمها عاصية فلما أسلمت سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة تزوجها عمر سنة ٧ من الهجرة فولدت عاصما ثم طلقها عمر فتزوجها يزيد بن حارثة فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لامه وقيل ان عمر ركب الى قبيلتها فوجد ابنه عاصما يلعب مع الصبيان فحمله بين يديه فأدركته جدته الشموس بنت أبي عامر فنازعته اياه حتى انتهى الى أبي بكر الصديق فقال له أبو بكر خل بينه وبينها فما راجعه وسلمه اليها لكونها حاضنته وكانت جميلة اذ ذاك متزوجة بيزيد بن حارثة

جنان جارية عبد الوهاب الثقفي

كانت بمنزلة عظيمة من الحب عند أبي نواس ويقال انه لم يصدق بحب امرأة غيرها وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة تعرف الاخبار وتروي الاشعار رآها أبو نواس بالبصرة عند مولاها المذكور فاستحلاها وقال فيها أشعارا كثيرة وقيل له يوما ان جنان عزمت على الحج فقال اني سأحج على هذا ان أقامت على عزيمتها فلما علم أنها خارجة سبقها وما كان نوى الحج ولا أحدث عزمه الا خروجها وقال لما عاد من حجه

ألم ترأنني أفنيت عمري * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سببا اليها * يقربني وأعيتني الامور

حججت وقلت قد حجت جنان * فيجمعني وإياها المسير

وقد أرسل اليها أبو نواس حين عاد من حجه بهذه الابيات

إلهنا ما أعدلك * مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك * لبيك ان الحمد لك

والملك لا شريك لك * والليل لما أن حلك

والسابحات فى الفلك * على مجارى المنسلك

ماخاب عبد أملك * أنت له حيث سلك

لولاك يارب هلك * كل نبى وملك

وكل من أهل لك * سبح أو لبى فلك

ياخطئاما أغفلك * عجل وبادر أجلك

واختم بخير عملك * لبيك ان الملك لك

والحمد والنعمة لك * والعز لا شريك لك

وقيل كانت جنان قد شهدت عرسا فى جوار أبى نواس فانصرفت منه وهو جالس فلما رآها أنشد بديها

شهدت جلوة العروس جنان * فاستمالت بحسنها النظاره

حسبوها العروس حين رأوها * فاليها دون العروس الاشاره

وغضبت يوما جنان من كلام كلمها به فأرسل يعتذر اليها فقالت للرسول قل له لا برح الهجران ربعك ولا بلغت أملك من أحببتك فرجع الرسول اليه فسأله عن جوابها فلم يخبره فقال

فديتك فيم عتبك من كلام * نطقت به على وجه جميل

وقولك للرسول عليك غيرى * فليس الى التواصل من سبيل

فقد جاء الرسول له انكسار * وحال ما عليه من قبول

ولو ردت جنان مرد خير * تبين ذاك فى وجه الرسول

قيل ولم تكن جنان تحبه أولا لما عانبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد بغضها له قوله

جنان إن جدت يامناى بما * آمل لم تقطر السماء دما

وإن تمادى ولا تماديت فى * منعك أصبح فى قفرة رمما

علقت من لو أتى على أنفس الـ * ماضين والغابرين ما ندما

لو نظرت عينه الى حجر * ولد فيه فتوره سقما

وقال الجماز كنت عند أبى نواس جالسا اذ مرت بنا امرأة ممن يداخل الثقفيين فسألها عن جنان وألحف فى المسألة فاستقصى فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم انى أسمع ويحك قد آذانى هذا الفتى وأبرمنى وأحرج صدرى وضيق على الطرق بحدة نظره وتهتكه فقد اهتم قلبى بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته ثم التفتت فأمسكت عن الكلام ففرح أبو نواس بذلك فلما قامت المرأة أنشأ يقول

ياذا الذى عن جنان ظل يخبرنا * بالله قل وأعد ياطيب الخبر

قال اشتكتك وقالت ما ابتليت به * أراه من حيثما أقبلت فى أثرى
ويعمل الطرف نحوى ان مررت به * حتى ليخجلنى من حدة النظر
وان وقفت له كيما يكلمنى * فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
مازال يفعل بى هذا ويدمنه * حتى لقد صار من همى ومن وطرى

وقيل أرسلت جنان تقول لابى نواس قد شهرتنى فاقطع زيارتك عنى أياما لينقطع بعض القالة ففعل وكتب اليها

انا اهتجرنا للناس اذ فطنوا * وبيننا حين نلتقى حسن
ندافع الامر وهو مقتبل * فشب حتى عليه قد مرنوا
فليس يعدى عينا معاينة * له وما إن تمجه أذن
ويح ثقيف ماذا يضرهم * لو كان لى فى ديارهم سكن
أريب ما بيننا الحديث فان * زدنا فزيدوا فالذا ثمن

وقيل كتب اليها من بغداد

كفى حزنا أن لا أرى وجه حيلة * أزور بها الاحباب فى حكان
وأقسم لولا أن تنال معاشر * جنانا بما لا أشتهى بجنان
لأصبحت منها دانى الدار لاصقا * ولكن ما أخشى فديت عدانى
فواحزنا حزنا يؤدى الى الردى * فاصبح مأسورا بكل لسان
أرانى انقضت أيام وصلى منكم * وآذن فيكم بالوداع زمانى

وقيل بلغه أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر فقال فى ذلك

وابأبى من اذا ذكرت له * وطول وجدى به تنقصنى
لو سألوه عن وجه حجته * فى سبه لى لقال يعشقنى
نعم الى الحشر والتنادى نعم * أعشقه أو ألف فى كفنى
أصبح جهرا الا أسنسر به * عنفنى فيه من يعنفنى
يامعشر الناس فاسمعوه وعوا * ان جنانا صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجره فرآها ليلة فى منامه وأنها قد صالحته فكتب اليها

اذا التقى فى النوم طيفانا * عادلنا الوصل كما كانا
ياقرة العين فما بالنا * نشقى ويلتذ خيالانا
لو شئت اذ أحسنت لى فى الكرى * أتممت احسانك يقظانا
ياعاشقين اصطلحا فى الكرى * وأصبحا غضبى وغضبانا
كذلك الاحلام غدارة * وربما تصدق أحيانا

وقيل رآها يوما فى ديار ثقيف فقابلته بما كره فغضب وهجرها مدة فأرسلت اليه تصالحه فرده ولم يصالحها فرآها فى النوم تطلب صلحه فقال

دست له طيفها كيما تصالحه * فى النوم حين تأبى الصلح يقظانا

فلم نجد عند طيفى طيفها فرجا * ولا رأى لتشكيه ولا لانا
حسبت أن خيالى لا يكون لما * أكون من أجله غضبان غضبانا
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا * فلم يكن هينا منك الذى كانا

ومن قوله فيها

أما يغنى حديثك عن جنان * ولا تبقى على هذا اللسان
أكل الدهر قلت لها وقالت * فكم هذا أما هذا بشان
جعلت الناس كلهم سواء * اذا حدثت عنها فى البيان
عدوك كالصديق وذا كهذا * سواء والاباعد كالادانى
اذا حدثت عن شأن توالت * عجائبه أتيتم بشان
فلو موهت عنها باسم أخرى * علمنا اذ كنيت من أنت عانى

ومن ظريف ما كتبه اليها قوله

أكثرى المحو فى كتابك وامحيه * اذا ما محوته باللسان
وامررى بالمحاء بين ثنايا * ك العذاب المفلجات الحسان
انى كلما مررت بسطر * فيه محو لطعته بلسانى
تلك تقبيلة لكم من بعيد * أهديت لى وما برحت مكانى

ورآها يوما فى مأتم سيدها تندبه باكية وهى مختضبة فقال مرتجلا

يا قمرا أبرزه مأتم * يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب
لا تبكى ميتا حل فى حفرة * وابكى قتيلا لك بالباب
أبرزه المأتم لى كارها * برغم دايات وحجاب
لا زال موتا دأب أحبابه * ولا تزل رؤيته دابى

ودخل على أبى نواس بعض أصحابه يعودونه وهو مريض فوجدوا به خفة قالوا فانبسط معنا فقال من أين جئتم فقلنا من عند جنان ... أو كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله أنكرت علتى هذه ولم أعرف لها سببا غير أنى ... أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت فى يومى هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاها منها قبلى ثم دعا بدواة وكتب الى جنان

انى حممت ولم أشعر بحماك * حتى تحدث عوادى بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقنى * من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافانى الله منها حين عافاك
حتى اذا ما انقضت نفسى ونفسك فى * هذا وذاك وفى هذى وفى ذاك

وقيل ان أبا نواس حاول مرارا أن يتزوجها ولم ينل ذلك وتوفى قبلها وبقيت هى فى منزل سيدها معززة مكرمة الى أن ماتت بعد أبى نواس بمدة قليلة ويقال ان سبب وفاتها حزنها على أبى نواس لكونها لم تتصل به

﴿ جنفياف ابنة دوق برابنت من أعمال فرنسا ﴾

ولدت في فرنسا سنة ٦٨٠ ميلادية وكانت من أبدع نساء عصرها جمالا ورقة وأكثرهن لطفا ورزانة وأبدعهن حديثا ومعاشرة أحبها (سغفريد) (كونت بالاتين) وأحبته فاقترنا سنة ٧٠٠ وقبل أن يمضي على قرانهما عام انتدب (شارل مارتل) زوجها القيادة كتيبة من جيشه المعد لمهاجمة العرب في المغرب فأجاب سؤاله وغادر جنفياف الى عناية الكافلير (غولو) وكيل أملاكه الذي لما خلا له الجو زين له الخناس مراودة سيدته ومطارحتها الوجد فألفى من عفافها سورا من حديد لا تخرقه هجمات الماكرين ولا تفعل به مجانيق المحتالين ولما قنط وأعيته الحيلة عمد لؤما وخبث طينة الى اتهامها بالفحشاء زاعما أنها حملت بعد ترحال زوجها خيانة ولما كان بعلها ساذج القلب نزيه الضمير دخلت عليه وشاية أمينه الخائن وحدثت به الحمية والانفة الى توقيع أمر باتلافها مع وليدها الطفل على زعمه بيد أن غولو خدع من عهد اليهم قتلها فتركت مع طفلها في تو غاب لرحمة الله تعالى فحنت على ولدها وأخذت ترضعه وتدأب على تربيته حتى ترعرع ولما عاد زوجها من غزوته علم أنها بريئة من الوصمة والعار فندم على فعلته ندم الفرزدق على طلاق نوار فخرج ذات يوم متجولا في ذلك الغاب للقنص ترويحا للكرب وافراجا عن قلبه فلقي جنفياف عرضا فخيل له أن روحها مثلت لديه لتشدد النكير عليه ولم يبد له أنها حية حتى ناجته بما يعهده من رقتها وأزاحت له الستر عما يعلم من مسألة قتلها وخيلتها فتجلت له الذي الذا ذلك بثوب بهيج وغمر الفرح أهداب أماقيه فأسبلت الدموع وضم محبوبته وابنها الى صدره ضمة كادت تستفرشهما الفؤاد لولم تحل دونه حنايا الضلوع وذهب بهما الى قصره الجميل القائم بين مروج أفيح وماء سلسبيل وقال لهما كلا منهار غداحيث شئتما لا اجناح بعد اليوم عليكما فبنت جنفياف حيث كانت في الغاب معبدا حمدا لله على حياتها وشكرا وهو لا يزال حتى اليوم عبرة للمارين وذكرى قد شيد فيه أخيرا مذبح نقش عليه خلاصة ما كان وضريح دفن به بعد ذلك العروسان وقد نظم بلغاء الافرنج المهم من حوادث جنفياف الجيدة شعرا وألف كتابهم في أنبائها روايات تترى عرب احداها وطبعت ونشرت للعالم وهي على علاتها تثير الاشجان وتهيج الاحزان وتتلو على قارئها (كل من عليها فان)

﴿ جنفياف القديسة ﴾

سميت محامية لباريس ولدت في بلدة نتشر نحو سنة ٤٢٢ ميلادية وتوفيت في باريس سنة ٥١٢ حسب أشهر التقاليد كان أبواها (سفيروس) (وجيرونتيا) فقيرين جدا وكان عملها وهي صغيرة أن ترعى الماشية على قمة جبل فاريان حقل يدعى باسمها وكذلك نبع ومغارة عند حضيضه ولما كان عمرها ١٥ سنة أقامها للخدمة الدينية القديس جرمانوس الاوستري وقد تنبأت سنة ٤٤٩ بمهاجمة الهونية تحت قيادة آطيلا ولما تهدد هذا القائد سنة ٤٥١ أن يهاجم باريس يقال ان شجاعتها وبراعتها خلصت المدينة وكذلك في أثناء حصار الفرنكة لباريس تحت قيادة كلوفيس كانت تقوي الاهالي وتشجعهم واتخذت طريقة لادخال المؤنة الى المدينة ولما أخذت باريس خلصتها شفاعة جنفياف من الاعمال القاسية وكان كلوفيس يعتبرها وقد دفنت بالقرب منه في كنيسة القديسين بطرس وبولس التي بناها وقد سميت تلك الكنيسة مع الدير المجاور لها باسمها وتابوتها الذي يقال انه من عمل (سان الدا) جعل مكانه في القرن الثالث عشر تابوت

أكبر وأثمن وكان يحسب زمانا طويلا ملجأ أهل باريس وقد أرسل الى دار الضرب سنة ١٣٩١ وأحرقت الذخائر التى كانت فيه

جنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى

كانت شاعرة أديبة فصيحة لبيبة بليغة المعانى ذات ألفاظ رائقة ومعان فائقة لها فى أخيها مراث قالتها لما قتله بنو كاهل منها ما رواه الجوهرى

أبلغ بنى كاهل عنى مغلغلة * والقوم من دونهم سعيا ومركوب
والقوم من دونهم أين ومسغبة * وذات ريد بها رضع وأسكوب
أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها * عنى حديثا وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا * ببطن شريان يعوى حوله الذيب

وقالت تمدحه فى خلال رثائها

فاقسم يا عمرو لو نبهاك * اذا نبها منك داء عضالا
اذا نبها منك ليث عرين * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا
لقد علم الضيف والمرملون * اذا اغبر أفق وهبت شمالا
تخلت عن أولادها المرضعات * ولم تر عين لمزن بلالا
بأنك ربيع وغيث مريع * وأنك هناك تكون الثمالا
وحرب رددت وثغر سددت * وعلج شددت عليه الحبالا
ومال حويت وخيل حميت * وضيف قريت يخاف الوكالا

جهان

(والدة السلطان شمس الدين ملك دهلى فى بلاد الهند) وأم السلطان تدعى المخدومة جهان وهى من أفضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهى مكفوفة البصر وسبب ذلك انه لما ملك ابنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والامراء فى أحسن زى وهى على سرير الذهب المرصع بالجواهر فخدمن بين يديها جميعا ومن شدة فرحها بولدها ذهب بصرها اللعين وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برا بها ومن بره أنها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهى فى المحفة بمرأى من الناس أجمعين قال ابن بطوطة فى رحلته انا لما انصرفنا من عند السلطان شمس الدين المذكور خرج الوزير ونحن معه الى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهنالك سكنى المخدومة جهان فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضى قضاة المماليك كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضى عند بابها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بابها هدايانا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكلموه سرا

ثم عادوا الى القصر ثم رجعوا الى الوزير ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس فى سقيف هنالك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السبنى (بضم السين والباء آخر الحروف) وهى مثل قدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين والباء الموحدة) وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان ويكون فى رأس الصف كبير القوم الواردين ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا الخدمة ثم أتوا بالشربة فشربنا وقال الحجاب باسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه ثم أخرجوا من داخل القصر ثيابا غير مخيطة من حرير وكتان وقطن فأعطى كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بتيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة وتيفور مثله فيه الجلاب وتيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم أن الذى يخرج له ذلك يأخذ التيفور بيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الاخرى الى الارض فأخذ الوزير التيفور بيده قصد أن يعلمنى كيف أفعل ايناسا منه وتواضعا ومبرة جزاه الله خيرا ففعلت كفعله ثم انصرفنا الى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلى وبمقربة من دروازة وبعد وصولنا بعثت لنا الضيافة وهى مع جزار وطعان وأمرتهما أن يعطونا مقدار ما يعيننا كل يوم وذلك مدة اقامتنا فى بلادها وكان وزن اللحم بمقدار وزن الدقيق ومكثنا نستلم ضيافتها الى أن انصرفنا من بلادها ولم أر مثلها فى نساء الملوك لما حوته من العز والجاه والكرم العديم المثال

﴿ جورج سند دوفان ﴾

كانت صاحبة روايات فرنساوية سمت نفسها جورج سند ولدت فى باريس سنة ١٨٠٤ ميلادية وتوفى أبوها موريس دوبن ولم يكن لها من العمر سوى أربع سنوات فربتها جدتها الكونتس دوهدن وبعد أن صرفت نحو سنتين فى مدرسة يومية فى باريس رجعت الى نوهان سنة ١٨٢٠ وعند وفاة جدتها بعد ذلك بأشهر قليلة سكنت مع أصحاب عائلتها فى ملون حيث تعرفت بكزمير دوفان فتزوجت به سنة ١٨٢٢ وسكنت فى نوهان ولم يمض الا قليل حتى ظهر لهما ما بينهما من الاختلاف فى الطباع والاخلاق والذوق وزاد النفور بينهما الارتباك المالى الذى وقع فى سنة ١٨٣١ ولما كانت هى راغبة فى امتحان حظها فى التأليف حصلت رخصة من زوجها بان تصرف ثلاثة أشهر من كل ستة أشهر فى باريس فنشرت بنبذ فى جرنال الفيقارو فظهر لها أنها غير قادرة على الكتابة فى الجرائد لما يلزم لذلك من سرعة الخاطر والعمل وكان زوجها قد عين لها ١٥٠٠ فرنك راتبا سنويا فطلبت الاقتصاد ورغبة فى الدخول الى المكاتب والملاعب العمومية دون ملاحظة لبست لبس رجل وفى تلك الاثناء كتبت بمساعدة صديقها جول سند رواية عنوانها روزه وبلانش تحت اسم جول سند فصادفت قبولا فقوى ذلك عزمها على نشر رواية أخرى من القلم نفسه ولكن لم تجد عند جول المذكور رواية مجهزة الا أنها كانت قد أكملت رواية عنوانها آندبانا نشرت فى باريس سنة ١٨٣٢ تحت اسم جورج سند فصادفت قبولا تاما ومما زادها قبولا ما شاع من أنها من قلم امرأة ثم أردفتها بعد قليل برواية عنوانها فالنتين وهى أحسن من الاولى وصادفت قبولا ثم صارت بعد ذلك كاتبة روايات الجريدة الريفودى ردموند وسنة ١٨٣٣ نشرت رواية عنوانها الميليا أثرت فى العموم تأثيرا بليغا لمحاماتها عن مبادئ الكفر والخلل فى الهيئة الاجتماعية ومن ذلك الوقت أخذ كثيرون من الذين كانوا يعتبرون مؤلفاتها ينظرون اليها بعين الاستخفاف فذهبت حينئذ الى ايطاليا طلبا لتبديل الهواء

ورافقها ا كنترت دوموست الشاعر ولكنهما افترقا فى البندقية فرجع الى فرنسا وبقيت هى وكتبت هنالك عدة كتابات وعند رجوعها الى فرنسا فى أوائل سنة ١٨٣٥ التقت بالمشترع الفصيح (ميشال دوبرج) فساقها الى الامور السياسية ومع (لامنى) الذى وقع جدال بينه وبينها فى أمور دينية ومع (بيرلورو) الذى علمها المبادئ الاشتراكية وظهر تأثيرهم فيها فى كثير من مؤلفاتها وكان حينئذ قد ازداد النفور بينها وبين زوجها فحصلت على أمر يؤذن لها بتركه وبولجها ادارة أمورها بنفسها وتربية أولادها وبعد ذلك جعلت نوهان مكانا لاجتماع أصدقائها واعتنت بتربية أولادها وسنة ١٨٣٨ صرفت الشتاء فى جزيرة (ميورقة) حيث رافقها (شوبن) معلم البيانو فبقيت فيها الى سنة ١٨٤٧ حين اضطرتها ثورة سنة ١٨٤٨ أن تعود ثانيا الى ميدان السياسة ويقال انها اعضدت بكتاباتها كثيرا من الاعمال التى اتخذها (لدورولن) وكان حينئذ عضوا للحكومة المؤقتة ثم رجعت الى نوهان وسنة ١٨٥٤ نشرت فى جريدة جرس ترجمة حياتها المحتوية على بعض الحوادث التى تخللتها وهى تاريخ لافكارها واحساساتها ونشرت نحو ٦٠ رواية منها كتب ومنها نبذ فى الجرائد ولها تآليف أخرى كثيرة مطبوعة باللغات الافرنجية

﴿جوزفين ابنة الكونت تشاوى لاباجرى الفرنسوى﴾

من مقاطعة بالقرب من بلوا وأمها فرنسوية الاصل أيضا من مستعمرات جزيرة القديس رومينيكو التابعة لفرنسا عرفها الكونت تشاوى لما هاجر الى تلك الجزيرة سنة ١٧٦٠ ليكون مأمورا بحرا تحت قيادة المركيز بواهرنى والى الجزيرة وقتئذ فتزوج بها ورزق منها جوزفين المذكورة آنفا وتوفى والدها بعيد ولادتها ثم ماتت زوجته وتركا جوزفين طفلة يتيمة الوالدين فاعتنت بها عمتها القاطنة فى تلك الجزيرة وكانت هى وزوجها من أصحاب الاملاك الكثيرة والثروة الطائلة وعلى جانب عظيم من اللطف والدعة حتى أكرمهما أهالى الجزيرة واشتهرا بكل منقبة ومحمدة حتى كان خدمهما ينظرون اليهما نظر الآلهة وأحبهما جميع معارفهما حبا عظيما

فهذان اعتنيا بجوزفين وربياها على المبادئ الادبية منذ الصغر وغرسا فى قلبها الحنو واللطف فكانت تعامل بمثل ذلك العبيد القاطنين فى ذلك المكان فاحبوها كثيرا وكانوا يعدونها كملكة عليهم ولم يكن لها فى تلك الجزيرة من تلعب معه من الاولاد سوى أولاد العبيد فهؤلاء كانوا أصدقاءها فى الصغر أما أصحاب عمتها وزوجها فكانوا من خاصة سرسو بين القاطنين فى تلك الجزيرة وهم جماعة من المهذبين العارفين بالآداب والفنون المتمسكين بعوائد بلادهم واصطلاحاتها الحسنة ومن السياح الاوروبيين الذين يأتون الجزيرة ويجولون فى أقطار العالم وكانت جوزفين تسمع أحاديثهم وتستوعبه فى عقلها النير وتحفظ منه أمورا كثيرة لمستقبل الايام ولذلك ظن الناس بعد اقترانها بنابوليون ومطالعة رسائلها الانيقة انها تعلمت فى أحسن المدارس ودرست كل الفنون على أنها لم تدرس شيأ منها درسا قانونيا ما عدا الموسيقى والتصوير والرقص وأما ما بقى فاكتسبته اكتسابا بجدها واجتهادها وتوقد ذهنها وشدة ميلها الى الدراسة وكانت تضرب القيثار بحذاقة غريبة وتغنى بصوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب واذا قرأت أثرت فى عقول السامعين وسحرتهم بحسن بيانها ورقة كلامها وقد اشتهرت بمحبة الازهار ودرس علم النبات والرقص وبرعت فى الخياطة وسائر فنون النساء غير أنها لم تكن تهتم بأمر الملبس اهتماما خاصا ولا كانت تباهى

بحسن قوامها وجمال محياها شأن كثيرات من النساء وكانت صديقتها الحميمة في الصغر احدى البنات الحبشيات اللون ويقال انها ابنة الكونت تشاي والد جوزفين قبل اقترانه الشرعي وهي أكبر منها بسنتين ولم تفارقها لفرط محبتها لها وتعلقها بها

وبينما هما ذاهبتان للنزهة ذات يوم وجدتا عددا من العبيد حول امرأة سوداء طاعنة في السن تزعم أنها من أهل الكرامات الذين ينبؤن بالغيب فوقفت جوزفين مع البنات ودنت الى المرأة وسألتها أن تنبئها بمستقبل أمرها فقبضت المرأة على يدها وهزتها فقالت جوزفين أظنك اطلعت على شيء من مستقبلي فقالت المرأة لها نعم قالت جوزفين متبسمة هل تصيبني السعادة أو التعاسة فأجابتها المرأة التعاسة ثم سكتت وقالت ثم تتلوها السعادة فقالت جوزفين أظنك غلطت فانظري ثانية فرفعت المرأة نظرها الى السماء وعلامات الكدر تلوح على وجهها وقالت لا يسوغ لي أن أقول أكثر من ذلك فسألتها جوزفين بالحاح أن تنبئها بمستقبلها فأجابتها المرأة أخاف أن لا تصدقيني فألحت عليها فقالت انك تتزوجين عن قريب ثم لا يمضي الا القليل حتى يموت زوجك ولكنك ستصيرين ملكة فرنسا عدة سنين ثم تموتين في مستشفى وسط اضطرابات أهلية

وفي تلك الاثناء هاجر الى تلك الجزيرة عائلة انكليزية وسكنت بالقرب من بيت عمة جوزفين وبين أفراد هذه العائلة شاب اسمه وليم يقارب عمره عمر جوزفين فاحب كل منهما الآخر حتى صار أهلهما يلمعون الى ذلك وظنوا انهما سيتزوجان عند بلوغهما سن الرشد الا أن الفتى عاد الى بلاده مع عائلته لاسباب قضت بذلك فشق عليه فراق جوزفين وشعر أن حياته منغصة فتعاهدمعها على المحبة والثبات على المودة الى حين اللقاء

وكان عمر جوزفين وقتئذ أربع عشرة سنة وهي في معظم البهاء والجمال أسيلة الخد معتدلة القد واتفق في ذلك الحين أن رجلا فرنسويا يلقب بالكونت فيس اسكندر بواهرني زار عم جوزفين لاشغال له وهذا الرجل مولود في جزيرة دومينيكو وقد نال الوسامات وألقاب الشرف على شجاعته في الحرب التي نشبت بين المستعمرات والممالك الاصلية وهو من المشهورين بالبسالة والحلاوة ومساعدة المستعمرات فصيح اللسان ثابت الجنان أنيس المعشر لطيف المحضر وقد حضر وقتئذ الى الجزيرة لاثبات حق له على أملاك من جملتها قسم في حوزة عم جوزفين واضطر الى البقاء عدة أيام في بيت عم جوزفين لانجاز أشغاله وهناك علق قلبه بجوزفين وسحرت عقله بلطفها وكمالها حتى لم يعد يستطيع فراقها ولما رأت عمتها وزوجها ميل هذا الشاب اليها ورغبته فيها وهما يعلمان عظم منزلته وغناه سرا من ذلك وصارا يمسكان عنها كل الرسائل الواردة عليها من خطيبها الاول والمرسلة منها اليه مدة سنة من الزمان

أما جوزفين فحارت في عدم وصول رسائل خطيبها ولم تنثن عن محبته وولائه مع ما أظهره لها الكونت بواهرني من شديد المحبة وكانت تنظر اليه كضيف كريم في بيت عمتها

وفي بعض الايام كلمها عمها في أمر زواجها ببواهرني ولما كانت تعلم انه لا قبل لها برفض ذلك وليس لها الا ابداء رأيها في الامر حسب عادة تلك الايام قالت وكيف ذلك وقد وعدت وليم بان تزوجه بي فاجابها بان وليم نسيك وبواهرني أفضل منه ثم ذكر لها بعض مناقبه فاضطرت الى الصمت والتسليم

وبعد أيام رجع بواهرني الى باريس ثم بعد أشهر قليلة عزمت جوزفين أيضا على الذهاب الى فرنسا وكانت

في تلك المدة تفتكر بوليم وتؤمل أن تسمع عنه شيأ ولكنها اقطعت آمالها منه قبل وصولها الى باريس ولما وصلت الى باريس وجدت بواهرني في انتظارها مع بعض رفقائه ومعارفها فذهبت برفقتهم وعلمت وقتئذ أن وليم وأباه في ذلك المكان ثم أتيا بعد وصولها بقليل لزيارتها وفي اليوم التالي أتى وليم وحده لزيارتها فرفضت مقابلته فأرسل اليها رسالة يلومها على عدم محافظتها على العهد ويذكرها الرسائل العديدة التي أرسلها اليها وعدم اجابتها عن شئ منها ويطلب الافادة عن كل ذلك فلما قرأت الرسالة ساءها ذلك كثيرا وتأكدت أنه لا يزال يحبها كما كان وان عمتها وزوجها خدعاها الى زواجها ببواهرني وقد أخذ منها الغيظ كل مأخذ فطلبت الى أصحابها أن يسمحوا لها بالذهاب الى دير تقضي فيه مدة من الزمن فأجابوا طلبها وتوجهت الى دير قضت فيه بضعة أشهر بالحزن والقلق

وكان وليم في تلك المدة يترقب الفرص ليراها ولو مرة فلم ينل مرامه فيئس منها وقطع الرجاء من الاقتران بها فتزوج بفتاة غنية فقضى وإياها حياة تعيسة

أما بواهرني فقصدها الى الدير وسمح له أن يكلمها من بواقذ غرفتها ولما رأت أنه لا سبيل لها لا الاقتران به حسب رغبة عمتها وزوجها وأن وليم تزوج بغيرها طلبت الرجوع من الدير واقترنت بالقسيس كونت اسكندر بواهرني المذكور ولها من العمر ست عشرة سنة وكانت الهيئة التي تجتمع بها بعد زواجها مؤلفة من أعلى طبقة من الامراء والاشراف وكانت ترضى جميع الناظرين اليها برقة حديثها وجودة أخلاقها أما زوجها فكان معجبا بجمالها وقد عرفها بالبلاط الملكي وبالملكة ماري انتوانت هناك في قصر فرساليه وقضت ماري انتوانت وجوزفين الاولى ابنة ماريا تريزا أمبراطورة النمسا من سلالة قياصرة استوريا وقد أتت من وسط البلاط النمسوي لتكون ملكة فرنسا وزينة البلاط الفرنسوي والثانية جوزفين ابنة رجل مزارع مولودة في جزيرة بعيدة عن العالم وقد ربت بين الزنوج ومن كان يظن أو يخطر له ببال أن ماري انتوانت تنحط الى أسفل دركات الذل وتقتل بالسيف وجوزفين تستوي على عرش لم يجلس عليه القياصرة في أيامهم

وفي تلك الايام بدأت الثورة وعم الكفر والالحاد بلاد فرنسا واستخفوا بالديانة المسيحية فكثر الفساد وزاد البلاء ولم يعد للزواج الشرعي أقل احترام بل شاع الطلاق الى درجة مستهجنة ولما رأت جوزفين أن زوجها بواهرني لا يعتقد بالدين ولا يراعي حرمة الآداب وقد تلطخ بالمفاسد على أنواعها بخلاف ما كانت تعتقده فيه كبر عليها الامر وأظهرت له كدرها بلطيف العبارة خوفا من غيظه منها

وفي سنة ١٧٨٠ ولدت ابنة وسمتها اوهورتنس فخبثت ولادتها جوزفين الى زوجها ولما كان بواهرني على ما تقدم من الاوصاف لا يعرف من الانصاف والطهارة الا اسمهما كان يلوم جوزفين لانكارها عليه سوء تصرفه حاسبا انه ليس لها حق في الكلام معه في هذا الشأن ما دام يعاملها باللطف والمعروف ومن ثم لم تعد جوزفين ترى يوما سعيدا وزادت تعاستها يوما بعد يوم ولم تجد لها سلوا سوى ابنتها الصغيرة

وفي سنة ١٧٨٣ ولدت ابنا وسمته أوجين فصار لها ولدان تعزت بهما عن جفاء والدهما الذي لم يزل عاكفا على المنكرات ومما زاد غيظا جوزفين فساد المرأة التي بواهرني يميل اليها فانها جاءت مرة الى جوزفين وهي غير عالمة أنها عشيقته وأرتها انه لا يستحق محبتها ثم ذكرتها بمحبة وليم لها وما زالت تكلمها بمثل ذلك حتى

اضطرتها الكتابة رسالة الى عمها وعمتها ذكرت فيها انه لولا الاولاد لتركت فرنسا الى الابد وأن واجباتها تقضى عليها بان تسلو وليم ولكنه ما المازوجاها به لم تكن تعيسة كما هي الآن الى غير ذلك من مثل هذا الكلام فاختلست تلك الحثالة الكتاب وارتدت لبواهرنى مبرهنة له أن بين وليم وجوزفين مثل ما بينه وبينها فكره جوزفين من أجل ذلك كرها عظيما وحاولت أن تبرئ نفسها مما اتهمها به ظلما وعدوانا فلم يصغ اليها بل طردها وأخذ ابنها منها وطلب من المجلس طلاقها فأخذت ابنتها وذهبت الى دير هنالك لتقضى مدة من الزمان ريثما تنتهى محاكمتها ويا لها من مدة قضتها بالعزلة ومرارة العيش والقلق الذى ما عليه من مزيد على أن المجلس برأها من كل ما اتهمت به بعد محاكمة طالت سنة من الزمان وحكم على بواهرنى أن يقوم بنفقتها ونفقة ابنتها وأن تنفصل عنه انفصالا

وحدث فى ذلك الوقت أنها تلقت رسالة من عمها وعمتها من مرتينيكو يسألانها فيها الذهاب اليهما فأخذت ابنتها معها وتوجهت الى هنالك فقابلاها بالمحبة والاعزاز وقضت ثلاث سنين فى مرتينيكو مغمومة حزينة لا سلوى لها سوى المطالعة وتعليم ابنتها والتصدق على من حولها وكان يغلب عليها الافتكار بولدها وما جرى لها مع زوجها فتذهب الى الاماكن المنفردة وتبكى بكاء مرا نادبة نحس حظها وسوء حالها

أما بواهرنى فانغمس فى السرور وانهمك فى الشهوات محاولا نسيان امرأته وابنته فجلب ذلك له عارا وكثر تحدث الناس بأمره حتى صار مضغة فى الافواه ولم ير من يمدحه على أعماله فتذكر زوجته الامينة وحنوها وكمالها وجمالها فندم على قسوته وسوء معاملته لها وأحب أن ترجع اليه ثانيا فكتب لها مظهرا أسفه على ما فرط منه فى الماضى واعدا أن يسلك معها بالمحبة والامانة ولا يعود فى المستقبل الى ما كان عليه مؤكدا لها احترامه لصفاتها الشريفة راجيا أن ترجع اليه مع ابنتها لتجمع شمل تلك العائلة المشتتة

فلما اطلعت جوزفين على رسالة زوجها جذبها الوجد والشوق الى ابنها البعيد عنها وتصورت انه استضمه اليها فابتهجت بمجرد التصور والفكر ولكنها لم تكن قد نسيت الاتعاب والاحزان التى قاستها فذكرت أمرها لاصدقائها وأظهرت لهم انه لولا شوقها الى ولدها ما كانت تترك الجزيرة طول عمرها فالح عليها أصدقاؤها بالبقاء فلم ترض بل ودعتهم ورجعت الى فرنسا ولما وصلت اليها قابلها زوجها بالترحاب وكان قد اختبر قيمة العيشة الاهلية والمحبة الطاهرة النقية وفرحت جوزفين بزوجها وابنها وسر زوجها من اجتماع الشمل بعد التفرق وتناسيا الايام التعيسة الماضية وصمما على المعيشة بالصفاء والسعادة ولكن الدهر فى الناس قلب فان صفاءهما لم يطل لما حدث من الاضطرابات عند شبوب نار الثورة الفرنساوية فان البلاد كانت وقتئذ قائمة قاعدة والملك والملكة كانا فى السجن وكان بواهرنى فى ابتداء الثورة من أشد أنصار حزب الحرية وانتخب معتمدا للجمعية التى أقامها ذلك الحزب فكان له المام بكل متعلقاتها ثم انحل عقد الجمعية فرجع الى الجيش ولما انتظمت جمعية اتفاق الامة انضم الى عضوية هذه الجمعية وانتخب رئيسا لها مرتين

وانقسمت فرنسا فى ذلك الوقت الى حزبين حزب مؤلف من العوام واخر من الاشراف وقوى حزب العوام على حزب الاشراف وكان قائده رجلا قاسيا يدعى دوبس بيرفقبضوا على جمهور غفير من حزب الاشراف وأودعوهم السجن ليقتلوهم بعد المحاكمة وكان فى الجملة جوزفين وزوجها فانهم قبضوا عليهما بعنف وساقوهما الى السجن ووضعوا كلا منهما فى مكان مظلم بعيدا عن الآخر ولم يرثوا لحالة ولديهما الصغيرين

وكانا في صباح اليوم الذي سجنت جوزفين فيه أتتها رسالة من بعض الاصدقاء يخبرونها بما سيجري عليها ويحضونها على الهرب وطلب النجاة فلما اطلعت جوزفين على الرسالة جعلت تتأمل في أمر نجاتها ونجاة أولادها أيضا ولكنها لم تر بابا للهرب حتى سمعت قرع الباب الخارجي والضوضاء أمامه ففهمت سبب ذلك وأسرعت الى الغرفة التي كان الولدان نائمين فيها ودنت منهما وهما نائمان والدموع تتساقط على وجنتيها ثم أكبت عليهما وقبلتهما قبلة الوداع وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب لئلا يستيقظا ودخلت غرفة الاستقبال فرأت فيها عصبة من العساكر المسلحة فأغلظوا لها الكلام ثم سلبوا ما في بيتها وساقوها الى السجن الذي قتل فيه ثمانية الاف شخص منذ أشهر قليلة

أما الولدان فلما استيقظا ووجدا أنفسهما منفردين في البيت مع الخدم سألا عن أمهما فأجابهما واحد أنه قد قبض عليها وأخذت الى السجن فبكيا وانتحبا وطلبا أن يذهبا الى السجن ويقيما مع أبيهما وأمهما وكان لهما عمة فلما علمت بسجن جوزفين أخذتهما اليها

أما بواهرني وجوزفين فكان كل منهما في سجن مظلم من سجون القتلى وقد تلطخ كل منهما بآثار الذين قتلوا في تلك السجون وكانا لا ينفكان عن الافتكار والبكاء بسبب ما جرى لهما وما سيؤول اليه أمرهما وما آل اليه بيتهما من الخراب ويتشوقان الى استماع شيء عن ولديهما وأحوالهما وبينما هما في السجن اذ وصلت الاخبار الى جوزفين عن أمر سلامتهما ففرح قلبها بتلك الاخبار السارة وأما بواهرني فلم يمكنه أن يسمع شيأ وكان هذا الحادث الهائل هو العاصف الثاني الذي لاقته جوزفين في بحر هذه الحياة العجاج

أما السجن الذي كانت جوزفين مسجونة فيه فكان دير الكرمليين وقد اشتهر في تلك الايام بكونه مصرح الظلم والعدوان وكان متسعا وفيه عدة غرف وله أسراب مظلمة حتى لقد وجد داخل جدرانه عشرة آلاف مسجون في وقت واحد وكان كل قسم من هذا البناء العظيم ملطخا بدماء القتلى الذين قتلوا في تلك الاثناء وكانت الرجال والنساء الهائجون يجرّون الناس الى السجون بالمئات والالوف وكان كثير منهم من الكهنة الذين ساقوهم أمام مذبح الكنيسة للاستهزاء برسوم الدين وهناك قتلوهم وكان في سجون فرنسا حينئذ نحو ثلثمائة ألف مسجون وكلهم من الابرياء ينتظرون ساعة قتلهم ولم يكن فيهم أحد من سوقة الناس وجهالهم بل كانوا جميعا من أشراف فرنسا ومهذبيها أما سجن جوزفين فكان في كنيسة هذا الدير مع مائة وستين نفسا من الرجال والنساء وكانت تظهر البشاشة بقدر الامكان بين هؤلاء الرفاق وهي موقنة أنه لا ينالها سوء وراجية أنهما سيخرجان قريبا ويرجعان الى بيتهما وكانت تكتب الى زوجها وأولادها تشجعهم وتشدد عزائمهم وتجذب جميع من في السجن اليها بحسن أخلاقها ورقة شمائلها حتى استملكت قلوب المسجونين في زمن قصير فاختاروها لتقرأ لهم الجريدة اليومية لمهارتها في القراءة وكونها ذات صوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب وكانوا يرون العجلات من نوافذ السجن مشحونة بالمسجونين المسوقين الى الذبح كل يوم فالبعض يرين رجالهن والبعض أولادهن وغيرهم من الاعزاء عندهم فيقعون على الارض فاقدي الشعور وفي صباح يوم من الايام حلمت جوزفين انها خرجت من السجن وجلست مع زوجها وأولادها فسمعت مناديا يناديها للحضور أمام الحكام فتأكدت من ثم قرب أجلها لانها علمت أن لا رادّ للعدو في تلك الشدة العديمة الشفقة والرحمة وأن خداع هذا غاية ليس الا الخطوة الاولى لاعدام حياتها وليس بعدها الا المذبحة فسقطت آمالها في الخلاص من قبة الرجاء الى

الحضيض واليأس وجذبها الوجد الى زوجها وأولادها وغلب الى هنيهة حنو المرأة على شجاعتها ولكنها رجعت الى نفسها واستعدت الى المحاكمة بقدر ما يمكن من الهدو والسكينة ثم سيقت من سجنها الى دار المحكمة الملطخة بدماء القتلى وأدخلت احدى غرفها شي وآخرون أيضا لكي ينتظروا نوبتهم للمحاكمة التي نتيجتها اما الحياة واما الموت العاجل وبينما كانت جوزفين جالسة في هذه الغرفة تنتظر نوبتها اذ فتح باب من الجهة المقابلة ودخل منه فرقة من العساكر المتسلحة ومعهم عدد من الاسرى وكانوا اقتادوا بهم من سجن آخر وكانت عيون الجميع محدقة بهم وهم داخلون واحدا بعد آخر ونظرت جوزفين فرأت رجلا مهزولا ذكرها بزوجها فأعادت النظر اليه والتقت العين بالعين فعرف كل منها الآخر فركض وركضت مسرعين وتذكر بواهرني عند ذلك عدم أهليته لكرم أخلاق جوزفين ومحبتها له فخبى رأسه المنصدع على كتفها وبكى بكاء الندامة والتوبة فبعد أن قضيا بضع دقائق على تلك الحالة أتى الجنود وجروا بواهرني الى المحكمة وكانت هذه المرة الاخيرة التي رأى فيها جوزفين ورأته ثم أرجعوه الى السجن ولم يثبت عليه شيء الا انه كان من الاشراف والاكابر وعلى ذلك استحق الموت ثم أدخلت جوزفين في نوبتها ولم يثبت عليها شيء أيضا سوى أنها كانت امرأة رجل من الاشراف وصاحبة ماري انتونت وكانت ذات امتيازات خاصة بها في القصر الملكي وعلى ذلك استحقت الذبح هي أيضا فردت الى السجن ولكنها لم تعلم بشيء من الحكم الذي صدر عليها ولا على زوجها وكانت واثقة أنهما سيخرجان قريبا اذ لم يدر في خلدها انه يحكم عليهما بالموت من غير أن يثبت عليهما ارتكاب جريمة وكانوا يأتون الى السجن في كل مساء بجريدة أسماء الذين نصيبهم الذبح في الصباح التالي وحدث بعد محاكمة جوزفين وزوجها بأيام قليلة في مساء أربعة وعشرين يوليو سنة ١٧٩٤ أن بواهرني رأى اسمه بين أسماء الذين سيساقون الى الذبح عند الصباح فلما علم ذلك وتذكر جوزفين وأولاده حزن وعزت عليه الحياة ولكنه تجلد واستعد للذبح ثم أخذ وكتب رسالة طويلة الى جوزفين مفعمة بعواطف المحبة وأكد لها اعتقاده الداخلي بطهارتها وسمو صفاتها وشكرها مرارا لاجل مسامحتها اياه القلبية عن كل ما صدر منه عندما كان مذنبا حيث رجع وطلب محبتها وطلب منها أيضا أن تربي ولديها وتعلمهما محبة أبيهما حتى يبقى ذكره بينهما ومحبته في قلبيهما بعد الممات وبينما كان يكتب الرسالة أتى الجلادون وقصوا شعره لكيلا يبقى شيء معارض للسيف عن قطع رأسه فالتقط خصلة صغيرة منه لكي يرسلها الى جوزفين تذكارا أخيرا فمنعه الجلادون القساة ولم يسمحوا له بذلك ولكنه اشترى منهم بضع شعرات وأرسلها ضمن الرسالة وفي الغداة كانت عجلات المذنبين واقفة على باب السجن وكان قد حكم في ذلك اليوم باعدام عدد كثير من المسجونين ولما كانت العجلات مارة في أسواق باريس مشحونة بالابرياء المحكوم عليهم كانت عيون الشعب شاخصة اليهم وقد اشمأزت من هذه المظالم ولما وصلوا الى المكان المعين لقتلهم قتلوهم جميعا بلا شفقة حتى اذا أفضت النوبة الى بواهرني صعد الى المذبحة وهو رابط الجاش ثابت الجنان فضربوه بالسيف ضربة كانت القاضية أما جوزفين فلم تكن موقنة بما سيقع على بعلها ولا عارفة بشيء من ذلك ولما أتت جريدة الاخبار اليومية الى السجن اجتهد بعض السيدات العالمات بذلك أن يخفينها عنها أما هي فلم تنفك عن طلب الجريدة حتى أعطيتها وأول شيء حول نظرها اليه أسماء الذين قتلوا فلما وجدت اسم زوجها بينهم سقطت الى الارض كميتة وبقيت مدة فاقدة الحواس ولما استفاقت صرخت في وسط حزنها آه يا الهي أمتني أمتني لانه لا سلام لي الا في القبر فاجتمع أصدقاؤها حولها وجعلوا

يعزونهم او يسألونهم الحرص على حياتهما اكراما لولديها ولكنها لم تجد للسلوى سبيلا ولا غمض لها جفن فى تلك الليلة ولما بزغ الفجر أتى عصبة من الثائرين القساة العديمى الشفقة الى السجن بالاخبار التى كانت تفترح جوزفين لولا محبتها لولديها وتعلقها بهما وكان مآل تلك الاخبار أنهم استاقوها هى أيضا الى القتل فجاء الجلادون وقصوا شعرها استعدادا للقضاء المبرم كما كانوا يفعلونه بالمحكوم عليهم وقالوا لها انك لا تحتاجين الى هذا الشعر فيما بعد فاجتمع أصدقاؤها حولها وطفقوا يبكون وينوحون أما هى فكانت رابطة الجأش ليس عليها شئ من ملامح الحزن والخوف والرعب ولما رأت أصدقاءها وما هم عليه من الحزن والغم التفتت اليهم وقالت لهم ما بالكم تنوحون وتبكون فأنا لم أقتل كما تظنون بل انى سأصير ملكة فرنسا الان ذلك مكتوب لى فى صحف الحوادث فلما سمع أصحابها ذلك ازدادوا بكاء وعويلا ظانين أنها أصيبت بالجنون ونظرت اليها احدى السيدات وقالت اذا لماذا لا تعينين الحواشى والحشم لقصرك فقالت لها جوزفين صدقت فانك أنت تكونين وصيفتى فى القصر وكان كذلك بعد اذ ولما أرخى الليل سدوله على ذلك السجن شمل الهدو والسكون داخله ثم بزغت شمس الظهيرة فى وسط قتام الليل وعلا هتاف الفرح والسرور بين المسجونين من كل جانب ووقع كثيرون على الارض فاقدى الشعور غير مصدقين بما سمعوه من البشرى وذلك أن دو بسير القاسى القلب كان قد أمسك وقتل وقام حكام آخرون وفتحوا أبواب السجون التى كانت مفعمة بالاسرى وأطلقوا سبيل الجميع

أما سبب امساك دو بسير وقتله فهو أن رجلا يقال له تاليان من المقتدرين مع ذوى الجاه والسطوة كان يحب مدام فانشاى وهى سيدة بارعة الجمال وكانت مسجونة مع جوزفين وكان يذهب كل يوم الى السجن ليراها فحدث ذات يوم أنه اتصل به سرا وأنه قد قربت محاكمتها فلما علمت ذلك انتظرت وقت حضور تاليان الى دار السجن ولما حضر اقتربت هى وجوزفين من نافذة السجن المشبكة بالحديد ورمت ورقة ملفوفة (كرمب) كتبت عليها قد دنت محاكمتى والموت مؤكد فاذا كنت تحبنى كما تقول فابذل كل ما تستطيعه لانقاذى وانقاذ فرنسا ثم جعلتا تشيران اليه حتى فهم قصدهما والتقط الورقة الملفوفة من الارض ولما قرأها ثار ثائره ونبض نابضه وذهب حالا الى أصدقائه وجعل يهيجهم ضد دو بسير وأتباعه وكان الشعب قد مل من مظالم دو بسير فوافقه على ذلك حزب كبير منهم وثار وا ثورة عظيمة فى باريس على دو بسير فدارت الدائرة عليه وعلى أتباعه فقبضوا عليهم وقتلوهم وخلصوا البلاد من ظلمهم وعدوانهم ثم فتحوا أبواب السجون وأخرجوا جميع الذين كانوا فيها وعددهم نحو خمسمائة ألف مسجون فأى قلم أو أى لسان يستطيع أن يعبر عما شمل الفرنساويين من الفرح والابتهاج لما انتشرت الاخبار فى البلاد باعدام ذلك الظالم الغشوم وانقاذ أحبائهم من يده وتخلصت جوزفين بهذه الواسطة من محنتها مثل كثيرين ولكنها لم تخرج من ظلام السجن الا الى عالم أشد ظلاما وأكثف غماما فان زوجها كان قد قتل وبيتها قد نهب وأملاكها غنمها الناس وكثيرون من أصدقائها قد هلكوا فأمست وهى أرملة فقيرة ليس عندها شئ ولا لها من تذهب اليه وتطلب معونته ولم تستطع أن تتعاطى عملا من الاعمال يمكنها به القيام بمعاشها ومعاش ولديها السبب توقف الحال بالاضطرابات الكثيرة فلم ير بداهى وولداها من بسط كف السؤال وكان ما تجشمته فى هذه المدة من أمر ما ذاقت وأصعب ما لاقت فى كل أيام حياتها فى هذه الدرجة ترقت جوزفين الى أسمى درجة لا يمكن أحدا من الناس أن يتصورها ولا فى منامه

قلنا ان دوبسبير قتل وقام مكانه حكام آخرون وفتحوا أبواب السجون للاسرى الا أن دم القتلى لم يزل جاريا كما كان لان هؤلاء الحكام قصدوا قطع شأفة الاشراف من البلاد فكانوا يجرون الناس للقتل ذكورا واناثا كبارا وصغارا حتى انهم كانوا يذهبون الى المدارس ويجرون تلامذتها صبيانا وبنات ويقتلونهم فلما رأت جوزفين ذلك ارتعدت فرائصها جزعا على ابنها وحاولت اخفاءه فأرسلته الى أحد النجارين وظل يعمل عنده بمهنة عدة أشهر وهو فرح بذلك

أما جوزفين فلم تبق على هذه الحالة وحاشا السيدة كبيرة النفس كريمة الاخلاق حميدة السجايا مثل جوزفين أن تترك بين جماعات البشر ولا يلتفت اليها بل تفتح صدور المنازل وتعطى كل ما تحتاج اليه فان كل أحد كان يشعر أن ينال شرفا عظيما بصاحبتها وكانت امرأة تدعى دوميلين وهي سيدة عظيمة ذات ميراث عظيم وقد اتفق خلاصها وخلاص أموالها من جور فرنسا فهذه دعت جوزفين الى بيتها وبذلت لها كل ما تحتاج اليه وكذلك مدام فانشاى وهي السيدة التي خلصت نفسها وعددا كبيرا معها بكتابتها الى تاليان على ورقة الملفوف وكان بعد خلاصها من السجن أنها اقترنت بتاليان وهي أيضا كانت من أعز صديقات جوزفين وكانت تبذل لها ما تحتاج اليه مع كثير من غيرها

ثم ان جوزفين قامت تطالب بحقوقها مع جمعية اتفاق الامة وهي استرجاع أملاكها المحجوزة وذلك على يد تاليان فنجح مسعاها بعد مدة طويلة وأتعاب جسيمة واسترجعت جانبا من أملاكها التي استولوا عليها فرجعت بذلك ثانية الى بيتها الخاص وجمعت اليها ولديها اورتنس وأوجين وكانت محاطة باصدقائها الخلصين وصفت لها الايام وسالمتها الليالي رويدا وحدث ذات يوم أنها دعت ابنها الى غرفتها وأعطته صورة أبيه المقتول وقالت له خذ هذه ياولدى الى غرفتك واجعلها غاية تأملك ونموذج حياتك الدائم فان صاحبها كان أول محبوب بين الناس ولو بقى حيا لكان أحسن والد فاخذ أوجين الصورة من أمه وخرج وهو يقبلها والدموع تتساقط من عينيه ثم عاد في المساء الى والدته وبصحبته ستة من أصدقائه وقد وضعوا على أعناقهم شرائط بيضا وسودا على مثال صورة بواهرني فنظر أوجين الى أمه وقال انظرى يا أماه الى مؤسسى نظام جديد في الفراسة وهذا قديسنا الحافظ لنا وأشار الى صورة والده وهؤلاء هم أعضاؤها الاولون ثم عرفها بكل منهم وقال ان اسم هذا النظام نظام المحبة البنوية فاذا كنت تحبين أن تكونى شاهدة على افتتاحها فادخلى المجلس الصغير مع هؤلاء الشبان فدخلت جوزفين معهم واذا جدران الغرفة مزينة تزيينا جميلا بأكاليل الورد والغار وكانوا قد أخذوا ونسقوا ذلك من مقالات لبواهرني كانت قد طبعت قبلا وكانت الغرفة مستنيرة أيضا بالشموع المضيئة وفي أحد حيطانها مذبح كبير عليه صورة بواهرني التي كانت بقدر جسمه تماما وقد زين بالازهار الجميلة وعلق باطار الصورة ثلاثة أكاليل معقودة من الورد الابيض والاحمر وأمامها مجموران من الطيوب ثم رتبوا أنفسهم حول المذبح بكل هدو واستلوا سيوفهم من أغمادها عند ابداء اشارة معينة ثم تعاهدوا على محبة والديهم ومساعدة بعضهم بعضا والمحاماة عن بلادهم ولما فرغوا من معاهدة بعضهم بعضا تقدمت جوزفين اليهم ودموع الفرح من صنيعهم ممزوجة بالتبسمات الوالدية ثم أخذت بيد كل منهم وأظهرت فرحها بتأسيس هذه الجمعية

وكانت جوزفين مع كل ما أصابها الاتزال على ما كانت عليه من اللطف والبشاشة والنزاهة والفكاهة وذلك ما جذب كثيرين من الاصدقاء اليها وكانت هيآت باريس الاجتماعية قد انقلبت من التقلبات السياسية

وقد ابتدأ الشعب اذ ذاك في اقالتها من عثرتها ولكنها انقسمت الى دائرتين عظيمتين الواحدة مؤلفة من بقايا الاشراف الذين رجعوا الى باريس وجمعوا بقايا عيالهم وأموالهم وعاشوا بالاقتصاد والثانية من التجار والصيارفة الذين حصلوا ثروة عظيمة في وسط زوابع الثورة وكانت نيران الحرب قد استعرت وقتئذ بين فرنسا وبقية دول أوربا اذ تحالفت جميع دول أوروبا على محاربة فرنسا واقتسامها فيما بينهم وذلك على تلك الحرب الاهلية التي أثارها الاهالي بسبب سوء سياسة جمعية اتفاق الامة فحار رئيس الجمعية في أمره ولكنه قال أنا أعرف من القادر على المحاماة فهو ذلك الشاب الكورسيكي نابوليون بونابارت الذي طرد جيوش الانكليز من طولون واسترجع المدينة فدعوا نابوليون الى مواجهة الجمعية وكان بمدينة فالنس في بداية الثورة في رتبة قائم مقام وكان حاد الطبع قليل الكلام والحركة كثير التفكر شديد الميل الى المطالعة فلما دعته جمعية اتفاق الامة أجاب الدعوة ومثل لديها فسأله الرئيس اذا كان يقبل أن يأخذ على نفسه المحاماة عن البلاد فقال نعم ثم سأله انه كان يعلم عظم هذه الشيعة فاجاب انه يعلم ذلك حق العلم فذاعت أخبار ذلك على الاثر وشعر هو بالتبعة التي ألقيت عليه وأرسل فاستدعى كل قواد الجمعية من جهات البلاد الى داخل باريس وشهر الحرب على العصاة وأرجعهم الى الطاعة فذاع اسم نابوليون بونابرت في أطراف باريس وتحدثوا به وباعماله في كل قصر وبيت وحانوت وفي الازقة وعلى الطرقات ولقبه البعض بخناص الكونفانيسيون أي اتفاق الامة والبعض بعفريت الحرب وفي مساء يوم من الايام كانت جوزفين في بيت أحد أصدقائها وبينما هي تنظر من نافذة الى بعض أزهار البنفسج اذ دخل نابوليون ولم تكن تعرفه ولكن كانت قد سمعت عنه اذ كانت شهرته قد ملأت الخاصرة ولما دخل سر الجميع به وأحدقت العيون اليه فسلم على الجميع ثم تقدم وأخذ مكانا بالقرب من جوزفين وجعلا يتحدثان في أمر المعركة الجندية التي جرت في أسواق باريس وهذه كانت أول مواجهة بينهما ولم يمض على ذلك مدة قصيرة حتى أمر نابوليون بجمع كل الاسلحة من الاهالي وأخذ بالجملة سيف بوهرني فلما علم أوجين بذلك ذهب من الغد الى نابوليون وكان له من العمر حينئذ اثنتا عشرة سنة وطلب منه استرجاع سيف والده فسر نابوليون من جراءة الولد وحماسته وسمح له به في الحال وأرادت جوزفين اظهار شكرها لنابوليون فذهبت اليه بنفسها وشكرته على ذلك فسر منها أضعاف سروره من الولد ومن ثم صارا يلتقيان كثيرا ولم يخف عن جوزفين ميله اليها وحدثته نفسه من ذلك الوقت بالاقتران بها لانه أحبها حبا عظيما وكانت هي المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته ولم يتحول عن حبها مع كثرة ما طرأ عليه من الحوادث والغير

أما جوزفين فكانت في ريب من أمر اقترانها به وقد قالت ذات مرة لبعض أصدقائها انها لم تر في زمانها انسانا محبوبا مثله وانها شغفة بشجاعته وسعة اختياره ولكنها لم تكن تحبه مقدار ما كان يحبها بل كانت ترهبه وترتعد من نظره اليها وقد قالت مرة لاحدى صديقاتها ألا تخاف امرأة جعلها نابوليون السرية الخفية التي لا يفهمها حتى مديرونا وكتبت مرة الى أخرى تقول قد تنقضي شرخ شبابي وهل يوجد رجاء بعد في المطل لكثرة رغبة نابوليون في على غير استحقاق مني لها أولا يعيرني بما يكون قد احتمله من أجلي اذا كان يترك محبتي بعد اقتراننا ماذا أصنع وبماذا أجيب اكتبي الي حالا ولا تخافي أن توبخيني اذا وجدت انني مخطئة وأنت تعرفين ان كل ما يخطه يراعك مقبول ان باراس أكد لي اني اذا اقترنت بنابوليون يوليه

على ايطاليا فاذا تقولين عن هذا النجاح انتهى وكانت عواصف الثورة قد خمدت وقتئذ ولكن أوربا كلها كانت لم تزل شاهرة السلاح على فرنسا وكان الحكم غير ثابت والشرائع غير محترمة فوقف هذا القائد الحديث السن كل أيامه لمصلحة الجمهور ولكنه كان يخصص كل مساء لجوزفين ولم يذق في أيامه شيأ من أفراح الشبان ومسراتها لان رغبته في حب الارتقاء غلبت على كل شيء ولكن لم يكن عنده مع كل ذلك شيء أسعد وأبهج من الساعات التي كان يقضيها وحده مع جوزفين اما بالاحاديث المفيدة واما بالمطالعة النافعة وكانت محبته لها ورغبته فيها ازدادتا يوما فيوما ولم تكن صفات النساء في فرنسا وقتئذ تعد في منزلة عالية وكان نابوليون قلما يحترم هذا الجنس ويقول ان كل النساء لا يقسن بجوزفين وقد كان معتادا أن يرى في بيت جوزفين بعضا من الاصدقاء المخلصين الذين كانوا يحبونها محبة خالصة ويرغبون في ترقية نابوليون كراما لها أما نابوليون فكان ذا عواطف قوية ولكن حبه للارتقاء والارتفاع كان أقوى وأما جوزفين فكانت قانعة بخلوص محبته لها وشدة غرامه بها وما زالا يظهران الحب والتوددا بعضهما حتى كان التاسع من ادار (مارس) سنة ١٧٩٦ للميلاد فاقترن نابوليون بجوزفين

وفي تلك الاثناء ولي نابوليون قيادة العساكر الفرنساوية في ايطاليا فترك عروسه بعد زفافه باثني عشر يوما وأسرع الى الجيش وكان كأنه لم يشعر بتعب ولا جوع ولا نعاس وهو على ظهر جواده نهارا وليلا ولم يمض على تولية قيادة الجيش خمسة عشر يوما حتى أحرز الغلبة في ست وقائع وغنم احدى وعشرين راية وخمسة وخمسين مدفعا وعدة أماكن حصينة وأغنى جهات أرض پارمونت وأسر خمسة عشر ألف أسير وقتل وجرح عشرة آلاف جندي وطرد النمساويين من ايطاليا وأرجعهم الى بلادهم فان ايطاليا كانت في تلك الايام مقسومة الى عدة ممالك وولايات صغيرة مستقلة أكثرها خاضع للنمسا ولما علمت جوزفين بانتصار زوجها أتت اليه لكي تشاركه في أفراحه فاخذ قصرا منتبلو في ميلان مسكنا لهما فقضت جوزفين هنالك عدة من الشهور في سعادة ورخاء فكان لها كل معدات العز والغنى بعدما كانت أرملة فقيرة أصبحت زوجة قائد ظافر قد طبقت شهرته آفاق أوربا وبعدما كانت أسيرة محكوما عليها بالموت وجدت نفسها محاطة بالاشراف والامراء وكان لها منزلة عالية في قلب كل ميلاني وقد قال نابوليون ذات مرة مشيرا الى ذلك انني تسلطت على الممالك وأما جوزفين فقد تسلطت على القلوب ولما أخضع نابوليون كل ايطاليا ضرب عليها الضرائب ووضع لها النظامات الجمهورية وعقد العهود مع دولها وتقدم الى محاربة النمسا في أراضيها فانتصر هنالك أيضا انتصارا عظيما وفتح أكثر مدنها ثم طلبت دولة النمسا الصلح فعقد نابوليون معها صلحا عاد على فرانسا بالفوائد العميمة ثم قفل راجعا الى باريس تاركا جوزفين وأولادها في ميلان لكي تحفظ له انقيادهم اليه بأنسها وبشاشتها وحسن معاملتها فكانت تدعوهم غالبا الى بيتها وتفتح أنديتها اليهم فعدها أهل ميلان ملكة بينهم وكثيرا ما كانت تتعب من أجلهم ولكنها لم تكن تعبا بالتعب اكراما لزوجها وحباله وكان نابوليون يكتب اليها يوميا وهي كذلك وقد قال في نهاية حياته انه مديون لها في كل دقيقة سعيدة حصل عليها على وجه هذه البسيطة

وكانت جوزفين في أثناء اقامة نابوليون بباريس تسهر على مصالح الجمهور وتجهد أيضا في المحافظة على مصلحة نابوليون وتؤيد سطوته وكانت معجبة بتقدمه راغبة في ازدياد شوكته ومع أن حاشيتها كانت من الامراء والاشراف فان العامي لم يشعر أنها بعيدة عنه ولا الفقير أنهم لا تلتفت اليه بل شعروا جميعا بقربها

منهم والتفاتها اليهم الفقير كالغني والصعلوك كالامير وكانت اذا صادفت صديقا أقام على صداقتها مدى العمر والذي مكنها من ذلك قواها العقلية وخلوص محبتها وسهولة الاقتراب منها ولولا مساعدتها النابوليون ما أوصلته بسالته الى الدرجة التي وصل اليها فانها لما كانت جوزفين رفيقته ومعينته كان ظافرا منصورا ولما تركها كسر وخذل

وأقامت جوزفين سنة ونصفا في ميلان ثم رجعت الى فرنسا حيث نابوليون كانت حكومة الديكتوار خائفة منه فأرادت أن تبعده عنها فعرضت عليه أن يتقلد قيادة الاسطول المعين بغزو بلاد الانكليز فذهب نابوليون يتعهد أحوال تلك البلاد وقضى عشرة أيام ثم رجع الى باريس وقال ان النجاح غير مؤكد ولكنه أبدى لهم رأيا بفتح الديار المصرية والسورية لتكون بابا للهند ثم يتقدم الى فتح الهند وطرد الانكليز منها وتجنيد عساكر من الاهالي وجعل ضباطا من الاوروبيين عليهم ففرحت الحكومة بهذا الرأي وأجابت طلبه حالا لا رغبة في فتح البلدان بل في ابعاد نابوليون عن فرنسا متوقعين أن يهلك ويتخلصون منه لانهم أمسوا جميعا خائفين سطوته فجهزت الحكومة له ثمانية وعشرين بارجة وأربعمائة سفينة لنقل مهمات الحرب وأربعين ألف جندي وفي صباح التاسع عشر من ايار (ماي) سنة ١٧٩٨ كان في مينا طولون طالبا الديار الشرقية وكانت جوزفين قد رافقته الى طولون وقد رغبت كل الرغبة في الذهاب معه الى مصر ولكنه لم يسمح لها ووعدها انه اذا نجح يبعث اليها أخذها ولما أقلعوا كانت جوزفين واقفة في شرفة البيت وعيناها مغرورقتان بالدموع محدقتان بذلك المنظر البهيج المحزن ثم حولت عينيها وتفرست في المركب الكبير الذي كان ينقل زوجها وابنها أراهما وسط المخاطر وصار المركب يبعد عنها ويصغر أكثر فأكثر حتى اختفى أخيرا بين مياه البحر المتوسط فدخلت غرفتها وشعرت بانفرادها ووحدتها وكان نابوليون قبل ذهابه الى مصر قد عين بلاد ميبار مسكنا لجوزفين ريثما يرسل في طلبها

ولما رأت جوزفين أنها منفردة أرسلت فطلبت ابنتها من المدرسة لتقيم معها مدة بعدها عن زوجها وابنها وكانت تأمل أنه حالما يفتح بلاد مصر ينجز وعده لها ويتقلها الى وادي النيل ولم يمض زمان طويل حتى كتب اليها بان تتأهب للسفر فيما قريب تصل اليها البارجة المسماة بوموت لتعبر بها البحر المتوسط الى مصر ولكن اتفق في صباح يوم من الايام انها كانت جالسة وابرتها في يدها وحولها عدد من السيدات صديقاتها وابنتها هورتنس فخرجت احدى السيدات الى الشرفة ثم رجعت فأبصرت كلبا فريبا مارا في الزقاق ودعتهن لينظرنه فتراكضن الى الشرفة ولما وصلن اليها هبطت بهن الى الارض وألقتهن جميعا فاضطر كثير منهن الى ملازمة الفراش مدة طويلة وفي جملتهن جوزفين فانه مضى عليها مدة أشهر ما أمكنها الخروج من البيت ولكن هذه الحادثة من عظمتها كانت قد نجتها من أخرى أعظم منها فان البارجة التي كان قد أرسلها نابوليون لاخذها الى مصر كانت قد أخذت في البحر وأرسلت الى لندن

فلما علم نابوليون بما وقع لجوزفين وانه لا يمكنها الحضور بعد الى مصر كتب اليها بان تشتري مسكنا خارجا عن باريس وتنتقل اليه وانه اذا لم يمنعه عائق يصل اليها قريبا فاشترت جوزفين قصرا جميلا يبعد عشرة أميال عن باريس وخمسة أميال عن فارسايل اسمه ملمازون بمائة ألف ريال وأضافت اليه أراضي واسعة من كل الجهات وكانت مولعة به لكثرة ما يشرف عليه من المناظر الطبيعية ولما حضر نابوليون سر به جدا وكان من أحب المساكن اليهما وفي أول فصل الخريف أخذت جوزفين تتعاطى

مما أصابها فتركت بلوم بيار وأتت الى ملماز ون مع ابنتها وعدد من السيدات وكان بيتها غاصا بالاشراف والادباء وكانت تكتب الى نابوليون بكل ما يجرى فى القصر حتى الاحاديث التى تدور بينها وبين زوارها فيسر بأخبارها ويطلب منها أن تجتهد فى توثيق رباطات المحبة والمودة بينه وبين أصدقائه القدماء وأن تبذل جهدها فى مصادقة آخرين غيرهم وكان لجوزفين تأثير عظيم فى أعضاء الدير كتوار وقد خلصت كثيرين من الضيق وردت الى كثيرين آخرين الاملاك التى أخذت منهم ولما رأى البعض تأثير جوزفين فى نابوليون أرادوا أن يحولوا بينهما الغايات سياسية فاستعملوا لذلك نفس الاسباب التى كانت هى تستعملها لكى تكتسب له أصدقاء ونسبوا اليها الخفة والطيش وكان لهؤلاء الاعداء تأثير عظيم فى نابوليون فجعلوا يوسوسون فى صدره ويهيجونه عليها فأثر كلامهم فيه لحدة مزاجه وقام من فوره فكتب اليها رسالة ضمنها قوارص الكلام فلما اطلعت جوزفين عليها أثرت تأثيرا عظيما وقامت فكتبت اليه كتابا لطيفا رقيقا لم يسبق له نظير فى الخلوص والرقة وكانت محبتها وصفاء قلبها يظهران فى خلال كل سطر من سطوره ولكن حجزت هذه الرسالة بمساعى المحتالين فلم تصل الى نابوليون وكانت المراكب الانكليزية وقتئذ مراقبة افرنسا وقد منعت كل مراسلة بينها وبين الجيوش فى مصر وكانت كل يوم تصل الى جوزفين أخبار سيئة عن أحوال الجيوش فى مصر ومرة وصل اليها خبر أن زوجها مات فاشتغل بالها وأمست فى قلق وبلبال وقد كانت تخاف دائما أن زوجها ربما يترك محبتها بعد رجوعه محمولا على ذلك بمساعى المفسدين والوشاة ولكنها لم تزل تبذل غاية جهدها فى كل ما يؤول الى خيره ونجاحه ومع أن قلبها كان تعبا وخاطرها مكسورا كانت تفعل كل ما تقدر عليه لكى تظهر البشاشة للجميع حسب عادتها وكانت تسلى نفسها بالازهار والرياحين فتقضى جانبا من وقتها مع ابنتها هورتنس فى الحديقة ومعولها ومرشتها فى يدها ثم كانت تقضى جانبا كبيرا من وقتها فى زيارة بيوت الفلاحين حوالها وكان كفها دائما مفتوحا لسد عوز المحتاجين فتتصدق عليهم وتفرح لافراحهم وتحزن لاحزانهم ولما وجدت امبراطورة على سرير الملك ... هؤلاء الفلاحون ابتهاجا عظيما وادعوا لها بطول البقاء وحيوها من أجدر الناس بهذا المقام وهكذا قضت جوزفين عدة أشهر بعضها فى الجولان بين هؤلاء الفلاحين وبعضها فى القصر بين الاشراف والامراء فى انتظار استماع الاخبار من نابوليون

وفى ذلك الوقت ابتدأت سنة ١٧٩٩ ميلادية فلاح أنها من بدايتها سنة شؤم على فرنسا فان الفرنساويين كانوا قد تعبوا من مظالم الثورة وكانت حركة الاشغال واقفة والجوع عاما فى البلاد وكان النمساويون قد دخلوا ايطاليا ثانية وأوقعوا بالفرنساويين من كل جانب وكانت الصلات بين الجيوش فى مصر وبين فرنسا مقطوعة وأخبار موت نابوليون ذائعة فى كل البلاد وأما حكومة الدير كتوار فكانت مؤلفة وقتئذ من خمسة قد نشؤا فى غضون الثورة من بين عامة الناس واستلموا زمام الحكم وكانوا قساة ظالمين لا يعرفون شيأ من العدل والانصاف وكان الشعب قد سئم منهم وكره الاستمرار على هذه الحالة وتمنى مدبرا قوية لاصلاح الاحوال السياسية وارجاع الحكم والنظام الى البلاد وفى مساء التاسع من اكتوبر (تشرين الثانى) من تلك السنة دعا رئيس الدير كتوار الى بيته أكابر باريس ووجهاءها وكانت جوزفين فى جملة المدعوين وبينما هم جالسون على المائدة عند نصف الليل اذ وصلت رسالة برقية الى الرئيس حاوية أخبار وصول نابوليون الى فريجى (وهى مدينة صغيرة على شاطئ البحر المتوسط) فلما سمعت جوزفين ذلك

أسرعت الى بيتها وركبت مركبها وسارت مسرعة لملاقاة زوجها وكانت راغبة في الوصول اليه قبل أن يصل اليه الاعداء ويسمعوه التهم والوشايات الباطلة فسارت نهارا وليلا بلا أكل ولا نوم حتى اذا وصلت الى ليون أخبرت أن نابوليون ترك المدينة الى باريس منذ يومين فساءها ذلك كثيرا وجعلت تضرب أخماسا لاسداس وتقول ماعسى أن يقول الاعداء عني اذا وصل نابوليون الى باريس ولم يجدني في البيت وكان من أخص هؤلاء الاعداء اخوة نابوليون ونساؤهم وذلك أنهم لما رأوا النجاح الذي وصل اليه نابوليون بتأثير جوزفين فيه وأن زمام الامور يصبح في قبضة يده عما قريب ويكون هو الحاكم المطلق حسدوه وحاولوا أن يقفوا في سبيله فلم يجدوا سوى القاء البغض والفساد بينه وبين جوزفين ولما وصل الى باريس في العاشر من (تشرين الثاني) اكتوبر اجتمعوا حواليه وصاروا يشكون اليه أعمال جوزفين وينسبون اليها الخفة والطيش والاسراف وعدم الافتكار به وغير ذلك فلما سمع نابوليون ذلك هاج غضبه وقال بصوت عال انني لا طلقنها فالتفت اليه أحد الحضور وقال له الآن تأتيك معتذرة بلسانها الفصيح وكلامها العذب فتصفح عنها وتعودان الى ما كنتما عليه فأجاب نابوليون وهو يتمشى في الغرفة ذهابا وايابا لن أصفح عنها وأنت تعرفني ولولا خوف العاقبة لنزعت هذا القلب وألقيته في النار وعند ذلك عزم نابوليون أن يلاقي جوزفين بعد غيابه عنها زهاء سنة ونصف من الزمان ولما كان اليوم الثالث من وصوله عند منتصف الليل وصلت جوزفين وكان اوجين ينتظر وصولها بفراغ صبر ولما علم بذلك لاقاها الى الدار السفلى ثم صعد بها الى القسم العلوي حيث كان يجمع أهل البيت وكان نابوليون جالسا هناك مع أخيه يوسف فأخذت جوزفين ترتجف وهي صاعدة على السلم خوفا من نابوليون ولما وصلت الى الباب رآها نابوليون قبل أن تدخل الغرفة فالتفت اليها مغضبا وقال لها ارجعي حالا الى مالمازون فلما سمعت جوزفين ذلك غابت عن الرشد وأوشكت أن تسقط الى الارض فأمسكها ابنها وذهب بها الى غرفتها وهو في حال الكدر الشديد ولم يمض ربع ساعة حتى سمع صوت اوجين وأمه وأخته نازلين على السلم قاصدين الذهاب جميعا الى مالمازون فلما شعر نابوليون بنزولهم أسرع من غرفته وصار يكلم اوجين ويلح عليه بالرجوع وهو لم يكن متوقعا هذه الطاعة الغريبة في جوزفين وكان قلبه لم يزل يحبها وطلب رجوعها ولما وجدها تاركة البيت وذاهبة أراد ارجاعها ولكن أنفته منعته من أن يدعوها صريحا ويرجعها فصار يكلم اوجين ويلح عليه بالرجوع حتى اضطر أن يرجع بأمه وأخته ولما رجعوا لم يكلم أحد منهم الآخر بل دخلت جوزفين غرفتها وطرحت نفسها على مقعد ... ودخل نابوليون غرفته أيضا وبقيا يومين لم ير أحدهما الآخر وأخذت محبة نابوليون لجوزفين ترجع تدريجا في هذه المدة ولم يأت اليوم الثالث حتى غلب حبه على كبريائه فقام ودخل غرفتها فرآها جالسة بالقرب من مائدة ورسائل نابوليون المرسلة اليها مفتوحة أمامها على المائدة فلما دخل نابوليون وقف هنيهة ثم نادى بصوت خفيف يا جوزفين فرفعت جوزفين رأسها وقد غسل الدمع وجهها وأجابت بصوت كئيب ونغمة حنونة جرحت قلبه ولم ينسها كل أيام حياته فمد يده اليها ومدت يدها اليه ثم حنت رأسها عليه وبكت بكاء شديدا وقضيا بضعة ساعات في ايضاح الامور وازالة الشكوك ومن ثم عادت ثقة نابوليون الاولى بجوزفين ولم يعد شيء يغيره عنها

وكان نابوليون وجوزفين مقيمين وقتئذ في دي شنتراين وكانت أنديتهما دائما غاصة بالقواد والادباء والاشراف شأن أندية الملوك والعظماء وهم يتباحثون في أحوال البلاد وكيفية اصلاحها ويقولون انه

لا رجاء لفرنسا الا اذا مد نابوليون يده ولم يمض شهر على رجوعه الى باريس حتى انقلبت سياسة فرنسا وأبدلت الحكومة المديرية بالقنصلية وكانت الحكومة القنصلية مؤلفة من ثلاثة قناصل وخمسة وعشرين عضوا ونابوليون أحد هؤلاء الثلاثة قناصل ورئيسهم أيضا ولما أخذ نابوليون على نفسه عهد هذه الخدمة التى دعى اليها لم ينبه لاحد البتة بذلك حتى ذهب أولا الى جوزفين وأخبرها عن ذلك وسمع من فيها أولا كلمات التهانى وحينئذ أخبر الآخرين وفى الغد اجتمع الثلاثة قناصل وجمهور كبير من وجهاء باريس وأكابرها وأعلن أن نابوليون سيكون الحاكم الاول فى البلاد فقبل الجميع ذلك ودعوا له بالنصر ولم يسفك نقطة واحدة من الدماء فى هذا التغير وكان السبب الاعظم فى ذلك تأثير جوزفين القوى فى أهالى باريس مدة غياب نابوليون فى مصر وقد شعر نابوليون نفسه بعظم مساعدة جوزفين له فى هذا الامر فشكرها على ذلك وفى غد ذلك نقل نابوليون وجوزفين من دى شنتراين الى لوكزمبرج وكان هذا القصر عتبة التويلرى وفى صباح التاسع عشر من شباط (فبراير) سنة ١٨٠٠ انتقل نابوليون الى التويلرى بموكب عظيم كان انتقاله اليه تبوأه تخت ملك فرنسا وفى مساء ذلك اليوم نفسه انتقلت جوزفين أيضا فى مركب خاص بها ولما وصلت الى التويلرى وجدت زوجها بين سفراء الدول وعظماء المملكة وأشرافها فدخلت عليهم وعرفها بهم فتلقاها الجميع باجلال واحترام يليقان بملكة عظيمة الشأن وكان لجوزفين فى ذلك الوقت نحو ثلاث وثلاثين سنة من العمر وقد زادتها هذه السنون حسنا وجمالا عوضا عن أن تذهب بنضارة صباها فانها كانت معتدلة القوام وضاحة الحسن ذات عينين زرقاوين ومحيا تقرأ عليه آيات اللطف والكمال وكان ما جرى لها فى حياتها من الاتعاب والاحزان قد زاد اختبارها لهذه الدنيا ووسع نطاق معارفها وثقف عقلها وكانت قد بلغت أوج عزها واينع مجدها وطارت شهرتها فى أنحاء البلاد كما طارت شهرة نابوليون فى ذلك الحين وكان رجال الثورة وقتئذ قد غيروا تقسيم الوقت الى أسابيع وأبطلوا حفظ الآحاد الا أنهم جعلوا يوما واحدا من كل عشرة أيام للراحة من عناء الاعمال وكان نابوليون يقضى هذا اليوم هو وجوزفين فى ملمازون وقد كان من أسعد أيامهما لانهما سئما من عيشة البلاط وازدحامه وكثرة تكلفاته وربما اته فاذا دنت ساعة رجوعهما الى التويلرى ذكر نابوليون ذلك لجوزفين فتتنهدا وكان النمساويون مدة غياب نابوليون فى مصر قد رجعوا الى ايطاليا وطردوا الفرنساويين من كل الاملاك التى كان نابوليون قد رفع فيها راية الجمهورية فلما حسن نابوليون أحوال البلاد الداخلية وجه أفكاره الى الجيوش المنهزمة التى كان قد أوصلها النمساويون الى الالب فأخبر جوزفين بأفكاره وقال لها ان ذهابه ضرورى ولكنه لا يغيب طويلا فودعها فى السابع من ايار (ماى) سنة ١٨٠٠ فى التويلرى وفى الثانى من تموز (يوليو) عاد الى باطا فرامنصورا فانه كان فى هذه المدة الوجيزة التى لم تزد على الشهرين قد طرد النمساويين وزينوا المدينة ليلة بعد أخرى واظهار الفرح بهم وحبهم له كانوا حيثما يجدونه يجمهرون ويدعون له بالنصر

وكانت جوزفين قد قضت هذه المدة من غياب نابوليون فى ملمازون وكانت تكاتبه يوميا وهو كذلك وكان كثيرا ما يكتب اليها وهو على ظهر جواده وأحيانا وهو فى ساحة القتال وأحيانا كان يملى على كاتبه من وسط المعركة وطبول الحرب تقرع وجثث القتلى تتساقط فكان يكتب الكاتب الجمل الوجيزة التى يلقيها اياها ويرسلها الى جوزفين فهذه الالتفاتات من نابوليون الى جوزفين فى مثل هذه

الاوقات الحرجة تمثل أبهج صورة من حسن معاملته اياها وتؤكد سمو أخلاق جوزفين وآدابها والالم يكن رجل نظير نابوليون يحسب الكتابة اليها يوميا فرضا واجبا عليه وخصوصا في أحرج أوقاته وقضت جوزفين أكثر مدة غياب نابوليون في اصلاح الاشياء التي كانت تظن أن نابوليون يسر باصلاحها ولما رجع من الحرب صارا يقضيان جانبا من الوقت في مالمازون أكثر مما كانا يقضيان فيه قبلا وفتحا الابنية للزوار كما في التويلري وكان لهذه الاوقات التي تقضى فيه شهرة عظيمة وكانت من أبهج أوقاتهما وقد كانا يقضيان جانبا منها في بعض الملاهي و لالعاب اللطيفة ويشاركهما في ذلك ولدا جوزفين وبعض الاصدقاء الخصوصيين من ملوك وملكات وأمراء وأشراف وغيرهم من القواد المشهورين والضباط المميزين ولكن جوزفين لم تغفل في وسط هذه الافراح واللذات عن مساعدة الذين كانوا يحتاجون الى مساعدتها بل كانت تساعد كل من كان في طاقتها مساعدته وخصصت جانبا معينا من دخلها لمساعدة المهاجرين وكانت أحيانا تتهم بالاسراف وبعد تبوء نابوليون القنصلية بقليل أمر برجوع المهاجرين الى أوطانهم وبذل غاية جهده في ارجاع أملاكهم المحجوزة ولا شك انه وجد صعوبات كثيرة من جهات بعض الارامل والايتام الذين كان لهم ما يكفيهم من المال وأصبحوا فقراء مساكين ليس لهم شئ فكانوا يأتون الى جوزفين ويقصون عليها قصصهم المحزنة فتسعى اليهم وترثى لاحوالهم وتمدهم بالمساعدة التي تمكنها وكانت دائما تفي بوعدها معهم شأن الكريم

وكان عمر هورتنس وقتئذ نحو ثمان عشرة سنة وعمر لويس أحد اخوة نابوليون أربعا وعشرين سنة فاتفق نابوليون وجوزفين على أن يزوجاهورتنس بلويس وكان لويس شابا عاقلا كثير التأمل قليل الكلام مثل أخيه نابوليون وكان في كل شئ أشبه سائر اخوته به ولما كان نابوليون في ايطاليا يحارب النمساويين تعرف لويس بفتاة من سلالة أحد الملوك القدماء فأحبها وتعلق قلبه بها ولكن لما رجع نابوليون وعلم بذلك لم يسر به لانه خاف أن اقترانهما ربما يضر به فأبعد لويس مع العساكر عن باريس ولم يسمح برجوعه حتى تزوجت الفتاة فلما رجع لويس وعلم أنها تزوجت تكدر كدرا عظيما ومن ثم تكدر صفو أوقاته ولم تعد الحياة تطيب له أما نابوليون فشعر بهذا الجرح البالغ في قلب أخيه وكان دائما يجتهد في مرضاته وأراد أن ينسيه تلك الفتاة فعزم أن يزوجه بهورتنس ولكن لويس لم يقبل ذلك أولا غير أنه قبل أخيرا وكذا هورتنس لم ترغب من أول الامر لانها كانت تحب أحد القواد وكان من أصدقاء ابيها المقربين وكان يتكل عليه أكثر من سائر القواد ولكنها رضيت أخيرا واعتمدت رأي أبيها وأمها فقبلت أن يكون لويس بعلا لها ولكنهما قضيا بعد اقترانهما حياة تعيسة اذ لم يكن أحدهما يحب الآخر وفي ساعة زفافهما لاحظ كل من الحاضرين أثر الغم على وجه كل من العروسين ولم تخف بعد ذلك تعاستهما التي أدت الى انفصال أحدهما عن الآخر

أما جوزفين فرافقت نابوليون في سنة ١٨٠٢ عند طوافه ببعض جهات المملكة ورافقته أيضا في ذهابه الى ليون لاجل ملاقاة نواب ايطاليا وكانت حيثما ذهبت تدهش الجميع بمزاياها الطبيعية وتأثيرها في زوجها وفي كل من عرفها ومن ثم رجعت هي ونابوليون الى قصرهما المحبوب في مالمازون وقضيا هنالك عدة أسابيع في أفراح وسرور لا يوصف ثم عادا الى الجولان في أطراف المملكة الشمالية لاستطلاع أحوال تلك المقاطعات وكان الشعب يستقبلهما بالفرح والترحاب في كل مكان ويثنون على نابوليون مزيد الثناء لاخماده نيران الثورة وارجاع النظام الى المملكة وتوطيد السلام فيها وكان حيثما توجه يشعر باستعداد

الشعب التسليمه صو لجان فرنسا فى أقرب وقت ولما رجع من سفره استلم قصر التقديس كاودو كانت هذه خطوة أخرى الى عرش البوربون فان الشعب كان قد مل من سكينة الجمهورية وأحب العودة الى البهجة والابهة الملكية فجدد هذا القصر وجعل جوزفين وأربع سيدات معها للقيام بواجباته وحينئذ دعى نابوليون قنصل كل حياته وكانت جوزفين فى ذلك الوقت باذلة غاية جهدها لتقنع نابوليون بوجود الله و بارجاع الديانة المسيحية الى البلاد لان الكفر كان قد مد أعراقه فى فرنسا و جوزفين نفسها لم تكن تعرف كثيرا من التعاليم الدينية ولا كانت من ذوات التقى الا انها كانت قد رأت الكفر وتعاسة البلاد الناشئة عن رفض الديانة المسيحية والاتعاب الاهلية المسببة عن عدم اعتبار الزواج اعتبارا دينيا وكانت تميز فضائل الدين المسيحى واقتداره على ردع الشعب عن عمل الشر وحملهم على عمل الخير فاقتنع نابوليون بكلامها وأعلن ارجاع الديانة المسيحية الى البلاد وفى غد صدور الاعلانات أقيمت الاحتفالات الدينية المرة الاولى فى كنيسة نوتردام وأرجعت الديانة المسيحية الى المملكة ولم يمض بعد ذلك مدة طويلة حتى كثرت الاشاعات فى شأن تتويج نابوليون ملكا على فرنسا وكان كثيرون راغبين فى ذلك أما جوزفين فكانت ترتعد كلما سمعت ذلك لانها رأت احتياج نابوليون الى ولد يخلفه اذا توج ملكا وكانت تسمع البعض يلحون عليه بان يطلقها ويتزوج بغيرها من الاسرة الملكية قائلين ان مصالح فرنسا تستلزم أن يكون له ابن يخلفه فى الملك وقد كانت متأكدة شدة محبة نابوليون لها الا انها كانت خائفة من انفاذ هذا الامر لانها كانت قد عرفت انه ليس لدى نابوليون تقدمه لا يمكنه تضحيتها لاجل مجده وتقدمه فى هذه الدنيا

وفى يوم من الايام دخلت جوزفين غرفة زوجها فوجدته جالسا مع رجل آخر من أصحاب السياسة يتحدث معه فى الامور السياسية فلما دخلت جلست قليلا ثم قالت انها لا ترغب البتة فى تتويج نابوليون ملكا بل تفضل بقاءه قنصلا كما هو فضحك نابوليون وقال لماذا هذا الجنون يا جوزفين الى متى تصدقين كلام هؤلاء العجائز

وكان كلما قال أحد أمام جوزفين انها ستكون أمبراطورة فرنسا عما قريب تجيب أنها مكتفية أن تكون امرأة القنصل نابوليون فقط

وفى الثانى من ماى سنة ١٨٠٤ قرر المجلس القضائى أن نابوليون سيكون أمبراطور فرنسا وأرسل التقرير الى كل جهات فرنسا فوافق عليه أكثر من ثلاثة ملايين ونصف من الشعب ولم يزد عدد المضادين على ألفين وخمسمائة وفى غد ذلك تبوأ نابوليون تخت أمبراطورية فرنسا مع احتفال اعظم ما يكون جرى لكل العظماء والاشراف وبرزت بينهم جوزفين فى ذلك الاحتفال امبراطورة لفرنسا ولكن مخاوف بعض المتوجسات نزعت كل أفراح تلك الساعة منها ولم تكد تمالك اظهار غمها وحزنها وذلك لان المجلس قرر أيضا أن الامبراطورية ستدوم فى أسرة نابوليون وقد حضر ذلك الاحتفال عدد عظيم من أكابر أوربا وعظمائها فوجدت جوزفين نفسها حينئذ فى درجة لم يصل اليها أعظم ملكات أوربا وكانت شهرة زوجها قد عمت كل أوربا وقوته قد فاقت أعظم ممالكها وفى الثانى من تشرين الثانى (اكتوبر) من السنة المذكورة حضر البابا من رومية لكى يتوجهما أمبراطورا وأمبراطورة على فرنسا فى كنيسة نوتردام ولم يحصل على هذا الشرف أحد من ملوك أوربا قبل نابوليون منذ عشرة قرون وكان الهواء فى ذلك اليوم رائقا والكنيسة

مزينة بافخر الزين والعجلات أمامها تلمع بعدد خيولها الذهبية والارجوانيـة والقواد والابطال فى ثيابهم الرسمية الموشاة بالذهب

ولما كان وقت التتويج دخلت جوزفين فى حلة من الاطلس الابيض موشاة بالذهب وموشحة بالخرز الذهبى ومزينة بالحجارة الكريمة ومشمل من المخمل القرمزى مبطن بالاطلس الابيض وفرو القاقم على أكتافها وكانت حلى التتويج تاجين الواحـد لاجل التتويج ولتضعه على رأسها فى احتفالات المملكة الخصوصية فقط والآخر لاجل باقى الاوقات الرسمية ومنطقة أيضا أما التاج الاول فكان له ثمانية فروع ذهبية أربعة منها على شكل النخل والاربعـة الاخرى على شكل ورق الريحان وكانت حجارة الالماس البراقة منثورة عليها كنقط الندى وقد أحاطت بها حلق ذهبية مرصعة بحجارة من الزمرد والجمشت والتاج الثانى كان مصنوعا من أربعة صفوف من اللؤلؤ ومنه لا بحجارة الماس ومن الامام عـدة حجارة من ألماس بلغ وزن واحـدة منها مائة وتسعة وأربعين قمحة وكانت المنطقة من الذهب الابريز وقد رصعت بتسـعة وثلاثين حجرا من ألماس الفلنكى الملون

أما نابوليون فدخل فى حـلة من المخمل الابيض موشاة بالذهب ومزرورة بحجارة الماس وجبة ومشمل من المخمل القرمزى موشيين بالذهب ومرصعين بحجارة الماس أيضا وكانت المركبة الملكية على غاية ما يكون من الاتقان والجمال فان ألواحها كانت من الزجاج النقى ويجرها ثمانية رؤس خيـل حمر الالوان وكانت المسافة بين التويلرى ومـتردام نحو ميل ونصف وكان عشرة آلاف خيال فى ثيابهـم الرسمية مـلازمين العجلات وبلغ عدد الناظرين نصـف مليون اذ كانت النوافذ والسطوح وشرف البيوت المطلة على الطريق التى مر عليها الموكب غاصـة بالوقوف وكانت الموسيقى تصدح بأنغامها المطربة والمدافع تضرب فى الهواء وعشرات الالوف من العساكر تهتف معا وكانت تلك الساعـة مما لم يسبق لها مثيـل فى تاريخ العالم وكان العرش فى كنيسـة نوتردام مغطى بأغطيـة من المخمل القرمزى وعليـه مقعد من المخمل أيضا يرقى اليـه باثنتين وعشرين درجة مسـتديرة وكانت مغطاة بالجوخ الازرق ومحلاة بالخرز الذهبى فجلس نابوليون بجانب جوزفين على العرش ووقف كبار القواد على الدرج ثم ابتدأ التتويـج وطالت مدته أربع ساعات وكانت تتخلله الموسيقى العسكرية ولما أزف الوقت لان يضع البابا التاج على رأس نابوليون أخـذه بيده واقترب الجالسون وقبـل أن يضعه على رأسه أخذه نابوليون من يده ووضعه هو بنفسه على رأسه ثم نزعـه عن رأسه ووضعه على رأس جوزفين ثم نزعـه عن رأسها حالا لثقله ووضعه على مسـند بجانبه وتوجها بآخر أصغر منـه ثم جثت جوزفين والتاج على رأسها ويداها مكتوفتان وصلت له والتفتت الى زوجها التفاتة عبرت عن شكرها ومحبتها له وبقى نابوليون يتذكر هـذه الالتفاتة كل أيامه ولما تم التتويج وأزف وقت الانصراف ارتجل نابوليون خطبة تناسب المقام ذكر فيها أن نسله سيجلس على هـذا العرش من بعـده فأثر هـذا الكلام تأثيرا عظيما فى جوزفين ونشب حربة فى قلبها خصوصا لما تعهده فى نابوليون والشعب الفرنساوى أيضا من الرغبة فى أن يكون له ولد ولما عادت الى التويلرى كان الليل قد أرخى سدوله وأسواق المـدينة مزينة بالانوار والتويلرى يتلألأ بها أيضا ودخلت جوزفين مخدعها وجثت على ركبتيها وطلبت الارشاد من ملك الملوك والدموع منسجمة على خديها

أما أهالى باريس فخصصوا الشهر الاول من تتويج نابوليون وجوزفـين بكل أنواع الافراح والملاهى

العمومية وكانت المدينة تزين كل ليلة بالانوار وفى صباح أحد الايام دخلت جوزفين احدى غرفها فوجدت ناصـية ذهبية مع كل أدواتها وكانت من الذهب أيضا وقد أهـداها اليها مجلس بلدية باريس وفى مساء تتويجهما أطلق الشعب منطادا كبيرا فى الجو كان مصـنوعا على هيئة التاج الملكى فبقى مدة ظاهرا فوق باريس ثم سار نحو الجنوب وفى مساء اليوم التالى وقع فى مدينـة رومية وهى تبعد مسافة تسعمائة ميـل عن باريس ثم حدث على اثر تتويج نابوليون أن مديرى جمهورية ايطاليا كتبوا الى نابوليون وكان وقتئذ رئيسهم يطلبون اليـه أن يرافقهم الى ميلانو ويتوّج ملكا عليهم اذ كان هو المنقذ لهم من أيدى أعدائهم النمسويين وكان من عوائد نابوليون السفر بغير أن يعلم أحدا من قبل ففى مساء يوم من الايام بعد عماد الابن الثانى لاخيـه لويس أمر باعداد الخيل للسفر الى ايطاليا الساعـة السادسة من الصباح فرافقته جوزفين فى هـذا السفر وكانا حيثما يصلان يستقبلهما الشعب بالترحاب ويزين لهما المدن ويدعو لهما بالنصر وكانت جوزفين حاصلة حينئذ على كل ما من شأنه أن يجعلها أسعد البشر لولا أمر واحد وهو عدم وجود ولد لنابوليون ولكنها لما وصلت الى ايطاليا انسيت غمها وقضت هنالك عـدة أيام بغبطـة وهناء وكان بينها وبين البابا بيوس السابع صداقة قوية وقد رافقهما بنفسه الى تورين ولما افترق عنها أهدت اليه كأسا من فخار (ساقراس) ومن تورين أخذها نابوليون الى ساحة مارنغو حيث انشبت أعظم وقائعـه وهنالك لبس ثيابه الحربية ووقف فى وسط ثلاثين ألف جندى ومثل لها واقعة القتال

وفى الثامن من ماى سنة ١٨٠٥ دخـلا ميلانو وكانت المدينة مزينـة والفرح والطرب قائمين فيها وفى السادس والعشرين من الشهر نفسه توّج نابوليون ملكا على ايطاليا فى كنيسة ميلان ولم يكن هـذا الاحتفال أقل من الاحتفال فى كنيسة نوتردام والذى زاد هذا الحفلة عظمة وأبهة أنه أحضر لنابوليون سوى التاج المعدّ لتتويجه تاج شارلمان الحديدى ولم يكن هـذا التاج قد علا رأس الملوك منذ أيام شارلمان من ألف سـنة وهنا أيضا كما فى نوتردام لم يدع أحـدا يضعه على رأسه بل وضعه هو بنفسه ثم توج جوزفين هو أيضا وأقاما مدة شهر فى ميـلانو وذهبا منها الى جنوى ثم رجـعا الى باريس وكان نابوليون قـد أعطى جوزفيـن لائحة عن سـفرهما وعن جميع الاماكن التى سيقفان فيها والخطب والاجوبة التى سيخطبها ويجيب بها والهـدايا التى كان يجب عليها تقديمها والمبالغ التى يمكنها أن تنفقها فكانت جوزفين تقضى قسما من كل صباح فى درس هـذه المثالات وقد أظهر نابوليون لجوزفين فى هذا السفر ما لا مزيد عليه من البشاشة والانس وكانا دائما مسرورين وذكرت جوزفين فيما بعـد أن هـذا السفر من أسرّ أسفارها مع نابوليون وكانا حيثما يصلان يتلقاهما الشعب بالترحاب ويقيم لهما الافراح ويولم الولائم وبعد وصولهما الى باريس بمدة وجيزة سمعا أن قصد اوجين ابن جوزفين الاقـتران بابنة ملك باقاريا فذهبا الى مونيخ لحضور الزفاف فاجتمعت جوزفين بابنها وفرحت له بعروسه خصوصا لانها كانت فى كل شئ كما تشتهى ثم رجعا من هنالك الى باريس مشيعين بجمهور كبير من أمراء جرمانيا وأميراتها وكانت جوزفين وقتئذ فى ذروة من المجـد التى لا يمكن هذا العالم أن يمنحها لاحد البشر فان كل أو ربما كانت عند قدمى زوجها وابنتها هورتنس كانت ملكة هولاندا وابنها أوجـين كان نائب ملك ايطاليا وصهرها ملك باقاريا وكان نابوليون قد نزع من فـكره طلاقها وقرر أن ابن أخيـه لويس نابوليون الاكبر يكون وارث ملكه فزالت كل الاريتاب التى كانت فى ذلك الوقت من هـذا القبيل وكان نابوليون دائما محبا لجوزفين حتى كان يقول فى غالب الاوقات انه لا نظير لها

بين نساء العالم أماهى فلم تكن تنسى المحتاجين والحزانى مع ماوصلت اليه من السلطنة والسودد بل كانت
دائما مستعدة لمساعدة كل من طلب مساعدتها سواء كان بمالها أو بكلامها حتى كانت تتهم أحيانا بالتبذير
والاسراف وكانت تحب مرافقة نابوليون فى أسفاره وهو أيضا كان يرغب مرافقتها لانها كانت الشخص
الوحيد الذى يوثق به ومرة وعدها بمرافقته فى احدى سفراته ولكن الاحوال أحوجته الى الذهاب سرا
فأمر باعداد لوازم السفر وفى الساعة الاولى بعد نصف الليل وهو الوقت الذى ظن أن جوزفين تكون
فيه مستغرقة فى النوم قصد الذهاب ولكنه لم يصل الى العجلة حتى كانت جوزفين بين يديه فأمر باعداد
لوازمها فى الحال وذهبا معا الى اسبانيا فاخضع نابوليون اسبانيا تحت طاعته وملأها من العساكر
الفرنسوية وولى أخاه لويس عليها ثم قفل راجعا الى فرنسا ولكن لم يلبث طويلا حتى أتته الاخبار أن
الاسبانيين طردوا أخاه من العاصمة بمساعى الانكليز وقتلوا كثيرين من الفرنسويين القاطنين هنالك
فرجع مسرعا الى اسبانيا وفى هذا الوقت أيضا طلبت جوزفين الاتيان معه ولكنه لم يسمح لها بذلك بل
دخل مدريد عاصمة البلاد وأرجع أخاه الى مقامه وثبت حكمه فيها ورجع ثانيا الى فرنسا

وكانت آمال نابوليون وجوزفين فى ذلك الوقت معلقة بالامير الصغير ابن لويس وهورتنس وشاع
فى كل فرنسا وهولندا انه سيكون صاحب الملك من بعد عمه ولكن فى ربيع سنة ١٨٠٧
بينما كان نابوليون يحارب بروسيا وهو منتصر عليها انتصارا عظيما أصاب الولد داء الخناق ومات فى
ساعات قليلة وكان له من العمر خمس سنوات فحزنت جوزفين لفقده حزنا عظيما ورجعت الى مخاوفها
القديمة لانها كانت تعرف نابوليون وتعرف رغبته فى أن يكون له وارث يترك الملك له وكانت فرائصها
ترتعد كلما افتكرت مرارة تلك الكاس التى كان لابد لها من تجرعها وقد بقيت مدة ثلاثة أيام منفردة
فى غرفتها بلا أكل ولا نوم تسكب الدموع على عظم مصيبتها أما نابوليون فلما وصلت اليه هذه الاخبار المحزنة
كان فى أوج انتصاره اذ كان قد قهر جميع أعدائه وأخضع بروسيا تحت طاعته وكان جميع ملوك أوربا
مستعدين لاتمام أوامره فلما سمع هذه الاخبار جلس ساكتا وارتفق بيده على وجهه وسمع وهو فى حزنه
الشديد يقول لنفسه المرة بعد الاخرى لمن أترك كل هذا وكان يتنازع أفكاره عاملان قويان محبة جوزفين
من جانب ومحبة المجد واشتهاء أن يكون له ولد يرث اسمه وشهرته من جانب آخر وبقى مدة على هذا الحال
وهو لا يذوق طعاما ولا يغمض له جفن ولكن رغبته فى كسب المجد واعتقاده انه أوصل فرنسا الى درجة
لم تصل اليها مملكة على وجه الارض فينبغى أن يخلف من يرثها من نسله جعلاه يضحى كل سعادته وراحته
ويفقد سلامة الذوق ويحل قوى ربط المحبة وكانت جوزفين تعرف زوجها جيدا فكانت بالخوف والرعب
تنتظر قدومه وكانت تقضى أكثر أوقاتها بالنوح والبكاء وكان أحيانا كثيرة يصدر فى الجرائد كلام فى
شأن طلاقها واقتران نابوليون باحدى بنات الاسرة الملكية

وفى تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٠٧ رجع نابوليون من فينا فسلم على جوزفين بمزيد اللطافة أما
هى فلاحظت فى الحال انه كان قلقا فى فكره وانه كان حينئذ يشتغل بهذه المسئلة وكثيرا كان يجتمع بوزرائه
سرا فلاحظ رجال البلاط ذلك وكانوا قليلى الكلام وكان نابوليون لا يكثر أن يلتفت الى امرأته لانه خاف
انه اذا التفت الى التى أحبها هذا الحب العظيم يتغير فكره وكانت جوزفين قلقة جدا من هذا القبيل ولكنها
اجتهدت فى اخفاء عواطفها وكانت تلاحظ حركات نابوليون وسكناته فترى فى كل يوم أمرا جديدا يؤكدها

ما كانت تخافه أما هو فكان يتجنبها و يبتعد عنها وقد قفل الباب الذي بين غرفته وغرفتها وكان قليلا ما يدخل مخدعها واذا أراد ذلك قرع الباب كل ذلك ولم تكن جرت كلمة واحدة بينهما في هذا الشان وكانت جوزفين عندما تسمع وقع أقدام نابوليون ترتجف وتظن انه آت اليها بالاخبار المخيفة ولم تعد تقدر أن تصل من مكانها الى الباب بغير أن تتمسك بالحائط أو بشيء آخر ولكنه مضى كلا شهري تشرين الاول والثاني (اكتوبر ونوفمبر) ولم يكلم نابوليون جوزفين بشيء من هذا القبيل مع انه كان في المذاكرة مع وزرائه في أمر الزواج الجديد والاسرة التي يصاهرها فانه كان يستصعب مفاتحتها بهذا الشان غير أن هذه الصعوبة لم تغير مقاصده الثانية البتة وكانت شهرته وسلطته عظيمتين الى حد أنه لم يوجد أسرة في أوربا لم تكن تحسب شرفا لها أن تعطى من بناتها زوجة لنابوليون فاشار عليه وزراؤه أولا أن يأخذ زوجة من أسرة البربون لانهم افتكروا انه اذا فعل ذلك يرضى حزب الملكية في فرنسا ويكون ملكه أثبت بهذه الواسطة ثم أشاروا عليه أن يأخذ سيدة سكسونيه ولكنهم ظنوا بعد طول التأمل أن يكون الانسب أن يصاهر جلالة ملك روسيا ولكن بعد أن جرى كلام بين البلاطين في ذلك قر الرأى أن يأخذ ماريا لويزا ابنة أمبراطورة النمسا وكان في ذلك الوقت قد آن لنابوليون أن يخبر جوزفين بما كان قاصدا أن يفعله وكان في اليوم الاخير من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٠٩ دخل الامبراطور والامبراطورة لكي يتعشيا ولم يدخل معهما أحد وكانت جوزفين كل ذلك النهار في غرفتها تسكب الدموع بغزارة كانها عرفت أن ذلك اليوم كان يومها المحزن ولكنها لما أتت ساعة العشاء غسلت عينيها ودخلت غرفة المائدة وبذلت غاية جهدها لكي تضبط نفسها عن البكاء ولذلك لم تتجاسر أن تفتح فمها بكلمة واحدة أما نابوليون فكان تائها في بحر الافكار ولم يكلمها بكلمة واحدة فكان حول تلك المائدة حينئذ سكوت تام ولم يذق أحدهما شيأ بل كانت أنواع الطعام تتبدل بغير أن تمس وكان اصفرار الموت على وجه كل منهما ولما انتهى تقديم العشاء صرف نابوليون الخدم ثم نهض وأغلق الباب بيده على نفسه وجوزفين وحينئذ أتت تلك الدقيقة التي كان كل منهما خائفا منها فاقترب نابوليون الى جوزفين وأخذ يدها وقال لها بصوت منقطع (يا جوزفين يا عزيزتي جوزفين أنت تعلمين كيف أحببتك وانى لك وحدك شاكر على الدقائق القليلة التي بك عرفت فيها السعادة على الارض والآن أخبرك أن واجباتي أقوى من ارادتي وأن عواطفي القوية نحوك يجب أن تخضع لمصلحة فرنسا)

فلما سمعت جوزفين ذلك خفق قلبها ونضب الدم في عروقها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما رأى نابوليون ذلك فتح حالا الباب ونادى من يساعده فأتى اليه حالا عدد من الخدم من الغرفة المجاورة وكان هناك أيضا الكونت بومون فأومأ اليه نابوليون وهو مرتجف ووجهه ممتقع بان يأخذها الى يده الى غرفتها وأخذ هو مصباحا بيده وذهب أمامه ولكن لما وصل الى السلم سلم المصباح الى أحد الخدم يساعد الكونت في حملها وكانت تقول في غشيها آه لا يمكنك أن تفعل ذلك لانك لا تحب قتلي ولما وصلا بها ووضعاها على فراشها صرف نابوليون الكونت وقرع الجرس في طلب خادمتها الخصوصية وقضى الوقت بجانبها حتى أخذت تستفيق ولما ظهر له أنها ابتدأت ترجع الى نفسها تركها ومضى الا أنه لم ينم طول ذلك الليل بل كان يتمشى في غرفته ويأتي الى باب غرفة جوزفين ويسأل الطبيب عن أحوالها أما الطبيب فلم يفارقها كل ذلك الليل

وفي مدة الاسبوعين الاولين بعد ذلك لم ير الواحد منهما الا قليلا مما يتعلق بالآخر واتفق انه في تلك المدة كان

عيد التتويج ونصرة أوسترليتز الشهيرة فكانت المدينة في ذلك الوقت مشتعلة بالانوار وصوت قرع الاجراس ملأ الفضاء وفي هذين الاحتفالين كانت جوزفين مضطرة أن تحضر أمام الشعب وكانت مؤكدة أن كل الملوك والامراء الذين كانوا حينئذ في باريس عالمون بالاهانة المقبلة عليها وكانت كل أصوات الطرب والابتهاج في مسامعها قرع أجراس حزن مؤذنة بمصيبتها ومع ذلك فانها بذلت جهدها في تسليتها لكي تظهر أمام الناس كعادتها غير أن اصفرار وجهها واغرورق عينيها بالدموع كانا ينبئان عما تحاول اخفاءه وكانت ابنتها هورتنس دائما معها باذلة غاية جهدها في تسليتها وابنها اوجين ترك ايطاليا وأتى باريس اليها وبعد مواجهتها ذهب الى نابوليون وطلب الاستعفاء من خدمته قائلا له ان ابن التي ليست بعد امبراطورة لا يقدر أن يكون نائب الملك وأنا قصدي أن أتبع أمي في انحطاطها لانه يجب أن تجد الآن تعزية في أولادها أما نابوليون فلم يكن خاليا من العواطف بل تساقطت العبرات من عينيه وصار يكلم اوجين بصوت مرتعش ويبين لزوم ذلك ويوضح له الامور فتأثر اوجين من كلامه وأما أمه فطلبت منه أن يبقى في خدمة نابوليون ويبقى من أصدقائه المخلصين كما كان أولا وفي الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٨٠٩ جمع نابوليون جميع الملوك والامراء من أسرة الامبراطورية وأكثر القواد المشهورين في منتدى التويلري العظيم حتى يقص عليهم خبر انفصاله من جوزفين وكان كل واحد من الحاضرين مندهلا من غرابة هذا الاجتماع فنهض نابوليون في أثناء ذلك وخاطبهم قائلا

ان مصالحي السياسية ورغبة شعبي الذي كان دائما يدرب أعمالي تستدعي أن يكون لي وارث يرث محبتي للشعب والعرش الذي وضعتني العناية عليه وقد مضى على عدة سنوات مع الامبراطورة جوزفين حتى قطعت الامل من أن يكون لي أولاد منها وهذا هو الداعي الذي حملني على تضحية أشد عواطف قلبي ومراعاة مصالح رعيتي وطلب انفصالنا وقد بلغت الآن الاربعين من العمر وآمل أن أعيش طويلا بعد وأن أحتضن في أفكاري الاولاد الذين تسر العناية بان تباركني بهم والله وحده يعلم كم كانت قلبي هذا المقصد ولكن ليس من أمر مهما كان عزيزا على الا وأنا أضحيه طائعا لمختار المصلحة فرنسا وليس لي سبب أشكو منه ولا شيء أقوله سوى مدح محبة امرأتي المحبوبة وحنوها فانها زينت خمس عشرة سنة من حياتي فيبقى ذكرها منقوشا على صفحات قلبي الى الابد وأنا بيدي توجتها امبراطورة ستبقى امبراطورة في القلب والرتبة وأحب فوق كل ذلك أن لا تشك مطلقا بعواطفي من نحوها ولا تعتبرني الا أعز صديق لها

فاجابت جوزفين بصوت منقطع وعينين مغرورقتين بالدموع انى أجيب على ما قال كلام الامبراطور من جهة انفصالنا بالقبول لان اجتماعنا كان حائلا دون سفيرة فرنسا بسبب عدم وجود من يسوس يوما ما هذا الشعب من نسل هذا الانسان العظيم الذي أقامته العناية لكي يطفئ شر الثورة المخيفة ويرجع المذبح والعرش والهيئة الاجتماعية ولكن هذا الانفصال لا يغير عواطف قلبي بل سيجد الامبراطور في أحسن صديقة له وأنا أعلم ماذا كلف هذا العمل السياسي قلب الامبراطور ولكن نحن الاثنان نفتخر بهذه الضحية التي ضحيناها لاجل خير المملكة وأشعر أنني التعظيم والمجد بايرادى باعطائي أعظم برهان على محبتي

هذا ما أظهرته جوزفين جهارا وأما في الخفاء فانها استسلمت للحزن والكآبة وقضت ستة أشهر بالبكاء والنحيب حتى قاربت العمى من شدة الحزن

وفى اليوم المعين لانهاء نظام الانفصال اجتمع المحفل ثانية فى نادى الامبراطور العظيم ليشهدوا تمام نظام الانفصال فدخل الامبراطور بحلته الرسمية واصفرار الموت على وجهه وعلامات اليأس والقنوط تلوح عليه واستند الى أحد الاعمدة مكتوف اليدين لا يفوه بكلمة وبقى برهة غائصا فى بحور الافتكار كالصنم لا يبدى حراكا وكان فى وسط النادى مائدة جميلة وعليها كل أدوات الكتابة من الذهب الابريز أمامها كرسى أعد لجوزفين وكان جميع الحاضرين صامتين لا يفوهون بكلمة وكلهم شاخص الى المائدة وما عليها كأنهم ينظرون الى مذبحة أو مشنقة معلقة ففى وسط هذا فتح باب من جانب المنتدى ودخلت منه جوزفين مستندة الى يد ابنتها هورتنس واصفرار الموت يلوح على وجه كل منهما ولما دخلا غلب البكاء على هورتنس ولم تنفك عن ذلك كل مدة الاجتماع

ولما دخلت جوزفين نهض الجميع اجلالا لها وتساقطت العبرات من عيونهم لشدة تأثرهم من منظرها أما هى فتقدمت بحركاتها اللطيفة الى المكان المعد لها وارتفعت يدها على وجهها وأصغت الى قراءة نظام الانفصال والدموع تسكب من عينيها وكان ابنها اوجين جالسا على مقربة منها وبعد نهاية قراءة النظام حسمت جوزفين دموعها وانتصبت واقفة وأخذت على نفسها عهد الانفصال بصوتها الرائق العذب الاعتيادى ثم جلست وأخذت قلما ووقعت اسمها بقلب أمتن ربط المحبة والوداد التى لا يمكن للعقل البشرى أن يتصورها ولا للقلب الانسانى أن يشعر بها ثم استندت ثانية الى يد ابنتها وخرجت من المكان أما اوجين فوقع على الارض مغمى عليه

أما شدة ذلك اليوم وآلامه فلم تكن قد انتهت بل كان على جوزفين وهى فى وسط توهانها فى بحور الاحزان ما كان آلم وأشد عذابا من الاول وهو وداع من كان زوجها الوداع الاخير فانتظرت فى غرفتها وهى حزينة القلب مكسورة الخاطر لا تفوه بكلمة فلما حان الوقت أتى نابوليون الى غرفته قلقا كئيبا بسبب ما جرى ورمى بنفسه على فراشه وفى الساعة نفسها فتح الباب الذى بين غرفته وغرفة جوزفين ودخلت هى منه وهى ترتجف وعيناها وارمتان من البكاء وشعرها مسدول على أكتافها وعلامات الحزن والغم الشديدين تلوح على وجهها فتقدمت الى وسط الغرفة ودنت من سرير نابوليون ثم وقفت بغتة وغطت وجهها بيديها وصارت تبكى بكاء شديدا وكان ذلك لانها افتكرت حينئذ أنه لا حق لها بعد فى الدخول الى غرفة نابوليون ولكن محبتها الشديدة له حالا تهيجت وأنستها كل ذلك فتقدمت اليه وطرحت نفسها بجانبه وغمرته بيدها وصارت تدعوه باكية منتحبة فتهيجت عواطف نابوليون وجعل يؤكد لها محبته الصحيحة الصادقة وهو يبكى وينتحب ويثبت لها أنه سيبقى كذلك الى يوم موته واجتهد لكى يسليها ويعزى قلبها وبقيا على ذلك برهة من الوقت ثم قامت جوزفين وودعت زوجها الذى أحبته كل هذه السنين الوداع الاخير وافترقت عنه الى الابد

وفى اليوم الثانى ودعت جوزفين البلاط وأهله وفى الساعة الحادية عشرة اجتمع كل حاشية التويلرى على أعلى السلالم وفى الشبابيك والمماشى ليروا افتراق سيدتهم المحبوبة التى كانت زينة ذلك القصر وبهجته فنزلت على السلالم مغطاة بمنديل من قمة رأسها الى قدميها والدموع ملء عينيها فصارت تلوح بمنديلها علامة الوداع للاصدقاء الباكين حولها الى أن وصلت الى الباب وهناك وجدت عجلة مطبقة باستنظارها بجرها ستة من الخيول الجياد فدخلتها وسارت بها وتركت وراءها التويلرى الى الابد

أما محل اقامتها الجديد فكان قصر ملمازون الذي كانت تفضله على سائر قصور الامبراطور وكانت قد قضت فيه هي ونابوليون أسعد أوقاتها فان نابوليون كان يعرف محبتها لهذا القصر وقد أعطاها اياه لكي تقضي فيه باقي حياتها وكان قد أجرى عليها راتبا سنويا قدره ستة آلاف ريال وأبقى لها اسمها ومقامها هنالك ومكثت جوزفين عائشة كما يعيش الملوك وكانت محبوبة عند كل شعب فرنسا ومعتبرة ومكرمة عند كل أهالي أوروبا وكان نابوليون يزورها غالبا ويستشيرها في أعماله وقد أدرك الناس أن الذي يريد أن يرضي الامبراطور ويكون من المقربين اليه هو الذي يلتفت الى جوزفين ويحسن معاملتها واكرامها ومن ثم أصبح قصر ملمازون محل اجتماع كل أعضاء بلاط نابوليون يأتون اليه دائما بحللهم الرسمية الملوكية وكانت تدعو منهم كل يوم عشرة أو اثني عشر نفسا للفطور معها صباحا وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر كانت تمر أمام الجميع الى غرفة المائدة يتبعها المدعوون حسب رتبهم ومقامهم وكانت تفرز اثنين منهم للجلوس عن يمينها وعن يسارها ويقف وقت الطعام خمسة من الخدم وراءها وخادم واحد وراء كل من المدعوين وسبعة أفواج من رتب مختلفة كانوا يخدمون على المائدة أما مدة الفطور فلم تكن تزيد عن ثلاثة أرباع الساعة الافيماندر وكانت تذهب بعد الفطور مع سيداتها وضيوفها الى قاعة التحف

أما أوقات جوزفين فكانت تقضي في اعمال الرحمة مع المساكين حواليها والمطالعة واستقبال أعضاء بلاط نابوليون فان منتداها كان دائما غاصا بهم وكان نابوليون دائما يزورها ويقضي عندها ساعات كثيرة يتمشى بها معها في الجنينة أو في محل آخر آخذا بيدها وكان يفعل كل ما في وسعه كي يعوض لها عن معاملته السالفة وعن الحزن والغم اللذين سببهما لها وكان قلبه باقيا متعلقا بها ويحبها محبة شديدة ومحبته واعتباره لها يزدادان يوما فيوما وكانت جوزفين تقضي أوقاتها يوميا على وتيرة واحدة فتنزل في كل يوم الساعة العاشرة صباحا الى قاعة الاستقبال وتستقبل زوارها الذين كانوا من أعيان باريس وكانوا يشتغلون ببعض الامور المسلية مثل الصور الجميلة والنقوش البديعة والتحف الغريبة والذي كان لا يرغب في ذلك يذهب مع جوزفين لاستماع تلاوة بعض الكتب المفيدة من الموكل على بيتها وكانوا يقضون الوقت في ذلك الى الساعة الثانية بعد الظهر فتأتي اذ ذاك ثلاث عجلات يجر كلا منها أربعة من جياد الخيل فتركب جوزفين وا[illegible] منها وتذهب مع اثنتين من خادماتها الخصوصيات وبعض الاصدقاء وتقضي مقدار ساعتين من الزمان أحيانا في التنزه وأحيانا في الجولان بين سكان القرية والتحدث معهم ثم ترجع في الساعة الرابعة الى القصر ويذهب كل في طريقه ويفعل ما يشاء الى الساعة السادسة بعد الظهر ساعة العشاء وكان يتعشى على المائدة ما بين اثني عشر وخمسة عشر ضيفا ثم يقضون الوقت بعد الغداء بالمؤانسة والالعاب المختلفة الى الساعة الحادية عشرة وحينئذ كانت تقدم الحلواء والشاي وبعد ذلك الانصراف وفي شهر اذار (مارس) سنة ١٨١٠ وصلت ماريا لويزا الى باريس وجرى احتفال اكليلها على نابوليون في سنت كلود وكان حافلا جدا وبعد الاكليل دوت باريس باصوات الطرب فأخذ نابوليون عروسه الى التويلري من حيث خرجت جوزفين منذ ثلاثة أشهر وكانت أصوات المدافع وقرع الاجراس وابتهالات الشعب ثقيلة جدا على قلب جوزفين واجتهدت في اخفاء حزنها وغمها ولكن عبثا كانت تفعل ذلك فان اصفرار وجهها واغريراق عينيها لم يخفيا أمرها

أمانابوليون فبقى يكاتبها دائماً ولم تمنع غيرة ماريالويز زيارته لها وبعد اقترانهما بأكثر من سنة ولد ملك لرومية وفى نفس المساء الذى وصل به هذا الخبر الى جوزفين كتبت رسالة لطيفة الى نابوليون تهنئه بالمولود وهذه خلاصتها

سيدى هل يمكن صوت امرأة ضعيفة أن يصل أذنيك فى وسط التهانى الكثيرة الآتية اليك من كل جهات أوربا ومدن فرنسا وأفراد جيشك وهل تتنازل للاصغاء الى التى طالما سلت أحزانك وخففت أوجاعك فتتكلم معك عن الفرح العظيم الذى به تحققت كل أمانيك أو تتجاسر التى ليست بعد امرأتك أن تهنئك بأنك سررت والدائم سيدى لاشك أن من القلب الى القلب دليلا وأنا أعرف قلبك ولا أظلمك كما أنك أنت أيضاً تعرف قلبى وأنى أقدر أن أحس معك كما أنك أنت الآن تحس معى ونحن الآن مشتركان بتلك المعاطفة التى تفوق كل شئ وان كنا مفترقين

كنت أشتهى أن أسمع منك أنت ميلاد ملك رومية وليس من أصوات المدافع أو والى المقاطعة غير أنى أعلم أن واجباتك الاولى هى للمملكة ولسفراء الدول الاجانب ولعائلتك وعلى الخصوص للاميرة السعيدة التى بلغتك أعظم أمانيك نعم انها لا تقدر أن تكون محبة لك أكثر منى ولكنها تمكنت من اتمام سعادتك أكثر منى اذ ولدت هذا الولد لفرنسا ولذلك كان لها الحق الاول لعواطفك الاولى ولكل اعتنائك وأما أنا فلم أكن الا رفيقة لك فى أيام الصعوبات ولذلك فلا أطلب من فؤادك الا مكانا بعيدا جدا عن المكان الذى تحله الامبراطورة لويزا وغاية ما أؤمله الآن أن تأخذ قلمك وتحادث قليلا مع أعز صديقة لك ولكن ليس قبلما ينتهى سهرك بجانب سرير امرأتك ولا قبلما تتعب من معانقة ولدك وها أنا ذا بالانتظار

أما أنا فيتعذر على الابطاء فى اخبارك بأنى أفرح لفرحك أكثر من كل انسان فى العالم وأنت لا تشك فى خلوص محبتى وصدق كلامى وأنا آسفة على شئ واحد وهو أنى لم أفعل حتى الآن مابه الكفاية لابين لك مقدار حبى لك وانى لم أسمع شيأ عن صحة الامبراطورة سأتجاسر أن أتكل عليك يا سيدى بقدر أملى بك أن أسمع منك عن هذه الحادثة العظيمة التى حصلت دوام الاسم الشريف الذى أنت تمثله وان اوجين وهورتانس سيكتبان لى مفصلا عن ذلك ولكنى منك أشتهى أن أسمع اذا كان ابنك حسنا أو اذا كان يشبهك أو اذا كان يؤذن لى فى رؤيته يوماما وبالاختصار انى أنتظر منك ثقة غير محدودة وعلى ذلك سيدى لى حقوق بالنظر الى محبتى غير المحدودة التى لا تتغير مادمت حية

فلما انتهت جوزفين من كتابة هذه الرسالة أرسلتها الى نابوليون ولكنها لم تفتح الباب لترسل رسالتها حتى وقف أمامها رسول نابوليون وبيده رسالة منه يبشرها فيها بالمولود فأخذتها جوزفين منه وذهبت بها الى غرفة منامها وبعد نصف ساعة رجعت الى أصحابها وقد احمرت عيناها من البكاء ورسالة نابوليون فى يدها ملطخة بالدموع فدفعت الى رسول الامبراطور رسالة أخرى كانت قد كتبتها جوابا للامبراطور على رسالته وأعطته دبوسا من الماس وألف ريال من الذهب علامة على اعتبارها قيمة البشرى التى حملها اليها وبعد أن صرفت الرسول أخذت رسالة الامبراطور وتلتها على أصحابها الحاضرين

ولم ينقطع الامبراطور بعد ذلك عن زيارة جوزفين بل كان يذهب اليها كالاول ودبر طريقة تمكن بها من تقديم الولد على يديه لها حتى تراه وكان ذلك فى المضرب الملوكى قرب باريس وقد ذكرت جوزفين بعد ذلك فى

احدى رسائلها الى نابوليون أن تلك الدقيقة التى رأته فيها حاملا ولده على يديه كانت أسعد ما لاقته فى حياتها الا انها كانت أوضح علامة أظهر فيها محبته الاكيدة لها

أما الغرفة التى كانت منام نابوليون فى ملمازون قبل انفصاله عن جوزفين فبقيت كما كانت وكان ممنوعا دخولها مع جوزفين وكانت هى تذهب اليها يوميا وتنزع الغبار عن أدواتها وأثاثها ولم تسمح البتة بتغيير شئ أو نقل شئ من مكانه وكانت فى أول مدة اتيانها الى ملمازون حزينة كئيبة وعلامات الكدر والغم تلوح على وجهها على الدوام وأعطاها نابوليون قصر ناڤار اذ كان حواليه متنزهات فسيحة تجرى فيها الانهار الصافية وتغرد فى أشجارها الطيور الجميلة

وكان هذا القصر أحد القصور الملكية وهو قائم فى وسط غابة افرى الشهيرة وكان قد تعطل قليلا فى مدة الثورة فاعطى نابوليون جوزفين ٣٠٠ ألف ريال لترميمه واصلاحه فرممته وأصلحته وحسنت فيه أشياء كثيرة حسب ذوقها حتى جعلته كجنة عدن وصارت تفضله على ملمازون وبعد أن نقلت اليه بأيام قليلة كتبت الى نابوليون الرسالة الآتية

سيدى تشرفت هذا الصباح برسالتك العزيزة التى كتبتها الى مساء اليوم الذى تركت فيه سات كلود وقد بادرت الى اجابتك عما فيها من المواضيع اللطيفة الحبية والحق أن هذه المواضيع لا تدهشنى ولكن ما أدهشنى غير سرعتها فانه ليس لى هنا سوى خمسة عشر يوما فقط أكدت فيها أن محبتك لى تطلب تسليتى وتعزيتى حتى فى الوقت الذى نحن فيه منفصلان الانفصال الذى كان لابد منه لراحتنا كلينا ويقينى أن حسن اعتنائك بى والتفاتك الى يتبعانى حيث كنت ويعزيانى

والآن لم يعد لى شئ أشتهيه بعد اختيار محبة كانت مشتركة وآلام محبة ليست بعد مشتركة وبعد التمتع بكل السرور الممكن للنوة غير المتناهية أن تمنحه وبعد أن نلت كل السعادة بنظرى الى الانسان الذى أحبه فوق جميع الناس نعم انى لا أشتهى شيأ سوى السكون والراحة وهكذا فانى الآن لا أرى أن لى شيأ من دواعى الحياة سوى عواطفى الحبية نحوك ومحبتى لاولادى والامل أنه ربما يمكننى أن أفعل بعد شيأ من الخير يؤول الى راحتك وسعادتك لذلك لا تأسف معى لانى هنا بعيدة عن البلاط الذى يظهر أنك تظن أنى أتحسر عليه فانى هنا فى نافار محاطة بأحباء أعزاء وحرية لاتباع أميالى فى الفنون وانى أجد نفسى أحسن مما لو كنت فى أى مكان آخر

وعندى هنا كثير للعمل لانى أرى حوالى علامات الخرائب التى أحدثتها الثورة الهائلة وسأبذل جهدى لازيل آثارها من هذا البناء كما أن سعادتك علمت الناس أن ينسوها واصلاح هذه الخرائب ومساعدة المساكين حولى يسرانى أكثر من تملق سكان البلاط وما يظهرونه من التصنع والتكلف

انى أخبرتك سابقا عن كل أعضاء هذا البيت ولكنى لم أخبرك مابه الكفاية عن سيادة المطران بورليار فانى كل يوم أتعلم منه أمورا جديدة تجعل اعتبار الانسان الذى يقرن عمل الخير بالسيرة الممدوحة يعظم فى عينى وسأتكل عليه فى توزيع صدقاتى فى افره ولما كان هو سيوزعها على الفقراء كنت على ثقة أنها ستوزع على الجميع بالسواء

سيدى انى لا أقدر أن أقوم بالشكر الواجب لك لاجل الحرية التى متعتنى بها فى انتخاب أعضاء بيتى الذين يزيدون جميعا فى بهجة عيشى البيتية وليس ما يحسرنى البتة سوى شئ واحد وهو رسمية اللباس هنا فانى

البرية الى أن تقول وانى الآن ألقب بشريفة ليس لانى توجت امبراطورة لفرنسا بل لانى كنت مختارتك وليس لى قيمة من دون ذلك وحسبى هذا الفخر لتخليد اسمى أما زوارى فى هذه المدة المتأخرة فأكثر مما كانوا قبلا و يسرنى منهم اعجابهم وافتخارهم بنابليون و بالجملة فانى أجد نفسى كأنى فى بيتى وأنا فى وسط هذا الغاب لا تنسى صاحبتك واذكرلها أحيانا أنك حافظ لها جزأ من محبتك لتنعش روحها به وكررلها الكلام عن سعادتك وتأكد أن مستقبلها سيكون مستقبل سلام كما أن الماضى كان مشؤما بالاحزان والاكدار وقبل ذهاب نابوليون الى ساحات روسيا المهلكة ذهب الى جوزفين وقضى معها ساعتين من الزمان فى الجنينة يحادثها عما كان أمامه وكانت جوزفين تحذره من مباشرة هذا العمل الخطير ولكن ثقته بالنجاح أقنعتها و جعلتها تسلم معه وفى الختام قبل يدها ونهض للذهاب فرافقته الى العجلة ولكن لم يمض طويل من الزمن حتى رجع نابوليون من موسكو فوجد أن كل أوروبا متحدة عليه ومتقدمة نحو عاصمته فذهب فى وسط هذه المخاطر الى جوزفين وطلب مواجهتها وكانت هذه المواجهة الاخيرة وفى نهاية هذه الزيارة الاخيرة القصيرة شخص اليها برهة ساكتا وعلامات الحزن على وجهه ثم قال (يا جوزفين انى كنت سعيدا كأسعد الناس عاش على وجه الارض ولكنى فى هذه الساعة عندما أرى عواصف تجتمع فوق رأسى ليس لى فى كل هذا العالم الواسع أحد الا أنت التى ألتفت اليها وأستريح) وفى أعظم هذه الاضطرابات والانزعاجات الهائلة التى لم يسطر أعظم منها فى تاريخ البشر كانت أفكار نابوليون دائما عند جوزفين رفيقة صباه وكان يكتب اليها كل يوم تقريرا و يعلمها بالحوادث الجارية ويخبرها عن أحواله والرسائل التى كتبها اليها من مبادى تلك الحروب ومن ساحات القتال كانت ألطف وأرق ما كتب لها فى حياته فان المصائب والنكبات كانت قد دمثت أخلاقه حتى انه فى تلك الايام المضطربة عندما كان يحارب الجيوش الجرارة وكان عرشه آخذا فى التقلقل تحت قدميه كانت رسالة من جوزفين تنعش روحه مهما كانت شواغله عظيمة أما الجيوش المتحالفة فكانت آخذة فى الاقتراب من باريس وكانت جوزفين مهمومة مغمومة بسبب ما حل بنابوليون وكانت هى وكل سيداتها فى ملمازون يقضين أكثر أوقاتهن فى اعداد خيوط الكتان للجرحى الذين ملؤا المستشفيات وأخيرا لما اقتربت جيوش الدول المتحالفة من ملمازون وصار بقاء جوزفين هنالك من الامور الخطيرة ركبت عجلتها وسارت الى نافارو وذعرت من أصوات العساكر ثلاث مرات فى طريقها اذ كانت على مسافة غير بعيدة منها وبعد أن قطعت نحو ثلاثين ميلا من طريقها انكسرت عجلتها وفى نفس ذلك الوقت رأت أمامها عصبة من الخيالة أتت نحوها فظنتها من عساكر الاعداء ومن شدة خوفها تركت عجلتها وصارت تركض مع سيداتها فى الحقول وكان المطر يهطل حينئذ وبعد أن سرن مسافة أدركن غلطهن ووجدن أن هؤلاء الفرسان فرنسويون وبعد أن أصلحت العجلة ركبت ثانية وهكذا حتى وصلت جوزفين بالسلامة الى نافارو وكانت ساكتة فى معظم الطريق لا تفوه ببنت شفة

وبعد أن أقامت عدة أيام فى نافارو قلقة مضطربة البال تنتظر الاخبار عن نابوليون أرسل اليها الامبراطور اسكندر امبراطور الروس خفراء يحرسونها من الاعتداء عليها لان مئات الالوف من العساكر كانت حينئذ منتشرة فى كل تلك الجهات وقد ألقت الرعب فى قلوب سكان تلك النواحى

وكانت جوزفين حينئذ مغمومة حزينة لما ألم بنابوليون وكانت تقضى كل أوقاتها اما بالكلام عنه واما بتلاوة رسائله فانه كان يكتب اليها بلا انقطاع ويخبرها بأحوال الحرب وبفراره من مكان الى آخر ولكن

كثيرا من هذه الرسائل لم يصل اليها الان العساكر المحتلة التى كانت مالئة تلك الجهات كانت تمسكها عنها واخر رسالة وصلت اليها قبل الاخيرة كانت من بريان يخبرها فيها بما جرى له وبالعصبة القليلة من العساكر الباقية له وأرسل فى كتاب آخر يقول (انى عندما أتذكر أيام شبابى وأقابل سلام تلك الايام التى مرت على بالاتعاب والمخاوف التى أتجرعها الآن أكره الحياة وقد سبق لى مرارا كثيرة أنى طلبت الموت بطرق مختلفة ولا يجب أن أخافه الآن وأنا أرى أن موتى الآن يكون بركة ولكنى أريد ثانية أن أرى جوزفين فلما وصلت هذه الرسالة الى جوزفين لم تقطع الامل من نجاح نابوليون بل أملت ان الانسان الذى كان كيفما توجه يلاقى النصر والنجاح لابد أن يفوز أخيرا ولو كان حينئذ متقهقرا وكان ذلك رجاءها الى أن وصلت اليها الرسالة الآتية

عزيزتى جوزفين – كتبت اليك فى الثامن من هذا الشهر ولكن ربما لم يصل كتابى اليك القتال قائم على ساق وقدم وربما كان ابطاله ممكنا وينبغى تجديد المفاوضات والمراسلات الآن وقد دبرت كل أمورى ولا شك أن هذه التذكرة تصل اليك ولا أحتاج أن أكرر ما ذكرت لك سابقا وقد رثيت وقتئذ لحالتى وأما الآن فانى أهنئ نفسى لاجلها ان رأسى وقلبى قد تخلصا من ثقل عظيم سقطتى عظيمة ولكن ربما تكون مفيدة كما قال البعض وسأبدل القلم بالسيف فى تقهقرى وسيكون تاريخ لملكى غريبا العالم الى الآن لم يرنى كما أنا ولكنى سأريهم نفسى تماما ان عندى كثيرا من الامور أريد اظهارها لقد أفضت النعم والخيرات على ملايين من المساكين ولكن ماذا فعل هؤلاء لى انهم خانونى جميعا الا يوجين الذى يستحقك ويستحقنى – والآن أستودعك الله يا عزيزتى جوزفين سلى كما انى أنا أيضا مسلم ولا تنسى الذى لا ينساك ولن ينساك مدى العمر أستودعك الله ثانية يا جوزفين

فلما وصلت هذه الرسالة الى جوزفين تكدرت كدرا عظيما وسكبت دموعا غزيرة حتى اذا سكن روعها قليلا قالت (لا يجب أن أبقى هنا فان حضورى لازم للامبراطور نعم ان ذلك من واجبات ماريا لويزا أكثر مما هو من واجباتى ولكن الامبراطور وحده ولا يجب أن أتخلى عنه نعم انه كان فى غنى عنى فى أوقات سعادته وأما الآن فلابد أن يكون فى انتظارى ولما فرغت من هذا الكلام سكتت وتأملت قليلا ثم التفتت الى الموكل على بيتها وقالت له ربما أعوق الامبراطور عن أعماله اذا ذهبت وربما اضطر أن يغير مقاصده لاجلى أنت ستقيم معى هنا حتى أستخبر من الملوك المتحالفين فانهم سيحترمون المرأة التى كانت زوجة لنابوليون

نعم ان الملوك المتحالفين ذكروا جوزفين وعرفوها فان سمو تصرفها عند طلاق نابوليون لها كان قد ملأ أوروبا حيرة واندهاشا وقد كتب اليها الملوك المتحالفون يظهرون شعائر احترامهم وطلبوا منها أن ترجع الى ملمازون ووكلوا عددا وافرا من الحراس بوقايتها ومن ذلك الوقت كان منتداها مزدحما بالملوك والاشراف الذين أتوا ليقدموا اليها الاحترام على فضائلها الكثيرة وأول من فعل ذلك كان الامبراطور اسكندر امبراطور الروس فانه قال عند أول مواجهة لها (ياسيدة انى كنت ملتهبا بنار الشوق لمعرفتك فانى من يوم دخلت فرنسا لم أسمع اسمك يذكر الا بالبركة وقد سمعت خبر أعمالك الملائكية من أحقر البيوت الى أعظم القصور ويسرنى أن أقدم لجلالتك احترامات الجمهور التى أنا حاملها)

أما ماريالويزا فلم تكن مفكرة الا بنفسها وقد أبت أن تصحب نابوليون فى انحطاطه وأما جوزفين فكتبت اليه رسالة تقول فيها

انى أقدر أن أتصور الآن مقدار مصيبة انفكاك اتحادنا الذى فكته الشريعة وانى الآن أندب حظى ويشق على أنى لست صديقتك . ومن لا يحزن ويتقطر قلبه دما عند حلول مصيبة هذا مقدارها . آه ياسيدى حبذا لو كان بوسعى أن أطير اليك وأؤكد لك أن البعد لا يغير الا ذوى العقول السخيفة ولا يستطيع أن يلاشى محبة خالصة زادت المصائب قوتها . لقد أوشكت أن أترك فرنسا وأتبع خطواتك وأخصص لك بقايا حياة أنت زينتها لو كنت أعلم أنى أنا الوحيدة التى ستتم واجباتها باتباعك لكنت أذهب الى ذلك المكان الوحيد الذى فيه سعادتى وأسليك فى وحدتك وتعاستك قل كلمة واحدة وأنا أذهب حالا وأما الآن فاستودعك الله ياسيدى لانى مهما ازدت على ذلك كان قليلا جدا وعواطفى بعد الآن لا تبرهن لك بالكلام بل بالعمل وأرجو أن تسلم بذلك لانه ضرورى

وبعد كتابة هذه الرسالة بأيام قليلة تناول الامبراطور اسكندر وبعض أصحاب الالقاب والرتب طعاما مع جوزفين وفى أول المساء خرج الجميع بنور الشفق الى خارج وخرجت جوزفين معهم وكانت صحتها منحرفة بسبب الاحزان والاكدار فشعرت بزكام شديد وجعل يزداد يوما فيوما وتنحط معه صحتها وقوتها حتى حكم الطبيب بدنو أجلها وكان ولداها اوجين وهورتنس لا يفارقانها ليلا ولا نهارا وأخبراها بكلام الطبيب فتلقت تلك البشرى بشرح وسرور وسألت حضور قسيس فحضر وأتم الفروض الدينية ثم دخل عليها الامبراطور اسكندر فرأى ولديها اوجين وهورتنس جاثيين عند فراشها وقد غسلتهما الدموع فأومأت جوزفين الى الامبراطور أن يقترب منها فلما اقترب قالت له ولاولادها (كنت دائما أشتهى سعادة فرنسا وقد فعلت كل ما فى طاقتى لاجل ذلك وها أنا أقول لكم فى الدقيقة الاخيرة من حياتى أيها الحاضرون الآن ان امرأة نابوليون الاول لم تسبب مطلقا انسكاب دمعة ولا دمة من عين واحدة

ثم طلبت صورة الامبراطور فلما أحضروها التفتت اليها وعلامات الرقة والمحبة تلوح على وجهها ثم أخذتها وقربتها الى صدرها ووضعت يديها فوقها وصلت قائلة

(اللهم احرس الامبراطور مدة بقائه فى صحراء هذه الدنيا وأسفاه انه ارتكب غلطات فاحشة ولكنه لم يعوض عنها بالآلام عظيمة وأنت وحدك أيها الاله قد عرفت قلبه وعلمت انه كان فى نفسه أميال شديدة الى صلاح أشياء كثيرة فتنازل واصغ الى تضرعى الاخير واجعل هذه الصورة صورة زوجى تشهد أن رغبتى وصلاتى الاخيرة كانتا لاجله ولاجل أولادى)

وكان ذلك فى التاسع والعشرين من شهر ايار (مايو) سنة ١٨١٤ وكانت الشمس قد قاربت الغروب فالقت بعض أشعتها المذهبة من نوافذ غرفة جوزفين المفتوحة وكان النسيم اللطيف يلاعب بالاشجار والطيور تغرد فيها . وبين حفيف الاشجار وتغريد الاطيار ألقت جوزفين عينيها على صورة نابوليون وأسلمت الروح فلما رأى الامبراطور اسكندر أنها قد فارقت الروح قال والدموع تتساقط من عينيه (ليست بعد تلك المرأة التى ضحتها فرنسا محبة الخير ولذلك الصلاح ليست بعد وكل هؤلاء الذين عرفوا جوزفين لا ينسونها فانها ماتت وتركت الاسف الشديد لاولادها ولاصدقائها ومعارفها)

وبعد موتها بأربعة أيام احتفل بجنازتها وكان ذلك فى الثانى من حزيران (يونيو) عند الظهيرة فأخذوها

من ملمازون الى رويل وواروهابالتراب فى دارالكنيسة وقد شهد احتفال الجنازة أعظم ملوك أوربا وأشرافها وبعد تمام كل الواجبات ورجوع الجميع بقى ولداها اوجين وهورتنس هنالك ثم جثوا على قبرها وبقيا برهة يمزجان الصلاة بالدموع وقد جاء أكثر من عشرين ألف نفس من الاهالى وشاهدوا جثتها وبقوا يترددون عليها مدة أربعة أيام متوالية قبل دفنها

وقد أقام ولداها بعد ذلك نصبا من الرخام الابيض مثلا هابه وهى لابسة الحلة التى توجت فيها وقد جثت للتتويج وأقاماه فوق قبرها وكتبا عليه هذه الكلمات ﴿اوجين وهورتنس لاجل جوزفين﴾

(حرف الحاء)

﴿الحارثية ابنة زيد﴾

هى بنت زيد بن بدر العرانى والغدانى وكانت من النساء المشهورات بالحماس والافتخار ولها أشعار مقبولة حسنة ومراث بديعة منها ما قالته

صلى الاله على قبر وطهره * عند الثوية تسفى فوقه المور
زفت اليه قريش نعش سيدها * فثم كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة * وكان عندك للتنكير تنكير
لم يعرف الناس مذ كفنت سيدهم * ولم يجل ظلاما عنهم نور
لو خلد الخير والاسلام ذا قدم * اذا لخلدك الاسلام والخير
قد كنت تخشى وتعطى المال من سعة * ان كان بيتك أضحى وهو مهجور
والناس بعدك قد خفت حلومهم * كانما نفخت فيها الاعاصير

حبابة جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموى

هى مولدة مدنية كانت صبيحة الوجه مليحة النادرة لطيفة المحاضرة خفيفة الروح غردة الصوت شجية الغناء ضاربة بالعود أخذت أصواتها عن ابن سريج وابن محرز ومالك وكان يزيد مغرما بالنساء شديد الكلف بهن فهام بها هيام قيس بليلى وعلقها علاق أبى نواس بجنان فتهتك وخلع عذاره وانقطع اليها ليله ونهاره ملقيا بين أيديها أزمة دينه ودنياه فكانت تعزل من تشاء وتولى من تشاء وتحول بينه وبين الصوم والصلاة حتى اشتهر امره وساء ذكره ولوقائعه معها فكاهات ونوادر تركناها الكثرة تداولها بين الناس قيل انه نزل معها يوما ببيت رأس (وهى قرية من قرى الشام) فقال زعم السلف ان الدهر لا يصفو لاحد يوما كاملا وماذا على لو غادرت كلامهم تجما آفلا ثم قال لغلامه ويحك لا تمكن أحدا من الوقوف ببابى ولا تدع انسانا يخرق حجابى ثم خلا بحبابة وما برح معها فى لهو وطرب وهزل ولعب حتى استقام قسطاس النهار فدعا بطبق رمان كانه شعلة نار أو ياقوت تحته بلار أو حب آس غاص بالجلنار فشرقت حبابة بحبة منه ذهبت بروحها الى عالم العدم فصاح يزيد صيحة الالم وطارت نفسه باثرها شعاعا وطفق يعض أنامله جزعا والتياعا ومافتئ يقبلها وينوح وهو على مثل شوك القتاد حتى سطع ريحها وأدركها الفساد فاودعوها الثرى حتف أنفه وهو يدمى ثناياه بباطن كفه ومازال يذرى بعدها العبرات

ويرددالأنين والحسرات حتى نزلت به منيته بعد أسبوعين وهو معانق نسر يحها فدفن حذاءها ولسان حاله يقول

أموت على اثر الحبيبة ظاعنا * ليجتمع الروحان فى عالم الخلد

وكان ذلك فى سنة ١٠٥ للهجرة ومن شعره فيها

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر * ما للفؤاد سوى ذكرا كم وطر
ان سار صحبي لم أملك تذكرهم * أو عرسوا فهموم النفس والسهر

ومن شعرها له

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ماتلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وكان سبب شراء حبابة ان يزيد قدحج أيام أخيه سليمان فاشترى حبابة بأربعة آلاف دينار وكان اسمها عالية وقال سليمان لقد هممت أن أحجر على يزيد فردها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصر فلما أفضت الخلافة الى يزيد قالت له امرأته سعدة هل بقى من الدنيا شئ تتمناه قال حبابة فارسلت فاشترتها ثم صبغتها وألبستها وأتت بها يزيد فاجلستها من وراء الستر وقالت يا أمير المؤمنين هل بقى من الدنيا شئ تتمناه قال قد أعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وتركتها عنده فحظيت سعدة عنده وأكرمها وسعدة هذه بنت عبد الله بن عمر بن عثمان قيل وغنت حبابة يوما

وبين التراقى واللهاة حرارة * وما طمئت ماء يسوغ فتبردا

فاهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال والله لاطيرن فقالت على من تخلف الامة والملك قال عليك والله ثم قبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخفك

حبيبه هانم بنت على باشا الهرسكى

من أديبات الاستانة وشاعرات هذا العصر ولدت سنة ١٢٦٢ هجرية فى مدينة هرسك وهى نادرة زمانها حازت من الفصاحة والآداب الجزء الاعظم ولها أشعار رائقة ومعان فائقة

ومن بديع شعرها ما وجدته فى كتاب مشاهير النساء لمحمد افندى ذهنى باللغة التركية فادرجته بحروفه

جكرده تيغ غمزه لك زخمى واركن آته بيكانك * تيراى قاشى ياى ارلق تيرد بريمه من كانك
نكاه مستنكه جانا كه شايان كوردلك اغيارى * بنم نوباره لرا آجدى درونه تيغ هجرانك
أو غافل بل خبرنادان عدو به همدم أولمشين * وصالكدن بزى دورا يلدك أوار او لسون احانك
اميدمرحمت قلمق عبثدر سندن اى كافر * سنى بى دين ديشلردى ازلدن يوقدر ايمانك
حبيبه بى دوادردن خلاص أولمقده مشكلدر * اميدايتمز اسيردرد أولانلر غيرى درمانك

حبوس ابنة الامير بشير بن محمد الشهابى

ابن حيدر بن سليمان بن فخر الدين بن يحيى بن مذحج بن محمد بن جمال الدين أحمد الذى شهد وقعة مرج دابق بين السلطان سليم وقانصوه الغورى ولدت سنة ١١٨٢ هجرية فى الشوناصات وكانت حاذقة سديدة الرأى ثابتة الجنان عالية الهمة كريمة اليد والنفس تزوجت بالامير عباس بن فخر الدين وكانت تجالس الرجال

وتقودهم

وتقودهم بفصاحة خطابها وكانت تعول من يلتجئ اليها وتعامله معاملة القريب والصديق وتجاهد فى اقامة الحقوق لهم وان لم تكن وأما من لم يكن على غرضها فلم يجد راحة فى معيشته ولو كان صاحب حق وما ذلك الا لنفوذ سطوتها عند الحكام وفى سنة ١٢٠٨ جعلها الامير بشير حاكمة على مقاطعة العرب فادارت الحكم بفطنة لامزيد عليها ولما سجن الامير بشير وأخوه الامير حسن والشيخ بشير جانبلاط فى سجن أحمد باشا الجزار بعكا أرسلت الى الامير بشير أموالا جزيلة وقامت بأمر عياله وأخذت تجتهد فى استمالة الناس اليه ولما ولى عبد الله باشا على الجبل الامير حسن والامير سليمان الشهابيين اذ تعهد اله بزيادة المرتب من المال على الجبل سارت هى برفقة الامير بشير والشيخ بشير الى حوران وكانت تخابرهما فى شأن أحوال البلاد ويروى انها حاربت العرب اذ تعدوا على دروز حوران واستظهرت عليهم ثم رجع الامير بشير الى ولايته فعادت الى منصبها ثم وقع الاختلاف بينها وبين الامير بشير سنة ١٢٣٧ بعد اعتقال عبد الله باشا وتوسط الامير بشير أمره فى مصر وعوده ظافرا وكانت متحدة مع الشيخ بشير فى مقاومة الامير بشير فصادرها الامير بشير بعد رجوعه وأتعبه فلما غلب الشيخ بشير سنة ١٢٤٠ توجهت الى بشامون فأتى الامير بشير قاسم التهامى بأمر الامير بشير عمر الحاكم ليصادرها فى أموالها وشدد عليها فالبنت أن ماتت فى تلك الاثناء قيل حتف أنفها وقيل بدسيسة من الامير بشير وكان عمرها ٥٨ سنة ودفنت ببشامون وخلفت أولادها الاربعة وهم الامير منصور والامير أحمد والامير حيدر والامير أمين وكانت اعتنت بتربيتهم بعد موت زوجها اعتناء تاما حتى نبغوا بين الامراء الشهابيين

﴿ حبيبة بنت مالك بن بدر ﴾

كانت ذات عقل ثاقب وفكر صائب ترجع اليها رؤساء قبيلتها بالرأى ويشاورونها فى مهام الامور وكانت بهية الطلعة حسنة الهيئة لها بعض أشعار رائقة ومقالات فائقة وكان أبوها مالك بن بدر قتل فى حرب داحس والغبراء بسبب الرهان المشهور قتله جنيدب أحد بنى رواحة فقالت ترثيه

لله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يشربا قط قطرة * وليتهما لم يرسلا لرهان
أحربه أمس الجنيدب ندرة * فاى قتيل كان فى غطفان
اذا سجعت بالرقتين حمامة * أوالرس فابكى انت فارس كنعان

﴿ حبيبة بنت عبد العزى العوراء ﴾

كانت من كرماء النساء المشار اليهن فى ذلك الزمان وشاعراتهن الموصوفات ولقبت بالعوراء لكونها كانت ذات حول فى عينها ومن شعرها فى ذلك قولها

ألالى الفتى بر تلكأ ناقتى * فكسا مناسمها النجيع الاسود
انى ورب الراقصات الى منى * بجنوب مكة هديهن مقلد
أولى على هلك الطعام ألية * أبدا ولكنى أبين وأنشد
وصى بها جدى وعلمنى أبى * نفض الوعاء وكل زاد ينفد
فاحفظ عينك لا أبالك واحترس * لا تخرقنه فأرة أو جدجد

﴿حدقة جارية الملك الناصر بن قلاون﴾

تربت فى دار الملك الناصر وتعلمت الغناء والادب وتدبير المنزل وتخرجت على مسكة القهرمانة وتعلمت منها جميع ما يلزم للمنازل الملوكية من التدبير ولما توفيت مسكة تولت وظيفتها وقامت مقامها وصارت قهرمانة البيت السلطانى وصاروا يرجعون اليها فى الامور المتعلقة بالاعراس والمهمات وتربية الاولاد وعمرت زيادة عن مسكة وبذلك صار لها حظوة عند السلطان وحريمه مسموعة الكلمة منهم ومن كثرة احسانها وبرها انقاطر عليها المحتاجون لقضاء حوائجهم سواء كان عند السلطان أو حرمه أو عندها وهى لا ترد طالبا ولا ترجع أحدا خائبا وتقدمت لها هدايا كثيرة من الامراء والاعيان وكل منهم كان يتمنى رضاها وقد بنت جملة بنايات خيرية أوقفتها الصرف ريعها فى وجوه الخير وعلى الجامع الذى بنته بخط المريس فى جانب الخليج الكبير مما يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التى هى خارج مدينة مصر وكان انتهاء بناء هذا الجامع فى ٢٠ جمادى الاخرى سنة ٧٣٧ ولما توفيت حدقة دفنت فيه وقبرها معروف للآن وأما الجامع فانه تخرب ولم يبق غير آثاره وهو غير مقام الشعائر الآن

﴿حسانة التميمية ابنة أبى الحسين الشاعر الاندلسى﴾

كانت أحسن نساء زمانها وأفصحهن مقالا وأجملهن فعالا تأدبت وتعلمت الشعر من أبيها فلما مات أبوها كتبت الى الحكم أمير الاندلس وهى اذ ذاك بكر لم تتزوج بهذه الابيات

انى اليك أبا العاصى موجعة * أبا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع فى نعماه عاكفة * فاليوم آوى الى نعماك يا حكم
أنت الامام الذى انقاد الانام له * وملكته مقاليد النهى الامم
لا شئ أخشى اذا ما كنت لى كنفا * آوى اليه ولا يعرونى العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بأحسن جهاز ويحكى أنها وفدت على ابنه عبد الرحمن متشكية من عامله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو فى حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدت

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى * على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خير جابر * ويمنعنى من ذى المظالم جابر
فانى وأيتامى بقبضة كفه * كذى ريش أضحى فى مخالب كاسر
جدير لمثلى أن يقال بسرعة * بموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * على زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذى خطته يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأى الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته

عهده انصرفي فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشامين خير الناس مأثرة * وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجداد
جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي * فهاك فضل ثناء رائح غادى
فان أقمت ففي نعماك عاكفة * وان رحلت فقد زودتني زادى

وبقيت على ذلك مدة حياتها وهي مغمورة بخيراتها ومشهورة بالجود والكرم والادب والحكم

حفصة ابنة حمدون

كانت فاضلة لها روض فضلها أريج وحدائق معلوماتها وأدبها بهيج وشاعرة رقت وكثر اختراعها للمعاني وابداعها تسترق القلوب بألفاظها الزاهرة وتسكر العقول بمعانيها الساحرة تنظم فتأتي بكل عجيبة وتشنف الاسماع بكل غريبة وتنثر فتفتض أبكار الدقائق بنظرها الثاقب وتجلي غياهب المشكلات بفكرها الصائب هي من وادي الحجارة بالاندلس وهي من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم صيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا ويغشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لي حبيب لا ينثني بعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لي هل رأيت لي من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لي شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب اني من عبيدي على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
اما جهول أبله متعب * أو فطن من كبره لا يجيب

ومن قولها أيضا

ياوحشتي ياوحشتي * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعته * ياليلة هي ماهيه

حفصة ابنة الحجاج الركونية

كانت أديبة في زمانها أبلغ شعراء أوانها شعرا وأدقهم نظرا شعرها جيد ذات رونق فائق وديباجة حسنة وكان لها اليد الطولى في سبك المعاني واستعمال الالفاظ الشائقة ولم يكن شعرها مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل كانت تتفنن فيه وتدخل في أساليب مختلفة وكانت غزيرة المادة من الادب مطلعة على شعر العرب الخلص وغيرهم وكانت تكتب الخط الجيد وهي من أذكياء العرب المشهود لهم بالتفوق والبراعة قرأت في مبدا أمرها كثيرا وحفظت كثيرا ولما كبرت وشبت ظهر لها جمال بارع

كانت تبهر العقول به وكانت حسيبة نسيبة غنية ذات مال وافر هو يها جلة من أجلاء عصرها وأدباء زمانها ولم تلتفت لاحد منهم سوى أبي جعفر بن سعيد وكانت معه على عفة زائدة وقالت يوما ارتجالا بين يدى أمير المؤمنين عبد المؤمن

ياسيد الناس يامن * يؤمل الناس رفده
أمنن على بطرس * يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور الحمد لله وحده ومن قولها أيضا فى الغزل

ثنائى على تلك الثنايا لاننى * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله اننى * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطه وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه أن قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فطلته قدر شهرين فكتب اليها

يامن أجانب ذكر اسـ * ـمه وحسبى علامه
ما ان أرى الوعد يقضى * والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن * يكون لى فى القيامه
لوقد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
اذ لم تنيلى أريحى * فاليأس يثنى زمامه

فأجابته تقول

يامدعى فى هوى الحسـ * ـن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
أمدعى الحب يثنى * يأس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تصحب مذ كنـ * ـت فى السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلـ * ـت بافتضاح السآمه
بالله فى كل وقت * يبدى السحاب انسجامه
والزهر فى كل حين * يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذرى * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل أبياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسول فما فى جميعكما خير ولا برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخذلان ولما أطال على أبي جعفر وهو قلق لانتظاره

قال له ماوراءك ياعصام قال مايكون وراء من وجهه خلق الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات
قال للرسول ما أسخف عقلك وأجهلك انها وعدتني للقبة التي في جنت المعروفة بالكامة سرينا فبادرا
الى الكامة فما كان الاقليل واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فأنشدت

دعى عدّ الذنوب اذا التقينا * تعالى لانعدّ ولا تعدّى

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكندى الشاعر لابى جعفر وفيها

أباجعفر ياابن الكرام الاماجد * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن
يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت أسميه الحائل لانه
يحول بيني وبينك ان وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته

يامن اذا ما أتاني * جعلته نصب عيني
تراك ترضى جلوسا * بين الحبيب وبيني
ان كان ذاك فماذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لى * بعد المطال بدين
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
أوليس تبغي وحاشا * لأن ترى طير بيني
وفي حنينك في الحشر كل قبح وشين
فليس حقك الا * الخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منهما من الكلام وذيل ذلك بقوله

سماك من أهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمعورة النجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول ارجع
وأعلمهما بحالى فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل
واحد بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذى خلصنا * من الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا * ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس ويا * أنذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * في لو أتيت في الكرا
يالحية تشق في ال * مخرا وتنشا العنبرا
لا قرب الله اجتما * عابك حتى تقبرا

فلما وصلته الرقعة علم أنه ليس مقبولا لديهما فانصرف من حيث أتى وبقيا يومهما ينتهبان اللذات ويتعاطيان المسرات بدون ريبة تقع من أحدهما حتى آن أوان الانصراف فانصرفا وكل منهما له نحو صاحبه انعطاف ومن شعرها

سلام يفتح فى زهرة الكمام * وينطق ورق الغصون
على نازح قد نوى فى الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم * فذلك والله مالا يكون

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظرى * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * أظل بأحبابى يذكرنى وهنا
لعمرى لقد أهدى لقلبى خفقة * وأمطرنى منهل عارضه الجفنا

ونسب اليها البيتان المشهوران

أغار عليك من عينى ومنى * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو انى خبأتك فى عيونى * الى يوم القيامة ما كفانى

وكتبت الى أبى جعفر

رأست فمازال العداة بظلمهم * وجهلهم النامى يقولون لم رأس
وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حروف عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

ياذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه فى * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ماقد تصرم وانقضى

وسألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

ياربة الحسن بل ياربة الكرم * غضى جفونك عما خطه قلمى
تصفحيه بلحظ الود منعمة * لاتحفلى بردىء الخط والكلم

واتفق انهبات أبو جعفر معها فى بستان بحوز مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة والنضارة فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق تحببه على عادتها بمثل ذلك فكتبت اليه قولها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرّد القمرىّ الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهله * فما هو فى كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * بأمر سوى كيما يكون لنا رصد

وكتبت حفصة الى بعض أصحابها

أزورك أم تزور فان قلبى * الى ما تشتهى أبدا يميل
فثغرى مورد عذب زلال * وفرع ذوائبى ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بى المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى وبرّ قسمى أنى كنت يوما فى منزلى مع من أحب أن أخلو معه من الاجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الايام فلم أشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين قالت ادفعى لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالى
يفضح الورد ما حوى منه خدّ * وكذا الثغر فاضح للاّلى
ما ترى فى دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض فى انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بزيارة من دون طلب فى وقت الرغبة فى الانس به وفضلنا ليلة لم يسمح لنا بمثلها الزمان ولا قيصر ولا كسرى أنوشروان وبقيت حفصة محافظة على وداد أبى جعفر الى أن نكب وقتل وقد رثته بمراث كثيرة لم ير مثلها ولكون قتل أبى سعيد كان من أجلها لم تتمكن من نشرها وبقيت بعده مدة طويلة وهى حزينة عليه لا تلتفت الى المسرات ولا تألف الاجتماعات حتى دعاها داعى المنون فلبت وهى ذات شجون

حليمة الحضرية

كانت من نساء بنى عبس الموصوفات بالعقل والحكمة ولها شعر رائق وروى لها الزبير بن بكار من أبيات رثاء فى زوجها

يقرّ لعينى أن أرى لمكانه * ذرى عقدات الاجرع المتقاود
وأن أرد الماء الذى شربت به * سليمى وان ملّ السرى كل واحد
وألصق أحشائى ببرد ترابه * وان كان مخلوطا بسم الاساود

ومن قولها أيضا

لقد كنت أخشى لو تقلبت خشيتى * عليك الليالى مرها وانتقالها

فأماوقد أصبحت فى قبضة الردى * فشأن المنايا فلتصب من بدالها

حمدونية بنت عيسى بن موسى

كانت ذات حسن وجمال وصيانة وأدب حجت الى بيت الله الحرام فى زمن المتوكل العباسى قال محمد بن صالح العلوى لما خرجنا على المتوكل أخذت أنا وأصحابى قافلة الحاج فجمعنا أموالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسى فى بعض المراحل وقت نزولنا وأصحابى يجمعون المال واذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها المكان ولا اضاءة الشمس فقالت أين الشريف صاحب السرية فلى اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونية بنت عيسى بن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا أسألك أن تأخذ منى ثلاثين ألف دينار مع أنى أعطيتك ما فى يدك ولكن أسألك بفضلك أن لا يكشف لى أحد وجها فناديت أصحابى فلما اجتمعوا قلت من أخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بى الخليفة وحبسنى بسرمن رأى دخل على السجان يوما وقال ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ولولا أن دفعتا الى دملج ذهب ما أذنت لهما فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد فخرجت فاذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيأ فلما ابصرتنى قالت اى والله هو وبكت لما أنا فيه ثم قبلت قدمى وقالت لو استطعت أن أقيك بنفسى لفعلت ولكنى لا أقصر فى خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولى يأتيك فى كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الى خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد أضرمت بقلبى نارا قدحتها النظرة الاولى فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه * وتشعبت بشعابه أشجانه
وبداله من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنعا أركانه
يبدو فينظر أين لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه
ياقلب لا يذهب بحلمك باخل * بالنيل باذل تافه منانه
واقنع بما قسم الاله فأمره * ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى * عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل رسولها يعاودنى بالاحسان وملاطفة السجان الى أن خرجت وعظم أمرى عند الخليفة فخطبتها فامتنع أبوها فكان سجن هواها أعظم على من السجن فلم أزل الا أن أتيت ابراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها فى ضيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى زوجنى بها وبقينا متمتعين بنعيم عيشنا الى أن توفيت وأصابنى بعدها الحزن والشجون ولابن صالح فيها أشعار كثيرة لم تصل الى معرفتها

حمدة بنت زياد

من وادى اشن بالاندلس وهى خنساء المغرب وشاعرة الاندلس أديبة زمانها وغريبة أوانها كان الادب نقطة من حوضها وزهرة من روضها لها المنطق الذى يقوم شاهدا بفضل لسان العرب ويفتح على البلغاء أبواب العجز ويسد عليهم صدور الخطب فان أوجزت أعجزت بالمقال وان أطالت كاثرت الغيث

الهطال مع مطارحة تذهب فى الاستفادة مذهب الحكم وأخلاق تحدث عن لطف الزهر غب الديم مرمى الترنم بذكرها المتعطر بنشر حمدها وشكرها والنسيم ثم بمرآها على الحدائق والصبح يشرق بنور الشمس الشارق روت عن العلماء الافاضل ورووا عنها ومنهم العالم العلامة البحر الحبر الفهامة أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها البديع قولها

ولما أبى الواشون الا افتراقنا * وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

والبعض يزعم أن هذه الابيات لبهجة بنت عبد الرزاق ولكنها لحمدة أثبت وأشهر والله أعلم وخرجت حمدة مرة للوادى مع حبيبة لها فرأت الازهار فى جوانبه تتلألأ كأنها النجوم تساقطت من كبد السماء والماء فى النهر يتماوج كأنه قطع من لجين ترمقه عيون ذكاء فأعجبها ذلك المنظر البهيج وأحبت أن تخوض بذلك النهر اتماما للترويح النفس خصوصا لخلوه من الناس فنضت عنها الثياب وعامت ثم قالت

أباح الدمع أسرارى بوادى * له للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل أرض * ومن روض يروق بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس * سبت لبى وقد ملكت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر * وذاك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقولها هذه الابيات الشهيرة بالبلاد المشرقية وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

﴿ حمدة ابنة النعمان بن بشير ﴾

كانت من جميلات نساء العرب وأعلمهن بفنون الادب وكانت فى القرن الاول للهجرة ربيت فى حجر أبيها مع أختيها هند وعمرة فنشأت هى على عز النفس وصارت لا ترى لها من قرين يوافقها ومن عزة نفسها كانت كلما تزوجت برجل ورأت فيه عيبا تهجوه بالشعر حتى خافت من لسانها العرب ومن ذلك أن الحرث بن خالد لما قدم من المدينة على عبد الملك بن مروان وهو اذ ذاك بدمشق والنعمان بن بشير وال على حمص فخطبها الحرث من أبيها فزوجه بها ولم تمكث معه غير قليل حتى أساء معاملتها فقالت فيه

فقدت الشيوخ وأشياعهم * وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشيخ مغمومة * وتمسى بصحبته قاليه

فلا بارك الله فى عرضـه * ولا فى غضون استه البالية
نكحت المدينى اذ جاءنى * فيالك من نكحـة غاوية
كهول دمشق وشبانها * أحب الينا من الجالية
صنانهم كصنان التيو * س أعيا على المسك والغالية
وقمل يدب دبيب الجرا * د أعيا على الغال والغاليه

فقال الحرث يجيبها

أسنا ضوء نار ضمرة بالقفـ * ـرة أبصرت أم سنا ضوء برق
قاطنات الحجون أشهى الى قلـ * ـبى من ساكنات دور دمشق
يتضوعن لو تضمخن بالمسـ * ـك صنانا كأنه ريح مرق

ولما استحكمت بينهما النفرة طلقها الحرث فخلف عليها روح بن زنباع وعليه كانت الطامة الكبرى قال صاحب الاغانى ان قولها (أحب الينا من الجاليه) تعنى الجالية أهل الحجاز وكان أهل الشام يسمونهم بذلك لانهم كانوا يجلون عن بلادهم الى الشام ولما بلغ عبد الملك قولها قال لولا أنها قدمت الكهول على الشبان لعاقبتها قال عمر بن شبة لما تزوجها روح بن زنباع نظر اليها يوما تنظر الى قومه بنى جذام وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت وهل أرى الا جذام فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام وقالت تهجوه

بكى الخز من روح وأنكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف
وقال العباقد كنت حينا لباسكم * وأكسية كردية وقطائف

فقال روح

ان يبك منا يبك ممن يهيننا * وان يهوكم يهوى اللئام المقارفا

واجتمعت يوما معه بمجلس فصارت تهزأ به وتضحك عليه ووقعت بينهما مناظرة كان البادئ فيها هو بقوله

أثنى على بما علمت فاننى * مثن عليك لبئس حشو المنطق

فقالت أثنى عليك بان باعك ضيق * وبان أصلك من جذام ملصق

فقال أثنى على بما علمت فاننى * مثن عليك بمثل ريح الجورب

فقالت فتناولنا شر الثناء عليكم * أسوا وأنتن من سلاح الثعلب

فسكت روح عند ذلك فقالت هى

وهل أنا الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل
فان أنتجت مهرا كريما فبالحرا * وان يك اقرافا فما أنجب الفحل

فقال روح

فما بال مهر رائع عرضت له * أتان فبالت عند جحفله البغل
اذا هو ولى جانبا ربخت له * كما ربخت قرا فى دمث السهل

وقالت فيه أيضا

سميت روحا وأنت الغم قد علموا * لا روح الله عن روح بن زنباع

فقال لا روح الله عمن ليس يمنعنا * مال رغيب وبعل غير مناع

كأنها جونة تجل مخاصرها * دبابة شثـنة الكفين خنباع

وقال فيها وقد دخل عليها وهي في غاية الزينة والطيب

تكحـل عينيك برد العشي * كأنك مومسة زانيـه

وآية ذلك بعـد الخفوق * تغلف رأسـك بالغاليـه

وان بنيـك لرب الزما * ن أمست رقابهـم خاليـه

فلو كان أوس لهـم حاضرا * لقال لهـم ان ذا ماليـه

وأوس رجل من جذام يقال انه استودع روحا مالا فلم يرده عليه فقال روح

ان يكن الخلع من بالكم * فليس الخلاعـة من باليـه

وان كان من قد مضى مثلكم * فأف وتف على الماضيه

وما ان يرى الله فاسـتبقيـ * ـه من ذات بعل ومن جاريه

شبيها بك اليوم فيمن بـقى * ولو كان في الاعصر الخاليه

فبعـدا لمحياك اذ ماحييت * وبعدا لاعظمك الباليـه

وقالت له حميـدة يوما وكان أسود ضخما كيف تسود وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال أما جذام فانا في أرومتها وبحسب الرجـل أن يكون في أرومـة قومه وأما الجبن فانما لي نفس واحـدة ولو كان لي نفسان لجدت باحداهما وأما الغيرة فهو أمر لا أحب أن أشارك فيه وان المرأ لحقيق بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أن تأتي بولد من غيره فتقدمه في حجره

وكان روح يتنازع معها يوما بمثل هذه المنافسات فظهرت عليـه فلم يكن يسعه الا ان قال اللهم ان بقيت بعدي فابتلها ببعل يلطم وجهها ويملأ حجرها قيأ فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيـل وكان شابا جميلا يصيب من الشراب فأحبتـه فكان ربما أصاب من الشراب مسكرا فيلطم وجهها ويقيء في حجرها فتقول يرحم الله أبا زرعة قد أجيبت دعوته فيّ وكان السبب في زواجها فيضا هو أنها لما خلعت من روح بن زنباع بقيت زمنا عزبا لا يقـدم عليها أحـد من أقرانها نظرا لما اشتهرت به من عزة نفسها على الرجال وبما أن آدابها كانت مشهورة في ذلك الزمان كان الادباء يتمنون الاقتران بها ويمنعهـم من ذلك تسلط لسانها على أزواجها الى أن قيض الله لها فيض بن محمـد بن الحكم المذكور ولجماله وأدبه تزوجت به ولم تعلم تهتكه وخلاعته ولما اتصلت به رأت منـه رجلا بخلاف ما رأت من الرجال من سوء خلق وزيادة تهتك وادمان على شرب المسكرات حتى صار بينهما ويلطم وجهها ويقيء في حجرها وهناك هجرته وقلتـه وقالت فيه الاشعار الهجائية وأظهرت مساويه حتى صار عبرة لغيره ومن أشعارها فيه قولها

سميت فيضا وما شيأ تفيض به * الا بسلحك بين الباب والدار

فتلك دعوة روح الخير أعرفها * سقى الاله صداه الاوطف السارى

وقالت

ألا يا فيض كنت أراك فيضا * فـلا فيضا أصبت ولا فراتا

وقالت

وليس فيض بفياض العطاء لنا * لكن فيضا لنا بالـقيء فياض

ليث الليوث علينا باسل شرس * وفي الحروب هيوب الصدر حياض

وولدت من فيض ابنة فتزوجها الحجاج بن يوسف وقد كان قبلها عنـدا لحجاج أم أبان بنت النعمان بن بشير فقالت حميدة للحجاج

اذا تذكرت نكاح الحجاج * من النهار أو من الليل الداج
فاضت له العين بدمع ثجاج * وأشعل القلب بوجد وهاج
لو كان نعمان قتيل الاعلاج * مستوى الشخص صحيح الاوداج
* لكنت منها بمكان النساج *
قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج * ان تنكحيه ملكا أو ذا تاج

ثم قدمت حميدة بعد ذلك على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج يا حميدة انى كنت أتحمل مزاحك مدة وأما اليوم فانى بالعراق وهم قوم سوء فاياك فقالت سأكف حتى أرحل وكانت وفاة حميدة بالشام بآخر ولاية عبد الملك بن مروان

﴿حنة البرت﴾

هى دو البرت ملكة نواره من أعمال فرنسا ولدت فى ناحية بو سنة ١٥٢٨ وتوفيت فى باريس سنة ١٥٧٢ كانت ابنة وحيدة لهنرى الثانى ملك نواره من زوجته مرغريتا دوانغوليم شقيقة فرنسو الاول زفت فى ١٥ تموز (يوليه) سنة ١٥٤٠ ولها من العمر ١٢ سنة تزوجها غيليوم دوق كليق وجوليه وكان ذلك على غير ارادتها وارادة أبويها فابطل البابا بولس الثالث هذا الزواج وسنة ١٥٤٨ تزوجت بانتوان دو بوربون دوق فندوم وجلست معه على تخت الملك فى نواره السفلى وبيرن عند وفاة أبيها وكانت مشهورة بجمالها وحذقها واتبعت مذهب كلفينوس وبعد وفاة زوجها سنة ١٥٦٢ حافظت على أملاكها ولم تبال بدسائس اسبانيا ورومية ووعيدهما وسنة ١٥٦٧ أعلنت ان مذهب كلفينوس هو المذهب القانونى فى مملكتها وانضمت سنة ١٥٦٩ مع ولديها هنرى وكترينا الى كولينى فى لاروشيل وكانت فى رياسة فرقة من الهوغنو وبعد أن قتل برنس كوندى كانت تعتبر سندا وحيدا للبروتستانت وقد بالغ أوبينى وغيره من المؤلفين فى مدحها بما كان لها من السطوة على الجنود الهوغنو وسلمت رغما عنها بزواج ابنها هنرى (هنرى الرابع ملك فرنسا) بمرغريتا دوفالو وكان قد سعى فى ذلك الزواج كل من كترينا دومديشى وشارل التاسع وفى تلك الاثناء دعيت الى البلاط الفرنسوى فتوفيت فيه وذلك قبل حدوث مذبحة سنت برتلمى بشهرين وظن جماعة ان سبب موتها سم دسته اليها كترينا دومديشى والارجح انه أصابها حمى خبيثة قضت بنحبها ولم تشهد زواج ابنها وكانت كاملة بالآداب والمعارف فبرعت فيها كثيرا ولها تآليف فى الشعر والنثر وطبع بالآتى بعض أشعارها

﴿حنة اليصابات زوجة النبرو﴾

ولدت نحو سنة ١٨٠٧ وهى ابنة الاميرال دغبى تزوجت بارل النبرو سنة ١٨٢٤ وسنة ١٨٣٠ هجرت زوجها وهربت الى انكلترا مع البرنس فلكس شورنبرغ وكان حينئذ سفيرا للنمسا فى انكلترا فصدر قرار من المجلس العالى الانكليزى بطلاقها من زوجها ولكن لم يدم لها حب عاشقها لانه تركها وشأنها بعد مدة وجيزة غير أن المجلس العالى عين لها بقراره الصادر بطلاقها مرتبا سنويا وافرا فصرفت عدة سنين فى ايطاليا وغيرها فى رغد وانشراح وتزوجت كنتا يونانيا ثم طلقت وصارت الى الشرق فجعلت تجول فيه قليلا وبينما كانت سائرة من تدمر الى دمشق رافقها شيخ من البدو اسمه مجول مع قوم من عربه لحراستها فاغار عليهم وهم فى الطريق جماعة من البدو قاصدين غزوهم فصدهم مجول ببسالة لا مزيد عليها فاحبته

لبسالته وأمانته وطرح نفسه فى الخطر حبا فيها ومدافعة عنها فاتخذته زوجا لها على طريقة البدو وبقيت هى على مذهبها تذهب الى الكنيسة وهو على مذهبه يذهب الى الجامع ثم اشترت فى دمشق بستانا بنت فيه بيتا ظريفا تصرف فيه بعض السنة بعيشة حضرية وأما البعض الآخر فتصرفه فى بيت من الشعر لزوجها المذكور بين عربه بعيشة مرضية (وذكرها تريريم فى رحلته المعنونة بما ترجمته السكنى فى الخيمة بالارض المقدسة) اذ زارها سنة ١٨٥٥ وقد طبع تلك الرحلة فى نيويرك من أميركا سنة ١٨٥٧ وبها تفاصيل لا محل لها هنا ويقال انها كتبت سيرتها بيدها ولا بد أن الذين وقفوا على خبرها يميلون الى مطالعتها

حنة اسكوخاتون

انكليزية من كنتيه لنلكن احرقت فى سمتفلد فى ١٢ تموز (يوليه) سنة ١٥٤٦ كانت ذات عقل ثاقب وتعلمت الكتاب المقدس ثم انحازت الى البروتستانت وكان زوجها كيم من أشد الناس تمسكا بالمذهب الكاثوليكى فطردها من بيته فسارت الى لندن لتطلب الى الحكومة أن تقرر انفصالها عنه فاجابتها الملكة كترينا بار وكثير من خواتين البلاط الملكى الا أن نكرانها حضور المسيح بالجسد فى الافخارستيا حمل الحكومة على القبض عليها وايداعها السجن وذكر برنت أنها بعد عذاب مبرح كتبت محررا نقضت فيه مقالها الاول ولكن ذلك لم ينجها الا أنها حبست مرة ثانية فى بنوغات وطلب اليها أن تشهر أسماء مكاتبيها فى البلاط الملكى فلم تفعل مع انها كانت تعذب على مرأى من حامل أختام الدولة ولم تستطع الوقوف بعد ذلك العذاب فوضعت فى كرسى وطرحت فى النار فكان صبرها على عذابها هذا وغيره يذهل الناظرين اليها

حنة ملكة بريطانيا وارلانده

هى آخر من جلس على عرش انكلترا من عائلة ستورس ولدت سنة ١٦٦٤ مسيحية وتوفيت سنة ١٧١٤ وهى ثانى بنت لجمس الثانى دوق يورك من امرأته الاولى حنة هيد ابنة كلارندن الشهير وكان والداها كاثوليكيين وأما هى فتربت على مبادئ كنيسة انكلترا الاسقفية وتزوجت سنة ١٦٨٣ بالبرنس جورج أخى كرستيان الخامس ملك الدنمرك وجعلتها دوقة مرلبورد التى كانت تحبها محبة شديدة واتحدت مع الحسب الفائز فكفل لها ولاولادها تاج انكلترا بانه لم يكن لوليم ومارى عقب فولدت ١٧ ولدا ولكن ماتوا فى سن الطفولية الا أكبرهم فتوفى وله من العمر احدى عشرة سنة فلما توفى وليم جلست على عرش انكلترا وذلك سنة ١٧٠٢ ومع ضعف عزمها تبعت سياسة سلفها فى كبح مطامع لويس الرابع عشر فتجددت يوم تتويجها المعاهدة الثلاثية بين انكلترا وهولاندا والمانيا ضد فرنسا وأعظم الحوادث السياسية التى زينت ملك حنة هو اتحاد انكلترا وسكوتسيا وذلك فى ايار سنة ١٧٠٧ وسنة ١٧١٠ أخذت شهرة مرلبورد فى الانحطاط بعد أن بقى ثمانى سنوات فى أعلى درجة من الاعتبار والحب عند الملكة والشعب والمجلس العالى وخسرت امرأته فقوى حزب السوريين الذين كان منهم فى ذلك الوقت أقدر رجال السياسة وأحذق الكتاب ووكل حزب الهويغ قبيل سقوطه بمقاومتهم اللاهوتى ساشفرل لانه صرح فى وعظه بان حق الملوك هو من الله وانتصر السوريون فى الانتخابات الجديدة فأقيمت وزارة جديدة تحت رياسة هرلى وصارت ماشام ابنة أحد تجار لندن نديمة للملكة ومدبرة البلاط فعزموا على عقد الصلح وأهملوا الانتفاع بنتائج الحرب وتركوا حلفاء انكلترا فى معاهدة اسرخت التى وقع عليها فى أنيسيان سنة ١٧١٣ ولم تكن الوزارة

الجديدة متفقة وكان قد تقرر أن يكون تاج انكلترا بعد موت حنة بدون عقب لسوفيا أكبر بنات جمس الاول وحاول جماعة أن يقرروا ذلك لاخيها ابن جمس الثانى فساءت الملكة أعمال وزرائها واختلافاتهم فمانت فجأة واذ كان موتها قبل ان أكمل بولينقبروك تدابيره نشأ عنه تقرير سلالة بروتستنتينة لانكلترا بسلام ولم تكن حنة شديدة الحزم ولكنها كانت وديعة وامتاز ملكها بحروب متوالية انتصرت فيها انكلترا وقد أطلق على أيام ملكها اسم الاعصر الاوغسطى للآداب الانكليزى وتزين ذلك العصر بكتابات اديسون وبوب وسوفت ورينفو وجرائد مشهورة بتلك الايام

﴿حنة النمساوية ملكة فرنسا﴾

هى ابنة فيليب الثالث ملك اسبانيا ولدت سنة ١٦٠١ وتوفيت سنة ١٦٦٦ تزوجها لويس الثالث عشر سنة ١٦١٥ فبقيت ٢٢ سنة لا تلد وروى بعض المؤرخين أنه عندما هجرها زوجها لويس اخترعت اطارا كانت تلبسه تحت ثيابها التستر به حملها عن الملك الى أن ولدت ولدا ذكرا وكثيرا ما كان زوجها يسىء معاملتها ويعذبها ويقال ان الكردينال ريشليو كان يهيج الملك الى كرهها ومقاومتها فاتفقت مع حماتها مارى دى موليسى على عزله ولكن هبط مسعاهما لان ريشليو كان ذا سطوة وحذق لا مزيد عليه وما فاتهمهابانها كانت متفقة مع أخيها ملك اسبانيا ودوق لوران وانكلترا وكل أعداء فرنسا الخائنين فى البلاط الملكى على ماهو ضد صالح فرنسا وضد مصلحة الكردينال المذكور وانها كانت تساعد الشاب التعيس هنرى روتلير فيدبرنس كانى فى مؤامراته وتنقادا اليه انقيادا أعمى فأمر الملك بتفتيش عرق قصر المقال دوغراس الذى كانت فيه مع حماتها وكان الملك قد حكم عليها بالخروج من البلاط فخرجت حنة أيضا من القصر ورجعت الى البلاط الملكى فى اللوفر حيث كانت تحتمل غضب زوجها وتضادده ثم شاع بعد ذلك حملها بلويس الرابع عشر سنة ١٦٣٨ وولدت سنة ١٦٤٠ فيلب دوق دورليان وبعد موت زوجها لويس الثالث عشر سنة ١٦٤٣ أقامها البرلمان رغما عن ارادته نائبة عن لويس الرابع عشر مدة قصره فكان الكردينال مازارين يحكم باسمها ويقال انه كان متزوجا بها سرا فتزينت الايام التى ولى من نيابتها بانتصارات البرنس كوندى ولكن رفعها المقام الكردينال فراريل وجعلته رئيسا للوزارة هيج بعض عائلة كوندى وبعض عيال من السلالة الملكية وآخرين من عيال فرنسا الشريفة فنشأت عن ذلك الحرب الاهلية التى تدعى حرب الفرنده (أى حرب المقلاع) ومع ذلك كانت تدبر ملكها بادارة جيدة

﴿حنه بولين ملكة انكلترا﴾

وهى احدى نساء هنرى الثامن قطع رأسها فى ١٩ ايار سنة ١٥٣٦ وأما تاريخ ولادتها فمجهول وبعضهم قال انها ولدت سنة ١٥٠٠ وآخرون سنة ١٥٠٧ وهى ابنة الارل توماس بولين كانت من السيدات اللواتى رافقن مارى شقيقة هنرى الثامن الى فرنسا عندتزوجها بلويس الثانى عشر سنة ١٥١٤ ولما رجعت مارى بعد موت زوجها الى انكلترا بقيت حنة فى فرنسا عند كلوره زوجة فرنسيس الاول ثم دعيت الى انكلترا سنة ١٥٢٢ أو سنة ١٥٢٧ ودخلت فى خدمة كاترين الاراغونية وقد ظهر منها وهى هنالك من الحذاقة والهمة والظرف مالا مزيد عليه وأما ماقيل من أن

سلوكها في البلاط الفرنسوي كان محلا للشبهة فلم يزل من دون دليل كاف ولم يمض الازمن قليل حتى أحبها هنري الثامن فالزم الكردنيال ولسي أن يتوسط في فسخ خطبتها من اللورد برسي ابن ارل نرثمبرلند وكانت تزداد محبة هنري لها وتقل ثقته بصحة تزوجه بكاترين الاراغونية فصرح في أواخر سنة ١٥٢٧ الكردنيال ولسي بقصده أن يتزوج بحنة حالما طلق كاترين فغلبت ارادة هنري ورغبته الشديدة مقاومة الكردنيال ولسي على أن حنة كانت تحسب الكردنيال المذكور ضدها فقاومته الى أن اقتنعت من الملك بعزله فتزوج هنري بحنة في هويتهول في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٣٣ بعد هياج استمر خمس سنين نشأ عن طلاق كاترين وكانت قد صرفت ثلاث سنوات في القصر قبل تزوجه بها فكانت في تلك المدة دائما مع هنري وجعلها قبل تزوجه بها ببضعة أشهر مركيزة بمبروك وعند ذلك أحيلت مسئلة طلاق كاترين الى المجلس كانتربيري الاكليريكي وحكم كرانمر في أول شهر ايار من تلك السنة بفساد تزوج الملك بكاترين من أوله وأن حنة هي امرأته الشرعية وفي أول حزيران أقيم تتويجها باحتفال عظيم ثم بعد ذلك بثلاثة أشهر ولدت البرنسيس اليصابات التي تزين التاريخ الانكليزي فيما بعد بأخبار ملكها ولما ابتدأ هنري يكرهها ويميل الى جين سيمور لم يكن أمير اصعب الحكم على حنة بارتكاب أمور منكرة فأقيمت لجنة من اللوردين كان والدها من جملتهم للفحص عن سيرتها وذلك سنة ١٥٣٦ فقررت تلك اللجنة أنها أتت المنكرات مع بريرتن ونرس ورستن من الحشم الخاص وسميت صاحب موسيقى الملك حتى مع أخيها اللورد رتشفرد فأرسل الملك كل المتهمين الى السجن وحوكمت حنة أمام لجنة من الامراء تحت رياسة عمها دوق نرفلك فثبت أنها مذنبة وكان ممن أثبته اقرار سميتن مع أنها أقامت الحجة مع باقي المسجونين على براءتها وحكم بفساد تزوجها بهنري الثامن وأبطله كما حكم بفساد تزوج كاترين فكانت تقضي ساعات سجنها بين السكينة والقلق وكان تصرفها عند قطع رأسها بجلال ملكي وأما سميتن فعلق وقتل خنقا وأما الاربعة الباقون المتهمون فقطعت رؤسهم

حنة البريطانية ملكة فرنسا

ولدت في نتنست سنة ١٤٧٦ وتوفيت في قلعة بلوى سنة ١٥١٤ كانت ابنة فرانسيس الثامن دوق بريطانيه وولية لعهده أعطاها أبوها وقيعة بريطانيه مهرا لما تزوجت شارل الثامن بن لويس الحادي عشر سنة ١٤٩١ فصارت الوقيعة المذكورة من جملة أملاك فرنسا وكان قد خطبها قبل ذلك الملك مكسيمليان من استوريا ولكن حل هذه الخطبة لويس الحادي عشر وزوجها الابنه ووسع بذل في ذلك أملاكه وتزوجت بعد موت شارل الثامن بخلافة لويس الثاني عشر سنة ١٤٩٨ وكان لها سطوة قوية عليه وعلى كل رجال البلاط فكانت قدوة للفضيلة والاجتهاد في أشغالها وكانت تدبر المملكة حق الادارة مدة غياب زوجها في الحروب التي قام بها ضد ايطاليا

حنة ملكة نابولي

وهي ابنة شارل دوق كالبريا وحفيدة روبرت انجو ولدت سنة ١٣٢٧ وقتلت في حصن مور وفي ولاية باسيليكاتا في ٢٢ ايار سنة ١٣٨٢ كان أبوها يحاول أن يجعل اتحادا بين فرعي عائلة انجو التي كانت تدعي بتخت نابلي لتزويجه حنة هذه في سن سبع سنوات بابن عمها اندرو الجري الا أن تدبيره لم يأت بالغرض المقصود

لانه لما كبر الزوجان كان يبغض أحدهما الآخر بغضاً شديداً وكان الحزبان المتضادان من أقاربهما يهيجان دائماً تلك الحاسة وتوفي الدوق شارل قبل أبيه روبرت ولذلك خلفت حنة أباها عند موته سنة ١٣٤٣ فانقسم بلاطها بسرعة الى حزبين حزب معها وحزب مع زوجها فبقي الخصام مدة سنتين الى أن انتهت سنة ١٣٤٥ بأن قتل الملك قوم من الثائرين أخرجوه بحيلة من مخدعه وعلقوه في ممشى من مماشي القصر وقد اتهمت حنة بالاشتراك في تلك المؤامرة والسعي وتدبير كل ما يتعلق بها والظاهر أنها غير بريئة من هذه التهمة وأما ما قيل من أنها كانت تلبس الحبل الذهبي الذي خنق به زوجها اندروفلا يخلو من المبالغة ثم بعد وفاة زوجها بقليل تزوجت من دون حل من البابا بلويس دوتارنتو وهو أحد أقاربها ويظن انه كان عشيقها واذا كان لويس الكبير صاحب هنكريا يطلب فرصة للاخذ بثأر أخيه اتخذ ذلك حجة وأغار سنة ١٣٤٧ على الاراضي النابولية واذ كانت حنة غير مستعدة للدفاع هربت الى افينون التي كانت حينئذ موطناً للبابوات وبينما هي هناك اذ أحضرت أمام مجلس حر أقرت بكونها قاتلة زوجها فتخلصت من القصاص بقبولها بتسليم افينيون الى الكرسي المقدس ملكاً مؤبداً بشرط دفع ثمانين ألف فلوريني ذهبا واعلان البابا رسمياً بكونها بريئة وتثبت زواجها الحديث وفي تلك الاثناء رجع ملك هنكريا عن نابلي تاركاً فيها حامية قوية تخرجت منها بعد قليل بتوسط البابا ثم ان لويس دوتارنتو توفي في سنة ١٣٦٢ فتزوجت حنة سنة ١٣٦٣ بجمسيس الاراغوني ملك نيورقة الا انه لم يمض الا قليل حتى تركها ورجع الى بيته في اسبانيا وتوفي هناك سنة ١٣٧٦ فتزوجت بزوج رابع وهو أوتو برنسويك فغاظت بذلك الدوق شارل دورتسو الذي كانت زوجته تدعي وراثة التخت وسنة ١٣٧٨ لما اختلف البابوان المتناظران وهما اكليمنس السابع واوربانوس السادس تحزبت حنة لاكليمنس فغاظت بذلك أوربانوس فاستحضر حالا الدوق دورتسو وأعلن أن له الحق في تخت نابلي أما حنة فانها عملاً برأي اكليمنس كتبت وصية مخصوصة جعلت بموجبها ابن ملك فرنسا الثاني وارثاً لها ونزعت بالكلية حق الملك عن الدوق وزوجته فاتخذ شارل دورتسو هذه الحوادث حجة كان يطلبها بعد زمان طويل فأغار على بلاد حنة ولم يصادف من الشعب الا مقاومة قليلة وتقدم الى نابلي وأسر الملكة وأرسلها تحت الحفظ لاموره كانت هناك تحت رحمة ملك هنكاريا فأمر بقتلها حالا فقطعت بالوسائد أخذا بثار اندرو على الطريقة التي قتلته بها

حنة ملكة نابلي ابنة شارل دورتسو

ولدت نحو سنة ١٣٧٠ وتوفيت سنة ١٤٣٥ تزوجت وهي صغيرة بوليم ملك استوريا وترملت بعد ذلك عدة سنين وخلفت أخاها لاوس لاس سنة ١٤١٤ بعد موت زوجها وكان بينها وبين كنت سازونفلداوبو اتصال سري وقد حافظت على ذلك الاتصال بعد موت زوجها ولم تحاول سترها فانها وجهت الى عشيقها المذكور أعلى المأموريات وجعلت مصالح المملكة بيده فعلا الا ان أصدقاءها أقنعوها أخيراً بأن تتزوج ثانيا فاختارت جاكوي دوبو رلون كنت لامرش زوجاً لها الا أن تزوجها لم يكن واسطة لتغير سيرتها ذات الخلاعة فلما اطلع زوجها على خيانتها انطف البلاط من كل أصدقائها وقطع رأس عشيقها جهاراً وأرسلها الى مكان منفرد ثم انه صالحها بعد ذلك مصالحة ظاهرة الا انها حالما رجعت الى مركزها في البلاط نجحت بحيلة في سجن زوجها في احدى قلاع نابلي ولم يخرج من ذلك السجن الا بصعوبة وعند خروجه

خرج من البلاد ودخل ديرا في برغونيا وحينئذ ابتدأت سلطنة المتربين اليها في الرجوع الى البلاد فكان تاريخ ملكها مدة بضع سنين عبارة عن حيل ومكائد وذلك مع بعض الشعب الذى اليها في كل المملكة الذى نشأ عنه منازعات داخلية في البلاط وتوارث في البلاد ومما زاد خصام الاحزاب قوة النزاع الذى جرى بين لويس الثالث دوانجو والفونسو دواراغون الذين كانا يدعيان حق الخلافة اما حنة فحكمت به أولا لالفونسو ثم عكست حكمها وعند وفاة لويس الثالث حكمت به لرجل آخر من بيت أنجو أما الفونسو فقبض على صولجان الملك رغما عن الوصية التى حرمته اياها

حنة موراندى منزولينى

كانت أبرع نساء زمانها بفن التصاوير والتماثيل لانها أخذته عن زوجها منزولينى وكان ماهرا في التشريح والرسم والتصوير وفي نقش الشمع لعمل التماثيل ولكنه ضعيف الرأى عصبى المزاج سوداويه وكانت زوجته على جانب عظيم من النباهة والفطنة فتعلمت منه عمل التماثيل الشمعية وأتقنته غاية الاتقان وكانت تساعده في أعماله وكان منزولينى ملازما للى المصور الشهير في أعماله ويساعده على أشغاله فوسوس شيطان الظنون في أذنى منزولينى وظن أن للى عازم على أن يستأثر بالاسم والشهرة من عمل تلك التماثيل ولا يبقى له اسم فيها فعزم على تركه وكان للى دائما يعترف بفضله ويقول انه لولا مساعدة منزولينى لم يستطع عمل تلك التماثيل فلما رأت حنة خطأ زوجها عزمت ان تتعلم منه فن التشريح وتتم العمل الذى أحجم عنه حفظا للصيته فأجابها الى طلبها لشدة تعلقه بها وعلمها هذا الفن فدرسته برغبة شديدة وقرأت أحسن المصنفات فيه وشرحت الاجساد البشرية بيدها رغما عما وجدته في نفسها من الكراهة الشديدة لذلك فانها كثيرا ما كانت تمرض من رؤية الاجساد المشرحة ولكنها كانت تتغلب على ما بها من الضعف الطبيعى حتى أتقنت هذا الفن واكتشفت فيه اكتشافات كثيرة وفي غضون ذلك أنشأ أحد الاطباء مدرسة لتعليم فن الولادة وطلب اليها أن تصنع له اجنة من الشمع متفاوتة في النمو فصنعت له الاجنة المطلوبة على غاية الاتقان ثم جعلت تتقدم خطا بافى فن التشريح العلمى وتشريح المقابلة وأتقنتهما أشد الاتقان فذاع صيتها حتى عم أوروبا لغزارة معارفها وحسن اسلوبها في التعليم

وفي سنة ١٧٥٥ [illegible] زوجها عن ولدين صغيرين فحزنت عليه حزنا شديدا لانها كانت تحبه حبا مفرطا مع كثرة عيوبه ولم يمنعها ذلك عن خدمة العلم وفي السنة الاولى من ترملها انتخبت عضوا في المجمع العلمى ببولونيا ثم في مجامع أخرى كثيرة وجعلتها حكومة بولونيه استاذة تشريح في مدرسة بولونيه الطبية ولكن الانتظام في سلك هذه المجمعيات كان نفعه معنويا لاماديا لانها كانت في حالة يرثى لها من الفقر ولم تزد أجرتها في مدرسة الطب عن ثلثمائة فرنك في السنة وكانت على جانب عظيم من الجمال ولكنها كانت عفيفة النفس طاهرة السيرة والسريرة لان العلم يعصم ذويه عن ارتكاب الدنايا

وفي سنة ١٧٦٥ طلبت من الحكومة أن تزيد راتبها وتجعله خمسمائة فرنك في السنة فلم تجبها الى طلبها ولكن أحد أرباب الحكومة وهو الكونت بوزى أباح لها أن تقيم في بيته آكلة شاربة بشرط أن تعطيه بدل ذلك كل كتبها واستحضاراتها التشريحية فأقامت عنده لان الفقر كان قد أذلها ولكن الكونت أكرم مثواها وأبقى لها كتبها واستحضاراتها فوهبها للمجمع العلمى حيث هى الى يومنا وفيها الاجزاء الصغيرة من جسد الانسان كالاوعية الشعرية التى ترى بالعين وهى في غاية الضبط والاحكام وكانت كغيرها

من مشاهير الارض واذا تعبت من عمل ترتاح بمزاولة آخر فصنعت أوقات الراحة تماثيل كثيرة لزوجها ولنفسها ولبعض أصدقائها وبنات نفسها قابضة على الجمجمة وأخذت تشريح الدماغ ومما يكاد يفوق التصديق أن هذه المرأة الفاضلة التي توسلت الى حكومة بولونيه لكي يزيد راتبها السنوي مائتي فرنك ولم تجبها الى طلبها عرض عليها مرارا كثيرة أن تأتي الى مدينة لوندره براتب كبير جدا وأرسلت أمبراطورة روسيا تدعوها اليها ووعدتها أن تعطيها مهما طلبت وأرسلت مدرسة ميلان تدعوها اليها وفوضت اليها أن تختار الاجرة التي تريدها وتشترط الشروط التي تختارها وطلبت منها مدارس أخرى نفس هذا الطلب فاجابت كل هؤلاء أنها تفضل البقاء في مدرسة بولونيه على ماسواها وأرسلت لكل منهم مجموعا كاملا من مصنوعاتها التشريحية وشرحا كافيا وافيا يغني عنها ولبثت بين الدفاتر والمحابر والدرس والتدريس الى أن وافتها المنية سنة ١٧٧٤ ولها من العمر ٦٨ سنة

حرف الخاء

﴿خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب﴾

أوّل امرأة تزوّجها النبي صلى الله عليه وسلم في أوّل أمره بل أوّل انسان أسلم لم يسلم قبلها أحد لا ذكر ولا أنثى وقيل كانت تسمى في الجاهلية الطاهرة وكنيت بام هند وأمها فاطمة بنت زائدة بن الادم من بني عامر ابن لؤي تزوّجها عتيق بن عائذ المخزومي فمات عنها وله منها ولد ثم تزوّجها أبو هالة هند بن زرارة وقيل تزوّجها قبل عتيق فمات عنها أبو هالة وله منها هند والظاهر أنه خلف لها ثروة عظيمة وكانت هي ذات ثروة وافرة فكانت تستأجر الرجال للتجارة في مالها وتضاربهم بشيء تجعله لهم منه وكانت قريش تكثر التجارة في بلاد الشأم فلما بلغها عن النبي صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الامانة وكرم الاخلاق أرسلت اليه ليخرج في مالها الى الشام تاجرا مع غلامها ميسرة وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره وفي رواية انه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له عمه أبو طالب أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ علينا الزمان وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيرها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك فبلغ ذلك خديجة فارسلت اليه وقالت له أنا أعطيك ضعف ما أعطي غيرك من قومك وفي رواية أخرى ان أبا طالب أتاها فقال لها هل لك أن تستأجري محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت لو سألت ذلك لبعيد بغيض لفعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب فقال أبو طالب هذا رزق ساقه الله اليك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة حتى بلغ بصرى من الشام فنزل في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب لميسرة من هذا الرجل فقال رجل من قريش فقال ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم باع الرسول واشترى وعاد وقد ربح ضعف ما كان يربح غيره ولما كانوا بمر الظهران تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر خديجة بالربح ثم قدم ميسرة وقد أحب النبي وأخبرها بما سمع من الراهب فاضعفت للنبي صلى الله عليه وسلم ما وعدته وقد رأت ربحا وافرا وكانت امرأة حاذقة عاقلة شريفة من أوساط نساء قريش نسبا وأكثرهن مالا وشرفا وكان كل من قومها يتمنى أن يتزوّج بها فلم يقدروا فلما رأت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم أرسلت وعرضت نفسها عليه فاتى مع أعمامه الى أبيها خويلد وخطبها اليه ثم تزوّجها وكان عمره

اذذاك ٢٥ سنة وعمرها ٤٠ سنة وقيل خمسة وأربعون وقيل غير ذلك فولدت له أولاده كلهم الا ابراهيم وقيل الذى زوجها عمها عمرو بن أسد لان أباها مات قبل الفجار ولما ابتدأ الوحى يهبط على النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل كان متخوفا من ذلك وأخبر خديجة فقالت أبشر فلن يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الامانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فاعلمته بشأنه وسألته خديجة بعد ذلك قائلة يا ابن العم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فجاءه جبرائيل فاعلمها فقالت قم فاجلس على فخذى اليسرى ففعل فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول على فخذى اليمنى ففعل فقالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت هل تراه فقال لا قالت يا ابن العم أثبت وأبشر فانه ملك وما هو بشيطان فكانت خديجة أول من آمن به وصدقه ولما علمه جبريل الوضوء والصلاة أتى الى خديجة وعلمها ذلك فتوضأت كوضوئه وصلت كصلاته وبقيت خديجة مع النبى صلى الله عليه وسلم ٢٤ سنة وأشهرا ولم يتزوج عليها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة ابى طالب بثلاثة أيام وقيل بخمسة وخمسين يوما وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون وحزن النبى عليها ونزل فى حفرتها وعظمت عليه المصيبة بوفاة أبى طالب ثم وفاتها وكانا من أشد المعضدين له وبعد ثلاث سنين من وفاتها تزوج بعائشة وقيل بسودة بنت زمعة وروى أنه قال أفضل نساء الجنة خديجة وفاطمة ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وقيل ان معاوية اشترى المنزل الذى كانت فيه خديجة وجعله مسجدا

وقال ابن الوردى لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة فحكى لها ما رأى فقالت أبشر فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الامة ثم أتت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصى وكان شيخا كبيرا وكان قد عمى وتنصر فى الجاهلية وكتب فى التوراة والانجيل فلما ذكرت خديجة أمر جبريل وما رأى ميسرة فقال ورقة انه ليأتيه الناموس الاكبر وهذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى أكون فيها جذعا حين يخرجه قومه فاخبرت النبى بذلك فقال صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم فقالت سألته ذلك قال نعم لم يأت أحد قط بمثل ما جاء به الا عودى وأوذى وان يدركنى يومه أنصره نصرا مؤزرا فى ذلك وان رأيت أن ترسليه لى فاخبره عن ذلك وقال أبياتا منها

ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظارى يا خديجا
بما أخبرته من قول قس * من الرهبان يكره أن يعوجا
بان محمدا سيسود يوما * ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تموجا
ألا ياليتنى ان كان ذاكم * شهدت وكنت أولهم ولوجا
رجائى فى الذى كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا

ولما انتهى من أبياته قال أرسلى لى محمدا فانى مخبره بما أريد ولما ذهب اليه النبى صلى الله عليه وسلم أخبره ما قالته خديجة وأنشد

يا للرجال لصرف الهم والقدر * وما لشئ قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعونى لاخبرها * امرا أراه سيأتى الناس عن أثر
فخبرتنى بأمر قد سمعت به * فيما مضى من قديم الناس والعصر

بان أحمد يأتيه فيخبره * جبريل انك مبعوث الى البشر
فقلت ان الذى ترجين يخبره * لك الاله فرجى الخير وانتظرى
وأرسليه لنا كيما نسائله * عن أمره مايرى فى النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقا عجبا * يقف منه أعالى الجلد والشعر
انى رأيت أمين الله واجهنى * فى صورة كملت من أهيب الصور
ثم استمر وكاد الخوف يذعرنى * مما يسلم ما حولى من الشجر

والله أعلم بالصواب

﴿خديجة ملكة جزائر زيبة المهل من بلاد الهند﴾

وهى خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين البنجالى وكان الملك لجدها ثم لابيها فلما مات أبوها ولى أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمى أمه وتغلب عليه وهو الذى تزوج أيضا هذه الملكة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه الى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه يسمى على كلكلى ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه الى السويد وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور انه يختلف الى حرم أهل دولته وخواصه بالليل فخلعوه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتنى وبعثوا من قتله بها ولم يكن بقى من بيت الملك الا أخواته خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة ملكة فى سنة ٧٤٠ للهجرة وكانت متزوجة بخطيبهم جمال الدين فصار وزيرا غالبا على الامر وعين ولده محمد اللخطابة عوضا عنه ولكن الاوامر انما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الاوامر فى سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون فى الكاغد الا المصاحف وكتب العلم ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول اللهم انصر أمتك التى اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لكافة المسلمين الا وهى السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين بن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم ومضى الى الدار فلا بد له أن يستصحب ثوبين فيقدم لجهة هذه السلطانة ويرمى باحدهما ثم يقدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرمى بالثانى وعسكرها نحو ألف انسان من الغرباء وبعضهم بلديون يأتون كل يوم الى الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الارز يعطى لهم من البندر فى كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ عنا الخدمة واعلم بانا أتينا نطلب مرتبنا فيأمر لهم به عند ذلك ويأتى أيضا الى الدار كل يوم القاضى وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون وان النساء ليفتخرن بمثل هذه الملكة حيث انها كانت مالكة نحو الفى جزيرة من جزائر الهنود التى تزيد عن الاربعين مليونا من العالم وجميعها من المسلمين وبقيت مالكتها مدة من الزمن بالعدل والانصاف وقد طال ملكها نحو الثلاثين سنة وفى مدتها كانت جزائرها فى غاية الرونق والبهاء من كثرة الخيرات والارزاق والامن وكان جميع الاهالى مكبين على الاشغال ملتفتين للاعمال محافظين على جزائرهم من الاعداء وبارتباطهم هذا كانوا مهابين لا يدخلون أحدا من عدوهم ساحتهم وبقيت على ذلك الى أن توفاها الله وأهل مملكتها راضون عنها آسفون عليها

خرقاء بنت النعمان بن المنذر

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأفصحهن مقالا وأكملهن عقلا وأعظمهن أدبا وكانت معتنقة الديانة المسيحية ومتعبدة بها تعبدا زائدا وكانت اذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخز والوشي ثم تقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها وبقيت على ذلك وهي في غاية العز والاجلال الى أن هلك النعمان فنكبها الزمان فأنزلها من الرفعة الى الذلة ولما نزل سعد بن أبي وقاص بالقادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس وقتل رستم أتت خرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيكن خرقاء قالت ها أنا ذا قال أنت خرقاء قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى الامرة وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فشق عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم أنشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدي بن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

فبينما هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معد يكرب وكان زوارا لابيها في الجاهلية فلما نظر اليها قال أنت خرقاء قالت نعم قال فما دهمك فأذهب بمحمودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره فأكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حتى أحييك بتحيات ملوكنا لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها ما صنع بك الامير قالت أكرم وجهي وانما يكرم الكريم كريم

خزانة ابنة خالد بن جعفر بن قرط

كانت من الادب على جانب عظيم ومن الفصاحة والبلاغة على جانب أعظم والفروسية كانت عندها زائدة حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت معه المعامع والمعارك وقد حضرت فتوح الحيرة حينما استشهد من المسلمين خمسمائة وثلاثون فارسا فقالت ترثيهم في أبيات كما جاء في الحيرة للواقدي في فتوح الشام

أيا عين جودي بالدموع السواجم * فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم

فكم من حسام في الحروب وذابل * وطرف كميت اللون صافي الدعائم

حزنا على سعد وعمرو ومالك * وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم

هم فتية غر الوجوه أعزة * ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم

ومن قولها أيضا

طوى الدهر ما بيني وبين أحبة * بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع
فلا يحسب الواشون أن قناتنا * تلين ولا أنا من الموت نجزع
ولكن للالاف لابد لوعة * اذا جعلت أقرانها تتقطع

﴿خمانى ابنة اردشير بن بهمن﴾

ملكت بعد أبيها بهمن ملكوها حبا فى أبيها ولعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انها ملكت لانها حين حملت من دارا الاكبر سألته أن يعقد التاج له فى بطنها ويؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا فى بطنها وكان ساسان بن بهمن رجلا يتصنع للملك فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال وهلك بهمن ودارا فى بطن أمه فملكوها ووضعته بعد شهور من ملكها فأنفت من اظهار ذلك وجعلته فى تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته فى نهر الكر من اصطخر وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ففرح بما فيه من الجوهر فحضنه امرأته ثم ظهر أمره حين شب فاقرت خمانى باساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون من أبناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا وأعزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة

﴿خولة بنت الازور الكندى﴾

وهى أخت ضرار بن الازور كانت مشهورة بالشجاعة والجمال خرجت مع أخيها الى الشام حين فتحها فى خلافة أبى بكر الصديق وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام اذا أحببنا ايرادها ولكنا نقتصر على البعض منها

قال الواقدى فى فتوح الشام انه لما أسر ضرار بن الازور فى وقعة أجنادين توجه خالد بن الوليد بطليعة من الجيش لخلاصه فبينما هو فى الطريق اذ مر به فارس على فرس طويل وبيده رمح وهو لا يبين منه الا الحدق وقد سبق أمامه الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس وايم الله انه لفارس ثم اتبعه خالد والناس وسار الى أن أدرك المشركين وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم فما كانت الا جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثانية واخترق القوم غير مكترث وكثر قلق الناس عليه ولا يعلمون من هو ومنهم رافع بن عميرة ومن معه ظنوا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد وبينما هم على ذلك اذ أشرف خالد بمن معه فقال له رافع من الفارس الذى تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انى أشد انكارا منك أعجبنى ما ظهر منه ومن شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله فاطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وخالد أمامهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل فى اثره وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين فتأملوه ورأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر شجاعته

على

على الاعداء اكشف لنا عن اسمك وارفع لثامك فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرنا يخاطبك وأنت تعرض عنه أظهر لنا اسمك لنزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى بفعلك من أنت فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه قال انى أيها الامير لم أعرض عنك الاحياء منك لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملنى على ذلك انى محرقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور أخت ضرار المأسور بيد المشركين وانى كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بان أسير فركبت وفعلت ما رأيت وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة وأما خولة فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهى لا تطلب الا أخاها وهى لا ترى له أثرا ولا وقعت له على خبر وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد ولم تر من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمى ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك أم بأى سنان طعنوك أم بأى حسام قتلوك يا أخى أختك لك الفداء لو أنى أراك أنقذتك من أيدى الاعداء ليت شعرى أترى انى أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمى فى قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ سعيرها ليت شعرى ألحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فعليك منى السلام الى يوم اللقاء فبكى الناس من قولها عند سماعها ونياحها ومن وقائعها أيضا ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة فى وقعة صحورا من أعمال الشام وقد جمعت النساء وقامت فيهن خطيبة وكانت هى من ضمن المأسورات فقالت يا بنات حمير وبقية تبع أترضين لانفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك فأين شجاعتكن وبراعتكن التى تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضر وانى أراكن بمعزل عن ذلك وانى أرى القتل عليكن أهون من هذه الاسباب وما نزل عليكن من خدمة الروم فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور نحن فى الشجاعة كما ذكرت وفى البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت وانما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم بدون سلاح فقالت خولة يا بنات التبابعة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من معرة العرب فقالت عفراء بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمودا وسعت من ورائها عفراء أم أبان بنت عتبة ومسلمة بنت زارع ولبنى ومزروعة بنت عملوق وسلمة ابنة النعمان ومثل هؤلاء فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم وهجمت خولة وهجم النساء وراءها وقاتلن قتالا شديدا حتى استخلصت النسوة من أيدى الروم وخرجت وهى تقول

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا فى القوم ليس ينكر
لاننا فى الحرب نار تسعر * اليوم تسقون العذاب الاكبر

ومن قولها حين أسر ضرار فى المرة الثانية فى مرج دابق

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا * فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقا * لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم * وكانت بهم تزهو وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره * وأقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالي الجمع كنا سوية * ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم * لثمنا خفافا للمطايا وقبلنا
ولم أنس اذ قالوا ضرار مقيد * تركناه في دار العدو ويممنا
فما هذه الايام الا معارة * وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم * اذا ما ذكرهم ذا كر قلبي المضنى
سلام على الاحباب في كل ساعة * وان بعدوا عنا وان منعوا امنا

ثم بكت وقالت انا لله وانا اليه راجعون فوالله لآخذنا بثاره ان شاء الله تعالى ولما زحفت عساكر الاسلام الى أنطاكية لاجل خلاص ضرار سار معهم النساء اللاتي لهن أسرى وفي مقدمتهن خولة بنت الازور وهي تنشد قولها من المراثي المبكيات

أبعد أخي تلذ الغمض عيني * فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيق * أعز علي من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلا * لهان علي اذ هو غير هون
وكنت الى السلو أرى طريقا * وأعلق منه بالحبل المتين
وانا معشر من مات منا * فليس يموت موت المستكين
واني ان يقال مضى ضرار * لباكية بمنسجم هتون
وقالوا لم بكاك فقلت مهلا * أما أبكي وقد قطعوا وتيني

ولما أسر ضرار المرة الثالثة في وقعة دير المسيح من أرض البهنسا وسار المسيب ورافع وجماعتهما في طلبه تهللت فرحا وأسرعت في لبس سلاحها وأتت الى خالد تستأذنه في المسير معهما فقال لهما خالد أنتما تعلمان شجاعتها وبراعتها فخذاها معكما فقالا السمع والطاعة ثم ساروا حتى بلغوا منتصف الطريق وكمنوا قبل مرور القوم فبينما هم كامنون واذا بالقوم قد أتوا محدقين بضرار وهو متألم من كتافه وهو ينشد ويقول

ألا بلغوا قومي وخولة أنني * أسير رهين موثق اليد بالقيد
فيا قلب مت هما وحزنا وحسرة * ويا دمع عيني كن معينا على خدي
فلو أن أقوامي وخولة عندنا * لأنزلهم ما كنا عليه من العهد
ولو أنني فوق الجمل راكبا * وقائم حد العضب قد ملكت يدي
لاذللت جمع الروم اذ لال نقمة * وأسقيتهم وسط الوغى أعظم الكد

فنادته خولة من مكمنها قد أجاب الله دعاءك وقبل تضرعك أنا خولة ثم كبرت وحملت وكبر بقية العسكر وحملوا حتى خلصوا ضرارا من الاسر ووقائعها كثيرة وقد أبلت بلاء حسنا في فتوح الشام ومصر وعمرت

طويلا وكانت وفاتها فى أواخر خلافة عثمان بن عفان فعلى مثل هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة

﴿خولة ابنة منظور بن زبان﴾

كان والدها منظور مكث أربع سنوات فى بطن أمه ولذلك سمى منظورا وكانت أمها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى تحت زبان أبى منظور ولما توفى زبان خلف عليها منظور وكان ذلك قبل الاسلام ولما أسلم بقيت تحته الى خلافة عمر بن الخطاب ففرق بينهما وكانت مليكة ولدت له هشاما وعبد الجبار وخولة

وكانت خولة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال فتنت فيها شبان قريش وقد خطبها جملة من رجالهم وأبوها يردهم قولا منه انهم ليسوا كفؤا لها وبقيت على ذلك حتى تزوج طلحة بن عبيد الله مليكة والدة خولة بعد طلاقها من منظور بن زبان فزوج خولة من ولده محمد بن طلحة فولدت له ابراهيم وداود وأم القاسم ابنى محمد بن طلحة وكان أعرج وقتل محمد عنها يوم الجمل فتزوجها الحسن بن على بن أبى طالب وكان سبب زواجها به أنها حينما تكاثر عليها الخطاب بعد قتل زوجها محمد جعلت أمرها بيد الحسن بن على بن أبى طالب فتزوجها فبلغ منظور بن زبان ذلك فقال أمثلى يفتات عليه فى ابنته ثم قدم المدينة وركز راية فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق قيسى فى المدينة الا دخل تحتها فقيل لمنظور أين يذهب بك تزوجها الحسن بن على وليس مثله أحد فلم يقبل وبلغ الحسن ذلك فقال شأنك بها فأخذها وخرج بها فلما كانت بقباء جعلت خولة تندمه وتقول له الحسن بن على سيد شباب أهل الجنة فقال البثى ههنا فان كان للرجل فيك حاجة سيلحقنا ههنا فلحقها الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس فلما وصلوا قابلهم بما يليق بهم ثم أرجعها الى الحسن فتزوجها ورجعوا جميعا وفى ذلك يقول جبير العبسى

ان الندى فى بنى ذبيان قد علموا * والجود فى آل منظور بن سيار

والماطرين بأيديهم ندى ديما * وكل غيث من الوسمى مدرار

تزور جاراتهم وهنا قواضبهم * وما فتاهم لها سرا بزوار

ترضى قريش به صهرا لانفسهم * وهم رضا لبنى أخت وأصهار

وبقيت خولة تحت الحسن بن على حتى أسنت وقدمات عنها فكشفت قناعها وبرزت للرجال وصارت تجالسهم

قال معبد جئتها يوما أطالبها بحاجة فقالت غننى يا معبد فقلت لها أو بقى بالنفس شئ قالت النفس تشتهى كل شئ حتى تموت فغنيتها الحى فى شعر قاله بعض بنى فزارة وكان خطبها فلم ينكحها اياه أبوها وهو

قفا فى دار خولة فاسألاها * تقادم عهدها وهجرتماها

بعلال كأن المسك فيه * اذا هبت بأبطحه صباها

كأنك مزنة برقت بليل * لحران يضئ لها سناها

فلم تمطر عليه وجاوزته * وقد أشفى عليها أو رجاها

وما علا فؤادى فاعلميه * سلو النفس عنك ولا غناها

وترعى حيث شاءت من حمانا * وتمنعنا فلا نرعى حماها

فطربت خولة وقالت أيا عبد بنى قطن أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرة

وقيل انها تزوجت بعبد الله بن الزبير بعد وفاة الحسن وقد دخلت عليها النوار زوجة الفرزدق مستشفعة بها فشفعتها عند عبد الله وفي ذلك يقول الفرزدق

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

﴿الخيزران ابنة عطاء أم الهادي والرشيد﴾

كانت ذات جمال وبهاء وكمال اشتراها محمد أبو عبد الله المهدي بمائة ألف درهم واستحظى بها وقدمها على جميع نسائه لما لها من الادب واللطف وقد أخذت بقلبه مكانة عظمى وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد وقد تقدّمت في خلافة ولدها موسى الهادي حتى انها شاركته في الاحكام من كثرة تداخلها معه في أمور المملكة وكان كثير الطاعة لها مجيبا لما تسأله من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففي ذلك يقول أبو المعافي

يا خيزران هناك ثم هناك * ان العباد يسوسهم ابناك

وكانت يوما جالسة اذ دخلت عليها جارية من جواريها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ماهي عليه من سوء الحال غاية تستأذن في الدخول عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت أن تخبرني فالتفتت الخيزران الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكانت في مجلسها ما تقولين في أمرها قالت لها أدخليها فانه لابد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشئ فوقفت بجانب عضادتي الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت أنا مزنة بنت مروان بن محمد الاموي فقالت الخيزران لاحياك الله ولا قرب مزارك فالحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتيهن ما لا يسمعن قبل وأمرت فأخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة قهقهة حتى علا صوت ضحكها ثم قالت يا بنت العم أي شئ أعجبك من حسن صنع الله بي على العقوق حتى أردت أن تتأسي بي فيه والله اني فعلت بنسائك ما فعلت فأسلمني الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك بي ثم قالت السلام عليك ثم ولت مسرعة فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس في ذلك موضع مع الحالة التي أنا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت اليها فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ثم قالت الخيزران هل لك بالطعام قالت والله ما فيكن أحوج مني اليه فعجلوه فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى ان اكتفت ثم غسلن أيديهن وقالت لها الخيزران من وراءك ممن تعنين به قالت ما خارج هذه الدار من بيني وبينه نسب فقالت اذا كان الامر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولي لها جميع ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والكسوة ثم تركتها وخرجت عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها وفي أثناء ذلك وافى المهدي فسألها عن الخبر فحدثته حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا

وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على نعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها فوالله لولا محلك بقلبي لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وأبلغها مني السلام وقل لها والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور وسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنيعه وبالغت في الثناء على الخيزران وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة أنا في عداد حرمه ثم قامت الى منزلها وأقامت عند الخيزران الى أن قضى المهدي وأيام الهادي وصدر من أيام الرشيد وماتت في خلافة الرشيد وكان لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم فلما قضيت جزع عليها الرشيد والخدم جزعا شديدا وأخرجها بمشهد يليق بمثلها

وكلمت الخيزران ولدها الهادي ذات يوم في أمر فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لابد من اجابتي قال لا أفعل قالت فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال ويل لابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها لا قضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال اذا والله لا أبالي وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعي كلامي والله والا انفيت من قرابتي من رسول الله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو من خاصتي أو من خدمي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك أن تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمي فانصرفت وما تعقل ما تجيب فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها ثم انه قال لاصحابه أيما خير أنا أم أنتم وأمي أم أمهاتكم قالوا بل أنت وأمك خير قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال أم فلان فعلت وصنعت قالوا لا نحب قال فما بالكم تأتون منزل أمي فتتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها وبعد مدة من الزمن تناست هذه الحادثة فبعث الهادي بارزا الى الخيزران وقال لها قد استطبتها فكلي منها فقيل لها أمسكي حتى تنظري فجاؤا بكلب فأطعموه فسقط لحمه لوقته فأرسل اليها كيف رأيت الارز قالت طيبا قال ما أكلت منها ولو أكلت منها لاسترحت منك متى أفلح خليفة له أم

وكان سبب وفاة الهادي من قبل أمه الخيزران كانت أمرت الجواري بقتله للسبب عينه وقيل كان السبب في أمرها بذلك أن الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لما مرض وأمرتهن بقتله فقتلوه بالغم والجلوس على وجهه فمات فأرسلت الى يحيى ابن خالد تعلمه بموته وبعد ذلك بقيت معززة مكرمة عند الرشيد والمأمون الا أنها اقتصرت عن التداخل في الاحكام حتى أدركتها الوفاة في خلافة المأمون وأخرجت باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء رحمها الله تعالى

(حرف الدال)

﴿دارمية الحجونية﴾

كانت فصيحة اللسان بليغة البيان غير هيابة في المقال لا يسألها أحد سؤالا الا اجاوبته بأحسن جواب وأقنع خطاب قال أبو سهل التميمي لما حج معاوية سأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجونية يقال

لها دارمية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها فقال ماجاءبك يا ابنة حام فقالت لست بابنة حام أنا امرأة من بني كنانة وأنت طلبتني قال صدقت أتدرين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال بعثت اليك أسألك علام أحببت عليا وأبغضتني وواليته وعاديتني قالت أوتعفيني قال لا أعفيك قالت أما اذا أبيت فاني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر وطلبك ماليس لك به حق وواليت عليا على ماعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء وحبه المساكين واعظامه لاهل بيته وعاديتك على سفك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى قال فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك قالت ياهذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لابي سفيان وهند قال معاوية ياهذه اربعي فانا لم نقل الا خيرا انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها واذا عظم ثدياها تروى رضيعها واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فلما سمعت ذلك رجعت وسكن غضبها ثم قال لها ياهذه هل رأيت عليا قالت نعم رأيته قال فكيف رأيتيه قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك قال فهل سمعت كلامه قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ من الطست قال صدقت فهل لك من حاجة قالت أوتفعل اذا سألتك قال نعم قالت تعطيني مائة ناقة حمراء فيها جملها وراعيها قال ماذا تصنعين بها قالت أغذو بالبانها الصغار وأستحيي بها الكبار وأكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر قال فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب قالت سبحان الله أو دونه فأنشأ معاوية يقول

اذا لم أعد بالحلم مني عليكم * فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم

خذيها هنيأ واذكري فعل ماجد * جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال أما والله لو كان علي حيا ما أعطى منها شيأ قالت لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ثم أخذتها وانصرفت

﴿دختنوس ابنة لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي﴾

تزوجها عمرو بن عمرو بن عدس وكانت ابنة عمه وكان عمرو تزوجها بعدما أسن وكان أكثر قومه مالا وأعظمهم شرفا فلم تزل تولع به وتؤذيه وتسمعه مايكره وتهجوه حتى طلقها فتزوجها من بعده ابن عمها عمير ابن معبد بن زرارة وكانت دختنوس شاعرة لها شعر كثير منه هجو ومديح ورثاء وكانت ذات شجاعة عظيمة وحكمة غريبة ورأي صائب وكان أبوها لقيط يرجع الى رأيها ويأخذها في غزواته لكي تهديه الى الصواب عند الخطا

وكان أخذها معه في يوم شعب جبلة بينه وبين عامر وعبس وكان وجد في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفا فطلب منه الصحبة فأبى محتجا بالبحث عن ابل له فقال لا أدعك تذهب فتخبر بي القوم فحلف له أن لا يخبرهم ثم سار عنهم وهو مغضب فلما دنا منهم أخذ خرقة وصر فيها حنظلة وترابا وشوكا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فوصلت الى قيس بن زهير العبسي فقال هذا من صنع الله بنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد أن لا يكلمكم فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم وهم بنو حنظلة وصاحب بن زرارة وقبيلتان من اليمن وفي عشرة أيام يكونون عندكم فخذوا حذركم ولما عاد كرب بن صفوان قال له لقيط قد أنذرت القوم فأعاد الحلف أنه لم يكلم أحدا فأطلقه فقالت له

دختنوس ردني الى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لامحالة فاستحمقها وساء كلامها وردها وسار الى بني عامر وعبس وتحاربا وانكسر قومه وأبلى بلاء حسنا حتى انه الحرف بفرسه فهجم عليه عنترة فطعنه وعند ذلك تذكر ابنته دختنوس فقال

يا ليت شعري عنك دختنوس * اذا أتاك الخبر المرسوس
أتحلق القرون أم تميس * لا بل تميس انها عروس

فلما بلغها موته قالت ترثيه

ألا أيها الويلات ويلة من بكى * لضرب بني عبس لقيطا وقد قضى
لقد ضربوا وجها عليه مهابة * ولا تحفل الصم الجنادل من ثوى
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم * لقيطا ضربتم بالاسنة والقنا
عذرتم ولكن كنتم مثل ظبية * أضاءت لها القناص من جانب الثرا
فما ثأره فيكم ولكن ثأره * شريح أرادته الاسنة والقنا
فان تعقب الايام من فارس تكن * عليكم حريقا لا يرام اذا سما
ليجزيكم بالقتل قتلا مضعفا * وما في دماء الحمس يا مال من بوا

وقالت ترثيه أيضا

عثر الاغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها * في المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
يرعى عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن أحسابها
ويطأ مواطن للعدو وكان لا يمشي بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدري في * سماء لا يخفى بها
عبث الاغر به وكل منية لكتابها
فرت بنو أسد فرا * ر الطير عن أربابها
وهوازن أصحابهم * كالفأر في أذنابها

ولها مراث كثيرة لم نعثر الا على هذه منها

﴿دلوكة بنت زباء ملكة من ملوك القبط الاولين بمصر﴾

كانت أول امرأة ملكت بعد هلاك فرعون وجنوده في البحر وكان ملكها عشرين سنة وعملت أعمالا عظيمة أشهرها الجدار المعروف بحائط العجوز قالوا عنه انه أحد العجائب العشرين التي بمصر يحيط بمصر شرقا وغربا من العريش الى أسوان ويقال له جدار العجوز أيضا وسبب بناء هذا الحائط على ما قيل ان مصر لما خلت من الاشراف والابطال بعد غرق فرعون وجنوده بالبحر الاحمر اجتمعت النساء وملكن

عليهن دلوكة وكانت ذات شرف وحكمة ودراية وكان عمرها مائة وستين سنة فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس فبنت هذا الحائط وأحاطت به جميع أرض مصر المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه المسالح والمحارس على كل ثلاثة أميال مجرس ومسلحة أي محل للسلاح والمحارس صفان على كل ميل وجعلت في كل مجرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فيأتيهم الخبر بأي وجه كان في ساعة واحدة فينظرون في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر على ما قيل وقيل انها بنته خوفا على ولدها لانه كان كثير القنص فخافت عليه من سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها قال المقريزي وقد بقي من حائط العجوز بقايا كثيرة في بلاد الصعيد وهو مبني من اللبن الكبار

دليلة الفلسطينية

امرأة فلسطينية من وادي سوريق أحبها شمشون فعرف أقطاب الفلسطينيين بحبه لها وقالوا لها انظري بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه حتى نوقعه أو نقهره ونحن ندفع اليك كل منا ألفا ومائة درهم من الفضة فقالت لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لتقهر فقال لها اذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف بعد فاني أضعف وأصير كواحد من الناس فدفعوها اليها فشدته بها والكمين رابض عندها في المخدع ثم قالت له قد دهمك الفلسطينيون فقطع الاوتار كما يقطع خيط المشاقة اذا أشيط فقالت له لقد خدعتني فأخبرني بماذا توثق فقال ان أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل قط فاني أضعف وأصير كواحد من الناس ففعلت كما فعلت في المرة الاولى فقطع الحبال كالخيط فكررت السؤال فقال لها اذا ضفرت سبع خصل من شعر رأسي وربطتها كالوتد فاني أصير كباقي الرجال فأخذت منه سبع خصل مع السدى فمكنتها بالوتد وقالت له قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ من نومه وقلع الوتد والنسيج والسدى فعاتبته على مخادعتها وكانت تضايقه كل يوم بكلامها وتضاجره حتى تاقت نفسه الى الموت فأطلعها على ما في قلبه وقال لها لم يعل رأسي موسى لاني ناسك لله من بطن أمي فان حلقت رأسي فارقتني قوتي ورأت دليلة أنه قد كاشفها بكل ما في قلبه فأرسلت ودعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فأضجعته على ركبتيها ودعت رجلا لحلق سبع خصل رأسه ثم قالت له قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ ووجد أن قوته قد فارقته فقبضوا عليه وتلقبت دليلة بالمحتالة لاحتيالها على شمشون كما مر وخبرها في سفر القضاة الاصحاح السادس عشر من التوراة

دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي

كانت جارية صفراء من مولدات المدينة كان مولاها قد أدبها وخرجها في الادب والشعر والغناء حتى صارت أدرى الناس بالغناء القديم وأكمل الجواري آدابا وأكثرهن رواية للغناء والشعر وأحسنهن

وجهاوأظرفهن عشرة فلما رآها خالد بن يحيى البرمكي شغف بها واشتراها وكان الرشيد يسير الى منزله ويسمعها حتى ألفها واشتد عجبه بها فكان أكثر مسيره الى مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط حتى انه وهبها في ليلة عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار وعلمت زبيدة بحاله فشكته الى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك فقال مالي في الجارية أرب في نفسها وانما أربي في غنائها فاسمعوها فان استحقت أن يؤلف غناؤها والا فقولوا ماشئتم فأقاموا عنده ونقلهم الى يحيى فلما سمعوها عذروه وعادوا الى زبيدة وأشاروا عليها أن لا تلح في أمرها فقبلت ذلك وأهدت الى الرشيد عشر جوار وكان اعتماد دنانير في غنائها على ما أخذته من بذل المغنية وهي التي خرجتها وأخذت أيضا من الاكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل فليح وابراهيم الموصلي وابن جامع واسحق ونظرائهم ولها كتاب مجرد في الاغاني مشهور وكانت تناظر ابن جامع وأمثاله فتغلبهم وقيل انها عملت يوما صوتا أعجب به مولاها يحيى جدا وأتى الى ابراهيم الموصلي وطلب اليه أن يسمعه منها لينظر هل هو كما وقع في نفسه فأتى ابراهيم وغنت دنانير الصوت فطرب له ابراهيم واستعاده منها ثلاث مرات لعله يجد موضوعا فيه قابلا للاصلاح يصلحه فينسب اليه فلم يجد وقال بعضهم انها كانت تغني غناء ابراهيم فتحكيه حتى لا يكون بينهما فرق وكان ابراهيم يقول ليحيى متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني وقامت دنانير عند البرامكة دهرا طويلا لم تخرج من عندهم ولا كفرت نعمة مولاها وشغف بها عقيل مولى صالح بن الرشيد فخطبها فردته فاستشفع عليها مولاها صالحا وابن محرز وغيرهما فلم تجبه فكتب اليها

يادنانير قد تنكر عقلي * وتحيرت بين وعد ومطل
شغفي شافعي اليك والا * فاقتليني ان كنت تهوين قتلي
ما أحب الحياة يا أخت ان لم * يجمع الله عاجلا بك شملي

فكان كالكاتب على صفحات الماء ومات ولم يجد لعلته من دواء وأقامت على الوفاء لمولاها وأصابتها علة الجوع الكلبي وهي عند البرامكة فكانت لا تصبر عن الاكل ساعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لانها كانت لا تصومه وحكى أن الرشيد دعا بها بعد نكبة البرامكة وأمرها أن تغني فقالت يا أمير المؤمنين آليت أن لا أغني بعد سيدي أبدا فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحر بكاء وغنت صوتا يفتت الجلود حزنا فرق لها الرشيد وأمر باطلاقها فانصرفت

دهيا ابنة ثابت بن تيفان

وقومها جراوة من زناتة كانت تلقب بالكاهنة ملكة البربر في جبل أوراس قال ابن خلدون وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم فملكت ٣٥ سنة وعاشت ١٢٧ سنة وكان قتل عقبة بن نافع باغرائها وكان المسلمون يعرفون ذلك منها قيل وكان مذهبها ومذهب قومها وقبائل نفوسة اليهودية وكانت تدعى خطاب الشياطين فلما انقضى أمر البربر وقتل كسيلة رئيس أوراس عندما غزاهم العرب انضم برابرة أوراس ومن جاورهم الى دهيا هذه لما كان لها من السيادة والسلطة والدهاء فلما غزا أفريقيا حسان بن النعمان الغساني من قبل عبد الملك بن مروان استولى على قيروان وقرطجنة

ثم سار الى الكاهنة وحاربها عند نهر مسكيني على مرحلة من باغاية ومحانة فانكسر المسلمون أمامها وقتلت منهم جما غفيرا وأسرت جماعة منهم خالد بن يزيد القيسي فأطلقتهم جميعا ما عدا خالد بن يزيد أبقته عندها واتخذته لها ولدا لشجاعته وشرفه ففارق حسان افريقيا وكتب الى عبد الملك أن يمده بالجيوش وأقام بعمل برقة خمس سنوات ينتظر ورود الافادة وفي هذه المدة ملكت دهيا افريقيا كلها وبعد الخمس سنوات سير عبد الملك الى حسان الجنود والاموال وأمره أن يناجز دهيا الكاهنة فأرسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد فكتب اليه خالد يعرفه تفرق البربر بظلم الكاهنة ويأمره بالسرعة فسار حسان وعلمت الكاهنة فقالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن أخرب افريقيا حتى ييأسوا منها ثم فرقت أصحابها ليخربوا البلاد وهدموا الحصون ونهبوا الاموال فلما قرب حسان من البلاد لقيه جم من أهلها من الروم يشكون اليه ظلم الكاهنة فسار الى قابس فلقيه أهلها بالاموال والطاعة فجعل فيها عاملا فسار الى قفصة فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلة ونفذ أمره وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت ولديها وخالد بن يزيد وقالت لهم اني مقتولة هذه المرة فامضوا الى حسان وخذوا الامان لكم منه فسار وا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وأدركت الكاهنة فقتلت ثم استأمن البربر الى حسان فأمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفا فأجابوا فجعل على هذا العسكر أحد ابني الكاهنة المذكورين

﴿ديدون ابنة الملك بقلوس﴾

هي ملكة سوروز وجة سيتيه كاهن هركليس الذي كان أغنى الفينيقيين على بكرة أبيهم وأجملهم خلقا وخلقا ثار أخوها بكاليون بزوجها فقتله طمعا في استلاب كنوزه فجزعت عليه ديدون جزعا عظيما ولم تطق بعده المكث في صور ففرت مع أخيها برقا وقوم ممن تغيروا على أخيها زاعمة أن زوجها المقتول قد أمرها بالرؤيا أن تبارح صور وكانت قد نقلت خفية الى محل اسمه كرنا واقع بين صور وروصيدا قسما جليلا من أمتعتها وثروتها فركبت من هنالك سائرة الى شمال فينيقيه فعاجت بسيرها لجزيرة قبرص وكان يوم عيد فرأت على الشاطئ ربربا من أجمل بنات الجزيرة مجتمعات هنالك للهو والمرح فاختطف رجالها منهن وأقلعوا حتى اذا بلغوا سواحل زوجيتا تجاه جزيرة صقلية استأذنت ديدون ملكها ابرياس في بناء قلعة فأذن لها على شريطة أن تبذل له خراجا فرضيت وبنت هنالك قلعة بصرة ومعناه حصن باللغة الفينيقية فحرفه اليونان في لغتهم فسموه بارسا أي جلد الثور ثم اشترت من ملك موريطانيا أرضا أنشأت فيها مدينة قرطاجنة الافريقية وذلك سنة ٨٦٠ قبل المسيح وكان ابارياس قد شغف بها حبا فخطبها من نفسها ولما لم تسعها المخالفة حرصا على حياة قومها وكانت مرتبطة مع زوجها المقتول بقسم أن لا تستبدله بآخر طلبت مهلة ثلاثة أشهر لكي تستعد للزفاف عليه فلباها ولكنها في نهاية المدة المذكورة علت رابية هنالك وطعنت نفسها بخنجر فماتت فكانت سيرتها موضوعا جميلا لكتبة الافرنج يبنون عليها رواياتهم المفجعة وقد عثر المتأخرون على تمثال لديدون منحوت بيد كيرين الشهير قيل انه محفوظ الآن بدار الآثار في لندن

(حرف الذال)

ذات الخال

هي في الاصل لقرين مولى العباسة بنت المهدي ويكنى بأبي الخطاب وكان يعشقها ابراهيم الموصلي وله فيها أشعار كثيرة منها قوله

مابال شمس أبي الخطاب قد حجبت * ياصاحبيّ لعل الساعة اقتربت
أولا فما بال ريح كنت آنسها * عادت على بصريّ بعد ماجنبت
اليك أشكو أبا الخطاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
وأنت فيها فانظر لعاشقها * ياليتها قربت مني ومابعدت

ومازال يقول فيها الشعر ويغني فيه حتى شهرها بشعره وغنائه وبلغ الرشيد خبرها فاشتراها بسبعين ألف درهم

ودعت الرشيد يوما فوعدها أن يصير اليها وخرج يريدها فاعترضته جارية أخرى فسألته أن يدخل اليها فدخل وأقام عندها فشق ذلك على ذات الخال وقالت والله لاطلبن له شيأ أغيظه به وكانت من أحسن النساء وجها ولها خال على خدها فقطعته وبلغ ذلك الرشيد فشق عليه وبلغ منه فخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع أنظر من بالباب من الشعراء فقال رأيت الآن الاحنف فقال أدخله فعرفه الرشيد الخبر وقال اعمل في هذا شيأ على معنى رسمه له فقال

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة * وملت الى من لايغيره حال
فان يك قطع الخال لما تعطفت * على غيرها نفسي فقد ظلم الخال

فنهض الرشيد الى ذات الخال مسرعا مسترضيا وجعل لها هذين البيتين سببا وأمر للعباس بالفي دينار وأمر ابراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر

وغضب الرشيد عليها يوما وقال في مجلسه أيكم يأخذ ذات الخال حتى أهبها له فبكر حمويه الوصيف فقال أنا يا أمير المؤمنين فوهبها له فقال ابراهيم

أتحسب ذات الخال راجية ربا * وقد سلبت قلبا يهيم بها حبا
وماعذرها نفسي فداها ولم تدع * على أعظمي لحما ولم تبق لي لبا

ثم اشتاقها بعد ذلك الرشيد فقال لحمويه ويلك ياحمويه وهبناك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك قال يا أمير المؤمنين مر فيها بأمرك قال نحن عندك غدا فمضى فاستعد لذلك واستأجر لها من بعض الجوهريين زينة وعقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار فأخرجها الى الرشيد وهو عليها فلما رآه أنكره فقال ويلك ياحمويه من أين لك هذا وماوليتك عملا تكسب فيه مثله ولاوصل اليك مني هذا القدر فصدقه عن أمره فبعث الرشيد الى أصحاب الجوهر فاحضرت واشترى الجوهر منهم ووهبه لها ثم حلف أن لاتسأله في يومه ذلك حاجة الاقضاها فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ففعل ذلك وكتب له عهده به وشرط على ولي عهده أن يتمها له ان لم تتم في حياته ومضوا يومهم في أحسن مايكون ومن قول ابراهيم فيها

أبدا ذات الخال ياثعلب * قول امرئ في الحب لايكذب

اني أقول الحق فاستيقني * كل امرئ في حبه يلعب

وقال فيها أيضا

جزى الله خيرا من كلفت بحبه * وليس به الا المموه من حبي
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة * فما بال ذات الخال قاسية القلب
وقالوا لها هذا محبك معرضا * فقالت أرى اعراضه أيسر الخطب
فما هو الا نظرة بتبسم * فتنشب رجلاه ويسقط للجنب

وقال فيها أيضا ولكن فلنذكر السبب وهو أن ابراهيم الموصلي لعب الشطرنج يوما مع ابن زيدان صاحب البرامكة فدخل عليهما اسحق فقال أبوه ما أفدت اليوم فقال أعظم فائدة رجل سألني ما أفخم كلمة في الفم فقلت لا اله الا الله فقال أبوه ابراهيم أخطأت هلا قلت دنيا ودينا فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس ابراهيم وقال يا زنديق أتكفر بحضرتي فأمر ابراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا فانصرف من ساعته الى جعفر بن يحيى وحدثه الخبر وعلم ابراهيم أنه قد أخطأ وجنى فركب الى الفضل بن يحيى فاستجار به فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول

ان لم يكن حب ذات الخال عناني * اذا خولت في مسك ابن زيدان
فان هذى يمين ما حلفت بها * الا على الصدق في سري واعلاني

﴿ذبية بنت ثبية الفهمية﴾

كانت من أحسن نساء بني فهم حسبا وأعرقهن نسبا وأكثرهن أدبا وأبهاهن جمالا وألطفهن كمالا لها أشعار لطيفة ورثاء مقبول منها قولها ترثي قومها كانوا قتلوا بصورة وهو مكان بأراضي مكة

ألا ان يوم الشر يوم بصورة * ويوم فناء الدمع لو كان فانيا
لعمري لقد أبكت فريم وأوجعوا * بجرعة بطن القيل من كان باكيا
قتلتم نجوما لا يحول ضيفهم * ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا
عماد سمائي أصبحت قد تهدمت * فخري سمائي لا أرى لك بانيا

﴿ذؤابة امرأة رباح القيسي﴾

كانت رضي الله عنها تقوم الليل كله وكانت اذا مضى الربع الاول تقول له قم يا رباح للصلاة فلا يقوم فتقوم ثم تأتيه وتقول له قم يا رباح فلم يقم فتقوم الربع الآخر ثم تأتيه وتقول قم يا رباح فلا يقوم فتقوم الربع الآخر الى تمام الليل ثم تأتيه وتقول قم يا رباح قد مضى عسكر الليل وأنت نائم فليت شعري من غرني بك يا رباح ما أنت الاجبار عنيد وكانت تأخذ تبنة من الارض وتقول والله للدنيا أهون علي من هذه وكانت اذا صلت العشاء تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها ألك حاجة فان قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت الى الفجر رضي الله عنها

حرف الراء

﴿راحاب الاسرائيلية﴾

امرأة مشهورة من أريحا قبلت في بيتها الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع ليجسا الارض وأخبأتهما عن

أبناء بلدتها وأنقذتهما بحيلة كما هو مذكور في الاصحاح الثاني من سفر يشوع غير مطيعة لامر الملك فكوفئت على ذلك بانقاذها هي وكل عائلتها عندما فتح الاسرائيليون المدينة ومن الاتفاق أن بيتها كان مبنيا على السور فأمرها الجاسوسان أن تربط خيطا من القرمز بالطاق فيكون علامة لهم على بيتها ثم سارت فيما بعد زوجة لسلمون وجدة للمسيح وقصتها مع الجاسوسين الى غير ذلك مع أخبارها مذكورة في الاصحاح الثاني والسادس من سفر يشوع وذكرت أيضا في انجيل متى والرسالة الى العبرانيين ورسالة يعقوب الرسول

﴿راحيل ابنة لابان﴾

هي زوجة يعقوب وأم يوسف وبنيامين قصتها وردت في الاصحاح تسعة وعشرين الى الاصحاح ثلاثة وثلاثين وفي الاصحاح خمسة وثلاثين من سفر التكوين وما جرى بينها وبين يعقوب هو من الامور التي تلذ مطالعتها فان جمالها والحب الشديد الذي كان ليعقوب نحوها من حين التقيا أولا على بئر حاران حين قابلها على عادة أهل البادية وأخبرها بانه ابن رفقة والخدمة المستطيلة التي خدم بها اباها بصبر حتى كانت السبع سنين عنده كأنها أيام قليلة صبابها واتخاذه اياها زوجة أخيرا عوض أختها البتة وموتها عند ولادتها ابنا ثانيا كل ذلك مما يزيد قصتها اعتبارا ولذة ولما توفيت دفنت على طريق افراته أي بيت لحم وأقام يعقوب نصبا على قبرها وهو أول نصب على قبر مذكور في التاريخ لان أهالي تلك الازمان كانت عادتهم الى ذلك الوقت أن يتخذوا المقابر مدافن لهم وكان موقع قبرها معروفا في أيام صموئيل وشاول كما يستفاد من العدد الثاني من الاصحاح العاشر من سفر صموئيل الاول وقد وصفها أرميا النبي بعبارات مؤثرة جدا راحيل المدفونة تبكي على فقد بنيها وذلك لان جماهير المسبيين الذين سيقوا الى بابل اجتاز وا بالقرب من قبرها وقد أشار الى ذلك متى الانجيلي عند قتل هيروس الاطفال في بيت لحم وأما موقع الرامة الوارد ذكرها هنالك فهو من المسائل الواقعة تحت البحث عند جغرافيي فلسطين ولكن موقع قبر راحيل على طريق بيت لحم بعيدا قليلا عن افراتة في تخم بنيامين لم يقع فيه اختلاف وهو على بعد نحو ميلين الى الجنوب من أورشليم ونحو ميل الى الشمال من بيت لحم وهو من الاماكن التي يزورها اليهود والمسلمون والمسيحيون تبركا به وزاره السائح متدريل سنة ١٦٩٧ ووصفه الدكتور روبنصن وصفا يتضمن ملخصه ما وصفه به السائحون الشرقيون قال هو مزار اسلامي أو مدفن شخص مقدس حقير مربع مبني بالحجارة وله قبة وداخله قبر أشبه بقبور المسلمين المألوفة وكله مطين بالطين من خارج ومنظر البناء لا يدل على انه قديم وفي القرن السابع لم يكن هنالك الا شبه هرم من الحجارة وأما الآن فهو مهمل وأخذ في السقوط على أن السائحين من اليهود لا يزالون يزورونه وجدرانه مغطاة بأسماء من عدة لغات وكثير منها عبراني واتفاق العموم على أن ذلك المقام هو قبر راحيل لا سبيل الى الاعتراض عليه لان ما ورد في الكتاب المقدس يعضده من كل وجه وقد ذكره أيضا كثيرون من السائحين منذ سنة ٣٣٣ للميلاد وذلك ايروتيموس وغيره في ذلك العصر

﴿رادغنده ابنة برتير ملك تورنجه﴾

ملكة فرنسوية ولدت سنة ٥٢١ فلما قام أخوها هرمنفرو على أبيه وقتله واختلس الملك نهض عليه سيري

وكاوتبرا الاول ملك فرنسا وسلباه اياه الملك واقتسماه بينهما فوقعت رادغنده في حصة كاوتير وكانت قد تربت على الوثنية وكان عمرها حينئذ عشر سنوات فأدخلها كاوتير في المذهب المسيحي حتى اذا تهذبت وترعرعت تزوجها سنة ٥٣٨ وألبست تاج الملك في سواسون وكان لها ميل شديد الى العيشة الرهبانية فلم تمض ست سنوات حتى استأذنت الملك في الاعتزال الى بعض الاديرة فسمح لها ولم يكن له منها ولد وأقطعها أرضا تعيش فيها اذا أرادت فأتت أولا الى بواتيه ثم انتقلت سنة ٥٤٤ لما اقطعها فاشتهرت في اكوتينيا بفضيلتها وتقواها حتى تقاطر اليها الناس وأشهر الاساقفة وفي سنة ٥٥٩ أنشأت ديرا في بواتيه على اسم الصليب وذلك لان الامبراطور يوتينوس كان قد أهدى اليها هدية من جملتها قطعة من خشبة الصليب ثم بنت كنيسة على اسم العذراء وأقامت تمارس الفضائل وأعمال القداسة والتقشف والزهد الى أن توفيت في ١٣ آب (أغسطس) سنة ٥٨٧ ودفنت تحت الخورس في الكنيسة التي بنتها ونسب اليها فعل عجائب كثيرة ونقلت جثتها الى ديجون عند اكتساح العرب اكوتينيا في القرن الثامن ثم أعيدت الى بواتيه بعد مدة طويلة وقيل لما فتح قبرها سنة ١٤١٢ كان جسدها باقيا لم يبل وبقي هناك الى سنة ١٥٦٢ ثم تلاشي وتفرقت أجزاؤه في الحروب الدينية ولها عيد في ١٣ آب المذكور وكتب كثيرون من الآباء سيرتها ونظموا على اسمها قطعا كثيرة للترتيل وحفظت من خط يدها رسالة بعثت بها قبل موتها بقليل الى كل أساقفة فرنسا عنوانها وصية رادغنده

﴿راد كليف مؤلفة انكليزية﴾

ولدت في لندن سنة ١٧٦٤ وتوفيت سنة ١٨٢٣ وتزوجت رجلا من اكسفرد صاحب جريدة واشتغلت في تصنيف قصص على طرز جديد فاشتهرت في وقت قليل بحذقها في الانشاء وحسن أساليبها وكان مدار مواضيع هذه القصص بث انفعالات شديدة في النفس كالرعب والهول وغوامض الاسرار والامور العجيبة فالذي يقرؤها يتوهم نفسه محاطا بالخيالات والاشباح الوهمية والارواح الجهنمية أو السماوية ثم يظهر سرها وينكشف أمرها في آخر القصة فتنطبق على أسباب طبيعية وقيل انها هي نفسها كانت تتخيل مثل هذه الخيالات المطبوعة في مخيلتها أفضى بها الامر الى اختلال عقلها في أواخر حياتها ولما شاعت قصصها وتطلبها الناس برغبة صار بعض الكتبة ينشر قصصه تحت اسمها من قلمه واذ لم ترهذه القصص المزورة لائقة بها انقطعت عن التصنيف ولم تكتب منذ ظهورها شيأ ويقال ان القصة التي عنوانها أسرار أودلف اشتراها منها صاحب المطبعة بمبلغ ٢٥ ألف فرنك وترجمت كل قصصها الى الفرنساوية

﴿راعوث امرأة موابيه﴾

كانت أولا زوجة لمحلون وبعد وفاته تزوجت ببوعز فولد له منها عوبيد جد داود النبي وهي واحدة النساء الاربع اللواتي ذكرهن القديس متى في سلسلة ميلاد المسيح والثلاث الاخر هن تاماء وراحاب وزوجة أوريا وما جرى لراعوث مذكور بطريقة لطيفة في السفر المنسوب اليها وملخصه أنه حدث جوع شديد في أرض يهوذا ربما نشأ من حلول المواتين تلك الارض في أيام عجلون فالتجأ اليملك من أهالي بيت لحم افراته أن يهاجر الى أرض مواب هو وزوجته نعمي وابناه محلون وكليون وبعد مضي عشر سنين ترملت نعمي ومات ولداها وسمعت أنه قد زالت المجاعة من أرض يهوذا فرجعت راعوث وكنتها معها الا انها كانت تحبها

جـدا وتحب ديانتها فوصلت الى بيت لحم فى أيام حصاد الشعير فذهبت راعوث لتلتقط شعيرا للقيام بأمر حماتها واتفق أنها أتت حقل بوعز وكان رجلا غنيا وقريبا لحميها اليملك وكان القوم قد بلغهم ما كان من صنيعها مع حماتها وأمانتها لها وتفضيلها الارض بعلها على وطنها فأحسن بوعز معاملتها وأعطاها ما التقطته ثم اتخذها له زوجة فرزق منها أولادا كان من سلالتهم المسيح واذ كانت راعوث جدة نبى الله داود يستنتج أنها كانت فى أواخر حبرية عالى أو أول حبرية صموائيل ومن أراد تفاصيل قصتها فليراجعها فى سفر راعوث

﴿راحيل الممثلة الشهيرة﴾

ولدت هذه الشهيرة فى الرابع والعشرين من شهر مارث سنة ١٨٢١ فى قرية منف من أعمال سويسرا وكان أبوها يهوديا يحمل البضاعة ويطوف بها على البيوت وكان اسمها فى الصغر أليا ثم دعيت راحيل بعد أن صارت مشخصة وكان لها أخ وأربع أخوات صاروا جميعهم مشخصين وانتقلت هذه العائلة من سويسرا الى جرمانيا ثم جاءت فرنسا فاستوطنت أولا ليون ثم انتقلت الى باريس وكانت راحيل وأختها سارة تغنيان فى القهاوى والازقة وكان الناس يتصدقون عليهما واتفق يوما أن رآهما أحد المحسنين فعجب بهما وبالاخص براحيل وسألها قائلا من علمك الغناء فأجابته قد تعلمته بنفسى فقال لها وأين سمعت هذه الاغنية فأجابت قد سمعتها وأنا فى الشوارع أمام الشبابيك فحفظت منها ما أمكن حفظه فأعطاها بعض الشباب وصرفها ومن ذلك الوقت لم تعد تظهر فى الشوارع وظهرت راحيل أول مرة فى المرسح الفرنساوى فى ١٢ يونيو سنة ١٨٣٨ ولم يكن فى المرسح سوى أربعة أو خمسة أشخاص على الكراسى وبعض اليهود فى أعلى التياترو وهؤلاء كانوا قد أتوا ليسمعوا ابنة ملتهم وقد وصف الدكتور فرون تلك الليلة بقوله ذهبت ذات يوم مساء للتنزه وكان الوقت حارا قليلا شأن أيام الصيف عند نافدخلت المرسح الفرنساوى واذا فى محل التمثيل فتاة جديدة وقد رأيت على وجه هذه الفتاة ملامح الحذق والذكاء حتى ان كل لفظة منها كانت تأتى بمعنى جديد الى أن قال وما اخال أحدا من القراء يجهل هذه الفتاة التى ملأ ذكرها الاسماع ألا وهى راحيل الممثلة الشهيرة ولم يأت آخر أغوسطوس من تلك السنة حتى ملأ صيتها باريس وأطنب بمدحها كثيرون من أرباب الاقلام من جملتهم جول جانن الشهير وفى مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر توجت ملكة التمثيل وأشغلت الناس عن سواها من ممثلات تلك الايام واعتبرها الشعب الفرنسوى غاية الاعتبار فكانت واسطة عقد جمعياتهم وزهرتها وكانت الدعوات تأتى اليها من كل صوب حتى انها كتبت الى أحد أصدقائها تقول لا يمكن للانسان أن يأخذ حريته فى معيشته اذا كان ممثلا مشهورا لدى الشعب الفرنسوى وكانت الوزراء تتردد على التياترو لسماعها والملك لويس فيليب أتى التياترو مرات عديدة اكراما لها وذلك خلاف عادته ولم ينسها النجاح أهلها بل كانت تودهم كثيرا وكتاباتها لهم مملوأة من المحبة والحنو وكانت تود أصحابها القدماء كثيرا وبلغها ذات يوم وفاة أحدهم فأرسلت الى عائلته مبلغا هائلا من المال وقد أحيت بتمثيلها العوائد والمناظر الرومانية واليونانية التى كان قد مضى عليها مدة طويلة فى زوايا النسيان وقد وصفها اسكندر دوماس الراوى الشهير بأنها ذات سلطان قوى على عقول السامعين فتؤثر فيهم حركاتها ونظراتها وصوتها الشجى حتى كانوا يملون من الفترة بين الفصول وذهبت راحيل سنة ١٨٤٠ الى انكلترا فأطنبت الجرائد بمدحها ومنها جريدة التيمس التى قالت ان تأثيرها فى العقول ابتدأ من أول

عبارة لفظتها وذكر أحد الذين حضروا هناك أنها كانت تظهر أمامهم بجميع المظاهر وتبين لهم القلب البشرى بكل أوصافه فكانت تظهر تارة بزى القتلة فتبدو على وجهها علامات الغضب والشر حتى لا يشك الناظر أنها قاتلة ثم تمثل دورا لطيفا فتغلب عليها طبيعة النساء وتظهر من الرقة واللطف ما يخلب الالباب وهكذا كانت تتلاعب بالحاضرين كانهم آلة فى يدها ومما يدل على ثباتها وعزمها ما أظهرته فى تمثيل رواية بايزيد فانها مثلتها أول مرة فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٣٨ ولم تنجح فعادت بالفشل وفى اليوم الثانى نشرت الجرائد الخبر فى المدينة كلها وقام الانتقاد عليها من كل صقع وناد ولما رأت ذلك سارت الى صديقها جانن الذى مر ذكره لعلها تلطف حكمه عليها ولو قليلا فقابلها بلطف وبين لها غلطها ونصحها أن لا تقدم على تمثيل هذه الرواية مرة أخرى فقالت له انى سأمثل هذه الرواية بعد رغمها عن كل أهل باريس ومثلتها كما قالت فنجحت النجاح التام حتى أذهلت الحاضرين وكان الفرد ميست من جملة المشهورين لها فانه كان يمدحها فى الجرائد ويحث الناس على الاخذ بيدها وتنشيطها حكى انه صادفها ذات ليلة خارجة من التياترو الفرنساوى فدعته مع بعض الاصدقاء الى العشاء قال لما وصلوا الى البيت نظرت الى يديها فرأت أنها نسيت أساورها وخواتمها فى التياترو فأرسلت خادمتها تجىء بها اليها ولما لم يكن فى بيت أبيها غير هذه الخادمة قامت هى بنفسها وذهبت الى المطبخ ثم عادت بعد ربع ساعة ووضعت أمامها صحنا من المرق وبعض اللحم المشوى وطلبت الينا أن نأكل من الصحون الكبيرة اذ كانت الصحون الصغيرة فى الخزانة والمفتاح مع الخادمة وكانت وهى على العشاء تحدثنا عن حالتها الاولى وما كان أبوها عليه من الفقر وكانت والدتها وأخواتها ينظرون اليها شزرا ويشيرون اليها بأن تسكت أما هى فأجابتهم أنه لا عيب فى الفقر بل انها تفتخر بأنها نشأت من حال كهذه ووصلت الى ما وصلت اليه بجدها وبعد العشاء ذهب وبقيت أنا وحدى فأخذت تقرا لى أشعار راسين وقد رأيت أنها تفهمها جيدا ودامت كذلك حتى مضى نصف الليل ورجع أبوها فلما رآها انتهرها وأمرها بأن تنام حالا فقامت والدموع مل عينيها وسمعتها تقول وهى ذاهبة سأشترى قنديلا وأضعه فى غرفتى الخصوصية حتى لا يمنعنى أحد من المطالعة فذهبت متعجبا من اجتهادها وثباتها وذكر فى موضع آخر أنه تغدى عندها ذات يوم وكان على الغداء عدة من الاصحاب فنظر أحدهم الى يدها وقال لها ما أجمل خاتمك فقالت له اذا كان قد أعجبك فسأضعه تحت المزايدة فدفع أحد الحضور خمسمائة فرنك ودفع الآخر ألفا وهكذا حتى بلغ ثلاثة آلاف ثم التفتت الى وقالت لى وأنت كم تدفع فأجبتها انى أدفع محبتى فرمت بالخاتم الى وطلبت منى اتمام وعدى بنظم دور كانت طلبته منى وذهبت راحيل الى انكلترا مرة ثانية سنة ١٨٥٥ فشخصت فى قصر الملكة فأنعمت عليها الملكة بسوار قد كتبت عليه بالالماس الى راحيل من الملكة فيكتوريا وأرسل اليها دوق ولنتون رسالة يقول فيها انى أرسل احتراماتى الى المادام وازل راحيل وقد استأجرت لوجا فى التياترو حتى أتمكن من حضور تمثيلها وذهبت سنة ١٨٥٥ الى أميركا ولكنها لم تنجح لان الاميركان لا يهتمون كثيرا بالروايات الفرنساوية لانهم لا يفهمونها واشتد عليها مرض الصدر فى نيويورك فرجعت الى فرنسا وأشار الاطباء عليها بالقدوم الى مصر فأتت اليها ولكنها لم تستفد كثيرا فيها الا انها شعرت بنفسها أنها وحيدة بعيدة عن أصدقائها حتى انها كتبت الى فرنسا تقول انى سأموت من الوحدة لا من فعل المرض لانى لا أرى حولى سوى خرائب الهياكل وأنقاض الابنية

ورجعت الى فرنسا وزارت الملاعب التى كانت تمثل فيها وتوفيت فى الثالث من يناير سنة ١٨٥٨ والاجماع على أنها ملكت زمام التمثيل فانقاد لها طوعا ومع ما كانت من أمرها فقد أظهرت فى عملها من الثبات والعزم رغما عن ضيق ذات اليد ماتقصر عنه همم الرجال وقد قالت مرارا عديدة انى اتخذت الصبر والثبات دستورا بمعونة الله فوصلت الى ماوصلت اليه

﴿رابعة الشامية﴾

هى زوجة أحمد بن أبى الحوارى كانت من العابدات الزاهدات وكان فضلها لايقدر وكراماتها لاتنكر قال أحمد بن أبى الحوارى كانت رابعة لها أحوال شتى فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها فى حال الحب تقول

حبيب ليس يعدله حبيب * وما لسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى * ولكن عن فؤادى مايغيب

وسمعتها فى حال الانس تقول

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وسمعتها فى الخوف تقول

وزادى قليل ما أراه مبلغى * أللزاد أبكى أم لطول مسافتى
أتحرقنى بالنار ياغاية المنى * فأين رجائى فيك أين مخافتى

قال فقلت لها مرة وقد قامت بليل مارأينا من يقوم الليل كله غيرك قالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا انما أقوم اذا نوديت قال فجلست على المائدة فى وقت قيامها فجعلت تذكرنى فقلت لها دعينا نتهنا بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن ينغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة وقالت لست أحبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان وقالت لزوجها اذهب فتزوج قال فذهبت فتزوجت وكانت تطعمنى الطعام وتقول اذهب لاهلك وكانت اذا طبخت قدرا قالت كلها ياسيدى فانها مانضجت الا بالتسبيح وبقيت على عبادتها الى أن توفاها الله

﴿رابعة ابنة الشيخ أبى بكر النجارى﴾

قال فى كتاب الجلاء الغامض الست الفاضلة العارفة الكاملة زوجة السيد أحمد أم السيد صالح ست الفقراء رابعة كانت سليمة الصدر نقية القلب لها معرفة جاذبة وحزن دائم ولا تأخذها فى الله لومة لائم كانت ذات سيرة جميلة وأوصاف حميدة سماها السيد أحمد ست الفقراء وكناها أم الفقراء ويقول طاعتك على الفقراء واجبة بكت بين يدى السيد أحمد مرة وقالت كيف حالى بعدك أبقى أنا وحيدة ويغلق باب المسرة والابتهاج فى وجهى فقال رضى الله عنه أهل المملكة يحبونك وقولك مسموع والنعمة عليك باقية فانقاد أهل البيت الاحمدى لها مدة حياتها وكانت تقف على ضريح زوجها وتكلمه وتنتظر الجواب منه فيأتيها شبيه الحلم بالجواب وما أكرم أحد بعد وفاة زوجها بالولاية الا وهى كانت عارفة

بمسالت ربها فى خلافة السيد محمد الموت فتوفيت ليلة الجمعة النصف العاشر من شهر شوال سنة ٦١٣ ودفنت فى القبة المباركة

﴿ رابعة ابنة اسماعيل البصرية العدوية مولاة آل عتيك ﴾

كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن وكانت اذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا وكانت تقول استغفارنا يحتاج الى استغفار وكانت ترد ما اعطاه الناس لها وتقول مالى حاجة بالدنيا وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كانها الخلال البالى تكاد تسقط اذا مشت وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامها وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها وسمعت رضى الله عنها سفيان الثورى يقول واحزناه فقالت واقلة حزناه ولو كنت حزينا ماهنالك العيش ومناقبها كثيرة رضى الله عنها ومشهورة وجاء فى ترجمتها لابن خلكان أنها كانت من أعيان عصرها وأخبارها فى الصلاح والعبادة مشهورة وذكر أبو القاسم القشيرى فى الرسالة أنها كانت تقول فى مناجاتها الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها مرة هاتف ما كنا نفعل هذا فلا تظنى بنا ظن السوء وقال بعضهم كنت أهدى لرابعة العدوية فرأيتها فى المنام تقول هدايالك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور وكانت تقول ما ظهر من أعمالى لا أعده شيأ ومن وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيآتكم وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردى فى كتاب عوارف المعارف هذين البيتين

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وكانت وفاتها فى سنة ١٣٥ ذكره ابن الجوزى فى شذور العقود وقال غيره سنة ١٨٥ رحمها الله تعالى وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور وذكر ابن الجوزى فى كتاب صفوة الصفوة فى ترجمة رابعة المذكورة باسناد له متصل الى عبدة بنت أبى شوال قال ابن الجوزى وكانت من خيار اماء الله تعالى وكانت تخدم رابعة قالت كانت رابعة تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة يانفس كم تنامين والى كم تنامين يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور وكان ذلك دأبها دهرها حتى ماتت ولما حضرتها الوفاة دعتنى وقالت ياعبدة لا تؤذنى بموتى أحدا وكفنينى فى جبتى هذه وهى جبة من شعر كانت تقوم فيها اذا هدأت العيون قالت فكفنتها فى تلك الجبة وفى خمار من صوف كانت تلبسه ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أرشيأ قط أحسن منه فقلت يارابعة مافعلت بالجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف قالت ان الله نزعه عنى وأبدلت به ماترينه على فطويت أكفانى وختم عليها ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة فقلت لها لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت وماهذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لاوليائه فقلت لها مافعلت عبيدة بنت أبى كلاب فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله الى الدرجات العلا فقلت وبم وقد كنت عند الناس أكبر منها قالت انها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا أو أمست فقلت لها فما فعل أبو مالك أعنى ضيغما قالت يزور الله عز وجل متى شاء قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ أعطى

والله فوق ما كان يؤمل قالت فريني بأمر أتقرب به من الله عز وجل قالت عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك رحمها الله تعالى

وكان الحسن البصري توفيت زوجته فأراد زوجة فقيل له عن رابعة العدوية فأرسل اليها يخطبها فردته وقالت

راحتي ياأخوتي في خلوتي * وحبيبي دائما في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضا * وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه * فهو محرابي اليه قبلتي
ان أمت وجدا وماثم رضا * واعنائي في الورى واشقوتي
ياطبيب القلب ياكل المنى * جد بوصل منك يشفي مهجتي
ياسروري ياحياتي دائما * نشأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي * منك وصلا فهو أقصى منيتي

وكانت تقول مرة الهي ماعبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل حبا لك وقصد لقاء وجهك وتنشد

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

رابعة بنت اسماعيل

كانت تقوم من أول الليل الى آخره وكانت تقول اذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوي عمله فيتشاغل بها دون خلقه وكانت تصوم الدهر وتقول مامثلي يفطر في الدنيا وكانت تقول لزوجها لست أحبك حب الازواج وانما أحبك حب الاخوان وكانت تقول ماسمعت أذانا قط الا ذكرت منادي يوم القيامة ورأيت أهل الجنة يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن ومناقبها كثيرة رضي الله عنها

الرباب بنت امرئ القيس

ذكر في كتاب نور الابصار ماملخصه ان الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن مرداس الكلبي وكان نصرانيا فاسلم وجاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فتولى قبل أن يصلي صلاة وما أمسى حتى خطب منه الحسين بنته الرباب فزوجه اياها فاولدها عبد الله وسكينة وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضي الله عنه فقالت ما كنت لاتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت بعده سنة لا يظلها سقف بيت الى أن ماتت رحمها الله

رصفة بنت آيه

سرية أخذها شاول لنفسه من غير الاسرائيليين فولدت له ارموني ومغيبوشت وهي من النساء

المشهورات في العهد القديم مثل راعوث وراجاب وايزابلا والراجح على ماجاء في قاموس التوراة انها كانت غريبة عن شعب اسرائيل يتصل نسبها باحد العائلات الشريفة فان شاول بأخذه لها وضع عادة جرى عليها ملوك بني اسرائيل من بعده اذ كانوا يتخذون لانفسهم السراري من غير أبناء جنسهم وحدث بعد وفاة شاول ونزول الفلسطينيين شرقي الاردن أن رصفة ذهبت مع رفيقاتها من عائلة الملك الى مقرهن الجديد في محنايم فوقع لها في هذا المكان حادث ذكر في التوارة وهو أن اشبوشت اتهم ابنيرا بالدخول على سرية أبيه فانكر ابنير ذلك وأقام الحجة عليه ثم أعقبت هذه التهمة حادثة أخرى وهي أن ابنير قتل بخيانة يوآب وانتحر اشبوشت بعد ذلك والغالب على الظن بناء على ما يؤخذ من انكار ابنير ومدلول الواقعة أن التهمة المذكورة كانت محض زور وبهتان ولم يذكر في التوارة شئ غير ذلك عن رصفة سوى ماذكر وبالاختصار هو أن داود لما رغب اليه الشعب في اقتضاء حقه من عائلة شاول وذوى قرباه مقابل ما ناله بسببهم من ضربة الجوع قال لهم مهما قلتم لي أفعل فقالوا له الرجل الذي أفنانا والذين أمروه علينا يبيدونا لكيلا نقيم في كل تخوم اسرائيل فلنعط سبعة رجال من بنيه فنطلبهم للرب في جوعة شاول مختار الرب فأخذ داود ابني رصفة ابنة آية اللذين ولدتهما لشاول أرموني ومفيبوشت وبني ميراب بنت شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدريئيل بن برلاى المحولي وسلمهم الى يد الجبعونيين فصلبوهم على الجبل أمام الرب فسقط السبعة معا وقتلوا في أيام الحصاد في أولها في ابتداء حصاد الشعير فأخذت رصفة مسحا وفرشته لنفسها على الصخر من ابتداء الحصاد حتى انصب الماء عليهم من السماء ولم تدع طيور السماء تنزل عليهم نهارا ولا حيوانات الحقل ليلا

رضية ملكة دهلي في بلاد الهند

ابنة السلطان ركن الدين كانت من أوفر نساء زمانها عقلا وأحسنهن وجها تعلمت فنون السياسة من صغرها ولما بلغت حد الكمال ازدادت رونقا وبهاء وعقلا ولما مات أبوها السلطان شمس الدين يلمش اجتمع الناس على أخيها ركن الدين وبايعوه بالملك فافتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله فأنكرت عليه شقيقته رضية ذلك فأراد قتلها وأحست بذلك فلما كان بعض أيام الجمع خرج ركن الدين الى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم ان أخي قتل أخاه ظلما وهو يريد قتلي معه وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه اليهم فثاروا عند ذلك على السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به اليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه قصاصا بأخيه وكان أخوها ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على تولية رضية الملك فولوها واستقلت بالملك أربع سنين ثم انها اتهمت بعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها فخلعت وتزوجت من بعض أقاربها وولي الملك أخوها ناصر الدين

رفقة ابنة بتوئيل

هي أخت لابان وزوجة اسحق وفي الاصحاح الرابع والعشرين من سفر تكوين خبر ذهاب عبد ابراهيم بأمر سيده الى ارام النهرين ليأخذ زوجة لابنه اسحق وما جرى له مع رفقة وهو واقف على عين الماء لما

خرجت بنات المدينة يستقين ماء وقال ان الفتاة التى أقول لها ناولينى جرتك لاشرب فتقول اشرب وأنا أسق جمالك أيضا هى التى عينها الاله لعبده اسحق واذ كان لم ينته كلامه خرجت رفقة التى ولدت لبتوئيل ابن ملكة امرأة نحور أخى ابراهيم وجرتها على كتفها وكانت الفتاة حسنة المنظر جدا عذراء فنزلت الى العين وملأت جرتها وطلعت فركض العبد لاقائها وقال اسقينى قليل ماء من جرتك فقالت اشرب ياسيدى وأسرعت وأنزلت جرتها على يدها وسقته ولما فرغت من سقيه قالت استق لجمالك أيضا حتى تفرغ من الشرب فاسرعت وأفرغت جرتها فى المسقاة وركضت أيضا الى البئر لتستق فاستقت لكل جماله والرجل يتفرس فيها طامعا ليعلم أنجح الله طريقه أم لا وحدث عندما فرغت الجمال من الشرب أن الرجل أخذ خزامة ذهب وزنها نصف شاقل وأعطاها اياها مع سوارين وزنهما عشرة شواقل ذهب وقال بنت من أنت أخبرينى وهل عند أبيك مكان لنا لنبيت فقالت له أنا بنت بتوئيل ابن ملكة وعندنا كل ما تشتهى من القرى فخر الرجل وسجد لله تعالى وقال تبارك الله الذى لم يمنع لطفه وحقه عن سيدى اذ كنت أنا فى الطريق هدانى الى بيت أخوة سيدى فركضت الفتاة وأخبرت أبويها عن هذه الامور فجاء لابان أخوها الى الرجل وهو واقف عند الجمال على العين فقال ادخل يامبارك لماذا تقف خارجا وأنا قد هيأت البيت ومكانا للجمال فدخل الرجل البيت وحل عن الجمل فأعطى تبنا وعلفا للجمال وماء لغسل رجليه وأرجل الرجال الذين معه ووضع أمامه الطعام ليأكل فقال لا آكل حتى أتكلم كلامى فقال تكلم فقال أنا عبد ابراهيم وان الله قد أكرم مولاى جدا فصار عظيما وأعطاه غنما وبقرا وفضة وذهبا وعبيدا وإماء وجمالا وحميرا وولدت سارة امرأته ولدا له أعطاه كل ماله واستحلفنى سيدى بقوله لى لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن فى أرضهم بل تذهب الى بيت أبى وعشيرتى وتأخذ منهم زوجة لولدى ثم قص عليهم ماجرى له مع رفقة عند العين ثم قال انى أحمد الله الذى هدانى فى طريق أمين لاخذ ابنة أخ سيدى لابنه والآن ان كنتم تصنعون معروفا وأمانة مع سيدى فأعطونى ماطلبت والا فانصرف يمينا أوشمالا فأجاب لابان وبتوئيل وقالا من عند الله خرج الامر لانقدر أن نكلمك بشر أو بخير هذه رفقة أمامك خذها واذهب فلتكن زوجة لابن سيدك كما أمر الله فسجد العبد للارض وأخرج فضة وذهبا وثيابا وأعطاها لرفقة وأعطى تحفا لاخيها وأمها وسألوها هل تذهبين مع هذا الرجل قالت أذهب فأخذها ومضى وسارت معها حاضنتها بعد أن ودعوا رفقة وقالوا لها أنت بنتنا وأختنا مهما بعدت عنا

وجاء فى التوراة ما يستفاد منه أن اسحق أحب رفقة لانها كانت جميلة وصنيعة طائعة لطيفة ولما مضى عليها تسع عشرة سنة وهى عاقر صلى اسحق لله ودعاه لاجلها فحبلت وكان فى بطنها توأمان وأحبت رفقة يعقوب ولدها الثانى ولما صار اسحق هرما من مجاعة الى الارض الفلسطينية بات محفوفا بخطر من جمال زوجته رفقة كما سمعت اسحق يقول لعيصو بكره ائتنى بعنز واصنع لى أطعمة لآكل وأدعو لك قبل وفاتى قالت ليعقوب اذهب الى الغنم وخذ لى من هناك جديين من المعز فاصنعهما أطعمة لابيك كما يحب فتحضرها اليه ليأكل حتى يدعو لك قبل وفاته فقال ان عيصو أشعر وأنا أملس فربما جسنى فاجلب على نفسى لعنة لا بركة فقالت له لعنتك على يا ابنى فأجابها فألبسته ثياب عيصو الفاخرة وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعز فنال يعقوب البركة فلما أخبرت رفقة بان عيصو توعد يعقوب بالقتل بعد

وفاة أبيه لغيظه منه لانه سبقه الى بركة أبيه دعت يعقوب اليها وأخبرته بتوعد أخيه وقالت له فالآن يا بنى اسمع لقولى وقم اهرب الى أخى لابان الى حاران وأقم عنده أياما قليلة حتى يرتد سخط أخيك وينسى ما صنعت به ثم أرسل فآخذك من هناك لئلا أعدمكما فى يوم واحد وقالت لاسحق مللت حياتى من أجل بنات حث ان كان يعقوب يأخذ زوجته من حث مثل هؤلاء من بنات الارض فلما زال حياه وسار برضا أبيه الى فزان اران ولم تذكر رفقة عند عود يعقوب الى أبيه ولاذكر دفنها

﴿رقية ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه﴾

ولدت له من أم حبيب الصهباء التغلبية كانت من سبى الذرية الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر فاشتراها على رضى الله عنه واستحظى بها فأولدها عمرا ورقية المومى اليها فعمر والا كبر شقيق رقية وفى الفصول المهمة كانا توأمين وعمر عمرو هذا خمسا وثمانين سنة وحاز نصف ميراث على رضى الله عنه وذلك أن أخوانه أشقاءه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم وفى الباب العاشر من المنن للشعرانى قال وأخبرنى الخواص أن رقية بنت الامام على كرم الله وجهه فى المشهد الموجود بتكيتها المعروفة بتكية السيدة رقية بمصر وهذه التكية فى غاية الاتقان والخفة والنورانية وبداخلها ضريح السيدة رقية يعلوه قبة لطيفة الصنعة وهناك مساكن للصوفية وحنفيات للوضوء وجنينة صغيرة ويعمل لها مقرأة وحضرة كل أسبوع ومولد كل سنة وشعائر هذه التكية مقامة من أوقاف السيدة رقية التى يبلغ مقدارها ثلاثة عشر ألف قرش وسبعمائة قرش وثمانية عشر قرشا واثنين وثلاثين بارة بالعملة الاميرية المصرية

﴿رقية بنت الفيف عبد السلام بن محمد مزرع المدينة﴾

كانت عالمة عاملة عاقلة كاملة صادقة الرواية حسنة الطوية تعلمت العلم عن جملة من العلماء الاخيار وحدثت بالاجازة عن شيوخ مصر والشام كابن سيد الناس من المصريين والمزى وغيره من الشاميين وأقامت فى المدينة وفتحت درسا للحديث وانتفع بها أهل الحجاز وهى من مشاهير المحدثين بتلك الاصقاع ولم يوجد مثلها من نساء ذلك الزمان رحمها الله رحمة واسعة

﴿رقاش ابنة مالك بن فهم بن غنم بن أوس الاسدى وقيل التنوخى أخت جذيمة الابرش﴾

كانت من أبدع نساء زمانها وأحسنهن جمالا وكان عدى بن نصر نديما لجذيمة الابرش فأبصرته رقاش فعشقته وراسلته ليخطبها الى جذيمة وكانت على غاية من الظرف والادب فقال لها لم أجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا واسق القوم ممزوجا فاذا أخذت الخمرة فيه فاخطبنى اليه فلم يردك فاذا زوجك فاشهد القوم ففعل عدى ما أمرته وأجابه جذيمة وأملكه اياها فانصرف اليها فاعرس بها فى ليلته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة وأنكر ما رأى به ما هذه الآثار يا عدى قال آثار العرس قال وأى عرس قال عرس رقاش قال من زوجك بها ويحك قال الملك زوجنيها فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدى فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

خبرينى وأنت لا تكذبينى * أبحر زنيت أم بهجين

أم ببعيد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت لا بل أنت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي وأنشدت

أنت زوّجتني وما كنت أدري * وأتاني النساء للتزيين

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك في الصبا والجنون

فكف عنها وعذرها ورجع عدي الى اياد فكان فيهم فخرج معه فتية يوما متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب ألبسته وعطرته وأزارته خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله وولده في سنة خصبة فأقام في روضة ذات زهر وغمر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكماة فكانوا اذا أصابوا كماة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول (هذا جناى وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه) فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وأمر له بحلي من فضة طوق به فكان أول عربي ألبس طوقا وقصة عمرو مشهورة مع الزباء وغيرها

رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولدت رقية ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن أبي لهب وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه فلما نزلت (تبت يدا أبي لهب) قال أبو لهب لهما رأسي من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما وتزوج رقية عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجر بها الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة وكانت ذات جمال بارع وكان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا وولدت لعثمان بالحبشة ولدا سماه عبد الله وكان يكنى به وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات وتوفيت رقية بالمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر وكان عثمان قد تخلف عن بدر لاجلها فجاء زيد ابن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها وكانت وفاتها السنة وعشرة أشهر وعشرين يوما من الهجرة

رملة بنت الزبير بن العوام

كانت أخت مصعب بن الزبير بن العوام لامه وكانت أمها أم الرباب بنت أليف بن عبيد بن مصار الكلبي تزوجها عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد فولدت له عبد الله بن عثمان وهو زوج سكينة بنت الحسين بن علي عليها السلام ثم تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان قتل ابن الزبير ولما حج خالد بن يزيد خطب رملة بنت الزبير فأرسل اليه الحجاج صاحبه عبيد الله بن موهب وقال ما كنت أراك أن تخطب الى آل الزبير حتى تشاورني وكيف خطبت الى قوم ليسوا كفؤا وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة فنظر اليه خالد طويلا ثم قال له لولا أنك رسول والرسول لا يعاقب لقطعتك اربا اربا ثم طرحتك على باب صاحبك قل له ما كنت أرى أن الامور بلغت بك الى أن أشاورك في خطبة النساء وأما قولك لي قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيح فانها قريش يقارع بعضها بعضا فاذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تقاطعهم

وتراجههم على قدر أحلامهم وفضلهم وأما قولك انهم ليسوا أكفاء فقاتلك الله يا حجاج ما أقل علمك بانساب قريش أيكون العوام كفؤا لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلا لابي سفيان فرجع اليه فأعلمه ومن شعر خالد فيها

أليس يزيد السير فى كل ليلة * وفى كل يوم من أحبتنا قربا
أحن الى بنت الزبير وقد علت * بنا العيس خرقا من تهامة أونقبا
اذا نزلت أرضا تحبب أهلها * الينا وان كانت منازلها حربا
وان نزلت ماء وان كان قبلها * مليحا وجدنا ماءه باردا عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
أقلوا على اللوم فيها فانني * تخيرتها منهم زبيرية قربا
أحب بنى العوام طرا لحبها * ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

ونشزت سكينة بنت الحسين عليهما السلام على زوجها عبد الله بن عثمان فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية فقالت يا أمير المؤمنين لولا أنه يبتذأ مرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا سكينة بنت الحسين قد نشزت على ابنى قال يا رملة انها سكينة قالت وان كانت سكينة فوالله لقد ولدنا خيرهم ونكحنا خيرهم وأنكحنا خيرهم تعنى بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب ومن أنكحوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رملة غرنى منك عروة بن الزبير فقالت ما غرك ولكن نصح لك لانك قتلت أخى مصعبا فلم يأمنى عليك ولم تزل به حتى أصلح بين سكينة وعبد الله بن عثمان

رميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية الخزرجية النجارية وتلقب أم سليم أم أنس بن مالك

كانت عند مالك بن النضر والد أنس بن مالك فى الجاهلية فغضب عليها وخرج الى الشام ومات هنالك فخطبها أبو طلحة الانصارى وهو مشرك فقالت انى فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم فلك مهرى ولا أسألك غيره فاسلم وتزوجها وحسن اسلامه فولدت له غلاما مات صغيرا وهو أبو عمير وكان معجبا به فأسف عليه وولدت له عبد الله بن أبى طلحة وهو والد اسحق فبارك الله فى اسحق واخوته وكانوا عشرة كلهم حمل عنه العلم وقيل ان أبا طلحة لما خطب رميصاء قالت يا أبا طلحة ألست تعلم ان الهك الذى تعبد نبتة من الارض نجرها حبشى بنى فلان قال بلى قالت أفلا تستحى تعبد خشبة ان أنت أسلمت فانى لا أريد منك الصداق غيره قال حتى أنظر فى أمرى فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالت يا أنس زوج أبا طلحة فتزوجها

وكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت عنه أحاديث وروى عنها ابنها أنس وكانت من عقلاء النساء رضى الله عنها

رولاند الفرنساوية

ولدت هذه الفاضلة فى ١٧ اذار (مارس) عام ١٧٥٤ من أبوين فقيرى الحال مختلفى الاخلاق والآراء

وكانت

وكانت أمها دمثة الاخلاق لينة العريكة قانعة بهبات البارى تعالى وكان أبوها طماعا سيء الطباع كثير التزمر والحقد على المكارم والاشراف زاعما أنهم علة تعاسته وسبب فقره ولذلك كان ينددبهم ككثيرين غيرهم من الفرنسويين وتعلمت القراءة والكتابة قبل بلوغها الرابعة من عمرها وتعلقت بالمطالعة حين لم يكن لابويها طاقة على ابتياع الكتب لها فأرسلاها الى دير من الاديرة لتقتبس العلوم عن راهباته فأظهرت فيه من النجابة والبراعة فى كل علم تعلمته ماجعلها فخر المعلمات وقدوة لرفيقاتها وأجادت فى الموسيقى والتصوير وطالعت كل ماعثرت عليه من التواريخ ودواوين الشعر والرحلات والمقالات الدينية والعلمية والفكاهية والسياسية وبالغت فى استقصاء أحوال اليونان والرومان القدماء واشتد ميلها اليهم قيل ان أباها وجدها ذات يوم منخرطة فى البكاء من أجل أنها لم تولد رومانية وكثيرا ما كانت تتصور أمامها اليونان فى سلطتهم والرومان فى أوج عظمتهم وتقابل بين أحوال ذينك الشعبين العظيمين وأحوال بلادها التى كانت قد أفرطت فى الملاهى والترقى وتهافتت على الباطل فتنفر نفسها الابية من الدنايا التى انغمس فيها أكابر قومها وتتمنى أن يسود الانصاف وتسن بها الشرائع العادلة أبناء وطنها والظاهر أن ذلك رسخ فى ذاكرتها منذ نعومة أظفارها لكثرة ما كان أبوها يلقى على مسامعها من الاحاديث عن الملوك والاشراف وهو يجول بها فى شوارع باريس ويريها قصورهم الشاهقة ومبانيها الفاخرة وأشراف المدينة وسيداتها خارجين الى المنتزهات العمومية فى عجلاتهم المذهبة بالخدم والحشم لاهين بالاحاديث الفادعة وخيولهم تدوس المساكين والبائسين وهم لايبالون ثم يقول لها انظرى يا بنتى أين العدل والانصاف أين الآخذون بناصر الانسانية ليقتص من هؤلاء البرابرة القساة الآثرين أنهم يتوسدون الحرير والديباج ويعيشون بالترف والشعب غارق فى بحار الهموم محاط بالاتعاب يصل الليل بالنهار فى الكدر والكدح ليحصل الخبز الذى يتمتع به هؤلاء العتاة وخرجت من المدرسة وهى فى الرابعة عشرة فجعلت أمها تمرنها على أشغال البيت فتخضع لاوامرها خضوعا تاما علما منها أن الاشغال البيتية من أهم واجبات المرأة وكانت تبتاع لوازم بيتها بنفسها فأكرمها البائعون لنباهتها ورزانتها ولما بلغت سن الزواج تقاطر عليها الطلاب من كل فج فرفضت طلبهم قائلة لوالديها ان الطبيعة والشرائع قد اتفقت على وجوب تفضيل الرجل على المرأة فأخجل أن أختار من لايكون أهلا لهذا المقام السامى وحدث أن أحد الاشراف دخل مخزن أبيها ورأى انشاآتها فدهش من براعة أساليبها وراعه اتقان قريحتها فكتب اليها كتابا يحثها فيه على التأليف فأجابته لذلك بأبيات شائقة دقيقة المعنى أظهرت فيها الموانع التى تحول دون وصول المرأة الى مثل تلك المنزلة الرفيعة ومن ذلك اليوم جرت المكاتبة بينهما وكان لهذا الشريف ابن من أهل الطيش والجهالة فأراد أن يزوجه بها ظنا منه أن حكمتها وعزمها يردانه سواء السبيل فأبت ومن معرفتها بهذا الرجل تمكنت من معاشرة الاشراف رغبة فى الاطلاع على شؤنهم ولكنها لم تقتبس شيأ من عوائدهم القبيحة ولاشاركتهم فى آرائهم بل زادت بهم احتقارا اذ كان دأبهم الطرب والملاهى وهمهم التأنق بالزينة والملابس

وفى ٤ شباط (فبراير) سنة ١٧٨٠ تزوجت برولاند أحد مفتشى المعامل فى مدينة ليون وكان رجلا من ذوى الوجاهة والبراعة فى العلوم جامعا بين الفضائل والمكارم مشهورا بالفضل والمآثر له كتابات عديدة تدل على جودة عقله فأقاما سنة فى باريس ثم انتقلا الى مدينة اميان ثم رجعا منها الى ليون حيث

قضت أسعد أيام حياتها وأظهرت مناقب المرأة الكاملة فرتبت بيتها على أحسن منوال وعكفت على تربية ابنتها وتعليمها بنفسها وكانت اذا انتقلت الى مصيف زوجها (فى لبلاتيبه) تخصص جانبا من وقتها لزيارة المرضى والمساكين المجاورين لها وتعالجهم بنفسها لعدم وجود طبيب يعالجهم فأحبوها محبة تفوق الوصف واشتهرت بينهم بالفضائل والفواضل

ولها على زوجها الفضل الاعظم قال أحد أصحابه لا أرى بين المحدثين من يشابه كانون الرومانى فى أكثر من رولاند والحق أن يقال رولاند مديون لامرأته بشجاعته ومعارفه فانها كانت متخذة أفكاره ومعتنية بأعماله وكثيرا ما كانت تصلح كتاباته وتقوم براهينه بغزارة معارفها وقوة بيانها واتقاد تصوراتها حتى طارصيته فى بلاغة الانشاء وقوة الكتابة ولما بلغها نبأ الثورة الفرنسوية تلقته بالترحاب زعما منها ان الثورة أقرب طريق لسعادة فرنسا وأحسن بشرى بتبديل أحوال هاتيك الايام بأحسن منها فبذلت كل قواها فى تحريك الخواطر اليها فلم يمض طويل الزمان حتى أضرمت نار الغيرة والحماسة فى قلوب أهل وطنها وحركت زوجها وأصحابها فأداروا دولاب الثورة بمدينتهم ليون وعلقت آمال الشعب برولاند وامرأته بخلع غل الظلم عن أعناقهم فوقف لهما جماعة من الاشراف بالمرصاد ووضعوا عليهما العيون فما ثناهما ذلك عن عزمهما وزاد الناس حبا فى رولاند فاختاروه نائبا عن مدينة ليون فى مجمع الامة الذى استدعاه لويس السادس عشر فى بادئ الثورة فتوجه هو وامرأته فى ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٧٩١ الى باريس وكتبت مدام رولاند مقالة فى أحوال تلك الايام كان لها وقع عظيم

وفى أذار (مارس) سنة ١٧٩٢ انتخب زوجها وزيرا للداخلية وأعد لسكنه قصرا مفروشا مشيدا بالاثاث الفاخر ومزينا بالزينة البهية فدخلته مدام رولاند وكأنها خلقت له ولم يبن الالها ثم لما طلب من زوجها أن يشير على الملك باعلان الحرب على المهاجرين وحلفائهم كتبت باسمه كتابا للملك قوى الحجة عظيم التأثير حتى دهش زوجها من جراءتها وقوة أدلتها ولكن كانت نتيجته خلع رولاند عن وظيفته ولذلك أشارت امرأته عليه أن يعرض كتابه على المجمع لتعلم الامة سبب خلعه ففعل فعدّ ضحية لحب الوطن ثم طبع الكتاب ووزع نسخا عديدة فى كل أنحاء المملكة فهاجت الامة بأجمعها حتى التزم الملك أن يرجعه الى منصبه فكانت زوجته سبب خلعه ثم نصبه ثانيا

واتفق أن الحاكوبين اجتهدوا أيام كانت العائلة الملكية فى السجن أن يهيجوا الشعب لينتقموا من مدام رولاند بدعوى أن لها دخلا فى المكيدة التى كان يقصد بها تخليص الملك وارجاعه الى عرش الملك وتكلف باتمام ذلك رجل لئيم يسمى أشيل فيارد فأظهر حزم الجيروندين وهو يقصد باطنا انه يتجسس أعمالهم ويدبر على مدام رولاند مكيدة فكان محذرا حذرها منه فأوجست منه خيفة وأبعدته عنها احتقارا واستصغارا ومع ذلك فقد نجح باتهامها أمام الجمع انه كان بينها وبين أصحاب النفوذ فى فرنسا وغيرها مراسلة سرية واتفاق على انقاذ الملك فاستدعاها ديوان الكونفانسيون لمرافعة خصمها والمدافعة عن نفسها فدخلت المحفل وكان غاصا بالجماهير وهم يحتدمون غيظا وقد علا لغطهم فلما جلست سكتت الضوضاء وأحدقت بها الانظار فدافعت عن نفسها وعن أصحابها دفاع أهل الحق والشيمة والشهامة فبرأت نفسها وتعلثم لسان خصمها عن الكلام فرجع بصفقة خاسرة وأشار الرئيس أن يظهر الاعضاء علامات اعتبارهم لها فهنأها الجميع وصفقوا لها استحسانا وكان ذلك أمر من العلقم على أعدائها

كدانتون ومارات وروبس بيرامار وبس بيرهـذا فهو الذى خلصت حياته من القتل لما ثار الشعب
وأرادوا قتله حنقا عليه ففر مذعورا وقصدته مدام رولاند وزوجها فى منتصف الليل وخبأته فى بيتهما
ثم استعانت على خلاصه بصديق لهما بعيد النفوذ والسطوة فبرأه قبل صدور الحكم عليه فما كان من
روبس بير الا انه قابل الاحسان بالاساءة فصار أشد العاملين على مدام رولاند وقتلها حتى قال لامرتين
الشهير فى صدد ذلك لاشك أن مدام رولاند ذكرت فى سجنها الليلة التى خلصت حياة روبس بير فيها فان
كان هو أيضا ذكرها وهو فى أعلى مجده وقوته فلا ريب أن ذكرها له كان عليه أشد من وقوع السهام
ولا يخفى ما ألم بحزب الجيروندين بعد ذلك وما كان نصيبهم من الثورة ففى ٣١ ايار سنة ١٧٩٣ أودعت
مدام رولاند السجن فصبرت على مشاقه كما صبرت وثبتت على الاهوال ورتبت أحوال معيشتها فيه
جاعلة لكل ساعة من النهار شغلا خصوصيا فعينت وقتا لدرس اللغة الانكليزية وآخر لانشاء مقالات
سياسية وآخر للتصوير وجعلت معظم همها تشجيع قلوب المسجونين ومساعدتهم عما كان يغض عن
حاجاتهم من المال وفى تشرين الثانى (اكتوبر) حكم عليها بالقتل فسيقت للذبح مكتوفة اليدين
وعلامات الشجاعة تلوح على وجهها فلما صارت بمرأى من تمثال الحرية وكان منصوبا حيث المسلة
المصرية اليوم التفتت اليه وقالت أيتها الحرية كم من ذنب يرتكبه الناس باسمك اليوم أيتها الحرية
انظرى كيف يتلاعبون باسمك ويقال انها طلبت قلما وقرطاسا لتخط ما جال فى خاطرها وهى أمام الجلاد
فلم تعطهما وضربت عنقها وهى فى التاسعة والثلاثين من عمرها فكان موتها سبب انتحار زوجها كما
عرف من ورقة وجدت فى جيبه بعد موته وقد كتب فيها لم يعد لى صبر على البقاء بعد موت امرأتى فى
عالم ملوث بالآثام

﴿ رحمة زوجة نبى الله أيوب عليه السلام ﴾

هى بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام كانت من النساء الصالحات الطائعات لازواجهن
وقد اتصفت من دون النساء بالصبر الجميل على بلاء زوجها أيوب عليه السلام حيث لم يبق له مال ولا ولد
ولا صديق ولا أحد يقربه غيرها فانها صبرت معه على مضض ذلك البلاء الشديد وكانت تسأل وتأتيه
بطعام وشراب ويبيتان يحمدان الله سبحانه وتعالى ويرجوان منه عفوا على ما نالهما من البلاء فلما
كانت فى بعض الايام وهى تسأل كعادتها اذ تمثل لها ابليس فى صورة رجل فقال لها أين بعلك يا أمة الله
فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الديدان فى جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها
وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان
ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتى بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى
وسيبرأ فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد
أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن الذى قد بلى يتردد فيه الدود
اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته أرأيت ما تبكين عليه مما
كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم علينا به قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم
ابتلانا الله قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت فى هذا البلاء الذى
ابتلانا به ربنا كما كنا فى الرخاء والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتينى أن أذبح لغير الله طعامك

وشرابك الذى تأتينى به على حرام لاأذوق مما تأتينى به بعد اذ قلت هذا فاعزبى عنى لا أراك فطردها فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال (رب انى مسنى الضر) ثم رد الامر الى ربه فقال (وأنت أرحم الراحمين) فأوحى الله اليه أن اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط باثره وأذهب الله عنه كل ألم وداء وكل سقم وعاد عليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل مما مضى وجعل يلتفت يمينا وشمالا فلم ير شيأ مما كان من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان رحمة قالت أرأيت ان كان قد طردنى الى من أكله أأدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه ثم رجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحال التى كانت تعرف واذا هى قد تغيرت فجعلت تطوف حول هذه الكناسة وتبكى وذلك بمرأى من أيوب فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ماتريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدرى أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم انها جعلت تنظر اليه وقالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتينى أن أذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ما ترين فاعتنقته وقيل انهما ما فارقته من عناق حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد

فلما برأ أيوب أراد أن يبر يمينه بأن يجلد رحمة فأمره الله أن يأخذ من جماعة الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا ويضربها ضربة واحدة كما قال الله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) الآية وقيل كانت رحمة تكتسب له ما تعمل للناس فتبيعه وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته الخبر فحزن عليها وشكر صنيعها

روشنك ابنة الدهقاء أو زبرت

كانت مشهورة بالجمال تزوجها اسكندر المكدونى ولما مات كانت حاملا ووضعت لثلاثة أشهر من موته ولدها اسكندر الملقب ايروس واتفقت مع برديكاس وقتلا ستاتيرا زوجة اسكندر لانها كانت تحاول منع تنصيب ابنها ايفوس فصفا له الملك بالارث من أبيه ثم اتحدت مع أولمبياس على فيليبس اردبوس وامرأته أوريديكى ثم جعلت نفسها تحت حماية بوليسبرخون ولما وصل كاسندر اعتصمت بمدينة بيدنا ولما أخذت هذه المدينة وقتل أولمبياس حبسها كاسندر فى امفيبولس وبها قتلت هى وابنها سنة ٣١١ قبل الميلاد

والمشهور فى تواريخ العرب أن روشنك هى ابنة دارا الاصغر ملك الفرس ظفر به الاسكندر قال ابن الاثير ان الاسكندر لما وجد دارا وقد ضربه حاجباه الضربة القاضية أخذه وأسند رأسه الى حضنه وكلمه كلاما باللطف والاحترام وطلب أن يوصى بما يريد فأوصاه بأن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم حقها ويستبقى احرار فارس ويأخذ له بثاره ممن قتله ففعل الاسكندر كل ذلك وبنى لروشنك مدينة بالسواد وقيل انه جعل هيئة زفافها اليه على النسق الشرقى وانها قالت بعد موته ما كنت أظن أن قاتل دارا يقتل

﴿ريا بنت الفطريق السلمى﴾

كانت ذات جمال باهر وأدب ظاهر ولها معرفة بأشعار العرب وكانت تقول الشعر الجيد عشقها عتبة ابن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصارى علقها بمسجد الاحزاب فى المدينة المنورة يوم منتزه اذ هو جالس فى المسجد ودخل عليه نسوة وفيهن جارية لم ير مثلها فوقفت وقالت ما تقول فى وصل من يطلب وصالك ثم مضت ولم يعرف لها خبر فلما كان فى اليوم الثانى توجه الى مسجد الاحزاب وجلس فى المكان الذى كان فيه بالامس واذا بالنسوة قد أقبلن ولم ير الجارية فيهن فقلن له ماظنك بطالبة وصالك فقال وأين هى قلن له مضى بها أبوها الى السماوة فأنشد

خليلىّ ريا قد أجدّ بكورها * وسارت الى أرض السماوة عيرها

خليلى قد غشيت من كثرة البكا * فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

وتوجه الى أبيها هو وصاحب له فأكرم وفادتهما وسألهما عن أمرهما وقال اذكرا حاجتكما فاخبراه بخطبة عتبة الى ابنته فقال ذلك اليها فدخل وأخبرها بذلك فأجابت وشكرت له عتبة فقال قد دعى الى أمرك معه وأقسم لأزوجك به فقالت ان الانصار لا يردون ردا قبيحا فان كان ولابد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد أجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أقراص من العنبر فضمنا ذلك وقالا له اذا أحضرناها الك أجبت قال أجبت فاحضروا له ذلك فأولم أربعين يوما ثم أخذها ومضى فلما قارب المدينة خرج عليه خيل كثيرة فقاتل عتبة حتى قتل فحين علمت ريا بموته جاءت وبكت بكاء مرا حتى أبكت عليه من كان حاضرا وأنشدت

تصبرت لا أنى صبرت وانما * أعلل نفسى أنها بك لاحقه

ولو أنصفت روحى لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدى وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفسى موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواروهما التراب فى قبر واحد فنبتت على قبرهما شجرة فسموها شجرة العروسين ومن قول عتبة فيها

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة * تراكم ترونى فى القلوب على البعد

فؤادى وطرفى يأسفان عليكم * وعندكم روحى وذكركم عندى

ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

وقوله فيها أيضا

يا للرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يحدث لى بعد النوى طربا

ما ان يزال غزال فيه يظلمنى * يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا

يخبر الناس أن الاجر همه * أو أنه طالب للأجر محتسبا

لو كان يبغى ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

﴿ريا ابنة مسعود بن رقاش العشيرى التغلبى من ربيعة﴾

كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة بن عبد الله بن مسعود صغيرين وكانا

يتذاكران الادب وملح الاشعار ونوادر السير والاخبار حتى صارت أعجوبة زمانها ونادرة أوانها فأعجب بها وتمكنت منه محبتها ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها فلما شكا ما يجد منها الى بعض أصدقائه أرشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الى أبيه فأعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعبد الله الا الاذلال وحلف كل على ما قال وأوقفوا الامر فحملت الصمة الانفة على أنه خرج عنها الى العراق فقالت ريا ما رأيت رجلا أضاعه أبوه وعمه ببعير الا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها * وفد رجل يقال له على غاوى فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ ذلك الصمة فلزم الوساد وقال

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت * به بارحات الصيف بدأ ورجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وسعيا كما معا
فما حسن أن يأتى الامر طائعا * ويجزع ان داعى الصبابة أسمعا
كأنك لم تسمع وداع مفارق * ولم تر شعبى صاحبين تقطعا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق تحنى نزعا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * رجعت من الاصغاء ألوى وأجزعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
أما وجلال الله لوتذكرينى * كذكراك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لوانه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

وقد سمع امرأة تنادى ابنتها ياريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه الى بستان هنالك وأضجعوه فلما أفاق أنشد

يعز بصبر لا وجدك لاترى * سنام الحمى احدى الليالى الغوابر
كأن لسانى من تذكرى الحمى * وأهل الحمى يهتف به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضى عليه ولما وصل خبره داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكيه حتى ماتت ومن لطيف شعره فيها قوله

ألا من لعين لاترى قلل الحمى * ولا جبل الآنال الا استهلت
ألا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم أصبحت * براق الهوى من أهلها قد تخلت
فما وجد أعرابية قذفت بها * صروف اللوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمت * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

﴿ ريطة بنت عاصم بن عامر بن صعصعة ﴾

وكانت شاعرة فصيحة جميلة المنظر لطيفة المخبر عذبة المنطق لها رثاء مقبول لا بأس فيه منه ما قالته فى قومها وكانوا قد أصيبوا فى يوم من أيام العرب

وقفت فأبكتني ديار أحبتي * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا بسيوف الهند ورّاد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدّت ولكن يحمل الرزء عامر

﴿ريطة بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه﴾

هي أخت عمرو بن العجلان بن عامر الهذلي قتله بنو فهم في بعض غزواته فقالت أخته ترثيه

كل امرئ لمحال الدهر مكذوب * وكل من غالب الايام مغلوب
وكل حيّ وان عزوا وان سلموا * يوما طريقهم في الشرّ رعبوب
أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها * عني رسولا وبعض الظن تكذيب
بان ذا الكلب عمرا خيرهم نسبا * ببطن شريان يعوى حوله الذيب
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها * مجر من نجيع الجوف أسلوب
التارك القرن مصفرا أنامله * كأنه من نجيع الجوف مخضوب
تمشي النسور اليه وهي لاهية * مشي العذارى عليهن الجلابيب
والمخرج العاتك العذراء مذعنة * في السبي ينفح من أردانها الطيب

وكانت ريطة هذه من نساء العرب الموصوفات بالادب والفصاحة والحماسة لم يكن في زمانها أحسن منها سيرة وأعذب منطقا وألطف شارة لها جملة مراث غير هذه ولم تمكث زمنا بعد أخيها وذلك لحزنها عليه

حرف الزاي

﴿زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي﴾

هي امرأة هرون الرشيد وأم ولده محمد الامين كانت ذات معروف وخير وفضل ونفقة واسعة على البر وأصحاب الحاجات وقصة حجها وما فعلته في طريقها من الاحسان مشهورة في كتب التواريخ شهرة عظيمة فوق ما كان لها من شهرة الشرف والثروة الواسعة فانها جمعت شرف الخلافة من أطرافها فأبوها ابن خليفة وعمها المهدي خليفة وزوجها أشهر الخلفاء وابنها خليفة أيضا ولذلك قد كثرت عنها الحكايات والاخبار في كتب العرب قال ابن الجوزي انها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وأنها أسالت المياه عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخور حتى غلغلته من الحل الى الحرم وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة فقالت اعملها ولو كانت ضربة الفاس دينارا وكان لها مائة جارية تحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن وقيل كان اسمها أمة العزيز فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها قال ابن الاثير وكان مولد زبيدة بقصر حرب وهو قصر بناه حرب بن عبد الله من أكابر قواد المنصور حينما وجهه المنصور مع ولده جعفر أبي زبيدة ليكون نائبا عن مالك بن الهيثم في ولاية الموصل وهذا القصر بأسفل الموصل وتزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هجرية وكان يحبها كثيرا ويكرمها غاية الاكرام وكانت هي شديدة البر به والاحتفاظ على رضاه ولم يكن يمنع عنها شيأ من كل ما تطلبه من نفقة

وبما يتعلق بها وبغيرها مما يسرها وينفعها غير أنها بعد تلك الكرامة والعزة والابهة أصبحت بعد موت الرشيد فى حالة سيئة من الكآبة والذل وخفض الجناح وذلك لما وقع بين الامين والمأمون من الفتن ولاسيما بعد ما قتل ولدها الامين فى تلك الاثناء وقد كتبت للمأمون بأبيات ترثى بها سوء حالها بعد فقد ولدها وهى

لخير امام قام من خير عنصر * وأفضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الاولين وفهمهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعينى مستهل دموعها * اليك ابن عمى من جفون ومحجر
وقد مسنى ضير وذل كآبة * وأرق عينى يا ابن عمى تفكرى
وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فأمرى عظيم منكر عند منكر
سأشكو الذى لاقيته بعد فقده * اليك شكاة المستضير المقهر
وأرجو لما قد مر بى مذ فقدته * فانت لبثى خير رب معمر
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فيما أتى بمطهر

وذلك لان طاهر بن الحسين هو الذى قام بحرب الامين وكان السبب فى قتله

فأخرجنى مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالى وأخرب أدورى
يعز على هرون ما قد لقيته * وما مر بى من ناقص الخلق أعور
فان كان ما أبدى بامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتى * فديتك من ذى حرمة متذكر

﴿وقالت زبيدة أم جعفر ترثى ولدها الامين﴾

أودى بالفين من لم يترك الناسا * فامنح فؤادك عن مقتولك الياسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له * أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت متكئا أرعى النجوم له * اخال سنته بالليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه * حتى سقاه التى أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به * وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردودا لنا أبدا * حتى يرد علينا قبله ناسا

فلما قرأها المأمون بكى وقال أنا الطالب بثار أخى قتل الله قتلته ثم ان المأمون عطف على زبيدة فجعل لها مكانا فى قصر الخلافة وأقام لها الوظائف والخدم والجوارى وكانت حاضرة عند دخوله الغرفة التى زفت اليه بها بوران بنت الحسن وطلبت لها بوران منه الاذن بالحج فأجابها الى طلبها وألبست بوران يدها قسما من ملابسها وأما حجتها المشهورة فقيل أنفقت فيها فى بناء المساجد والصدقات ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وأجرت الماء من دجلة الى عرفات ثم الى مكة حتى سقت أهلها كما مر وهذه مبالغة عظيمة فالماء الذى أجرته الى مكة ليس من دجلة قيل وأجرت نبع العرعار من جبل لبنان الى بيروت حتى وصل الى وادى المكلس فبنوا له طبقات قناطر حتى جرى الماء فوقها الى جانبه الآخر وتطرق الى بيروت لانها كانت قد مرت من هناك فى حجتها المذكورة فوجدت الماء قليلا والى الآن يقال لهذه القناطر قناطر زبيدة

والارجح أن بانية هذه القناطر انما هي زنوبيه ملكة تدمر المعروفة باسم زبيدة أيضا ولها آثار كثيرة من مثل ذلك تدعى الزبيدية غالبا نسبت اليها منها بركة في طريق مكة بين العقيق والعذيب بها قصر ومسجد عمرتهما من مالها ومحلات ببغداد مشهورة أيضا باسمها ولكثرة مالها وسعة نفقتها ضرب المثل الحريري بقوله (لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها) ومما يحكى عن حلمها وحسن أخلاقها وفهمها ان أحد الشعراء مدحها بقصيدة يقول من جملتها

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطي الاكف من الرغاب

فهم الخدم بضربه وطرده وكانت هي خلف الستارة تسمعه فقالت دعوه لانه لم يرد الا خيرا ولكنه أخطأ الصواب فانه سمع شمالك أندى من يمين غيرك وقفال أحسن من وجه سوالك فظن أن الذى ذهب اليه من ذلك القبيل أعطوه ما أمل ونبهوه على ما أهمل وأخبارها كثيرة منها انه حصل جفاء بينها وبين المأمون يوما فوجهت الى أبي العتاهية تعلمه بذلك وتأمره بان يقول أبياتا تعطفه عليها فقال

ألا ان ريب الدهر يدني ويبعد * ويؤنس بالالاف طورا ويفقد

أصيبت بريب الدهر مني يد علت * فسلمت للاقدار والله أحمد

وقلت لريب الدهر ان ذهبت يد * فقد بقيت والحمد لله لي يد

اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

فلما سمع المأمون هذه الابيات حسن موقعها عنده وأحسن اليها وبكى وقام من وقته اليها وأكب عليها وقبلت يديه وقال لها ما جفوتك تعمدا ولكن شغلت عنك بما لم يكن اغفاله فقالت يا أمير المؤمنين اذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك وأتم يومه عندها

قال الحسن بن ابراهيم بن رباح كان مخارق المغني يهوى جارية لام جعفر يقال لها نهار ويستر ذلك عن مولاتها حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته عن المرور ببابها وكان بها كلفا فلما بلغه الخبر أن أم جعفر علمت حبهما قطعها وتجافاها اجلالا لام جعفر وطمعا في السلو عنها وبقي على ذلك حتى ضاق ذرعه وبينما هو ذات ليلة راكب في زلال وقد انصرف من دار المأمون وأم جعفر يشرف على دجلة اذ جاز دارها فرأى الشمع يزهر فيها ولما صار بمسمع منها ومرأى اندفع يغني

ان يمنعوني ممري قرب دارهم * فسوف أنظر من بعد الى الدار

سيما الهوى اشتهرت حتى عرفت بها * أني محب وما بالحب من عار

ما ضر جيرانكم والله يصلحهم * لولا شقائي اقبالي وادباري

لا يقدرون على منعي ولو جهدوا * اذا مررت وتسليمي باشعاري

فقالت أم جعفر مخارق والله ردوه فصاحوا به قدم فقدم وأمره الخدم بالصعود فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها النبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنينه ثم ضربت عليه فغنى وكان أول ما غنى به

أغيب عنك بود ما يغيره * نأي المحب ولا صرف من الزمن

فان أعش فلعل الدهر يجمعنا * وان أمت فقتيل الهم والحزن

قد حسن الله في عيني ما صنعت * حتى أرى حسناما ليس بالحسن

ولما انتهى من غنائه اندفعت تم ارفغنت كأنها تباين وانما قصدها اجابته عن معنى ما عرّض لها به

تعتل بالشغل عنا ما تلم بنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففطنت أم جعفر أنه خاطبت بما في نفسها فضحكت وقالت ما سمعنا بأملح مما صنعتما ووهبتها له

ومنها ما قاله أبو العتاهية عن نفسه قال لما جلس الامين بالخلافة أنشدت أبياتا وهي

ياابن عم النبي خير البريه * انما أنت رحمة للرعيه

ياأمين الهدى الامين المصفى * بلباب الخلافة الهاشميه

لك نفس أمارة لك بالخير * وكف بالمكرمات نديه

ان نفسا تحملت منك ما حملت للمسلمين نفس قويه

وبعد فراغه من الابيات ذهب لام جعفر فقالت له أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين فأنشدها فقالت أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد فغضب وقال لها أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح وأنا القائل فيه

ياعمود الاسلام خير عمود * والذي صيغ من حياء وجود

والذي فيه ما يسلي ذوي الاحـ * ـزان من كل هالك مفقود

والامين المهذب الهاشمي الـ * ـقرم محض الآباء محض الجدود

ان يوما أراك فيه ليوم * طلعت شمسه بسعد السعود

فقالت لي الآن وفيت المديح حقه وأمرت لي بعشرة آلاف درهم

قال محمد بن الفضل كان المأمون يوجه الى أم جعفر زبيدة في كل سنة مائة ألف دينار جددا وألف ألف درهم فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم فاغفلته سنة فرفع رقعة الى محمد بن الفضل وقال له ضعها بين يديها فوضعها وكان فيها

خبروني أن في ضرب السنه * جددا بيضا وصفرا حسنه

سككا قد أحدثت لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنه

فقالت انا والله أغفلناه فوجهت اليه بوظيفة على يدي ابن الفضل المذكور ولها أخبار كثيرة خلاف هذه وكانت وفاتها ببغداد في جمادى الاولى سنة ٢١٦ هجرية رحمها الله تعالى

﴿زبيدة القسطنطينية﴾

هي ابنة أسعد بن اسماعيل بن ابراهيم بن حمزة الحنفية ذكرها المرادي من جملة مشاهير أبناء القرن الثاني عشر للهجرة وقال هي أم الفطنة الشاعرة المشهورة وصاحبة الديوان الاديبة الفاضلة الكاملة الحاذقة ولدت بالقسطنطينية ونشأت بكنف والدها شيخ الاسلام المولى أسعد مفتي الدولة العثمانية وقرأت القرآن واشتغلت بأخذ الفنون وقرأت الفقه واللغة والآداب ونظمت الشعر الفارسي والتركي وتعلقت على الادب واشتهر ذكرها وشاع صيتها وكانت تخترع كل معنى مبتكر تحار به الالباب وامتدحت سلاطين وقتها ووزراءه واشتغلت بمطالعة الكتب واتصل بها المولى الرئيس ودرويش عبد الله نقيب الاشراف وقائد العساكر وتنافس الناس بشعرها وتداولته الايدي وكانت وفاتها في ذي القعدة سنة ١١٩٤

﴿زباء نائلة بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقى﴾

ملك الجزيرة ومشارق الشام كان جذيمة الابرش قتل أباها فملكت هى بعده ونهضت بالاخذ بثاره من جذيمة قيل وكانت مملكتها من الفرات الى تدمر وجنودها بقايا العمالقة وغيرهم فلما استجمع لها الامر واستحكم ملكها تأهبت لغزو جذيمة فقالت لها أختها وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال ثم أشارت عليها بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وقالت له ان ملك النساء قبح فى السماع وضعف فى السلطان وانها لم تجد لملكها ونفسها كفؤا غيرك فلما وصله الكتاب وهو ببقة من شاطئ الفرات استدعى خواصه واستشارهم فى الامر فاجمع رأيهم على أن يسير اليها ويستولى على ملكها ويتزوجها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من قبيلة لخم وهو ابن جارية لجذيمة كان أبوه تزوجها وكان أديبا حازما ناصحا لجذيمة مقربا اليه فخالفهم فيما أشاروا به وقال رأى فاتر وعدو حاضر وقال لجذيمة اكتب اليها ان كانت صادقة فلتقبل اليك والا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فقال جذيمة رأيك فى الكن لا فى الضح أى فى البيت لا فى الخارج ثم دعا بابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومى مع الزباء فاذا رأوك صاروا معك فأطاعه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر ثم ان جذيمة استخلف على الملك عمرو بن عدى وعلى خيوله عمرو ابن عبد الجن وسار فى وجوه أصحابه ومعهم قصير فلما أبعدوا قليلا قال لقصير ما الرأى قال ببقة تركت الرأى ثم استقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير وخطب كبير وستلقاك الخيول فان سارت أمامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبتيك فأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا فانى راكبها ومسايرك عليها (والعصا فرس كانت لجذيمة لا تجاريها الخيل) فلما القيته الكتائب حالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال ويل آمه حزما على متن العصا ما ضل من تجرى العصا به فلما وصلوا به أدخلوه على الزباء فاجلسته على نطع وأمرت بطشت من ذهب وسقته الخمر بكثرة ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطشت وقد قيل لها ان قطر من دمه شئ فى غير الطشت طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه خارج الطشت فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله ثم هلك جذيمة على هذا الحال وأما قصير فقد جرت به العصا الى غروب الشمس وقد قطعت أرضا بعيدة وقد سقطت به ميتة فدفنها وبنى عليها بناء وسار حتى دخل على عمرو بن عدى وقال له تهيأ ولا تطل دم خالك فقال وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو وكانت الزباء قد سألت كهنتها عن أمرها وكيفية موتها فقالوا لها نرى قتلك يكون على يد عمرو ابن عدى فحذرت عمرا من ذلك اليوم واتخذت لنفسها سربا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها حتى اذا فاجأها أمر دخلت السرب ومضت الى الحصن ثم دعت برجل مصور حاذق فى صناعته وأرسلته الى عمرو بن عدى متنكرا وقالت له صوره قائما وجالسا ومتفضلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه وذلك حتى اذا رأته فى أية حالة منها تعرفه ففعل المصور ما أمرته به وأتى اليها بالصور وأما قصير فقال لعمرو اجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى واياها ففعل به عمرو ذلك وخرج قصير حتى قدم على الزباء فادخل عليها فلما رأته أجدع قالت لامر ما جدع قصير أنفه ثم قالت ما الذى أراه بك يا قصير قال زعم عمرو أنى غدرت بخاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بى ما ترين فاقبلت اليك وقد عرفت أنى لا أكون مع أحد

هو أثقل عليه منك فأكرمته ورأت ما أعجبها من حزمه وحذقه ودرايته ومعرفته بأمور الملك فلما عرف أنها قد وثقت به قال ان لى بالعراق أموالا كثيرة ولى بها طرائف وعطر فابعثينى لاحمل مالى وأحمل اليك من طرائفها ومن صنوف ما يكون بها من التجارة فتصيبين أرباحا وبعض مالا يكون للملوك غنى عنه فأذنته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه الدواب فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدى مختفيا وأخبره الخبر وقال جهزنى بصنوف البز والطرف لعل الله يمكننا من الزباء فتصيب منها ثأرك فأعطاه ما طلب وعاد به الى الزباء فأعجبها ذلك كثيرا وزادت بقصير ثقتها ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته فى المرة الاولى فسار الى العراق ولم يدع طرفة الاقدم بها اليها حتى تعجبت منه ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لى ثقات أصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر (وهى كالصناديق كان هو أول من اخترعها) فلما تهيأت جعل كل رجلين فى غرارتين على ظهر بعير وجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال لعمرو اذا وصلنا فأقف على باب السرب ثم أخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت هى الى سرب اقتلتها أنت فلما تم ذلك سار قصير مجدا حتى اذا قرب سبق اليها وبشرها بكثرة ما حمل اليها من المال والتحف والثياب وكان المسير فى الليل ويكمن فى النهار لراحة القوم فاشرفت الزباء من قصرها وأبصرت الابل مثقلة بالاحمال تسير الهوينا وتكاد قوائمها تسوخ فى الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا تارزا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

ثم دخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودخل عمرو على باب السرب ثم وضعوا السيف فى أهل البلد وأقبلت الزباء تريد الخروج من السرب فلما أبصرت عمرا عرفته بالصورة فمصت سما كان بخاتمها وقالت بيدى لا بيد عمرو وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم رجع الى العراق وجلس على سرير الملك بعد خاله جذيمة

الزرقاء جارية بن رامين

كانت من المشهورات بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب أهل زمانها وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرا فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفى بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لى فيهما أربعون ألف درهم فقالت هبهما لى فقال أفعل ان شئت قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فمها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا متكسرا بين يديها كأنما يريد به خلاس أمامها وتقدم اليها وأقبلت لتنالهما فجعل يروغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت من هو المغلوب منا فقال والله لا يزال طيب هذه الرائحة فى فمى ما حييت أبدا ولما أفضت الى جعفر بن سليمان وأبوه عامل المنصور على البصرة فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها فى هذه الايام وقد خرج عليهم خارجى فغمزت الخادم فأخرجها اليه فبهت من جمال طلعتها وحلاوة منطقها فرضى ولم يعتب بعدها أبدا وقال للزرقاء يوما هل تمكن أحد من محبيك منك بشئ فخشيت أن تكتمه ما عساه أن يكون بلغه فأخبرته بموافقة الصيرفى فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات وبقيت الزرقاء عنده فى عز وجاه الى أن ماتت

الزرقاء ابنة عدى بن قيس الهمدانية

كانت ذات شجاعة و بلاغة عظيمة وكانت شهدت مع قومها صفين ولها جملة خطب ألقتها فى مواقف القتال حتى خيل لمن يسمعها أنها أضغاث أحلام وبينما معوية بن أبى سفيان جالس فى ديوانه بدمشق بعدما آل الامر اليه واجتمع حوله حاشيته تذاكروا حرب صفين فقال أحدهم انه رأى الزرقاء وهى راكبة على بعير واقفة بين الصفين وهى تحرض الناس على القتال ولم ترهب أحدا من الفريقين فقال معاوية أوهى حية الى الآن فقيل له نعم هى مقيمة بالكوفة فقال يجب أن نستقدمها الينا ثم كتب الى عامله بالكوفة أن يوقرها مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها وأن يمهد لها وطاء لينا ويسترها بستر حصين ويوسع لها فى النفقة فارسل اليها فاقرأها الكتاب فقالت ان كان أمير المؤمنين جعل الخيار لى فانى لا آتيه وان كان حتما فالطاعة أولى فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به فلما دخلت على معوية قال مرحبا وأهلا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة قال أتدرين فيم بعثنا اليك قالت انى لا أعلم مالم أعلم قال ألست الراكبة الجمل الاحمر الواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب والدهر ذو غير من تفكر بصر والامر يحدث بعده الامر قال لها معوية أتحفظين كلامك يومئذ قالت لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته قال لكنى أحفظه لله أبوك حين تقولين أيها الناس ارعووا وارجعوا انكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها ان المصباح لا يضىء فى الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر ولا يقطع الحديد الا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على المضض فكان قد اندمل الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق الظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى ليقضى الله أمرا كان مفعولا الا آن الاوان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده (والصبر خير فى الامور عواقبا) أيها فى الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين ثم قال لها والله يا زرقاء لقد أشركت عليا فى كل دم سفكه قالت أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه قال أو يسرك ذلك قالت نعم والله لقد سررت بالخبر فانى لك بتصديق الفعل فضحك وقال لها والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له فى حياته اذكرى حاجتك قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ثم انصرفت وبعد ذلك أرسل لها معوية جائزتها

زرقاء اليمامة ابنة مرة الطسمى

هى اخت رياح بن مرة كانت حادة البصر ليس على وجه الارض أبصر منها وكانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال فلما أغار على قومها الملك حسان أحد ملوك اليمن وكان أخوها مع القوم وذلك فى خبر طويل وحين قربوا من اليمامة حذرهم رياح من أخته وأخبرهم بانها تنظر الراكب من مسيرة كذا ميلا وأمرهم أن يقلعوا الشجر وكل شخص يحمل أمامه شجرة ففعلوا ثم ساروا ولما أشرفت من منظرها قالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ماذاك قالت أشجار تسير وراءها شىء وانى لأرى رجلا

من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ أهبة الحرب ففي ذلك تقول الزرقاء لجديس تحذرهم

انى أرى شجرا من خلفها بشر * فكيف يجتمع الاشجار والبشر

سيروا بأجمعكم في وجه أولهم * فان ذلك منكم فاعلموا الظفر

فلم يسمعوا لها وهجم عليهم الملك حسان بحمير فافناهم وشتت شملهم فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة فأمر بها فنزعت عيناها فاذا هي داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت أكتحل به فنسب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب خيمتها وهو اسم البلد الذى كانت جديس مقيمة فيها وسميت الزرقاء المذكورة باسمها

﴿زليخا امرأة قطفير عزيز مصر﴾

قيل ان اسمها راعيل ابنة عايل وقيل اسمها بكا ابنة فيوش وأكثر التواريخ أن اسمها زليخا كان والدها من أولاد ملوك القبط الذين حكموا مصر قبل دخول العرب الذين سماهم المؤرخون ملوك الرعاة كانت زليخا رأت في نومها انها ستكون ملكة على مصر وان القمر صار تاجا لها والبسته يوم توليتها على عرش المملكة فقيل لها انها ستتزوج بملك مصر ومضى على ذلك أيام وليال ولم يظهر لمنامها تأثير حتى انها تزوجت بقطفير عزيز مصر الذى كان بذلك الزمان محافظا على البلد من قبل ملكها وظنت ان منامها كان أضغاث أحلام فصرفت أفكارها عما رأت وفي أثناء ذلك دخلت العرب الى مصر واستولت عليها وأبقت من دخلوا تحت الطاعة في الاحكام مثل قطفير وخلافه وبذلك صارت زليخا مسموعة الكلمة مطاعة الاوامر مقبولة الرجاء عند ملوك الرعاة ولم تطلب أمرا الا تجاب عليه وبقيت تحت قطفير حتى قيض الله لها يوسف بصفة عبد جاءت به التجار وصارت عليه المزايدة حتى رسا مزاده على قطفير زوج زليخا فأخذه اليها وأمرها باكرامه فأخذته اليها وأكرمت مثواه اكراما لامزيد عليه حتى جعلته بمثابة أولاد الملوك وكانت تلبسه الديباج وقراطق الحرير وتوقفه على رأسها وتأمره بما تريد من أمرها ولما تفرس العزيز في يوسف الخير والصلاح لم ينزله منزلة العبيد بل قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهو يومئذ ابن سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة فكانت زليخا تمشط شعره بيدها وتخدمه بنفسها ومازالت زليخا في كل يوم تحسن الى يوسف وتتولى أمره حتى مال قلبها اليه وتكاثر وجدها عليه وهو مع ذلك لا يلتفت اليها بعينه حياء من ربه ولا ينظر اليها حتى تكاثر همها ودق عظمها وكابدها الشجون وواصلها النحول فلما عيل صبرها وضاق صدرها دخلت حاضنتها فقالت لها ياسيدتي أرى غصنك ذابلا وجسدك ناحلا وقلبك مائلا فقالت لها وكيف لا وأنا أخدم هذا الغلام منذ سبع سنين ألاطفه بلساني وأتحبب اليه باحساني وكلما زدت ميلا اليه زاد اعراضا عني وكلما اقتربت منه تباعد مني فقالت الحاضنة ياسيدتي لو نظر اليك لكان أسرع اليك منك اليه ولو نظر الى حسنك وجمالك وصفائك لونك لما قر له قرار دونك فقالت لها وكيف لي به قالت لها مكنيني من الاموال فقالت هاخزائني بين يديك خذى منها ماشئت ودعي ماشئت لاحساب عليك في ذلك فتمكنت من الاموال ودعت أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتا ترى الوجوه في سقفه وحائطه كما ترى في المرآة المصقولة فاجابوا بالسمع والطاعة

ثم بنوا لها بيتا سمته القيطوم فلما تكامل بناؤه وتم اتقانه دعت بحضور مصور حاذق فصور فى الحائط صورة يوسف وزليخا متعانقين ولم يبق من صورتهما شئ الا صور وأمرت بسرير من ذهب مرصع بالدر والياقوت واللؤلؤ فوضعته فى صدر البيت وجعلت عليه فرش الديباج والحرير الملون ثم فرشت البيت وأرخت الستور ثم ألبست زليخا من نوع الحلى والحلل النفيسة ما لا يوصف ولا يقدر بقيمة وأجلستها على مرتبة عظيمة مما يليق بمثلها ثم خرجت الى يوسف وهى مستعجلة فقالت يا يوسف أجب سيدتك زليخا فانها تدعوك فى بيتها القيطوم وكان سامعا لها مطيعا وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به فرمى القضيب من يده وأسرع الى الباب ليدخل فنادته زليخا مستعجلة له بالدخول فظن السوء فى نفسه وأراد الرجوع بعد أن وضع رجله داخل العتبة فتوقف عند ذلك وزاد احساس قلبه بالشر فاسرعت اليه وجذبته الى السرير وقالت هيت لك فاغمض عينيه وكف يديه ونكس رأسه حياء من الله تعالى فقالت له يا يوسف ما أحسن وجهك قال الله صوره فى الارحام قالت ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسقطان منى فى قبرى قالت ما أحسن شعرك قال هو أول ما يبلى منى قالت يا يوسف ما أطيب ريحك قال لو شممت رائحتى بعد ثلاث لفررت منى قالت يا يوسف أتقرب اليك فتتباعد منى قال لها أرجو بذلك التقرب من ربى قالت انظر الى نظرة واحدة قال لها أخشى العمى من ربى فى آخرتى قالت ضع يدك على فؤادى قال لها اذا تغل فى النار يدى قالت أشتريك بمالى وتخالفنى فقال الذنب لاخوتى اذ باعونى حتى ملكتينى قالت اصبر معى ساعة واحدة فى البيت قال لها أليس فيه شئ يسترنى من ربى قالت يا يوسف بأى وجه تخالفنى وبأى حكم ترجع عن مرادى ولا ترعى صنعى قال لها حكم الهى الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وبطشه واكرام السيدى الذى أكرم مثواى وأنزلنى منزلة الاولاد فقالت له أما الهك الذى فى السماء فانى أفتح بيوت الاموال وأتصدق عنك بها وأهديها اليه حتى يرضى عنك ويغفر لك ولا أبالى أنا فيما يفعل فى حقى لمرادى وقضاء حاجتى وأما سيدك الذى أكرم مثواك فانا أطعمه السم حتى يتشرح لحمه ويسقط عظمه ويموت جهدا وكمدا وأكون أنا وأموالى وما ملكت يداى ملكك وطوع يمينك قال اذا فما يكون عذرى يوم القيامة بين يدى ربى اذا أكون فضلا عن ارتكاب المعصية سببا فى جريمة قتل سيدى الذى أحسن الى وبعد هذه المحاورة التفت يوسف الى صنم داخل البيت وعليه ستر فقال لها لماذا استرت هذا الصنم قالت استحييت منه فقال اذا كنت تستحين من هذا وهو لا يسمع ولا يرى ولا ينفع ولا يضر فكيف أنا لا أخاف من ربى وقام وبادر بالخروج من الباب من غير أن يكون بينهما سبب من الاسباب وقد شهد الحق له بذلك فى كتابه العزيز بقوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) ولما رأته فر يريد الباب أدركته وجذبت قميصه من خلفه فتمزق القميص ووافق ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب يريد قضاء بعض حوائجه فاذا بوجبة فالتفت فاذا بالباب يحمل ويساق فدفع الباب وقال من فاذا يوسف مقدود الثوب باكى العين واذا زليخا ناشرة الشعر محمرة الوجه باكية العين فقال العزيز فيم أنتما فقالت زليخا يا سيدى غلامك العبرانى الذى ائتمنته على أهلك وسننت عليه بفضلك وأحللته محل ولدك يريد بأهلك السوء فاقبل العزيز على يوسف بوجهه وقال يا يوسف هذا جزائى منك ائتمنتك على أهلى وأحللتك محل الاولاد المكرمين ورجوت الخير والانتفاع بك فصرت تخوننى فى أهلى فقال يوسف معاذ الله أن أخونك فى أهلك وأرضى بذلك بل هى راودتنى عن نفسى فوقف العزيز متحيرا ينظر اليها تارة واليه أخرى

فقال يوسف ان لي شاهدا يشهد ببراءتي فقال العزيز ما هو الشاهد ولم يكن معكما أحد في البيت فقال انظر
هذا القميص كيف قد من دبر فلو كنت أنا المراود لكان القميص قد من قبل وهذا برهان محسوس على ذلك
وكان مع العزيز ابن عم لزليخا فلما سمع هذا الدليل وجده قاطعا فقال انظر الى قميصه ان كان قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فنظر العزيز الى القميص
فوجده قد من دبر فقال لها ان ذلك من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم قال ليوسف اكتم هذا ولا تبح به
لاحد وقال لها استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ثم تركهما وانصرف

وبعد ذلك قالت ليوسف قد فضحتني والله لاسلمنك للمعذبين يعذبونك حتى ينسل جسمك كما سللت
جسمي فقال لها ان كنت احتقرتني لغربتي فالله حسبي ونعم الوكيل واشتغلت عن ذلك بكلفها به
وشاع الخبر بمصر أن امرأة العزيز راودت فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وقد اجتمع نساء الملوك والامراء
والقادة مرة وتذاكرن أمرها فاستقبحنه وقلن انها في ضلال مبين فبلغ ذلك زليخا وعظم عليها فارادت أن
تبين عذرها لهن فيه فصنعت لهن صنيعا وأرسلت اليهن تدعوهن لضيافتها وهيأت لهن مجلس أنس
وأوجدت فيه كل معدات الطرب وكن عشر نسوة من نساء الملوك والامراء وعشر بنات أبكار من بنات
الملوك والامراء وبعد أن تناولن الطعام قدمت لكل واحدة منهن صحفة من عسل وأترجة وسكينا حادا
وقالت لهن ما حقي عليكن فقلن لها أنت سيدتنا وكبيرتنا والمطاعة فينا نسمع لك ونطيع فقالت لهن بحقي
عليكن اذا خرج عليكن فتاي يوسف الا ما قطعتن له مما في أيديكن وأعطيتنه بأكل فقلن لها حبا وكرامة
فتركتهن وذهبت الى يوسف وقالت له يا يوسف أطعني اليوم واعصني أبدا قال أما ما لم يكن فيه سخط ربي
فلا أبالي فقالت له دعني حتى أزينك وان كنت مزينا قال اصنعي ما بدا لك فرصعت جوانبه بالدر والياقوت
وكللت جبينه بالجوهر وألبسته قباء أخضر ومنطقته بمنطقة من ذهب أحمر ووضعت على عاتقه منديلا
من السندس وكاسا من ذهب في يده وقالت اخرج عليهن فلو رأين منك ما رأيت لذهبن عن أنفسهن
ولتركن الطعام والشراب ولمن أنفسهن كما لمتني فخرج عليهن وهن قعود يقطعن في الاترج فلما رأينه
ظنن أنه صنم زليخا الذي تعبده وكن يسمعن به ويحببن أن ينظرن اليه فلما بدا لهن يوسف أكبرنه وصرن
شبه السكارى والحيارى من كثرة تعجبهن من بهائه وكماله وأمعن في نظرهن الى حسنه وجماله ورمن أن
يقطعن ما في أيديهن كما شرطت زليخا عليهن فصرن يقطعن أيديهن وصارت الدماء تسيل في حجورهن
ولا يجدن ألم القطع ولا حدة السكاكين ولا وقوع الدم على الاجسام ويوسف يقول ويحكن ماذا
تصنعن بأنفسكن انما أنا عبد من عبيد ربي وزليخا تضحك مما تراه منهن من تقطيع أيديهن وذهاب
عقولهن وأمرته بالانصراف فلما غاب عن عيونهن رجعن الى حسهن فقالت لهن زليخا ويحكن من
لحظة واحدة فعلتن بأنفسكن هذا وأنا منذ سبع سنين أقاسي منه ما أقاسي وأخدمه على أطراف
البنان وهو لا يعيرني طرفه ولا يلتفت نحوي فقلن لها حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
فقالت لهن ما هذا الذي فعلتنه بأنفسكن فلما رأين ما نزل بهن أدركهن الخجل وذكرن ما لم نهابه
فقالت لهن هذا الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وأبى ولئن لم يفعل ما آمره لأسجننه
وأعذبنه حتى يكون من الصاغرين وقد أقرت لهن بأمرها لكونهن عذالها ورأتهن وقعن بما وقعت
به فقلن لها انك لمعذورة فربنا أن نكلمه بشأنك عساه أن يطيع ويسمع عندما نوبخه عن اعراض نفسه

فأذنت لهن بالخلوة طمعا في أن يملنه اليها فجعلت كل واحدة منهن اذا خلت به تدعوه الى نفسها وتشكو اليه وجدها فقال يوسف يا ربي كانت واحدة ولم أقدر عليها الا بعنايتك وقد صرن جماعة رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين

ولما رأين أن لا حيلة لهن باستمالته قلن لها افعلي ما بدا لك فيه فطاولته مدة من الزمن ولما يئست منه قالت لزوجها ان هذا الغلام فضحني بين الناس ونكس رأسي بين نظرائي وقد شاع خبري وخبره في مصر ولا براءة لي عندهم الا أن أحبسه في السجن فقال لها زوجها لا يحبسه الا الملك الريان بن الوليد وكان مراده أن يخرج أمره من يدها لانه اذا كان أمره بيدها ربما حنت عليه وأخرجته من السجن فلما سمعت ذلك لبست ثيابها وزينتها وجعلت تاجها على رأسها وخرجت حتى أتت الى الريان بن الوليد وكان في بيته الاعظم وهو بيت من الحديد والنحاس فيه الزخارف بأنواع الجواهر والمعادن وكان يجلس في أعلى الباب حتى اذا دخل عليه أحد يراه قبل دخوله فان شاء أذن له والا ينصرف ولما رأى زليخا مقبلة أذن لها بالدخول وأمر الغلمان بفتح الابواب أمامها وكانت ذات قدر عظيم عنده مسموعة الكلمة لانها من بنات الملوك ولما دخلت على الملك خرت له ساجدة فقال لها الملك ارفعي رأسك فانت المقربة المرضية وحاجتك عندي مقضية فرفعت رأسها اليه وأخذت في الثناء عليه بقولها أيها الملك دام لك العز والبقاء وألبست ثوب النعمة والرخاء لم تزل لي مكرما ولقضاء حاجتي مسرعا وان عبدي العبراني قد استعصى علي وأحب أن تأذن لي بحبسه في سجن المجرمين حتى يتأدب ولو بعد حين فقال لها قد أجبتك وجعلت أمر السجن بيدك فانطلقي فاطلقي من شئت واحبسي من شئت فأخذت اذنه ورجعت الى منزلها وأمرت باحضار الحدادين اليها فمثلوا بين يديها فقالت لهم اني أريد أن تصنعوا لي قيدا محكما لعبدي يوسف العبراني فقالوا أيتها الملكة المطاعة في أمرها العظيمة في قومها انا نرى بدنا ناعما وساقا رقيقا ووجها أنيقا وانه ربي بنعمة كاملة وعافية شاملة فكيف يقوى على حمل القيد الحديد الثقيل فقالت قيدوه وهذا لا يعنيكم فقال يوسف افعلوا ما أمرتكم به فاني من أهل بيت البلاء فقيدوه وحملوه على الاكتاف وانطلقوا به الى السجن وتسامع الناس به فاقبلوا اليه من كل مكان حتى غصت الطرقات وصاروا ينظرون اليه ويقولون انه عصى سيدته الملكة وهو منكس رأسه ويقول هذا خير من عصيان رب العالمين فلما وصلوا به الى السجن قالوا للسجان خذ هذا فان سيدته غضبت عليه وأمرت أن يسجن في سجن المجرمين فادخله السجان الى السجن ووضعه بين أصحاب الكبائر والجنايات ودخل العزيز على زليخا وقال ما فعلت بيوسف قالت قيدته وحبسته وكان مرادها أن تخرجه عن قريب فقال لها أقسمت عليك بالملك الريان ورأسه الا ما أبقيت يوسف في السجن ما دام الملك حيا فلم يمكنها الا ابرار القسم وأدركها الندم ولم تجد عذرا تخرجه به وكانت تصعد اذا جن الليل الى أعلى قصرها وتنظر الى جهة السجن وتبكي وتقول حبيبي يوسف ليت شعري أنائم أنت أم يقظان أجائع أنت أم عطشان وتبقى على ذلك النحيب والبكاء حتى ينفجر الصبح وجدا عليه وشوقا اليه وقد أنحلها الغرام وخالطها الهيام وداخلها السقام وهجرها المنام وتعذر على ناعتها اثباتها ودامت على ذلك لا تشكو ولا تذكره ولا تسأل الا عن أمره مدة اثنتي عشرة سنة حتى أذن الله ليوسف بالخروج من السجن كما جاء في قصته ولم يشأ الخروج الا بعد براءة ساحته فجاء الملك بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن وسألهن عن ذنب يوسف بقوله ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وكيف دعوتنه الى الفاحشة فأقررن عند ذلك

وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولا كانت له رغبة فينا ولا دعوة للزنا وانه لبرىء الساحة طاهر الذيل فقالت زليخا هذا وقت بيان الحق واضمحلال الباطل ان مراد حبيبي اقراري فأنا أقر بذنبي الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولما ظهرت براءة يوسف وتبوأ الملك وحصل القحط فى مصر نسي زليخا ولم يفتكر بها لكثرة اشغاله وقد مات العزيز زوجها وهي لكثرة اسرافها نفدت أموالها خصوصا فى أيام القحط التى حصلت بمصر فى مدة يوسف حتى صارت لا تملك شيأ ومدت يدها للسؤال فقيل لها لو تعرضت للصديق لرحمك وأعطاك شيأ عن الناس يغنيك وقيل لها من آخرين لا تفعلي فربما يذكر ما كان منك اليه من المراودة وطول السجن والمخالفة فيسيء اليك ويعاقبك فقالت أنا أعلم بحبيبي منكم ان من خلقه الصفح والاحتمال والفضيلة والابتهال ثم نهضت حتى جلست على ربوة بطريقه وكان ليوسف يوم يركب فيه فى كل أسبوع وكان يركب معه من عظماء دولته ووزرائه وقواده وأرباب مملكته نحو المائة ألف نفس فلما أقبل يوسف وأحست به قامت ونادت بأعلى صوتها سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية فامسك العنان ونظر اليها وهي واقفة فى ذلك المكان فقال لها من أنت قالت أنا التى كنت أخدمك دهرا وأرجل جمتك وكان مني ما كان فى ذلك الزمان قد ذقت وباله ولقيت نكاله وتغيرت كما ترى أحوالي وصرت أسأل الناس الذين كانوا يسألوني فمنهم من يرحمني ومنهم من يعرض عني وهذا جزاء من خالف مولاه واتبع هواه فلما سمع الصديق كلامها بكى اشفاقا عليها ثم قال لها هل بقي بقلبك شيء مما كان قالت والله لنظرة فيك أحب الي من الدنيا وما فيها ثم قالت ناولني طرف سوطك فناولها اياه فوضعته على قلبها فأحس يوسف بانتفاض يده مع السوط من شدة انتفاض قلبها وقال لها ما أصاب قلبك فقالت يا يوسف هو كما ترى فقال لها اذهبي الى منزلك وانا سننظر فى أمرك ثم ذهب باكيا وبعد وصوله الى مستقره أرسل اليها رسولا فقال لها يقول لك الملك ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت للرسول اليك عني فان الملك أعرف بالله من أن يستهزئ بي فانه لم يلتفت الى أيام شبابي وجمالي فكيف يلتفت الي الآن ولم تصدق قوله فرجع الرسول وأخبر الصديق بما قالت وذكرت من شأنها فعلم أنها غير واثقة بما قاله لها الرسول فلما كان فى الاسبوع الثاني مر الصديق عليها بموكبه فرآها على الحالة التى رآها بها أول مرة وقالت له كما قالت فى الاول فقال لها ألم يبلغك رسولي ما أرسل به اليك فما ترين فقالت ألم أقل ان نظرة اليك أحب الي من الدنيا وما فيها فلما سمع منها ذلك أمر بحملها الى قصره وأحضر الشهود وتزوجها فلما زفت عليه وأدخلت اليه نظر اليها فازداد اشفاقا عليها فاكرمها اكراما لا مزيد عليه ورتب لها من يقوم بأودها ولم يمض زمن حتى عاد اليها جمالها ورونقها وبهاؤها وكمالها وذلك من سرورها بما نالت من حبيبها حلالا بعد الحرام وانتقالها من دنيا الى أخرى بقدرة الملك العلام وقيل انها طلبت اليه أن يدعو الله أن يرد لها جمالها ففعل وهنالك تذكرت المنام الذى كانت رأته قبل تزوجها بقطفير فرأت أن تفسيره قد حصل بزواجها بيوسف أن لبست تاج مصر فى مدته وصارت ملكة كعادة زمانهم ولما دخل عليها يوسف وجدها بكرا فتعجب من ذلك وقال لها ما كنت تفعلين حين راودتني عن نفسي قالت أيها الصديق اعذرني ولا تلمني فان الله كساك حلة الجمال والبهاء والكمال وكان زوجي عنينا لا يقرب النساء فغلب علي حب الشهوة ففعلت ما فعلت

ولما أتاها ولدت له افرايم وبعده منشا وذلك فى مدة أربع سنوات ولم تلد له خلافهما مدة حياتها

﴿زوى امبراطورة المملكة الشرقية﴾

هى ابنة قسطنطين التاسع زفت الى رومانوس الثالث سنة ١٠٢٨ ثم عشقت صانغا يدعى ميخائيل وهو ميخائيل الرابع البافلاغونى فاهلكت زوجها وتزوجته فرقى تخت الملك ولم يلبث أن أساء معاملتها فاتفقت مع أخيه وعلى رواية ابن أخيه يوحنا الملقب من ثم ميخائيل الخامس وخلعاه ورقى ميخائيل تخت الملك سنة ١٠٣٥ فأساء معاملتها أيضا فأثارت هيجانا فى القسطنطينية وخلعت ميخائيل ورقت مكانه مع أختها تيودورا فتزوجت وكانت فى الثالثة والستين من عمرها قسطنطين العاشر مونوماخوس سنة ١٠٤٢ فصفا لها الجو وحكمت كيف شاءت الى أن هلكت سنة ١٠٥٢ ميلادية

﴿زينب ملكة تدمر﴾

كانت آية زمانها فى الجمال ونادرة عصرها فى الفضل المقرون بالجلال تعرف عند الرومان (بزنيوبيا) ملكة الشرق تولت عرش تدمر بعد زوجها أدينه المقتول عام ٢٦٧ للميلاد وكان اشتد ساعدها ورسخت فى البلاد وطأتها شادت فى عاصمتها الابنا آت الباهية الانيقة وغرست فى ضواحيها الرياض الزاهية حتى تركتها جنة من الجنان فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان ثم جنحت الى المغازى والفتوحات فدانت لشدة بأسها العباد وفتنت ببديع حسنها وسحر أساليبها الملوك فاسكرها الفوز والنصر وبعثها على التمادى فى طلاب العز والتماس الفخر فبعثت بالسرايا والصوائف الى مصر فقهرتها واقبت ذاتها بالقاب أهاجت عليها حسد مملكة الرومان فناوتها وزحف عليها أورليان قيصر الروم فعبأت الجيوش وقابلته على مقربة من أنطاكية فحمص فهزمها شر هزيمة حتى اعتصمت منه بقاعدة بلادها تدمر فأدار عليها رحى الحرب حصارا وقتالا حتى تداعت له أسوارها عنوة فاعمل فى أهلها السيف وفى قصورها التخريب حتى غادرها قاعا صفصفا يأوى اليها البوم والقطا نادبة سالف مجدها المذكور وقديم عزها المأثور وأما زنوبيا فأسرها أورليان وقادها الى عاصمة الرومان ذليلة صاغرة حينما دخلها بموكب حافل وهى ترسف بقيودها الذهبية أمام العواجل وكان ذلك عام ٢٧٢ للميلاد فسبحان الحى الباقى من لاعاصم من يديه ولا واقى وأما تدمر فهى مدينة قديمة ذات آثار عظيمة كانت تعرف بمدينة النخل ويسميها الاقدمون بالمرى واقعة بين نهرى الفرات والعاصمة تبعد بنحو ٩٠ ميلا عن حمص الى الشرق و ١٥٠ ميلا عن دمشق الى الشمال الشرقى قيل انها سميت باسم تدمر بنت حسان التى بنت المدينة فى أيامها والصحيح أنها من بناء سليمان كما ورد فى التوراة وقد زعم العرب أن الجن بنوها له وعلى ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له * قم فى البرية فاحددها عن الفند

وخبر الجن أنى قد أمرتهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ولم تنل تدمر عزا مثل ما نالته فى مدة زنوبيا ولم يرجع اليها رونقها الاصلى أبدا حتى صارت خرائب فى هذا الزمان يأوى اليها البوم والغربان

﴿زينب ابنة عبد الله بن عبد الحليم﴾

كانت حنبلية المذهب وهى بنت أخى الشيخ تقى الدين قال الحافظ ابن حجر سمعت من ابن الحجار وغيره

وحدثت وانتفع الناس بعلمها ولى منها اجازة وهى من نساءا لحديث المشهورات ذات لهجة صادقة ولذلك عدت من المحدثين

﴿زينب ابنة محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية﴾

كانت أحسن نساء زمانها منظرا وأعذبهن مقالا وأفصحهن منطقا وأعلمهن بالفقه والحديث وكان يعرف أبوها بابن العصيدة حدثت بالاجازة العامة عن فخر الدين ابن البخار وغيره ومن تلامذتها الحافظ ابن حجر وله منها اجازة وعمرت أكثر من مائة سنة وعشر سنين وكانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالبا للحديث ولم يسمع بامرأة مثلها فتحت حلقة درس واجتمع فيه طلاب مثل طلاب حلقة درسها

﴿زينب ابنة عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية﴾

كانت من أفاضل العلماء ولها اليد الطولى فى علوم السنة سمعت من الحافظ ابن البخار وأخذ منها الحافظ ابن حجر وتوفيت سنة ثمانمائة ولها رسائل فى الفقه والسنة استند عليها كثير من العلماء

﴿زينب المرية﴾

هى ابنة أحد مشاهير العرب ولدت بالمرية من أعمال الاندلس ولم نقف على تاريخ ولادتها واسم أبيها والذى وصل الينا أنها كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وأدب وظرف وتهذيب ولطف رقيقة المعانى جزلة الالفاظ حاضرة النادرة لها شعر بديع جالست الادباء وساجلت الشعراء حتى انها كان يشار اليها بالبنان فى ذلك الاوان ومن شعرها

يا أيها الراكب الغادى مطيته * عرج أنبئك عن بعض الذى أجد

ماعالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا

حسبى رضاه وانى فى مسرته * ووده آخر الايام اجتهد

وتوفيت بالمرية ماسوفا عليها من ذوى الادب وأهل العلم

﴿زينب ابنة حدير﴾

كانت من عاقلات ذلك العصر وأطوعهن لازواجهن وكان زوجها القاضى شريح كما روى عنه الشعبى فانه قال قال لى شريح ياشعبى عليكم بنساء بنى تميم فانهن النساء قلت وكيف ذلك قال انصرفت من جنازة ذات يوم ظهرا فمررت بدور بنى تميم فاذا امرأة جالسة فى سقيفة على وسادة وفى جانبها جارية كأنها البدر فى الليلة الداجية فاستقيت فقالت لى أى الشراب أعجب اليك النبيذ أم اللبن أم الماء قلت أى ذلك تيسر عليكم فقالت اسقوا الرجل لبنا فانى اخاله غريبا فلما شربت نظرت الى الجارية فأعجبتنى فقلت من هذه قالت ابنتى قلت وممن قالت زينب بنت حدير احدى نساء تميم ثم احدى نساء بنى حنظلة ثم احدى نساء بنى طهية قلت أفارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت نعم ان كنت كفؤا لها عم فاقصده فانصرفت الى عمها فقال يا أبا أمية ما حاجتك قلت اليك قال وما هى قلت ذكرت لى بنت أخيك زينب بنت حدير قال ما بى عنك رغبة ولا بك عنها مقصر وانك لنهزة وزوجنى بها وبارك القوم لى ثم

ثم نهضنا فلما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت تزوجت الى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ثم قلت أجمعها الى فان رأيت ما أحب والا طلقتها فأقمت أياما ثم أقبل نساؤها يهادينها فلما أجلست في البيت أخلي لي البيت فقلت ياهذه ان من السنة اذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي وتصلي ركعتين ويسألا الله خيرا ليلتهما ويتعوذا بالله من شرها فقمت أصلي ثم التفت فاذا هي خلفي فصليت فاذا هي على الفراش فمددت يدي فقالت على رسلك فقلت احدى الدواهي منيت بها فقالت ان الحمد لله وحده أحمده وأستعينه اني امرأة عربية ولا والله ما سرت سيرا قط أشد علي منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدثني بما تحب فآتيه وما تكره فأزجر عنه فقلت الحمد لله وصلى الله على محمد قدمت خير مقدم على أهل دار زوجك سيد رجالهم وأنت سيدة نسائهم أحب كذا وأكره كذا قالت أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك فقلت اني رجل قاض وما أحب أن تملوني قال فبت بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثا ثم خرجت الى مجلس القضاء فكنت لا أرى يوما الا هو أفضل من الذي قبله حتى اذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فاذا عجوز تأمر وتنهى فقلت يازينب من هذه فقالت والدتي قلت حياك الله بالسلام قالت أبا أمية كيف أنت وحالك قلت بخير والحمد لله قالت كيف زوجتك قلت كخير امرأة قالت ان المرأة لاترى في حال أسوأ خلقا منها في حالين اذا حظيت عند زوجها واذا ولدت غلاما فان رابك منها ريب فالسوط فان الرجال والله ما حازت الى بيوتهم شرا من الورهاء المتدللة قلت أشهد أنها ابنتك قد كفيتنا الرياضة وأحسنت الادب قال فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف قال شريح فما غضبت عليها قط الا مرة واحدة كنت لها ظالما فيها وذلك أني كنت امام قومي فسمعت الاقامة وقد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقربا فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الاناء فلما كنت عند الباب قلت يازينب لا تحركي الاناء حتى أجيء فعجلت فحركت الاناء فضربتها العقرب فجئت فاذا هي تلوى فقلت مالك قالت لسعتني العقرب فبهذا السبب كان غضبي لتعجيلها رفعه وكان لي جار يضرب زوجته فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به * الي فما عذري اذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحلي ان هي حليت * كأن بفيها المسك خالط محلبا

زينب ابنة جحش

أم المؤمنين بنت جحش بن الرباب زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تكنى أم الحكيم وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي كانت قديمة الاسلام ومن المهاجرات مع الرسول وكانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم تحت زيد بن حارثة ومضى النبي يوما الى بيته لغرض فرفعت الريح باب الخباء فرأى زينب حاسرة فأعجبته ومن ثم كرهت الى زيد فلم يستطع أن يقربها فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أرابك فيها شيء قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله ففارقها زيد واعتدت فحلت للرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها وقرأ عليهم (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) الآية فكانت زينب تفتخر على نسائه وتقول زوجكن أهلكن وزوجني الله من السماء وذلك سنة ٥ للهجرة فلما دخل عليها قال لها

ما اسمك فقالت برة فسماها زينب ولما تزوجها تكلم فى ذلك المنافقون وقالوا حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه لان زيد بن حارثة مولى النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعى بابن محمد على سبيل التبنى فأنزلت الآية وهى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) والآية الاخرى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) فدعى زيد من ثم بابن حارثة وكانت زينب قصيرة جميلة صناع اليدين صوامة قوامة تشتغل وتتصدق من شغل يدها وقالت عائشة يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت فى هذه الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف ان الله عز وجل زوجها بنبيه ونطق به القرآن وان الرسول قال لنا ونحن حوله أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا فبشرها بسرعة لحوقها به وهى زوجته فى الجنة وذلك لانها أول من توفيت من نسائه بعده وكان يريد بطول اليد كثرة الصدقة وقال لعمر بن الخطاب ان زينب أواهة أى خاشعة متصدعة وتوفيت سنة ٢٠ وقيل ٢١ للهجرة وكان عمرها حين تزوجها ٣٥ سنة

﴿ زينب ابنة الحرث ﴾

امرأة يهودية من خيبر كانت زوجة سلام بن مشكم فلما استقر النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر أهدت له شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه فأخذ مضغة فلم يسغها ومعه بشير بن البراء بن معرور فأكل بشير منها وقال النبى ان هذه الشاة تخبرنى انها مسمومة ثم دعا المرأة فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت ان كان نبيا فسيخبر وان كان ملكا استرحنا منه فتجاوز عنها ومات بشير فى تلك الاكلة أما النبى صلى الله عليه وسلم فلم يؤثر فيه السم الا تأثيرا خفيفا فجمع بين كتفيه وقال فى مرضه الذى مات فيه هذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من أكلة خيبر فكان المسلمون يرون أنه مات شهيدا مع كرامة النبوة وادعى ورثة بشير على زينب فقتلت

﴿ زينب ابنة الامام أحمد الرفاعى ﴾

لبست الخشن من الثياب وتركت الطيب من الطعام والشراب وكانت قد أرخت الحجاب وتملت بعبادة الملك الوهاب وقنعت بدون اليسير مع القدرة ولزمت حنين أبيها وتبعت أثر طريقته بالذل والانكسار والسكينة والافتقار

كان السيد أحمد رضى الله عنه يقول كأنها خلقت رجلا والناس يظنون أنها خلقت امرأة وقال السيد عمر الفاروقى كنت ذات يوم عند السيد أحمد فأظهرنى على كثير من أسراره ثم أخذنى بيده ودخل بيته على رابعة فقال له سلم عليها واخدمها واسألها أن تدعو لك فجاءت زينب فقبل رأسها ثم قال لى أى عمر سلم عليها واخدمها واسألها أن تدعو لك ولذريتك ففعلت ذلك ثم قلت فى نفسى الاولى انه كان يأمرنى بالخدمة والتعظيم لرابعة فانها أكبر سنا فالتفت الى السيد أحمد قدس الله سره العزيز وقال لى أى عمر ان الله وعدنى أن يحيى بها الآثار ويعمر بها الديار فقالت زينب أى سيدى تعيش أنت ويعيش السيد صالح ويجعلنى الله فداءك ويحيى الله بك الآثار فقال بل فيك فقالت ياسيدى أنا أقعد وأحدث الناس وأجلس معهم فى المجالس فقال لها يازينب لا ولكن ذريتك يبقون الى يوم القيامة الا أن صاحب الشفاء أورد هذه الحكاية فى كتابه بغير هذا النسق قالت مريم بنت الشيخ يعقوب قد قالت لى زينب نتعب قليلا ونستريح طويلا السفر بعيد والطريق طويل والجسد ضعيف والزاد قليل وليس لنا بد من

هذا السفر لو ندركه قبل أن يدركنا ونستقبله قبل أن يستقبلنا لكان خيرا لنا (قال الزبرجدى) حفظت القرآن وتفقهت وسمعت الحديث من خالها الشيخ أبي البدر الانصارى الواسطى وأخذ عنها أولادها الائمة الاعلام وسمع منها الشيخ الكبير عمر أبو الفرج الفاروثى الكازرونى وكانت عظيمة القدر رفيعة المنزلة أقبل على زروع أهل واسط وأم عبيدة جيش الجراد فالتجأ الناس اليها فتقنعت وصعدت السطح وقالت الهى عبيدك ساقهم حسن الظن الى وأنت الذى ألقيت ذلك فى قلوبهم وانى أقل من أن أسألك لذنوبى وسواد وجهى وأنت أكرم من أن ترد المنكسرين يا أرحم الراحمين فزم الجراد زمة واحدة وكانه ابل ساقها رعاتها حتى لم يبق منه جرادة واحدة

توفيت سنة ثلاث وستمائة بأم عبيدة ودفنت بالمشهد الاحمدى المبارك رضى الله عنها

﴿ زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

هى أكبر أولاده ولدت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة وماتت سنة ثمان للهجرة فى حياة أبيها وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد وقد قيل انها لم تكن أكبر بناته وليس بشئ انما الاختلاف بين القاسم وزينب أيهما ولد قبل الآخر فقال بعض العلماء بالنسب أول ولد ولد له القاسم ثم زينب وهاجرت بعد وقعة بدر وقد تزوجت لقيطا الملقب بأبى العاص بن الربيع وولدت منه غلاما اسمه على فتوفى وقد ناهز الاحتلام وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وولدت له أيضا بنتا اسمها أمامة وأسلم أبو العاص وكان الاسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما بمكة لعدم قوة الاسلام بها حينئذ وقيل ان أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب فقيل بالنكاح الاول وقيل ردها بنكاح جديد وتوفيت زينب بالمدينة فى السنة الثامنة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها وهو مهموم محزون فلما خرج سرى عنه وقال كنت ذكرت ضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عليها ضمة القبر ففعل وهون عليها ثم توفى بعدها زوجها أبو العاص وقال آخرون ان زينب ولدت فى سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وأدركت الاسلام وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ففرق بينهما الاسلام ثم لما أسلم زوجها جمع صلى الله عليه وسلم بينهما قال بعضهم ولم يفرق بينهما من أول البعثة لان تحريم نكاح المشرك للمسلمة انما كان بعد الهجرة وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان الاسلام فرق بين زينب وبين أبى العاص الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما لانه كان مغلوبا بمكة وولدت زينب لابى العاص عليا وأمامة فاما على فمات مراهقا وأما أمامة فتزوجها على بن أبى طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت على المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بوصية من على وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أمامة وهى التى كان يحملها فى الصلاة على عاتقه فاذا ركع وضعها واذا رفع رأسه من السجود أعادها

ولما أسر أبو العاص فى وقعة بدر وكان مع الكفار أرسلت زينب فى فدائه الربيع بمال دفعته اليه من ذلك قلادة لها كانت أمها خديجة قد أدخلتها بها على أبى العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا فقالوا نعم وكان أبو العاص مصاحبا لرسول الله صلى الله

عليه وسلم مصافيا وكان قد أبى أن يطلق زينب لما أمره المشركون أن يطلقها فشكر له صنيعه ولما أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم من الاسر شرط عليه أن يرسل زينب الى المدينة فعاد الى مكة وأرسلها الى المدينة فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني فصدقني ووعدني فوفى ولم تزل زينب بالمدينة وأبو العاص بمكة على شركه فلما كان قبيل الفتح خرج بتجارة الى الشام ومعه أموال من أموال قريش ومعه جماعة منهم فلما عاد لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم زيد بن حارثة فأخذ المسلمون ما في تلك العير من الاموال وأسروا أناسا وهرب أبو العاص بن الربيع ثم أتى المدينة ليلا فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح صاحت زينب أيها الناس اني قد أجرت أبا العاص ابن الربيع فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال والذي نفسي بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم وقال يجير على المسلمين أدناهم ثم دخل على ابنته فقال أكرمي مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له قالت انه قد جاء في طلب ماله فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السرية وقال ان هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاء الله عليكم وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فان أبيتم فانتم أحق فقالوا بل نرده عليه فردوا عليه ماله أجمع فعاد الى مكة وأدى الى الناس أموالهم ثم أسلم وحسن اسلامه ثم قدم الى المدينة ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ولم تزل معه حتى توفيت سنة ثمان من الهجرة

﴿زينب ابنة خزيمة﴾

ابن حارثة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها أم المساكين لكثرة اطعامها وصدقتها عليهم وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت عند الطفيل بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ثم خلف عليها أخوه عبيد بن الحرث كانت أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حفصة ولم تلبث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسيرا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته صلى الله عليه وسلم لا خلاف فيه وقال ابن منده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا فكان نساء النبي يتذارعن أيتهن أطول يدا فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يدا في الخير وهذا وهم فانه صلى الله عليه وسلم قال أسرعكن لحوقا وهذه سبقته انما أراد أول نسائه تموت بعد وفاته وقد تقدم في زينب بنت جحش وهو لها أشبه لانها كانت كثيرة الصدقة من عمل يدها وهي أول نسائه توفيت بعده والله أعلم

﴿زينب ابنة العوام أخت الزبير﴾

وهي أم عبد الله بن حكيم بن حزام أسلمت وبقيت الى أن قتل ابنها يوم الجمل فقالت ترثيه وترثي الزبير أخاها

أعينيّ جودا بالدموع فأسرعا * على رجل طلق اليدين كريم
زبير وعبد الله ندعى لحادث * وذي خلة منا وحمل يتيم
قتلتم حواريّ النبي وصهره * وصاحبه فاستبشروا بجحيم
وقد هدّني قتل ابن عفان قبله * وجادت عليه عبرتي بسجوم

وأيقنت أن الدين أصبح مدبرا * فماذا تصلي بعده وتصوم
وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما * أصيب ابن أروى وابن أم حكيم

كانت شاعرة أديبة جريئة على القول والفعل ذات شهامة زائدة الجد وكان لها ميل كلي الى عثمان وأحزابه وطالما هيجت العرب على حرب علي وقد حضرت وقعة الجمل ولها فيها مشاركة وتوفيت بعدها بقليل

السيدة زينب بنت الامام علي كرم الله وجهه

ابن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذو الجناحين ابن أبي طالب وولدت له عليا وعونا ويدعى بالاكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم

وحضرت مع أخيها الحسين بكربلا ذكر ابن الانباري أنه لما قتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعد فرقتكم * منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

لكن في كامل ابن الاثير أن هذه الابيات لابنة عقيل بن أبي طالب وفي نور الابصار عن خزيمة الاسدي قال دخلنا الكوفة سنة احدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين عليهما السلام بالذرية من كربلاء الى ابن زياد بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن متهتكات الجيوب وسمعت علي بن الحسين يقول يا أهل الكوفة انكم تبكون علينا فمن قتلنا ورأيت زينب بنت علي فلم أر والله خفرة أنطق منها كانما تنزع عن لسان أمير المؤمنين فأومأت الى الناس أن اسكتوا فسكنت الانفاس وهدأت الاجراس فقالت الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد يا أهل كوفة الختل والخذل أتبكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة انما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ألا وان فيكم الصلف والضفف وداء الصدر الشنف وملق الامة وغمز الاعداء كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما تزرون اى والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن تدحضوها بغسل أبدا وانما تدحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتدرون أي كبد الرسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم وأي دم له سفكتم وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الارض أفعجبتم أن أمطرت السماء دما فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فلا يحفزه البدار ولا يخاف عليه فوت الثار كلا ان ربي وربكم لبالمرصاد ثم سارت قال فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخا قد دنا منها وهو يبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال بابي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب

ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبدا وفى كامل ابن الاثير أنها سمعت الحسين وهو فى كربلاء قبل مشهده يقول

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالشريف والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل * وكل هالك سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثا فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجر فى ثوبها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم ماتت فاطمة أمى وعلى أبى والحسن أخى يا خليفة الماضى وثمال الباقى فذهب فنظر اليها وقال أخية لا يذهبن حلمك الشيطان قالت بأبى أنت وأمى واستقتلت نفسى لنفسك الفداء فردد غصته وزرفت عيناه ثم قال لو ترك القطا لنام فلطمت وجهها وقالت واويلتاه أفتغصبك نفسك اغتصابا فذلك أقرح لقلبى وأشد على نفسى ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال اتقى الله وتعزى بعزاء الله واعلمى ان أهل الارض يموتون وأهل السماء لا يبقون وان كل شئ هالك الا وجه الله أبى خير منى وأمى خير منى وأخى خير منى ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة فعزاها بهذا ونحوه

ولما حملوا السبايا الى الكوفة اجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى فلطمن خدودهن وصاحت زينب أخته يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا فأبكت كل عدو وصديق فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال عبيد الله من هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا وهى لا تكلمه فقال بعض امائها هذه زينب ابنة فاطمة فقال لها ابن زياد لعنه الله الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فقالت الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول انما يفتضح الفاسق ويكذب العاجز فقال كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك قالت كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فغضب ابن زياد وقال قد شفى غيظى من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك فبكت وقالت لعمرى لقد قتلت كهلى وأبرزت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت أصلى فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها هذه شجاعة لعمرى لقد كان أبوك شجاعا فقالت ما للمرأة والشجاعة فلما نظر ابن زياد الى على بن الحسين قال ما اسمك قال على بن الحسين قال أولم يقتل على بن الحسين فسكت فقال ما لك لا تتكلم فقال كان لى أخ يقال له أيضا على فقتله الناس فقال اللعين ابن زياد ان الله قتله فسكت على فقال ما لك لا تتكلم فقال الله يتوفى الانفس حين موتها (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) فقال أنت والله منهم ثم قال لرجل ويحك انظر هذا هل أدرك انى لأحسبه رجلا فكشف عنه مرى بن معاذ الاحمرى فقال نعم قد أدرك قال اقتله فقال على من يتوكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب فقالت يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحدا واعتنقته وقالت أسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته أن تقتلنى معه وقال على يا ابن زياد ان كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام فنظر اليها ساعة ثم قال عجبا للرحم والله انى لأظنها ودت لو أنى قتلته أن أقتلها معه دعوا الغلام ينطلق مع نسائه ولما دخلن الشام على يزيد بن معاوية والرأس بين يديه جعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين يتطاولان لينظرا الى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس

فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا يا يزيد فقال يا ابنة أخي أنا لهذا كنت كارها قالت والله ماترك لنا خرص فقال ما أتى اليكن أعظم مما أخذ منكن فقام رجل من أهل الشام فقال هب لي هذه يعني فاطمة بنت الحسين فأخذت فاطمة ثياب زينب وصرخت فقالت زينب كذبت ولؤمت ماذلك لك ولاله فغضب يزيد وقال والله ان ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته قالت كلا والله ماجعل الله لك الا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد واستطار ثم قال اياي تستقبلين بهذا انما خرج من الدين أبوك وأخوك قالت زينب بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك قال كذبت ياعدوة الله قالت أنت أمير تشتم ظلما وتقهر بسلطانك فاستحى وسكت وعلى اختلاف الروايات أن للسيدة زينب رضي الله عنها مقامين أحدهما بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصا من أهل الشيعة والثاني بمصر وهو أشهر من الاول ولها أوقاف وايراد زائد من ديوان عموم الاوقاف المصرية ولها مسجد في مصر لم يوجد مثله قد ذكر أوصافه الامير علي باشا مبارك في خططه المسماة بالخطط التوفيقية ولكون أوصافه جاءت مسهبة اقتصرنا عنها منوهين على محل وجودها

﴿زينب ابنة الطثرية﴾

هي زينب بنت سلمة بن سمرة من بني عامر بن صعصعة والطثرية أمها قتل أخوها يزيد بن الطثرية الشاعر المشهور في خلافة بني العباس سنة ١٢٦ هجرية الموافقة لسنة ٧٤٤ ميلادية قتله بنو حنيفة فقالت أخته ترثيه

أرى الاثل من وادي العقيق مجاوري * مقيما وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد قد السيف لامتضائل * ولا رهل لباته وأباجله
فتى لاترى قد القميص بخصره * ولكنه يوهي القميص كواهله
فتى ليس لابن العم كالذئب ان رأى * بصاحبه يوما دما فهو آكله
يسرك مظلوما ويرضيك ظالما * وكل الذي حملته فهو حامله
اذا نزل الاضياف كان عزورا * على الحي حتى تستقل مراجله
مضى وورثنا منه درعا مفاضة * وأبيض هنديا طويلا حمائله
وقد كان يرمي المشرفي بكفه * ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله
كريم اذا لاقيته متبسما * واما تولى أشعث الرأس جافله
اذا القوم أموا بيته فهو عامد * لاحسن ماظنوا به فهو فاعله
ترى جاذريه يرعدان وناره * عليها عداميل الهشيم وحامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره * بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

وكانت زينب ذات جمال وأدب وكمال شاعرة مشهورة مطبوعة على الشعر والفضل والادب متجملة بالفصاحة التي هي حلية العرب ولها مراث كثيرة في أخيها لم نعثر عليها الآن

﴿زينب ابنة أبي القاسم الشهيرة بام المؤيد عبد الرحمن﴾

وهو ابن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس الجرماني الاصل النيسابوري الدار كانت فاضلة عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية واجازة فمن أخذت عنهم أبو محمد اسمعيل بن أبي القاسم النيسابوري القاري وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة القشيرية وممن أجازها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن اسمعيل الفارسي والعلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري مؤلف الكشاف وممن أجازتهم من أكابر العلماء العلامة المؤرخ شهاب الدين قاضي القضاة ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور وهي في القرن السابع من الهجرة

﴿الاميرة زينب هانم أفندي﴾

هي أصغر كريمات المرحوم محمد علي باشا والي مصر أول مؤسس الحكومة الخديوية ولدت في حدود سنة ١٢٤٤ هجرية في مصر القاهرة ووالدتها شمع نور قادين أفندي من محاظي المرحوم محمد علي باشا وهي جركسية الاصل

وفي سنة ١٢٦٤ تأهلت بالمرحوم يوسف كامل باشا وأقيمت لها الافراح في مصر الى الدرجة التي لم يسبق لها مثال وكان زفافها في سراي الازبكية

ولما توفي محمد علي وتولى عباس باشا حكومة مصر واشتدت البغضاء بينه وبين الامراء المورثين باقي بك وسامي باشا وكامل باشا وسائر العائلة الخديوية واضطروا للهجرة من مصر هاجرت المترجمة المرحومة مع زوجها كما هاجرت أختها الكبرى الاميرة نازلي هانم أفندي الى الاستانة وذلك في حدود ١٢٦٨ فأكرمت الدولة العلية مثوى الجميع وتقلب كامل باشا في مناصب الدولة حتى صار صدرا أعظم في مدة المرحوم السلطان عبد العزيز ثم توفي في حدود التسعين

وبقيت المترجمة في الاستانة في منزلها الكائن في ميدان السلطان بايزيد ومنزلها الساحلي في بيك الشهير داخل الخليج القسطنطيني

وتوفيت في ربيع سنة ١٣٠٢ ودفنت في مدفنها الخصوصي خارج اسكندار في الموقع المعروف بقره جه أحمد سلطان وكان لوفاتها وجنازتها شأن عظيم في عموم الاستانه

وخلفت من الاموال والجواهر والاراضي والعقارات شيأ عظيما قد لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه ولم تعقب ذرية لا هي ولا زوجها وورث جميع ذلك أخوها المرحوم البرنس عبد الحليم باشا بن محمد علي باشا فما تركت من العقارات الشهيرة سراي بيك وسراي ميدان السلطان بايزيد ومن ذلك أسهم الشركة الخيرية وهي شركة وابورات البوغاز في الاستانة ولا تقل عن أربعين وابورا وسراي الازبكية في مصر وسراي شبرى الصغيرة

وكانت رحمها الله كثيرة الخيرات والمبرات سخية اليد عالية النفس محبة لاعانة الفقراء واغاثتهم كانت تصرف على كثير من البيوت حتى بلغ من كان يعيش باحساناتها في نفس الاستانة فقط أكثر من أربعمائة عائلة

ولها أوقاف عظيمة أوقفتها على نفسها وزوجها وذريتها ثم جعلت ربع تلك الاوقاف لجملة محلات مباركة كالمسجد الحسيني في مصر ومساجد السيدة نفيسة والسيدة زينب وغيرهما نحو ١٤ مسجدا وعدة

تكايا منها تكية المولوية والنقشبندية والكلشنية وعلى ليلة المعراج وليلة القدر فى قراءة القرآن بمسجد والدها فى قلعة مصر

وجعلت من ذلك الربع قدرا لمدرسى الفقه الحنفى فى الجامع الازهر ومدرسى الفقه الشافعى والمالكى والحنبلى وخصصت لكل تخصيصات

ثم انها خصصت ربعا من ذلك أيضا لكل من قرأ القرآن فى سراياتها ولكل من خدمها أولازمها الى حين الوفاة من الرجال والنساء وجعلت لمن يبلغ زمن ملازمته لها أوقيامه بخدمتها عشر سنين فاكثر ضعف من كان زمنه أقل من ذلك وكذلك لعتقائها وعتقاء أمها وفقراء معتوقى والدها ومن خيراتها بالاشتراك مع زوجها مستشفى فى مدينة اسكدار من دار الخلافة وسبيل فى قصبة قرطال بقرب اسكدار وأوقفت عليها الاوقاف الكافية كما أوقفت على قبرها وقبر زوجها وعلى بعض التكايا والزوايا فى الاستانة وغيرها وكانت المترجمة متوسعة فى دائرتها مطموعا فيها لمالها وسخائها ومحترمة جدا فى جميع دوائر الدولة حتى انها كانت معتبرة جدا فى السراى السلطانى ولدى جلالة الخلفاء العظام عموما وجلالة سيدنا أمير المؤمنين خصوصا وكان لها وقع سياسى فى الاحوال المصرية فى شأن العصبة العرابية قيل انها صرفت من أربعين الى خمسين ألف جنيه لمساعدة أخيها البرنس حليم باشا حتى ان الحكومة قبضت على وكيل دائرتها فى مصر عثمان باشا التداخله بأمرها مع عصبة الاشقياء لتسميلهم الى أخيها

وكان أخوها قد دقل ماله وكانت تعينه كما تعين غيره من العائلة ولما دنت وفاتها أوصت له بكثير من أموالها وعقاراتها

قال أهل الاطلاع على حقيقة حالها انها أصيبت بشئ من اختلال الشعور قبل موتها بمدة وفى تلك المدة اهتم البرنس حليم باشا بتحوير الوقفيات وحصر قسمها الاعظم فيه وفى أولاده واستغل الفائدة من ذلك الوقت الى أن توفى فى سنة ١٣١٢

وحينئذ قام بعض الناس وحرك أصحاب الحقوق بالمطالبة ولا يزال النزاع فيها الى الآن

حرف السين

﴿سارة زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام﴾

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وكمالا تزوجت بابراهيم الخليل عليه السلام وكان يحبها محبة عظيمة وكانت لم تعصه فى شئ وبذلك أكرمها الله تعالى

وكان قدم بها ابراهيم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وقد وصف له حسنها وجمالها فأرسل الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ماهذه المرأة منك فقال هى أختى وتخوف أن قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة وقال لها ان هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله عز وجل ثم أقبلت سارة على الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلى فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فأطلق الله تعالى يده وقيل انه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فتيبس يده فلما رأى

ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهى جارية قبطية فأقبلت الى ابراهيم ومعها هاجر وهى تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون

وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوهبت هاجر الى ابراهيم بقولها انى أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها بولد فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسماعيل عليه السلام وكانت سارة بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة وبشر ابراهيم بأنه سيرزقه الله بولد من سارة وقد كان وحملت سارة باسحق وقيل كانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وكان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسماعيل فأخذه فأجلسه فى حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جانبك وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت فى ذلك فقال ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبى أذنها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء ثم ان اسماعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنينى فى بلد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله اليه أن يأتى بهما الى مكة فذهب بهما

وتوفيت سارة ولها من العمر مائة واثنتان وعشرون سنة وقيل مائة وسبع وعشرون بالشام بقرية الجبابرة بأرض كنعان فى حبرون فى مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها

﴿سارة القرظية الاسرائيلية﴾

كانت من يهود يثرب من بنى قريظة قيل ان أبا جبلة أحد ملوك اليمن قصد المدينة فى الجاهلية وكان أهلها يهود وبلغه عن ملكهم أمور فاحشة فأوقع فى اليهود بذى حرض وهو واد بالمدينة عند أحد فقالت سارة القرظية وهى منهم تذكر ذلك وترثى من قتل من قومها

بأهلى رمت أم لم تغن شيأ * بذى حرض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتهم * سيوف الخزرجية والرماح
ولو أذنوا بأمرهم لحالت * هنالك دونهم حرب رداح
رزئنا والرزية ذات ثغل * يمر لاهلها الماء القراح

﴿سبيعة ابنة عبد شمس بن عبد مناف﴾

هى زوجة مسعود بن مالك يتصل نسبه الى ثقيف كانت مكرمة عند زوجها وقومها مسموعة الكلمة لما لها من المكان والفضل حتى انه لما كان يوم الفجار الرابع فى الجاهلية وهو يوم عكاظ ودارت الدائرة على بنى قيس وانتصر زوجها وحرب بن أمية على أعدائهم فرآها تبكى حين تداعى الناس فقال لها ما يبكيك فقالت لما يصاب غدا من قومى فقال لها وكان مسعود قد ضرب على امرأته سبيعة خباء من دخل خباءك من قريش فهو امن فجعلت توصل به قطعا ليتسع فقال لها لا تتجاوزى فى خبائك فانى لا أمضى الامن أحاط به الخباء فأحفظها فقالت أما والله انى لاظن أنك تود أن لو زدت فى توسعته فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجارلها حرب بن أمية وقال لها يا عمة من تمسك باطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن فنادت

بذلك فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدا فلم يبق أحد لا نجاة عنده الا دار بخبائها فقيل لذلك الموضع مدار قيس وكان يضرب به المثل وكان زوجها مسعود بن معتب قد خرج معه يومئذ بنوه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والاسود فكانوا يدورون وهم غلمان فى قيس يأخذون بأيديهم الى خباء أمهم ليجيروهم كما أمرتهم أمهم أن يفعلوا فخرج وهب بن معتب حتى وقف عليها وقال لها لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت الا ربطت به رجلا من بنى كنانة فنادت بأعلى صوتها ان وهبا يحلف أن لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت الا ربط به رجلا من بنى كنانة فالجد الجد فلما هزمت لجؤا الى خبائها فأجارهم حرب بن أمية

﴿ست الوزراء﴾

لقب حفيدة العلامة وجيه الدين الحنبلى ولدت سنة ٦٢٤ هجرية وتوفيت سنة ٧١٧ وهى محدثة مشهورة أخذت صحيح البخارى ومسند الامام الشافعى عن أبى عبد الله الزبيدى وقرأت على أبيها بعض الحديث وكانت كما رواه صلاح الدين الصفدى محدثة عصرها واستقدمت الى مصر فأخذ عنها الحديث الامير سيف الدين أرغون والقاضى كريم الدين ودرست البخارى مرارا متوالية وروى عنها كثير من مشاهير العلماء

﴿ست الكرام﴾

بنت السيد سيف الدين عثمان الرفاعى أخت السيد على مهذب الدولة والسيد عبد الرحيم ممهد الدولة والسيد عبد السلام ابناء عثمان رضى الله عنهم كانت وارثة محمدية وولية علوية ذات أخلاق هاشمية وطباع مصطفوية وأطوار فاطمية عدها خالها السيد الكبير سلطان الاولياء مولانا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه فى طبقات ذكرها الامام أحمد بن جلال قدس سره فى جلاء الصدا قال عند ذكرها الست السعيدة الحميدة الشهيرة ذات السيرة الحميدة والاوصاف السديدة صاحبة الدرجات العاليات والمقامات الثابتات والمكاشفات الصادقة ولية الله الملك القدير بنت السيد عثمان من أخت السيد أحمد الكبير المسماة بست الكرام نور الله مضجعها وعطر بفضله مهجعها كانت من أكثر الناس حياء وايمانا وايقانا ذات أسرار مخفية وأحوال مرضية تنفق على الفقراء كل ما تجد من الاموال قنعت من الدنيا بالدون وما وجد لها عن خدمة الله سكون تنفق ما كان لها من الطعام وتبيت طاوية وكانت بقضاء الله تعالى وقدره راضية كانت ذات شوق وحنين وحزن وأنين وأرق ولباسها الصوف الخشن القصير تطحن حتى يعلو غبار الدقيق على وجهها وكان خالها يقربها ويدنيها منه ويغرائب الامور والاسرار يسرها كانت حافظة للعهود وبذلك كان يصفها ويعرفها الاخوتها ويقول الحق يميل اليها ويرضى لرضاها ويقول لها أى كرام وصل الله جناحك به بكرمه (نقل) أنها فى صغرها كانت تصعد أمام خالها كل مرة فرأى ذلك أخوها السيد عبد السلام فنقم عليها فقال له أما ترضون أن يكون منكم نساء لهن مقام الرجال كانت قدس الله سرها تقول علامة القبول والتوفيق المواظبة على الخيرات والمداومة عليها ما دام رمق من الحياة وان أهل القبول جعلوا الصدق مطيتهم والتضرع الى الله تعالى ديدنهم ووصلوا بهذه الصفات الى واهب العطيات قال الزبير توفيت سنة ٥٦٠ ودفنت بمشهد أم عبيدة ببغداد رضى الله عنها

﴿ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل ابن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله الفاطمى العلوى﴾

كانت من أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وأثبتهن جنانا وأعلاهن رأيا وأشدهن حزما شاركت أخاها الحاكم بأمر الله فى الملك حتى انه صار يقطع الامور عن رأيها وكلما خالفها فى أمر تقوم عليه الرعية وينبذون طاعته وهو يحسب ذلك من أخته ست الملك حتى انه تغير عليها وأراد قتلها فصار يترقب الفرص وهى توجس منه خيفة الى أن كثر ظلمه وزاد عسفه فكرهه الناس من سوء فعله ومن شدة كراهتهم له كانوا يكتبون اليه الرقاع فيها سبه وسب أسلافه والدعاء عليه حتى انهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة فلما رآها ظن انها تشتكى فأمر بأخذ الرقعة منها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فأمر بطلب المرأة فقيل له انها من قراطيس فأمر باحراق مصر ونهبها فنفذوا ذلك وقاتل أهلها أشد قتال مدة يومين وفى اليوم الثالث انضاف اليهم الاتراك والمشارقة فقويت شوكتهم وأرسلوا الى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون اليه فلم يقبل فعادوا الى التهديد فلما رأى قوتهم أمر بالكف عنهم وقد أحرق بعض مصر ونهب بعضها وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وأولادهم فابتاعوهم منه وقد فضحت نساؤهم فازداد غيظهم وحنقهم عليه فظن أن ذلك من أخته ست الملك لانه بلغه أن الرجال يدخلون عليها فأرسل يتهددها بالقتل ولما رأت سوء تصرفه وأنه ربما يطيع هواه فيقتلها أرسلت الى قائد كبير من قواد الحاكم يقال له ابن داوس وكان يخاف الحاكم فقالت له انى أريد أن ألقاك ثم حضرت عنده وقالت له أنت تعلم ما يعتقده أخى فيك وانه متى تمكن منك لا يبقى عليك وأنا كذلك وقد انضاف الى هذا ما تظاهر به مما يكره المسلمون ولا يصبرون عليه وأخاف أن يثوروا به فيهلك هو ونحن معه وتنقلع هذه الدولة فأجابها الى ما تريد فقالت انه يصعد الى هذا الجبل غدا وليس معه غلام الا الركابى وصبى وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبى ونقيم ولده بعده وتكون أنت مدبر الدولة وأزيد فى اقطاعك مائة ألف دينار ثم أعطته ألف دينار للرجلين وانصرفت فاختار اثنين من ثقاته وأخبرهما بالقصة فضيا الى الجبل فلما انفرد الحاكم هجما عليه وقتلاه وأخفياه وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر فلما أيقنت الناس بقتله اجتمعوا الى أخته ست الملك فأجلست على كرسى الولاية على بن الحاكم وهو صبى لم يناهز الحلم وبايع له الناس ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وأنفذت الكتب الى البلاد بالبيعة له وفى الغد حضر ابن داوس بأمر من ست الملك ومعه قواده فأمرت خادما لها أن يضربه بالسيف فقتله وهو ينادى يالثار الحاكم فلم يختلف فيه اثنان وقامت ست الملك تدبر الدولة مدة أربع سنوات وهى تعدل بين الرعية وتنصف المظلومين حتى أحبها جميع الاهالى وتمنوا أن مدتها تدوم وتوفيت سنة ٤١٥ هجرية وقد حزن عليها جميع أهل مصر وتمنوا بقاءها تدبر المملكة حتى يكبر ابن أخيها ولكن لله فى حكمه ارادة

﴿سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية﴾

كانت من النساء العاقلات الحكيمات ذوات الفصاحة والبلاغة واصالة الرأى حتى انها قادت أكابر قومها الى رأيها وتحت طاعتها وركبت على العرب فى عساكر جرارة ولما أقبلت من الجزيرة قاصدة المدينة لمحاربة أبى بكر وادعت النبوة كانت هى ورهطها فى أخوالها من تغلب تقود أفناء ربيعة وجاء معها

الهذيل بن عمران من بني تغلب وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها وعقبة بن هلال في (النمر) وزياد بن بلال في اياد والسليل بن قيس في شيبان فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت الى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها وردها عن غزوها وحملها على أحياء من بني تميم فأجابته وقالت أنا امرأة من بني يربوع فان كان ملك فهو لكم وهرب منها عطارد بن حاجب وسادة من بني مالك وحنظلة الى بني العنبر وكرهوا ما صنع وكيع وكان قد أودعها وهرب منها أشباههم من بني يربوع وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة واجتمع مالك ووكيع وسجاح فسجعت لهم سجاح وقالت أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فساروا اليهم فلقيهم ضبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسر بعضهم من بعض ثم تصالحوا وقال قيس بن عاصم شعرا أظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقته ثم سارت سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النباج فأغار عليهم أوس ابن خزيمة الجهمي في بني عمرو فاسر الهذيل وعقبة ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح ولا يطأ أرض أوس ومن معه ثم خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة وقالت عليكم باليمامة وزفوا زفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فقصدت بني حنيفة فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها تغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم على حجر وهي اليمامة فأهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة فقال مسيلمة لنا نصف الارض ولقريش نصفها لو عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش وكان مما شرع لهم أن من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الواحد حتى يصيب ابنا ثم يمسك وقيل بل تحصن منها فقالت له انزل فقال لها ابعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة وجمرها لتذكو بطيب الريح واجتمع بها فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب فتزوجها بجوابها وأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على حق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقني قال من مؤذنك قالت شبيب بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فانصرفت ومعها أصحابها منهم عطارد بن حاجب وعمرو بن الايهم وغيلان بن خرشة وشبيب بن ربعي فقال عطارد بن حاجب

أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك عنده من يأخذ النصف فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وخلفت هذيلا وعقة وزيادا لاخذ النصف الباقي فلم يفجأهم الا دنو خالد اليهم فارفضوا فمازالت سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة وجاءت معهم وحسن اسلامهم واسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة وقيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر

﴿ سرى خانم ﴾

شاعرة تركية مشهورة ولدت فى ديار بكر سنة ١٨١٤ ميلادية و ١٢٣٠ هجرية أتت بغداد وزارت مدافن الاولياء ورجعت الى ديار بكر ثم شخصت الى الاستانة وتوفيت فيها ولها أشعار شائقة ومنظومات رائقة جميعها باللغة التركية والفارسية أعرضنا عن ايراد شئ منها لانه ليس من موضوع هذا الكتاب

﴿ سعدى معشوقة مالك بن عقيل العذرى ﴾

كانت ذات فصاحة وأدب وجمال وكانت مع هذا الفتى على أعظم رتبة الحب من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان فى الحى رجل يحبها وهى لا تحبه فغار منهما فوشى به الى أهلها فحجبوها عنه فتراسلا بالمحبة وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكان عند مالك أنفة فخرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به قال كعب بن مسعدة الغفارى خرجت أنا ومالك نمشى فى القمر اذا بنسوة تقول احداهن اى والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست ليالينا فى حج بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقلت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرنى غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقرينا الا وجارية تقول أجب المرأة التى كلمتك فلما جئت اليها قالت أنت المجيب قلت نعم قالت فما أقصر جوابك قلت لم يحضرنى غيره فقالت لم يخلق الله أحب الىّ من الذى معك فقلت علىّ أن أحضره اليك فقالت هيهات فضمنته الليلة القابلة ورجعت فرأيته فى منزلى فأخبرنى بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة

فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسا فتعاتبا فأنشدته أبيات عبد الله بن الدمينة

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتنى * لها غرضا أرمى وأنت سليم

فلو كان قولا يكلم الجسم قد بدا * بجسمى من قول الوشاة كلوم

فأجابها

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفى بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم حرمتنى * فحبك فى قلبى الىّ أذاء

فالتفتت الىّ وقالت ألا تسمع فغمزته فكف ثم أنشدت

تجاهلت وصلى حين لاحت عمايتى * فهلا صرمت الحبل اذ أنا أبصر

ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته * نصيب ولا رأى وعقل موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذى جئت أقدر

فأجابها

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأى عنك تطيب

ثم قبلها وأنشد

دمى عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب
لاشئ فى الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

فأجابته

خلوتم بأنواع السرور وهاكم * وأقربتمونى للصبابة والحزن
وعذبتمونى بالصدود وانني * لراض بما ترضونه لى من الغبن

ولما أنشد (لقد كنت أنهى النفس) البيت قالت له و كنت تفعل ما فيك خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ماقلت لك انك لاتفى بضمانك ولكن اذا كان السحر فأتنى قال كعب فجئت فاذا بالصياح فسألت جارية عن الخبر فقالت حين خرجتما جعلت فى عنقها أنشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفكر فتقول انه لقاسى القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته فى النوم فقالت هلا كان هذا من قبل فمات من وقته

سعدى الاسدية

كانت مهذبة شاعرة فصيحة علقها فتى من قومها فمنعه أبوه أن يتزوج الا بأرفع منها وأبى الغلام الا هى فلما أيس أبوه زوجها من رجل آخر فاشتد وجد الغلام بها ولقيها يوما فأنشد

لعمرى ياسعدى لطال تأيمى * وبغضنى شيخاى فيك كلاهما
وتركى للعيين لم أبغ منهما * سواك ولم يربع هواى عليهما

فأجابته سعدى تقول

حبيبى لاتعجل لتفهم حجتى * كفانى مابى من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسى تسيل من الوجد
غلبت على نفسى جهارا ولم أطق * خلافا على أهلى بهزل ولا جد
ولم يمنعونى أن أموت بزعمهم * غدا خوف هذا العار فى جدث وحدى
فلا نفس أن تأتى هناك فتلتمس * مكانى فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له أنها الكة من الغد بعشقه فلما كان الغد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له عرفات ملتزما الهاتفات واختفى أمرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع شخصا على الجبل يقول

انا الكريمان ذوا التصافى * الذاهبان بالوفاء الصافى
والله مالقيت فى تطوافى * أبعد من غدر ومن اخلاف

* من ميتين فى ذرى أعراف *

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

سفانة ابنة حاتم الطائى

كانت من أجود نساء العرب وأفصحهن مقالا وهى التى كانت سبب النجاة قومها من الاسر من أيدى المسلمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن عدى بن حاتم كان يعادى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث عليا الى طيئ فهرب عدى باهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى بها النبى صلى الله عليه وسلم قالت هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فان أبى كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائى فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما الترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فاطلقها ومن عليها بقومها فاستأذنته فى الدعاء له فأذن لها قال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا فى ردها عليه فلما أطلقها رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخى ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فانى قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبنى رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه وأنى أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تزل فى عز اليمن فقدم عدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلمت أخته سفانة وكانت على جانب عظيم من الكرم وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية الكريمان اذا اجتمعا فى المال أتلفاه فاما أن أعطى وتمسكى واما ان أمسك وتعطى فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق

سكينة ابنة الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا تزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قرينا ومات عنها ثم تزوجها الاصبغ ابن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان ابن عبد الملك بطلاقها ففعل وقيل فى ترتيب أزواجها غير ذلك والطرة السكينية منسوبة اليها ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم من ذلك أنها وقفت على عروة بن أذينة وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة فقالت له أنت القائل

قالت وأبثثتها سرى وبحت به * قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال نعم قالت لم يخرج هذا من قلب سليم وفى كتاب الاغانى كان اسم سكينة أميمة وقيل أمينة ولقبتها أمها الرباب بسكينة وفيها وفى أمها يقول الحسين بن على

لعمرك اننى لاحب دارا * تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى * وليس لعاتب عندى عتاب

وكانت سكينة تحب الهزل واللهو والطرب وهى من الحذق على جانب عظيم

حكى أنها حضرت مأتماً فيه بنت عثمان بن عفان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة حتى إذا أذن المؤذن وقال أشهد أن محمداً رسول الله قالت لها سكينة هذا أبي أم أبوك فقالت بنت عثمان لا أفخر عليكم أبداً وكانت تجيء يوم الجمعة الى المسجد فتقوم بإزاء ابن مطير فاذا شتم علياً شتمته هي وجواريها فكان يأمر الحرث أن يضرب جواريها

وكانت سكينة عفيفة تجالس الاجلة من قريش وتجمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة وكانت من أحسن الناس شعراً وكانت تصفف جمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه

وحكى أنها أرسلت مرة الى صاحب الشرط ان دخل علينا شامي فابعث الينا بالشرط فركب وأتى وأمرت بفتح الباب وخرجت جارية من جواريها وبيدها برغوث وقالت هذا الشامي الذي شكوناه فلما رأى الشرطي ذلك حصل له الخجل وذهب هو ورجاله بخجله وكانت قد اتخذت أشعب الطماع مسامراً لها ليمازحها وكانت تدر عليه العطايا وتنشرح لاخباره المضحكة وقيل انها خرجت لها سلعة في أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعظم ما بها وكان دراقيس الطبيب منقطعاً اليها وفي خدمتها فقالت له ألا ترى ما وقعت فيه فقال أتصبرين على ما يمسك من الالم حتى أعالجك قالت نعم فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحته حتى ظهرت العروق وكان منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها وأخرجها ورد العين الى موضعها وسكينة مضجعة لا تتحرك ولا تئن حتى فرغ وبرئت بعد ذلك وبقي أثر تلك الحزازة في مؤخر عينها

وقيل انها اجتمع في ضيافة سكينة يوماً جرير والفرزدق وكثير عزة وجميل صاحب بثينة ونصيب فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا فقعدت بحيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم خرجت جارية لها وضيئة قد روت الاشعار والاحاديث فقالت أيكم الفرزدق فقال لها ها أنا ذا قالت أنت القائل

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انحط باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالارض قالتا * أحي نرجي أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الامراس لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

قال نعم قالت فما دعاك الى افشاء السر خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم جرير قال ها أنا ذا فقالت أنت القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير رمام
اني أواصل من أردت وصاله * بحبال لا صلف ولا لوام

قال نعم قالت أولا أخذت بيدها وقلت لها ما يقال لمثلها أنت عفيف وفيك ضعف خذ هذه الالف والحق بأهلك ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت أيكم كثير قال أنا قالت أنت القائل

وأعجبني يا عز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا * ودفعك أسباب المنى حين يطمع
وانك لا تدرين ضصباً مطلته * أيشتد ان لاقاك أو يتضرع

وانك ان واصلت علمت بالذى * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال نعم قالت قد ملحت وشكلت خذ هذه الالف دينار واذهب لاهلك ثم دخلت وخرجت وقالت أيكم نصيب قال أنا قالت أنت القائل

ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشأ الصغار

بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

قال نعم قالت ربيتنا صغارا ومدحتنا كبارا خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك ثم دخلت وخرجت فقالت لجميل مولاتى تقرئك السلام وتقول لك مازلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادى القرى انى اذا لسعيد

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك وروبت عن سكينة قصة أخرى نحو هذه ظهرت بها حذاقتها وانتقادها على أفحل الشعراء وكان عمرو بن عثمان لما تزوج بها عتب عليها يوما وخرج الى مال له فقالت لاشعب ان ابن عثمان خرج عاتبا على فاعلم لى حاله فقال لها لاأستطيع أن أذهب الساعة فقالت أنا أعطيك ثلاثين دينارا قال أشعب فأتيته ليلا فدخلت الدار فقال انظروا من فى الدار فأتوه فقالوا أشعب فنزل عن فرشه الى الارض فقال أشعب قلت نعم قال ما جاء بك قلت أرسلتنى سكينة لاعلم خبرك أتذكرت منها ماتذكرت منك وأنا أعلم انك قد فعلت حين نزلت عن فرشك الى الارض قال دعنى من هذا وغننى

عوجابه فاستنطقاه فقد * ذكرنى ما كنت لم أذكر

قال فغنيته فلم يطرب ثم قال غننى ويحك غير هذا فان أصبت مافى نفسى فلك حلتى هذه وقد اشتريتها آنفا بثلثمائة دينار فغنيته

علق القلب بعض ماقد شجاه * من حبيب أمسى هوانا هواه

ماضرارى نفسى بهجران من ليس * مسيأ ولا بعيدا نواه

واجتنابى بيت الحبيب وما الخلد * بأشهى الى من أن أراه

فقال ماعدوت مافى نفسى خذ الحلة قال فأخذتها ورجعت الى سكينة فقصصت عليها القصة فقالت وأين الحلة قلت معى فقالت وأنت الآن تريد أن تلبسها الا والله ولا كرامة فقلت قد أعطانيها فأى شئ تريدين منى فقالت أنا أشتريها منك فبعتها اياها بثلثمائة دينار

وقال بعضهم كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة وآلى يمينا أن لا يغنى ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفى ثم خرج فأتى المدينة ونزل على بعض اخوانه من أهل النسك والقراءة فأقام فى المدينة حولا ثم أراد الشخوص الى مكة وبلغ ذلك سكينة فاغتمت لذلك غما شديدا وضاق به ذرعها وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره فقالت لاشعب ويلك ان ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من غنائه قليلا ولا كثيرا ويعز على ذلك فكيف الحيلة فى الاستماع منه ولو صوتا واحدا فقال لها أشعب جعلت فداك وأنى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه فارفعى طمعك وامسحى بوزك تنفعك حلاوة فمك فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه وخنقته حتى كادت نفسه أن تتلف

ثم أمرت به فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار اخراجا عنيفا فخرج على أسوإ الحالات واغتم أشعب غما شديدا وندم على ممازحتها فى وقت لا ينبغى له ذلك فأتى منزل ابن سريج ليلا فطرقه فقيل من هذا فقال أشعب ففتحوا له فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلا من أنفه وجبهته على لحيته وثيابه ممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق ومات الدم فيها فنظر ابن سريج الى منظر فظيع هاله وراعه فقال له ماهذا ويحك وقص القصة عليه فقال ابن سريج انا لله وانا اليه راجعون ماذا نزل بك والحمد لله الذى سلم نفسك لا تعودن الى هذه أبدا قال أشعب فديتك هى مولاتى ولا بدلى منها ولكن هل لك حيلة فى أن تسير اليها وتغنيها فيكون ذلك سببا لرضاها عنى قال ابن سريج كلا والله لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته قال أشعب قد قطعت أملى ورفعت رزقى وتركتنى حيران بالمدينة لا يقبلنى أحد وهى ساخطة علىّ فالله الله فىّ وأنا أنشدك الله الا تحملت هذا الاثم فىّ فأبى عليه فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع قال فى نفسه لا حيلة لى وهذا خارج وان خرج هلكت فصرخ صرخة فتحت آذان أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم وأقام الناس من فرشهم ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن راعهم فقال له ابن سريج ويلك ماهذا قال لئن لم تسر معى اليها الاصرخن صرخة أخرى لا يبقى أحد بالمدينة الا صار بالباب ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بى ولأعلمنهم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان يعنى غلاما كان ابن سريج مشهورا به فمنعتك وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ففعلت بى هذا غيظا وتأسفا وانك انما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه فقال ابن سريج اعزب أخزاك الله قال أشعب والله الذى لا اله الا هو والا فما أملك صدقة وامرأتى طالق ثلاثا وهو نحير فى مقام ابراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبى رغال ان أنت لم تنهض معى فى ليلتى هذه لافعلن ما قلت لك فلما رأى ابن سريج الجد منه قال لصاحبه ويحك أما ترى ما وقعنا فيه وكان صاحبه الذى نزل عنده ناسكا فقال لا أدرى ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث وتذمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب اخرج من منزل الرجل فقال رجلى على رجلك فخرجا فلما صارا فى بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب امض عنى قال والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن انك أخذت منى سوارا من ذهب لسكينة على أن تجيئها لتغنيها سرا وانك كابرتنى عليه وجحدتنى وفعلت بى هذا الفعل فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه فقال امض لا بارك الله فيك فمضى معه فلما صار الى باب سكينة قرع الباب فقيل من هذا فقال أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخل الى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا ساعة ثم أذن لهما فدخلا الى سكينة فقالت يا عبيد ما هذا الجفاء قال قد علمت بأبى أنت ما كان منى قالت أجل فتحدثا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب فضحكت وقالت لقد أذهب ما كان فى قلبى عليه وأمرت لأشعب بعشرين دينارا وكسوة ثم قال لها ابن سريج أتأذنين بأبى أنت قالت وأين قال الى المنزل قالت برئت من جدى ان برحت من دارى ثلاثا وبرئت من جدى ان أنت لم تغن ان خرجت من دارى شهرا وبرئت من جدى ان أقمت فى دارى شهرا ان لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرا وبرئت من جدى ان حنثت فى يمينى أو شفعت فيك أحدا فقال عبيد واسخنة عيناه واذهاب ديناه وافضيحتاه ثم اندفع يغنى

أستعين الذى بكفيه نفعى * ورجائى على التى قتلتنى

ولقد كنت قد عرفت وأبصر * ت أمورا لو أنها نفعتني
قلت انى أهوى شفاما ألاقى * فى خطوب تتابعت فدحتنى

فقالت سكينة فهل عندك يا عبيد من صبر ثم أخرجت دملجا من ذهب كان فى عضدها وزنه أربعون مثقالا فرمت به اليه ثم قالت أقسمت عليك الا ما أدخلته فى يدك ففعل ذلك ثم قالت لاشعب اذهب الى عزة الميلاء فاقرئها منى السلام وأعلمها أن عبيدا عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجىء فتحدثوا بافى ليلتهم ثم أمرت عبيدا وأشعب فخرجا فناما فى حجرة مواليها فلما أصبحت هيئ لهم غداؤهم وأذنت لابن سريج فدخل فتغدى قريبا منها مع أشعب ومواليها وقعدت هى مع عزة وخاصة جواريها فلما فرغوا من الغداء قالت يا عزان رأيت أن تغنينا فافعلى فقالت اى وعيشك فتغنت لحنها فى شعر عنترة العبسى

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
ان كنت أزمعت الفراق فانما * زمت ركابكم بليل مظلم

فقال ابن سريج أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الدملج الآخر من يدها فرمته لها وقالت صيرى هذا فى يدك ففعلت ثم قالت لعبيد هات غننا فقال حسبك ما سمعت البارحة فقالت لابد أن تغنينا فى كل يوم لحنا فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى

قالت من أنت على ذكر فقلت لها * أنا الذى ساقه للحين مقدار
قد حان منك فلا تبعد بك الدار * بين وفى البين للمتبول اضرار

ثم قالت لعزة فى اليوم الثانى غنى فغنت لحنها فى شعر الحرث بن خالد

وقرت بها عينى وقد كنت قبلها * كثير البكاء مشفقا من صدودها
وبشرة خود مثل تمثال بيعة * تظل النصارى حوله يوم عيدها

قال ابن سريج والله ما سمعت مثل هذا قط حسنا ولا طيبا ثم قالت لابن سريج هات فاندفع يغنى

أرقت فلم أنم طربا * وبت مسهدا نصبا
لطيف أحب خلق الله انسانا وان غضبا
فلم أردد مقالتها * ولم أك عاتبا عتبا
ولكن صرمت حبلى * فأمسى الحبل منقضبا

فقالت سكينة قد علمت ما أردت بهذا وقد شفعناك ولم نرد ذلك وانما كانت يمينى على ثلاثة أيام فاذهب فى حفظ الله وكلاءته ثم قالت لعزة اذا شئت أقمت أو انصرفت ودعت لها بحلة ولابن سريج بمثلها وانصرفت وأقام عبيد حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه الى مكة راجعا

واجتمع يوما نسوة عند سكينة بنت الحسين عليهما السلام وهن بالمدينة فذكرن عمر بن أبى ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن اليه وتمنينه فقالت سكينة أنا آتى لكن به فبعثت اليه رسولا وهو يومئذ بمكة ووعدته أن يأتيها فى الصورين فى ليلة سمتها له فوافاها على رواحله ومعه الغريض فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن فقال لهن انى والله مشتاق الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم والصلاة فى مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيأ ثم انصرف الى مكة وقال

ألمم بزينب ان البين قد أفدا * قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة * وما على الحر الا الصبر مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها * لقد وجدت به فوق الذى وجدا
لعمرها ما أراني ان نوى برحت * وهكذا الحب الا مينا كمدا

قال وانصرف عمر والغريض معه فلما كان بمكة قال عمر يا غريض انى أريد أن أخبرك بشئ يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره فهل لك فيه قال افعل من ذلك ماشئت وما أنت أهله قال انى قد قلت فى هذه الليلة التى كنا فيها شعرا فامض به الى النسوة فأنشدهن ذلك وأخبرهن أنى وجهت بك فيه قاصدا قال نعم فحمل الغريض الشعر ورجع الى المدينة فقصد سكينة وقال لها جعلت فداك ياسيدتى ومولاتى ان أبا خطاب أبقاه الله وجهنى اليك قاصدا قالت أوليس فى خير وسرور تركته قال نعم قالت وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله قال جعلت فداك ان ابن أبى ربيعة حملنى شعرا وأمرنى أن أنشدك اياه قالت فهاته فأنشدها الشعر بتمامه قالت فياويحه فما كان عليه أن لا يرحل فى عدة فوجهت الى النسوة فجمعتهن وأنشدتهن الشعر وقالت للغريض هل عملت فيه شيأ قال قد غنيته ابن أبى ربيعة قالت فهاته فغناه الغريض فقالت سكينة أحسنت والله وأحسن ابن أبى ربيعة لولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك يابنانة أعطه بكل بيت ألف درهم فأخرجت اليه بنانة أربعة آلاف فدفعتها اليه وقالت له سكينة لو زادنا عمر لزدناك وكانت وفاة السيدة سكينة بمكة فى ربيع الاول سنة ١٢٦ وقيل سنة ١١٧ بالمدينة وهو الارجح

﴿سلمى الملقبة بقرة العين﴾

كانت فتية بارعة الجمال متوقدة الجنان فاضلة عالمة أبوها أحد المجتهدين فى العجم وكانت متزوجة بمجتهد آخر طلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعة الاسلام وآمنت بالسيد على محمد تلميذ الشيخ أحمد زين الدين الاحسائى الذى مزج التصوف والفلسفة بالشريعة وتسمى السيد على المذكور بالبابى وطريقته تسمت به وكانت قرة العين تكاتبه ويكاتبها فكان يخاطبها فى مكاتباته بقرة العين فلقبت بذلك وكانت تناظر العلماء والفضلاء مكشوفة الوجه بدون حجاب ثم لما وقعت المحاربة بين البابيين وعساكر الدولة فى مازندران جيشت جيشا وقادته مكشوفة الوجه وسارت أمامه طالبة اعانتهم وفى أثناء الطريق قامت فى الناس خطيبة وقالت أين أحكام الشريعة الاولى أعنى المحمدية قد نسخت وان أحكام الشريعة الثانية لم تصل الينا فنحن الآن فى زمن لا تكليف فيه بشئ فوقع الهرج والمرج وفعل كل من الناس ما كان يشتهيه من القبائح ثم قبض عليها ولبست البرقع جبرا وحكم عليها بان تحرق حية ولكن الجلاد خنقها قبل أن تشتعل النار بالحطب الذى أعد لاحراقها

﴿سلمى امرأة عروة بن الورد﴾

هى امرأة من بنى كنانة وتكنى أم وهب وكان عروة بن الورد قد أغار عليهم فأصابها منهم وكانت بكرا فاعتقها واتخذها لنفسه فمكثت عنده بضعة عشر سنة وولدت له ولدا وهو لا يشك فى أنها أرغب الناس فيه وهى تقول له لو حججت بى فأمر على أهلى وأراهم فحج بها فأتى الى مكة ثم أتى الى المدينة وكان يخالط من أهل يثرب بنى النضير وكان قومها يخالطون بنى النضير فأتوهم وهو عندهم فقالت لهم سلمى انه خارج بى

قبل أن يخرج الشهر الحرام فتعالوا اليه وأخبروه أنكم لاتحبون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب مسبية وافتدونى منه فانه لايرى أنى أفارقه ولا أختار عليه أحدا فأتوه فسقوه الشراب فلما ثمل قالوا له فادنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة وانه عار علينا أن تكون مسبية فاذا صارت الينا وأردت معاودتها فاخطبها الينا فانا ننكحك فقال لهم ذلك لكم ولكن لى الشرط فيها أن تخيروها فان اختارتنى انطلقت معى الى ولدها وان اختارتكم انطلقتم بها قالوا ذلك لك قال دعونى ألهو بها الليلة وأفاديها غدا فلما كان الغد جاؤه فامتنع من فدائها فقالوا له قد فاديتنا بها منذ البارحة وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر فلم يقدر على الامتناع وفاداها فلما فادوه بها خيروها فاختارت قومها ثم أقبلت عليه فقالت ياعروة أما انى أقول فيك وان فارقتك الحق والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك وأغض طرفا وأقل فحشا وأجود يدا وأحمى لحقيقة والله انك ما علمت لضحوك مقبل كسوب مدبر خفيف على متن الفراش ثقيل على ظهر العدو طويل العماد كثير الرماد راضى الاهل والاجانب وما مر على يوم منذ كنت عندك الا والموت فيه أحب الى من الحياة بين قومك لانى لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول قالت أمة عروة كذا وكذا الا اسمعته ووالله لا أنظر فى وجه غطفانية أبدا فارجع راشدا الى ولدك وأحسن اليهم ثم فارقته فقال عروة فى ذلك

أرقت وصحبتى بمضيق عيق * لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى * اذا كانت مجاورة السدير
اذا حلت بأرض بنى على * وأهلى بين زامرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب * محل الحى أسفل من نقير
وأحدث معهدا من أم وهب * معرسنا بدار بنى النضير
وقالوا ما نشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذى أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها * بعيد النوم كالعنب العصير

فتزوجها رجل من بنى عمها فقال لها يوما من الايام ياسلمى اثنى على كما أثنيت على عروة وكان قولها فيه اشتهر فقالت له لا تكلفنى ذلك فان قلت الحق أغضبتك واللات والعزى لا أكذب فقال عزمت عليك لتأتين فى مجلس قومى فلتثنين على بما تعلمين وخرج فجلس فى ندى القوم وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم فوقفت عليهم وقالت أنعموا صباحا ان هذا عزم على أن أثنى عليه بما أعلم ثم أقبلت عليه فقالت والله ان شملتك لالتحاف وان شربك لاشتفاف وانك لتنام ليلة تخاف وتشبع ليلة تضاف وما ترضى الاهل ولا الجار ثم انصرفت عنه فلامه قومه وقالوا ما كان أغناك عن هذا القول منها

﴿سلامة القس﴾

هى جارية كانت لسهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فاشتراها يزيد بن عبد الملك بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها وغلبت على أمره

وسبب ما قيل لها سلامة القس أن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة أحد بنى جشم بن معاوية بن بكر كان فقيها عابدا مجتهدا فى العبادة وكان يسمى القس لعبادته مر يوما بمنزل مولاها فسمع غناءها فوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له هل لك أن تنظر وتسمع فأبى فقال له أنا أقعدها بمكان لاتراها وتسمع غناءها فدخل معه

فغنته فاعجبه غناؤها ثم أخرجها مولاها اليه فشغف بها واحبها وأحبته هي أيضا وكان شابا جميلا وكثر تردده على منزل مولاها فقالت له يوما على خلوة أنا والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت أحب أن أقبلك قال وأنا والله كذلك قالت أحب أن أضع بطني على بطنك قال وأنا والله قالت فما يمنعك قال قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره أن تؤل خلتنا الى عداوة ثم قام وانصرف عنها وعاد الى عبادته وله فيها أشعار منها

ألم ترها لا يبعد الله دارها * اذا طربت في صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يسترجع

وله فيها

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر * وهل أنت يوما عن سلامة مقصر
ألا ليت أني حيث سارت بها النوى * جليس لسلمى كلما عج مزهر
اذا أخذت في الصوت كاد جليسها * يطير اليها قلبه حين ينظر

فلذلك قيل لها سلامة القس

وكانت أخذت الغناء عن معبد وتعلمت منه جملة أصوات وكان يزيد يقدمها على غيرها من مولدات المدينة ولذلك لما مات عظم موته عندها فجاءت في مشهده وصارت تفرق الناس حتى قربت من النعش وقد أضرب الناس عنه ينظرون اليها وقد أخذت بعمود السرير وهي تبكي وتقول

قد لعمري بت ليلى * كأخي الداء الوجيع
ونجي الهم مني * بات أدنى من ضجيعي
كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعي
قد خلا من سيد كا * ن لنا غير مضيع
لا تلمنا ان خشعنا * أو همـمنا بخشوع

وكان يزيد أمر معبدا أن يعلمها هذا الصوت فعلمها اياه فندبته به يومئذ وكانت لها مناظرات ومحاورات ومجالس أنس مع حبابة ويزيد لم يسبق لامثالهم من الخلفاء والملوك ولم يصل أحد الى ما وصلوا اليه

﴿سميراميس ملكة أشور﴾

كانت أجمل أقرانها وأشجع أهل زمانها وليت العرش بعد زوجها (فينوس) فكان من همها تحسين مدينة بابل فشادت بها الهياكل العظيمة وأنشأت القصور المزخرفة وغرست الرياض والبساتين واحتفرت الترع والخلجان ومدت عليها المعابر والقناطر وبنت في ساحة المدينة هيكل (بور) اله الاشوريين وأقامت فيه تمثالا ذهبيا طوله ٤٠ قدما وكان هذا الهيكل أعظم بناء قام به البشر بلغ ارتفاعه ٦٦٠ قدما أعلى من الهرم المصري الاكبر قال عنه هيرودوتوس المؤرخ انه مربع الشكل مساحته ٤٠٠ ذراع في وسطه برج يرتفع نحو ٦٠٠ قدم ويعلوه سبعة أبراج علو كل منها ٧٥ قدما وفي البرج الاخير مسجد فيه تمثال من ذهب وبقربه مائدة ومنصة ذهبيتان ثمنهما نحو ٢٢٥ مليونا وفي فناء هذا المسجد مذبحان أحدهما ذهبي يوقد عليه في كل عيد ٣٠٠٠ أقة بخور وبالجملة فان هذه الملكة هي التي أحيت ابابل رونقها المذكور وبهاءها المشهور وهي التي أولتها تلك العظمة والشهرة بيد أنها لم تكتف بما أكسبها سعيها هذا

من الفخر بل جمعت نفسها الى الغارة فأثارتها شعواء على مصر فالحبشة ففلسطين فالهند فانتصرت فى جميع غزواتها الا فى الهند فان أفيالها قد ألقت الرعب فى قلوب العسكر ولم تطل حياتها ولما بلغها خبر أفيال ملك الهند ارتابت وخافت من انتصار الهنود عليها واذ لم يكن عندها قوة تضاهيها اجتهدت أن تدفع عنها هذه البلية بطريقة احتيالية فأمرت قواد العسكر بذبح ثلاثة آلاف بقرة من ذوات اللون الاسمر وأن يسلخوها و يفصلوا جلودها على هيئة الافيال و يلبسوها للجمال فامتثلوا ما أمرت وفعلوا ماذكرت وعلى هذه الصورة أنزلتها الى ميدان الحرب لتلقى الرعب فى قلوب الاعداء باظهارها لهم استعداداتها الحربية وشوكتها القوية فلما انتشب القتال بين الفريقين انعطف ملك الهند بأفياله الحقيقية على عساكر الاشوريين وتقدمت الملكة سميراميس بجمالها وفرسانها وجلود ثيرانها ولما اقترن العسكران والتقى الجيشان انكشفت للهنود تلك الحيلة وتحقق عندهم أنه لا يوجد عند الاعداء أفيال كافيالهم وان ما يرى انما هو حيلة وخداع فتشجعوا وهجموا على صفوف الاشوريين هجمة هائلة فالتقتهم الملكة سميراميس برجالها وأبطالها فاشتد القتال وعظمت الاهوال ودخلت أفيال الهنود بين صفوف الاشوريين فكانت تخطف الرجال عن خيولها وتدوسها فالبثت الجمال المصطنعة أن ولت الادبار وطلبت النجاة والفرار ولم تكن الا برهة يسيرة حتى انكسر جيش الاشوريين وانتصرت الهنود انتصارا عظيما وكسبت غنائم جسيمة وكانت الملكة سميراميس قد انجرحت جرحا بليغا ولكنها فازت بالهزيمة بسبب خفة فرسها ورجعت الى بلادها مدحورة صاغرة ومن ذلك الحين زهدت فى متاع الدنيا ومالت الى الخمول فقتلها بعد يسير ابنها اتيناس وذلك سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد فأنزلها الاشوريون منزلة الاله وأقاموا لها صورا منقوشة بهيئة حمامة زعما منهم أنها انقلبت عقب موتها بجسم حمامة وهى فى كل حال فخر نساء العصر القديم ونور مشكاته

سمية أم عمار بن ياسر

هى سمية بنت خباط كانت أمة لابى حذيفة بن المغيرة المخزومى وكان ياسر حليفا لابى حذيفة فزوجه سمية فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة وكانت من السابقين الى الاسلام قيل كانت سابع سبعة فى الاسلام وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل أشد العذاب قال أحد رجال آل عمار بن ياسر ان سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم على الاسلام وهى تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالابطح فى رمضاء مكة فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة وروى أن أبا جهل ضربها فى قلبها بحربة فى يده فقتلها فهى أول شهيد فى الاسلام قال مجاهد أول من أظهر الاسلام بمكة سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبلال وضباب وصهيب وعمار وسمية فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فنعهما قومهما وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس وجاء أبو جهل الى سمية فطعنها بحربة فقتلها

سودة بنت زمعة

ابن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشية العامرية وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية وسودة هى

زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي وكان مسلما فتوفي عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصب منه ولدا الى أن مات وعن ابن عباس قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز

وروى عن سودة بنت زمعة قالت جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج قال أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك قال نعم قال فالله أرحم حج عن أبيك وتوفيت سودة آخر خلافة عمر

سودة ابنة عمار بن الاشتر الهمدانية

كانت أديبة عاقلة شاعرة وفدت على معوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها كيف أنت يا بنت الاشتر قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها أنت القائلة لاخيك

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة * يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد * علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه * قدما بأبيض صارم وسنان

فقالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي قال هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل أمير المؤمنين اعفائي مما استعفيته قال قد فعلت فقولي حاجتك قالت انك للناس سيد ولامورهم مقلد والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويسومنا الخسف ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما فعرفناك فقال معوية اياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا * فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك قالت علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى قال ما أرى عليك منه أثرا قالت بلى أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يده الى السماء فقال اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة جلد من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير

لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا أتاك كتابي فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فعزله فقال معوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت لي خاصة أم لقومي عامة قال وما أنت وغيرك قالت هي والله الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا والا يسعني ما يسع قومي قال لها هيهات لطكم ابن أبي طالب وغركم قوله

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وقوله

ناديت همدان والابواب مغلقة * ومثل همدان سني فتحة الباب

كالهندواني لم يفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها فكتبوا لها وانصرفت

﴿سوسن زوجة بواكيم ملكة بني اسرائيل﴾

من سبط يهوذا وقد ذكرت هذه القصة في التوراة بما في سفر دانيال عليه السلام انه لما كان في السنة الثالثة من ملك بواكيم قدم بختنصر ملك بابل الى أورشليم وسلمها الله سبحانه وتعالى ثم نزل في بيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني اسرائيل فكانا يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت بواكيم الملك وكانت سوسن في أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان والديها كانا صديقين في بني اسرائيل وكانت في كل يوم تنزل الى بستانها للنزهة فرآها القاضيان فوقعت منهما فاشتغلا بها عن النظر في الحكومات وكتم كل عن الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمري العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا لخص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الحوم وقد استخفيا فأرسلت الجاريتين ليأتياها بما يلزم لها فظهر القاضيان وأغلقا الابواب وقالا لها ان لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن أجل ذلك أرسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بني اسرائيل قالت سوسن والله لا أغضب ربي أبدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى أحدهما ففتح الباب وجاء العبيد فأخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوأ ثم أتى بواكيم فاعلموه بالامر وانهما لم يقدرا على مسك الشاب بجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما وأغلقت الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا ألله يا دائم يا عالم الخفيات أنت تعلم انهما كذبا علي ثم أقاماها للقتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم أن قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم أمر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما من أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب ثم أخره وقدم الآخر وقال له من تحت أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فنشرا ونزلت نار فأحرقتهما (تأمل) وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام

حرف الشـــين

﴿شجرة الدر﴾

هى الملكة عصمت الدين أم خليل شجرة الدر محظية السلطان الصالح نجم الدين أبى الفتوح أيوب وأم ولده السلطان خليل

كانت امرأة عاقلة مهـذبة خبـيرة بالامور وكان يرجع اليها بالرأى الملك الصالح أيوب ويستشـيرها فى مهمات الامور ومن أمرها أنه لما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب بناحيـة المنصورة فى قتال الفرنج قامت بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور وتسلطن بقلعة دمشـق فى رمضان سـنة ٦٤٧ هجرية وقدم الى الصالحية وأعلن يومئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبـل ذلك يتفوه بموته بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهـم الكافة أن السلطان مريض ما لاحد اليـه وصول ثم أساء السلطان توران شاه تدبير نفســه فقتـله البحرية بعد سبعين يوما من ولايته وبموته انقضت دولة بنى أيوب من مصر ثم اجتمع المماليك البحرية على أن يقيموا بعـده فى السلطنة محظية أستاذهم شجرة الدر فأقاموها وحلفوا لها فى عاشر صفر ورتبوا عز الدين أيبك التركمانى مقدم العسكر فسار الى قلعـة الجبـل وأنهى ذلك الى شجرة الدر فقامت بتـدبير المملكة وعلمت على التوقيـع بما مثاله والدة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وخلعت على المماليك البحرية وأنفقت فيهم الاموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب فسار الى دمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوج الامير عز الدين أيبك التركمانى بشجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما ومن مآثرها الجامع الذى بنته بخط الخليفـة بمصر بقرب مشهـد السيدة سكينة بنت الحسـين رضى الله عنهما ودفنت فيه حين موتها وهو مقام الشعائر لغاية الآن ولها جملة مآثر ومبان خيرية بمصر وخلافها من البلاد التى تملكت عليها

﴿شعانين زوجة المتوكل الخليفة العباسى﴾

كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال ولطف وظرف واعتدال قدّ واحورار طرف مجيـدة لضروب الغناء وفنونه عالمة بأساليب الغرام وفنونه قيل ان سبب ائتلاف المتوكل بها انه خرج يوما للنزهة فى ضواحى الشام فبينما هو يتصفح الكنائس والرياض ويرى ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى اذ أقبـل راهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى أقبلت جارية لم ير أحسن منها وبيدها مجمرة بخور فسأله عنها فقال هى ابنتى قال وما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين اسقنى ماء فقالت يا سيدى ليس هنا الاماء الغدران وأنا لا أستنظفه لك ولو كانت حياتى ترويك لجدت لك بها وأسرعت بكوز فضـة فأومأ الى أحد ندمائه أن اشرب منه فشرب به ثم قال لها ان هو يتك تساعدينى فقالت له أنا الآن أمتك وأما اذا اصدق الحب فى المحبة فما أخوفنى من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لى فى أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عـــدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوّا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال اهاهبي لي اليوم نفسك فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر من أحسن الموجود وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما أخذ منه الشراب أحضرا آلة وغنت

ياخاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لاعدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكاسك عن جليسك اذ أبى
قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فأرغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده

﴿ شعوانة رضي الله عنها ﴾

كانت لا تفتر عن البكاء فقيل لها في ذلك قالت والله لوددت أن أبكي حتى تنقطع دموعي ثم أبكي دما حتى لا يبقى جارحة من جسمي فيها دم وكانت تقول من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين فان الباكي انما يبكي لمعرفته بنفسه وما جنى عليها وما هو صائر اليه وكانت تبكي وتقول الهي انك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا وكانت التي تخدمها تقول من منذ ما وقع علي نظر شعوانة ما ملت قط الى الدنيا ببركتها ولا استصغرت في عيني أحدا من المسلمين وكان الفضل بن العباس رضي الله عنهما يأتيها ويتردد اليها ويسألها الدعاء

﴿ الشلبية الاندلسية ﴾

اسم غلب على المترجمة نسبة الى بلدها بالاندلس كانت أديبة فاضلة شاعرة نائرة واشتهر صيتها بالاندلس ونواحيها حتى انها كانت تجالس الملوك وتناظر الشعراء ولها جملة قصائد ومقطعات ولم يجمع شعرها بديوان حتى يظهر للعيان ومن شعرها ما كتبت به الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلادها وصاحب خراجها فقالت

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذي يرجى به * ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه * ياراعيا ان الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه
عانوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر لها بصلة وكشف ظلامتها بعزل ذلك الوالي

﴿ شهدة ابنة أبي نصر أحمد بن أبي الفرج الابري الدينورية البغدادية ﴾

كانت من العلماء الاكابر المحدثات الصادقات بالرواية تعلمت الخط الجيد وأخذت العلم عن كثير من العلماء

وأجازوها اجازة لم تسبق لغيرها وأخذ عنها كثيرون وكان لها النفس العالى ألحقت فيه الاصاغر بالاكابر وممن سمعت عنهم أبو الخطاب الطبرانى وفخر الاسلام الشاشانى وغيرهما من أفاضل العلماء وألفت جملة رسائل فى الحديث والفقه والتوحيد وما ثرها كثيرة فى أصناف العلوم وكانت وفاتها ببغداد سنة ٥٧٤ هجرية

﴿ شوكار قاضن ﴾

هى معتوقة المرحوم عثمان كتخدا القازدغلى وزوجة المرحوم ابراهيم كتخدا القازدغلى كانت تقية صالحة من بنات الجركس المتأدبات المطيعات لازواجهن الصادقات فى خدمتهن ولها مآثر عظيمة وادرارات جسيمة كريمة محسنة على الفقراء والمساكين قاضية لحوائج المحتاجين فمن مآثرها السبيل الذى بنته بقرافة مصر الصغرى اغاثة للناس وقت المواسم ووقفت له أوقافا يصرف من ريعها عليه وهو منقوش من أعلاه برقم سنة ١١٧٠ وهذا السبيل عامر الى الآن ويملأ سنويا من ماء النيل على طرف ديوان الاوقاف المصرية وفى حجة وقفيته المؤرخة سنة ١١٨٥ أن الست شوكار المذكورة وقفت جميع المكان بخط الازبكية بدرب شيخ الاسلام ابن عبد الخالق السنباطى وجميع الجنينة فيما بين بولاق والقصر العينى المعروفة قديما بغيط البحر وجميع الرزقة الكائنة بناحية ديرك بالمنوفية وجميع الرزقة الكائنة بناحية طمويه بالجيزة وجميع خمسمائة عثمانى وأربع عثمانية مرتب علوفة وجميع المكان الكائن بالكعكيين تجاه حمام الجيلى وجميع علو بعض طبقات من وكالة الملح وجميع المكان بخط الكراسين بين الحيضان بالقرب من قنطرة الخرنوبى وجميع المكان الكائن بخط الشوائين بداخل عطفة الفاكهانى وجميع المكان الكائن بالخط المذكور فى العطفة المتوصل منها الباب جامع الفاكهانى الشرقى ومطبخ السكر وجميع الحانوتين الكائنين تجاه جامع الفاكهانى وجميع ست قراريط من الوكالة الكائنة بخط قنطرة الموسكى وجميع الحانوتين الكائنين بالدرب الاحمر وجميع الحانوت الكائن بالخط المذكور تجاه جامع الصالح وجميع الحصة التى قدرها ثلاثة وعشرون قيراطا فى الوكالة الكائنة بخط البندقانيين وجميع الحصة التى قدرها نصف قيراط وسدس قيراط فى كامل أراضى ناحية الارجنوس وتوابعها بالبهنساوية وجميع ثلاثة حوانيت كائنة بخط باب الزهومة وجميع مرتب العلوفة وهو ثلاثة وستون عثمانيا وشرطت لنفسها النظر وقفها هذا ومن بعدها للاولاد والعتقاء وأن يصرف فى ثمن ماء عذب يصب فى السبيل انشاء الواقفة فى كل سنة أربعة آلاف وتسعمائة وخمسون نصفا فضة (النصف الفضة عبارة عن بارة وكل أربعين منها بدرهم فضة أعنى قرش وكل أربعة منها بعليم من العملة المصرية التى كل ألف منها بدينار مصرى) وفى ثمن حبال وبخور وغيره مائتان وخمسون نصفا فضة وللمزملاتى سنويا سبعمائة وعشرون نصفا ولغفير السبيل سنويا ثلثمائة وستون نصفا فضة وأجرة ملئه أربعمائة نصف وشرطت أيضا أن يصرف فى ثمن ماء يصب فى السبيل الكائن بخط الخرنوبى ألف ومائتا نصف وللمزملاتى به ثلثمائة وستون نصفا وأجرة النزح وثمن القلل والبخور مائتان وأربعون نصفا وثمن زيت وقناديل بمقام الشيخ الخرنوبى مائة وثمانون نصفا وأن يصرف فى ثمن ماء يصب فى السبيل الذى بالشوائين يوميا اثناعشر نصفا وفى ثمن ضحايا اليوم العيد تفرق على الفقراء ثلاثون ريال حجر أبو طاقة ولسبعة قراء يقرؤن من أول

رجب الليلة عيد الفطر سنويا أربعون دينارا ذهبا زر محبوب وللناظر الوقف سنويا ثلاثون دينارا وللناظر الحسبي عشرة دنانير وللباشر مثله والجابي كذلك وأن يصرف في وجوه الخير على تربتها في أيام الجمعة والعيدين سنويا عشرة دنانير ذهبا وللتربي عشرة ريالات حجر أبو طاقة ولسبعة قراء بالحرم المكي عشرة ريالات أبو طاقة أيضا فلله درهذه الواقفة فانها لم تدع بابا للخير الا فتحته فرحمها الله رحمة واسعة وأكثر الله من أمثالها

شرفية ابنة سعيد قبودان

ولدت في سنة ١٢٦٠ هجرية وهي لغاية الآن على قيد الحياة ولهذه المترجمة وقائع تشهد لها بالوفاء وتعتبر من العجائب المستغربة قد أخبرتني عنها احدى السيدات الموثوق بقولهن ولغرابة هذه الوقائع أحببت درجها في هذا التاريخ لكي تخلد لهذه المترجمة ذكرا مدى الاعصار وهو أنه كان في مدينة بولاق مصر رجل قبودان يقال له سعيد قبودان وكان قد اقترن بفتاة اسمها السيدة مخدومة شقيقة رائف باشا أحد رؤساء البحر في الحكومة المصرية فرزق منها سعيد قبودان بنتا فسماها شرفية ولم تمكث في حجر والدها سوى ثمان سنوات حتى توفاه الله وكان ذلك سنة ١٢٦٨ هجرية وهو مجاهد في حرب القرم الاخيرة وكانت هذه البنت غاية في الرقة واللطف وقد ربيت على مبادى حسنة وقد علمتها والدتها القراءة والكتابة والاشغال اليدوية وجميع ما تختص به النساء من تطريز وغيره حتى فاقت بنات عصرها وهي مطيعة لوالدتها منقادة لكلامها وكانت تلك الوالدة تحنى عليها اضلاع الرأفة والحنو الى أن بلغت الثامنة عشرة من سنيها وكانت في مدينة ازمير امرأة متوسطة المقام وكان قد تركها زوجها منسحبا من بلده ولم تعلم أين ذهب وترك لها ولدا صغيرا ولكنه يضاهي البدر جمالا والغصن اعتدالا ومازالت منتظرة تربي ولدها الى أن فرغ منها المال المدخر معها ولم تجد ما تقتات به هي وولدها وقد تواترت الاخبار عن وجود زوجها في مصر فأخذت ولدها وكان في سن الثالثة عشرة من سنيه وحضرت به الى مصر لتبحث عن والده كما خلد في فكرها وقد نزلت بالامر المقدور على السيدة مخدومة فتلقتها على الرحب والسعة وفتحت لها في قلبها فضلا عن منزلها أعظم محل وكانت شقيقتها رائف باشا في أمرها فبحث عن زوجها فلم يعلم له خبرا ولما لم يجده أخذ الغلام وسلمه الى احدى المدارس الاميرية وكان رائف باشا عديم الولد لانه لم يتزوج أبدا الى أن بلغ الثمانين من العمر وكانت شرفية في ذلك الوقت لم تتجاوز الثامنة عشرة وكان محمد كمال في سن الثالثة عشرة وكانت شرفية ربعة القوام ممتلئة الجسم مستديرة الوجه واسعة العيون مقرونة الحواجب قمحية اللون جذابة خفيفة الروح سوداء الشعر والعيون تخلب لب من يراها وأما محمد كمال فانه كان طويل القوام نحيل الجسم أبيض اللون أشقر الشعر أزرق العيون مستدير الوجه يميل دمه الى الخفة مع أنه قل من كان بهذا الشكل أن يستحصل على هذا الجاذب

ولما دخل الى منزل سعيد قبودان صارت شرفية تعتني بأمره كل الاعتناء من ملبس ومأكل وكل ما يلزم له وجميع سد احتياجاته وكانت والدتها تنظر اليها بعين الاستغراب وتفكر في أمرها وانشغالها بأمر هذا الغلام ولكنها تراجع نفسها عن الظنون في ابنتها لانها ترى أن الغلام صغير جدا ليس أهلا لان تحبه بنت ثمانية عشرة سنة وليس هو ممن يحب وهو في هذا السن ولما دخل المدرسة وبعد عن شرفية كثرت عليها

الافكار وصارت تحب الخلوة بنفسها ولكنها لم تضيع أوقاتها بدون أن تشتغل بشيء يعود نفعه على الغلام مثل خياطة ملبوس وغيره مما يلزم له وكان لا يأتي الا في كل ليلة جمعة على حسب أصول المدارس الداخلية في القطر المصري وكانت شرفية تنتظر ميعاد مجيئه كليا في الاعياد

وفي تلك الفترة تكاثرت عليها الخطاب وكانت والدتها تحب أن تزوجها لانها وحيدتها وتفرح بها قبل وفاتها وكلما جاءها خاطب تعرضه عليها والدتها وتحسنه في عيونها وهي لا تقبل منها ذلك ولا تجيبها الا بالبكاء والنحيب حتى انها صارت لا تقبل من يفاتحها بمثل هذا الكلام فتكدر فعلها هذا والدتها وظنت أن الذي يغريها على هذا الفعل هي أم الغلام فكلمتها بهذا الخصوص وأغلظت لها القول حتى أخرجتها من منزلها ولما خرجت زاد وجد شرفية وخافت أنها تحرم من رؤية حبيبها فخزنت الحزن الشديد حتى حرمت النوم والطعام ومازالت في أفكار الدهشة والحيرة الى أن كانت ليلة الجمعة فحضر محمد كمال على حسب العادة ولما بلغه أن والدته خرجت من المنزل وتوجهت الى منزل رائف باشا اغتم لذلك وكان الغلام أيضا قد أشرب حب البنت من حين طفوليته وكلما تماسنه ينمو حبها معه ولكنه كان ينظر الى نفسه فيجدها حقيرة بالنسبة الى شرفية ولكنه صار يجتهد في الاستحصال على العلوم الكافية لان تجعله أهلا لها ولم يمض زمن يسير الا وخرج من مدرسة المبتديان ودخل المدرسة الحربية بواسطة رائف باشا وبعد مضي مدة توفى الله والدتها السيدة مخدومة وبقيت البنت في حجر خالها كانها ابنته وصارت تطلبها الخطاب منه فيعرض عليها ذلك فلم تقبل فاحتار في أمرها ولم يدر ما الذي يمنعها عن الاقتران

وكان كمال لم يزل في منزل رائف باشا مع والدته فانها من حين ماخرجت من عند السيدة مخدومة دخلت الى منزل الباشا المشار اليه ومكثت عنده الى أن انضمت البنت اليه فصاروا كما كانوا جميعا في بيت واحد وكان الباشا لا يظن أن هذا التوقف من شرفية حاصل بسبب هذا الغلام لانه يرى أن بينه وبينها بونا بعيدا من حيث الثروة والسن أيضا وأما النسب فهو وان كان لا يعلم نسبه الا انه كان يرى في خلال طباع الغلام مايدل على صحة نسبه وانه من نسل طيب وانه شريف النفس أبيها ولما طال أمر شرفية بالامتناع عن الزواج خاف الباشا أن يتوفاه الله قبل أن يزوج هذه البنت اليتيمة فشكا ذلك الى بعض أصدقائه وقال له بأن يكلف قرينته لانها كوالدتها أن تسألها في ذلك وتفهم ماسبب امتناعها عن الزواج ففعل الباشا المشار اليه ما كلفه به صديقه وقد سألتها قرينته فأظهرت لها أنها لا تقدر على مخالفة الطبيعة حيث ان لها ميلا كليا الى جهة محمد كمال فاستنتجت منها تلك السيدة أنها يستحيل عليها الاقتران بغير هذا الغلام وانها لا تقدر على مخالفة احساساتها القلبية فأخبرت زوجها بذلك وكان كمال في ذلك الوقت قد استحصل على رتبة ملازم وصار له جراءة على طلب شرفية فتقدم الى الباشا المشار اليه والتمس منه أن يكلم رائف باشا في أمر شرفية وأن ينعم عليه بها وأن يقبله عبدا له مادام في هذه الدنيا لانه على كل حال هو غرس نعمته فتقدم اليه صديقه بأمر الخطوبة وأخبره انه اختبر أمر شرفية بلسان زوجته فوجدها تميل الى الغلام وهذا سبب امتناعها عن الاقتران بغيره ولما سمع رائف باشا هذا الخبر استعظمه وقال هذا شيء لا يكون أبدا لان الغلام لا يصلح لها فكيف أزوجه بنت أختي وأنا مربيه بنوع النواب وهو فقير ولا يقدر على أداء المهر ولا مصروف نفسه فضلا عن فتح المحل ومصاريفه مع كونه مجهول الاصل

فقال له فأما كونه فقيرا فسوف يتقدم شيأ فشيأ ويستحصل على الرتب حتى يصير بدرجتنا حيث اننا نحن كنا

فى ابتداء أمرنا فقراء وكان الواحد منا راتبه مائة وخمسين درهما فاجتهدنا الى أن استحصلنا على أرفع الرتب اللائقة بمثلنا وها هو مجتهد أيضا وأما من جهة كونه مجهول الاصل فنحن أيضا لا نعلم أصلنا الان الواحد منا لا يعلم أصل نفسه ولا من هم أهله فمن هو جركسى ومن هو مرلى ومن هو كرديلى وقد أخرجنا من بلادنا ما نعلم ماذا يؤل أمرنا اليه وها نحن والحمد لله قد صرنا من خواص رجال الحكومة المصرية ولم يزل به حتى أنعم له راتب باشا بعد امتناعه جملة سنين وعقد للغلام على شرفية وشرعوا فى أمر الجهاز وما يلزم للفرح وكانت شرفية فى ذلك الوقت قد أحيى ميت آمالها وأدهشها الفرح الشديد عن كل ما فى الكون

ولكنها وا أسفاه لم يسمح لها الدهر باتمام تلك الافراح حتى هجم عليها بجيوشه الجبارة وصدمها صدمة تزول من هولها الجبال الراسيات ويذوب لها الحجر الجلمود

وذلك أنه لما بقى لاقامة الفرح أسبوع واحد حم الغلام ووقع رهين الفراش ولم يمكث بعد ذلك سوى أيام قلائل حتى توفاه الله وقصف غصن شبابه النضر وانزوى جماله تحت أطباق الثرى سبحان الحى الباقى الذى لا يموت

فلينظر الرائى الى حال شرفية التى يعجز القلم عن وصف حالها وما صارت اليه من الحزن والكدر حتى انها دخلت الى غرفتها التى سمتها بيت الاحزان وأسبلت عليها الستور وصارت تندب حبيبها وتبكيه الى الآن وتوفى بعد ذلك خالها راتب باشا ولم تزل الى هذا الوقت مدفونة تحت أطباق الحزن تطلب الموت لعلها تجتمع بحبيبها فى العالم الآخر فلم تجد لذلك من سبيل ولها مسجونة فى بيت حزنها ما يزيد على الثلاثين سنة وقل من يصبر على هذا المصاب

﴿ شيرين زوجة أبرويز بن هرمز ﴾

من ولد كسرى أنوشروان كانت يتيمة فى حجر رجل من الاشراف وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فأخذت من قلبه موضعا فنهاها عن ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت فى بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها الرجل ومضى فقالت له وما الذى ينفعك من تغريقى فقال قد خالفت لمولاى فقالت اقذفنى فى مكان رفيق فان نجوت لم أظهر وبرئت من يمينك ففعل وتوارت فى الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان فلما تقرر الملك لأبرويز بعد أبيه هرمز مر بذلك الدير رسل قيصر أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز لتحظى عنده فارسله وعرفه مكان شيرين فسر سرورا عظيما وأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوض اليها أمره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها أن لا تمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستأصلها ورماها بالزنا وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ماهى قالت تسلم الى قتلة زوجى حتى أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئنى مما قذفتنى به وتفتح لى ناوس أبيك فان له عندى وديعة عاهدنى ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلتهم وبرأها قال وفتح لها ناوس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة فهذه ممن يفتخر لهن بالوفاء

حرف الصاد

﴿ صفية ابنة عبد المطلب ﴾

ابن هاشم بن عبد مناف الهاشمية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم الزبير بن العوام وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي شقيقة حمزة والعوام وحجل بنى عبد المطلب لم يختلف فى اسلامها من عمات النبى صلى الله عليه وسلم وكانت فى الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخو أبى سفيان بن حرب فمات عنها فتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة وعاشت كثيرا وتوفيت بالبقيع ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا وصبرت صبرا عظيما وقيل انها أقبلت لتنظر الى حمزة بأحد وكان أخاها لامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير القها فارجعها لاترى ما بأخيها فلقيها الزبير وقال أى أمى ان رسول الله يأمرك أن ترجعى قالت ولم فقد بلغنى أنه مثل بأخى وذلك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك لاصبرن ولاحتسبن ان شاء الله فلما جاء الزبير اليه وأخبره بقول صفية فقال خل سبيلها فأتته فنظرت اليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن وقيل كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله قالت صفية فمر بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ان أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى ولا امنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت صفية فلما قال ذلك ولم أر عنده شيأ احتجزت وأخذت عمودا ونزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل فقال مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب وهى أول امرأة قتلت رجلا من المشركين

وكانت شاعرة فصيحة متقدمة عند جميع العرب بالقول والفعل والشرف والحسب والنسب وكانت حين مات أبوها عبد المطلب جمعت أخواتها ونساء بنى هاشم وصرن يرثينه بقصائد كل منهن بقدر طاقتها فكان ما قالته صفية من شعر ترثيه قولها

أرقت لصوت نائحة بليل * على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعى * على خدى كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل * له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذى المعالى * أبيك الخير وارث كل جود
صدوق فى المواطن غير نكس * ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع شيظمى * مطاع فى عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذى فضول * وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وضوم * يروق على المسود والمسود

عظيم الحلم من نفر كرام * خضارمة ملاوثة أسود
فلو خلد امرؤ لقديم مجد * ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا أخرى الليالى * لفضل المجد والحسب التليد

ومن قولها ترثى النبى صلى الله عليه وسلم

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
فدى لرسول الله أمى وخالتى * وعمى وخالى ثم نفسى وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا

ومن قولها أيضا فى الحماس

ألا من مبلغ عنى قريشا * ففيم الامر فينا والامار
لنا السلف المقدم قد علمتم * ولم توقد لنا بالغدر نار
وكل مناقب الاخيار فينا * وبعض الامر منقصة وعار

﴿صفية ابنة الخرع﴾

كانت من النساء المتحمسات اللائى اذا قلن تقوم العرب لمقالهن ولها أشعار منها ما قالته رثاء فى النعمان بن جساس بن مرة وكان سيد قومه فقتل يوم الكلاب وقتلوا به عبد يغوث وهو

نطاقه هندوانى وجبته * فضفاضة كامنات النهى موضونه
لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت * وما قتلنا به الا امرأ دونه

﴿صفية ابنة مسافر﴾

أبوها مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كانت أديبة فاضلة ذات جمال وكمال وفصاحة عربية مالها مثال ولها حسب ينتهى الى عبد مناف وشعر رائق مبنى على أساليب البلاغة قد حضرت يوم بدر ورثت أهل القليب الذين أصيبوا به من قريش بقولها

يا من لعين قذاها عائر الرمد * حد النهار وقرن الشمس لم يعد
أخبرت أن سراة الاكرمين معا * قد أحرزتهم مناياهم الى أمد
وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم * تعطف غداة إذن أم على ولد
قومى صفى ولا تنسى قرابتهم * وان بكيت فما تبكين من بعد
كانوا سقوف سماء البيت فانقصفت * فأصبح السمك منها غير ذى عمد

وقالت أيضا

ألا يا من لعينى ما * لتبكى دمعها قانى
كغربى دالج يسقى * خلال الغيث للدانى

وماليث عرين ذو * أظافير وأسنان
أبو شبلين وثاب * شديد البطش غرثان
وبالكف حسام صا * رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا * منهاً مزبدان

صفية بنت عمرو الباهلية

كانت شاعرة قومها محبوبة عندهم ذات مقام رفيع وكان لها أخ من السراة المغاوير وكانت تحبه ويحبها محبة شديدة ولا يرغبان الافتراق عن بعضهما الا للضرورة وكان مرة غازياً في قومه حياً من أحياء العرب فدارت عليهم الدائرة وقتل أخو صفية ولما بلغها الخبر شقت عليه الجيوب ولطمت الخدود ونشرت الشعور ورثته بعبرات كثيرة منها قولها

كنا كغصنين في جرثومة سمقا * حيناً بأحسن ما يسمو له الشجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب فيؤهما واستنظر الثمر
أخنى على واحدي ريب الزمان وما * يبقي الزمان على شيء ولا يذر
كنا كأنجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

صفية ابنة حيي بن أخطب

ابن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم وهم من بني اسرائيل من سبط لاوي بن يعقوب ثم من ولد هارون بن عمران أخي موسى وأم صفية برة بنت سموأل وكانت زوجة سلام بن مشكم اليهودي ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق وهما شاعران فقتل عنها كنانة يوم خيبر روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر وجمع السبي أتاه دحية بن خليفة فقال أعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فذهب وأخذ صفية قيل يارسول الله انها سيدة قريظة والنضير ما تصلح الا لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبي غيرها وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصطفاها وحجبها وأعتقها وتزوجها وقسم لها وكانت عاقلة من عقلاء النساء وعن اسحق بن يسار أنه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن ابن أبي الحقيق أتى بصفية بنت حيي ومعها ابنة عم لها جاءبهما بلال فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على رأسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعزبوا هذه الشيطانة عني وأمر بصفية فحيزت خلفه وغطى عليها ثوبه فعرف الناس أنه قد اصطفاها لنفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال حين رأى من اليهودية ما رأى يابلال أنزعت منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما وقد كانت صفية قبل ذلك رأت أن قمراً وقع في حجرها فذكرته لابيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر في وجهها حتى أتي بها رسول الله فسألها عنه فأخبرته الخبر وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وجعل عتقها صداقها قالت صفية بنت حيي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا قلت وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي

موسى وكان بلغها أنهما قالتا نحن أكرم على رسول الله منها نحن أزواج رسول الله وبنات عمه وعن صفية أن النبي صلى الله عليه وسلم حج بنسائه فلما كان ببعض الطريق برك بصفية جملها فبكت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش يا زينب أفقري أختك جملا وكانت من أكثرهن ظهرا قالت أنا أفقر يهوديتك فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منها فلم يكلمها أيام منى حتى قدم مكة وفي سفره حتى رجع الى المدينة ومحرم وصفر فلم يأتها ولم يقسم لها ويئست منه فلما كان شهر ربيع الاول دخل عليها فلما رأت ظله قالت هذا ظل رجل وما يدخل علي الا رسول الله فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله ما أصنع قال وكانت لها جارية تخبؤها من النبي صلى الله عليه وسلم فقالت فلانة لك قال فمشى النبي صلى الله عليه وسلم الى سريرها وكان قد رفع فوضعه بيده ورضي عن أهله وروى عنها علي بن الحسين قالت جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم أتحدث عنده وكان معتكفا في المسجد فقام معي يبلغني بيتي فلقيه رجلان من الانصار قالت فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعا فقال تعاليا فانها صفية فقالا نعوذ بالله سبحان الله يا رسول الله فقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم . وتوفيت سنة ست وثلاثين وقيل سنة خمسين رحمها الله تعالى

﴿ الملكة صفية والدة السلطان سليمان الثاني بن السلطان ابراهيم ﴾

كانت مولدة من بنات الجركس جاءت السراي الهمايونية وهي صغيرة وبعد مدة ظهرت نجابتها وبان رونقها وجمالها فاستحظى بها السلطان سليمان وبقيت عنده مكرمة معززة حتى مات وتولى الملك ولدها المشار اليه فصارت أعز مما كانت عليه وكثرت نفقاتها على فعل الخير والبر والاحسان ومن مآثرها الجامع المنسوب اليها الكائن بمصر القاهرة قال الامير علي باشا مبارك في خطط مصر التوفيقية ان هذا المسجد بجهة الحبانية في حارة الداودية عن يسار الذاهب من شارع محمد علي الى قلعة الجبل بمصر وهو مرتفع الارض نحو أربعة أمتار وله بابان يصعد الى كل منهما بعدة سلالم متسعة مستديرة وله صحن متسع بدائرة ايوان مسقف بقباب على أعمدة من الحجر والرخام وفي مقصورة الصلاة منبر خشب ودكة في دائرها شبابيك لها أبواب من الخشب عليها نقوش ومطهرته بمرافقها منفصلة عنه بالطريق وشعائره مقامة بنظر ديوان الاوقاف المصرية وهو من انشاء عثمان أغا بن عبد الله أغا دار السعادة ثم آل بطريق شرعي لسيدته الملكة صفية كما في كتاب وقفيته وملخص ذلك أن الملكة علية الذات صفية الصفات والدة السلطان قد وكلت عن نفسها فخر الخواص والمقربين وذخر أصحاب العز والتمكين عبد الرزاق أغا بن عبد الحليم أغا دار السعادة وفي دعواه أن عثمان أغا المذكور هو عبدها ومملوكها الى الآن حضر بالمحكمة الشرعية وأشهد بوكالته شاهدين عدلين وقرر دعواه بحضور فخر الاماجد داود أغا بن عبد الدائم المتولي على وقف الجامع الشريف بجهة الحبانية الذي بناه المرحوم عثمان أغا بن عبد الله فقال ذلك الوكيل في الدعوى ان عثمان المذكور هو عبد ومملوك موكلتي المشار اليها وانه ليس مأذونا ببناء الجامع ولا بايقاف بلده الملك له المعروفة بزاوية تميم من ولاية منوف المشتملة على أربعمائة فدان ولا بايقاف المنزل المملوك له بطريق بولاق قرب قنطرة الدوادار المشتمل على أربعة مخازن وبيت وقهوة واثنين وثلاثين دكانا وخمس عشرة خزانة وخمس طواحين واصطبل وخمس آبار عذبة الماء ومدبغ بقر ومدبغ غنم ومسلخ بقر فذلك الايقاف

غير صحيح وأريد ضبطه لموكلتي الملكة المشار اليها وسائر أمواله حيث انه مملوكها وأبرز فتوى من شيخ الاسلام بان الايقاف المذكور غير شرعي وكانت صورتها امتلك عمرو عبد هند أملاكا وبنى جامعا ووقف ذلك عليه ثم توفي قبل عتقه فهل لهند أن لا تقبل وقف عبدها عمرو وأن تمتلك جميع موقوفاته فأجيب بان وقف عمرو غير صحيح وان لسيدته ضبط جميع أملاكه كسائر أمواله ثم سئل حضرة داود أغا المتولي المذكور فأجاب بان المرحوم عثمان أغا معتوق قبل وفاته وانه بنى الجامع ووقف البلد وغيرها باذن معتقته الست صفية وحسن رضاها فأنكر عبد الرزاق الوكيل المذكور عتق المتوفي وأنكر اذنها له في بناء الجامع ووقف تلك الاوقاف فطلبت البينة من داود أغا فعجز عن اقامتها وطلب تحليفها اليمين الشرعي فأرسل القاضي عدلين الى حضرة الملكة لتحليفها ثم رجع المندوبان وأخبرا القاضي بانها حلفت اليمين الشرعية بحضور المتولي على طبق دعواها منه فحكم القاضي بان الجامع والقرية وجميع الاصقاع هي ملك لها ووقفها باطل ونبه على داود أغا برفع يده وتحرر في أواخر شوال سنة ١١٠١ هجرية وبعد أن دخلت هذه الموقوفات من القرى والضياع والاصقاع والمزارع والرباع في ملك الملكة وتصرفاتها جددت وقفها وقفا صحيحا شرعيا مؤبدا مخلدا بحدودها وجعلت النظر على تلك الاوقاف لفخر الخواص عبد الرزاق أغا ابن عبد الحنان الامير بدار السعادة وأطلقت له التصرف في الموظفين بالعزل والتولية وجعلت له عشرين قطعة ومن بعده لا يخرج النظر عن أغوات دار السعادة واشترطت ان الناظر هو الذي يعطي تقريرات الموظفين وأن يرتب لضبط الريع وصرفه رجلا أمينا دينا عفيفا ماهرا في الكتابة والحساب يوميا عشرون قطعة ولكاتب أمين طاهر يقيد كل جزئية بالدفتر كل يوم خمس قطع ولجاب متصف بتلك وله اقتدار على التحصيل ولا يترك بذمة أحد شيأ من حقوق الوقف ولا يحتال بحيلة في أخذ حبة من حقوق الوقف كل يوم خمس قطع ولواعظ صالح عالم ورع فقيه بمذهب النعمان عارف باحكام القرآن يعظ الناس في الجمع والمواسم ويختم الوعظ بالفاتحة لارواح الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ولارواح السلاطين الماضين مع الدعاء للسلطان بدوام دولة الخلافة ولحضرة الواقفة الجليلة بازدياد العمر ووفور الشوكة ولسائر المسلمين بحصول المرام كل يوم خمس قطع واشترطت أن يكون الخطيب عالما مجودا زاهدا كريم الاخلاق حسن الفعال يخطب فيه على منوال الشرع الشريف في الجمع والاعياد خطبة تناسب الايام والفصول وتوافق الطباع وليس له أن ينيب عنه أحدا بدون عذر شرعي وله خمس قطع وأن يرتب امامان عالمان عاملان بعلمهما لهما وقوف على التجويد ورسوم القراآت والروايات وقدرة على آداب الامامة يتناوبان الامامة في أوقات الصلوات الخمس على طريق السنة والجماعة ولا ينيبان أحدا بدون عذر شرعي ولكل منهما خمس قطع وأن يرتب أربعة مؤذنون عارفون بعلم الميقات أصحاب عفة وديانة وأصوات حسنة وأخلاق مستحسنة يتناوبون الاذان على المنارة اثنين اثنين ويجتمعون في أذان يوم الجمعة ويقرؤن التسبيح بعد صلاة الجمعة بالتهليل والتكبير وفي الثلث الاخير من كل ليلة قرب الصبح يجتمعون على المنارة ويرفعون أصواتهم بالتسبيح والتحميد والدعاء ولكل منهم في اليوم ثلاث قطع وأن يرتب موقت صالح أمين عارف بالميقات يحضر في كل وقت يعلم المؤذنين بدخول الوقت مع الاحتراس التام وله في اليوم قطعتان ويرتب عشرة من حملة القرآن يقرأ كل منهم عشرا في محفل الجماعة قبل صلاة الجمعة وأتقنهم للقراءة عليه البدأ والختم وله العزل فيهم والتولية بالامتحان على الوجه الحق وله خاصة في اليوم قطعتان ولكل

واحـدمن الآخرين قطعة واحدة وبعد ختم القراءة ينشد رجل حسن الصوت عارف بالموسيقى قصيدة نبوية وله فى اليوم قطعتان ويرتب قارئ حسن الصوت يقرأ على الكرسى الذى فى الجامع سورة (يس) بعد صلاة الصبح وله فى اليوم قطعتان وآخر يقرأ سورة (عم) بعد صلاة العصر وآخر يقرأ سورة (تبارك) بعد صلاة العشاء ولكل منهما قطعة واحـدة ويرتب رجلان لغلق أبواب الجامع وشبابيكه ليلا وفتحها صباحا مع الملاحظة والتعهد للجامع بالتنظيف ونحوه ولكل منهما قطعتان ويرتب رجل نظيف نزه لتبخير الجامع بلا تبذير ولا تقتير وله فى اليوم قطعة واحدة ولشراء البخور قطعتان ورجل أمين لحفظ المصاحف الشريفة التى بالجامع وله فى اليوم قطعة ورجل زاهد يكون مراقبا وله فى اليوم قطعة واحدة ويرتب وقادان صالحان يحفظان الشموع والقناديل ويتعهدان بالنظافة للايقاد والاطفاء بالاوقات المعلومة مع الاحتراس التام من تلويث الحصر والبسط ولكل منهما قطعتان ويرتب رجلان قويان برسم الفرش والكنس والتنظيف فى داخل الجامع واثنان برسم تنظيف الميضأة والاخلية مع عدم التساهل ولكل واحـد من الاربعة قطعة واحدة ويرتب رجلان عارفان بغرس الاشجار والرياحين واصلاحها وسقيها برسم خـدمة البستان الكائن أمام الجامع ولكل منهما فى اليوم قطعتان ويرتب رجلان قويان برسم سقى الاشجار ولكل منهما فى اليوم ثلاث قطع ويرتب رجل ماهر فى التعمير والترميم يتولى اصلاح ما يحتاج الى اصلاحه ونصت الواقفة المذكورة على ترتيب شخص قارئ فى مسجد المدينة المنورة يتلو كل صباح سورة (يس) ويدعو لها وعلى ترتيب رجل صالح لخدمة قبر سيدنا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بالشام من ايقاد القناديل وغلق الابواب وفتحها ونحو ذلك وأن ترسل الى القبر المذكور شمعتان من الاسكندرى خمس أوقات ومثل ذلك الى حرم مكة المشرفة ومثله الى الروضة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيات

(حرف الضاد)

﴿ ضياء ابنة الوزير فرنان وزير جزيرة صقلية ﴾

ان هذه الترجمة غير مثبوتة الرواية ولكن درجتها حيث انها لا تخلو من الفائدة اه مؤلف

كانت ذات جمال بارع وعقـل وأدب يفوق أهل زمانها وترجح على أقرانها بالظرف والرقـة وكان للملك المهرجان ملك تلك الجزيرة ابنا أخ يقال لاحدهما الفونس والآخردون لرزيق فتوفى والدهما وتركهما تحت كفالة عمهـما الملك المهرجان فضم الاكبر اليـه وعهد بالآخر وهو الفونس الى الوزير والدضـياء وكان للملك أخت يقال لها ابوران فتوفيت عن بنت يقال لها سلطانة فأخذ يعتنى بتأديبها وأقام لها الخدم الكثير والمؤدبين من رجال ونساء وكان للوزير فرنان قصر فى ضواحى بلرمة حاضرة الدولة فأخذ الفونس اليه وأحسن تأديبه وتوسم فيه من الذكاء والنبالة ما حمله على استمرار التحفظ به وكانت ضياء أصغر من الفونس بسنة فلما نشأت ضياء معه وصارت هى فى صباها وصار هو فى صباه وقع بينهما حب كاشد ما يكون وعملا الجهد كله على أن لا يدعا الوزير يفطن لشئ من أمورهما حتى اتفق أن الوزير سافر بامر الملك يجول فى أنحاء المملكة ليتفقد أحوال الرعيـة ورد المظالم الى أهلها فاغتنم الفونس فرصة غيابه وأخذ فى فتح باب فى الجـدار الذى كان قائما بين مقصورته ومقصورة ضياء وجاء بنجار ودفع له مالا كثيرا حتى يحسن عمـله ويبقى السر مكتتما فى صدره فاتخـذه بين الرسوم التى كانت تغشى الجدار على احكام ليس

في الامكان أصح مما كان بحيث اذا أغلق لم يفطن الرائى أن فى ذلك الجدار بابا لكثرة ماهنالك من النقوش والتخاريم فلما حقق الفونس بغيته فيما أراد من وصوله اليها صار أصبح يدخل عليها فى أكثر الايام و يبيت معها فى حديث و تقبيل و ملاعبة ليس غير لانها اشترطت عليه حين أذنت له بفتح الحائط أنه يدخل عليها لمبادلة الحديث بينهما فقط لا لشئ غير ذلك فلما دخل عليها فى بعض الايام رآها ضيقة الصدر حزينة النفس فانكمش لذلك وسأل قهرمانتها عن الامر الذى أوجب كدرها وكآبتها فقالت وصل اليها يا سيدى أن الملك عمك انطرح على فراش الموت فقدرت أنك اذا توسدت الملك وصار اليك أمر الامة فقد أشغلك العز والنعيم وأسكرتك العظمة والقدرة عن التفطن لها والقيام بعهود ولك اليها فلم يدعها تختم كلامها حتى دخل على بنت الوزير وقال لها يا سيدتى كأنى أرى الكدر مرسوما على وجهك الفتان فبالله الا صدقتينى فلما رأته هيج الشوق بكاها واغرورقت عيناها بالدموع وكاد لا يأتيها الكلام فسكتت قليلا ثم قالت لاشئ يوجب لى الكدر غير أنى يا سيدى وأمير الناس عمك المهرجان قد احتضرته الوفاة فاذا تبوأت الاريكة موضعه أشغلك أمر الامة دونى وصرفك اقتدارك عن النظر الى لانى سمعت عن الامراء أنهم اذا راموا حال ولاية عهدهم أشياء تطلبها أنفسهم ونالوها فانهم يغضون عنها بعد جلوسهم على أريكة الملك وانى لو أمنت من جهتك على وفائك بحق الوداد فلم آمن من جهة طالعى أن لا يخون سعادتى بك فلما سمع كلامها كادت تنفطر مرارته رحمة عليها وقال لها يا سيدة الملاح ان تمكن اليأس منك على غير موجب لما يفتت قلبى شفقة عليك وان تصورك الخيانة فى تصرف قلبى عن حبك لما يزيل ذل العشق و يجرح خاطرى ولكن رجائى اليك أن تصرفى هذا الحزن وتعلمى آن سعادتى ونحرى لا يتمان الابك فقالت أيها الامير لا يبعد أنك اذا علوت السرير طلب اليك الوزراء والاشراف أن تتأهل بأميرة من بنات الملوك لتزيد عظمتك افتخارا و مجدا ربما خانى دهرى بان يجعلك مجيبا لمسائلهم فانتفض عرق الحدة بين عينيه وقال لم تجلبين الكدر والقنوط لنفسك يا حبيبتى على غير طائل فانى أقسم بالله انى اذا وليت الملك تزوجت بك على محضر من الامراء والملوك فلما سمعت ضياء قسمه هدأ روعها واطمأنت نفسها وأخذا يتجاذبان أذيال المذاكرة عن مرض الملك المهرجان وكان يظهر من كلام الفونس أنه تكدر لوفاة عمه مع أن أمير اغيره كان يسر من وفاة ملك يورثه ملك الدولة ولاسيما اذا كان له عليه ثار فباتت ضياء بعد قسم الفونس بوفاء عهده اليها فى راحة وأمن ودعة وهى لم تعلم بالخطب الذى كان يحدق بها من جهة أخرى فان وزير الدولة الثانى المعروف بالمركيس قد كان رآها فى بعض الايام ففتن جمالها عقله وخطبها من أبيها فوعده بان يزوجها اليه ثم اتفق أن الملك مرض فأخر الزفاف الى أجل مسمى وأمر الوزير فرنان جماعته أن لا يعلموا الفونس ولا ابنته بشئ من ذلك الامر فلما كان الفونس صباح يوم جاءه الوزير ومعه ابنته ضياء وقال له بعد السلام يا سيدى ان الخبر الذى حملته اليك يكدر صفو خاطرك ولكن البشارة التى أتبعه بها تسر خاطرك وترفع مقامك فاعلم أيدك الله أن المهرجان عمك قد مات وأوصى اليك بالولاية بعده فهنئت بالعطية وخفق لواء سعدك على أنحاء بلادك منصورا وان الاشراف والامراء والقواد قد اجتمعوا ببابك ليقدموا لجلالتك خالص التهنئة بما أعطاك الله فلما سمع كلامه لم يخامر التعجب نفسه لانه كان عالما بمرض عمه ودنو أجله من قبل ذلك بشهور وأيام وانما صار صدره بعد سماع كلامه ميدانا تتسابق فيه الافكار وتضطرب فيه الخواطر ففكر ساعة ثم قال يا أبت انى أتخذك وزيرا انى أعتمد فى الامر على حسن آرائك المباركة لانى رأيتها

تحسم النوازل كأنها ساكنين في مفاصل الخطوب ويكون لكلامك نفوذ كأبلغ مما كان لأيام عمي رحمه الله ثم انحنى على مائدة هناك ووضع ختمه على قرطاس وسلمه الى ضياء وقال لها ياسيدتي خذي هذا القرطاس واكتبي فيه ما أردت فوق الختم وهو يدلك على أني راض بكل ما تشائين وان عشقك قد بلغ مني مبلغ الاسيل الى التعبير عنه بالقلم ولا باللسان فلما سمع فرنان كلامه أخذه العجب منه لغفلته عن ادراك عشقهما قبل ذلك وسلمت ابنته القرطاس اليه وقد قالت للملك وفي وجنتيها احمرار الخجل ياسيدي اني أقبل النعمة التي يعطر جلالة الملك على تخبيرها بشكر لامزيد عليه ولكن لي أب لا أعزم على أمر الا بمشيئته فأنا أسلم الرقعة اليه وهو يكتب فيها ما يشاء بحكمته ودرايته فقال الوزير للملك ياسيدي اني أكتب في هذه الرقعة ما تسومني شكرا عليه فيما بعد فقال له اكتب بها ما أردت أيها الحكيم الفاضل فانك لطيف النظر ولكن أسرع الآن الى بلرمة وخذ مبايعة الجند والامراء وبلغهم سلامي وقل لهم اني أسير اليهم بعد وصولك بقليل فما كاد يتم كلامه أن انصرف الوزير وابنته وركبا العربة الى بلرمة وهي تبعد أميالا قليلة عن موضع القصر وأما الملك الفونس فانه بعد انصراف الوزير بساعة ركب جواده وقصد مدينة بلرمة لينزل من قصر السلطنة وباله مشغول بالعشق فلما رآه الناس ارتفع فيهم الدعاء له وأصوات الفرح والسرور حتى دخل مجلسه في القصر فرأى سلطانة بنت بوران عمته في ثياب السواد فعزاها وعزته ثم ارتفع على السرير وجلست هي على كرسي دونه وقد ظهر أنها تحبه في قلبها مع أن العداوة بين أمها وأبيه كانت من أشد ما يكون ثم جلس الامراء والقواد على كراسي ووسائد زينت لهم وقام فيهم فرنان الوزير خطيبا وتلا وصية المهرجان اليهم يقول في بعضها انه لما لم يرزقني الله ولدا يلي الملك بعدي فاني أجعله ارثا الى الفونس ابن أخي على شرط أن يقترن بسلطانة ابنة أختي فان أبى ذلك فيصير الملك الى أخيه دون لزريف على الشرط عينه وهذه وصيتي الى الامراء والقواد

فلما وعى الفونس ما في وصية عمه كاد يخلع قلبه من الغم والهم والكدر وما لبث الوزير أن أتبع تلاوة الوصية بقوله للحضور أيها الامراء انه لما بلغت جلالة الملك مرام عمه المهرجان من زف سلطانة اليه لم يتردد ساعة في قبول ذلك فازداد غم الفونس حتى بان الكدر في وجهه وقال للوزير ولكن اذكر يا مرام القرطاس الذي سلمته الى ابنتك ضياء فأجابه الوزير وقد رفعه على مشهد من الامراء ما كتب في هذا القرطاس هو وعدك بأن تقترن بابنة عمتك وتتم كل ما ذكر في وصية عمك ثم فتحه وقرأه على مسمع من الامراء والاعيان فسروا من حسن عواطف الملك وارتفعت أصواتهم بالدعاء له وهم غافلون عما كان في نفسه حتى اذا تفرق جمعهم الا قليلا وتباعدت سلطانة التي ما فتئت تبث اليه هيامها به وهو لا يعقل من شدة اضطراب عقله قال للوزير فرنان أنت خنتني وحق السماء وانما كان الواجب عليك أن تكتب في القرطاس ما كان من الاتفاق والعهود بيني وبين ابنتك فقال له الوزير ياسيدي تمعن في الامر فان أنت خالفت وصية عمك المهرجان فقد بخست نفسك حقها وأضعت الملك من بين يديك قال هذا وابتعد عنه حتى لا يسمع جوابه فغضب الملك غضبا شديدا وبات بين اعتمادين في نفسه فاما أن يعتزل عن الملك واما أن يقترن بابنة عمه ففكر في ذلك برهة فوقع في ذهنه أن زفافه بابنة عمه لا يكون الا ببراءة من لدن البابا تأتي بعد شهر أو شهرين وأنه في تلك المدة يولي المراتب العظيمة من يأمن خيانته من الامراء والقواد حتى اذا نفذ الوصية لم يتفقوا على خلعه وبات أمر الامة في يده فلما وقع هذا الرأي في نفسه سكن روعه واطمأنت نفسه وحقق

بغيته بما أراد من الاقتران بضياء حبيبته ولم يطلع أحدا من الناس على ذلك وكان يخابر سلطانة بالكلام اللطيف ويسبك كلام بهرام فى أنه يحب الاقتران بها حتى لا تهب أعصار الفتنة قبل تداركه اياها بالحيلة ولكن كان من نكد الحظ انه بينما يحدث سلطانة ويعد باقترانها به اذ دخلت ضياء مع أبيها وقد وقع كلامه فى أذنها فاصفر لونها واستحوذ عليها شئ شبيه بالغمائم قال لها أبوها بحضرة سلطانة يا بنية قدمى احترامك الى ملكتك وادعى الله أن يطيل عمرها ويجعل أيامها بالسعد مقبلة فما كادت من كلام أبيها ما سمعت من كلام الملك وأخذتها رجفة شديدة لم يكن لها حيلة فى اخفائها فاما سلطانة فظنت أن اضطرابها انما هو ناشئ عن عزة الملك الذى لم تره قبل ذلك وأما الملك فانه عرف سبب ألمها وكدرها لما كان من وقوع وعده ابنة عمه فى أذنها وصار بنفسه الاضطراب مثل ما صار بها وأحب لو مكنته الظروف من الاجتماع بها حتى يعلمها بأن وعده لسلطانة انما هو حيلة منه لا خيانة بودها ولكن لم يكن من سبيل الى التحدث سرا معها اذ كانت عيون الاعيان متجهة اليه هذا ما كان من أمر الملك

وأما ضياء فان أباها لما آنس جزعها وقنوطها ورأى الملك منقبضا الى اليأس صار بها على الفور الى قصره وقد أعلمها بأنه سيزوجها الى المركيس فلما سمعت كلامه بلغ الحزن من نفسها ووقف الدم على قلبها فوقعت بين يدى أبيها مغشيا عليها وقد ضعفت قواها وتغير لونها حتى كانها الميت المدرج فى كفنه فرق قلبه عليها وتداركها بماء الورد حتى أفاقت فقالت يا أبتاه الشفيق يخجلنى أنى أطلعتك على اشتغال قلبى بهوى الملك ولكن الموت الذى يوافينى بعد قليل سيرفع عنك أكدارا جلبتها عليك ابنة منكودة الحظ فقال لها لا تقنطى يا بنية فالوزير الذى أزوجك منه الأعظم رجل فى الدولة وأجله خطرا فقالت صدقت يا أبت وانى أقر بفضله وكرم أخلاقه وسجاياه غير أن الملك كان يؤملنى بأن أكون له عروسا فقال لها القد علمت اليوم كل ما كان بينك وبينه وأنا لا أعذبك على ذلك ولكن من حيث قد قام بين الوعد وانجازه مانع لا يقوى الملك على ازالته الا بخسران الملك من يده فاعلى على صرف آمالك وكفكفى دموعك حتى لا يقال فى دار الملك ان حبه قد علق فؤادك ولا تؤملى بأنه يتخذك زوجة له اذ أنه اشترى بك الملك والسلطنة واعلمى بانى وعدت الوزير المركيس بان أزوجه منك فانجزى وعدى اليه ولا تخيبى أبا يتقدم اليك بالضراعة والطلب قال هذا وانصرف الى مجلسه وهو مؤمل بانها اذا فكرت فيما نطق به اليها الب طلبه ورضيت بان تصير زوجة للمركيس الوزير

فلما خلا المكان لضياء أسبلت الدمع من عينها وغلب عليها اليأس وخامرها كمد لا يعبر عنه اللسان لما كان من تحققها خيانة الملك بدليل الكلام الذى سمعته من فمه وما كان من اكراه أبيها لها على تزوجها من المركيس الذى لا تقدر أن تحبه فظنت أن الموت لا يبعد أن يفاجئها بعد ذلك ثم صاحت تبا لك أيتها الآمال التى عللت نفسى بها ثم ألقتنى فى وهدة الالم والحسرات وأنت أيها العاشق الخائن لم علقت امرأة غيرى بعد تقدمك الى بالقسم والعهد فلا هنأك الله بهذا الملك الجديد ولا بوركت بهذا الزمان الذى ثلمت فيه اليمين بعد توثيقها الى ولتكن لحظات سلطانة اليك حنقا عليك وليكن ريقها كسم قتال يتحدر الى جوفك فيصرعه ليبدلك الله بنعمتك شقاء مثل الشقاء الذى أذوق مرارته واعلم أيها الخائن من حيث ان دينى لا يحل لى قتل نفسى بيدى فانى سأنتقم من نفسى بان أتزوج بالمركيس الذى لا أحبه حتى اذا كان عشقى باقيا فى فؤادك أسفت وتحرقت لتسليم نفسى الى رجل غيرك وان كان ذكرى قد برح من خاطرك فأكون

على الافل قد انتقمت من نفسى لاجل أنها أشغلت قلبها بحب رجل خائن مثلك قالت هذا الكلام والدمع يجرى من عينيها وهى فى حالة من القنوط لم تنفك عنها النهار ولا الليل بطوله فلما أصبحت دخل عليها أبوها وعلم منها أنها عازمة على الاقتران بالمركيس فاغتنم هذه الفرصة أن جاءبه وزوجها منه سرا فى كنيسة القصر فكانت حالتها فى ذلك اليوم تستبكى الحجر رحمة عليها اذلم يكن همها مصابا بأنها فقدت الملك وجفاها حبيبها الرفيق وتزوجت برجل لا تميل اليه حتى انه وجب عليها أن تكتم حزنها فى قلبها بحضرة هذا الزوج الذى هام بحسنها وجمالها ومازال جاثيا الى الارض بين قدميها الى آخر النهار غير تارك لها فرصة تبكى فيها على انفراد ما حاق بها من البلاء فلما أقبل الليل ودخلت عليها قهرمانتها وزينتها لدخوله عليها خامرها يأس عظيم لم يسعها كتمانه بحضوره فتقرب منها بتذلل وسألها عن سبب كدرها فحاولت اخفاء الامر عليه وقالت ان نفسها منقبضة فى تلك الليلة ليس غير فعزم عليها أن ترقد فى السرير فأبت الا الجلوس مكانها على المقعد وأخذت تفيض من عينيها دموعا كثيرة فتعجب لذلك عجبا شديدا وتأوه أن من جفائها اياه لامر يخون عشقه لها ولا يليق بشرفه وعرضه فبات جزعا قلقا وأعمل على أن يبقى اضطرابه كامنا فى صدره فقال ياسيدتى قومى الى مضجعك وخذى راحة لجسمك والرياضة لعقلك وان كنت ترومين أمر القهرمانات بالقيام بين يديك لخدمتك فعلت ذلك اكراما لخاطرك فقالت وقد اطمأنت نفسها وذهب خوفها ووجلها انى لا أرى لزوم القيامهن بين يدى ولكن أرقد فى السرير حتى يغلبنى النعاس ويروق مابى من القلق وكان المركيس فى تلك الليلة متسهدا من شدة جزعه وهو يفكر فى نفسه لما كان من ضياء بان لها حبيبا قد هام قلبها بحبه ولكن من هذا الحبيب أمن أمثاله أوممن هو أخفض فى مراتب الدولة فلم يعلم ذلك ولكنه رأى نفسه بهذا الزواج أشقى العالمين ومازال يردد هذه الافكار فى نفسه الى هدو الليل الآخر واذا بقرقعة خفيفة قد طرقت أذنه وتلاها وطء أقدام خفيفة فى المقصورة فظن بادئ الامر أن ذلك يتراأى له بالوهم لعلمه بأنه كان قد غلق الباب وقفله بيده بعد انصراف القهرمانات غير أنه أزاح ستار السرير ليرى بنفسه ما كان من هذا الامر فاذا بالمقصورة ستودها الظلام لان السراج الذى كان موقدا فيها قد انطفأ فبقى فى موضعه مكتئبا واذا بصوت منخفض حنون ينادى ياضياء ياضياء فوثب من فراشه مذعورا وبادر الى سيفه وتقدم الى جهة الموضع الذى منه سمع الصوت ليمزق صدر الحسود الذى أراد أن يفوز باللذة على مشهد منه فاذا بسيف صلت قد لاطم سيفه فوثب فشعر مابين ظلام الليل برجل ليهرب من وجهه فلحقه من موضع فلم يقف له على أثر فتعجب ووقف مكانه صاغيا فلم يسمع حركة البتة فترجع وجد موضعه فظن أن ذلك سحر مبين ثم تقدم الى جهة الباب فوجده مقفولا فزاد عجبه وظن أن غريمه يكون مختبئا فى موضع من المقصورة ففتحه ووقف فيه لئلا يفر الغريم من وجهه وصاح بخدمه وغلمانه للاقاته فبادر جماعة منهم بالسرج والشموع فى أيديهم فتناول شمعة منورة وقلب المقصورة بالبحث والتفتيش وسيفه فى يده صلت فلم ير أحدا ولا رأى منفذا فيها للدخول ولا للخروج فتحير تحيرا شديدا وكاد يغيب عقله عن الصواب فرام أن يسأل ضياء عن الامر ففكر أنها وان عرفت شيأ من ذلك فهى تخفى عليه أمره فعزم على أن يناوض أباها فى هذا الشأن وسار اليه وقد صرف الغلمان الى مواضعهم بقوله لهم انه سمع قرقعة على حين لاشئ من ذلك فلما صار على مقربة من غرفة الوزير رآه مقبلا من الباب ليرى ما كان من أمر الضجة والصراخ فاخبره بالقضية فورا وهو لا يعقل لشدة اضطرابه فلما سمع كلامه تعجب غاية العجب واستحوذ

عليه كدر عظيم وعرف فى نفسه أن الداخل الى ابنته ليس هو الا الملك بعينه ولكن لم يطلع المركيس على ذلك وانما عمل بعكس ذلك على تهدئة جاشه وتسكين روعه واقناعه بأن ماسمعه ليس هو بامر واقعى وانما هو خيال يزور صاحب الغيرة من العشاق فاذا رأوا غير شئ ظنوه شيأ وأكد له بان قلق ابنته لم ينشأ عن خوف وخجل خامر فؤادها بتزويجها من رجل لم يكن لها معرفة سابقة به فهى تبكى كمثل ما يبكى غيرها من بنات الخدور من الاشراف اللواتى لا تميل قلوبهن الى رجالهن الا بعد المؤانسة الطويلة ثم انه حض على حسن الظن بها وأن يرجع اليها وينفى ما أتاه من الاوهام والافكار فلم يجبه المركيس بشئ على ذلك لاحد سببين فاما أن يكون اقتنع بان ماسمعه وشعر به لم يكن الا وهما تراءى له على حين كان باله قلقا واما أن يكون أضرب عن الرد على بهرام على حين لا يحصل له من اقناعه بكلامه فائدة فعاد الى سريره طلبا لاراحة نفسه بالنوم بعد شدة ما قاساه هذا ما كان من أمره

أما ضياء فلما سمعت وطء الاقدام فى الغرفة ومناداة الزائر اياها عرفت أنه الملك نفسه فتعجبت منه غاية العجب لما كان من أمره أن يجتمع بها ويجالسها على حين وعد سلطانة بان يتزوج بها ويجالسها ويلبسها تاج الملك فداخل قلبها من مرامه هذا غيظ شديد لانها حسبت دخوله عليها سرا فى الليل اهانة أخرى تتهم شرفها الى آخر ما فكرت فى نفسها من سوء الظنون وأما الملك بعد أن انصرفت ضياء من حضرته يوم جلوسه على الملك وهى تظن به انه أعظم الناس خيانة هام قلبه بحبها أكثر من الايام السالفة ورام أن يجتمع بها ليفصح لها عما خبأه فى ضميره وأخذ فى الحيل السياسية لاجل التمكن من الاقتران بها غير أن اشتغاله فى تلك الايام ووفود الامراء عليه لتهنئته لم تترك له فرصة للسير الى قصرها قبل آخر الليل فدخل البستان وفتح بابا سريا من القصر بمفتاح كان لا يزال فى جيبه ثم طلع الى المقصورة التى ربى فيها ودخل مقصورة ضياء من الباب الذى فتحه فى الحائط فلما رأى عندها رجلا وقد لطم سيفه سيفه تعجب غاية العجب من ذلك كأنه لم يكن يعلم بتزويجها من المركيس وكاد أن يعرفه نفسه فى ذلك الوقت ويأمر حينئذ بقتل الشقى الذى تطاول عليه برفع السيف لولا أن حبه لضياء منعه صونا لها وأسف لوقوع هذا الامر وقد عزم على العودة من الغد ليرى ما كان من هذا الرجل من اهانة شرفه وعرض نفسه للتهلكة وذلل عشقه وغرامه فلم ير لذلك أسهل من الحيلة بالخروج الى الصيد فلما طلع النهار أمر جنده وأتباعه بان يجهزوا له مركبه لذلك فركب الى غاية القصد وبدأ فى مزاولة القنص باجتهاد حتى لا يبقى لجماعته مجال لان يفطنوا المقصد من الحيلة فلما اشتغل كلهم بالصيد ولحقوا الكلاب التى تطارد الغزلان والمها ركب جواده وسار الى موضع القصر وهو لم يضل فى مسيره لانه كان يعرف الطرق والمنافذ اليه ولم يسعه اصطباره الا أنه يركض فرسه ملء فروجه فلما قطع المسافة التى كانت بينه وبين موضوع عشقه وآماله وهو يفكر فى الحيلة التى يعدها للاجتماع بها سرا رأى تحت شجرة على باب القصر امرأتين تتحدثان فخفقت أحشاؤه لعلمه بأنهما من نساء القصر ثم ما لبثتا أن التفتتا اليه لسماعهما طرق أرجل الفرس فحققهما واذا هما ضياء وقهرمانة لها أمينة قد صحبتها التبث اليها تشكو اهاها وأحزانها فترجل عن جواده وقابلهما بالتحية والاكرام فاذا بها متقطعة من الحزن فرق قلبه عليها وقال لها ياسيدتى كفكفى دمعك وأذهبى الحزن عنك فان ظواهر أمرى وان لم تقم ببراءتى لديك ففى نفسى عزم على الاقتران بك لا أنفك عنه ولو خسرت النعمة التى أتقلب فيها فلما سمعت كلامه خنقتها العبرة ولم يأتها الكلام فقال لها لم تمادين فى الاحزان ياسيدتى ولا تعتنين بملك يبيع ملكه حتى

ينعم بك فغصبت نفسها على النطق وقالت أيها الملك لقد قام دون اقترانك بي مانع لا تقوى عليه فقال يا سيدتي لا تسمعيني هذا الكلام الشديد الذي يمزق كبدي فأنا والله لأقلبن البلاد وأصبغها بالدم ولا أفقد نفسي سعادتها من الاقتران بك فقالت أيها الملك ان اقتدارك وعظمتك لا ينفعانك في هذا الوقت فأنا اليوم الامرأة المركيس الوزير فلما سمع كلامها غاب عن الصواب ومزق اليأس قلبه وأوقعه في غماء ورجع الى الوراء بارتجاف وقد وهت قواه واصفر فالقى نفسه كالقتيل على شجرة كانت وراءه ولبث ينظر بعين آسفة الى حبيبته ليظهر مبلغ يأسه من هذا الخطب الجسيم والبلاء فكانت حالته وحالتها في ذلك الحين تستبكي الحمام رحمة بالعاشقين ثم انه رفع نفسه بقوة وشجاعة وقال وهو يتنهد يا ضياء كيف فعلت ذلك لقد أهلكتني وأهلكت نفسك بهذا الحزن فلما سمعت كلامه تنغصت منه في نفسها لعلمها أن الخيانة كانت منه لها لا منها له وقالت أيها الملك كيف تخونني ثم تلومني وتعذلني أما كفاك أنك وعدت سلطانة ابنة عمك بالاقتران بها حتى جئت تكذب ما نظرت عيناي وسمعت أذناي فقال يا سيدتي لقد قلت لك ان ظواهر أمري تقضي علي بأني خائن ولكن ما سمعته من وعدي ابنة عمي ليس الا سياسة كنت حملتني عليها فيما بعد وحققت أن عشقي لك لا يكون في القلوب أعظم منه فقالت أيها الملك لقد علقت نفسي بآمال ظننت أنك تحققها لي ولكن العظمة قد أبعدتك عني فرأيت أنه لا يليق بي أن أضع على رأسي تاج الملكات فأنت أيها الخائن لم تنطق الي بالحقيقة التي عاهدت نفسك على اجرائها يوم انست قلقي واضطرابي فكنت يوم ذلك شكوت جور الدهر من خيانتك وظلمك وما كنت تزوجت بأحد غيرك وأما الآن فاني أستأذن منك بالدخول الى مخدعي حتى أخلص من هذه المذاكرة التي تهين مجدي وشرفي ولا يحل لي أن أكلمك فيها أو في غيرها بعد أن صرت زوجة للمركيس الوزير قالت هذا وابتعدت عنه الى باب البستان فقال بالله قفي وارحمي ملكا مغرما يروم أن ينتزع الملك من يده حرصا على ودادك فقالت لقد حال الجريض دون القريض وأنا اليوم لا أقلق لخراب الدولة ان خربتها ولا أضطرب لزوجيتك ان تزوجت بمن أردت واعلم بأني وان أشغلت قلبي بهواك لا ءالو جهدي كله في أن أكون خالية منه وأريك أن زوجة المركيس ليست بمعشوقة الامير الفونس كما عهدتها قالت هذا ودخلت البستان وتركت الملك في أشد حسرة لما كان من اعلامها اياه باقترانها بالمركيس فوجم ساعة يفتكر بمصابه وما كان من خيبة آماله حتى كادت الغيرة تقتله فانتفض عرق غضبه وعزم على أن يقتل بهرام والمركيس الوزير في ساعته لولا بقية صواب بقيت في عقله وترآى له فيها انه اذا جمعه ومحبوبته مجلس سري أزال بأسها وأحزانها وبرأ نفسه من تهمته بخيانتها فلم ير ذلك الا بعد المركيس عنها فرجع الى قصره وأمر رئيس الشرطة أن يلقي القبض عليه بقوله ان له يدا في بعض الفتن

أما المركيس فانه لما قبض عليه رئيس الشرطة باذن الملك وضجت المدينة لذلك رأى الوزير أن يذهب الى البلاط ويتقدم الى الملك بالشفاعة في صهره وكان الملك قد عرف ذلك وأن الوزير لا بد من أنه سيدخل عليه للشفاعة فأمر حجابه بأن لا يأذنوا لاحد بالدخول عليه كائنا من كان حتى لا تكون له فرصة لمزار حبيبته قبل الافراج عن زوجها ولكن فرنان مع علمه بامر الملك أبى الا أن يدخل عليه بحيلة من الحيل حتى اذا مثل بين يديه قال له أيها الملك الشفيق العادل ان عبدك فرنان جاء يشتكي منك اليك فاي ذنب اقترف صهره حتى حل به سخطك ولزمه العار بما أمرت به رئيس شرطتك من القبض عليه فقال اعلم أيها الوزير الصادق

ان لدى بينات تثبت بان لصهرك يدا فى فتن الدولة ولا أظنه الا ميالا مع أخى دون لزريف يريد أن يبايعه
ويخلعنى فردد الوزير فى نفسه له يد فى فتن الدولة ويخلع ويبايع ثم رفع رأسه وقال لا وأيد الله جلالة الملك
ان الخيانة لم يتعودها أحد من آلى وكفى بان يكون المركيس صهرالى حتى تنتفى عنه هذه التهمة ولكن
أراك قد قبضت عليه لغاية سرية منك فقال الملك من حيث انك تكلمنى عن سرى فانى أبيح به اليك فاعلم
أن الطريق التى اتخذتها بحقى جلبت علىّ وبالا عظيما وحرمتنى لذة ينعم بها أحقر الناس قد راوا علم بانى
لا أتزوج بسلطانة بنت عمى فرجف الوزير من ذلك وقال لا يصح أيها الملك أن لا تتزوج بها بعد أن واعدتها
بذلك على محضر من الامراء والقواد فقال ليس الذنب فى ذلك علىّ وانما هو واقع عليك لما كان من
اكراهك اياى على وعدها بذلك على حين لا رغبة لى فيه ولا امكان وما كان من كتابتك القرطاس الذى سلمته
الى ابنتك باسم سلطانة لا باسمها وما كان من تزويجك اياها من المركيس بالرغم عنها حتى ولو فرضنا ان
طاعتك منها واجبة فما كان أغناك أن تفيدنى بوعد لا طاقة لى على انجازه ألا تذكر أن سلطانة انما هى ابنة
بوران التى أهدرت دم أبى ظلما وعدوانا أترى فى الامكان أن أجتمع واياها على فراش واحد لا والله ولكنك
ترى صقلية رمادا وسكانها رمما ومتاعها انقارا ومعالمها دوارس من قبل أن أنجز سلطانة وعدى باقترانى
بها فلما سمع الوزير كلامه خاف العاقبة وقال أيها الملك العظيم اخفض عليك غضبك ولا أظن أن حبك
لرعيتك يدعك أن تفعل ما تقول وعشقك لابنتى يحملك على اعمال العشاق من العامة وأنا انما صاهرت
المركيس لكى أجعله من عبيدك المقربين فقال الملك ان مصاهرتك اياه كانت سببا لما أنا فيه من القلق
والاضطراب فلم تو كلت باموري على حين لم تصن رعايتها ولا سياستها أفرأيت فىّ جبنا حتى لا أقهر من ناوانى
من الامراء والجند اذا ثاروا الفتنة علىّ أم رأيت أن الملوك لا حق لهم بالتنعم بما يتنعم به عامة الناس فان
كان رأيك هذا وأنى أكون عبدا فخذ هذا الملك الذى أردت أن تبقيه لى بما عملت من جلب الغم واليأس
علىّ فقال الوزير أنت تعلم أن الملك لم يصل اليك الا باقترانك مع سلطانة فقال باى حق كتب عمى وصيته كذلك
فهل اشترط عليه أخوه كارلوس بمثل هذه الشروط حين خلف له الملك ولكن لتعلم أن وصيته تفسيرها
العدالة وأنى لاعزم على الاقتران بابنة عمى حتى اذا أبدى أخى اشارة ثورة علوته بالسيف وان فكرته والا
فكان أحق بالملك منى فلما سمع الوزير هذا الكلام لم يبق عليه الا أن يقبل الارض بين يدى سيده ويطلب
منه العفو عن صهره فوعده بذلك وأمره بان يسير الى قصره وينتظر رجوع المركيس بعده بقليل حتى اذا
خلا له المكان رجع الى نفسه وعزم على ابقاء المركيس فى السجن الى غد اليوم ليزور زوجته خفية
وأما المركيس فانه لما قبض عليه صاحب الشرطة وطلس به لم يخف عليه معرفة سبب ذلك وصار فى
نفسه كانه مطمع للغيرة تتقلب به وتقطع فؤاده حسرة وندما وعزم على أن ينتقم لنفسه بعد الافراج عنه
ولكن لما قدر أن الملك لابد أن يجتمع بزوجته فى تلك الليلة رام أن يدهمهما بغتة فطلب من أمير الحبس أن
يطلقه فى تلك الليلة على الوعد بان يعود فى الصباح الى محبسه فلبى له ذلك لمودة كانت بينهما ولعلمه بان فرنان
تشفع له عند الملك فوعده بالافراج عنه وزاد الامير على ذلك أنه قدم اليه فرسا كريما ليذهب الى قصر زوجته
فلما وصل الى البستان فتح بابا سريا بمفتاح كان فى جيبه وطلع الى القصر واختبأ فى مقصورة بجانب مقصورة
زوجته دون أن يراه أحد ووقف وراء الباب ليرى كل ما يكون حتى اذا سمع صوتا بادر الى المقصورة بسيفه

فما كان بعد قليل الا أن مرت من هنالك قهرمانة ضيا وصارت الى مخدعها للرقاد هنا امارآ من وراء الباب في بادئ الامر

وأما ضياء فانها لما بلغها قبض رئيس الشرطة على زوجها علمت أن الملك أمر بذلك لكي يأتي اليها فلا يراه وقدرت أنه لا يفرج عنه في تلك الليلة مع كل ما أكدلها أبوها أن الملك وعده بان يفرج عنه بعد رجوعه بقليل فباتت وهي تنتظر دخول الملك عليها للتلوم على حبس زوجها وتخوفه العواقب الوخيمة التي تنالها منه واذا به قد فتح الباب (وذلك بعد انصراف القهرمانة) وانطرح بين قدميها وقال لها يا سيدتي لا تقضي عليّ بالشر قبل أن تسمعي اعتذاري فاني لم أجز على زوجك الا لتكون لي فرصة للاجتماع بك واظهار الحقيقة لك فاذا فرجت عنه لم تبق لي وسيلة الى ذلك

فأقول من حيث ان حرمانك حبالي وفقدانك من بين يدي قد أحدث بي ألما لا يعبر عنه اللسان فدعيني أخفف هذا الالم بتأكيدي لك أني لم أخن عهودي اليك في شيء من الاشياء واني انما وعدت سلطانة بالاقتران بها سياسة أكرهني عليها أبوك سامحه الله لا رضا من نفسي والا فان أعمالي في الليل والنهار كانت للتمكن من التزوج بك دونها فكان من سوء الحظ ونكد الطالع أنك سلمت نفسك الى هذا المركيس وجعلت لي ولك حزنا لا ينفك آخر الدهر قال هذا الكلام وقد ظهر على وجهه يأس فهمته منه ضياء وسرت منه في بادئ الامر لتحققها عشق الملك لها ثم فطنت لتزوجها بالمركيس وفقدانها هناء الوصال من الملك فتقطعت حزنا وقالت أيها الملك ان معرفتي بعد حكم الزمان بتفريق شملنا أنك لم تخن في عهودي لما يزيد فؤادي على علاته وصبا ولكن طالعي أبى الا أن يكون نكدا فظننت أنك نسيتني بعد جلوسك على أريكة السلطنة حتى اذا أمرني أبي بان أقبل المركيس زوجا لم أخالفه بذلك فكان مثلي كالرجل الباحث على حتفه بظلفه والويل لي على ما كان مني مذ خنت اليمين بعد توكيدها اليك فانتقم لنفسك مني بأن تهجرني وترفع ذكري من خاطرك فقال بصوت ليس بمقدوري يا سيدتي أن أهجر هواك ولا تعذليني على ذلك فان العذل يولعني ويزيدني جوى فقالت وهي تتنهد ولكني أرى من السداد أن تجهد نفسك بذلك فقال وهل في استطاعتك أنت أن ترفعي ذكر عشقنا من خاطرك فقالت لا أظن ذلك ولكن أبذل الوسع فيه فقال يا قاسية القلب أتعرضين عن محب قتله هواك وعلقت بك محبته أيام الصبا بمجرد عزم تعزمين عليه فقالت كانما ترفع عنها المذلة أتظن بأني أرضى بان تكون لي اليوم عاشقا او حبيبا لك فان القدر اذا لم يقدّر لي بأن أكون ملكة فلذلك لم يقدر عليّ بان أخون زوجي وهو من القدر والفخامة بمنزلة لا تقل عن منزلتك لان أجداده هم أجدادك وقد دانت لهم الملوك أيضا كما دانت لك اليوم واني أحلف عليك بالايمان أن تنصرف عني ولا تذل عرضي وشرفي فصاح الملك يا للجفاء والقسوة أما كفى بي حزنا أن تكوني زوجة المركيس حتى تعامليني بهذا الجفاء وتحرميني من رؤيتك التي لا سلوة لي غيرها فبكت وقالت بذا قضت الايام فانصرف عني فان رؤيتك تهيجني شوقا اليك وتحدث خفقانا في قلبي لتذكري أيام الصبا كأن أحشائي تضطرب اضطرابا قل أن يكون في العاشقين مثله عند اجتماعهم بأحبابهم فاذهب وخلص شرفي من المحاربات التي تخالج فؤادي فقالت هذا الكلام وأخذت في نفسها حتى انها اقلبت شمعة منورة كانت وراءها على مائدة من غير أن تفطن لذلك فتناولتها بيدها وسارت الى مقصورة القهرمانة لتشعلها فلما عادت ألح عليها الملك بان لا تعرض عن حبه ليبقى الحب بينهما متبادلا فلما سمع المركيس كلامه اتقدت به نار الغيرة ووثب الى المقصورة غضبا في ذات

الوقت الذى عادت فيه زوجته وقال للملك والسيف فى يده صلت أيها الظالم الغاشم لا تظن أيها الخائن أنك تتمكن من تتميم مرغوبك على أسهل طريقة كما حسبت قال هذا وتواثبا كلاهما على بعض ووقع بينهما صراع لم يطل كثيرا الشدة حدتهما فيه لان المركيس قد تخوف من أن يبادر فرنان وأعوانه لشدة صراخ زوجته فينفد الملك من بين يديه فرام أن ينتقم منه على عجل واحتد حتى غاب عن الصواب فوثب وثبة شديدة بادره الملك فيها بطعنة فصرعه على الارض يختبط بدمه فلما رأته زوجته على تلك الحال غلب عليها الحلم والرأفة وبادرت اليه لملاقاة جراحه ولكن عوض أن يشكرها الملك حنق عليها حنقا شديدا وفكر بانه اذا مات حملها الملك الى قصره وبات معها فى هناء ونعيم فاشتدت عليه الغيرة حتى جمع قواه ورفع السيف الذى كان بيده وطعنها به وهو يقول موتى أيتها الزوجة الخائنة التى لم تحفظى عهودا أقسمت بالله فى بيعته المقدسة على توكيدها الى ّ وأنت أيها الملك لا تفرح بموتى ومصابى لانك لا تتهنأ بالملك بعدى قال هذا وسلم روحه على حين لم تزل سمات الانتقام مرسومة على وجهه وقد وقعت عليه زوجته وامتزج دمها بدمه وأما الملك فانه لما طعن المركيس زوجته ولم يكن له وقت لمداركة الامر أظلمت الدنيا فى وجهه وكاد يقع على الارض من عظم الحزن والالم فبادر اليها لملافاتها بمثل ما تلافت هى زوجها على حين ما أساء مجازاتها بالقتل فقالت له بصوت ضعيف أيها الملك الحبيب ان تدارك أمرى الآن لا يحصل منه بعد تمزيق صدرى بالسيف ثمرة فليكن ملكك معظما مبارك بعدى وليكن السعد خادما لك ثم ان أباها كان قد سمع صراخها فدخل المقصورة ورأى تلك المشاهدة أمامه فوجم حزينا لا يبدى حركة غير أنها لم تفطن بما هى فيه لقدومه فأكملت كلامها الى الملك وقالت انى أودعك أيها الملك وأستودعك الله وأرجو أن تردد ذكرى فى خاطرك لان ودادى لك وما لحقه من البلاء ليجبرانك على ذلك وأملى منك أنك لا تحنق على أبى بل تكافئه على أمانته لك وتحفظه لك وتعزيه بى على قتلى وتعرفه طهارتى وعزة نفسى وهو الامر الذى أوصيك به قالت هذا وسلمت روحها فوجم الملك ساعة لا يبدى حركة ولا يتكلم بحرف لشدة حزنه ثم رفع طرفه الى وزيره وقال له انظر أيها الوزير ما قدمت يداك وما دبرت من الحيلة لثبات الملك لى كيف ساءت الحيلة مصيرا فلم يجبه الشيخ بكلمة لعظم وقوع البلية عليه

وأنا لا أتعرض الآن لذكر الشعائر التى لا يعبر عنها اللسان وأكتفى من ذلك بالقول انه لما رجع الملك ووزيره الى عقلهما بكيا وأعولا عويلا كثيرا حتى كانت حالتهما تفتت الاكباد وتذيب الجماد وبقى الحزن فى قلب الملك سنين طويلة وقد حفظ ذكر محبوبته فى قلبه سائر أيام حياته ولم يبق له طاقة على الاقتران بسلطانة فتزوجها أخوه دون لزريق وأثار معها فتنة فى البلاد لما حدثت نفسه له من وصول الملك اليه اتباعا لوصية عمه المهرجان غير أن الدائرة دارت عليه ودانت البلاد لاخيه الفونس وخضع له القواد والامراء أما فرنان فان الحزن والاسف المتسبب من تلك الخطوب غلب عليه حتى ألجأه الى مبارحة أوطانه فسبحان مغير الاحوال

ضباعة بنت الحارث الانصارية

كانت من نساء الانصار التقيات النقيات العابدات اللاتى لهن صحبة حسنة مع النبى صلى الله عليه وسلم وروت عنه الحديث وأخذ عنها جملة من التابعين وكانت فصيحة اللسان حلوة العبارة اذا حدثت

وعت لها القلوب وتفتحت اليها الآذان وكانت مقربة بين الانصار محبوبة عند الجميع لتقواها وعفافها وصيانتها مع جمالها الفائق وقد هوبها زفر بن الحارث الكلابى وتعلق بها وهى لم تلتفت اليه وقد قال فيها شعرا أوله

قفى قبل التفرق ياضباعا * فلايك موقف منك الوداعا

وهى طويلة لم نعثر على باقيها اوتوفيت بين أهلها الانصار وهى فى عز واقبال

﴿ ضباعة بنت الزبير ﴾

ابن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ابنة عم النبى صلى الله عليه وسلم كانت زوجة المقداد بن عمرو الكندى فولدت له عبد الله وكريمة قتل يوم الجمل مع عائشة روى عن ضباعة ابن عباس وجابر وأنس وعائشة وعروة والاعرج وقيل ان ضباعة بنت الزبير أتت النبى صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله انى أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولى لبيك اللهم لبيك لبيك محلى من الارض حيث تحبسنى ففعلت كما أمرها وحدثت بهذا الحديث وخلافه وروى عنها جملة من التابعين أيضا

﴿ ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية ﴾

كانت أسلمت بمكة وقد نصرت النبى صلى الله عليه وسلم فى جملة مواطن بلسانها وفعلها وقد أبلت بلاء حسنا أمامه فمن ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم على بنى عامر وهم بعكاظ ودعاهم الى نصرته ومنعته فأجابوه فبينما هم كذلك اذ جاء بحيرة بن فراس القشيرى فغمز شاكلة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمصت به فألقته وعندهم يومئذ ضباعة بنت قرط كانت ممن أسلمن بمكة جاءت زائرة الى بنى عمها فقالت يا آل عامر ولاعامر لى أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم فقام ثلاثة من بنى عمها الى بحيرة فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ثم جلس على صدره ثم علوا وجهه لطما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك على هؤلاء فأسلموا وقتلوا شهداء ولها نصرات كثيرة مثل هذه رحمها الله تعالى

(حرف الطاء)

﴿ طغاى زوجة الملك الناصر قلاوون ﴾

هى الخوندة الكبرى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنه الامير أنوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها أخت الامير آقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن رأت من السعادة مالم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وسوى طغاى الناصرية وحج بها القاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول فى محابر طين على ظهور الجمال وأخذ لها الابقار الحالبة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى وعمل الجبن وكان يلقى لها الجبن فى الغداء والعشاء واذا كان البقل والجبن بهذه المثابة وهما أحسن مايؤكل فماعساه يكون بعد ذلك وكان القاضى وأمير مجلس وعدة من الامراء يمشون رجالا بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها ثم حج بها الامير بشتاك سنة ٧٣٩ واستمرت عظمتها بعد موت السلطان الى أن ماتت سنة ٧٤٩ أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما

خصيا

خصيا وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاه وهي من أعمر الاماكن الى يومنا هذا

طولباي الناصرية

طولباي هذه هي من ذرية جنكزخان تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون ولما جاءت من بلادها الى الاسكندرية في شهر ربيع أول سنة ٧٢٠ وطلعت من المركب حملت في محفة من الذهب على العجل وجرها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثمان عشرة من الحرم ونزلت في الحراقة فوصلت الى القلعة يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر في الميدان دهليز أطلس معدني ومد لهم سماطا ثم عقد عليها يوم الاثنين ٦ ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار

وبقيت عنده مسموعة الكلمة محظية لديه حتى انه مال اليها بكليته وجزئياته وسلمها أموردار واعتمد بذلك على حسبها ونسبها وهي وفت له بما ائتمنها عليه وكانت مشهورة بفعل الخير واجتناب الشر ولها مآثر غريبة من مدارس ومصانع ومساجد وغير ذلك

طيطغلي خاتون زوجة السلطان أوزبك الكبرى

قال ابن بطوطة في رحلته ان طيطغلي (بفتح الطاء المهملة الاولى واسكان الياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الغين المعجمة وكسر اللام وياء مد) هي أحظى نساء هذا السلطان عنده وعنده تبيت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها كما أخبر بعض العارفين باخبار هذه الملكة أن السلطان يحبها لموافقتها الطباعه وقيل انها من سلالة المرأة التي يذكر أن الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكه أمر أن توضع بصحراء لا عمارة فيها فوضعت بصحراء قفجق وتزوجت هنالك وتناسلت ومن ذريتها هذه الخاتون قال وفي غد اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعدة فيما بين عشرة من النساء القواعد كأنهن خادمات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صغارا يسمون البنات وبين أيديهن طيافير الذهب والفضة مملوءة بحب الملوك وهن ينقينه وبين يدي الخاتون صنية ذهب مملوءة منه وهي تنقيه فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب فقرأ ثم أمرت أن يؤتى بالقمز فأتي به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدح بيدها وناولتني اياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شربت القمز قبلها ولكن لم يمكنني الا قبوله وذقته ولا خير فيه ودفعته لاحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فأجبناها ثم انصرفنا عنها وكان ابتداؤنا بها الاجل عظمتها عند الملك وان هذه الملكة من النساء العاقلات اللاتي يسلبن ألباب الرجال بحسن آدابهن وتدابيرهن وقد ملكت عقل ذلك الملك حتى صار لا يقطع رأيا ولا يبت أمرا الا بمشورتها وهي من النساء المعدودات الموصوفات بفعل الخيرات والمبرات ولها جملة مآثر في بلادها مثل مساجد ومدارس ومارستانات وغير ذلك من فعل الخيرات وتوفيت قبل زوجها فأسف عليها وكانت جنازتها أشهر ما يكون من الجنائز

(حرف الظاء)

﴿ ظبية ابنة البراء ﴾

ابن معرور امرأة أبي قتادة الانصارية كانت من المحدثات المتقدمات الصحابيات اللاتي لهن التقدم في الرواية وصحة الخبر أخذت من أجلة وروت جملة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها جملة من الصحابة والتابعين ومن أحاديثها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم قائلة هل علينا معشر النساء جمعة أو جهاد فقال لها ليس عليكن جمعة ولا جهاد فقالت علمني يارسول الله تسبيح الجهاد فقال قولي (سبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد) فجعلت تقول ذلك كلما حضرت جهادا مع قومها

﴿ ظريفة ابنة صفوان بن وائلة العذرى ﴾

كانت جميلة المنظر لطيفة الخبر حسنة المعشر عذبة المنطق سلسة الالفاظ خرجت يوما مع نسوة يغترفن الماء وقد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر في تمه وقد مر بهن زرعة بن خالد العذرى يريد الصيد فلما ورد الغدير وجد النساء على تلك الصورة وظريفة على الحالة التي ذكرناها فحين أبصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وأبصرها قال وهل مقتول يداويه قاتله قالت كيف ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا الصيد فاصطدنا ثم أنشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتني سريعا حبائله
فلما رماني بالنبال مسارعا * رقاني وهل ميت يداويه قاتله
ألا في سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

ولزم الوساد وقطع الزاد فلما أعيته الحيلة أخبر والدته بحاله فمضت اليها وأعلمتها بالقصة وقبلت رجليها على أن تزوره فعسى أن يشفي ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذى هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى وجزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه به جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضا الى أن فطن أهلها فعولوا على قتله وبلغه فذهب الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح فخرج يوما لبعض حاجاته فسقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فضعف فقال دعوني فاني أرجو أن أظفر أو أموت فنصحه غلام وأخذ يعلمه أبيات وهي هذه وقال له اذا حاذيت موضع كذا فأنشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * به ما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا الاجل اليأس عودى لعلما * تشكاه من آلام وجدك يمسح
وليس دواء الداء الا بحيلة * أذرّ بنا فيها غرام مبرح
اذا ما سألناها نوالا تنيله * فصم الصفا منها بذلك أسمح

ومضى الغلام حتى بلغ المكان ورفع صوته بالابيات فخرجت له ظريفة وأنشدت تقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقي اليه أطير
لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة * فان الوشاة الحاضرين كثير

فيمشون يشتدون غيظا وشرة * وما منهم الا أب وغيور
فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * فللقلب آت نحوكم فيزور

ثم رجع الصبى فأنشد ابياتها فغشى عليه ساعة ثم أفاق وهو ينشد

أظن هوى الخود الغريرة قاتلى * فياليت شعرى ما بنو العم صنع
أراهم وللرحمن در صنيعهم * تراكى دمى هدرا وخاب المضجع

وقد زفت طريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغها الخبر اضطرب ساعة وغشى عليه فحرك فاذا هو ميت فلزمت طريفة البكاء أياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد نصف الليل فتبعها زوجها حتى انتهت الى النهر فألقت نفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك ثم حملها الى الخيمة فلما أصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلامها فأشارت أن تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها ودفنت بجانب زرعة بن خالد بعدما نقلت الى محل مدفنه

﴿ طريفة كاهنة حمير ﴾

كانت فى زمن الملك عمرو بن عامر مزيقيا الحميرى وهى التى تنبأت فى سيل العرم وكانوا يسمونها طريفة الخير وكان أول شئ وقع بمأرب بينما هى ذات يوم ناعسة اذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضها وأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا أحرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهى تقول ما رأيت مثل اليوم قد أذهب عنى النوم رأيت غيما برق وأرعد ثم أصعق فما وقع على شئ الا أحرقه فما بعده الا الغرق فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوا من جأشها حتى سكنت ثم ان الملك عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فأسرعت نحوه وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجذ منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن (وهى دواب يشبهن اليرابيع يكن بأرض اليمن) فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه المناجذ عنا فاعلمنى فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما رأتها طريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت الى أن دخلت على الملك عمرو فى الحديقة حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح فنفذت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان على الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش وقال هلمى يا طريفة الى الفراش واجلسى الى جانبى فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود الماء كما كان فى الدهر السالف قال عمرو من أخبرك بهذا قالت أخبرنى المناجذ بسنين شدائد يقطع فيها الولد الواحد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا قد رأيت سلحفا تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفأ قال عمرو ومتى ترين ذلك قالت هى داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وما هى قالت ان لى الويل وما لك فيها من نيل فلى ولك الويل مما يجئ به السيل

فالقى عمرو نفسه عن الفراش وقال ماهذا ياظريفة قالت هو خطب جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال وما علامة ذلك قالت تذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر في السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم أن القريب حضر وأنه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذي يقع قالت وعيد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده يا عمرو فليكن الثكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى ظريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

أبصرت أمرا عادلي منه ألم * وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير أجم * أو تيس (٢) حرم من أفاوين الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وأنياب فطم
مافاته سجلا من الصخر قصم * كأنما يدعى حصيرا من سلم

فقالت له ظريفة ان من علامات ماذكرت لك أن تجلس في مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادي ورمله وقد علمت أن الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب الملك الى ظريفة فاخبرها بذلك وقال لها متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففي أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله ولو علمه أحد لعلمته ولا يأتي عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة (وأظنها من سني حياته) الا ظننت هلاكه في غدها أو في تلك الليلة فكان كما قالت وحصل ما حصل في خبر طويل

(حرف العين)

﴿عائشة بنت أبي بكر الصديق﴾

ابن أبي قحافة القرشية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع وقيل عشر وكان مولدها سنة أربع من النبوة وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه اليه وكنيتها أم عبد الله كنيت بابن أختها أسماء وروت عائشة ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث

ولها خطب ووقائع وكانت هي السبب في وقعة الجمل المشهورة في الاسلام صحبة الزبير وطلحة وذلك أن عائشة خرجت الى مكة وعثمان محصور ثم رجعت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من ليث يقال له عبيد بن أبي سلمة فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة علي فقالت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردوني فانصرفت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم ان أول من أمال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول فقال لها ابن أبي سلمة

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر

فهبنا أطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرؤ * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فنزلت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت أيها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعماله من حدثت سنه وقد استعمل أمثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم ووالله لوأن الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أوالثوب من درنه أماصوه كما يماص الثوب بالماء (أى يغسل) فقال عبد الله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة هاأنا أول طالب فكان أول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وبذا صارت الحرب بخبر طويل يخرجنا عن الموضوع وروده

ومما قالت عائشة عند دخولهم المربد واجتمع القوم وخرج أهل البصرة وعثمان بن حنيف وكان عاملا على البصرة فتكلمت وكانت جهورية الصوت فحمدت الله وقالت كان الناس يجنون على عثمان ويزرون على عماله بالمدينة فيستشعرننا فيما يخبرونا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير مايظهرون فلما قووا كاثروه وقتحموا عليه داره واستحل الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا تره ولا عذر ألا ان مما ينبغى ولا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله وقرأت (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية) وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق فهاجت السامعين وقالت أيضا يوم الجمل أيها الناس صه صه ان لى عليكم حق الامومة وحرمة الموعظة لا يتهمنى الا من عصى ربه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وأنا احدى نسائه فى الجنة له ادخرنى ربى وسلمنى من كل بضاعة وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبى رخص الله لكم فى صعيد الابواء ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين وثانى اثنين الله ثالثهما وأول من سمى صديقا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وطوقه طوق الامامة ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبى بطرفيه ورتق لكم فتق النفاق وأغاض نبع الردة وأطفأ ماحش يهود وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأب الثأى وأوذم العطلة وانتاش من المهواة واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله اليه واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله ثم ولى أمركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عروكة للاذى بجنبه صفوحا عن أذاة الجاهلين يقظان الليل فى نصرة الاسلام فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع أعضادها جمع القران وأنا نصب المسئلة عن مسيرى هذا ألتمس اثما ولم أدلس فتنة أوطئكموها أقول قولى هذا صدقا وعدلا واعذارا وانذارا وأسأل الله أن يصلى على محمد وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين

وقال القاسم بن محمد بن أبى بكر لما قتل أبى محمد بن أبى بكر بمصر جاء عمى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملنى

أناوأختالى من مصرفقدم بناالمدينة فبعثت الينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن اليها فمارأيت والدة قط ولا والدا أبر منها فلم نزل فى حجرها ثم بعثت الى عمى عبد الرحمن فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه فمارأيت متكلما ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها ثم قالت يا أخى انى لم أزل أراك معرضا عنى منذ قبضت هذين الصبيين منك ووالله ما قبضتهما تطاولا عليك ولا تهمة لك فيهما ولا شئ تكرهه ولكنك كنت رجلا ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيأ فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق لولايته فقد قويا على أنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيان فهاهما هذان فضمهما اليك وكن لهما كجحية بن المضرب أخى كندة فانه كان له أخ يقال له معدان فمات وترك صبية صغارا فى حجر أخيه فكان أبر الناس بهم وأعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانه فمكث بذلك ماشاء الله ثم انه عرض له سفر لم يجد بدا من الخروج فيه فخرج وأوصى بهم امرأته وكانت احدى بنات عمه وكان يقال لها زينب فقال اصنعى ببنى أخى ما كنت أصنع بهم ثم مضى لوجهه فغاب شهرا ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت فقال ويلك مالى أرى بنى معدان مهازيل وأرى بنىّ سمانا قالت قد كنت أواسى بينهم ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون فخلا بالصبيان فقال كيف كانت زينب تصنع بكم قالوا سيئة ما كانت تعطينا من القوت الاملء هذا القدح من لبن وأروه قدحا صغيرا فغضب على امرأته غضبا شديدا وتركها حتى اذا راح راعيا ابله قال لهما اذهبا فأنتما وابلكما لبنى معدان فغضبت من ذلك زينب وهجرته وضربت بينه وبينها حجابا فقال والله لا تذوقين منهما صبوحا ولا غبوقا أبدا وقال فى ذلك

لجنا ولجت هذه فى التغضب * ولط الحجاب بيننا والتجنب
وخطت بفردى اثمد جفن عينها * لتقتلنى وشد ما حب زينب
تلوم على مال شفانى مكانه * فلومى حيانى مابدالك واغضبى
رحمت بنى معدان اذ قل مالهم * وحق لهم منى ورب المحصب
وكان اليتامى لا يسد اختلالهم * هدايا لهم فى كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا أريحا عليهم * سأجعل بيتى بيت آخر مغرب
وقلت خذوها واعلموا أن عمكم * هو اليوم أولى منكم بالتكسب
عيالى أحق أن ينالوا خصاصة * وان يشربوا رنقا الى حين مكسب
أحابى بها من لو قصدت لماله * حريبا لآسانى على كل موكب
أخى والذى ان أدعه لعظيمة * يجبنى وان أغضب الى السيف يغضب

قالت عائشة فلما بلغ زينب هذا الشعر خرجت حتى أتت المدينة فاسلمت وذلك فى ولاية عمر بن الخطاب فقدم جحية المدينة فطلب زينب أن ترد عليه وكان نصرانيا فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته فقال له اياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذى وانتشر خبر جحية بالمدينة وعلم فيم كان مقدمه فبلغ ذلك عمر فقال للزبير قد بلغنى قصة ضيفك ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك فرجع الزبير الى جحية فأعلمه قول عمر فمدحه بأبياته الآتى أولها * (ان الزبير بن عوام تداركنى) * ثم انصرف من عنده متوجها الى بلده آيسا من زينب كئيبا حزينا فقال فى ذلك

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب * وكيف تصابى المرء والرأس أشيب

اذا قربت زادتك شوقا بقربها * وان جانبت لم يغن عنها التجنب
فلا اليأس ان ألمت يبدو فترعوى * ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفى اليأس لو يبدولك اليأس رحمة * وفى الارض عمن لا يواسيك مذهب

وأنا والله يا أخى خشيت عليك من مثل ذلك لئلا يصيبك مع نسائك ما أصاب بجمية وزينب وأما الآن فقد كبرا وصارا يمكنهما أن يدفعا عن أنفسهما تعديات غيرهما فأخذهما عبد الرحمن اليه وهو يثنى على عائشة

وكانت رضى الله عنها أفصح أهل زمانها وأحفظهم للحديث روت عنها الرواة من الرجال والنساء وكان مسروق اذا روى عنها يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق البريئة المبرأة وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض وقال عطاء بن أبى رباح كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة وقال عروة ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ولو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفى بها فضلا وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة ولولا خوف التطويل لذكرنا القصة بتمامها وهى أشهر من أن تذكر وكان حسان بن ثابت عند عائشة يوما فقال يرثى ابنته

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة لكن لست أنت كذلك فقال لها مسروق أيدخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل والذى تولى كبره منهم له عذاب أليم قالت أما تراه فى عذاب عظيم قد ذهب بصره وباقى الابيات

فان كنت قد قلت الذى قد زعمتوا * فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى من قديم ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل
فان الذى قد قيل ليس بلائط * ولكنه قول امرئ بى ماحل

وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين للهجرة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلا فدفنت وصلى عليها أبو هريرة ونزل قبرها خمسة عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبى بكر وعبد الله بن عبد الرحمن ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم كان عمرها ثمانى عشرة سنة

﴿عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم﴾

وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق وخالتها عائشة أم المؤمنين وكانت عائشة بنت طلحة أشبه الناس بعائشة أم المؤمنين خالتها فزوجتها بابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وكان ابن خال عائشة بنت طلحة فلم تلد من أحد من أزواجها سواه فولدت له عمران وبه كانت تكنى وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة التى تزوجها الوليد بن عبد الملك ولكل من هؤلاء عقب وكان ابنها طلحة من أجود قريش وتوفى عبد الله عنها ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك وكانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد فعاتبها مصعب فى ذلك فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمنى بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لاستره ووالله ما فىّ وصمة يقدر أن يذكرنى بها أحد وطالت مراجعة مصعب اياها فى ذلك وكانت شرسة الخلق وكذلك نساء تيم هن أشرس خلق الله وأحظى

عند أزواجهن وكانت عند الحسين بن علي أم اسحق بنت طلحة فكان يقول والله ربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لا تكلمني وبالت عائشة من مصعب وقالت لا تكلمني أبدا وقعدت في غرفة وهيأت فيها ما يصلحها فجهد مصعب أن تكلمه فأبت فبعث اليها ابن قيس الرقيات فسألها كلامه فقالت كيف بيمني فقال ههنا الشعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه فدخل عليها فأخبرته فقال ليس هذا بشئ فقالت أيحلني ويخرج خائبا فأمرت له بأربعة آلاف درهم وقال ابن قيس الرقيات لما رآها

ان الخليط قد ازمعوا تركي * فوقفت في عرصاتهم أبكي
خبيثة برزت لتقتلني * مطلية الاصداغ بالمسك
عجبا لمثلك لا يكون له * خرج العراق ومنبر الملك

وكانت عزة الميلاء من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء وكان يألفها الاشراف وأرباب المروآت وغيرهم فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر أو سعيد بن العاص فقالوا انا خطبنا فانظري لنا فقالت لمصعب ومن خطبت يا ابن أبي عبد الله فقال عائشة بنت طلحة فقالت فأنت يا ابن أبي أحيحة قال عائشة بنت عثمان قالت فأنت يا ابن الصديق قال أم القاسم بنت زكريا بن طلحة قالت يا جارية هاتي منقلي تعني خفيها فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها ومضت فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت فديتك كنا في مأدبة لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك فالقي ثيابك ففعلت وأقبلت وأدبرت فارتج كل شئ منها فقالت لها عزة خذي ثوبك فديتك من كل سوء فقالت عائشة قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي فقالت عزة وما هي بنفسي أنت قالت تغنيني صوتا فاندفعت تغني

خليلي عوجا بالمحلة من جمل * وأترابها بين الاصيفر والخبل
نقف بمغان قد محا رسمها البلا * تعاقبها الايام بالريح والوبل
فلو درج النمل الصغار بجلدها * لأندب أعلى جلدها مدرج النمل
وأحسن خلق الله جيدا ومقلة * تشبه في النسوان بالشادن الطفل

فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك ودفعته الى جاريتها فحملته وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن حتى أتت القوم في السقيفة فقالوا ما صنعت فقالت يا ابن أبي عبد الله أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة ومدبرة محطوطة المتنين عظيمة العجيزة ممتلئة الترائب نقية الثغر وصفحة الوجه فرعاء الشعر لفاء الفخذين ممتلئة الصدر خميصة البطن ذات عكن ضخمة السرة مسرولة الساق يرتج ما بين أعلاها الى قدميها وفيها عيبان أما أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخف عظم القدم والاذن وكانت عائشة كذلك ثم قالت عزة وأما أنت يا ابن أبي أحيحة فاني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت افراغا ولكن في الوجه ردة وان استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خوط بانة تنثني وكأنها خذل عنان أو كأنها خشف يتثنى على رمل لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ولكنها شخنة الصدر وأنت عريض الصدر فاذا كان ذلك كان قبيحا لا والله حتى يملأ كل شئ مثله فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن

وكان مصعب لا يقدر عليها الا بتلاح ينالها منه وبكل مشقة فشكا ذلك الى ابن فروة كاتبه فقال له أنا

أ كفيك هـذا ان أذنت لى قال نعم افعل ماشئت فانها أفضل شئ نلته من الدنيا فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها فقالت له أفى مثل هذه الساعة يا ابن أبى فروة قال نعم فأدخلته فقال للاسودين احفرا ههنا بئرا فقالت له جاريتها وما تصنع بالبئر قال شؤم مولاتك أمرنى فى هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام فقالت عائشة فأنظرنى أذهب اليه قال هيهات لا سبيل الى ذلك وقال للاسودين احفرا فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت يا ابن أبى فروة انك لقاتلى مامنه بد قال نعم وانى لاعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب قالت وفى أى شئ غضبه قال فى امتناعك عنه وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين الى غيره فقد جن فقالت أنشدك الله الا عاودته قال انى أخاف أن يقتلنى فبكت وبكى جواريها فقال قد رققت لك وحلف أنه يغرر بنفسه ثم قال لها فما أقول قالت تضمن عنى أنى لا أعود أبدا قال فمالى عندك قالت قيام بحقك ما عشت قال فاعطينى المواثيق فأعطته فقال للاسودين مكانكما وأتى مصعبا فأخبره فقال له استوثق منها بالايمان ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب

ودخل عليها مصعب يوما وهى نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها فقالت له نومتى كانت أحب الى من هذا اللؤلؤ قال وصارمت مصعبا مرة فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها فقالت الآن يصلح أن تخرجى اليه فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه فقال لها مصعب انى أشفق عليك من رائحة الحديد فقالت لهو والله عندى أطيب من ريح المسك

وقال ابن يحيى كان مصعب من أشد الناس اعجابا بعائشة بنت طلحة ولم يكن لها شبيه فى زمانها حسنا ودماثة وجمالا وهيئة ومتانة وعفة وانها دعت يوما نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن فى مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب المجمر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشى والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ثم قالت لعزة هاتى يا عزة فغنينا فغنت

وثغر أغر شنيب النبات * لذيذ المقبل والمبتسم

وما ذقته غير ظن به * وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريبا منهن ومعه اخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح ياهذه انا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة ثم أرسل الى عائشة أما أنت فلا سبيل لنا اليك مع من عندك وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود اليك ففعلت وغنته مرارا وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحا وسرورا وأمرها بالعود الى مجلسها وقضوا يوما على أحسن حال

ولما قتل مصعب عن عائشة تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى فحمل اليها ألف ألف درهم وقال لمولاتها لك على ألف دينار ان دخلت بها الليلة وأمر بالمال فحمل فألقى فى الدار وغطى بالثياب وخرجت عائشة فقالت لمولاتها أهذا فرش أم ثياب قالت لها انظرى اليه فنظرت فاذا هو مال فتبسمت فقالت لها مولاتها أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزبا قالت لا والله ولكن لا يجوز دخوله الا بعد أن أتزين له وأستعد قالت فبم ذا فوجهك والله أحسن من كل زينة وما تمدين يدك الى طيب أو ثياب أو حلى أو فرش الا وهو عندك وقد عزمت عليك أن تأذنى له قالت افعلى فذهبت اليه فقالت قم بنا فقد قبلت فجاءهم عند العشاء الاخيرة وقالت حين دخل بها

قد رأيناك فلم تحل لنا * وبلوناك فلم نرض الخبر

وكانت رملة بنت عبد الله بن خلف زوجة لعمر بن عبيد الله بن معمر ولما تزوج عائشة قالت رملة لمولاة لعائشة اريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم فأخبرت عائشة بذلك فقالت فاني أتجرد فاعلميها ولا تعرفيها أني أعلم فقامت عائشة كأنها تغتسل وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم وقالت لوددت أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها

فمكثت عائشة عند عبيد الله بن معمر ثمان سنين ثم مات عنها سنة اثنتين وثمانين فتأيمت بعده فخطبها جماعة فردتهم ولم تتزوج بعده أبدا

وكانت عائشة من أشد الناس مغالطة لازواجها وكانت تكون الكلمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب فاذا قالوا قد جاء الامير ضمت عليها مطرفها وقطبت وكانت كثيرا ما تصف لعمر بن عبيد الله مصعبا وجماله وتغيظه بذلك فيكاد أن يموت وكان شديد الغيرة فدخل يوما على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار فقال لها انفضي التراب عني فأخذت منديلا تنفض عنه التراب ثم قالت له ما رأيت الغبار على وجه أحد قط أحسن منه على وجه مصعب قال فكاد يموت غيظا

ودخلت عائشة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت يا أمير المؤمنين مر لي بأعوان فضم اليها قوما يكونون معها فحجت ومعها ستون بغلا عليها الهوادج والرحائل وكانت سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما في تلك السنة فقال حادي عائشة

عائش ياذات البغال الستين * لازلت ماعشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها فقال

عائش هذه ضرة تشكوك * لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فامرت عائشة حاديها أن يكف فكف * واستأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج فاذن لها وقال ارفعي حوائجك واستظهري فان عائشة بنت طلحة تحج هذه السنة ففعلت فجاءت بهيئة جهدت فيها فلما كانت بين مكة والمدينة اذا بموكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها فقالت أرى هذه عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقالوا هذه خازنتها ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك الموكب فقالوا عائشة عائشة فضغطهم فسألت عنه فقالوا هذه ماشطتها ثم جاءت مواكب على هذا المنوال ثم أقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلة عليها القباب والهوادج فقالت عاتكة ما عند الله خير وأبقى

ووفدت عائشة بنت طلحة على هشام فقال لها ما أوفدك قالت حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق قال اني سأعرفه حقك ثم بعث الى مشايخ بني أمية فقال ان عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة فحضروا فما تذاكروا شيأ من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار الا سمته فقال لها هشام أما الاول فلا أنكره وأما النجوم فمن أين لك قالت أخذتها عن خالتي عائشة فامر لها بمائة ألف درهم وردها الى المدينة

ولما تأيمت عائشة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة تخرج الى مالها بالطائف وقصر لها فتتنزه وتجلس بالعشيات فتتناضل بين الرماة فربها النميري الشاعر فسألت عنه فنسب فقالت له لما أتوها به أنشدني مما قلت في زينب فامتنع وقال ابنة عمي وقد صارت عظاما بالية قالت أقسمت عليك فأنشدها قوله

نزلن بفخ ثم رحن عشية * يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف الاكف من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من آن يلقينه حذرات
تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب فى نسوة خفرات

فقالت والله ماقلت الاجميلا ولا وصفت الا كرما وطيبا وتقى ودينا أعطوه ألف درهم فلما كانت الجمعة الاخرى تعرض لها فقالت على به فجاء فقالت أنشدنى من شعرك فى زينب فقال أو أنشدك من قول الحرث فيك فوثب مواليها فقالت دعوه فانه أراد أن يستقيد لابنة عمه هات فانشدها

ظعن الامير باحسن الخلق * وغدوا بلبك مطلع الشرق
وتنوء تثقلها عجيزتها * نهض الضعيف ينوء بالوسق
ما صبحت زوجا بطلعتها * الا غدا بكواكب الطلق.
قرشية عبق العبير بها * عبق الدهان بجانب الحق
بيضاء من تيم كلفت بها * هذا الجنون وليس بالعشق

فقالت والله ماذكر الاجميلا ذكر أنى اذا صبحت زوجا بوجهى غدا بكواكب الطلق وأنى غدوت مع أمير تزوجنى الى الشرق أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد لاتياننا يانميرى وقال أبو هريرة لعائشة يوما ما رأيت شيأ أحسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لانا أحسن من النار فى الليلة القرة فى عين المقرور

وكتب أبان بن سعيد الى أخيه يحيى يخطب عليه عائشة بنت طلحة ففعل فقالت ليحيى ما أنزل أخاك أيلة قال أراد العزلة قالت اكتب الى أخيك

حللت محل الضب لا أنت ضائر * عدوا ولا مستنفعا بك نافع

وقال عبد الله بن عبد الرحمن وقد قيل له طلقها

يقولون طلقها لاصبح ثاويا * مقيما على الهم أحلام نائم
وان فراقى أهل بيت أحبهم * لهم زلفة عندى لاحدى العظائم

قال بعضهم أذن المؤذن يوما وخرج الحرث بن خالد الى الصلاة فارسلت اليه عائشة ابنة طلحة انه بقى على شئ من طوافى لم أتمه فقعد وأمر المؤذنين فكفوا عن الاقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فعزله وولى عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكتب الى الحرث ويلك أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة فقال والله لولم تقض طوافها الى الفجر لما كبرت وقال فى ذلك

لم أرحب بأن سخطت ولكن * مرحبا ان رضيت عنا وأهلا
ان وجها رأيته ليلة البد * ر عليه انثنى الجمال وحلا
وجهها الوجه لو يسيل به المز * ن من الحسن والجمال استهلا
ان عند الطواف حين أتته * لجمالا فعما وخلقا رفلا
وكسين الجمال ان غبن عنها * فاذا مابدت لهن اضمحلا

ولما قدمت عائشة الى مكة أرسل اليها الحرث بن خالد وهو أمير على مكة انى أريد السلام عليك فاذا خف

عليك أذنت وكان الرسول الغريض فقالت له انا حرم فاذا أحللنا أذنا لك فلما حلت سرت على بغلاتها ولحقها الغريض بعسفان ومعه كتاب الحرث اليها وفيه قوله

ماضركم لو قلتم سددا * ان المطايا عاجل غدها
لها علينا نعمة سلفت * لسنا على الايام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها * تمت بذلك عندنا يدها

فلما قرأت الكتاب قالت ما يدع الحرث باطله ثم قالت للغريض هل أحدثت شيأ قال نعم فاسمعي ثم اندفع يغني في هذا الشعر فقالت عائشة والله ما قلنا الا سددا ولا أردنا الا أن نشتري لسانه وأتى على الشعر كله فاستحسنته وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب وقالت زدني فغناها في قول الحرث بن خالد أيضا

زعموا بأن البين بعد غد * فالقلب مما أحدثوا يجف
والعين منذ أجد بينهم * مثل الجمان دموعها تكف
ومقالها ودموعها سجم * أقلل حنينك حين تنصرف
تشكو ونشكو ما أشت بنا * كل بوشك البين معترف

فقالت له عائشة يا غريض بحقي عليك أهو أمرك أن تغنيني في هذا الشعر فقال لا وحياتك يا سيدتي فأمرت له بخمسة آلاف درهم ثم قالت له غنني في شعر غيره فغناها في قول ابن أبي ربيعة

أجمعت خلتي مع الفجر بينا * جلل الله ذلك الوجه زينا
أجمعت بينها ولم تك منها * لذة العيش والشباب قضينا
فتولت حمولها واستقلت * لم تنل طائلا ولم نقض دينا
ولقد قلت يوم مكة لما * أرسلت تقرأ السلام علينا
أنعم الله بالرسول الذي أر * سل والمرسل الرسالة عينا

فضحكت ثم قالت وأنت يا غريض فأنعم الله بك عينا وأنعم بابن أبي ربيعة عينا لقد تلطفت حتى أديت الينا الرسالة وان وفاءك له لمما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك وقد كان عمر سأل من الغريض أن يغنيها هذا الصوت وقال له عمر ان أبلغتها هذه في غناء فلك خمسة آلاف درهم فوفى له بذلك وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وكانت قد حجت في تلك السنة فقال لها جواريها هذا الغريض قالت لهن علي به فجيء به اليها قال الغريض فلما سلمت دخلت فردت علي وسألتني عن الخبر فأقصصته عليها فقالت غنني بما غنيتها به ففعلت فلم أرها تهش لذلك فغنيتها معرضا ولها مذكرا بنسبي في شعر مرة بن محكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف

أقول والضيف مخشي ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
يا ربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رحال القوم والضربا
في ليلة في جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

قال فقالت وهي مبتسمة قد وجب حقك يا غريض فغنني فغنيتها

يا دهر قد أكثرت فجعتنا * بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا مالست مخلفه * يادهر ما أنصفت فى الحكم
لو كان لى قرن أناضله * ماطاش عند حفيظة سهمى
لو كان يعطى النصف قلت له * أحرزت سهمك فاله عن سهمى

فقالت نعطيك النصف ولا نضيع سهمك عندنا ونجزل لك قسمك وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من الالطاف قال وأتيت الحرث بن خالد فأخبرته وقصصت عليه القصة فأمر لى بمثل ما أمرتا لى به جميعا فأتيت ابن أبى ربيعة وأعلمته بما جرى فامر لى بمثل ذلك فما انصرف أحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفت بنظرة من عائشة ونظرة من عاتكة بنت يزيد وهما أجل نساء عالمهما وبما أمرتا لى وبالمنزلة عند الحرث وهو أمير مكة وابن أبى ربيعة وما أجازانى به جميعا من المال

وقد قدم قادم الى المدينة من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت له من أين أقبل الرجل قال من مكة فقالت فما فعل الاعرابى فلم يفهم ما أرادت فلما عاد الى مكة دخل على الحرث فقال له من أين قال من المدينة قال فهل دخلت على عائشة بنت طلحة قال نعم قال فعماذا سألتك قال قالت لى ما فعل الاعرابى قال له الحرث فعد اليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع اليها هذه الرقعة وكتب اليها فيها

من كان يسأل عنا أين منزلنا * فالاقحوانة منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفوا ما يكدره * طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
ليت الهوى لم يقربنى اليك ولم * أعرفك اذ كان حظى منكم الحزن

وافى عمر بن أبى ربيعة عائشة بمكة وهى تسير على بغلة لها فقال لها قفى حتى أسمعك ما قلت فيك قالت أوقد قلت يا فاسق قال نعم فوقفت فانشدها

يا ربة البغلة الشهباء هل لك فى * أن تنشرى ميتا لا ترهبى حرجا
قالت بدائك مت أو عش تعالجه * فما نرى لك فيما عندنا فرجا
قد كنت حملتنا غيظا نعالجه * فان بعدنا فقد عنيتنا حججا
حتى لو آسطيع مما قد فعلت بنا * أكلت لحمك من غيظ وما نضجا
فقلت لا والذى حج الحجيج له * ما مج حبك من قلبى ولا نهجا
ولا رأى القلب من شئ يسر به * مذ بان منزلكم منا ولا ثلجا
ضنت بنائلها عنه فقد تركت * فى غير ذنب أبا الخطاب مختلجا

فقالت لا ورب الكعبة ما عنيناطرفة عين قط ثم أطلقت عنان بغلتها وسارت ولم تزل تداريه وترفق به خوفا من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت الى المدينة فقال فى ذلك

ان من تهوى مع الفجر ظعن * للهوى والقلب متباع الوطن
بانت الشمس وكانت كلما * ذكرت للقلب عاودت الدرن
يا أبا الحرث قلبى طائر * فأتمر أمر رشيد مؤتمن
نظرت عينى اليها نظرة * تركت قلبى اليها مرتهن
ليس حب فوق ما أحببتها * غير أن أقتل نفسى أو أجن

ومن أشعاره أيضا فيها قصيدته التي أولها

من لقلب أمسى رهينا معنى * مستكينا قد شفه ما أجنا
اثر شخص نفسي فدت ذاك شخصا * نازح الدار بالمدينة عنا
ليت حظى كطرفة العين منها * وكثير منها القليل المهنا

ونقل صاحب الاغاني قال بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت اذ رأى عائشة بنت طلحة وكانت أجمل أهل دهرها وهي تريد الركن تستلمه فبهت لما رآها ورأته وعلمت أنها قد وقعت في نفسه فبعثت اليه بجارية لها وقالت قولي له اتق الله ولا تقل هجرا فان هذا مقام لابد فيه مما رأيت فقال للجارية أقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول الا خيرا وقال فيها

لعائشة ابنة التيمي عندي * حمى في القلب ما يرعى حماها
يذكرني ابنة التيمي ظبي * يرود بروضة سهل رباها
فقلت له وكاد يراع قلبي * فلم أر قط كاليوم اشتباها
سوى حمش بساقك مستبين * وأن شواك لم يشبه شواها
وأنك عاطل عار وليست * بعارية ولا عطل يداها
وأنك غير أفرع وهي تدني * على المتنين أسحم قد كساها
ولو قعدت ولم تكلف بود * سوى ما قد كلفت به كفاها
أظل اذا أكلمها كأني * أكلم حية غلبت رقاها
تبيت الي بعد النوم تسري * وقد أمسيت لا أخشى سواها

وقال فيها أشعارا كثيرة فبلغ ذلك فتيان بني تيم أبلغهم اياه فتى منهم وقال لهم يا بني تيم بن مرة ها والله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله الى عمر بن أبي ربيعة فاعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم فقال لهم والله لا أذكرها في شعر أبدا ثم قال بعد ذلك فيها وكنى عن اسمها قصيدته التي أولها

يا أم طلحة ان البين قد أفدا * قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراقي لا يدري اذا برزت * من ذا تطوف بالاركان أو سجدا

ولم يزل عمر يتشبب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر اليها فقالت أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق فقال

اني وأول ما كلفت بذكرها * عجب وهل في الحي من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصر * شبها لها أبدا ولا بمقرب
فمكثن حينا ثم قلن توجهت * للحج موعدها لقاء الاخشب
أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لي * والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهنا * ترمي الجمار عشية في موكب
غراء يعشي الناظرين بياضها * حوراء في غلواء عيش معجب
ان التي من أرضها وسمائها * جلبت لحينك ليتها لم تجلب

ولما حجت عائشة بنت طلحة جاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن وكان الغريض فيمن جاء فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت به لها عائشة والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع والالطاف فقال الغريض فأين نصيبي من عائشة فقلن له أغفلناك وذهبت عن قلوبنا فقال ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فانها كريمة بنت كرام واندفع يغني بشعر جميل

تذكرت ليلى فالفؤاد عميد * وشطت نواها فالمزار بعيد

فقالت ويلكم هذا مولى العبلات بالباب يذكر نفسه هاتوه فدخل فلما رأته ضحكت وقالت لم أعلم مكانك ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ثم قالت له ان أنت غنيتني صوتا في نفسي فلك كذا وكذا شيء سمته له فغناها في شعر كثير

ومازلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم أخفي حبها وأداجن

وأحمل في ليلى لقوم ضغينة * وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقالت له ما عدوت ما في نفسي ووصلته فأجزلت قال اسحق فقلت لابي عبد الله وهل علمت حديث هذين البيتين ولم سألت الغريض ذلك قال نعم نقل عن الشعبي أنه قال دخلت مسجدا فاذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لانصرف فقال لي ادن مني ياشعبي فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه ثم قال اذا قمت فاتبعني فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته فلما دخل في الدار التفت الي فقال ادخل فدخلت معه فاذا حجلة رأيتها لبعض الامراء فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف فاذا بجارية قد خرجت فقالت ياشعبي ان الامير يأمرك أن تجلس فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة فاذا أنا بمصعب بن الزبير ورفع السجف الآخر فاذا أنا بعائشة بنت طلحة قال فلم أرزوجا كان أجمل منهما مصعب وعائشة فقال مصعب ياشعبي هل تعرف هذه فقلت نعم أصلح الله الامير قال ومن هي قلت سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة قال لا ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر (ومازلت من ليلى لدن طر شاربي) البيتين المتقدم ذكرهما ثم قال اذا شئت فقم فقمت فلما كان العشي رحت واذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت فلما رآني قال لي ادن مني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فاصغى الي فقال هل رأيت مثل ذلك الانسان قط قلت لا والله قال أفتدري لم أدخلناك قلت لا قال لتحدث بما رأيت

فيظهر من هذه الرواية أن طباعهم في ذلك العصر كانت كطباع الغربيين في عصرنا هذا من قبل النساء لا كرجالنا الذين يخافون أن يظهروا للنساء أدنى شيء من الفضل غيرة عليهن ويزعمون أن هذا هو العز الاكبر

رجعنا الى بقية الحديث قال ثم التفت الى عبيد الله بن أبي فروة فقال أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا قال فانصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرف به بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثيابا وبنظرة من عائشة بنت طلحة

﴿عائشة النبوية ابنة جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وأخت موسى الكاظم﴾

قال المناوي كانت من العابدات المجاهدات وكانت تقول رضي الله عنها وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار

لآخذن توحيدى وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبنى ماتت رضى الله عنها سنة ١٤٥ ودفنت فى المسجد المعروف باسمها الآن بناحية قراميدان بمصر وقبرها يزار وأهل مصر يعتقدون بها ويتبركون بزيارتها ومسجدها مقام الشعائر وكان أبوها جعفر الصادق رضى الله عنه اماما نبيلا أخذ الحديث عن أبيه وجده لامه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعروة وعطاء ونافع والزهرى وهو امام مذهب الشيعة الامامية

﴿عائشة بنت أحمد القرطبية﴾

قال ابن حبان لم يكن فى زمانها من حرائر الاندلس من يعادلها علما وفهما وأدبا وفصاحة وشعرا وكانت تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تتزوج وكانت وفاتها سنة ٤٠٠ هجرية وقال صاحب المقرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت يوما على المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه سعيد
تشوقت الجياد له وهز الـ * ـحسام له وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا فى سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكننى لا أرتضى * نفسى مناخا طول دهرى من أحد
ولو اننى أختار ذلك لم أجب * كلبا ولا أغلقت سمعى عن أسد

﴿عائشة بنت على بن محمد بن عبد الغنى بن المنصور الدمشقية﴾

كانت عالمة عاملة كاملة تعلمت النحو والصرف والبيان والعروض والحديث وفتحت حلقة للتدريس سمعت عن زوجها الحافظ نجم الدين الحسنى وعن الامام ابن الخباز والمرداوى ومن بعدهما حدثت وانتفع الناس بمعارفها وعلومها حتى انها فاقت أهل زمانها علما وأدبا ومعاشرة وعفة

﴿عائشة بنت محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى
ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى﴾

الصالحية الحنبلية سيدة المحدثين بدمشق سمعت صحيح البخارى على حافظ العصر المعروف بالحجار وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتبا عديدة وانفردت فى آخر عمرها بعلم الحديث وكانت سهلة فى تعليم العلوم لينة الجانب للتعليم ومن العجائب أن ست الوزراء كانت آخر من حدث عن الزبيدى بالسماع ثم كانت عائشة

آخر من حدث عن صاحبه ابن الحجار بالسماع أيضا وبين وفاتيهما مائة سنة وتوفيت عائشة هذه بدمشق سنة ٨١٦ ودفنت بالصالحية رحمة الله عليها

﴿عائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعونى﴾

كانت شاعرة مطبوعة فاضلة أديبة لبيبة عاقلة وكان على وجهها من الجمال لمحة جاها الادب وحلتها بلاغة العرب فجعلتها بغية ومنية الراغبين والذى أجمع عليه العارفون أن عائشة هذه بين المولدين تزيد عن الخنساء بين الجاهلين وقد وصفها عبد الغنى النابلسى بأنها فاضلة الزمان وحليفة الادب فى كل مكان ووصفها غيره من العلماء الاعلام بانها ربة الفضل والادب وصاحبة الشرف والنسب وقد حضرت الفقه والنحو والعروض على جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الحق والدين اسمعيل الحورانى والعلامة محيى الدين الارموى وقد أخذ عنها جملة من العلماء الاعلام وقد انتفع بها خلق كثير من الطالبين ولها ديوان شعر بديع فى المدائح النبوية كله لطائف ومن تآليفها مولد جليل للنبى صلى الله عليه وسلم اشتمل على فرائد النظم والنثر ومن شعرها قولها فى جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق بيتان هدما كثيرا مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرا * بأمر والانام له مطيعه
مجازا فى الحقيقة للبرايا * وأمرا بالمرور على الشريعه

وبالحقيقة ان من رأى سحر بلاغتها فكانما رأى هاروت وماروت ومن شعرها البديع فى الغزل قولها

كانما الخال تحت القرط فى عنق * بدا لنا من محيا جل من خلقا
نجم غدا بعمود الصبح مستترا * خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

ومن نظمها قصيدتها البديعية التى سارت بذكرها الركبان وفاقت بمعانيها على الصفى وابن حجة وسائر أهل البديع وذوى العرفان ولها عليها شرح بديع سمته بالفتح المبين فى مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقى الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرحتها بشرح مختصر أسفرت فيه عن لسان البيان بقدر الطاقة والامكان ونحن نورد مقدمة هذا الشرح بحروفها لما فيها من حسن المعانى البديعة ونأتى على ايراد القصيدة بأكملها بدون شرح وذلك اظهارا لفضل المترجمة وعلو همتها

قالت رحمها الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله محلى جياد الافهام بعقود مدح الشفيع ومجلى سلامة الاذواق بمكرر ذكره الرفيع ومرصع تيجان البيان بجواهر سيرته الحسنا ومزين سماء البلاغة بزواهر معجزه الاسنى ومعجز العقول عن ادراك كنه صفاته ومؤيس الافكار من احصاء خصائصه وآياته وباعث الرسل مقررين لعظيم قدره ومنزل الكتب مبينة لرفيع ذكره ومعطر أرجاء الوجود بالثناء على خلقه العظيم ومشرع ألوية التخصيص له بكرائم التبجيل وجلائل التكريم ومطلق ألسنة الاطناب فى شرفه المطلق المفرد ومفرده بكمال الاصطفاء فالكماله مثل ولا احد حمدا يجمع لى بين الامانى والامان ويقتضى المزيد من مبرات الشهود والعيان وأشهد

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شافعة باتصال المدد كافلة بالخلود فى جنات العرفان الى الابد وأشهد أن سيد أعيان الكونين وعين حياة الدارين محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله صلى الله عليه وسلم صلاة تصلني وذريتي وأحبابي فى كل نفس بنفائس صلاته وتقتضي دوام البسط بتوالى امداداته وتشفع لنا بعراحم القبول وتسعفنا بكرائم الوصول صلاة لا ينقطع لها مدد ولا ينقضى لها أمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى آل كل وصحب كل وسائر الصالحين وسلم تسليما وكرم تكريما

وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطباع منقحة بحسن البيان مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان سافرة عن وجوه البديع سامية بمدح الحبيب الشفيع مطلقة من قيود تسمية الانواع مشرقة الطوالع فى أفق الابداع موسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذى هو عمدة أهل الاشارات بالفتح المبين فى مدح الامين استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها فى شئ يروق الطالب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده وهو أن أذكر بعد كل بيت حدّ النوع الذى بنيت عليه وافر شاهده فان ذلك مما يفتقر اليه وأنحو فى ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب وأنبه على ما لا بد منه قصد النفع الطالب والمسؤل من الفتاح بتأسيسها على قواعد أذن الله أن ترفع ومن منبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع أن يصلى ويسلم عليه ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ووسيلة لى ولوالدى ولذريتي ولاحبابي ولمن والاني خيرا الى وفور الحظ من فضله العظيم وأن ينيلنا بوجاهة الممدوح لديه وبحقه عليه نهاية الآمال ومالم يخطر لنا على بال من منائح الوصال ومبارّ الاتصال ودوام العافية والآمال وشمول العفو والرضوان انه جواد كريم رؤف رحيم ومن الله أستمد وعليه أعتمد وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

﴿ براعة المطلع ﴾

فى حسن مطلع أقمار بذى سلم * أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم

﴿ الجناس المذيل والتام ﴾

أقول والدمع جار جارح مقلى * والجار جار بعذل فيه متهم

﴿ الجناس المحرف ﴾

يا للهوى فى الهوى روح سمعت بها * ولم أجد روح بشرى منهم بهم

﴿ الجناس المشوّش ﴾

وفى بكائى لحال حال من عدم * افقت صبرا فلم يجدى لمنع دمى

﴿ الجناس المركب ﴾

يا سعد ان أبصرت عيناك كاظمة * وجئت سلعا فسل عن أهلها القدم

﴿ الجناس المصحف والمطلق ﴾

فثمّ أقمارتمّ طالعين على * طويلع حيهم وانزل بحيهم

﴿ الجناس المخالف ﴾

أحبة لم يزالوا منتهى أملى * وان هموبالتنائى أوجبوا ألمى

﴿ الجناس اللاحق ﴾

علوا كالا جلوا حسنا سبوا أمما * زادوا دلالا فنى صبرى فياسقمى

﴿ الجناس اللفظى ﴾

أحسنت ظنى وان هم حاولوا تلفى * وتم سر وضى فيه من شيمى

﴿ الجناس المعنوى ﴾

أليحمدى وأبو تمام كل شج * عانى الغرام الى قلبى لاجلهم

﴿ المناقضة ﴾

قيل اسلهم قلت ان هبت صبا سحرا * وأشرق البدر تماسلخ شهرهم

﴿ الرجوع ﴾

مالى رجوع عن الاشجان فى ولهى * بل عن سلوى رجوعى صار من لزمى

﴿ الاستدراك ﴾

رجوتهم يعطفوا فضلا وقد عطفوا * لكن على تلفى من فرط عشقهم

﴿ المطابقة ﴾

هان السهاد غراما فيه أقلقنى * شوقا وعز الكرى وجدا فلم أنم

﴿ التمثيل ﴾

وعاذل رام سلوانى فقلت له * من المحال وجود الصيد فى الاجم

﴿ الابهام ﴾

عذلتنى وادّعيت النصح فيه فلا * برحت أسعى بلا حد الى النعم

﴿ الاستعارة ﴾

كيف السلوّ ونار الحب موقدة * وسط الحشا وعيون الدمع كالديم

﴿ الارداف ﴾

ولى جفون بغير السهد ما اكتحلت * ولى رسوم بغير السقم لم تسم

﴿ الافتنان ﴾

تهابنى الاسد فى اجامها وظبا * تلك الظبا قد أذلتنى لعزهم

﴿ مراعاة النظير ﴾

أزروا بشمس الضحى والبدر حين بدوا * وأومض البرق من تلقاء مبتسم

﴿ عتاب المرء نفسه ﴾

يا نفس ماذا الونى جدّى فان يصلوا * فالقصد أولا فموتى موت محتشم

﴿ المغايرة ﴾

لذكرهم صار سمع العذل يطربنى * من اللواحى ويلجينى لشكرهم

﴿ سلامة الاختراع ﴾

بلغت فى العشق مرمى ليس يدركه * الا خليع صبا مثلى الى العدم

﴿التوشيع﴾

كتمت حالى ويأبى كتمه شجنى * يحكى الفاضحين الدمع والسقم

﴿المراجعة﴾

قالوا ارعوى قلت قلبى مايطاوعنى * قالوا اثنى قلت عهدى غير منفصم

﴿القول بالموجب﴾

قالوا سلوت فقلت الصبر فى كلفى * قالوا يئست فقلت البرء فى سقمى

﴿التهكم﴾

ياعاذلى أنت معذور فسوف ترى * اذا بدا الصبح ماغطى غشا الظلم

﴿المواربة﴾

أبرمت عذلا ويخشى أن تجرّبه * الى السلو ومالسلوان من شيمى

﴿ضرب المثل﴾

أجر الامور على أذلالها فعسى * ترى بعينك وجه النصح فى كلمى

﴿النزاهة﴾

عن ذم مثلك تبيانى أنزهه * اذ أنت عندى معدود من النعم

﴿تجاهل العارف﴾

الجهل أغواك أم فى الطرف منك عمى * أغاب رشدك أم ضرب من اللمم

﴿الهزل الذى يراد به الجد﴾

أتعبت نفسك فى عذلى ومعذرة * منى اليك فسمعى عنك فى صمم

﴿البسط﴾

اعذل وعنف وقل مااسطعت لاترنى * الا كما شاء وجدى حافظا ذممى

﴿التورية﴾

تسومنى الصبر عمن لى حلاهم * جميع مامرّ من حالات عشقهم

﴿التصدير﴾

لم ياعذولى وشاهد حسنهم فاذا * شاهدته واستطعت اللوم بعد لم

﴿مالايستحيل بالانعكاس﴾

أنى أنا عز فن فرع لنا نبأ * من الملام وحشيه بوصفهم

﴿تألف اللفظ والمعنى﴾

وامزج ملامك بالذكرى فان بها * تعللا لعليل الشوق من ألم

﴿التفويف﴾

كرّر أعد أطرب ابسط ثن غنّ أجب * قل سل جد ترنم برّ من أدم

﴿الادماج﴾

أعد حديث أحبائى فهم عرب * قد أعرب الدمع فيهم كل منعجم

﴿الاستخدام

(الاستخدام)

واستوطنوا السر مني فهو منزلهم * ولم أفوه به يوما لغيرهم

(المقابلة)

بدا الصدود ببعدي عن جوارهم * فعاد وصل بقربي من محلهم

(تألف اللفظ والوزن)

أحبة مالقلبي غيرهم أرب * وحبهم لم يزل يربو من القدم

(تألف المعنى والوزن)

لزمت صدق ولاهم والتزمت به * فلست أسلوه الا عن سلوهم

(الابداع)

حلوا بقلبي وحلى جود منتهم * جيدي وشكر الايادي مسمعي وفمي

(التفريع)

مابهجة الشمس في الآفاق مشرقة * يوما بأبهج من لألاء حسنهم

(القسم وجوابه)

لا مكنتني المعالي من سيادتها * ان لم أكن لهم من جملة الخدم

(حسن البيان)

بفضلهم غمروني من فواضلهم * بما عجزت به عن حق شكرهم

(التوشيع)

وألبسوني مذ آنست نارهم * من طور حضرتهم نورا جلا ظلمي

(المجاز)

وألبسوني ثياب الوصل معلمة * بقربهم وأقروا في القرى علمي

(الاستطراد)

وخولوني ملكا فيه فزت بهم * فوز العفاة بوافي فيض فضلهم

(التهذيب والتأديب)

لهم شمائل بالاحسان قد شملت * وعلمت كرم الاخلاق والشيم

(الانسجام)

ولي عوائد منهم بالجميل لها * بينهم اتصال غير منحسم

(التشريع)

قالوا لقد راق عيش المستهام بهم * فلا جفا بعد ما جادوا بوصلهم

(الالتفات)

حلوا بقلبي فيا قلبي تهن بهم * وافرح ولا تلتفت عنهم لغيرهم

(الاحتراس)

قد طال شوقي وقلبي منزل لهم * الى الطلول التي تسمو بأسمهم

﴿ تأليف اللفظ باللفظ ﴾

فليت شعرى هل حالى بمنتظم * قبل الوفاة وهل شملى بملتئم

﴿ التكرار ﴾

نعم نعم حدثتنى وهى صادقة * ظنون سرى حديثا غير متهم

﴿ المناسبة ﴾

عن جودهم عن نداهم عن فواضلهم * عن منهم عن وفاهم نيل برهم

﴿ حسن النسق ﴾

سادوا بجودهم جم وبذلهم * حتم وموردهم غنم لكل ظمى

﴿ الايجاز ﴾

يا سعد ان ساعد الاسعاد واجتمعت * لك الامانى وجئت الحى عن ألم

﴿ التتميم ﴾

عرج على قاعة الوعساء منعطفا * على العقيق على الجرعاء من اضم

﴿ التجريد ﴾

واقصد مصلى به باب السلام وقف * لدى المقام وقبل موطئ القدم

﴿ التمكين ﴾

فلى فؤاد بذاك الحى مرتهن * ملا السلو وعانى وجده بهم

﴿ الحذف ﴾

ناشدته الله والانوار مشرقة * تعلو المعالم من سكانها القدم

﴿ الاقتباس ﴾

انت الكريم وهذا طور حضرتهم * أقبل ولا تخف الواشين بالكلم

﴿ النوادر ﴾

وشاهد الحسن والاحسان جزؤهم * ولا تدع منك جزأ غير مقتسم

﴿ الكناية ﴾

ولا يصدك عن بذل الوجوه لهم * نصح اللواحى وما صاغوا بنطقهم

﴿ الخاص ﴾

هم المفاليس ماذاقوا الغرام ولا * أموا حمى خير خلق الله كلهم

﴿ الاطراء ﴾

محمد المصطفى ابن الذبيح أبو الـ * زهراء جد أميرى فتية الكرم

﴿ التكرار ﴾

الوافر العظم ابن الوافر العظم ابـ * ـن الوافر العظم ابن الوافر العظم

﴿ التكميل ﴾

المرتضى المجتبى المخصوص أحمد من * اختاره الله قبل اللوح والقلم

﴿ الترتيب ﴾

(التر تيب)

خير النبيين والبرهان متضح * عقلا ونقلا فلم نرتب ولم نهم

(التسميط)

أسناهم نسبا أزكاهم حسبا * أعلاهم قربا من بارئ النسم

(السهولة)

طه المنادى بالقاب العلا شرفا * وغيره بالاسامى ضمن كتبهم

(المماثلة)

عزت جلالته جلت مكانته * عمت هدايته للخلق بالنعم

(الاعتراض)

أعظم به من نبي مرسل نزلت * فى مدحه محكم الآيات من حكم

(الايداع)

ينبى مفصلها عن عز مرتبة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

(الاشارة)

تبارك الله من أوحى اليه بما * أوحى وخصصه بالمنتهى العظم

(التفسير)

برتبة القاب بالادنى بحظوته * برؤية الله بالايناس بالكلم

(التوشيح)

دنا ونال فلا ثان يشاركه * فيما حواه من التخصيص والكرم

(العنوان)

أتى وكان نبيا عند خالقه * قدما وآدم طينا بعد لم يقم

(التسهيم)

ذو الجاه حيث يضم الخلق محشرهم * ولا يرى غيره فى الكشف للغمم

(حصر الجزئى والحاقه بالكلى)

ذو المجد حيث أهيل المجد قاطبة * تسير تحت لواه يوم حشرهم

(الاكتفاء)

ذو المعجزات التى منها الكتاب فيا * بشرى لمقتبس منه بكل جم

(التوليد)

يتلى ويحلو ولا يبلى وليس له * مبدل وهو حبل الله فاعتصم

(التفصيل)

قل للذى ينتهى عما يحاوله * من حصر معجز طه الطاهر الشيم

(الموارده)

كم أعقبت راحة باللمس راحته * وكم محا محنة ريق له بفم

التقسيم

والنيّران أطاعاه فتلك بدت * بعد الأفول وهذا شق فى الظلم

الجمع مع التقسيم

والماء من اصبعيه فاض فيض ندى * كفيه مردود هذا معدم العدم

الجمع

فريد حسن تسامى عن مماثله * فى الخلق والخلق والاحكام والحكم

القلب

بدر الكمال كمال البدر مكتسب * من نوره وضياء الشمس فاعتلم

تنسيق الصفات

أعظم به من نبيّ سيد سند * هاد سراج منير صفوة القدم

التشطير

بالحق مشتغل فى الخلق مكتمل * بالبرّ معتصم بالبرّ ملتزم

السجع

للبذل مغتنم بالبشر متسم * يسمو بمبتسم كالدر منتظم

الترصيع

ممجد الذكر فى الفرقان بالحكم * محمد الامر فى التبيان من حكم

اللف والنشر

جمال صورته عنوان سيرته * هذا بديع وهذى آية الامم

الاغراق

ولو غدا البحر حبرا والفضا ورقا * فى حصر أوصافه ضاقا ببعضهم

الغلو

وذكره كاد لولا سنة سبقت * اذا تكرر يحيى بالى الرمم

المبالغة

علا عن المثل فالتشبيه ممتنع * فى وصفه وقصور العقل كالعلم

الاتساع

اذ كل حسن مفاض من محاسنه * وكل حسنى فمن احسانه العمم

الاتفاق

محمد اسمه نعت بجملة ما * فى الذكر من مدحه فى نون والقلم

الجمع مع التفريق

علاه كالشمس لا يخفى على بصر * والوجه كالبدر يجلو حالك الظلم

التشبيه

لو كان ثم مثيل قلت طلعته * كالبدر حاشا تعالى كامل العظم

﴿التفريق﴾

قالوا هو الغيث قلت الغيث آونة * يهمي وغيث نداه لايزال همى

﴿صحة الاقسام﴾

يعطي العفاة أمانيهم فلست ترى * في حبه غير ممنوح ومغتنم

﴿الاشراك﴾

في النور لاح علاه لانظير له * نور القران قرانا من لدن حكم

﴿التلميح﴾

حاز الجمال فما في حسن متصف * بشطره بعض ما في سيد الامم

﴿المذهب الكلامي﴾

هو الحبيب من الرحمن رحمته * للعالمين بايجاد من العدم

﴿الالتزام﴾

غوث الورى كعبة الآمال ملتزمي * في حبه بالتفاني صار من لزمي

﴿التوجيه﴾

جرّدت حبي له من كل مفسدة * ولم تزل بالصفا تسعى له قدمي

﴿الترديد﴾

بحر الوفاء دعاني بالوفاء الى * نيل الوفاء وروّاني من النعم

﴿التجزئة﴾

بلغت مارمته منهم فلم أرم * عمن جلا غمي بالعزم والهمم

﴿الايضاح﴾

وافرده بالمدح واستثني بمدحك من * حازوا علا الفضل من فازوا بسبقهم

﴿الاستتباع﴾

الباذلوا النفس بذل المال من يدهم * والحافظوا الجار حفظ العهد والذمم

﴿السلب والايجاب﴾

لايسلبون بفضل الله ما وهبوا * ويسلبوا ضر الاملاق بالكرم

﴿التدبيج﴾

سود الوقائع حمر البيض في حرب * خضر المرابع بيض الفعل والشيم

﴿تشبيه شيئين بشيئين﴾

كأنهم في عجاج النقع حين بدوا * بدور تمّ بدت في حندس الظلم

﴿التنكيت﴾

للجمع فلوا وما فلت عزائمهم * وهي المواضي على استئصال كل عمي

﴿المساواة﴾

هم النجوم فما أسنى مطالعهم * في أفق ملته البيضا بهديهم

﴿نفي الشيء بايجابه﴾

لايعزج الشك منهم صفو معتقد * ولا يشين التقى باللمم واللمم

﴿جمع المؤتلف والمختلف﴾

بالسبق فازوا بتخصيص تقدمهم * فيه خليفته الصديق ذو القدم

﴿المدح في معرض الذم﴾

لاعيب فيهم سوى أن لا يضام لهم * وفد ولا يبخلوا بالرفد في العدم

﴿الازدواج﴾

طه الذي ان أخف ذنبي ولذت به * أمنت خوفي ونجاني من النقم

﴿التصريع﴾

ولا طمعت الى شئ من الكرم * الا وبلغني فوق الذي أرم

﴿الفرائد﴾

ماهبت الريح الا شمت برق وفا * لي فيه وبل عطا من ديمة النعم

﴿براعة المطلب﴾

ياأكرم الرسل سؤلي فيك غير خف * وأنت أكرم مدعو الى الكرم

﴿العقد﴾

حسبي بحبك أن المرء يحشر مع * أحبابه فهناني غير منحسم

﴿حسن الختام﴾

مدحت مجدك والاخلاص ملتزمي * فيه وحسن امتداحي فيك مختتمي

ان ختام هذه القصيدة لم يأت في قصيدة غيرها من حسن الذوق السليم * ومن كثرة مالها من العلم والفهم والاطلاع وسرعة الجواب فيه بدون روية سألها سائل نظما عن وطء النائمة فقال

ماقولك ياسنا العالمه * في رجل دب على نائمه

تفقحت تحسبه بعلها * وهي بما اذاها رائمه

فاستيقظت فأبصرت غيره * عضت على اصبعها نادمه

فهل لها من فتوة عندكم * مأجورة من ذاك أم آثمه

فأجابته على البديهة قائلة

قالت لكم ستكم العالمه * أنا لاهل العلم كالخادمه

أنقل ماقالوا وما أخبروا * عن التي قد نكحت نائمه

الشافعي قال لها أجرها * مالم تكن في نكحها عالمه

والمالكي قال أنا فتوتي * مأجورة في ذاك لا آثمه

والحنفي قال أتى رزقها * في ظلمة الليل وهي حالمه

والحنبلي قال أنا فتوتي * في هذه النكحة كالآثمه

لولم يكن لذلها طعمه * لانتهضت من تحته قائمه

وقد توفيت فى القرن العاشر من الهجرة رحمها الله رحمة واسعة

﴿عائشة بنت السيد عبد الرحيم الرفاعى﴾

كانت والهة فى الله خاشعة تتكلم على الخواطر وكانت تعد من أعاظم أهل الحال وقفت مرة فوق سطح الدار والفقراء يتواجدون فى الرواق فقالت للنساء اللواتى حولها أعطانى الله حالا ان أردت منعت عن هؤلاء ماهم فيه فقالت النساء لها بالله ياسيدتنا الاما فعلت فرمقت حلقة الفقراء فسكن القوم كان لم يكن هنالك ذكر ولا وجد فضحك أخوها السيد شمس الدين محمد وقال لولده اذهب فقبل رأس عمتك وقل لها فلتفض على الناس مما أفاض الله لها ففعل فرمقت القوم مرة ثانية فرجعوا لوجدهم وما كانوا عليه توفيت بام عبيدة فى بغداد سنة ٦٣٥ ودفنت بمشهدها المبارك رضى الله عنها

﴿عائشة عصمت بنت اسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف تيمور﴾

أديبة فاضلة حكيمة عاقلة بارعة باهرة شاعرة ناثرة رضعت أفاويق الادب وهى فى مهد الطفولية وتحلت بحلى لغات العرب قبل تضلعها باللغات التركية وفاقت على أقرانها فصاحة عند بلوغها سن الرشاد وصارت ندرة زمانها بين أهل الانشاء والانشاد ولم تدع لولادة مقالا ولم تترك للاخيلية مجالا وقد أخنست الخنساء وأنستها صخر وسارت فى مضمار أدباء هذا العصر تعلمت العلم والادب فى مصر القاهرة على أساتذة أفاضل بين أبويها وكان أكثر ميلها الى علم النحو والعروض حتى بلغت فى الشعر حدا لم يبلغه غيرها من نساء عصرها ولدت سنة ١٢٥٦ بمدينة القاهرة ووالدتها جركسية الاصل معتوقة والدها اسماعيل باشا تيمور ولما انطوى بساط مهدها وفرقت بين أبيها وجدها بادرت والدتها الى تعليمها فن التطريز واستحضرت لها آلات التعليم وكانت أفكارها غير متجهة لذلك بل جل مرغوبها تعلم القراءة والكتابة وقد علم منها هذا الميل من أتلافها مع كتاب والدها وكلما كانت والدتها تمنعها عن الحضور مع الكتاب وتجبرها على تعلم التطريز تزداد هى نفورا من طلب والدتها ولما رأى والدها تلك المحاورات تفرس فيها النجابة وقال لوالدتها دعيها فان ميلها الى القراءة أقرب وأحضر لها اثنين من الاساتذة أحدهما يدعى ابراهيم أفندى مؤنس كان يعلمها القرآن والخط والفقه والثانى يدعى خليل أفندى رجائى كان يعلمها علم الصرف واللغة الفارسية وبعدما تعلمت القران الشريف تاقت نفسها الى مطالعة الكتب الادبية وأخصها الدواوين الشعرية حتى تربت عندها ملكة التصورات لمعانى التشبيهات الغزلية وخلافها ولما صارت قريحتها تجود بمعان مبتكرة لم يسبقها عليها غيرها رأى والدها أن يستحضر لها أساتذة عروضيين من النساء الاديبات وقبل اتمام ذلك صار زواجها من السيد الشريف محمود بك الاسلامبولى ابن السيد عبد الله أفندى الاسلامبولى كاتب ديوان همايونى بالاستانة سابقا وذلك كان فى سنة ١٢٧١ هجرية وهنالك اقتصرت عن المطالعة وانشاد الاشعار والتفتت الى تدبير المنزل وما يلزم له خصوصا حينما رزقت بالاولاد والبنات وبقيت على ذلك حتى كبرت لها بنت كان اسمها توحيدة فألقت اليها زمام منزلها وكان فى تلك الفترة توفى والدها فى سنة ١٢٨٩ وزوجها فى سنة ١٢٩٢ وصارت حاكمة نفسها فأحضرت لها اثنتين لهما المام بالنحو والعروض احداهما تدعى فاطمة الازهرية والثانية ستيتة الطبلاوية وصارت تأخذ عليهما النحو والعروض حتى برعت وأتقنت بحوره وأحسنت الشعر وصارت تنشد القصائد المطولة

والازجال المتنوعة والموشحات البديعة التي لم يسبقها أحد على معانيها ومن ذلك قد جمعت ثلاثة دواوين بالثلاث لغات العربية والتركية والفارسية وقبل أن تشرع في طبعها توفيت كريمتها وحيدة وهي في سن الثامنة عشرة من عمرها فاستولى على المترجمة الحزن والاسف الشديد حيث انها كانت مدبرة منزلها ولم تحوجها الاحد سواها وهنالك تركت الشعر والعروض والعلوم وجعلت ديدنها الرثاء والعديد والنوح مدة سبع سنوات حتى أصابها رمد العيون وهنالك كثرت لواحيها وعواذلها من أولادها وصويحباتها ونهوها التقلع عما هي فيه وأخيرا سمعت قول الناصحين وقللت شيأ فشيأ من البكاء والنوح حتى شفاها الله من مرض العيون فجمعت ما وجدته من أشعارها فوجدت بعضه والباقي تفرق مدة حزنها فجاء منه ديوان بالتركي سمته (شكوفه) وهو تحت الطبع الآن بالاستانة العلية وديوان عربي سمته (حلية الطراز) وقد طبع ونشر وكان له وقع عظيم في النفوس وقبول زائد عند أهل الادب وبعد ذلك رأت نفسها أنها قادرة على التأليف فألفت كتابا سمته (نتائج الاحوال) فجاء غريبا في بابه وقد طبع ونشر أيضا ولما انتشرت مؤلفاتها المذكورة سارت في حديثها الركبان الى أقصى العمران وطار صيتها في الآفاق ووردت اليها التقاريظ من كل جهبذ أديب ولوذعي أريب وجميع ما ورد لها من التقاريظ مكتوب في مؤلفاتها المذكورة التي منها هذا التقريظ الآتي من السيدة وردة اليازجي الذي أبدعت فيه لرقة معانيه على ديوان حلية الطراز وهذا نصه

سيدتي ومولاتي

انني قد تشرفت باطلاعي على حلية طرازكم التي تحلى بها جيد العصر وأخجلت بسبك معانيها خنساء صخر ألا وهي الدرة اليتيمة التي لم تأت فحول الشعراء بأحسن منها وقصر نظم الدر عنها وشنفت بحسن ألفاظها مسامعنا حتى غدا يحسدها السمع والبصر وسارت في آفاقنا مسير الشمس والقمر ولقد تطفلت مع اعترافي بالعجز والتقصير بتقريظ لها وجيز حقير فكنت كمن يشهد للشمس بالضياء أو بالسمو للقبة الزرقاء راجية من لدنكم قبوله بالاغضاء ولازلتم للفضل منارا يسطع وبين الادباء في المقام الارفع بمن الله وكرمه

حبذا حلية الطراز أتت من * مصر تزهو باللؤلؤ المنظوم
حلية للعقول لا حلية الوشي * وكنز المنطوق والمفهوم
أنشأته كريمة من ذوات الـ * ـمجد والفخر فرع أصل كريم
شمس علم تأتي القصائد منها * سائرات في الافق سير النجوم
كل بيت بكل معنى بديع * ماء لي السكر فيه من تحريم
قد أعاد الزمان عائشة فيـ * ـها فعاشت آثار علم قديم
هام قلبي على السماع وأمسى * ذكرها لذتي وفيها نعيمي
هي فخر النساء بل وردة في * جيد ذا العصر زينت بالعلوم
فأدام المولى لها كل عز * ما بدا الصبح بعد ليل بهيم

ومن تقاريظ كتاب نتائج الاحوال التقريظ الآتي ذكره من السيدة وردة اليازجي أيضا وهو

سيدتي ومولاتي

أعرض أنى بينما أنا ألهج بذكر ألطافكم السنية وأتنسم شذا أنفاسكم العبقرية وأترقب اقتفاء أثر من لدنكم يتعلل به الخاطر ويكتحل باثمد مداده الناظر وصلتنى مشرفتكم الكريمة وفريدة عقود ودكم اليتيمة تجلت عن العين أقذاءها ووردت الى النفس صفاءها فتناولتها بالقلب لا بالبنان وتصفحت ما فى طيها من سحر البيان فقلت

هذا الكتاب الذى هام الفؤاد به * ياليتنى قلم فى كف كاتبه

لعمرى انه كتاب حوى بدائع المنثور والمنظوم وتحلى من درر الفصاحة فاخجلت لديه درارى النجوم وقد تطفلت على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقا بتقصيرى وضمنته من مدح سجايا كم الغراء وسايشفع لدى مكارمكم فى قبول معاذيرى لازلتم للفضل معدنا وذخرا وللادب كنزا وفخرا

أتت فشفت بطيب الوصل قلبى * فتاة تيمت قلب المحب
بديعة منظر سلبت فؤادى * ومن لى أن أطالبها بسلبى
جلت وجها كبدر التم لكن * يلوح من الغدائر تحت حجب
لها وشم كخط السحر وافى * لديه الخال بالتنقيط يسبى
فصيحة منطق ناغت بلفظ * كسلسال من الصهباء عذب
أتت تروى لنا عن لطف ذات * غدت بالالطف تسبى كل لب
وقد أهدت تحيات تحاكى * شذا النسمات عاطرة المهب
رسول للولاء دعت فؤادى * فبادر عند دعوتها يلبى
ولاء كريمة من خير قوم * سموا شرفا على عجم وعرب
سراة شاع ذكرهم فأمسى * مناط المدح فى شرق وغرب
لقد ورثوا المعالى من قديم * وصانوها بشفرة كل عضب
هم النجب الاولى كرموا وطابوا * ولم يلدوا كذلك غير نجب
وحسبك منهم خود تبدت * بهذا العصر تخجل كل ندب
فتاة زينت جيد المعالى * بدر من حلى الآداب رطب
أهيم بها على بعد وماذا * على الاقدار ان سمحت بقرب
على مصر السلام وساكنيها * وما فى مصر من ماء وترب
على ربع به قلبى مقيم * ومن لى أن أقيم مكان قلبى
ألا يا من سمت فى كل فضل * ونالت كل خلق مستحب
ومن فاضت مكارمها فأحيت * لدى من القريحة كل جدب
لقد أوليتنى كرما وجودا * بمدح من صفاتك جاء ينبى
ثناء لست منه غير أنى * به فاخرت أترابى وصحبى
ورب مؤلف كالروض أجرت * عليه سما البلاغة أى سحب
تهادت فيه أبكار المعانى * تجر من الفصاحة ذيل عجب
لقد طابت فكاهته وأهدى * لاسقام القرائح خير طب

جلا الحكم التى كانت منارا * لكل بصيرة فى كل خطب
رأيت نتائج الاحوال فيه * ممثلة تلوح بغير نقب
لتيمورية العصر المحلى * بما نسجت يداها كل حقب
أديبة معشر شرفت أصولا * وسارت بين أقلام وكتب
حوت قصب السباق بكل فن * وراضت فى المعانى كل صعب
ودونك غادة عذراء وافت * ببهجة شيق للقالى صب
وانى لو قدرت جعلت ذاتى * بها سطرا ينادى الركب سربى
تقر بعجز من نظمت حلاها * وتلتمس القبول وذاك حسبى

ومن انشاء المترجمة نثرا ما قالته مرة ونشر فى جريدة الآداب يوم السبت الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٠٦ هجرية تحت عنوان (عصر المعارف) وهى

لا تصلح العائلات الا بتربية البنات

انى وان كنت لست أهلا لمجال المقال فى هذا المضمار ومعترفة بقصر اليد عن قبض زمام المنال لاعتكافى بخيمة الازار لكنى أرى من خلال أطرافه أن مناهج التربية ظرف الكنوز وبحدود مسالك التأديب مفاتيح كل جوهر مكنوز فالواجب على كل ذى نفس كريمة أن يميل كل الميل الى تلك السبل الفخيمة ويحث كل عزيز له أن يرتع فى مراتعها القويمة ليحظى بتلك الجواهر اليتيمة مع انى أرى الهيئة الشرقية لا تنظر الا ما هو أمامها من الصالح فتخص به نفسها ولو التفتت الى ما بعد يومها وتفقدته لعضت أنامل الندم على ما فرطت ووجدت بالالتفات الى حكم بارئ النسمات وموجد المخلوقات وهى المصانع البديعة الربانية والمبانى الاصلية الطبيعية صيرورة مدار عمران هذا العالم على الزوجين ولو أمكن الانفراد لخص عالم الاسرار أحدهما دون الآخر وهو الافضل ولم يفقره الى ما هو دونه فكان التأمل فى هيولى هذا الكون موجبا على الهيئة لرجولية العناية بتأديب البنات وتهذيب العائلات لان ثمرة السودد راجعة اليها فلربما انه عقد أمر على الرجل فادهشه فلمته الزوجة بأطراف بنانها الرقيقة وأخمدت جذوة ولوعه بتدابيرها الدقيقة وهو مع ذلك يجتهد فى أن يكتم فضلها بين أفراد الهيئة ويحذر من اعلانه خشية أن يقال هى ذات معلومية فيكدر عيشه الصافى وهذا بخلاف الدولة الغربية فالاسف ثم الاسف على هيئة لم تغض خصها فى هذا النسق البديع ولم تجهد نفسها فى البحث على هذا الشرف الرفيع والعجب ثم العجب على مدينة تشغف بتزيين فتياتها بحلى مستعار وتستعين على اظهار جمالهن بزخرف المعادن والاحجار وتخيل أنه ازادتهن بسطة فى الحسن والدلال والحال أنها ألقت تلك الاحداث فى أخدود الوبال لانه لم يعد عليهن من تلك المستعارات الا العجب والغرور المؤدى بهن الى ساحة المباهاة والفجور وذلك لكف بصيرتهن عن الادراك وعدم علمهن بنتائج الاحوال وعواقب الامور

قد زينت بالدر غرة جبهة * وتوشحت بخمار جهل أسود
وتطوقت بالعقد تبهج جيدها * والجهل يطمس كل فضل أمجد

فلواجتهدت الهيئة الرجالية في حسن سلوكهن بالتربية وجذبتهن بشواهد المدنية الى طرف الاطلاع لتتوجت تلك الغانيات من تلقائها بيواقيت المعلومية وتقلدت بلآلئ التفقه وكلما شبت ألفت خطواتها في طرق الادراك وأدركت مزية حليها الاصيل فزادته جلاء وفطنت بغلاء قيمته فأوقرته بهاء وسناء واستغنت بلمعة شرفه عن أرفع جوهر قماش ولو كان ملبسها ثوبا من الشاش

ان العلوم لاصل الفخر جوهرة * يسمو بها قدر الوضيع ويشرف

فوجودها في درج مهجة فاضل * من حازها بين الانام مشرف

فأستوهبكم العفو يا أرباب العقول عما أقول نحن معاشر المخدرات أدرى منكم بنشأة الاطفال من بنين وبنات اذ من المعلوم أن الطفل حينما صار على كف القابلة بادر أولا بالبكا ثم هجع برهة لفتوره عما لاقاه من التعب لاسيما اطلاق صوته في الصياح الذي لم يكن سبق له ثم يتنبه محركا جيده يمينا وشمالا فاتحا فاه لطلب الغذاء فترضعه أمه فينام على اثر الشبع فترى منه بسمات خفيفة في أثناء نومه وهذا دليل على أن دنيانا دار هم ومحل أحزان وغم كثيرة الجفاء قليلة الصفاء فاذا أخذ الطفل في النمو وبلغ خمسة أشهر كانت أول فطنته معرفة أمه ثم أبيه وتناول الشئ حيث هو منها لا يصاله الى فيه فلكم التأمل في مبنى هذه الاشارة الخفيفة والعبارة اللطيفه ثم كلما اشتدت أعصابه وقويت أعضاؤه علا صياحه فتبادره الوالدة بألحان معدة اليه فيصغي لسماع تلك الالحان واذا ضاق صدره من ألم عالجته بكل حنان وحملته ودارت به من مكان الى مكان فيفرج كربه ويتلطف ألمه وهو يظن ذلك التلطف والتسكين بقدرتها وتبيت في قلق وضنك من الشفقة عليه فاذا عوفي أتى اليه الوالد بما يبهجه وتقر به عينه حسب قدرته فاذا كبر وترعرع وطمحت نفسه للشراسة الطفلية اخترعت له أمه ما يلهيه عن ذلك وخوفته بمخترعات الاسماء منها ما يتخيل به ارهابا واذا صاح ذكرته به واذ تشيطن نادت به اليه فيسكت الطفل وتارة تذكر له أباه ويتوجس به منه شرا فتوقع في قلبه من جهته الرعب فيستعظم قدرته ويكبره في عينه ويجعل هيبته انسان قلبه ومركزذاته

فياليت شعري ماذا يكون من أمر هذه الفقيرة الى العلوم وهي خاوية الوفاض عما تستحقه ان في ذلك لحكما

ان المصابيح ان أفعمتها دسما * أهدت لوامعها في كل مقتبس

وان خلا زيتها جفت فتائلها * أين الضياء لخيط غير منغمس

وكيف تحسن الشفقة الوالدية باساءة المشفق عليه فلو عنيت رجالنا معاشر الشرقيين بتربية بناتهم وأجمعت على تلقين العلوم لهن بمقدار شفقتهم لنالت أرفع مجد وأهنأ جد واعوضت تلك الفتيات عن ذلك القلق براحة العرفان وأوسعت بسواعد معلوميتهن مضيق السلوك الى ساحة الاذعان وقامت بواجبات التدبير وهمت بوقاية أساس حليتها من التدمير لان تخرب الدور بعد انقطاع أهلها طبيعي والطبيعي ليس بضار انما هادم سقف الشرف بصرصر الجهل مع وجود الديار هو العار بل النار ومن المستغربات أن يفرط الغارس في تمهيد الاصل ويأسف على اعوجاج الفرع هو المؤدي به فلو أروت الرجال غرائسها من قرارة المعرفة والعرفان لانكأت في ثقل الاحمال على قويم تلك الافنان وصعدت بمساعدتهن أعلى الدرج وتمسكت بأقوى الحجج ولكن ما زالت متشاهدة في التمنع عن التهذيب بحجة أوهى من بيت العنكبوت وهي أنهن اذا تعلمن الكتابة يعلقن بالهوى ومغازلة السوي بالجوى وبادرن

بالمراسلات ألم يطرق مسامعهم روايات الامين وأحاديث الجاهلين فيارجال أوطاننا وملاك زمام شأننا لم تركتموهن سدى وذهلتم عن مزايا التأمل فى * ماتفعل اليوم ستلقاه غدا * فمن أنكم بخلاتم عن أن تمدوهن بزينة الانسانية الحقيقية ورضيتم بتجردهن عن حليتها البهية وهن بين أنامل سطوتكم أطوع من قلم وخضوعهن لسلطتكم أشهر من نار على علم فعلام ترفعون أكف الحيرة عند الحاجة كالضال المغنى وقد سخرتم بأمرهن وازدريتم باشتراكهن معكم فى الاعمال واستحسنتم انفرادكم فى كل معنى فانظر واعائد اللوم على من يعود

وانى أروم اظهار مقالى هذا ولكنى لم أر ساعدا يكون لى مساعدا حتى منحنى المراد مفتاح درج ما كنه الفؤاد وهى رسالة احدى السيدات التى ترى تربية البنات من الواجبات فيالها من سيدة جاءت بلوامع انتباهها فى الليلة الليلاء سرجا ورقت بقوة ادراكها فى هذا السبق درجا وأنشقت أذهان السامعين من زهر فطنتها أرجا وكللت بإثمد نصحها عيون الناظرين فأحيت بصيره وأدارت أسنة اللوم عنهن لانهن بقدرهن خبيرة فحق لى أن أهنئ المخدرات بفضل تلك المشارة التى شنفت مسامع الايقاظ بهذه الاشارة هذا وانى أرى أنجم مصابيحها الغراء تنور بين أيدى الفضلاء وتهدى أن يميل كل دان بالالتفات الى ذلك الثناء المشهود وتشغف كل مبصر بقبس منه يوصله الى سبيل المقصود والسلام على من اتبع الهدى

ومن مراسلاتها الى السيدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجى ردا على خطاب ورد للمترجمة منها وهو

بسم الله أقول وعزة ما ثر البراعة وعذوبة مذاق مزايا البلاغة انى لاغبط كتابى لدى لقاء من أودى اليه جوابى فلو تطاوعنى الارادة لقرنت عين الانسان بكل عين من حروفه وصيرت نفس مرآة العيان قرطى مظروفه أو قبل الشمل هدايا لجعلت قربانه أبعد أورام أعظم رشوة وهبت اليه وجدا لم أجد له حد وذلك عندما أقبل كتابكم من سماء المعانى بعبقرى الخطاب ونقشت رقة أرقام زبدة معانيه على صحاف الصدر فنطق الجنان قبل اللسان بالترحاب فلله در كتاب ما نطقت ولادة الابحر وف هجائه وما تغزل قيس الابالفاظ كادت تدانى براعة بدايته قد أسس بشير براعه بخلاصة تأثير ما له حديقة الحق بالود وسقى عطير مداده غرائس صدق تفتر عن كل غرام ووجد وقد عن لى أن أتتوج بتلك الحلية التى توسطت فى فتح باب يانعة الوداد وأنا التى نشيق تفاحات وردتها هى لانتعاش الروح عين المراد فاملى أن لا تبخلى على بتلك العاطرة ما هب الصبا كما أنك لا تبرحين من بالى ما لاح كوكب لا زال سناء عرفانك لانحاب تيجان الربا وذكاء بهائك يبدى سلام من حلها حبكم وصبا

ومن مراسلاتها للسيدة وردة المذكورة أيضا

أستهل براعة سلام حمل الشوق رسالته وتقلد الشفق ما نشقت ناشقة عرف الوداد كفالته ولورضيت المجال فى صدق المقال لنطق بخالص الوفا مداد حروفه وأقام بأداء التحية العاطرة قبل فض ختام مظروفه ولعمرى قد توجته أزاهر الثناء بلآلئ غراء وكللته زواهر الوفاء من خالص الوداد الى حضرة من لا تزال تستروح الاسماع بنسيم أنبائها اصباحا ومساء وتشوق الارواح الى استطلاع بدر انسانها الكامل أطرافا وآناء وما ازادنى شوقا الى شوق حتى لقد شب فيه طفل الشفق عن الطوق اجتلائى حديقة الورد القدسية ونافحة الادب المسكية فيالها من حديقة رمقتها أحداق الاذهان فاقتبست نورا ونورا واتنشقتها مسام

الا ذان فملت طرباوسرورا ومنذ سرحت فى أرجاء تلك اليانعة انسان العيون وشرحت بافكار البصيرة أسرار ذلك الدر المصون لم أزل بين طرب أو توشح بوشاحه وأدب أتعجب من حسن اختتامه وافتتاحه وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيونا ملكت منى الحواس وأهصر من غصون ألفاتها كل ممشوق أهيف مياس وأتأدب فى حضرة وردها خوفا من شوكة سلطانه وان حياتى بجميل الالتفات ضاحكة عن نفيس جمانه واذا بالياسمين الغض قد ألقى نفسه على الثرى ونادى بلسان الافصاح هل لهذه النضرة نظيرة يا ترى فاشار المنثور بكفه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة ونطق الزنبق بلسان البيان لا تكتموا الشهادة فعند ذلك صفق الطير بأكف الاجنحة وبشر وجرى الماء لاذاعة نبأ السرور فعثر بذيل النسيم وتكسر وتمايلت أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث وأخذت نسماتها العاطرة فى السير الحثيث اذاعة لتلك البشائر فى العشائر ونشرا لهذه الفضائل التى سارت مسير المثل السائر فقلت بلسان الصادق الامين بعد تحقق هذا النبأ اليقين هكذا هكذا تكون الحديقة والا وكذلك كذلك لتكتب الفضائل وعلى

وحدثتنى ياسعد عنهم فزدتنى * غراما فزدنى من حديثك ياسعد

فاحمل عنى أيها الصديق تحية الى ربة هاتيك الحديقة واشرح لديها حديث شغفى بفضلها الباهر على الحقيقة واعتذر عن كتابى هذا فقد جاءنى على استحياء وكلما حرضه الشوق على القدوم يبطئه الحياء وكيف وقد حل فى منبع الفضائل والمقام الذى لم يدع مقالا لقائل فكأنى انما أهدى التمر الى هجر وأمنح البحر الخضم بالمطر أدام الله معالى تلك الحضرة وزادها فى كل حال بهجة ونضرة مالاح جبين هلال وبلغ غاية الكمال ومن شعرها البديع قولها

بيد العفاف أصون عز حجابى * وبعصمتى أسمو على أترابى
وبفكرة وقادة وقريحة * نقادة قد كملت آدابى
ولقد نظمت الشعر شيمة معشر * قبلى ذوات الخدر والاحساب
ماقلته الا فكاهة ناطق * يهوى بلاغة منطق وكتاب
فبنية المهدى وليلى قدوتى * وبفطنتى أعطيت فصل خطابى
لله در كواعب نسبوا لها * نسج العلا لعوانس وكعاب
وخصصن بالدر الثمين وهامت الـ * خنساء فى صخر وجوب صعاب
فجعلت مرآتى جبين دفاتر * وجعلت من نقش المداد خضابى
كم زخرفت وجنات طرسى أنملى * بعذار خط أو اهاب شبابى
ولكم أضاشمع الذكا وتضوعت * بعبير قولى روضة الاحباب
منطقت ربات النهى بمناطق * يغبطنها فى حضرتى وغيابى
وحللت فى نادى الشعور ذوائبا * عرفت شعائرها ذوو الانساب
عوذت من فكرى فنون بلاغتى * بتميمة غرا وحرز حجاب
ماضرنى أدبى وحسن تعلمى * الا بكونى زهرة الالباب
ماساءنى خدرى وعقد عصابتى * وطراز ثوبى واعتزاز رحابى

ماعاقنى خجلى عن العلياولا * سدل الخمار بلمتى ونقابى
عن طى مضمار الرهان اذاشتكت * صعب السباق مطامح الركاب
بل صولتى فى راحتى وتفرسى * فى حسن ماأسمى لخيرمآب
ناهيك من سر مصون كنهه * شاعت غرابته لدى الاغراب
كالمسك مختوم بدرج خزائن * ويضوع طيب طيبه بعلاب
أوكالبحار حوت جواهر لؤلؤ * عن مسها شلت يد الطلاب
درّ لشوق نوالها ومنالها * كم كابد الغواص فعل عذاب
والعنبر المشهور وافق صونها * وشؤنه تتلى بكل كتاب
فأنرت مصباح البراعة وهى لى * منح الاله مواهب الوهاب

وقولها وقد توسلت بالمقام النبوى صلى الله عليه وسلم

أعن وميض سرى فى حندس الظلم * أم نسمة هاجت الاشواق من اضم
جدد الى عهدا بالغرام مضى * وشاقنى نحو أحبابى بذى سلم
دعا فؤادى من بعد السلو الى * من كنت أعهد فى قلبى من القدم
وهاجنى لحبيب عشق منظره * يمحو ويثبت مايهواه من عدمى
يمحو سلوى كما يمحو اساءته * حتى له فعذابى فيه كالنعم
رام الوشاة سلوى عن محبته * ولم أوف لهم عذلا ولم أرم
كيف استتار الجوى يامن تملكنى * وشاهد العشق فى العشاق كالعلم
فياله معرضا عنى ومعترضا * بين الفراغ وقلبى فهو متهمى
حسبى من الحب ماأفضى الى تلفى * ومالقيت من الآلام والسقم
انى رددت عنانى عن غوايته * وقلت يانفس خلى باعث الندم
ولذت بالمصطفى رب الشفاعة اذ * يدعو المنادى فتحيا الناس من رمم
طه الذى قد كسى اشراق بعثته * وجه الوجود سناء الرشد والكرم
طه الذى كملت أنوار سنته * تيجان أمته فضلا على الامم
نعم الحبيب الذى من الرقيب به * وهو القريب لراجى المجد والنعم
روحى الفداء ومن لى أن أكون له * هذا الفداء وموجودى كمعدم
وماهى الروح حتى أفتديه بها * وهى البقاء بقاء الطل والظلم
والعمر أوفت ثقال الوزر لحته * وبددته صروف الدهر بالتهم
أين الرشاد الذى أعددته لغد * غويت عنه فزلت بالهوى قدمى
من لى بترب رحاب لوأفوز بها * كحلت عينا أفاضت دمعها بدم
من لى باطلال بان عزمنظرها * تسقى بطل من الآماق منسجم
تحط أثقال وزر لاتقوم بها * شم الرواسى من راس ومنهدم
كم ينبع زلال قد فاض من يده * أروى الاوام وأسقى منه كل ظمى

والجذع

والجذع أنّ له من بعده جزعا * لما نأى عنه مولى العرب والعجم
لانت له الصخرة الصماء طائعة * مذ مسها سيد الكونين بالقدم
فيا لها معجزات ما لها عدد * أقلها ما بدا نار على علم
ولا يحيط به مدحي ولو جعلت * جوارحي ألسنا ينطقن بالحكم
وانما أرتجي من مدحه قبسا * يهدي الصراط ويشفي الروح من ألم
وكيف لي باتعاظ النفس آمرتي * بالسوء ناهيتي عن مورد النعم
فما التماسي عن خير يقربني * الى النعيم ولا أسقى بمنتظم
لكنّ لي أسوة أشفي بها وصبي * حسن ارتباطي بحبل غير منفصم
ومنة الله دين وصفه قيم * لحجتي ان أخف يوم اللقا يقم
وما سوى فوز كوني بعض أمته * ذخرا أفوز به من زلة الوصم
الا التماسي عفوا بالشفاعة لي * من خاتم الرسل خير الخلق كلهم
مددت كف الرجا أرجو مراحمه * وقد حللت به في شهره الحرم
محمد المصطفى مشكاة رحمتنا * مصباح جنتنا في بعثة الامم
يا من به أقتدي يوم الزحام اذا * أبديت ناصية مفحومة الوسم
أقول حين أوافي الحشر في خجل * ان الكبائر أنست ذكرة اللمم
يا خير من أرتجي ان لم تكن مددي * وازلتي يوم وضع القسط واندمي
فاشفع بحب الذي أنت الحبيب له * لولاك ما أبرز الدنيا من العدم
عليك أزكى صلاة الله ما افتتحت * أدوار دهر وما والت بمختتم

وقولها غزلا

منشور حسنك في الحشا سطرته * ورقيم خطك طالما كررته
سطر العذار تلونه فوجدته * يومي لسفك دمي وقد سلمته

وقولها في الخمريات

لاح الصبوح وبهجة الاوقات * فاشرب وعاطي الصب بالكاسات
واجلب براحك للقلوب تروحا * فالراح تبدع نشأة اللذات
وانهض فديتك فالزمان مراقبي * فالحظ لي في كل يوم آتي
ودع الوشاة وما تقول عواذلي * فالعين عيني والصفات صفاتي
دعني ومالي في الفؤاد بحبها * لما صبا بشقائق الوجنات
لا غرو أن كان الرشيق يديرها * في معهد الغزلان والبانات
فأنا الاسير بظل روض كرومها * ولو آن في عتق هنيّ حياتي
وأنا الشهيد بحب ذوق عصيرها * ان كان في حب الكؤس مماتي
جهل العواذل ما تريد بشربها * نفسي وما تلقي من السكرات
تسليني عن جفوة أم صبوة * لفؤادي المضني من الحسرات

شتان بين ظنونهم وسرائرى * والله يعلم منتهى غاياتى
كم باتت الاحداق يسقى طلها * روض الجوى وحدائق اللوعات
ياعاذلى كف الملام فاننى * صب بدت بين الورى اياتى
قل ماتشاء فان قولك مطربى * وحديث من أهوى دواء علاتى
ان شئت لمنى أو فهدد وانته * فأليم لومك فى الهوى لذاتى
لعبت بى الاشجان حتى اننى * لم أدر من أهوى ومن هو ذاتى
ورسابى الشوق الخؤن لمعهد * أهواه على أم غرفة الجنات

وقولها تهنئة بمولود

تجلى النور فى أفق المعالى * وحل البدر فى أوج الكمال
وأزهرت الكواكب مسفرات * عن البشرى كاشراق الليالى
وأبدى الدهر مولودا زكيا * تلوح عليه ايات الجلال
عطارده بلائحة التهانى * أتى الاعتاب والاقبال عالى
فالبسنا من الافراح تاجا * وكلله بأنواع اللآلى
فطب صدرا وقر به عيونا * ودم فرحا بهاتيك الخلال
فشكاة السعود لديك تنمو * وعباس على النصر غالى
مخايله الشريفة معلنات * بأن سيكون فى أبهى الخصال
ويقفو الشبل فى وصف أباه * كما يقفو الرشا أثر الغزال

وقالت مشطرة لهذين البيتين

وليلى ماكفاها الهجر حتى * أطالت فى دجى ليلى أنينى
وكل تجلدى بالصبر لما * أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها ارحمى الامى قالت * كذا خط اليراع على الجبين
فدع قلق الصغار وكن صبورا * وهل فى الحب يا أمى ارحمينى

وقالت فى تشطيرهما أيضا

وليلى ما كفاها الهجر حتى * أرتنى جرح قلبى بالعيون
وماقنعت بسفك دمى ولكن * أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها ارحمى الامى قالت * يا أمى قد بليت فمن معينى
أترحم فى الغرام وأنت صب * وهل فى الحب يا أمى ارحمينى

وقالت فى ذلك أيضا

وليلى ما كفاها الهجر حتى * أذاعت بعد كتمان شجونى
وحين تبينت ايات وجدى * أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها ارحمى الامى قالت * جننت وفى الهوى بعض الجنون
وهبنى كنت أمك كيف أحنو * وهل فى الحب يا أمى ارحمينى

وقالت مخمسة للبيتين المذكورين

إليك معنى يكفيك إفتنا * جهلت صبابتي أم هل عرفتا
فلا أقوى عليك وأنت أنتا * وليلى ما كفاها الهجر حتى
أباحت في الهوى عرضي وديني
بروض جمالها أمست وقالت * وان عثر المتيم ما أقالت
وكم صدت وفي هجري أطالت * فقلت لها ارحمي الأمي قالت
وهل في الحب يا أمي ارحميني

وقالت تهنى الخديوى السابق

كللت تاج البدر قربا بالشرف * مذ حل في مصر ركابك وانعطف
طربت بمقدمك السنى وعطفه * مصر السعيدة والسرور بها هتف
لما عزمت عزمت يصحبك الثنا * والعود جدد بالهنا ما قد سلف
وتزينت بكر الحبور وأصبحت * مجلوة بين الرفاهة والترف
وتجملت مصر بما جاء الهنا * ورخيم مطربها على عود عكف
وبك الامانى قد تبسم ثغرها * والصفو مال بقده حسن الهيف
وتراقصت مهج النفوس لبشرها * كبلابل غردن في روض أنف
أضحى يقول بسعد بابك نيلها * أقبل على بحر الوفاء ولا تخف
والله يا مصباح مشكاة العلا * بك سرت الدنيا ومن فيها شغف
رقت جمال بها قدومك عصمة * بمداد تحرير سناه شنى وشف
وبحجم في معرب قد أرخت * كللت تاج البدر قربا بالشرف

وقالت ترثى ابنتها

ان سال من غرب العيون بحور * فالدهر باغ والزمان غدور
فلكل عين حق مدرار الدما * ولكل قلب لوعة وثبور
ستر السنا وتحجبت شمس الضحى * وتنقبت بعد الشريف بدور
ومضى الذى أهوى وجرعنى الاسى * وغدت بقلبى جذوة وسعير
ياليته لما نوى عهد النوى * وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بما حشاشتى * نار لها بين الضلوع زفير
لو بث حزنى في الورى لم يلتفت * لمصاب قيس والمصاب كثير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى * سحرا وأكواب الدموع تدور
فتناولت منها ابنتى فتغيرت * جنات خد شانها التغيير
فذوت أزاهير الحياة بروضها * والقد منها مائس ونضير
لبست ثياب السقم في حفر وقد * ذاقت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا * ان الطبيب بطبه مغرور

وصف التجرع وهو يزعم أنه * بالبرء من كل السقام بشير
فتنفست للحزن قائلة له * عجل ببرئى حيث أنت خبير
وارحم شبابى إن والدتى غدت * ثكلى يشيرلها الجوى وتشير
وارأف بها قد حرّمت طيب الكرى * تشكو السهاد وفى الجفون فتور
لما رأت يأس الطبيب وعجزه * قالت ودمع المقلتين غزير
أماه قد كلّ الطبيب وفاتنى * مما أؤمل فى الحياة نصير
لو جاء عرّاف اليمامة يبتغى * برئى لردّ الطرف وهو حسير
ياروع روحى حلها نزع الضنى * عما قليل ورقها سيطير
أماه قد عز اللقاء وفى غد * سترين نعشى كالعروس يسير
وسينتهى المسعى الى اللحد الذى * هو منزلى وله الجموع تصير
قولى لرب اللحد رفقا بابنتى * جاءت عروسا ساقها التقدير
وتجلدى بازاء لحدى برهة * فتراك روح راعها المقدور
أماه قد سلفت لنا أمنية * يا حسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضت وتخلفت * مذبان يوم البين وهو عسير
عودى الى ربع خلا وما ثر * قد خلفت عنى لها تأثير
صونى جهاز العرس تذكارا فلى * قد كان منه الى الزفاف سرور
جرّت مصائب فرقتى لك بعد إذ * لبس السواد ونفذ المسطور
والقبر صار بغصن قدّى روضة * ريحانها عند المزار زهور
أماه لاتنسى بحق بنوّتى * قبرى لئلا يحزن المقبور
ورجاء عفو أو تلاوة منزل * فسواك من لى بالحنين يزور
فلعلما أحظى برحمة خالق * هو راحم بر بنا وغفور
فأجبتها والدمع يحبس منطقى * والدهر من بعد الجوار يجور
بنتاه يا كبدى ولوعة مهجتى * قد زال صفو شأنه التكدير
لاتوصى ثكلى قد أذاب فؤادها * حزن عليك وحسرة وزفير
قسما بغض نواظرى وتلهفى * مذ غاب انسان وفارق نور
وبقبلتى ثغرا تقضى نحبه * فحرمت طيب شذاه وهو عطير
والله لا أسلو التلاوة والدعا * ماغردت فوق الغصون طيور
كلا ولا أنسى زفير توجعى * والقد منك لدى الثرى مدثور
انى ألفت الحزن حتى إننى * لو غاب عنى ساءنى التأخير
قد كنت لا أرضى التباعد برهة * كيف التصبر والبعاد دهور
أبكيك حتى نلتقى فى جنة * برياض خلد زينتها الحور
ان قيل عائشة أقول لقد فنى * عيشى وصبرى والاله خبير

ولهى على توحيدة الحسن التى * قد غاب بدر جمالها المستور
قلبى وجفنى واللسان وخالقى * راض وبالك شاكر وغفور
متعت بالرضوان فى خلد الرضا * ما زينت لك غرفة وقصور
وسمعت قول الحق للقوم ادخلوا * دار السلام فسعيكم مشكور
هذا النعيم به الأحبة تلتقى * لاعيش إلا عيشه المبرور
ولك الهناء فصدق تاريخى بدا * توحيدة زفت ومعها الحور

وقولها غزلا

ملك الفؤاد وقد هجر * بدر المحاسن مذ ظهر
عذب الرضاب مهفهف * يسبى المتيم بالحور
ماحيلتى فى حبه * إلا الخضوع لما أمر
من منجدى وجفونه * منها المحب على خطر
واحيرتى فى حبه * واطول شجوى بالخفر
أشكو الغرام ويشتكى * جفن تعذب بالسهر
ياقلب حسبك ماجرى * أحرقت جسمى بالشرر
رام الحبيب لك الضنى * لمذا وأنت له مقر
لكن تعذيب الهوى * ماللشجى منه مفر
قابلته متثنيا * ناهيك من غصن خطر
وأتيته متبسما * كالبدر لما أن سفر
يابدر حكمك الهوى * فاحكم وننفذ ما أمر
ألق الوشاح وخلنى * أصلى سعيرا فى سقر
وعن العذار فلا تسل * ولأنت أولى من عذر
ودع الظلام على الضيا * واستر بطرتك الغرر
سامت بها الثغر الذى * يفتر عن غالى الدرر
واصدع بحسنك وافتخر * تيها بجيدك والطرر
فالشمس تخجل عندما * تبدو ويستحيى القمر

وقولها غزلا أيضا

ملك الفؤاد وقد رشى * بدر تكنى بالرشا
عذب الرضاب مهفهف * يسبى الشجى اذا مشى
ماحيلتى فى حبه * إلا سعير فى الحشا

وقالت مخمسة

وعذرى الهوى العذرى وهو يمين * به مقسم التبريح ليس يمين
لأفتك من ضرب الصفاح تبين * عيون عن السحر المبين تبين
* يسالمها المشتاق وهى تخون *

عجبت لها تنسى وقلبى حافظ * وإنسانها ينسى النهى وهو واعظ
وأعجب من ذا الفتك وهى لواحظ * مراض صحاح ناعسات يواقظ
* لها عند تحريك الجفون سكون *
فما آها الهام رنى على شدة القوى * وهاروت عن أجفانها السحر قد روى
ولا ذنب للولهان فى لوعة الجوى * اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى
* وأومت بلطف حل فيه فتون *
يقاد لها طوعا أسيرا وطالما * أضاعت بوادى التيه صبا ومغرما
وكم فوقت سهما وكم سفكت دما * وما جردت من مرهفات وإنما
* تقول له كن مغرما فيكون *

وقولها فى صدر جواب

سلام قد حوى منظوم در * سلوا عنه الرسالة حين عنت
ولو رامت تعبر عن ضميرى * وما لاقى بكم قلبى لغنت

وقالت استغاثة

أين الطريق لأبواب الفتوحات * أين السبيل الى نيل العنايات
أين الدليل الذى أرجو الرشاد به * الى سبيل المعالى والهدايات
أين السلوك الذى أسرار محتده * مصباح نور لمشكاة المناجاة
أين الخلوص الذى آثاره سبقت * يوم الرحيل الى دار السعادات
كيف الخلاص وأحداث الشقا وطنى * وقد رمتنى بها أيدى الشقاوات
كيف المسير الى أرض المنى وأنا * بطاعة النفس فى قيد الضلالات
كيف العدول بقصد السبل عن عوج * أمضى بسعى الى دار الندامات
كيف الرحيل بلا زاد وراحلة * تحث سيرى لأرض الاستقامات
ولى حقائب بالأوزار مثقلة * وعيس كدحى كلت عن مراداتى
فيا أولى الحزم حلوا عقد مشكلتى * وكيف أبلغ أقطار السلامات
عتبت نفسى على ماضاع من عمرى * فى ملهيات وغفلات وزلات
فخالفت مقصدى جهلا وما اتعظت * ولجة العمر ولت فى الخسارات
فلو بكت مقلتى للعشر ماغسلت * ذنوب يوم تقضى فى الجهالات
ولو تبدد قلبى حسرة وأسى * على الذى مر من تفريط أوقاتى
لم يجد لى غير دق الكف من ندم * على عظيم إساآتى وغفلاتى
إن طال خوفى فقد أحيا الرجا أملى * فى غافر الذنب خلاق السموات
فاز المخفون واستن التقاة الى * دار السلام وفردوس الكرامات
وكان شغلى خضوعى زاتى أسفى * ووضع خدى على أرض المذلات
وطوع أمارتى بالسوء قيدنى * عن الوصول لغايات الكمالات

فلم يسعنى بأثقال الذنوب سوى * ساحات غفران علام الخفيات

وقولها

مرارة الصبر خصت بالحلاوات * وجدت فى مرّها حلوى السلامات
صيانتى فى كهوف الصبر أنفع لى * من حصن كسرى ومن أعماق أغمات
كم بات دهرى يرينى نهج تربيتى * فينثنى بقبولى وامتثالاتى
وما احتجابى عن عيب أتيت به * وإنما الصون من شأنى وغاياتى
وكلما شبّ دهرى فى معاندتى * لم يلق منى له الا الاطاعات
وكلما آدنى ظلما بمثقلة * عدلت سيرى كما يرضى بمرضاتى
كم قابلتنى ليال ريحها سعر * بطيئة السير ترمى بالشرارات
لاقيتها بجميل الصبر من جلدى * وبت أسقى الثرى من غيث عبراتى
كم أقعدتنى أيام بصدمتها * وقمت بالعزم مشهور العنايات
وكم حليفة سعد إذ تعنفنى * تقول سعيك مذموم النهايات
فأخفض الطرف من حزن أكابده * وأهمل الدمع من تلك المقالات
وكم وضعت بأرض الظلم ناصيتى * فقمت من سجدتى أتلو تحياتى
وكم شكرت بفضل العذل عاذلتى * ان أحسنت أو أطالت فى إساآتى
وما منحت بيوم قد أتى غلطا * بالانس إلا وقامت فيه غاراتى
ومذ أتت عذلى تبغى مصادرتى * ظلما منحتهم أسنى الكرامات
وكلما عددوا ذنبا رميت به * بسطت للعفو راحات اعترافاتى
وكلما حرروا منشور مظلمتى * وأثبتوا فى الورى ظلما جناياتى
أظهرت شكرى لهم بالرغم عن أسفى * وكان ما كان من فرط التهاباتى
ولم أفه لذوى ودّ لمعرفتى * أن الحبيب حبيب فى المسرّات
أقوم والضيم تطوينى نوائبه * طىّ السجلّ ولم أسمعه أناتى
أخفى الاسى إن حسود جاء يسألنى * لأين يسعى وأومى لابتهاجاتى
إن ضل سعيى فهادى الصبر يرشدنى * الى طريق رشادى واستقاماتى
ولم أزل أشتكى بثى ومظلمتى * لعالم الجهر منى والخفيات
علت ولاة الصفا أشهى نجائبها * لتقتضى الفوز من وادى المودّات
وبت باليأس فى بطحاء متربتى * وكان شغلى يضحى دق راحاتى
أقول للصبر لا عتب على زمن * أعطى لأبنائه أسمى العطيات
فقال مهلا ولا تغرر لشوكتهم * فالصحو يعقبه سود الغمامات
فليس كل ملوم دام مكتئبا * وما السعيد سعيد للملاقاة
فدهرهم غرّهم جهلا وما علموا * أن الزمان قريب الالتفاتات
فما توارت بغاة الغم من أسفى * حتى أناخوا بأجبال النكايات

تذكر الدهر عادات له سلفت * وقد نسوها بحانات الخلاعات
ورد دهري سهام الحقد صائبة * إليهم فغدوا في شر حالات
فما استطابوا أمانيهم ولاقنصوا * حتى استوينا بكهف الاعتكافات
قال الدهاة سهام الدهر قد وقعت * من ذلك الجمع في كشح ولبات
فقلت أنعم به من حاذق فطن * وإنه لحقيق بالعدالات
ظنوا الزمان أباح السعد طالعهم * وأنه اختص نجمي بالنحوسات
والصبر أشهدني ما كنت أغبطهم * عليه عادا عتبارا في العبارات
فلا يهولنك حرمان بليت به * ولا يغرنك اقبال غدا آتي
كلاهما والذي أنشاك من علق * يفنى ويعدم في بعض اللمحات
أين الملوك الألى كانت أوامرهم * محدودة كسيوف مشرفيات
تمحي وتثبت مارامت ومارفضت * بين الأنام بأقوال سميات
قد أحكم الدهر ماهم فالبثوا * حتى انطووا في الثرى طي السجلات
فكم مضى عزمهم في عز سطوتهم * قولا وفعلا بتسديد الرياسات
وكم سرى في الورى منشور سلطتهم * شرقا وغربا بأنواع السياسات
يؤب بالعجز أقواهم اذا ألم * به ألم ويبدى شر حسرات
يلوذ ضعفا بأذيال الطبيب وما * يغني الطبيب لدى فتك المنيات
وكم لفقد عزيزهم سكبت * مدامع كن بالنعما مصونات
وطالما أحرقت حسراتهم كبدا * تضعضعت منه أركان الشهامات
فلا تقل لي متاع وهو عارية * واليأس عندي راحات استراحاتي
وقد بسطت أكف الذل ضارعة * لخالق الخلق جبار السموات
وبت أدعو عليم السر قائلة * ياغافر الذنب جد لي باستجاباتي
يا كاشف الضر عن أيوب مرحمة * حين استغاثك من مس المضرات
وصاحب الحوت قد أنجيته كرما * لما دعا بابتهال في الضراعات
أنقذته يا إله العرش من ظلم * لظلمه النفس لاقته باعنات
وابيضت العين من يعقوب وانسكبت * حزنا على يوسف في فيض عبرات
وقد شكا البث للرحمن عادله * نور العيون قرينا بالمسرات
ويوسف السيد الصديق حين دعا * في ظلمة السجن من أسنى العنايات
ومذ علمت باخلاص الخليل غدا * والنار من حوله في روض جنات
عادت سلاما وبردا بعدما اشتعلت * ولم يفه من يقين بالشكايات
وقد رفعت يمين الذل داعية * إليك يارب أرجو غفر زلاتي
ربي الهي معبودي وملتجئي * إليك أرفع بثي وابتهالاتي
قد ضرني طعن حسادي وأنت ترى * ظلمي وعلمك يغني عن سؤالاتي

فامنن عليّ بألطاف لتخرجني * من الضلال الى سبل الهدايات
أنت الخبير بحالي والبصير به * فافتح لهذا الدعا باب الاجابات
فكيف أشكو لمخلوق وقد لجأت * لك الخلائق في يسر وشدات
فيا الهامن جراح كلما اتسعت * أعيت طبيبي رغما عن مداواتي
أنت الشهيد على قول أفوه به * مادمت عائشة فاحمد غاياتي

﴿عائذة المدنية﴾

أم ولد حبيب بن الوليد المرواني * كانت جارية حالكة اللون تروي عن الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة المنورة وهبها محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان لحبيب بن الوليد المرواني فقدم بها الى الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها وفرط ذكائها واتخذها الفراشه وبقيت عنده معززة مكرمة الى أن توفاها الله تعالى

﴿عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية﴾

كانت من أوفر النساء القرشيات عقلا وأحلاهن منطقا وأحسنهن تصورا وتبصرا ومما روي عنها أنها قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلثة أيام رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وتخوفت أن يدخل على قومك شرّ أو مصيبة فاكتم عليّ ما أحدثك قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث وأرى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بأعلى صوته انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخلتها منها فلقة قال العباس ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل هشام ورهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال لي يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت اليه حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبد مناف متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وماذاك قال الرؤيا التي رأتها عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنها قالت انفروا في ثلاث فنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن ما قالت حقا فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتابا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان اليه مني كبيرا الا أن جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيأ قال ثم تفرقنا فلما أمسينا لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع برجالكم ويتناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غيرة بشيء مما سمعت قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من كبير وايم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفينكموه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت

المسجد فرأيته والله انى لأمشى نحوه العرضنة ليعود لبعض ما كان فأوقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرقا أن أشاتمه فاذا هو قد سمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى يامعشر قريش اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان بن حرب قد عرض لها محمد فى أصحابه لاأرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا وقالوا لايظن محمد وأصحابه أن يكون كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا وأرغبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان ذلك فى وقعة بدر وخبرها مشهور ومن شعرها قولها ترثى أباها مع اخوتها فى حال حياته حين طلب منها ذلك

أعينىّ جودا ولا تبخلا * بدمعكما بعد نوم النيام

أعينىّ واستعبرا واسكبا * وشوبا بكاءكما بالمدام

أعينىّ واستخرطا واسجما * على رجل غير نكس كهام

على الجحفل (١) فى النائبات * كريم المساعى وفىّ الذمام

على شيبة الحمد وارى الزناد * وذى مصدق بعد ثبت المقام

وسيف لدى الحرب صمصامة * ومردى المخاصم عند الخصام

وسهل الخليقة طلق اليدين * وفٍ عدملىّ صميم اللهام

تبنك فى باذخ بيته * رفيع الذؤابة صعب المرام

﴿وقولها فى الحماسة﴾

سائل بنا فى قومنا * وليكف من شرّ سماعه

قيسا وما جمعوا لنا * فى مجمع باق شناعه

فيه السنوّر والقنا * والكبش ملتمع قناعه

بعكاظ يعشى الناظـ * ـرين اذاهم لمحوا شعاعه

فيه قتلنا مالكا * قصرا وأسلمه رعاعه

ومجدّلا غادرنه * بالقاع تنهسه رباعه

ولها أشعار كثيرة غير هذه لم نقف عليها العدم ورودها فى كتب التاريخ

(١) هكذا فى الاصل والشطر غير مستقيم الوزن ولعله سقط منه كلمة نحو الجار أو الثبت اه مصححه

﴿عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل﴾

كانت من الفصاحة على جانب عظيم وقد أعطيت شطر الحسن فعشقها عبد الله بن أبى بكر الصديق وكلف بها حتى كاد أن يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لم يشتغل بسواها فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو لايدرى وجاء أبوه فوجده عندها فقال له أجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم نرتب فى ذلك ولم نقل شيأ وقد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها واعتزل ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فأنشد

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمرى الحمام المطوق

لها منطق جزل ورأى ومنصب * وخلق سوى فى حياء ومصدق

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلى فسمعه فرق له فقال له راجعها ثم ضمها اليه وأعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده وأنشد

أعاتك قد طلقت من غير ريبة * وروجعت للامر الذى هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح * على الناس فيه ألفة وتباين

وما زال قلبى للتفرق طائرا * وقلبى لما قد قدر الله ساكن

ليهنك أنى لا أرى فيك سخطة * وأنك قد تمت عليك المحاسن

فانك ممن زين الله وجهه * وليس لوجه زانه الله شائن

فلما قتل بالطائف رثته فقالت

رزئت بخير الناس بعد نبيهم * وبعد أبى بكر وما كان قصرا

فلله عينا من رأى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الأسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الموت أحمرا

فآليت لا تنفك عينى سخينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة * وما طرد الليل الصباح المنورا

وتزوجها عمر بعد أن استفتى عليا فى ذلك فأفتى بأنها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها على بقولها فآليت لا تنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ثم تزوجها بعده الزبير وبعده الحسين بن على عليه السلام حتى قال عمر من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت انى لأضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عاتكة ترثى عمر بن الخطاب

عين جودى بعبرة ونحيب * لا تملى على الامام النجيب

فجعتنى المنون بالفارس المعـ * ـلم يوم الهياج والتلبيب

عصمة الناس والمعين على الدهـ * ـر غياث المنتاب والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس شعوب

ولها فيه أيضا

وفجعنى فيروز لا در دره * بأبيض تال للكتاب نجيب

رؤف على الدانى غليظ على العدا * أخى ثقة فى النائبات منيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت ترثيه أيضا

من لنفس عادها أحزانها * ولعين شفها طول السهد

جسد لفف فى أكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

فيه تفجيع لمولى غارم * لم يدعه الله يمشي بسبد

وقالت ترثي الزبير وتخاطب عمرو بن جرموز الذي قتله غدرا عند رجوعه من حرب الجمل

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد
إن الزبير لذو بلاء صادق * سمح سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه * عنها طرادك يا ابن فقع القردد
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله * فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وقالت ترثي الحسين عليه السلام

وحسينا ولا نسيت حسينا * أقصدته أسنة الاعداء
غادروه بكربلاء صريعا * جادت المزن في ذرى كربلاء

عاتكة ابنة معاوية بن أبي سفيان الأموي

كانت في الحسن أعجوبة زمانها وفي الادب نادرة أقرانها تعلمت الغناء وضرب العود ولها فيه بعض ألحان وكان يختلف اليها بعض مغنيات مكة والمدينة فتحسن صلتهن وتجيزهن وتطلب منهن أن لا يقطعن عنها

وفي بعض السنين لم يأتها أحد من مكة والمدينة فاستأذنت من أبيها أن يسمح لها بالحج فسمح لها فتجهزت بجهاز عظيم لم ير مثله وسارت على البر تحملها ورك بها المطايا فلما وصلت لمكة نزلت بذي طوى فمر بها وهب الجمحي المعروف بأبي دهبل وكان شاعرا جليلا غيسانيا جميلا فجعل يسارقها النظر وجمرات الوجد تتأجج بفؤاده قاذفة بالشرر وكان الوقت هجيرا والجواري رافعات عنها الاستار ففطنت له فذعرته وشتمته كثيرا ثم أمرت بالسجوف فحجب بظلامها شمس النهار فقال

اني دعاني الحين فاقتادني * حتى رأيت الظبي بالباب
ياحسنه إذ سبني مدبرا * مستتراعني بجلباب
سبحان من أوقفها حسرة * صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلبتها * أب لها ليس بوهاب
أحلها قصرا منيع الذرى * يحمى بأبواب وحجاب

فشاعت أبياته في مكة واشتهرت وغني بها حتى سمعتها عاتكة انشادا وغناء فطربت لها وسرت وبعثت اليه تهديه فتراسلا وتحابا ولما صدرت عن مكة خرج في ركبها الى الشأم فكانت تتعاهده باللطف والاحسان حتى اذا وردت دمشق ورد معها فانقطعت عن لقائه فمرض حتى عز شفاء دائه فقال

طال ليلي وبت كالمجنون * ومللت الثواء في جيرون
وأطلت المقام بالشأم حتى * ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل * كبكاء القرين إثر القرين

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها * فى سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشى فى مرمر مسنون
قبة من مراجل ضربوها * عند برد الشتاء فى قيطون
عن يسارى اذا دخلت من البا * ب وان كنت خارجا عن يمينى
ولقد قلت إذ تطاول سقمى * وتقلبت ليلتى فى فنون
ليت شعرى أمن هوى طار نومى * أم برانى البارى قصير الجفون

ففشا هذا الشعر حتى بلغ معاوية فصبر حتى اذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس يسلمون و ينصرفون وكان فيهم وهب فلما أزمع الرجوع ناداه معوية حتى اذا خلا له الجو قال ما كنت أحسب أن فى قريش أشعر منك تقول

ليت شعرى أمن هوى طار نومى * أم برانى البارى قصير الجفون

غير أنك قلت

واذا ما نسبتها لم تجدها * فى سناء من المكارم دون

والله إن فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأى شئ زدت فى قدرها ولقد أسأت بقولك ثم خاصرتها فقال والله لم أقل هذا وانما قيل عن لسانى فقال معاوية أما منى فليهدأ روعك لانى عليم بعفاف فتاتى وانه مغتفر لفتيان الشعراء التشبيب بمن أرادوا ولكنى أكره لك جوار أخيها يزيد فان له سورة الشباب وأنفة الملوك فخذ روهب و رحل الى مكة فبينما معاوية فى مجلسه يوما ذا بخصى يقول له لقد سقط يا أمير المؤمنين الى عاتكة اليوم كتاب أبكتها تلاوته بما أصارها حتى الساعة حزينة فقال على به بألطف حيلة فلما أوتيه قرأ فيه

أعاتك هلا اذ بخلت فلا ترى * لذى صبوة زلفى لديك ولا برقى
رددت فؤادا قد تولى به الهوى * وسكنت عينا لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى * ولم أر يوما منك جودا ولا صدقا
أتنسين أيامى بربعك مدنفا * صريعا بأرض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية * وأدعو لدائى بالشراب فأسقى
وأكبر همى أن أرى لك مرسلا * فطول نهارى جالسا أرقب الطرقا
فوا كبدى اذ ليس لى منك مجلس * فأشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة * و يزداد قلبى كل يوم لكم عشقا

فبعث الى يزيد فلما جاء وجده مطرقا كئيبا فاستجلاه الامر فقال هو نبأ يقلق فيمرض فيحير إن هذا الفاسق القرشى كتب الى أختك بهذه الابيات فلم تزل باكية حتى الساعة قال يزيد الخطب دون ما تتوهم عبد لنا يرصده و يقتله فقال معوية يا يزيد والله إن تقتل قرشيا هذا حاله صدق الناس مقاله قال يا أمير المؤمنين انه نظم أبياتا غير هذه وتناشدها المكيون فسارت حتى بلغتنى فأوجعتنى وحملتنى على ما أشرت فقال وما هى فأنشد

ألا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل * وما كان من يلحى محباله عقل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها * فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله * ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فوا كبدى إنى اشتهرت بحبها * ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجبا أنى أكاتم حبها * وقد شاع حتى قطعت دونه السبل

فقال معوية قد والله فهمت المعنى لانى أراه يشكوا الحرمان فالخطب فيه يسير ثم حج عامئذ للسبب عينه ولما انقضت المناسك دعا باشراف قريش وشعرائهم وأجزل لهم الصلات فلما أزمع وهب الانصراف قال إيه يا وهب مالى أرى يزيد ساخطا عليك فى قوارص تأتيه عنك وشعر تنطق به فبدأ أبو دهبل يطيل الاعتذار ويحلف أنه مكذوب عليه فقال معوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك فأى بنات عمك أحب اليك قال فلانة فقال قد زوجتك بها وأمهرتها بالفى دينار ووهبتك ألف دينار فلما استوفاها قال إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ماسبق فقد أبحت به دمى وأما ابنة عمى فهى طالق بتاتا فسر معوية ووعده بادرار الصلة كل عام وهو لم يقل فيها شعرا ووفى بوعده وبقيت عاتكة مغرمة به الى أن ماتت

﴿عاتكة بنت يزيد بن معاوية﴾

وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز تزوجها عبد الملك بن مروان فهى أم يزيد بن عبد الملك ابن مروان وكان يحبها عبد الملك حبا مفرطا فغضبت عليه مرة وكان بينهما باب فحجبته فأغلقت ذلك الباب فشق غضبها على عبد الملك وشكا الى رجل من خاصته يقال له عمر بن بلال الاسدى فقال مالى عندك إن رضيت قال حكمك فأتى عمر الى بابها وجعل يتباكى وأرسل اليها السلام فخرجت إليه حاضنتها ومواليها فقلن مالك قال نزعت الى عاتكة ورجوتها وقد علمت مكانى من أمير المؤمنين معوية ومن أبيها بعده قلن ومالك قال ابناى لم يكن لى غيرهما قتل أحدهما صاحبه فقال أمير المؤمنين أنا قاتل الآخر به فقلت أنا الولى وقد عفوت قال لا أعوّد الناس على هذه العادة فرجوت أن يحيى الله ابنى هذا على يدها فدخلن عليها فذكرن ذلك لها فقالت وكيف أصنع مع غضبى عليه وما أظهرت له قلن إذا والله يقتل فلم يزلن بها حتى دعت بثيابها فلبستها ثم خرجت نحو الباب فأقبل حديج الخصى قال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قد أقبلت قال ويلك ما تقول قال قد والله طلعت فأقبلت وسلمت فلم يرد عليها السلام فقالت أما والله لولا عمر ما جئت إن أحد ابنيه تعدى على الآخر فقتله فاردت قتل الآخر وهو الولى وقد عفا قال انى أكره أن أعوّد الناس على هذه العادة قالت أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معوية وقد طرق بابى فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها فقال هو لك ولم يبرحا حتى اصطلحا ثم راح عمر بن بلال الى عبد الملك فقال كيف رأيت قال رأينا أثرك فهات حاجتك قال مزرعة بعدتها وما فيها وألف دينار وفرائض لولدى وأهلى قال ذلك لك ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير * وانى لأرعى قومها من جلالها * ولعاتكة هذه حكاية مع الشعراء وذلك ما حكاه نصيب قال إنه خرج هو وكثير والاحوص غب يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم فى أن نركب جميعا فنسير حتى نأتى العقيق قالوا نعم فركبوا أفضل ما عندهم من

الدواب ولبسوا أحسن مايقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق فجعلوا يتصفحون الاماكن حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه فاذا وصائف وخدم ونساء بارزات فسألنهم أن ينزلوا فنزلوا ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا فدخلوا على امرأة جميلة برزة على فرش لها فرحبت وحيت واذا كراسي موضوعة فجلسوا جميعا في صف واحد كل انسان على كرسي فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنعرك أذنه ونصيحه فعلنا وان شئتم بدأنا بالغداء فقالوا بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلمح البصر حتى جاءت جارية جميلة عليها مطرف قد سترت نفسها به فكشفوه عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم فقالت لها مولاتها خذى ويحك من قول نصيب عافى الله نصيبا

ألا هل من البين المفرّق من بدّ * وهل مثل أيام بمنقطع السعد

تمنيت أيامي أولئك والمنى * على عهد عاد ما تعيد ولا تبدى

فغنته فجاءت به كأحسن ماسمع بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذى أيضا من قول نصيب عافاه الله

أرق المحب وعاده سهده * لطوارق الهمّ التي ترده

وذكرت من رقت له كبدى * وأبى فليس ترق لي كبده

لا قومه قومي ولا بلدى * فنكون حينا جيرة بلده

ووجدت وجدا لم يكن أحد * من أجله بصبابة يجده

إلا ابن عجلان الذى تبلت * هند ففات بنفسه كمده

قال فجاءت به أحسن من الاول فكدت أطير سرورا ثم قالت ويحك خذى أيضا قوله

فيالك من ليل تمتعت طوله * وهل طائف من نائم متمتع

نعم إن ذا شجو متى يلق شجوه * ولو نائما مستعتب أو مودع

له حاجة قد طالما قد أسرّها * من الناس في صدر بها يتصدع

تحملها طول الزمان لعلها * يكون لها يوما من الدهر منزع

وقد قرعت في أم عمرو لي العصا * قديما كما كانت لذى الحلم تقرع

قال نصيب فجاءني والله شئ حيرني وأذهلني طربا لحسن الغناء وسرورا باختيارها الشعرى وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها ثم قالت لها خذى من قوله أيضا

ياأيها الركب إني غير تابعكم * حتى تلموا وأنتم بي ملمونا

فما أرى مثلكم ركبا كشكلكم * يدعوهم ذو هوى أن لا يعوجونا

أم خبروني عن داء بعلمكم * وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب فوالله لقد زهوت بما سمعت زهوا خيل لي أني من قريش وأن الخلافة لي ثم قالت حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام فوثب الاحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاما ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمت شعر هذا على شعرنا وأسمعت الغناء فيه وإن في أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا فقالت على معرفة كل ما كان منى فأى شعر كما أفضل من شعره أقولك يا أحوص

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شئ ما به العين قرت

أم قولك يا كثير في عزة

وما حسبت ضمرية جدوية * سوى التيس ذى القرنين أن لها بعلا

أم قولك فيها

اذا ضمرية عطست فنكها * فان عطاسها طرف السفاد

فخرجا مغضبين وبقى نصيب فتغذى عندها وأمرت له بثلثمائة دينار وحلتين وطيب ثم دفعت له مائتى دينار وقالت ادفعها الى صاحبيك فان قبلاها والا فهى لك قال نصيب فذهبت بالبدرة حتى أتيت رفيقى فعرضت عليهما نصيبهما فأبيا أن يأخذاه فأخذته لنفسى وبلغها الخبر فقالت حسنا والله فعلت وبقى كثير والاحوص يترقبان لها الفرص حتى يهجواها بشئ فلم يقدرا عليها خوفا من بأسها وسطوتها ومداراة لها وأما هى فبقيت مكرمة عند عبد الملك وفى خلافة ولدها أيضا حتى ماتت فى آخر خلافة ولدها ودفنت بما يليق بها من الرفعة والاكرام

﴿عاصية البولانية بنت عبد العزى الطائى﴾

كانت شاعرة مجيدة وشعرها قليل قيل ان بنى محارب غزت طيئا وفتكت فيهم لغياب سراتهم ورجعت غانمة فقالت عاصية تندب قومها وتهجو محاربا بقولها

أعاصى جودى بالدموع السواكب * وبكى لك الويلات قتلى محارب

فلو أن قومى قتلتهم عمارة * كرام سراة من رؤس الذوائب

صبرنا لما يأتى به الدهر عامدا * ولكنما أنا آرنا فى محارب

قبيل لئام إن ظهرنا عليهم * وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب

﴿عبدة محبوبة بشار بن برد﴾

كانت ذات عقل وأدب وفصاحة وكياسة وصوت حسن ومنطق عذب وكان سبب عشق بشار لها أنه كان له مجلس يجلس فيه يقال له البردان فبينما هو فى مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه اذ سمع كلام امرأة أشجاه نغمها وحسن ألفاظها فدعا بغلامه فقال انى قد علقت امرأة فاذا تكلمت فانظر من هى واعرفها فاذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وأعلمها أنى لها محب وأنشدها هذه الابيات وعرّفها أنى قلتها فيها

قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

ما كنت أول مشغوف بجارية * يلقى بلقيانها روحا وريحانا

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

فأبلغها الغلام الابيات فهشت لها وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه فى نفسها ومما قال فيها

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبى فأضحى به من حبها أثر

أنى ولم ترها تهذى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى مالم ير البصر

أصبحت كالخاتم الحران مجتنبا * لم يقض وردا ولا يرجى له صدر

وقال فيها أيضا وهو أجود ما قال فيها

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا * وألف بين العشق والعاشق الصب

وجاءته يوما مع خمس نسوة قدمات لاحداهن قريب يسألنه أن يقول شعرا ينحن عليه به فوافينه في مجلسه المسمى بالبردان وكان له مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه البردان وآخر يجلس فيه عشية يسميه الرقيق فاستأذن بالدخول عليه فأذن لهن فلما دخلن نظرن الى النبيذ مصفى في قنانيه فقالت احداهن هو خمر وقالت الاخرى هو زبيب وعسل وقالت الثالثة هو نقيع زبيب فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي فأمسكن ساعة ثم قالت احداهن ما عليكن من ذلك فأقمن يومهن وأكلن من طعامه وشربن من شرابه وأخذن من شعره وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه فبلغ بشارا كلامه وكان بشار يلقب الحسن البصري بالقس فقال

لما طلعن من الرقيـ * ـق علي بالبردان خمسا
وكأنهن أهلة * تحت الثياب رفقن شمسا
باكرن طيب لطيمة * وغمسن في الجادي غمسا
فسألنني من في البيو * ت فقلت ما يحوين انسا
ليت العيون الناظرا * ت طمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديـ * ـث لذاذة وخرجن ملسا
لولا تعرضهن لي * يا قس كنت كأنت قسا

﴿العبادية جارية المعتضد بن عباد والد المعتمد﴾

أهداها اليه مجاهد العامري وكانت أديبة ظريفة كاتبة ذاكرة لكثير من اللغة فصيحة العبارة لطيفة الاشارة حاضرة الرواية قريبة النادرة لها المام تام بضروب الغناء وكان يميل اليها المعتضد ميلا شديدا ويشغف بها شغفا زائدا حتى إنها ألهته عن بعض أموره وكانت من توقد قريحتها وحضور بديهتها ترتجل الشعر والامثال ومن ذلك أنها كانت نائمة ذات يوم وكان المعتضد سهران فدخل عليها وهي نائمة فقال

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ولها غير ذلك من الاشعار والنوادر

﴿عبيدة الطنبورية بنت صباح مولى أبي السمراء﴾

كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك اسحق وحسبها بشهادته

وكان أبو حشيشة يعظمها ويعترف لها بالرياسة والاستاذية وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهم صوتا وكانت لا تخلو من عشق ولم يعرف امرأة في الدنيا أعطر منها وكانت لها صنعة عجيبة غنتها في الرمل

كن لي شفيعا اليكا * ان خف ذاك عليكا

وأعفني من سؤالي * سواك ما في يديكا

يا من أعزو أهوى * مالي أهون عليكا

وروى عن علي بن الهيثم اليزيدي أنه قال كان اسحق بن ابراهيم الموصلي يألفني ويدعوني ويعاشرني فجاء يوما الى أبي الحسن فلم يصادفه فرجع ومر بي وأنا مشرف من جناح لي فوقف وسلم علي وأخبرني بقصته وقال هل تنشط اليوم للمسير الي فقلت له ما على الارض شئ أحب الي من ذلك ولكني أخبرك بقصتي ولا أكتمك فقال هاتها فقلت عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهرون بن أحمد بن هشام وقد دعونا عبيدة الطنبورية وهي حاضرة والساعة يجيء الرجلان فامض في حفظ الله فاني جالس معهم حتى تنتظم أمورهم وأروح اليك فقال لي فهلا عرضت علي المقام عندك فقلت له لو علمت أن ذلك مما تنشط له والله لرغبت اليك فيه فان تفضلت بذلك كان أعظم لمنتك فقال أفعل فاني قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة ولكن لي عليك شريطة قلت هاتها قال انها ان عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها لم يخف عليها أمري وانقطعت فلم تصنع شيأ فدعوها على جبلتها فقلت أفعل ما أمرت به فنزل ورد دابته وعرفت صاحبي ما جرى فكتماها أمره وأكلنا ما حضر وقدم الشراب فغنت لحنا لها تقول

قريب غير مقترب * ومؤتلف كمجتنب

له ودي ولي منه * دواعي الهم والكرب

أواصله على سبب * ويهجرني بلا سبب

ويظلمني على ثقة * بأن اليه منقلبي

فطرب اسحق وشرب نصفا ثم غنت وشرب ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف وشربناها معه وقام ليصلي فقال هرون بن أحمد ويحك يا عبيدة ما تبالين والله متى مت قالت ولم ذلك قال أتدرين من هو المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب قالت لا والله قال اسحق بن ابراهيم الموصلي فلا تعرفيه أنك قد عرفته فلما جاء اسحق ابتدأت تغني فلحقتها هيبة واختلاط فنقصت نقصانا بينا فقال أعرفتموها من أنا فقلنا نعم عرفها اياك هرون فقال اسحق نقوم اذا فننصرف فانه لا خير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لي ولا لكم ثم انصرف وكان اذا اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوما وفيهم المسدود وعبيدة وقيل له غن يقول لا والله لا تقدمت عبيدة وهي الاستاذة فما غني بحضرتها حتى تقدمت هي وكانت تكتب على طنبورها (كل شئ سوى الخيانة في الحب يحتمل)

وكانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغساني نديم عبد الله بن طاهر وأبو السمراء أحد العدة الذين وصلهم ابن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار وكان الزبيدي الطنبوري يختلف الى أبي السمراء وكان صباح صاحب أبي السمراء فكان الزبيدي اذا سار الى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وبات وشرب وغنى وأنس وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد فسمعت غناء

الزبيدى فوقع فى قلبها واشتهت الغناء وسمع الزبيدى صوتها وعرف طبعها فعلمها وواظب عليها ومات أبوها ورقت حالها وقد حذقت الغناء على الطنبور فخرجت تغنى وتقنع باليسير وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها فتزوجها على بن الفرج الرجحى أخو عمرو وكان حسن الوجه كثير المال فولدت له بنتا فحجبها ثم ماتت بنتها من على بن الفرج وصادف ذلك نكبتهم واختلاط حال على فطلقها فخرجت

وماتت عبيدة من نزف أصابها فأفرط حتى أتلفها وفى عبيدة يقول اسحق النديم

أمست عبيدة فى الاحسان واحدة * فالله جار لها من كل محذور
من أحسن الناس وجها حين تبصرها * وأحذق الناس ان غنت بطنبور

﴿عتبة جارية الخيزران زوجة المهدى وأم الرشيد﴾

وكانت قبلها لريطة ابنة أبى العباس السفاح وكانت رقيقة ظريفة أديبة بارعة فى الجمال والكمال وكان يعشقها أبو العتاهية وله فيها أشعار رقيقة ونوادر ظريفة منها أن ريطة بنت السفاح وجهت الى عبد الله بن مالك الخزاعى فى شراء رقيق للعتق وأمرت جاريتها عتبة أن تحضر ذلك فانها لجالسة اذ جاء أبو العتاهية فى زى متنسك فقال جعلنى الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت أعزك الله شرائى وعتقى فعلت مأجورة فأقبلت على عبد الله فقالت له إنى لأرى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا أديبا فاشتره وأعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية أتأذنين لى أصلحك الله فى تقبيل يدك فأذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله بن مالك وقال أتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى يقبل يدك

ولما كثر تشبيب أبى العتاهية بها شكت الى مولاتها الخيزران ما يلحقها من الشناعة ودخل المهدى وهى تبكى بين يدى سيدتها الخيزران فسألها عن خبرها فاخبرته فأمر باحضار أبى العتاهية فأدخل اليه فلما وقف بين يديه قال أنت القائل فى عتبة

الله بينى وبين مولاتى * أبدت لى الصد والملامات

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك قال يا أمير المؤمنين فأنا الذى أقول

يا ناق حثى بنا ولا تهنى * نفسك فيما ترين راحاتى
حتى تجيئى بنا الى ملك * توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت * هل لك يا ريح فى مباراتى
عليه تاجان فوق مفرقه * تاج جمال وتاج إخبات

قال فنكس رأسه ونكت بالقضيب ثم رفع رأسه فقال أنت القائل

ألا ما لسيدتى ما لها * أدلت بأجمل إدلالها
وجارية من جوارى الملو * ك قد أسكن الحسن سربالها

ثم سأله عن أشياء فأفحم أبو العتاهية فأمر المهدى بجلده نحوا من حد وأخرج مجلودا فلقيته عتبة وهو على تلك الحالة فقال

بخ بخ عتبة من مثلكم * قد قتل المهدى فيكم قتيل

فتغرغرت عيناها وفاض دمعها وصادفت المهدى عند الخيزران فقال مالعتبة تبكى قالوا له رأت أبا العتاهية مجلودا وقال لها كيت وكيت فامر له بخمسين ألف درهم ففرقها أبو العتاهية على من بالباب فكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ما حملك على ان أكرمتك بكرامة فقسمتها فقال ما كنت لآكل ثمن من أحببت فوجه اليه بخمسين ألفا أخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فأخذها وانصرف قال المبرد أهدى أبو العتاهية الى المهدى فى يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك وعليه سطران مكتوبان بالغالية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها

إنى لأيأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا ومافيها

فهم أن يدفع اليه عتبة فقالت له يا أمير المؤمنين أمع حرمتى وخدمتى تدفعنى الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه أما عتبة فلا سبيل لك اليها وقد أمرنا لك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما أمر لى بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت أما لو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق وكان أبو العتاهية بائع جرار وكان أقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ ومن مختار شعره فى عتبة

بالله يا حلوة العينين زورينى * قبل الممات والا فاستزيرينى

هذان أمران فاختارى أحبهما * اليك أولا فداعى الموت يدعونى

ان شئت موتا فأنت الدهر مالكة * روحى وإن شئت أن أحيا فأحيينى

انى لأعجب من حب يقربنى * ممن يباعدنى عنه ويقصينى

يا أهل ودى انى قد لطفت بكم * فى الحب جهدى ولكن لا تبالونى

الحمد لله قد كنا نظنكم * من أرحم الناس طرا بالمساكين

أما الكثير فلا أرجوه منك ولو * أطمعتنى فى قليل منك يكفينى

ومن مختار شعره فيها قوله

ألا يا عتب يا قمر الرصافه * ويا ذات الملاحة والنظافه

رزقت مودتى ورزقت عطفى * ولم أرزق فديتك منك رافه

وصرت من الهوى دنفا سقيما * صريعا كالصريع من السلافه

أظل اذا رأيتك مستكينا * كأنك قد خلقت على آفه

ومات أبو العتاهية ولم ينل من عتبة أربا مع كونها كانت مغرمة به والذى منعها عن الاقتران به سفالة حسبه

العجفاء المغنية

كانت ذات صوت غرد ولا تغريد البلابل جبت اليها الاسماع ومالت اليها القلوب وتحدثت بحسن صناعتها الركبان فى كل مكان وبلغت فى زمن صباها مالم ينله غيرها من القيان وفى آخر مدتها رماها الزمان بكلكله وافتقرت وأقامت تعلم جوارى الامراء صنعة الغناء وأخيرا انقطعت فى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة وبقيت عنده الى أن اشتراها الامير عبد الرحمن بن معوية الاموى فبقيت عنده الى أن ماتت ومن النوادر

ماقاله الارقى عن هذه الجارية قال قال لى أبو السائب هل لك فى أحسن الناس غناء قلت وأنى لى ذلك قال اتبعنى فتبعته الى أن جئنا دار مسلم بن يحيى فاذن لنا فدخلنا ثم طلعت علينا جارية عجفاء كلفاء عليها ثوب أصفر وكأن وركيها فى خيط من ضعفها فقلت لابى السائب بأبى أنت ماهذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذى شغف الفؤاد بكم * تفريج ماألقى من الهم

فاستبقنى أن قد كلفت بكم * ثم افعلى ماشئت عن علم

قد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فحسنت فى عينى وبدا ماأذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فأى مابك تكتم * ولسوف يظهر ماتسر فيعلم

مما تضمن من غرير قلبه * ياقلب إنك بالحسان لمغرم

ياليت أنك يا حسام بأرضنا * تلقى المراسى طائعا وتخيم

فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فماذا تنقم

قال فزحفت مع أبى السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت العجفاء فى عينى كما ربو السويق بماء مزنة ثم غنت

ياطول ليلى أعالج السقما * اذ حل كل الأحبة الحرما

ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فألقيت طيلسانى وأخذت وسادة فوضعتها على رأسى وصحت كما يصاح على اللوبيا فى المدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة فى البيت فيها قوارير دهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان ألثغ قوانينى يعنى قواريرى فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبى السائب وصدره وقال للعجفاء لقد هجت لى داء قديما ثم وضع الربعة عن رأسه وعوضنا ثمن القوارير الى صاحب الجارية وذهبنا وكنا نختلف الى العجفاء حتى اشتراها عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فانقطع عنا خبرها

العروضية

مولاة أبى المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب سكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة ولكنها فاقته فى ذلك وبرعت فى العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالى وتشرحهما وقد قرأ عليها أبو داود وسليمن الكاتبين المذكورين وأخذ عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها فى عدد الخمسين والاربعمائة وقد تركت لها ذكرا جميلا وفخرا طويلا تحدث به الاجيال من بعدها رحمها الله تعالى

عريب

كانت مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر وكانت مليحة الخط والمذهب فى الكلام ونهاية فى الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب واتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والاوتار والرواية للشعر والادب لم يتعلق بها أحد من نظرائها ولا رؤى فى النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن نظيرلها وكانت فيها من الفضائل التى وصفناها ماليس لهن مما يكون لمثلها من جوارى الخلفاء ومن نشأ فى قصور الخلافة وغذى برقيق العيش الذى لايدانيه

عيش الحجاز والنشء بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته الى غيره وكانت عريب لعبد الله بن اسمعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذى رباها وأدبها وعلمها الغناء ونقل صاحب الاغانى من حديث اسمعيل بن الحسين خال المعتصم أنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكى وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهى صغيرة وقيل ان أم عريب كانت تسمى فاطمة وكانت قيمة لام عبد الله ابن يحيى بن خالد وكانت صبية نظيفة فرآها جعفر بن يحيى فهويها وسأل أم عبد الله أن تزوجه بها ففعلت وبلغ الخبر يحيى بن خالد فأنكره وقال له أتتزوج من لا يعرف لها أم ولا أب اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها فأخرجها الى دار فى ناحية باب الانبار سرا من أبيه ووكل بها من يحفظها وكان يتردد اليها فولدت عريبا فى سنة احدى وثمانين ومائة فكانت سنوها الى أن ماتت ستا وتسعين سنة وقيل ان أم عريب ماتت فى حياة جعفر فدفعها الى امرأة نصرانية وجعلها داية لها فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من سنبس فباعها من المراكبى وقيل ان الفضل بن مروان كان يقول كنت اذا نظرت الى قدمى عريب شبهتهما بقدمى جعفر بن يحيى قال وسمعت من يحكى أن بلاغتها فى كتبها اذ كرت لبعض الكتاب فقال فما يمنعها من ذلك وهى بنت جعفر بن يحيى وروى أبو الفرج الاصبهانى عن محمد بن خلف أنه قال قال لى أبى ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها فى امرأة غيرها قال حماد فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم فى حياة أبى فقال صدق أبو محمد كذلك قلت أفسمعتها قال نعم هناك يعنى فى دار المأمون قلت أفكانت كما ذكر أبو محمد فى الحذق فقال يحيى هذه مسئلة الجواب فيها على أبيك فهو أعلم منى بها فأخبرت بذلك أبى فضحك ثم قال أما استحييت من قاضى القضاة أن تسأله عن مثل هذا

وأخبر على بن يحيى أنه كان لاسحق صناجة وكان معجبا بها واشتهاها المعتصم فى خلافة المأمون فبينما هو ذات يوم فى منزله اذ أتاه انسان يدق الباب دقا شديدا قال فقلت انظروا من هذا فقالوا رسول أمير المؤمنين فقلت ذهبت صناجتى تجده ذكرها له ذاكر فبعث الى فيها فلما مضى بى الرسول انتهيت الى الباب وأنا مسخن فدخلت فسلمت فرد على السلام ونظر الى تغير وجهى فقال لى اسكن فسكنت فقال لى عن صوت وقال أتدرى لمن هو فقلت أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين ان شاء الله بذلك فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت فاذا قد شبهته بالقديم فقلت زدنى معها عودا آخر فانه أثبت لى فزادنى عودا آخر فقلت هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة قال من أين قلت ذلك قلت لما سمعت لينه عرفت أنه محدث من غناء النساء ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته قد حفظت مقاطعه وأجزاءه ثم طلبت عودا آخر فلم أشك فقال صدقت الغناء لعريب وقال يحيى بن على أمرنى المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذى صنعته فأخذت منها دفاترها وصحفها التى كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت وسأل ابن خرداذبه عريب عن صنعتها فقالت قد بلغت الى هذا الوقت ألف صوت ونقل الاصبهانى عن محمد بن القاسم أنه جمع غناءها من ديوانى ابن المعتز وأبى العبيس بن حمدون وما أخذه عن بدعة جاريتها فقابل بعضه ببعض فكان ألفا ومائة وخمسا وعشرين صوتا

ودخل ابن هشام على المعتز وهو يشرب وعريب تغنى فقال له يا ابن هشام غن فقال تبت عن الغناء مذ قتل سيدى المتوكل فقالت له عريب قد والله أحسنت حيث تبت فان غناءك كان قليل المعنى لا متقن ولا صحيح

ولا طريب فأضحكت أهل المجلس جميعا منه فخجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ويعيب صنعتها ويقول هي ألف صوت في العدد وصوت واحد في المعنى وهي مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول

ياعين بكى خالدا * ألفا ويدعى واحدا

قال الاصبهاني وليس الامر كما قال انها الصنعة شبهت فيها بصنعة الاوائل وجودت وبرزت * منها * أأن سكنت نفسي وقل عويلها * ومنها * يقول همي يوم ودعتها * ومنها * اذا أردت انتصافا كان ناصركم * وعقد لها جملة أصوات في الاغاني لا لزوم لذكرها هنا وقيل ان مولى عريب خرج الى البصرة وأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء فبرعت في ذلك كله وتزايدت حتى قالت الشعر وكان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عدى من قواد خراسان وقيل انه كان يكتب لعجيف على ديوان الفرض فكان مولاها يدعوه كثيرا ويخالطه ثم ركبه دين فاستتر عنده فدعينه الى عريب فكاتبها فأجابته وكانت المواصلة بينهما وعشقته عريب فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عقب وقيل من خيوط غلاظ وسترته حتى اذهمت بالهرب اليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة وقد أعدلها موضعا فلفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل ودثرتها بدثارها ثم تسورت من الحائط حتى هربت فمضت اليه فمكثت عنده زمانا وقيل انها لما صارت عنده بعث الى مولاها يستعير منه عودا تغنيه به فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده ولا يتهمه بشيء من أمرها فقال عيسى بن عبد الله بن اسمعيل المراكبي وهو عيسى بن زينب يهجو أباه ويعيره بها وكان كثيرا ما يهجوه

قاتل الله عريبا * فعلت فعلا عجيبا
ركبت والليل داج * مركبا صعبا مهوبا
فارتقت متصلا بالنجم * أو منه قريبا
صبرت حتى اذا ما * أقصد النوم الرقيبا
مثلت بين حشايا * هالكي لا تستريبا
خلفا منها اذا نو * دي لم يلف مجيبا
ومضت يحملها الخو * ف قضيبا وكثيبا
محة لو حركت خف * ت عليها أن تذوبا
فتدلت لحبيب * فتلقاها حبيبا
جذلا قد نال في الدنـ * ـيا من الدنيا نصيبا
أيها الظبي الذي تسـ * ـحر عيناه القلوبا
والذي يأكل بعضا * بعضه حسنا وطيبا
كنت نهبا لذئاب * فلقد أطعمت ذيبا
وكذا الشاة اذا لم * يك راعيها لبيبا
لا يبالي وبأ المر * عى اذا كان خصيبا
فلقد أصبح عبد الله * كشخان حريبا
قد لعمري لطم الوجـ * ـه وقد شق الجيوبا

وجرت منه دموع * بلت الشعر الخضيبا

وأخبر بعضهم أنها ملته بعد ذلك فهربت منه فكانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد متسترة مختفية فلما كان يوم من الايام اجتاز ابن أخ المراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني فسمع غناءها فعرفه فبعث الى عمه من وقته وأقام هو بمكانه فلم يبرح حتى جاء عمه فلببها وأخذها فضربها مائة مقرعة وهي تصيح يا هذا أنا لست أصبر عليك امرأة حرة إن كنت مملوكة فبعني لست أصبر على الضيقة فلما كان من غد ندم على فعله وسار اليها فقبل رأسها ورجلها ووهب لها عشرة آلاف درهم ثم بلغ محمدا الامين خبرها فأخذها منه قال وكان خبرها سقط الى محمد في حياة أبيه فطلبها منه فلم يجبه الى ما سأل وقبل ذلك كان طلب منه خادما عنده فاضطغن لذلك عليه فلما ولي الخلافة جاء المراكبي ليقبل يده فأمر بمنعه ودفعه ففعل ذلك الشاكري فضربه المراكبي وقال له أتمنعني من يد سيدي أن أقبلها فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه فدعا محمد بالمراكبي وأمر بضرب عنقه فسأل في أمره فأعفاه وحبسه وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع وبعث فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له فلما قتل محمد هربت الى المراكبي فكانت عنده قال وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدي الذي كانت عنده لما هربت اليه ثم ملته فهربت منه وهي أبيات هذان منها

ورشوا على وجهي من الماء واندبوا * قتيل عريب لا قتيل حروب

فليتك إذ عجلتني فقتلتني * تكونين من بعد الممات نصيبي

وقد ذكر بعضهم رواية تخالف هذه وهي أنها هربت من دار مولاها المراكبي الى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن أحد قواد خراسان قال وكان أشقر أصهب الشعر أزرق وفيه تقول عريب ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس

بأبي كل أزرق * أصهب اللون أشقر * جن قلبي به وليـ * ـس جنوني بمنكر

وقيل ان ابن المدبر قال خرجت مع المأمون الى أرض الروم أطلب ما يطلبه الاحداث من الرزق فكنا نسير مع العسكر فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم في العماريات على الجمازات وكنا رفقة وكنا أترابا فقال لي أحدهم على بعض هذه الجمازات عريب فقلت من يراهنني أمر في جنبات هذه العماريات وأنشد أبيات عيسى بن زينب

قاتل الله عريبا * فعلت فعلا عجيبا

فراهنني بعضهم وعدل الرهان وسرت الى جانبها فأنشدت الابيات رافعا صوتي بها حتى أتممتها فاذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت يا فتى أنسيت أجود الشعر وأطيبه أنسيت قوله

وعريب رطبة الشفـ * ـرين قد نيكت ضروبا

اذهب فخذ ما بالغت فيه ثم ألقت السجف فعلمت أنها عريب وبادرت الى أصحابي خوفا من مكروه يلحقني من الخدم

وقال عمر بن شبة كانت للمراكبي جارية يقال لها ظلومة جميلة الوجه بارعة الحسن فكان يبعث بها مع عريب الى الحمام أو الى من تزوره من أهله ومعارفه فكانت ربما دخلت معها الى ابن حامد الذي كانت تميل اليه فقال فيها بعض الشعراء

لقد ظلموك يامظلوم لما * أقاموك الرقيب على عريب
ولو أولوك انصافا وعدلا * لما أخلوك أنت من ارقيب
أتنهين المريب عن المعاصى * فكيف وأنت من شأن المريب
وكيف يجانب الجانى ذنوبا * لديك وأنت جالبة الذنوب
فان يسترقبوك على عريب * فارقبوك أنت من القلوب

وأخبر بعضهم أنه لما انتهى خبر عريب الى محمد الامين بعث فى إحضارها واحضار مولاها فأحضرا وغنت بحضرة ابراهيم بن المهدى تقول

لكل أناس جوهر متنافس * وأنت طراز الآنسات الملائح

فطرب محمد واستعاد الصوت مرارا وقال لابراهيم ياعم كيف سمعت قال ياسيدى سمعت حسنا وان تطاولت بها الايام وسكن روعها ازداد غناؤها حسنا فقال للفضل بن الربيع خذها اليك وساوم بها ففعل فاشتط مولاها فى السوم ثم أوجبها له بمائة ألف دينار وانتقض أمر محمد وشغل عنها فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أن افتضها فرجعت الى مولاها ثم هربت منه الى حاتم بن عدى وقيل انها هربت من مولاها الى ابن حامد فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد فتظلم اليه المراكبى من محمد بن حامد فأمر باحضاره فأحضر فسأله عنها فأنكر فقال له المأمون كذبت قد سقط الى خبرك وأمر صاحب الشرطة أن يجرده فى مجلس الشرطة ويضع عليه السياط حتى يردها فأخذه وبلغها الخبر فركبت حمار مكار وجاءت وقد جرد ليضرب وهى مكشوفة الوجه وهى تصيح أنا عريب ان كنت مملوكة فليبعنى وان كنت حرة فلا سبيل له على فرفع خبرها الى المأمون فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضى فعدلت عنده وتقدم اليه المراكبى مطالبا بها فسأله البينة على ملكه اياها فعاد متظلما الى المأمون وقال قد طولبت بما لم يطالب به أحد فى رقيق ولا يوجد مثله فى يد من ابتاع عبدا أو أمة وتظلمت اليه زبيدة وقالت من أغلظ ماجرى على بعد قتل محمد ابنى هجوم المراكبى على دارى وأخذه عريب منها فقال المراكبى انى أخذت ملكى لانه لم ينقدنى الثمن فأمر المأمون بدفعها الى محمد بن عمر الواقدى وكان قد ولاه القضاء بالجانب الشرقى فأخذها من قتيبة بن زياد فأمر ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسة آلاف درهم فذهبت به كل مذهب ميلا اليها ومحبة لها وقيل انه لما مات المأمون بيعت فى ميراثه ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم ثم أعتقها فهى مولاته وذكر بعضهم أنها لما هربت من دار محمد لما قتل تدلت من قصر الخلد بحبل الى الطريق وهربت الى حاتم بن عدى وقيل ان المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار ودعا بعبد الله بن اسمعيل فدفعها اليه وقال لولا أنى حلفت أن لا أشترى مملوكا بأكثر من هذا لزدتك ولكنى سأوليك عملا تكسب فيه أضعافا لهذا الثمن مضاعفة ورمى اليه بخاتمين من ياقوت أحمر قيمتهما ألفا دينار وخلع عليه خلعة سنية فقال ياسيدى انما ينتفع الاحياء بمثل هذا وأما أنا فانى ميت لامحالة لان هذه الجارية كانت حياتى وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ومات بعد أربعين يوما

وقيل ان ابرهيم بن رباح كان يتولى نفقات المأمون فوصف له اسحق بن ابراهيم الموصلى عريب فأمره أن يشتريها فاشتراها بمائة ألف درهم قال فأمرنى المأمون بحملها وان أحمل لاسحق مائة ألف درهم أخرى ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبتهما فحكيت فى الديوان أن المائة الف خرجت فى ثمن جوهرة والمائة الف

الاخرى أخرجت لصائغها ودلالها لجاء الفضل بن مروان الى المأمون وقد رأى ذلك فأنكره وسألنى عنه فقلت نعم هو ما رأيت فسأل المأمون عن ذلك وقال أوجب لدلال وصائغ مائة ألف درهم وغلظ القصة فأنكرها المأمون فدعانى ودنوت اليه وأخبرته المال الذى خرج فى ثمن عريب وصلة اسحق وقلت أيما أصوب يا أمير المؤمنين ما فعلت أو أثبت فى الديوان أنها اخرجت فى صلة مغن وثمن مغنية فضحك المأمون وقال الذى فعلت أصوب ثم قال للفضل بن مروان يا نبطى لا تعترض على كاتبى هذا فى شئ وقيل ان عريب لما صارت فى دار المأمون احتالت حتى واصلت محمد بن حامد وكانت عشقته وكاتبته ثم احتالت فى الخروج اليه وكانت تلقاه فى الوقت بعد الوقت حتى حبلت منه وولدت بنتا وبلغ ذلك المأمون فزوجها اياها وأخبر بعضهم انه لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بالباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها فى كنيف مظلم شهرا لا ترى الضوء يدخل اليها خبز وملح وماء من تحت الباب فى كل يوم ثم ذكرها فرق لها وأمر باخراجها فلما فتح الباب وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنى

لو كان يقدر أن يبثك مابه * لرأيت أحسن عاتب يتعتب

حجبوه عن بصرى فمثل شخصه * فى القلب فهو محجب لا يحجب

فبلغ ذلك المأمون فعجب منها وقال لن تصلح هذه أبدا فزوجها اياه

وذكر صاحب الاغانى أن المأمون اصطبح يوما ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين وعريب معه على مصلاه فأومأ محمد بن حامد اليها بقبلة فاندفعت تغنى ابتداء

رمى ضرع ناب فاستمرت بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له طعنة فقال لها المأمون أمسكى فأمسكت ثم أقبل على الندماء فقال من فيكم أومأ الى عريب بقبلة والله لئن لم يصدقنى لأضربن عنقه فقام محمد بن حامد فقال أنا يا أمير المؤمنين أومأت اليها والعفو أقرب للتقوى فقال قد عفوت فقال كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك قال ابتدأت صوتا وهى لا تغنى ابتداء الا لمعنى فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت الا لشئ أومئ به اليها ولم يكن من شرط هذا الموضع الا ايماء بقبلة فعلمت انها أجابت بطعنة ومن شعرها فى محمد بن حامد

ويلى عليك ومنكا * أوقعت فى الحق شكا

زعمت أنى خؤن * جورا على وافكا

فأبدل الله ما بى * من ذلة الحب نسكا

وأخبر بعضهم أنها كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنها ما عشقت أحدا من بنى هاشم أصفته المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه وكانت لا تضرب المثل الا بحسن وجه أبى عيسى وحسن غنائه وروى أن عريب كانت تتعشق صالحا المنذرى الخادم وتزوجته سرا فوجه به المتوكل الى مكان بعيد فى حاجة له فقالت

أما الحبيب فقد مضى * بالرغم عنى لا الرضا

أخطأت فى تركى لمن * لم ألق منه معوضا

قال فغنته يوما بين يدى المتوكل فاستعاده مرارا وشرب عليه يوما

ودخلت عليها احدى جوارى المتوكل فقالت لها تعالى الى تجاءت فقالت قبلى هذا الموضع منى فانك

تجـدين ريح الجنة وأومأت الى صـدغها ففعلت ثم سألتها عن السبب فى ذلك قالت قبلنى صالح المنـذرى فى هذا الموضع

وقال عبـد الله بن حمدون ان عريب زارت محمـد بن حامد ذات يوم وجلسا جميعا للمنادمة فجعـل يبث شوقه اليها ويعاتبها على بعض أشياء فعلتها و يقول لها فعلت كذا وكذا فالتفتت اليه وقالت ياهذا أرأيت مثل مانحن فيه ثم أقبلت عليـه وقالت ياعاجز دعنا الآن فى انشراحنا واذا كان الغد فاكتب لى بعتابك ودع الفضول فقد قال الشاعر

دعى عدّ الذنوب اذا التقينا * تعالى لا أعدّ ولا تعـدّى

وقال اسحق بن كنداجين كانت عريب تولع بى وأنا حديث السن فقالت لى يوما يااسحق قد بلغنى أن عندك دعوة فابعث الىّ بنصيبى منها قال فاستأنفت طعاما كثيرا وأرسلت اليها منه شيأ كثيرا فأقبل رسولى من عنـدها مسرعا فقال لى لما بلغت الى بابها وعرفت خبرى أمرت بالطعام فأنهب وقد وجهت اليك برسول معى وها هو فى الباب فلما سمعت ذلك تحيرت وظننت أنها قد استقصرت فعلى فدخـل الخادم ومعه شئ مشدود فى منـديل و رقعـة فقرأت الرقعة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم ياعجمى ياغبى أظننت أنى من الاتراك و وحشى الجند فبعثت الىّ بخبز ولحم وحلواء الله المستعان عليك يا فدتك نفسى قد وجهت اليك زلة من حضرتى فتعلم ذلك من الاخلاق ونحوها من الافعال ولا تستعمل أخلاق العامـة فى الظرف فيزداد العيب والعتب عليك ان شاء الله فكشفت المنديل فاذا فيه طبق ومكبة من ذهب منسوج على عمل الخلافة وفيه زبدية فيها الفتان من رقاق وقد عصبت طرفيهما وفيهما قطعتان من صدر دراج مشوى وبقـل وطلع وملح ثم انصرف رسولها وعن علوية قال أمرنى المأمون أنا وسائر المغنين فى ليلة من الليالى أن نصير اليه بكرة ليصطبح فغـدونا ولقينى المراكبى مولى عريب فى الطريق وهى يومئـذ عنده فقال لى ياأيها الرجل الظالم المعتـدى أما ترق وترحم وتستحيى عريب هائمة بك وتحب أن تراك قال علوية أم الخلافة زانية ان تركت عريب بها ومضيت معـه فحين دخلت قلت له استوثق من الباب فانى أعرف خلق الله بفضول البوابين والحجاب فدخلت واذا عريب جالسـة على كرسى يطبخ بين يديها ثلاث قدور فجلسنا وأحضر الطعام فأكلنا ودعونا بالنبيذ فجلسنا نشرب ثم قالت ياأبا الحسـن صنعت البارحة صوتا فى شـعر لابى العتاهية فقلت وما هو فقالت

عذيرى من الانسان لا إن جفوته * صفالى ولا ان كنت طوع يديه

وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصـفو وان كدرت عليـه

وقالت لى قد بقى فيـه شئ فلم نزل نكرره ونردده أنا وهى حتى استوى ثم جاء حجاب المأمون فكسروا باب المراكبى واستخرجونى فدخلت على المأمون فلما رأيتـه أقبلت أمشى اليـه برقص وتصفيق وأنا أغنى الصوت فسمع هو ومن عنده مالم يسمعوه واستظرفوه وطربوا منـه جدا وسألنى فأخبرته الخبر فقال لى ادن منى وردده فرددته سبع مرات فقال لى فى آخر مرة ياعلوية خذ الخلافة وأعطنى هذا الصاحب

قال القاسم بن زرزور حـدثتنى عريب قالت كنت فى أيام محمد ابنـة أربع عشرة سـنة وكنت أصوغ الغناء وأنا فى ذلك السـن قال القاسم وكانت عريب تكايد الواثق فيما يصوغه من الالحان وتصوغ فى ذلك الشعر بعينه لحنا فيكون أجود من لحنه فن ذلك

لم آت عامدة ذنبا اليك بلى * أقر بالذنب فاعف اليوم عن زللى
فالصفح من سيد أولى لمعتذر * وقال ربك يوم الخوف والوجل

فكان لحنها فيه خفيف ثقيل ولحن الواثق رمل ولحنها أجود من لحنه والثانى وهو

أشكو الى الله ماألقى من الكمد * حسبى ربى ولا أشكو الى أحد
أين الزمام الذى قد كنت ناعمة * فى ظله بدنوى منك ياسندى
وأسأل الله يوما منك يفرحنى * فقد كحلت جفون العين بالسهد

فكان لحنها ولحن الواثق فيه من الثقيل الاول ولحنها أجود من لحنه

قال ابن المعتز وكان سبب انحراف الواثق عنها كيادها اياه وسبب انحراف المعتصم عنها أنه وجد لها كتابا الى العباس بن المأمون فى بلاد الروم مضمونه اقتل أنت العلج حتى أقتل أنا الاعور الليلى ههنا تعنى الواثق وكان يسهر الليل وكان المعتصم استخلفه ببغداد

وقال صالح بن على بن الرشيد تمارى خالى أبو على مع المأمون فى صوت فقال المأمون أين عريب فجاءت وهى محمومة فسألها عن الصوت فوات لتجىء بعود فقال لها غنيه بغير عود فاعتمدت على الحائط لعدم قوتها على مفعول الحمى وغنت فأقبلت عقرب فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا فما نحت يدها ولا سكتت حتى أفرغت الصوت ثم سقطت وقد غشى عليها فاقيمت من حضرة المأمون وهو لا يكاد ان يملك نفسه أسفا وفرقا عليها وقيل ان المأمون كان يحبها الحب المفرط حتى انه كان يقبل قدميها ويمرغ عليها الخدود اذا رأى منها انحرافا عنه فى شىء ما وقال أبو العباس بن الفرات قالت لى تحفة جارية عريب كانت عريب تجد فى رأسها بردا فكانت تغلف شعرها مكان الغسلة بستين مثقالا مسكا وعنبرا وتغسله من الجمعة الى الجمعة فاذا غسلته أعادته كما كان وتقسم الجوارى غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان

وروى عن على بن يحيى أنه قال دخلت يوما على عريب مسلما عليها فلما جلسنا اهطلت السماء بالامطار فقالت أقم عندى اليوم حتى أغنيك أنا وجوارى وابعث الى من أحببت من اخوانك قال فامرت بدوابى فردت وجلسنا نتحدث فسألتنى عن خبرنا بالامس فى مجلس الخليفة ومن كان يغنينا وأى شىء استحسنا من الغناء فأخبرتها ان صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان فقالت وما هو فأخبرتها انه فى هذه الابيات

تجافى ثم تنطبق * جفون حشوها الارق
وذى كلف بكى جزعا * وسفر القوم منطلق
به قلق يململه * وكان وما به قلق
جوانحه على خطر * بنار الشوق تحترق

قال فوجهت رسولا الى بنان فحضر من وقته وقد بلته السماء فأمرت بخلع ملابسه وألبسته ملابس فاخرة وقدم له طعام فأكل وجلس يشرب معنا وسألته عن الصوت فغناه مرارا فأخذت دواة وقرطاسا وكتبت

أجاب الوابل الغدق * وصاح النرجس الغرق
وقد غنى بنان لنا * جفون حشوها الارق
فهات الكاس مترعة * كأن حبابها حدق

قال على بن يحيى فما شربنا بقية يومنا الا على هذه الابيات

وقال

وقال الفضل بن العباس بن المأمون زارتنى عريب يوما ومعها عدة من جواريها فوافتنا ونحن فى شرابنا فتحادثنا ساعة وسألتها أن تقيم عندنا باقى يومها فأبت وقالت قد دعانى جماعة من اخوانى من أهل الادب والظرف وهم مجتمعون فى جزيرة المؤيد فيهم ابراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى وقد عزمت على المسير اليهم قال فحلفت عليها بالاقامة عندنا فأقامت ودعت بدواة وقرطاس فكتبت بعد البسملة فى سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة وهى أردت لولا لعلى وأرسلتها فأخذها ابن المدبر وكتب تحت كل حرف هكذا ليت ماذا أرجو ووجه بالرقعة فلما رأتها صفقت وقالت أأترك هؤلاء وأقعد عندكم لا والله اذا تركنى الله من يديه ولكنى أخلف عندكم بعض جوارى يكفيكم وأقوم اليهم ففعلت وأخذت معها بعض جواريها وتركت بعضهن وانصرفت وعتب المأمون يوما على عريب فهجرها أياما ثم اعتلت فعادها فقال لها كيف وجدت طعم الهجر فقالت يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة الرضا قال فخرج المأمون الى جلسائه فحدثهم بالقصة تماما ثم قال أترى لو كان هذا من كلام النظام ألم يكن كبيرا

وقال أحمد بن أبى دواد جرى بين عريب والمأمون فكلمها المأمون فى شئ غضبت منه فهجرته أياما قال أحمد بن أبى دواد فدخلت يوما فقال يا أحمد اقض بيننا بالصلح فلما كلمتها فى ذلك قالت لا حاجة لى فى قضائه ودخوله فيما بيننا وأنشأت تقول

وتخلط الهجر بالوصال ولا * يدخل فى الصلح بيننا أحد

فلما سمع المأمون ذلك دخل اليها بالصلح واصطلحا قال حمدون كنت حاضرا فى مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الاخيرة فى ليلة ظلماء ذات رعود وبروق فقال لى اركب الساعة فرس النوبة وسر الى عسكر أبى اسحق يعنى المعتصم فأد اليه رسالتى قال فركبت ومضيت وبينما أنا فى الطريق اذ سمعت وقع حافر دابة فرهبت من ذلك وجعلت أتوقاه حتى صك ركابى فى ركاب تلك الدابة وبرقت بارقة فتأملت وجه الراكب واذا هى عريب فقلت عريب قالت نعم أنت حمدون قلت نعم فمن أين أتيت فى هذا الوقت قالت من عند محمد بن حامد قلت وما صنعت عنده قالت عجبت من سؤالك هذا أترى أن عريب تخرج من مضرب الخليفة فى مثل هذا الوقت لتزور محمد بن حامد وتقول لها ماذا كنت تصنعين عنده خرجت لاصلى معه التراويح أو لادرس عليه شيأ من الفقه يا أحمق خرجت لازور حبيبى كما يتزاور المحبون وما يفعلون من عتاب وصلح وغضب ورضا وشكوى غرام وبث أشواق وما أشبهه فأخجلتنى وغاظتنى ثم رجعت الى المأمون بعد أداء الرسالة وأخذنا فى الحديث وتناشدنا الاشعار وهممت والله أن أخبره خبرها ثم رهبته فقلت أقدم قبل ذلك تعريضا بشئ من الشعر فأنشده

ألا حى أطلالا لواسعة الحبل * ألوف تسوى صالح القوم بالرذل

فلو أن من أمسى بجانب تلعة * الى جبلى طى لساقطة الحبل

جلوس الى أن يقصر الظل عندها * لراحوا وكل القوم منها على وصل

قال فقال لى المأمون اخفض صوتك لئلا تسمعك عريب فتغضب وتظن أننا فى حديثها فلما سمعت ذلك أمسكت عما أردت أن أخبره به واختار الله لى السلامة

وقال اليزيدى خرجنا مع المأمون الى بلاد الروم فرأيت عريب فى هودج فلما رأتنى قالت يا يزيدى أنشدنى شعرا قلت نعم حتى أسمع فيه لحنا فأنشدتها

ماذا بقلبي من دوام الخفق * اذا رأيت لمعان البرق
من قبل الاردن أو دمشق * لان من أهوى بذاك الافق

قال فتنفست تنفسا ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه فقلت لها هاه ذا والله تنفس عاشق فقالت اسكت ياعاجز أنا أعشق بل أنا معشوقة في كل نادو والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا ظريفا قال أحمد بن حمدون وقع بين عريب وبين محمد بن حامد خصام وكان يجد بها وجدا مفرطا فكادا يخرجان من شرهما الى القطيعة وكان في قلبها منه كالها عنده من الحب فلقيته يوما فقالت له كيف قلبك يا محمد قال أشقى والله مما كان وأشد لوعة فقالت استبدل بديلا فقال لها لو كانت البلوى بالخيار لفعلت فقالت لقد طال اذا تعبك فقال وما يكون أصبر مكرها أما سمعت قول العباس بن الاحنف

تعب يكون مع الرجاء بذي الهوى * خير له من راحة في الياس
لولا كرامتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندي كبعض الناس

فلما سمعت ذلك ذرفت عيناها واعتذرت وعاتبته واصطلحا وعادا الى ما كانا عليه من صدق المودة وحسن المعاشرة

وقال ابن المراكبي قالت لي عريب حج بي أبولو وكنت في طريق أطلب الاعراب فأستنشدهم الاشعار وأكتب عنهم النوادر وجميع ما أسمعه منهم فوقف علينا شيخ من الاعراب يسأل فاستنشدته فأنشدني

ياعزهل لك في شيخ فتى أبدا * وقد يكون شباب غير فتيان

فاستحسنته ولم أكن سمعته قبل ذلك قلت فأنشدني باقي الشعر فقال لي هو يتيم فاستحسنت قوله وبررته وحفظت البيت وغنيت فيه صوتا من الثقيل الاول ومولاي لا يعلم بذلك لانه كان ضعيفا فلما كان في ذلك اليوم عشيا قال لي ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك اياه الاعرابي وقال لك انه يتيم أنشديني اياه ان كنت حفظتيه فأنشدته وأعلمته أني غنيت به ثم غنيته له فوهب لي ألف درهم بهذا السبب وفرح بالصوت فرحا شديدا وقال ميمون بن هرون انه كان في مجلس جعفر بن المأمون وعندهم أبو عيسى وعلي ابن يحيى وبدعة جارية عريب وتحفة وهما تغنيان الصوت فذكر علي بن يحيى أن الصوت لغير عريب وذكرتا انه الا تدعيه وكابر في ذلك فقام جعفر بن المأمون فكتب رقعة الى عريب ونحن لا نعلم يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب اليه بالقصة فكتبت اليه بخطها بعد البسملة

هنيأ لأرباب البيوت بيوتهم * وللعزب المسكين ما يتلمس

أنا المسكين وحيدة فريدة بغير مؤنس وأنتم فيما أنتم فيه وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني (تعني بذلك جاريتها تحفة وبدعة) فأنتم في القصف والعزف وأنا في خلاف ذلك هنأكم الله وأبقاكم وسألت مد الله في عمرك عما اعترض فيه فلان في هذا الصوت والقصة فيه ماهو كذا وذكرت القصة بتمامها مع الاعرابي ولما وصل الجواب الى جعفر بن المأمون قرأه وضحك ثم رمى به الى أبي عيسى وقال اقرأ وكان علي بن يحيى الى جانبي فأراد أن يستلب الرقعة فمنعته وقمت الى ناحية وقرأتها فأنكر ذلك وقال ماهذا فواريتا الامر عنه لئلا تقع عربدة وكان مبغضا لها

وقال أحمد بن الفرات عن أبيه انه قال كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة اذ غنى بعض من كان هناك

يابدرانك قد كسيت مشابها * من وجه ذاك المستنير اللائح
وأراك تمصح بالمحاق وحسنها * باق على الايام ليس ببارح

فضحكت عريب وصفقت وقالت ما على وجه الارض أحد يعرف هذا الصوت غيرى فلم يقدر أحد من القوم على مسئلتها عنه غيرى فسألتها فقالت أنا أخبركم بقصته ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم بها وهو أن أبا المحلم وفد بغداد فنزل بقرب دار صالح المسكين فى خان هناك فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوما فأعجبها جماله ورقته فولعت به وأحبته حبا مفرطا وأرادت التوصل اليه فجعلت لذلك علة بان وجهت اليه تقترض منه مالا وتعلمه أنها فى احتياج وأنها بعد مدة ترده اليه فبعث اليها بعشرة آلاف درهم وحلف انه لو ملك غيرها لبعث بها اليها فاستحسنت ذلك منه واتصلت المودة بينهما وكان القرض سببا للوصلة فكان يدخل الى منزلها ليلا وكنت أنا أغنى لهم فشربنا ليلة فى القمر وجعل أبو محلم ينظر اليه ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب

يابدرانك قد كسيت مشابها * من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر وقال لى غنى فيه ففعلت واستحسناه وشربنا عليه فقالت أم محمد فى آخر المجلس ياأختى قد نبلت فى هذا الشعر الا انه سيبقى على فضيحة الى آخر الدهر فقال أبو محلم وأنا أغيره فجعل مكان أم محمد ابنة صالح ذاك المستنير اللائح وغنيته كما غيره وأخذه الناس عنى ولو كانت أم محمد حية لما أخبرتكم بالخبر

وكتبت عريب يوما الى ابن حامد تستزيره فاهمل اليها انى أخاف على نفسى فكتبت اليه

اذا كنت تحذر ماتحذر * وتزعم أنك لاتجسر
فمالى أقيم على صبوتى * ويوم لقائك لايقدر

فلما قرأ الرقعة صار اليها من وقته وأرسل اليها يعاتبها فى شئ فكتبت اليه تعتذر فلم يقبل فكتبت اليه هذين البيتين

تبينت عذرى وماتعذر * وأبليت جسمى وماتشعر
ألفت السرور وخليتنى * ودمعى من العين مايفتر

فلما اطلع على البيتين ذرفت عيناه وسعى اليها مسترضيا ومستجديا عفوها عما وقع منه وقد تمت أخبار عريب

﴿عزة الميلاء﴾

كانت عزة مولاة للانصار ومسكنها المدينة وهى أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز وماتت قبل جميلة وكانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما وسميت الميلاء لتمايلها فى مشيها وكانت من أحسن ضربا بعود وكانت مطبوعة على الغناء لايعيبها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه وكانت تغنى أغانى الصبا من الدائم مثل سيرين وزرنب وخولة والرباب وسلمى ورائقة وكانت رائقة استاذتها فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغانى بالفارسية فلقنت عزة عنهما نغما وألفت عليه ألحانا عجيبة فهى أول من فتن أهل المدينة بالغناء وحرض نساءهم ورجالهم عليه وكان مشايخ أهل المدينة اذا ذكروا عزة قالوا لله درها

ما كان أحسن غناءها وأرق صوتها وأندى حلقها وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهى وأجمل وجهها وأظرف لسانها وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفسها وأحسن مساعدتها

وقال طويس يصف عزة هى سيدة من غنى من النساء مع جمال بارع وخلق فاضل واسلام لايشوبه دنس تأمر بالخير وهى من أهله وتنهى عن السوء وهى مجانبة له فناهيك ما كان أنبلها وأنبل مجلسها ثم قال كانت اذا جلست جلوساعاما فكأن الطير على رؤس أهل مجلسها من تكلم أو تحرك نقر رأسه قال ابن سلام فما ظنك بمن يقول فيه طويس هذا القول ومن ذا الذى سلم من لسان طويس

وقال معبد إنه أتى عزة يوما وهى عند جميلة وقد أسنت وهى تغنى على معزفة فى شعر ابن الاطنابة

علانى وعلا صاحبيا * واسقيانى من المروق ريا

قال فما سمع السامعون قط بشئ أحسن من ذلك قال معبد هذا غناؤها وقد أسنت فكيف بها وهى شابة

وقال صالح بن حسان الانصارى كانت عزة مولاة لنا وكانت عفيفة جميلة وكان عبد الله بن جعفر وابن أبى عتيق وعمر بن أبى ربيعة يغشونها فى منزلها فتغنيهم وغنت يوما عمر بن أبى ربيعة لحنا لها فى شئ من شعره فشق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها فلما أفاق قالت له لغيرك الجهل يا أبا الخطاب قال انى سمعت والله مالم أملك معه نفسى ولا عقلى وكان حسان بن ثابت معجبا بعزة الميلاء وكان يقدمها على سائر قيان المدينة وكان زيد بن ثابت ختن ابنته فأولم فاجتمع اليه المهاجرون والانصار وعامة أهل المدينة وحضر حسان بن ثابت وقد كف يومئذ وأقبلت الميلاء وهى يومئذ شابة فوضع فى حجرها مزهر فضربت به ثم تغنت فكانت أول ما ابتدأت به من شعر حسان قوله

فلازال قبر بين بصرى وجلق * عليه من الوسمى جود ووابل

وحسان يبكى وابنه يومئ اليها أن تزيد فاذا زادت بكى حسان وقال خارجة بن زيد فلما طال جلوس حسان ثقل علينا مجالسه فأومأ ابنه الى عزة فغنت

أنظر خليلى بباب جلق هل * تبصر دون البلقاء من أحد

فبكى حسان حتى سدر ثم قال هذا عمل الفاسق (يعنى ابنه) أما لقد كرهتم مجالستى فقبح الله مجلسكم سائر اليوم وقام فانصرف

وقال عبد الله بن أبى مليكة كان رجل من أهل المدينة ناسك من أهل العلم والفقه وكان يغشى عبد الله بن جعفر فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغنى * بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا *

فشغف بها وهام وترك ما كان عليه حتى مشى اليه عطاء وطاوس فلاماه فكان جوابه لهما أن تمثل بقول الشاعر

يلومنى فيك أقوام أجالسهم * فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره فبعث الى النخاس فاعترض الجارية وسمع غناءها بهذا الصوت وقال لها ممن أخذته قالت من عزة الميلاء فابتاعها بأربعين ألف درهم ثم بعث الى الرجل فسأله عن خبره فأعلمه اياه وصدقه عنه فقال له أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية قال نعم فدعا بعزة وقال لها غنيه اياه فغنته فصعق الرجل وخر مغشيا عليه فقال ابن جعفر أثمنا فيه الماء الماء فنضح على وجهه فلما

أفاق قال له أكل هذا بلغ بك عشقها قال وما خفي عليك أكثر قال أفتحب أن تسمعه منها قال قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي ان سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها قال أفتعرفها ان رأيتها قال أو أعرف غيرها فأمر بها فأخرجت وقال خذها فهي لك والله ما نظرت اليها قط الا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه وقال له أنمت عيني وأحييت نفسي وتركتني أعيش بين قومي ورددت الي عقلي فقال ما أرضى ان أعطيكها هكذا يا غلام احمل معها مثل ثمنها لكي لا تهتم به ويهتم بها فأخذها وانصرف شاكرا

وكان ابن أبي عتيق معجبا بعزة الميلاء فأتى يوما عند عبد الله بن جعفر فقال له بأبي أنت وأمي هل لك في عزة فقد اشتقت اليها قال لا أنا اليوم مشغول فقال بأبي أنت وأمي انها لا تنشط الا بحضورك فأقسمت عليك الا ساعدتني وتركت شغلك ففعل فأتياها ورسول الامير على بابها يقول لها دعي الغناء فقد ضج أهل المدينة منك وقالوا افتتنت رجالهم ونساءهم فقال له ابن جعفر ارجع الى صاحبك فقل له عني أقسم عليك الا ناديت في المدينة أيما رجل أو امرأة فتنت بسبب عزة الا كشف نفسه بذلك لتعرفه ويظهر لنا ولك أمره فنادى الرسول بذلك فما أظهر أحد نفسه ودخل ابن جعفر اليها وابن أبي عتيق معه فقال لها الايه ولنك ما سمعت فغنينا فغنتهما

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وإن طالت بك الطيل

فاهتز ابن أبي عتيق طربا فقال ابن جعفر ما أراني أدرك ركابك بعد ان سمعت هذا الصوت من عزة وبقيت عزة في عز واقبال ونعمة وافرة حتى ماتت مأسوفا عليها من كل من سمع صوتها ورأى جمالها

عزة صاحبة كثير

هي عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها كثير جارية قد كعبت نهودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما أن كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادي الخبت فأرسلن له عزة بدريهمات تشتري بها كبشا لهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان فرد الدراهم وأعطاها الكبش وقال ان رجعت أخذت حقي فلما عاد سألنه ذلك فقال لا أقتضي الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فأبى وأنشد

نظرت اليها نظرة وهي عاتق * على حين أن شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة ما يسرني * بها حمر أنعام البلاد وسودها

فجعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله ولما اشتدت حالته أنشد

يزهدني في حب عزة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين ينظر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذي مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت أنجزيها وعلي اثمها

ومن غريب الاتفاق أن كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل فلما اقتضى ماله منهن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت فى نساء أما آن أن تفى بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاى حيث يقول قضى كل ذى دين البيت فقلن له أتدرى من هى غريمتك فقال لا أدرى قلن هى والله عزة فقال اشهدكن على أنها فى حل مما عندها ومضى فأخبر مولاه بالحكاية فقال وأنت حر وما عندك لك وكان الذى عنده ألف دينار وأنشد

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بان يمسى سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت أنى تغيرت بعدها * فمن ذا الذى يا عز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن أروى قوله

كانى أنادى صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك واتفق أن عزة خرجت الى مكة مع زوجها وكان كثير فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا ذلك فجاء الى الجمل فحله وأطلقه من الحمل وأنشد

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها مازلت ذا ثقة * عندى ولا مسك الادلاج والعمل
ليت التحية كانت لى فأشكرها * مكان يا جمل حييت يا رجل

ثم اتفق أن زوجها أمرها أن تستعطى سمنا فلقيها كثير فأخبرته بحاجتها فأخرج إداوة سمن وجعل يسكب فى اناء عزة وهما يتحدثان فلم يشعر حتى غرقت أرجلهما فلما رجعت أنكر زوجها كثرة السمن وأقسم عليها فأخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فأنشد كثير

يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ودخلت عليه وهو يبرى سهاما فجعل ينظر اليها ويبرى ساعده فدخلت ومسحت الدم بثوبها * وتوفيت عزة سنة أربع ومائة ورثاها كثير بابيات منها وقد سأل عبد العزيز أن يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد

وقفت على ربع لعزة ناقتى * وفى البر رشاش من الدمع يسفح
فيا عز أنت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح
وقد كنت أبكى من فراقك خيفة * فهذا لعمرى اليوم أنأى وأنزح
فهلا فداك الموت من أنت زينه * بمن هو أسوا منك حالا وأقبح

الا لا أرى بعد ابنة النضر لذة * لشيء ولا ملجا لمن يتملح
فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح
فان التي أحببت قد حال دونها * طوال الليالي والضريح المرجح
أرب بعيني البكا كل ليلة * فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح
اذا لم يكن ما تسفح العين لي دما * وشر البكاء المستعار المسيح

ومما قال فيها أيضا

كفى حزنا للعين أن رد طرفها * لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا * فقلت البكا أشفى اذا لغليلي
تولت محزونا وقلت لصاحبي * أقاتلتي ليلى بغير قتيل
لعزة اذ ما حل بالخيف أهلها * فأوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول اقامة * (١) تبعت نكباء العشى جفول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل
ومازلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

(١) قوله تبعت كذا الاصل وليحرر اه مصحح

وقال فيها أيضا

لا تغدرن بوصل عزة بعدما * أخذت عليك مواثقا وعهودا
ان المحب اذا أحب حبيبه * صدق الصفاء وأنجز الموعودا
الله يعلم لو أردت زيادة * في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا

عفراء بنت الاحمر الخزاعية

نشأت مع ابن عمها الحرث المشهور بابن الفرند ممتزجين بالالفة الى أن بلغا فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى أن عزمت يوما على أن تزور أباها فجهزها اليه فأقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على أن لا يأتي أحدهما الآخر مخافة أن تزري العرب به فمرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم بقلبي في مقام العوائد

فاجابته تقول

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
ووالله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ماجانبت فعل العوائد

فلما قرأها في الرقعة وتنشق ريحها وكانت أعطر أهل زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أجبته زورة قالت خشيت أن يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي ولاحقة به فقربا فلم يشعروا بها الا وهي ميتة

عفراء بنت مهاصر بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة

كانت من أعظم مشاهير عصرها حسنا وجمالا وأدبا وظرفا وفصاحة شغف بها عروة بن حزام أخي مهاصر وكلاهما أبناء مالك وهو المشهور بالعشق قيل انه أول عاشق مات بالهجر واشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل وكان سبب عشقه لها ان أباه حزاما توفي ولعروة من العمر أربع سنين وكفله مهاصر أبو عفراء فانتشأ جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغا الحلم سأل عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحج فنزل بعمه مهاصر فبينماهو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها وعليها ازار خز فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة أقبل مع العير في اليوم الذي حملت عفراء مع زوجها فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد

وإني لتعروني لذكراك رعدة ✱ لها بين جلدي والعظام دبيب

فما هو الا أن أراها فجاءة ✱ فابهت حتى ما أكاد أجيب

فقلت لعراف اليمامة داوني ✱ فانك ان أبرأتني لطبيب

فما بي من حمى ولامس جنة ✱ ولكن عمي الحميري كذوب

عشية لا عفراء منك بعيدة ✱ فتسلو ولا عفراء منك قريب

وبي من جوى الاحزان والبعد لوعة ✱ تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة مقول ✱ على ما به عود هناك صليب

وما عجب موت المحبين في الهوى ✱ ولكن بقاء العاشقين عجيب

وحين وصل الحي أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحدا وانه تمرض بين أهله زمانا ولما يئس من الشفاء وعلم الضجر من أهله قال لهم احملوني الى البلقاء فاني أرجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر في مرورها عاودته الصحة فأقام كذلك الى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل العذري على زوج عفراء وقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من تعني قال عروة قال أنت أحق بما وصفت والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء متصفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق في قومه فلما أصبح جعل يتصفح الامكنة حتى أتى عروة فعاتبه وأقسم أن لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وأما عروة فانه عزم أن لا يبيت الليل وقد علوا به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومه ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عندي من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي ان أخرج الى قبره فأندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم أنشدت

ألا أيها الركب المجدون ويحكم ✱ بحق نعيتم عروة بن حزام

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا ✱ بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فلا لقي الفتيان بعدك راحة ✱ ولا رجعوا عن غيبة بسلام

ولا

ولا وضعت أنثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام

وما ان بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة فدفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أى ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار

فعانقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان من عار

وكانت وفاتها فى عاشر شوال سنة ٢٨ للهجرة ومن قول عفراء

عدانى ان أزورك يا خليلى * معاشر كلهم واش حسود

أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد

فاما إذ ثويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم اللحود

فلا طابت لى الدنيا مذاقا * لبعدك لا يطيب لى العديد

ومن محاسن شعر عروة قصيدته النونية التى أولها

خليلى من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظرانى

ولا تزهدا فى الاجر عندى وأجملا * فانكما بى اليوم مبتليان

﴿ ومنها ﴾

ألا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى

على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان

ألما على عفراء إنكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان

فيا واشيى عفراء ويحكما بمن * وما والى من جئتما تشيان

بمن لو أراه عانيا لفديته * ومن لو رآنى عانيا لفدانى

وهى تسعة وسبعون بيتا قد ضمنها حكاية حاله بألفاظ رقيقة ومعانى أنيقة وقد تركناها لشهرتها وخوف الخروج عن الموضوع

﴿ عقيلة ابنة أبى النجاد بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور وجدها النعمان صاحب الخورنق ﴾

وهى من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أياما ووقائع تعلقها عمرو بن كعب بن النعمان المذكور وكان رباه عمه أبو النجاد بعد وفاة والده كعب فشغف بها عمرو واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى أبرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره أنه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما بنى بها الفزارى وكان عندها من الشوق لعمرو أضعاف ما عنده لها فكانت تشد الفزارى اذا جن الليل الى

كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحى أن يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم فيه خرج فلا يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول الا الاقل من الطعام بقدر ما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك فانه كان لا يرى الا شاخصا الى السماء متمسكا بحبل علق فوق رأسه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران أو كالسحائب

أو دطلوع الفجر والليل قائل * لقد شدّت الافلاك بعد الكواكب

فما أسقى الا على ذوب مهجتى * ولم يدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصا بالضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدّثتنى النفس ان سوف نلتقى * ويبدل بعد بيننا بتدان

فقد آن للدهر الخؤن بأنه * لتأليف ماقد كان يلتمسان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه قال الفرزدق خرجت فى طلب غلام لى آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جاءت السماء بالامطار فلجأت الى بيت هنالك فخرجت لى جارية كأنها القمر فحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل بن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت نعم فقالت قد هدمه لكم جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتنى فلما رأت ذلك منى قالت أين نؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها أهل المروءة والكرامه

ألا فسقى المليك أجش جونا * يجود بصوبه تلك اليمامه

وحيا بالسلام أبا نجيب * فأهلا للتحية والسلامه

قال فأنست بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم الى الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلىّ ولا بصاح

سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحنّ الى الرواح

فقلت لها من هو فأنشدت تقول

اذا رقد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير

ومالى فى التبعل من براح * وان ردّ التبعل لى أسير

ثم شهقت شهقة فماتت فسألت عنها فاذا هى العقيلة وضبط اليوم الذى ماتت فيه فوجد موت عمرو فى ذلك اليوم أيضا

عكرشة ابنة الاطروش بن رواحة

كانت فصيحة الالفاظ رقيقة أديبة حرة المنطق ذات عقل وافر جامعة بين مزيتى الشجاعة والادب

حضرت

حضرت حرب صفين وألقت الخطب البليغة فمما قالته وهى واقفة بين الصفين تحرض جيش على بن أبى طالب أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين فى دينكم مستظهرين بالصبر على طلب حقكم ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله فى دين الله اياكم والتواكل فان ذلك ينقض عز الاسلام ويطفى نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الاخرى يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير هذا وقد انكفأ عليها العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش فلله رطب القلوب بدر ألفاظها

ووفدت على معاوية فسألته رد الصدقات فقالت ان صدقاتنا كانت تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك قال وما يصنع الوالى قالت فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير فان كان ذلك عن رأيك فمثلك ينبه عن الغفلة ويراجع التوبة وان كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة قال معوية يا هذه انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق وبحور تندفق قالت يا سبحان الله والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا وهو علام الغيوب قال معوية يا أهل العراق نبهكم على بن أبى طالب فلم تطاقوا ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وأنصفها وذهبت وهى مكرمة وبقيت عزيزة فى قومها الى أن توفاها الله تعالى

علية ابنة المهدى العباسية

أخت هرون الرشيد أمير المؤمنين الخامس العباسى كانت من أحسن نساء زمانها وجها وأظرفهن خلقا وأوفرهن عقلا ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة ٢١٠ وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وحمت وماتت لايام يسيرة وكانت تتغزل فى خادمين أحدهما طل والآخر رشأ فمن قولها فى طل وصحفت اسمه

أيا سروة الفتيان طال تشوقى * فهل لى الى ظل لديك سبيل
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه * وليس لمن يهوى اليه وصول

وقالت فيه أيضا

سلم على ذاك الغزال * الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له * يا غل ألباب الرجال
خليت جسمى ضاحيا * وسكنت فى ظل الحجال
وبلغت منى غاية * لم أدر منها ما احتيالى

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره ثم تسمع عليها يوما فوجدها وهى تقرأ القرآن فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل فقالت والذى نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبت لك طلا ولا منعتك بعدها عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب

واذا لم تمكن طاهرا غنت ولما خرج الرشيد الى الرى أخذها معه فلما وصلت الى المرج نظمت قولها

ومغترب بالمرج يبكى بشجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق يستشفى برائحة الركب

وغنت بهما فلما بلغ الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فأمر بردها ومن شعرها

انى كثرت عليه فى زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا
ورابنى منه أنى لا أزال أرى * فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

وقالت أيضا

كتمت اسم الحبيب عن العباد * ورددت الصبابة فى فؤادى
فواشوقى الى أيام خلى * لعلى باسم من أهوى أنادى

وقالت أيضا

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها ثم أعطيها
نادمتها اذ لم أجد صاحبا * أرضاه أن يشركنى فيها

وهذا يشبه قول أبى نواس

على مثلها مثلى يكون منادما * وان لم يكن مثلى خلوت بها وحدى

وقالت أيضا

بنى الحب على الجور فلو * أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن فى حكم الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج
وقليل الحب صرفا خالصا * هو خير من كثير قد مزج

وقالت عريب المغنية أحسن يوم مر بى فى الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع ابراهيم بن المهدى وأخته علية وعندهم يعقوب وكان أحذق الناس بالمزمار فبدأت علية فغنتهم من صنعتها فى شعرها وأخوها يعقوب يزمر عليها

تحبب فان الحب داعية الحب * وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر فان حدثت أن أخا الهوى * نجا سالما فارج النجاة من الحرب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب
وأطيب أيام الفتى يومه الذى * يروع بالهجران فيه وبالعتب

وقالت أيضا

لم ينسينك سرور ولا حزن * وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلا منك لا قلبى ولا جسدى * كلى بكلك مشغول ومرتهن
وحيدة الحسن مالى عنك من كلف * نفسى بحبك الا الهم والحزن
نور تولد من شمس ومن قمر * حتى تكامل فيه الروح والبدن

فما سمعت مثل ما سمعت منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا

﴿عمارة جارية ابن جعفر﴾

كانت من مشاهير نساء عصرها حسنا وجمالا ولها اليد الطولى فى صنعة الغناء وكان سيدها وجد بها وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا أو حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد فغنت الجارية بحضرته فأخذت بجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم أمرها فلما أفضت اليه الخلافة استشار أهل سره فى أمرها وانه لا يهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه من أبيك ولا نأمن عليك فى ذلك فالزم المهلة واجتهد فى الحيلة فأخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل وأطلعه على أمره فقال له مكنى مما أريد ولك على أن آتيك بها فقال لك ذلك دبر بسرك ثم أعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه وأخذ العراقى فى التودد اليه فأرسل اليه بقماش وهدايا تزيد على ألف دينار وسأله قبولها وتقله الى خواصه فزاد فى الهدايا الى أن صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت أعجب بها العراقى حتى قال ما ظننت أن فى الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوى عندك قال الخلافة فقال عبد الله تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطلب بذلك سرورى قال يا سيدى أنا تاجر أجمع الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقى بالمال فقال ابن جعفر أنا كنت مازحا فقال له يا سيدى أنت تعلم ان المزاح فى البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وأنت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى أن يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى أن خدعه فاخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه وأقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقى الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بمعاوية ولده فقص الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عنى بها فلا ترينى وجهك فخرج العراقى وكان قد قال للجارية أنا لست من رجالك وانما أخذتك للخليفة فاسترت فلم ير لها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال لها قد صرت لى ولكن فاسترى فانى معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا أخبره بالقضية وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رآه قد هلك لم ير نفسه اهلا لها فأعادها اليه ولم يرلها وجها ثم أخذها فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم أدخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار أعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف وأقاما على ما كانا عليه فى عز واقبال

﴿عمرة ابنة دريد بن الصمة﴾

سيد بنى جشم الذى قتل يوم حنين فى حرب الاسلام قتله عبد ربيعة بن رفيع سنة ثمان للهجرة (و ٦٣٠) ميلادية

كانت من نساء العرب المتقدمات بالمنزلة النابغات بالفصاحة والادب العالمات بأشعار وروايات العرب لها اليد الطولى فى الكرم والشعر المحكم ومن أشعارها ما قالته رثاء فى أبيها دريد المذكور وتنعى الى بنى سليم احسان دريد اليهم فى الجاهلية

لعمرك ما خشيت على دريد * ببطن سميرة جيش العناق

جزى عنه الاله بنى سليم * وعقهم بما فعلوا عقاق

وأسقانا اذا عدنا اليهم * دماء خيارهم يوم التلاقى
فرب عظيمة دافعت عنهم * وقد بلغت نفوسهم التراقى
ورب كريمة أعتقت منهم * وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم * أجبت وقد دعاك بلا رماق
فكان جزاؤنا منهم عقوقا * وهماماع منه مخ ساق
عفت آثار خيلك بعد أين * فذى بقر الى نيف النهاق

وقالت فيه أيضا

قالوا اقتلناه دريدا قلت قد صدقوا * فظل دمعى على السربال ينحدر
لولا الذى قهر الاقوام كلهم * رأت سليم وكعب كيف تأتمر
اذا لصبحهم غبا وظاهرة * حيث استقرت نواهم جحفل ضفر

﴿ عمرة ابنة الخنساء ﴾

كانت شاعرة مثل أمها الخنساء وأبوها هو مرداس بن أبى عامر وكان العباس ويزيد ابنا مرداس أخويها وتزوجت بنشبة فولدت له ولدا سمته الاقيصر مات صغيرا ومن مراثيها قولها فى أخيها يزيد لما قتل وذلك أن يزيد كان قتل قيس بن الاسلت فى بعض حروبهم فطلبه بثأره هرون بن النعمان بن الاسلت حتى تمكن من يزيد فقتله بقيس بن أبى قيس وهو ابن عمرو فقالت عمرة

أجد ابن أمى أن لا يؤبا * وكان ابن أمى جليدا نجيبا
نقيا تقيا رحيب المقام * كميا صليبا لبيبا خطيبا
حليما أريبا اذا ما تبدى * سديد المقال مهيبا دريبا
وحسناء فى القول منسوبة * تكشف حاجبها والسبيبا
فشد بمنطقه مقصرا * فدارت به تستطيف الركوبا
تشق سنابكها بالعرى * وتطرح بالطرف عنها الغيوبا
فلما علاها استمرت به * كما أفرغ الناضحان الذنوبا
فساروا اليه وقالوا استقم * فلم يجدوه هلوعا هيوبا
بقوم اذا فرغوا أمسكوا * وأدرك منهم ركوبا ركوبا
وطعنة خلس تلافيتها * كعطف النساء الرداء الجيوبا
وحوراء فى القوم مظلومة * كأن على دفتيها كثيبا
تيممتها غير مستأمر * فعرقبتها وهززت القضيبا
فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وغادرت أخرى خضيبا
وقلت لصاحبها لا ترع * فلم يعدم القوم نصحا قريبا
فراح يعدى على أجرد * أمون وغادرت رحلا جنيبا
ورق سباه لا صحابه * فظل يحيا وظلوا شروبا

وقالت عمرة أيضاً ترثي أباها مرداساً وكان يقال له الفيض من سخائه كأنه فيض البحر

لقد أرانا وفينا سامر لجب * مصارخ فيهم عز ومر تغب
لا يرقع الناس فتقاً ظل يفتقه * ويرقع الخرق قد أعيا فيرتئب
والفيض فينا شهاب يستضاء به * إنا كذلك فينا توجد الشهب
اذ نحن بالاثم نرعاه ونسكنه * جول فوارسها كالبحر تضطرب
كأن ملقى المساحي من سنابكها * بين الخيول الى سعر اذا ركبوا
فيها الذلول وفيها كل معترض * يفني ضغينته التعداء والخبب

وقالت عمرة ترثي أخاها يزيد وهذا الشعر في الحماسة

أعيني لم أختلكما بخيانة * أبى الدهر والايام أن أتصبرا
وما كنت أخشى أن أكون كأنني * بعير اذا ينعى أخي تحسرا
ترى الخصم زوراً عن أخي مهابة * وليس جليس عن أخي بأزورا

وقالت في أخيها عباس وقد مات في الشأم سنة ١٦ للهجرة و(٦٣٨) للميلاد

لتبك ابن مرداس على ما عراهم * عشيرته إذ حم أمس زوالها
لدى الخصم اذ عند الامير كفاهم * فكان اليها فضلها وجلالها
ومعضلة للعاملين كفيتها * اذا أنهكت هوج الرياح طلالها

وقالت من جملة قصيد في يزيد

تحمي لها ذات أجياد غضنفرة * فمجلس الاثم فالصرداء أحيانا
فيهن قب كبات الاباء به * يحذين تبنا ولا يحذين قردانا

وتوفيت عمرة بنت الخنساء نحو سنة ٤٨ هجرية

عمرة الخثعمية

هي من نساء بني خثعم الشاعرات الاديبات المتحمسات وشعرها مقبول ولها رثاء في أخوين لها اقتتلا في بعض الغزوات

لقد زعموا أني جزعت عليهما * وهل جزع أن قلت وابأباهما
هما أخوا في الحرب من لا أخاله * اذا خاف يوماً نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة * شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

عمرة ابنة النعمان بن بشير

كانت حسنة الاشارة جميلة المنظر لطيفة المخبر عفيفة دينة متمسكة بالصدق والصداقة عرفت بين أخواتها بالامانة وحفظ العهد وعندما شبت تزوجت بالمختار بن أبي عبيد الثقفي ومكثت معه لحين قتله فقتلت معه وكان لها علم بمعاني الشعر والادب ولها فيه بعض مقاطيع ومن ذلك ما قالته تخاطب به أخاها أبان بن النعمان وتلومه فيها على زواج أختها حميدة بروح بن زنباع وكان من بني جذام

أطال الله شأنك من غلام * متى كانت منا كحنا جذام

أترضى بالفواسق والزوانى * وقد كنا بقربنا السنام

وقد سمع ذلك ابن عم لروح بن زنباع زوج أختها حميدة فقال

رضى الاشياخ بالقيطون فحلا * وترغب للعماقة عن جذام
يهودى له بضع العذارى * فقبحا للكهول وللغلام
تزف اليه قبل الزوج خود * كأن شمسا تدلت من غمام
فأبقى ذلكم عارا وخزيا * بقاء الوحى فى صم السلام
يهود جمعوا من كل أوب * وليسوا بالغطاريف الكرام

وقتلت عمرة بعد قتل زوجها المختار بن أبى عبيد الثقفى والسبب فى ذلك كما جاء فى التاريخ الكامل لابن الاثير أن مصعبا بعد أن قتل المختار دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأته وعمرة هذه فأحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه بقولك أنت فأطلقها وقالت عمرة رحمه الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله بن الزبير انها تزعم انه نبى فأمره بقتلها ليلا بين الكوفة والحيرة فقتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهى تقول يا أبتاه يا عترتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا ابن الزانية عذبتها ثم تشحطت فماتت فتعلق الشرطى بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى أمرا فظيعا فقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى ذلك

ان من أعجب العجائب عندى * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى فى ذلك أيضا

أتى راكب الاتى بالنبأ العجب * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة فى الخيم والعز والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير فى سالف الحقب
خليل النبى المصطفى ونصيره * وصاحبه فى الحرب والضرب والكرب
أتانى بأن الملحدين توافقوا * على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة * وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهم اذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بمملكة العرب
ألم تعجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذم والبهتان والشك والريب
علينا دبات القتل والبأس واجب * وهن عفاف فى الحجال وفى الحجب
على دين أجداد لها وأبوة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم ترب
من الخفرات لاخروج بزينة * ولا ذمة تبغى على جارها الجنب
ولا الجار ذى القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تجب
عجبت لها اذ كتفت وهى حية * ألا ان هذا الخطب من أعجب العجب

وروى صاحب الاغانى أن مصعبا بعد أن قتل المختار أخذ عمرة وابنة سمرة امرأته الثانية وأمرهما بالبراءة من المختار أما بنت سمرة فبرئت منه وأبت ذلك عمرة فكتب به مصعب الى أخيه عبد الله فكتب اليه ان أبت أن تبرأ منه فاقتلها فأبت فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت

﴿عوان جارية سليمن بن عبد الملك﴾

كان يحبها مولاها حبا شديدا وهى مشهورة بالجمال والفصاحة وكان شديد الغيرة عليها وانه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمن ولكن زاره ضيوف فى ثلاث الليلة فأكرمهم فقالوا ياسنان لم تكرمنا مالم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمرة فأنشد

محبوبة سمعت صوتى فأرقها * فى آخر الليل لما بلها السحر
تثنى على فخذها مثنى معصفرة * والحلى منها على لباتها حصر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها الطروق الصوت منحدر
فى ليلة النصف مايدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم * يكاد من رقة للمشى ينفطر

فلما سمع سليمن الصوت خرج فزعا يتفهمه فجاء الى عوان فرآها على صفة الابيات وكانت بقطانة فلما فطنت به قالت

ألا رب صوت جاءنى من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى أمة يدعى معا والى عبد

فسكن مابه وقال قدرا على صوته قالت صادف منى ياأمير المؤمنين خلف ليقتلنه فأرسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته فلك ديته وأنت حر فسبق رسول سليمن فجاؤا به فنظر اليه ثم قال وإنك لجترئ فقال أنا فارسك فاستبقنى فقال لا أقتلك ثم أمر به فخصى

وبقيت عوان عند سليمن معززة مكرمة الى أن مات عنها وآلت الى خلافه

﴿عوراء بنت سبيع﴾

كانت فصيحة اللسان ثبتة الجنان لها علم بفنون الادب ورواية فى شعر العرب لها شعر قليل وأغلبه رثاء فى أخيها عبد الله بن سبيع حين قتل فى يوم من أيام العرب منه قولها

أبكى لعبد الله اذ * حشت قبيل الصبح ناره
طيان طاوى الكشح لا * يرخى لمظلمة ازاره
يعصى البخيل اذا أرا * د المجد مخلوعا عذاره

﴿حرف الغين﴾

﴿غاية المنى جارية المعتصم بن صمادح﴾

هى جارية أندلسية متأدبة متخرجة فى فنون الغناء لها صوت حسن وصنعة جيدة بالاصوات وكان أكثر

غنائها من أصوات عريب واسحق ومعبد وقيل ان سبب وصولها الى المعتصم بن صمادح هو أنها لما أدبها وخرجها سيدها قدم بها الى المعتصم فأراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي

اسألوا غاية المنى * من اكسا جسمي الضنى

فقالت وأراني مولها * سيقول الهوى أنا

فاشتراها منه بمائة ألف درهم وكانت محظية عنده الى أن ماتت

الشاعرة الغسانية

لم أقف على اسمها الحقيقي وانما قال صاحب نفح الطيب ان هذا اللقب هو نسبة الى بلدة من بلاد الاندلس وهي تشتهر باقليم المرية وهي من أهل المائة الرابعة كانت ذات ظرف وأدب وجمال ولطف وبهاء وكمال عالمة بالعروض وضروبه والشعر وروايته فن نظمها من أبيات

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم * أنيق وغصن الوصل أخضر فينان

ليالي سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

ويقال ان لها قصائد وأشعارا غير هذه وهي من الشاعرات الموصوفات بالاندلس

حرف الفاء

فاختة ابنة أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية

بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخت علي بن أبي طالب أمها فاطمة بنت أسد واختلف في اسمها فقيل هند وقيل فاطمة وقيل فاختة كانت تحت هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومي أسلمت عام الفتح فلما أسلمت وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة الى نجران وقال حين فر معتذرا من فراره

لعمرك ما وليت ظهري محمدا * وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء ان ضربت ولا نبلي

وقفت فلما خفت ضيقة موقفي * رجعت لعود كالهزبر الى الشبل

قال خلف الاحمر أبيات هبيرة في الاعتذار خير من قول الحرث بن هشام يعني قوله

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مزبد

وقال الاصمعي أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار قول الحرث بن هشام قال ابن اسحق ان هبيرة أقام بنجران فلما بلغه اسلام أم هانئ وكانت تحته قال أبياتا منها

وعاذلة هبت بليل تلومني * وتعذلني بالليل ضل ضلالها

وتزعم أني ان أطعت عشيرتي * سأردى وهل يردين الا زوالها

ومنها يخاطب أم هانئ

فان كنت قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها

فكوني على أعلى سحيق بهضبة * ململمة غبراء يبس بلالها

وهي أكثر من هذا وولدت أم هانئ لهبيرة عمرا وبه كان يكنى هبيرة وهانئا ويوسف وجعدة وقيل ما أخبر أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا أم هانئ فانها حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل فسبح ثماني ركعات ما رأيته صلى صلاة أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود

فارعة ابنة أبي الصلت الثقفية أخت أمية بن أبي الصلت

كانت من أديبات العرب الشاعرات العاقلات الجميلات الهيئة والمنظر وكانت من الصحابيات المحدثات الصادقات في الرواية أخذ عنها كثير من التابعين

فلما مات أمية قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت اني رأيت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال الذي عند رأسه للذي عند رجليه وعى قال أزكا قال زكا قال فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ماقد بدالي * في قلال الجبال أرعى الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * فيه شيب الصغار يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله أعيديه فأعادت عليه شعر أخيها وأنشدت شعرا جيدا فقالت

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شئ أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ماقال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أواخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

وأنشدته قول أخيها أيضا بقصيدته المشهورة التي فيها

باتت همومي تسري طوارقها * أكف عيني والدمع سابقها
مارغب النفس في الحياة وان * تحيا قليلا فالموت سائقها

ومنها قوله

يوشك من فر من منيته * يوما على غرة يوافقها

من لم يمت غبطة يمت هرما * للموت كأس والمرء ذائقها

وأنشدته قوله عند موته

لبيكما لبيكما * ها أنا ذا لديكما

وقوله إن تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

فقال صلى الله عليه وسلم كان مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وبقيت فارعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من النساء المعدودات بالفضائل المقدمات عند الصحابة الى أن ماتت

فارعة ابنة شداد

كانت من النساء الموصوفات بالادب وعلو الهمة وحسن المدركة لها شعر حسن ومراث مقبولة منها ما قالته فى أخيها أبى زرارة مسعود يوم قتل فى بعض غزواته

يا عين جودى لمسعود بن شداد * بكل ذى عبرات شجوه بادى
من لا يذاب له شحم السديف ولا * يجفو العيال اذا ما ضن بالزاد
ولا يحل اذا ما حل منتبذا * يخشى الرزية بين المال والنادى
قوال محكمة نقاض مبرمة * فراج مبهمة حباس أوراد
نحار راغية قتال طاغية * حلال رابية فكاك أقياد
حلال ممرعة حمال معضلة * فراع مفظعة طلاع أنجاد
شهاد أندية رفاع أبنية * شداد ألوية فتاح أسداد
جماع كل خصال الخير قد علموا * زين القرين وخطل الظالم العادى
أبا زرارة لا تبعد فكل فتى * يوما رهين صفيحات وأعواد
هلا سقيتم بنى حرم أسيركم * نفسى فداؤك من ذى كربة صاد

فاطمة ابنة أسد

ابن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم على بن أبى طالب وأم أخوته طالب وعقيل وجعفر قيل انها توفيت قبل الهجرة وليس بشئ والصحيح أنها هاجرت الى المدينة وتوفيت بها قال الشعبى أم على فاطمة بنت أسد أسلمت وهاجرت الى المدينة وتوفيت بها وقال على لامه فاطمة بنت أسد اكفى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب فى الحاجة وتكفيك من الداخل الطحن والعجن وهذا يدل على هجرتها لان عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة قال الزهرى هى أول هاشمية ولدت لهاشمى وهى أيضا أول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت الحسن ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الامين لا نعلم غيرهن ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف لهم الخلافة فأما على فانه كان من اضطراب الامور عليه الى أن قتل كما هو مشهور وأما الحسن والامين فخلعا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه واضطجع فى قبرها وجزاها خيرا فقيل له ما رأيناك صنعت باحد ما صنعت بهذه قال انه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها انما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت فى قبرها ليهون عليها

عذاب

عذاب القبر قال الزبير انقرض ولد أسد بن هاشم الا من ابنته فاطمة بنت أسد وفاطمة هذه لها فضائل مشهورة ومآثر مشكورة مذكورة فى كتب التاريخ ولشهرتها وكثرة تداولها اكتفينا بذكر هذا اليسير منها

﴿فاطمة ابنة النبى صلى الله عليه وسلم﴾

ولدت فاطمة قبل ما تبنى قريش الكعبة بخمس سنين وهى أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة بنت خويلد وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة وكان النبى يحبها أكثر من كل أولاده الطاهرين وبناته الشريفات تزوجها على بن أبى طالب عليهما السلام فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وبنى بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة روى عن أنس انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيه الوحى فلما أفاق قال يا أنس أتدرى ما جاءنى به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عز وجل وعلا قلت بأبى أنت وأمى ما جاءك به جبريل قال قال لى ان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تزوج فاطمة من على فانطلق وادع لى أبا بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وبعدتهم من الانصار قال فانطلقت فدعوتهم فلما أخذوا مجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المهروب اليه من عذابه النافذ أمره فى أرضه وسمائه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا لاحقا وأمرا مفترضا وحكما عادلا وخيرا جامعا أوشج بها الارحام وألزمها الانام فقال الله عز وجل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا وأمر الله تعالى يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من على وأشهدكم انى زوجت فاطمة من على على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وامن الامة أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم قال وكان على عليه السلام غائبا فى حاجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه فيها ثم أمر لنا بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال انتهبوا فبينما نحن كذلك اذ أقبل على فتبسم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا على ان الله أمرنى ان أزوجك فاطمة وانى زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة فقال على رضيت يا رسول الله ثم ان عليا خر ساجدا شكرا لله فلما رفع رأسه قال الرسول صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وعليكما واسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب

وفى المسند عن عائشة قالت أقبلت فاطمة تمشى كان مشيتها مشية النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بابنتى ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثا فبكت فقلت استخصك رسول الله بحديثه ثم تبكين ثم أسر لها حديثا أيضا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قيل لها فقالت ما كنت لافشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر الى ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وانه عارضنى به فى هذا العام مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلى وانك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف انا لك فبكيت فقال الا ترضين ان تكونى سيدة نساء هذه الامة فضحكت لذلك ولم تضحك فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها قال

في الجمان روى أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لها امضي الى السوق بها وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قبلها فأتيني به فمضت الجارية الى السوق وقالت من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل مغربي أنا موضع صدقة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطته الصدقة وقالت له أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها نعم فلما بلغ الباب سألته من أنت فقال لها أنا رجل مغربي فقالت له من أي المغرب فقال من البربر فبكت فاطمة وقالت قال لي والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر سيقتل الحسن والحسين ويفر أولادهما الى المغرب فلا يأويهما الا البربر فيا شؤم من فعل بهم ذلك وطوبى لمن أكرمهم وأعزهم وعن علي عليه السلام قال ان فاطمة بنت رسول الله صارت الى قبر أبيها بعد موته ووقفت عليه وبكت ثم أخذت من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها ثم أنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام عدن لياليا

ولها عليها السلام ترثي أباها صلى الله عليه وسلم

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الاحزان
فليبكه شرق البلاد وغربها * ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود الاشم وجوه * والبيت ذو الاستار والاركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه * صلى عليك منزل القرآن

توفيت عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة للهجرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها علي عليه السلام وقيل صلى عليها ونزل في قبرها هو والفضل بن العباس وقيل لبثت فاطمة بعد وفاة النبي عليه السلام ثلاثة أشهر وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر ومثله عن ابن شهاب الزهري وهو الصحيح روى ان عليا عليه السلام لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ومن دفنها رجع الى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعا شديدا ثم أنشأ يقول

أرى علل الدنيا علي كثيرة * وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد * دليل على أن لا يدوم خليل

وكان يزور قبرها في كل يوم فاقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى بكاء مرا وأنشأ يقول

مالي مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابي
يا قبر مالك لا تجيب مناديا * أمللت بعدي خلة الاحباب

فأجابه هاتف يقول

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم * وأنا رهين جنادل وتراب

أكل التراب محاسني فنسيتكم * وحجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم مني السلام تقطعت * مني ومنكم خلة الاحباب

وأما أولادها فالحسن والحسين والمحسن وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب وزاد الليث بن سعد رقية وماتت صغيرة لم تبلغ ولم يتزوج علي على فاطمة وكانت أول ازواجه عليهما السلام ونفعنا الله بهما آمين

فاطمة ابنة الحسين

ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام أمها أم اسحق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله وتزوج فاطمة ابن عمها حسن بن الحسن السبط فولدت عبد الله ويلقب بالمحض وانما سمي بالمحض لمكانه من الحسنين وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له لم صرتم أفضل الناس فقال لان الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد وولدت صاحبة الترجمة للحسن المثنى ابراهيم القمر والحسن المثلث وكل منهم له عقب ومات المحض هو واخوته في سجن المنصور العباسي وكان موتهم سنة ١٤٥ ثم مات عنها الحسن المثنى فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وفي الاغاني خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الى عمه الحسين فقال ياابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة فاستحى فقال له قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثرشبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تشبه الحور العين لجمالها ولما مات الحسن المثنى ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطا وكانت تقوم الليل وتصوم النهار فلما كان رأس السنة قالت لمواليها اذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول هل وجدوا ما فقدوا فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا ولما مات الحسن خرج عبد الله بن عمرو في جنازته فنظر الى فاطمة حاسرة تضرب وجهها فأرسل يقول لها ان لنا في وجهك حاجة فارفقي به فاستحيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهها فلما حلت أرسل اليها يخطبها فقالت كيف بأيماني وكانت قد حلفت لزوجها أن لا تتزوج بعده فأرسل اليها يقول لها لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيآن فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمدا والقاسم وكان عبد الله ابن الحسن ولدها يقول ما أبغضت بغض عبد الله بن عمرو أحدا ولا أحببت حب ابنه محمد أحدا

وكانت فاطمة كريمة الاخلاق حسنة الاعراق قيل انه لما جهز يزيد أهل البيت الى المدينة بعد قتل الحسين أرسل معهم رجلا أمينا من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم الى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لاختها سكينة قد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك أن تصليه بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به الا ما كان من هذا الحلي قالت فافعلي فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا اليه بهما فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا كفاية ولكني والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة أكبر سنا من أختها سكينة قال صاحب نور الابصار عن القطب الشعراني ان السيدة فاطمة النبوية بنت الامام الحسين السبط مدفونة بالدرب الاحمر بمصر وقال الشيخ عبد الرحمن الاجهوري الكبير ان السيدة فاطمة النبوية مدفونة خلف الدرب الاحمر في زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية في مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه المهابة والجلال

وفي رحلة ابن بطوطة بعد الكلام على غزة مانصه وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت

الحسين بن علي رضي الله عنه وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع (بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين عليه السلام) وفي اللوح الآخر منقوش صنعة محمد ابن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الابيات

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه * بالرغم مني بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة * بنت الائمة بنت الانجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع * ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ومن كلام فاطمة عليها السلام والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيأ ولا أدركوا من لذاتهم شيأ الا وقد ناله أهل المروآت فاستتروا بجميل ستر الله

ومن قولها تنعى أباها

نعق الغراب فقلت من * تنعاه ويحك يا غراب
قال الامام فقلت من * قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لي * بمقال محزون أجاب
إن الحسين بكربلا * بين الاسنة والحراب
أبكي الحسين بعبرة * ترضي الاله مع الثواب
ثم استقل به الجنا * ح فلم يطق ردّ الجواب
فبكيت مما حل بي * بعد الرضيّ المستجاب

وقيل ان هذه الابيات لفاطمة الصغرى وانها تخلفت في المدينة فجاء غراب وتمرغ في دم الحسين في كربلاء وطار حتى وقع على جدار فاطمة الصغرى فرفعت طرفها ونظرت اليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت الابيات المذكورة

وقال بعضهم لما زفت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام الى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عارضها موسى شهوات فقال

طلحة الخير جدكم * ولخير الفواطم
أنت للطاهرات من * فرع تيم وهاشم
أرتجيكم لنفعكم * ولدفع المظالم

وتوفيت السيدة فاطمة المشار اليها سنة عشرة ومائة للهجرة ودفنت في المسجد المعروف بها الآن الكائن خلف الدرب الاحمر بمصر المار ذكره ومسجدها مقام الشعائر وله أوقاف دارة من ديوان الاوقاف لغاية الآن ولها مولد كل سنة وحضرة في كل أسبوع تجتمع فيها رجال الطريقة والاذكار والصلوات تقام من المساء الى الصباح

﴿فاطمة بنت مر الخثعمية﴾

كانت من كاهنات العرب المشهود لهم بالفراسة وقد اشتهر صيتها في علم الكهانة وكانت تقول الشعر

مرّ عليها أبوما عبد المطلب بن هاشم ومعه ولده عبد الله فرأت فى وجه عبد الله نورا ساطعا فتفرّست فيه أنه سيخرج منه مولود يكون له شأن فأحبت أن يكون منها ذلك المولود فقالت له يا عبد الله هل لك أن تقع علىّ ولك مائة ناقة من الابل فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم قال لها أنا مع أبى فلا أقدر أن أفارقه ومضى فزوّجه أبوه بآمنة بنت وهب فأقام عندها ثلاثا ثم انصرف فمرّ بالخثعمية فدعته نفسه الى مادعته اليه فقال لها هل لك فيما كنت أردت فقالت يافتى ما أنا بصاحبة ريبة ولكنى رأيت فى وجهك نورا فأردت أن يكون لى فأبى الله الا أن يجعله حيث أراد فما صنعت بعدى قال زوّجنى أبى آمنة ابنة وهب فقالت فاطمة بنت مرّ حين ذلك

انى رأيت مخيلة لمعت * فتلألأت بحناتم القطر
فسمالها نور يضىء به * ما حوله كاضاءة البدر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
فرجوته فخرا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله مازهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقالت أيضا فى ذلك

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم * أمينة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده * فتائل قد بلت له بدهان
فما كل ما يحوى الفتى من ملاذه * لعزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل اذا طالبت أمرا فانه * سيكفيكه جدان يعتلجان
سيكفيكه إما يد مقفعلة * وإما يد مبسوطة ببنان
ولما حوت منه أمينة ما حوت * حوت منه فخرا ما لذلك ثانى

فانصرف عبد الله وبقيت هى فى حالها حتى ولد النبى صلى الله عليه وسلم وتربى وكبر ونزل عليه الوحى ووفدت عليه وأسلمت على يديه وماتت فى مدته رحمها الله

﴿فاطمة بنت أحجم بن دندنة الخزاعى﴾

كان أبوها أحد سادات العرب تزوج بخالدة بنت هاشم بن عبد المطلب وكانت فاطمة من فصحاء العرب وشاعرات النساء وأشعارها كانت لاتخرج عن الحكم والامثال وأكثرها رثاء وكانت العرب تتمثل بأشعارها ومن قولها فى الجراح زوجها

ياعين بكى عند كل صباح * جودى باربعة على الجرّاح
قد كنت لى جبلا ألوذ بظله * فتركتنى أضحى بأجرد ضاح
قد كنت ذات حمية ما عشت لى * أمشى البراز وكنت أنت جناحى
فاليوم أخضع للذليل وأتقى * منه وأدفع ظالمى بالراح

وأغض من بصرى وأعلم أنه * قد بان حد فوارسى ورماحى
واذا دعت قـــرية شجنالها * يوما على فتن دعوت صياحى

وقالت أيضا

إخـوتى لا تبعــــدوا أبدا * وبلى والله قــــد بعدوا
لو تملتهـم عشـــيرتهم * لاقتناء العـــز أو ولدوا
هان مـــن بعض الرزية أو * هان من بعض الذى أجــد
كــل ماحى وان أمروا * واردو الحوض الذى وردوا

فاطمة ابنة الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب

كانت احدى العشرة الذين أسلموا أول الاسلام وهى أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى قبل اسلام أخيها عمر وهى كانت سبب اسـلامه وقيل سئل عمر عن سبب اسلامه فقال خرجت بعد اسـلام حمزة بثلاثة أيام فاذا أحد رجال بنى مخزوم وكان قد أسلم فقلت تركت دين آبائك واتبعت دين محمد فقال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا منى قلت من هو قال أختك وختنك قال فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة ففتح الباب فدخلت فقلت ماهـذا الذى أسمع قالت ماسمعت شيئا فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى فضربته فأدميته فقامت الى اختى فأخذت برأسى فقالت قد كان ذلك على رغم أنفك قال فاستحييت حين رأيت الدم وقلت أرونى هذا الكتاب فأروه اياه فلما رآه أسلم وذلك مشهور فى ترجمته

وبقيت المترجمة تعضد الاسـلام وتحرض نساء قريش على اتباعه حتى دخل دين الاسلام نساء ورجال كثيرون بسببها

وكانت أديبة فاضلة عاقلة محبة للخير كارهة للشر آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر توفيت بخلافة أخيها عمر بن الخطاب ودفنت بما لاقبها

فاطمة ابنة قيس بن خالد الاكبر ابن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس

قيل كانت أكبر منه بعشر سنين وكانت أديبة عاقلة فاضلة ذات رأى صائب وفكر ثاقب وكمال باهر وجمال ظاهر هاجرت أول الاسلام مع من هاجر وكانت تحت أبى حفص بن المغيرة فطلقها ثلاثا لاسباب وقعت بينهما فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تعتد فى بيت ابن أم مكتوم فقالت له أليس لى على أبى حفص نفقة فقال لها ليس لك عليه نفقة ولا سكنى فامتثلت

وقيل انه لما طلقها أبو حفص خطبها معاوية وأبو جهم بن حذيفة فاستشارت النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لها أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو حـذيفة فلا يضع عصاه عن عاتقه وأمرها باسامة بن زيد فتزوجته

وقيل انها قدمت الكوفة على أخيها الضحاك بن قيس وكان أميرا بها من قبل عمر بن الخطاب فلما سمع

بقدومها أهل الكوفة تقاطروا عليها ومن جملتهم الشعبى وقد حدثتهم بما سمعته عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنها الشعبى جملة أحاديث

وقيل انه لما قتل عمر بن الخطاب اجتمع أهل الشورى فى بيتها وقضوا ما آربهم فى الخلافة باطلاعها وأخذوا رأيها فى ذلك

وقد روت جملة أحاديث رواها عنها بعض الصحابة

﴿فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية﴾

كانت تزوجت سالما مولى حذيفة زوجها منه عمها أبو حذيفة بن عتبة وكانت من المهاجرات الاول ومن أفضل أيامى قريش لها عقل وكمال وفضل وجمال ولما قتل عنها سالم يوم اليمامة تزوجها بعده الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وقيل انها كانت فى الشام تلبس الجباب من ثياب الخز ثم تأتزر فقيل لها ما يغنيك هذا عن الازار فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالازار وقد روت جملة أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم رواها عنها بعض الصحابة

﴿فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومى أخت خالد بن الوليد﴾

أسلمت يوم الفتح وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم وهى زوج ابن عمها الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى ويقال انه تزوجها بعده عمر بن الخطاب وقد ولدت للحرث بن هشام عبد الرحمن وأم حكيم وقد خرجت مع زوجها الحرث الى الشام وقد استشارها أخوها خالد فى بعض أموره وذلك لوفرة عقلها وحسن تدبيرها ولما مات عنها زوجها الحرث عادت الى المدينة وقد تزوجها عمر بن الخطاب بعد رجوعها بقليل وروى لها عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث رواها عنها بعض الصحابة

﴿فاطمة ابنة الضحاك الكلابية﴾

كانت من النساء العاقلات الفاضلات وهى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابنته زينب وقيل انه خيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عند ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا

والظاهر أن هذه الرواية باطلة لانه جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وهكذا تتابع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كلهن على ذلك وقيل كان عنده تسع نسوة حين خيرهن وهن اللاتى توفى عنهن وروى جماعة أن التى قالت أنا الشقية هى التى استعاذت منه وقد اختلفوا فيها اختلافا كثيرا

﴿فاطمة ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية﴾

هى أخت هند بنت عتبة وهى خالة معاوية بن أبى سفيان الاموى كانت فصيحة الالفاظ رقيقة أديبة حلوة المنطق ذات عقل وافر جامعة بين مزيتى الحسن والادب أسلمت يوم الفتح وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنها أخوها أبو حذيفة بن عتبة ذهب بها وبأختها هند يبايعان رسول الله صلى الله عليه

وسلم وذلك يوم الفتح فقالت فاطمة فلما اشترط علينا النبي صلى الله عليه وسلم قالت هند أوتعلم فى نساء قومك هذه الهنات والعاهات فقال بايعيه فهكذا يشترط وقيل ان فاطمة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قد كنت ومافى الارض قبة أحب الى ان تهدم من قبتك وانى اليوم ومافى الارض قبة أحب الى بقاء من قبتك فقال أما إن أحدكم لن يؤمن حتى أكون أحب اليه من نفسه

﴿ فاطمة ابنة المجلل بن عبدالله بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى القرشية العامرية ﴾

وتكنى أم جميل كانت من النساء الفاضلات الاديبات العاقلات وقد اشتهرت بالفضيلة والظرف والرقة وهى من السابقين الى الاسلام

تزوجها حاطب بن الحرث بن المغيرة فولدت له محمد بن حاطب والحرث بن حاطب وقد هاجرت مع من هاجروا الى بلاد الحبشة مع زوجها حاطب فلما توفى زوجها فى بلاد الحبشة وقدمت هى وابناها المذكوران الى المدينة فى احدى السفينتين اللتين قدمتا اليها من الحبشة وقيل انها لما قدمت من أرض الحبشة وفدت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنها فقالت يارسول الله هذا ابن أخيك حاطب وقد أصابه هذا الحرق من النار فادع الله له فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاء فشفى

﴿ فاطمة ابنة عبدالملك بن مروان ﴾

كانت فصيحة زمانها وأديبة عصرها وأوانها ذات جمال رائق وحسن فائق ودين وورع لم يسبق اليه أحد من نساء بنى أمية تزوجت بعمر بن عبدالعزيز الاموى قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله وأقنعها بنواله وهى لم تكن بأقل منه مالا وقد عاشا فى مبدئهما عيشة الرفاهية والتنعم ولما آلت الخلافة الى عمر بن عبدالعزيز رأى أن عبأها ثقيل لا يحمله عاتقه ومن جملة ماصنعه قال لها فاطمة ان أردت صحبتى فردى مامعك من مال وحلى وجواهر الى بيت مال المسلمين فانه لهم وانى لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد فردته جميعه ولم تبق لها منه خلال ابرة وبقيت معه فى عيشة التقشف والضيق مع اتساع الخلافة والملك الى أن مات فلما انتقلت الخلافة الى أخيها يزيد بن عبدالملك قال لها ان عمر قد ظلمك فى مالك وانى رددته اليك فخذيه قالت كلا والله لا آخذه فما كنت لاطيعه حيا وأعصيه ميتا فأخذه يزيد وفرقه على أهله وبقيت فاطمة فى حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها عمر رضى الله عنه

﴿ فاطمة ابنة الشيخ الامام المقرئ المحدث جمال الدين سليمن بن عبدالكريم بن عبدالرحمن بن سعدالله بن أبى القاسم الانصارى الدمشقى ﴾

كانت من النساء العالمات العاقلات المحدثات الصادقات فى الرواية أخذت الحديث عن والدها وعن أجلاء عصرها وقد أخذ عنها الحديث جملة مثل الصفدى وخلافه وأجازها معظم علماء القرن السابع للهجرة من الشأم والعراق والحجاز وفارس وغيرها وكانت ولادتها فى سنة ٦٢٠ هجرية وتوفيت فى سنة ٧٠٨ وكانت ذات ثروة وافرة تمكنت منها باعمال خيرات ومبرات ومدارس ومارستانات وتكايا وأوقفت لتلك المحلات الخيرية أوقافا ورتبت لمستخدميها رواتب حتى باهت بافعالها الخيرية أعاظم رجال ونساء عصرها رحمها الله تعالى

﴿ فاطمة ابنة الخشاب ﴾

كانت شاعرة مجيدة وفصيحة بليغة لها قصائد مطولة وأشعار لطيفة ونثر جميل عاصرت الصفدى فى القرن السابع وقد اجتمع عليها جملة من العلماء والاماثل والادباء الافاضل وقد أجازها فى الحديث جملة منهم وروى عنها كثير أيضا

وقد راسلها يوما العلامة قاضى القضاة شهاب الدين بن فضل الله بقصيدة غراء نحو سبعة وعشرين بيتا ومطلعها

هل ينفع المشتاق قرب الدار * والوصل ممتنع مع الزوّار
يا نازلين بمهجتى وديارهم * من ناظرى بمطمح الانظار
هيجتم شجنى فعدت الى الصبا * من بعد ما وخط المشيب عذارى

فأجابته المترجمة بقصيدة على وزنها وقافيتها تزيد عن العشرين بيتا لم نعثر منها الاعلى هذين البيتين وهما

ان كان غركم جمال ازار * فالقبح فى تلك المحاسن وار
لا تحسبوا أنى أماثل شعركم * أنى يقاس جداول ببحار

فلما وصلت هذه القصيدة الى قاضى القضاة وجدها كلها ألفاظا درية ومعانى عبقرية أكبر مخاطبته وأخذها بعين الكمال ولم يخاطبها الا بما يوافق مقام العلماء الاعلام وبقيت معززة مكرمة الى أن ماتت وحضر مشهدها جملة من العلماء والاعيان والحكام رحمها الله تعالى

﴿ فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندى ﴾

كانت من الفقيهات العالمات بعلم الفقه والحديث أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون وكان لها حلقة للتدريس وقد أجازها جملة من كبار القوم وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم تزوجت بفخر الانام العالم العلامة علاء الدين القاشانى ومكثت عنده زمنا طويلا وقد ألفت المؤلفات العديدة فى الفقه والحديث وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء والافاضل وكانت معاصرة للملك العادل نور الدين الشهيد وطالما استشارها فى بعض أموره الداخلية وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية وكان دائما ينعم عليها ويعضد مسعاها

وقد توفيت بمدينة حلب ودفنت فى مقبرة من قبور الصالحين وقبرها هناك مشهور بقبر المرأة وزوجها لانها دفنت بعد وفاته بجانبه

﴿ فاطمة النيسابورية رضى الله عنها ﴾

كانت من ذوى الزهد والورع ولابسات المسوح حجت جملة مرار من بيت المقدس الى مكة وهى ماشية على قدميها وكانت معاصرة لذى النون المصرى وأبى يزيد البسطامى وكان ذو النون المصرى رضى الله عنه يقول فاطمة أستاذتى وكانت تقول من لم يراقب الله تعالى فى كل حال فانه ينحدر فى كل ميدان ويتكلم بكل لسان ومن راقب الله فى كل حال أخرسه الا عن الصدق وألزمه الحياء منه والاخلاص له وكانت تقول من عمل لله على مشاهدة الله اياه فهو مخلص وكان أبو يزيد البسطامى يقول عنها ما رأيت امرأة مثل فاطمة

ما أخبرتها عن مقام الا كان الخبر لها عيانا ماتت فى طريق العمرة بمكة سنة ثلاث وعشرين ومائتين

فاطمة بنت الامام السيد أحمد الرفاعى الكبير

كانت عابدة قانتة صالحة حافظة لكتاب الله فقيهة فى دين الله محافظة على الدين مكرمة للصالحين خاشعة قانعة باكية هائمة فى الله تعالى شغلها حب الله تعالى عن غيره رأى الشيخ الفاروقى قدس سره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام والسيدة فاطمة هذه وأختها السيدة زينب بين يديه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فاطمة فاطمتى وزينب زينبى بنتاى وبنتا ولدى أحب أهل هذا البيت يا عمر فأفاق الفاروقى مندهشا وغشى عليه الليل كله فلما أصبح استأذن على السيدة فاطمة فلما وقف وراء الحجاب قالت له بصوت حزين وخشية وأنين قبل أن يذكر رؤياه جدنا بنا رحيم صلى الله عليه وسلم أخذ عنها القراءة ولدها السيد أبو اسحق ابراهيم الاعزب وولدها السيد نجم الدين أحمد رضى الله عنهما وسمعا منها حديث الرسول وحدث عنها السيد أحمد الصياد رضى الله عنه فى كتاب الوظائف ونقل عنها الشيخ محيى الدين ابرهيم بن عمر الفاروقى أنها أنشدت فى مجلس درسها بيتا حفظته أخته الصالحة خديجة الفارسية ورواه عنها وهو

نموت على التقوى ونحشر فى غد * على خالص الايمان والبر والتقوى

توفيت بأم عبيدة سنة تسع وستمائة ودفنت بالمشهد الاحمدى رضى الله عنها

فاطمة بنت السيد عبد الرحيم الرفاعى

وتلقب ملكة قال الامام أحمد الزبرجدى الكبير قدس سره حين ذكرها السيدة فاطمة أخت القطب الجليل السيد أحمد الصياد بن الرفاعى قدس الله سره العزيز يلقبها أهل بيتهم ملكة كانت صالحة عارفة عالمة عابدة خاشعة حجت مع أخيها السيد عز الدين أحمد الصياد الشهير سنة ثلاث وأربعين وستمائة وزارت مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فلما تمثلت أمام قبر جدها عليه الصلاة والسلام قالت

يارب ان قبلت لديك زيارتى * فاجعل بطيبة قرب طه مدفنى

ثم غشى عليها فرفعوها الى محلها فماتت ذلك اليوم ودفنت بالقرب من حرم النبى صلى الله عليه وسلم ومرقدها المبارك معروف يزار بالمدينة ويتبرك به رضى الله عنها وهى حفيدة الغوث الاكبر سيد الاولياء السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه من بنته السيدة العارفة بالله الشريفة زينب ووالدها القطب الاعظم السيد عبد الرحيم الرفاعى الحسينى رضى الله عنهم أجمعين

فاطمة علية

هى ابنة العلامة الفاضل المؤرخ الشهير جودت باشا ناظر العدلية العثمانية سابقا ولدت فاطمة علية فى الاستانة العلية ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٧٩ هجرية الموافق ٩ تشرين أول (اكتوبر) سنة ١٨٦٢ ميلادية ولما تولى والدها ولاية حلب الشهباء سنة ١٢٨٢ كان عمرها ثلاث سنوات ولما ظهر عليها من امارات النجابة أحبها حبا شديدا فأخذها معه ومكثت عنده مدة ولايته وهى سنتان تحت مناظرته

ولما رجع الى الاستانة استحضر لها معلمين ومعلمات وهو تقلب فى جملة وظائف مهمة فى الدولة العثمانية الى أن بلغت من العمر أربع عشرة سنة فتعين والدها فى ولاية يانيه وكان ذلك فى سنة ١٢٩٢ هجرية فذهبت

معه ولم يمكث بها كثيرا ورجع الى الاستانة ومع ذلك فانها أينما توجهت فانها مشتغلة بالعلوم والمعارف وفى سنة ١٢٩٥ تولى والدها ولاية سورية فتوجهت معه وأقامت مدة فى دمشق الشام ثم أقامت شتاء فى بيروت ورجعت برجوع والدها الى الاستانة

وكان أول ما اشتغلت به من العلوم من سن الطفولية تعلم أصول القراءة والكتابة التركيبة وتلقت دروس العربية والفارسية من عدة معلمين خصوصيين مختلفى الطبقات ثم اشتغلت بتحصيل اللغة الفرنساوية وأتمت الحصول عليها بواسطة انسة باريسية ولما كانت فى سورية تقدمت فى تحصيل اللغة العربية بكافة فنونها من بديع وعروض ونحو وبيان وخلافه

وأما العلوم العقلية من توحيد وكلام ومنطق ورياضة وهندسة وحساب فانها أخذتها عن والدها بأحسن مأخذ وأما علم الموسيقى فانها أخذته بكامل أنواعه وفروعه عن ماهرين فيه من ترك وعرب وفرس وافرنج حتى فاقت أهل زمانها فيه

والذى يرى تفرغها لهذه العلوم يظن أنها أهملت أهم ما يلزم للمخدرات من الاشغال المنزلية حالة كونها لم تهمل دوام التقدم فى الاشغال اللازمة للمخدرات وقد تفردت بذلك بين مثيلاتها وفاقت كثيرات من قريناتها

وافتتحت لذاتها منهاجا خصوصيا فى الانشاآت الكلامية ولكنها لم تقدر على التفرغ لنشر الآثار بالنسبة لاشتغالها فى أول الامر بالشؤن التى هى طبيعية الحصول لطائفة النساء كتدبير المنزل وتربية الاولاد

ولما عمت العلوم والمعارف فى هذا العصر الحميدى الى عموم الممالك العثمانية وخصوصا فى الاستانة العلية وابتدأ بعض المخدرات العثمانية فى نشر الآثار والاشتراك فى خدمة التأليف وغيرها بتدرت المترجمة أن تسابق هاتيك المخدرات فترجمت رواية (دولانته) تأليف (جورج أدنا) أحد مشاهير أدباء الفرنساويين من اللغة الفرنساوية الى التركية وسمتها باسم (مرام) وأبدعت فيها كل الابداع من جهة الاسلوب والسياق وهى أول آثار براعتها ولكنها ضنت باسمها فلم تذكره بل أخفته صونا واحتجابا وانتظرت أقوال أدباء العصر عنها ولم يتكامل نشرها حتى ظهرت علائم استحسان الادباء للطرز الجديد الذى جرت عليه فى عباراتها وقد احتفل بها العلامة أحمد مدحت أفندى محرر جرنال ترجمان حقيقت التركى العبارة وكتب جملة فصول عنها وشوقها الى خدمة العلوم والآداب

وكثر الكلام بين أدباء العثمانيين عن سياق هذه الرواية بالنظر لخفاء اسم مترجمتها ولكن عضدها فيه مدحت أفندى وأمثاله من فضلاء الاتراك وأظهر والهم حقيقة حالها

وبناء على تعضيد وتنشيط مدحت أفندى لها أظهرت اسمها وابتدأت المباحثات العلمية والادبية بينها وبينه وصارت تكتب المقالات العديدة وترسلها تحت امضائها فتنشر فى (ترجمان حقيقت) وبذلك اشتهرت بين الادباء اشتهارا عظيما

ولما شاع ذكرها فى الآفاق وسمعت بها نساء الافرنج السائحات صرن أول ما يردن على الاستانه يقصدن منازل السيدات العثمانيات المتصفات بالفضيلة ويزرن المترجمة ويذاكرنها فى العلوم والمعارف والفنون فيجدن منها فاضلة أديبة

وقد جرت بينها وبين ثلاثة من سيدات الافرنج السائحات محاورات مهمة كتبتها فى رسالة وسمتها باسم

(نساء الاسلام) وقد نشرت في جريدة ترجمان حقيقت سنة ١٨٩٢ افرنجية وترجمتها عنها جريدة ثمرات الفنون التي تطبع في بيروت من التركية الى العربية ثم ترجمت هذه الرسالة الى الفرنساوية والانكليزية وبلغت حدها من الاشتهار

وبما أنها جاءت أحسن مقالة أنشئت من ذوات القناع لما فيها من حسن البلاغة والابداع رأيت أن أدرجها عقيب هذه الترجمة وان كان فيها طول لما فيها من الفائدة وأثرا لهذه الفاضلة

وللمترجمة رواية تركية عثمانية وسمتها باسم (محاضرات) نشرتها باسلوبها التركي البديع في الاستانة العلية

وبالجملة فان المترجمة قد تفننت في العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية كل التفنن ومزجت العلوم الشرقية بالعلوم الغربية حتى صارت من مفاخر المخدرات الاسلامية ولم يضاهها أحد من النساء الشرقيات والغربيات وهي الآن مقيمة بالاستانة العلية كثر الله من أمثالها ووسع الله بها العلوم والمعارف على جنسنا النسائي

وها هي الرسالة الموعود بادراجها قالت

لما كان النوع الانساني مدنيا بالطبع ومحتاجا الى التعاون والتعاضد مع بعضه البعض تمكن في كل جهة من عقد روابط الجمعية وبسط بساط المدنية واستكمال حاجاته الضرورية ثم تسنى له بالتدريج استحصال حوائجه الكمالية أيضا وعلى هذا الوجه ظهر اختلاف في اللغات في أي الاطراف ونشأ تباين في العرف والتعامل يخالف بعضه بعضا وقد أدى اختلاف اللسان والمكان الى ايجاد مباينة كلية بين الملل والاقوام حتى انه من القديم أخذ كل فرد من هاته الملل يعيش في عالمه الصغير في حالة العزلة والانفراد لا يعلم شيأ من أحواله سواه

أجل إن الملل المذكورة لم تكن خلوا من وسائط المواصلات كالقوافل والسفن الا أنه بالنظر الى صعوبة الاسفار البرية والبحرية وقلة الواردات كان أهالي البلاد البعيدة غير واقفين تمام الوقوف على أحوال غيرهم من أبناء النوع الانساني وكان اذا ظهر حادث في جهة من أوربا لا يمكن العلم به الا بعد سنة كاملة ومثل ذلك كانت سائر البلاد الاوربية أيضا لا تسمع بحوادث العالم الا بعد مرور زمن طويل

ولما أنشئت السفن التجارية كثرت الواردات وحصلت السرعة والسهولة في النقل والحركة وقد ازدادت هذه السرعة والسهولة في الاسفار والسياحات زيادة تذكر بواسطة الطرق الحديدية ثم اخترع التلغراف فكان واسطة للمخابرات بنسبة هذه السرعة في الاسفار حتى إن الحوادث التي كانت لا تعلم في البلاد البعيدة الا بعد سنة صار يمكن الوقوف عليها في خلال ساعة واحدة وبالجملة فان العالم دخل في طور جديد يختلف عن الطرز الاول وعلى ذلك فان الاوربيين المشتغلين بتحقيق وتدقيق جميع الاشياء وان كانوا قد ابتدؤا في بذل الجهد رغبة منهم في الاطلاع على خصوصيات أحوالنا فقد تبين لي في خلال المحاورات التي وقعت بيني وبين بعض النساء الاوربيات من معتبري السواح أن ظنون الافرنج المتعلقة بنا هي من حيث الخطا والوهم في صورة موجبة للتعجب حقيقة حتى انني عندما سمعت هذه الاخبار الكاذبة من الموما اليهن تعجبت تعجبا يضاهي استغرابهن مما يلقينه من الاخبار الفاسدة المغلوطة وظننت انهن انما يبحثن عن غيرنا من الملل

ومع ذلك فان الكلام الذى سمعته من هؤلاء السائحات انما هو مندرج فى الآثار الاوربية المكتوبة على شكل كتب السياحة وعلى هاته الحال فان كتب السياحات المذكورة ليست من كتب المعلومات الباحثة عن حقائق الاحوال وانما أكثر مندرجاتها تشبه الحكايات الخيالية التى كتبت على طرز القصص (الرومان) فهذه الاوهام والخطيئات كيف نشأت يا ترى وهل هى منبعثة عن أغراض الاوربيين الخصوصية كلا إن السواح المعتبرين يبذلون قصارى جهدهم وينفقون نقودهم فى سبيل الوقوف على الحقائق المنتشرة فى آفاق وأقطار العالم ليستفيد من علمهم واطلاعهم كل فرد من أفراد مواطنيهم فيجب والحالة هذه أن نفتش عن هذا القصور عندنا اذ أنه من موجبات كمال التحرى عن قصور الذات ومن يقيس قبائحه بعد توفيقها على قبائح غيره يكن لاشك فى جانب الحق والصواب ويفوز برفعة القدر وعلو الجناب

معلوم أن الوقوف على أفكار الاهالى وعاداتهم كما ينبغى لايحصل ولا يتم بالتجول فى أسواق البلد وطرقه ومشاهدة مواقفه المشهورة وانما لاجل الوقوف على أحوال احدى الملل الحقيقية يجب الاجتماع بالذكور والاناث والاخذ معهم باطراف الحديث ولما كانت النساء عندنا محجبات كان الاجتماع بهن مستحيلا على الرجال ومع ذلك فان كثيرا يوجد بين هؤلاء السواح نساء لاتقل معارفهن عن معارف الرجال فيمكن بواسطتهن أن يطلع سائر السواح أيضا على أحوال نساء المسلمين الحقيقية بمزيد السهولة لكن هؤلاء النساء العارفات أيضا لايمكن أن يفهمن بمجرد دخولهن على عائلة لا يفهمن لغتها فانهن يكن حينئذ كالخرس ويكتفين بتبادل النظرات

أجل إن لدينا فى الوقت الحاضر عددا من النساء اللاتى يعرفن اللغة الفرنساوية على أن قسما كبيرا منهن قد تربين تربية افرنجية صرفة بمعرفة المربيات الاوربيات المعروفات باسم (الستينوتريس) فتعلمن اللغة الفرنساوية لالاجل اكتساب المعارف والعلم وانما رغبة منهن فى أن يكن أفرنجيات محضا ولما كن جاهلات للاحكام الشرعية وكن قد نبذن عاداتهن الملية ظهريا وعشن عيشة أفرنجية كان الاجتماع بهن والاخذ بأطراف الحديث معهن نظير محادثة العيال الافرنجية فى بك أوغلى (قسم من دار السعادة يسكنه الافرنج) فلا يستفيد محادثهن فائدة بالكلية ولا يفهم منهن شيأ على الاطلاق وهاته العيال السالكة مسلك التقليد اذا رغب اليهن أحد فى الحصول على المعلومات المتعلقة بأصول المعيشة الاسلامية مما يكن قد نبذنه نبذ النواة سكتن عن بيان استقامة وطهارة الدين المبين الاسلامى (من حيث إنهن قليلات العلم بذلك) وأخذن فى الكلام بحدة وشدة عن مسائل الحجاب زاعمات أن العادات الملية مقتبسة عن الاحكام الشرعية وبالجملة فانهن يبحثن فى أشياء لاعلم لهن بها فيكن سببا لمفتريات واسنادات بعض الاجانب على الدين المطهر الذى استترنا بعشكانه وتشرفنا بآياته

والغالب أن النساء اللاتى قدمن الى مدينتنا من أوربا بقصد السياحة قد أدركن هذه الدقائق فانهن كثيرات الرغبة فى الاجتماع بالعيال الاسلامية التى مابرحت عائشة على النسق السابق والاصول القديمة

وانه يوجد قسم من العيال الاسلامية أيضا بحسب أفرادهم يعتقدون أن فى تعليم النساء العلوم والمعارف اثما حتى انهم لايتعصبون فقط بأمر تعليمهن اللغة الفرنساوية بل يتعصبون أيضا فى تدريس اللغة التركية مايزيد عن اللزوم الضرورى والحق يقال ان هؤلاء ممن لايعلمون مابلغ اليه الازواج المطهرات والبنات

الزاكيات وكثير من العالمات الاديبات التى كن فى صدر الاسلام من رفيع الدرجات فى العلم والفضل ومع أن كشف وجوه النساء غير محرم شرعا وانما الواجب عليهن أن يسترن شعورهن فانا نرى بعضا من نسائنا يحجبن وجوههن على عكس الايجاب الشرعى ويكشفن شعورهن والحاصل أن الحد الوسط مفقود عندنا تتلاعب بنا أمواج الحيرة فى عباب التيه فلا ندرى الى أية جهة نسير والحال أن الافراط والتفريط فى كل شئ مضر ومذموم والاعتدال مشكور فى جميع الاحوال فان خير الامور أوسطها فبناء على ذلك يلزم على السواح كى يتمكنوا من الوقوف على حقائق الاحوال أن يجتمعوا ويتباحثوا مع العيال العارفة اللغة الفرنساوية العائشة على مقتضى الاصول الاسلامية حالة كونها محافظة على أحكامها الدينية وأفكارها وعاداتها الملية ثم ان تمييز ذلك مشكل بالنسبة الى الغرباء اذ أن الاجانب الذين ينزلون فى فنادق بك أوغلى يطرحون على التراجمة الذين لا يحيطون علما بما خرج عن عالم هذا المحل أسئلة بقصد الحصول على بعض الانباء فيأخذ هؤلاء التراجمة بالنظر الى اضطرارهم لتأدية الجواب فى القاء كلمات لا معنى لها فيهرفون بما لا يعرفون وتصبح أحوالنا موضوعا للحكايات الخيالية

ومن الامور المعلومة عند سائر الانام أن الاروبيين لا يعترضون بشئ على أحكامنا الدينية الموافقة للحكمة والعقل وانما يتخيلون ويظنون أن نساء المسلمين مظلومات معذورات فيطلقون ألسنتهم باللوم آخذات التشديد فى هذا الباب

بما أنى فى خلال محاوراتى مع بعض السائحات المعتبرات قد اطلعت على أوهام الاروبيين وفساد ظنونهم المتعلقة بنا ولم يسعنى أن أستر استغرابى من ذلك فى خفايا القلب رأيت نفسى مضطرة الى بيان مادار بيننا من الاحاديث فى المحاورات المذكورة على الوجه الآتى

﴿المحاورة الاولى﴾

فى يوم من أيام شهر رمضان الشريف فى السنة الماضية أى سنة ١٣٠٨ هجرية أخبرنا أن عقيلة أوربية تدعى . مادام ف . وراهبة زاهدة فى الدنيا ترغبان فى المجئ الى منزلنا لمشاهدة طعام الافطار وبعد العصر أقبلتا على المنزل وأخذتا تتنزهان فى الحديقة الخارجية ثم بعد مرور نصف ساعة أرسلتا تخبرنا انهما داخلتان الى المنزل ولما كانت وظيفة الترجمة فى منزلنا مفوضة لعهدة هذه العاجزة ذهبت لاستقبالهما فى باب الحديقة تصحبنى جاريتان أتحملا رداء ومظلة كل من الزائرتين

وعند دخولهما رحبت بهما باللغة الافرنسية وتبادلنا المصافحة بالايدى ثم ان مادام ف . مدت يدها الى الجارية التى كانت تصحبنى وهى الجارية القائمة بخدمة رئيسة الخدم فى منزلنا لتصافحها أما الجارية فانها تناولت المظلة من يد المومى اليها الثانية وانسحبت الى الوراء وأخذت الجارية الثانية رداءهما وبرنيطتهما ودخلت بهما الى قاعة الضيوف وبعد ذلك قدمت لهما صاحبة البيت وأفراد العائلة وعرفتهما بهن على مقتضى الاصول الجارية

أما مادام ف . فهى امرأة بين الخامسة والثلاثين الى الاربعين من العمر والراهبة بين الاربعين الى الخامسة والاربعين من سنى الحياة وقد علمت أن مادام ف . المومى اليها وزوجها والراهبة أيضا لم يأتوا الى دار السعادة قبل هذه المدة وبعد أن أكرمناهما بالحلوى والقهوة على النسق التركى طلبت مادام ف . أن

تنفرج على غرفة مفروشة على الاصول التركية فأدخلناها الى القاعة ولما لم ترفيها غير مقعد بسيط أخذتها الحيرة وطلبت منى أن أطوف بها اذا أمكن فى الغرف الاخرى فتكون فى غاية الامتنان فقلت لها ان ذلك مما يزيدنا منة وسارعت حالا فى انفاذ رغبتها وفى خلال ذلك أشارت مادام ف . الى رئيسة الخدم الواقفة أمامها وقالت

أثناء دخولنا قدمت يدى لهذه السيدة فلم تتناولها وانما أخذت من يدى المظلة والآن أراها واقفة على الاقدام لا تجلس معنا فما السبب فى ذلك فقلت لها

لانها جارية أيتها المادام فقالت

وما شأن البنات اللاتى على مقربة منها فقلت لها

هن مثلها أيضا فقالت

حسن جدا ولكن أيتها السيدة أرى فى أذنيها أقراطا وفى يدها خاتما وعلى صدرها ساعة جميلة وسلسالا وقد ظننت قبلا أنها سيدة والآن علمت انها جارية فأخذتنى الدهشة من تميزها بالحلى عن غيرها من الجوارى فما السبب فى ذلك وأرى أن هاته الفتاة الواقفة فى الطرف الآخر لا تتقل غير قرط فى أذنيها ولكن هذا القرط ليس بذى قيمة كذلك القرط وفضلا عن ذلك فهى لا تحوى غيره من أنواع الحلى والجارية الواقفة فى تلك الجهة تحمل ساعة بسيطة وسلسالا لا غير فقلت لها

ان الجارية التى ظننت أنها سيدة انما هى رئيسة الخدم فى هذا المنزل أعنى أنها بمنزلة مديرة لسائر الجوارى فهى التى تعلمهن كيف يجب عليهن أن يخطن ألبستهن ويسرحن شعورهن ويقمن بأمورهن الخصوصية لانهن ساذجات غبيات ولا تزال رئيسة عليهن حتى يصرن قادرات على اجراء ذلك وهى التى تكون بمقام الوالدة لهن مهما يكن عددهن كثيرا كان أم قليلا وسيدة المنزل تلقى التبعة عليها بأمر نظافتهن وطهارتهن فهى المرجع المسؤل ولما كانت أعمالها وخدمتها تربو على خدمة غيرها فقد أعطاها سيدها هذه الهدايا بمقابلة خدمتها

وأما هاته الجارية الفتاة فقد جلبت الى هذا المنزل وهى فى السنة الرابعة من العمر وحتى الآن لم يعهد اليها بخدمة وعمل على الاطلاق وهى الآن فى الرابعة عشرة من سنها ولما كانت غير قادرة على العمل الى هذا الوقت لم تحمل خدمة وعملا ورئيسة الخدم التى تنظر بها الآن قد كانت من الخدم ذوات الدراية والاستعداد فى عهد رئيسة الخدم التى كانت قبلها فنالت بمهارتها هذه المرتبة وصارت رئيسة للخدم وكانت قائمة على العناية بهاته الجارية الصغيرة وعلى ذلك فانه من الآن فصاعدا ستنتظر الخدمة من هاته الصغيرة الاعمال التى عهد بها اليها حتى الآن ستقوم بها فى المستقبل بمعنى انها أخذت منذ الآن فى مباشرة الخدمة وأما القرطان اللذان فى أذنيها فقد اشترتهما بالدراهم التى اقتصدتها وادخرتها من راتبها الشهرى والجارية الاخرى التى تفضلت بالسؤال عنها لا تزال حديثة العهد فى هذا البيت فلم تقم الا بعمل قليل قد مكنها من مشترى الساعة والسلسال فقالت

أيتها السيدة ان الكلمات التى أسمعتنيها موجبة للحيرة والاستغراب وسأتقدم اليك بطلب بعض التفصيلات اذا كان ذلك غير داع لازعاجك فقلت لها سلى ماشئت قالت

ذكرت فى عرض كلامك السابق شيأ عن رئيسة الخدم السابقة فأين مصيرها ومقرها الآن قالت لها

انها قد هيأت خادمات يمكن لهن القيام مقامها ولما كانت قد انتهت وظيفتها وأوفت ما يجب عليها زوجناها ولها الآن ثلاثة أولاد قالت

وأين هي الآن قلت

حيث انها ذات بعل هي الآن في بيت زوجها قالت

هل تبقى وظيفة رئاسة الخدم في الاقدم قلت لها

كلا ان سيدة المنزل تنتخب من ضمن الجاريات اللاتي تهذبن على أيدي رئيسة الخدم أكثرهن ذكاء واستعدادا وتعينها رئيسة للخدم وسائر الجواري ينلن الهدايا أمثالها بمقابلة خدمتهن ولا يمكن أن يكن رئيسات للخدم واكتساب هذا العنوان بمجرد القدمية على أن رئيسة الخدم لا تعاملهن معاملة الساذجات ولا تأتيهن بكلام الآمر وانما مصدرا خطاراتها وتنبيهاتها بطريق المجاملة واللطف وتعاملهن معاملة شقيقات لها قالت

ذكرت شيأ يتعلق بالرواتب فهل تدفعون راتبا للجواري قلت

لا ريب في ذلك نعم إن سيد الجاريات هو الذي يقوم بتسوية ما يلزمهن من الالبسة وسائر الحاجات غير أن لهن نفسا كما لا يخفى ولكل نفس ميل ورغبة فربما اشتهين طعاما لم يكن له وجود ذلك النهار في البيت وربما ملن الى الحصول على ألبسة تختلف عن الالبسة التي عملها لهن سيدهن فهذه الرغائب والمشتهيات يأخذنها بالدراهم التي يدخرنها من رواتبهن ولذلك كان لهن رواتب مخصوصة قالت

وهل تعطون الى الجاريات القديمات علاوة على ذلك هدايا فقلت لها لا فقط هدايا أيتها المدام وانما متى صارت الجارية خصيصة على أهل المنزل نجهزها الجهاز اللازم واذا نالت الجارية حظوة في عين سيدها وكان سيدها مقتدرا فانه هو الذي يقترن بها قالت

ألا تشترون الجواري أنتم بالدراهم قلت

أجل غير أن الدراهم التي ندفعها انما تدفع للبائع فالجارية لا تستفيد منها شيأ والفائدة عائدة لاقرباء البائع أو سيده والديانة الاسلامية تأمرنا بان لا نترك الجواري حقا علينا ولاجل ذلك تعطى لكل جارية هدايا ودراهم وجهاز بمقابلة خدمتها فقالت يستفاد من ذلك أن الجاريات هن نوع من الخادمات قلت

نعم إنهن يشبهن الخادمات التي يستخدمن مشاهرة أو بالسنة غير أن الخادمة انما تعين لها أجرة ومدة معلومة فان الجهالة في الاجرة ومقدار الاجل انما هي اجارة فاسدة وأما الجارية فان الدراهم التي ستنفق عليها كما أنها غير معلومة كذلك مدة خدمتها غير معينة بناء عليه كانت معاملتها مماثلة للاجارة الفاسدة ولكن جرت العادة والتعامل على هذا الوجه والدراهم التي ينفقها سيد الجارية عليها انما تكون بمقتضى صداقتها وثروة سيدها وهذه القيم يعينها العرف وترسمها العادة أما مدة خدمتها فانها وان كانت غير معينة الا أن الشريعة تأمرنا بهذا النص (يجب أن تعتقوا الجارية بعد خدمة تسع سنوات واذا لم تكن لكم ثروة واقتدار فبيعوها الى شخص من أهل المروءة يعتقها) ومع ذلك فان العرف والعادة قد تقدمت درجة أخرى بهذا الموضوع حتى صار يعاب على الذين لا يعتقون جواريهن بعد سبع سنوات أماذوو البيوتات من أهل الديانة والمروءة فانهم لا يقيدونهن بهذا المقدار لان في الدين أسبابا كثيرة تقضي بالعتق واطلاق الحرية لهن ومن جملة ذلك أن شخصا متى نال مراما يرجوه يعتق عبدا من قبيل شكر النعمة واذا نذر بعضهم

قائلا انى اذا حصلت على القصد الفلانى أعتق لاجله عبدا وجب عليه أن يقوم بايفاء النذر وأما الجارية التى تقوم بتربية ابن سيدها فانها تعطى حريتها فى اليوم الذى يذهب به الصغير للمدرسة ومن حيث ان أكثر الصغار يرسلون الى المدرسة وهم فى السنة الرابعة من عمرهم كانت مدة اسارة المربيات أربع سنوات حتى انه اذا ارتكب شخص قصدا افساد صوم يوم واحد من صيامه فرض عليه أن يكفر عن ذلك باعطاء الحرية لعبد واحد واذا لم يستطع هذا الامر فالكفارة تكون بصيامه ستين يوما فيستنتج من كل ما تقدم أن اطلاق حرية عبد واحد تقوم مقام صيام ستين يوما وعلى ذلك كان هنالك أسباب شرعية وآداب ملية تجبر أهل الاسلام على عتق العبد قالت

حسن جدا غير أن الخادمة يمكنها أن لا تخدم فى المنزل الذى لا ترضاه أما الجارية فانها مكرهة على البقاء فى الخدمة وان يكن سيدها ظالما فقلت

لماذا ان الجارية التى تكون غير مسرورة من المنزل وكانت راغبة فى تركه فيكفى فى ذلك أن تقول بيعونى وحينئذ تباع الى من ترضاه ويحبها وقد جرت العادة أنه لا يمكن أن تباع الى شخص لا يلائمها وأما من حيث الوجه الشرعى فان الظلم والجفاء لا يجوز اتيانه بحق الاسرى على وجه الاطلاق وعند مراجعة المحكمة فى الامر فالعدالة تأخذ مجراها لدى الحاكم قالت

يستفاد من ذلك أنه لا فرق بينهن وبين الخادمات قلت

كلا أيتها المادام ان السناعدوين للخدمة بهذا القدر فان الخادمة تتناول راتبها الشهرى ليس الاوفى الزمن الذى لا تحتاج به اليها تمنحها الاذن فتذهب الى حيث شاءت ومتى صارت ذات بعل هى التى تهيئ جهازها لنفسها ثم انها اذا لم تتفق مع زوجها ورغبت فى الانفصال عنه فهى بذاتها تبحث عن محل لها وأما الجارية فليست من هذا القبيل لانها متى صارت زوجة ولم تستطع أن تعيش مع زوجها ورغبت فى أن تنفصل عنه أتت توا الى منزل سيدها كانما هى آتية الى منزل أبيها وحينئذ يترتب على سيدها أن يتحرى لها على زوج ملائم فيزوجها به تكرارا والاسياد هم الذين يتولون حماية أولاد جواريهم ويساعدونهم فى تعليمهم وتدريسهم وكل جارية تشاهد من زوجها ظلما تشكو أمرها الى سيدها الذى يدافع عنها فاذا توفى زوجها ولم يترك ميراثا كافيا لادارتها تأتى بأولادها الى منزل سيدها انظرى هاته الجارية المعتوقة التى ترينها من هذه النافذة قابضة على يد ولدها الصغير وطائفة به فى فناء الدار لانه متى عجزت الجارية المعتوقة عن القيام بادارة نفسها وجب شرعا على معتقها أيا كان أن ينفق عليها فاذا امتنع أكرهه القاضى على ذلك وبعكس الامر اذا توفيت جارية بلا عقب عن ثروة طائلة كان لمانحها الحرية (أيا كان) نصيب من الارث فينتج من ذلك أن الجوارى معدودات من أخصاء العائلة تماما وزيادة عما تقدم اننا نأتمن الجوارى على مفاتيح خزائننا ونسلمهن اياها مع اننا لا نأتمن الخدم عليها بالكلية فان الجوارى لا يرتكبن غالبا الخيانة لان بين الجارية وسيدها صلة ورابطة كبيرة بهذا القدار حتى ان الجارية لا يمكن أن تخون مولاها الا اذا كان الاولاد يخونون والديهم فاذا مرض سيدها بذلت روحها وقلبها فى سبيل خدمته مخافة أن تفقده وكان مثلها فى هذا الامر مثل الاولاد الذين تأخذهم الرعدة والمخاوف من فقد وضياع أمهم وأبيهم ثم هى اذا أصابها ألم فى الرأس حصلت بعناية سيدها على مثل ما عاملته تماما ومع أن للجوارى المعتوقات كل الحرية فى الذهاب الى أين شئن فلم يتفق

حتى الآن أن الجارية تركت حماية سيدها الواجبة عليه حتى الموت وعادت الى حيث يقيم أبوها وذووقرباه قالت

لاجرم ان ذلك منبعث عن نفرتها من أبيها وأمها وذوى قرباها الذين باعوها أليس كذلك فقلت عفواً أيتها المادام ليس الامر كذلك فاذا سمعت أتيتك بالايضاح الوافى قالت ياعجبا تطلبين منى الاذن للايضاح وأنا أرجوه وأسترحمه انى رأيت الارقاء فى حالة تختلف عما سمعته عنهم حتى ان الذى سمعته منك عن الاسرى هو يباين الذى كنت فهمته على الخط المستقيم فلو تماهلت فى بيان الايضاحات لرأيت من نفسى مايحملنى كرها على تقديم الرجاء اليك بأن توافيني ببيان شاف عنها فأرجوك أيتها السيدة أن تواصلي الحديث قلت

لايخفى أنه متى ولد للجراكسة ابنة جميلة يأخذون فى الحداء لها لكى تنام سالكين فى ذلك على طريقة الافرنج الذين يعوّدون أولادهم على أن يسمعوهم وهم فى دور الطفولية اسم رتبة المارشال والجنرال لترسخ فى أذهانهم فيكون لهم ميل الى الانخراط فى الجندية والجراكسة أيضا يسمعون بناتهم الجميلات فى دور الطفولية مثل هذه الاقوال حيث يقولون للطفلة انك تذهبين الى الاستانة فتصيرين زوجة أحد الباشوات فلا تنسين أهلك وذوى قرباك بل اجتهدى فى اعانتهم حتى اذا أدركت الطفلة معنى الكلام علا وثن آذانها بعدائح سعادة وحسن حال خالتها او عمتها الموجودة فى الاستانة فيتجسم الميل فى الطفلة تجسما كبيرا وتبتدئ أن تسأل نفسها عن الزمن الذى تذهب به لتحظى بالسعادة الموعودة أما والداها فانهما يبذلان روحهما ومطلق عنايتهما فى الاهتمام بها والسبب فى ذلك أنها جميلة وأنه سيأتى يوم تصير به ولى نعمتهما وعندما توصل الفتاة الى السن الذى تعرف به نفسها تخجل لامحالة من مخاطبة والديها فتأخذ فى مخابرة الفتيات اللاتى ينبئنها عن المستقبل الذى يبسم لها وتتذمر مشتكية من الاهمال الواقع فى ارسالها ومن ههنا يتضح جليا أيتها المادام أن هذا الوالد وهاته الوالدة يرسلان ابنتهما الى البلدة التى ينتظرها بها خاطبها ولكن هو الخاطب الذى يقبل بنتهما بلا جهاز ولا يكلفهما نفقات وفضلا عن ذلك فانه الخاطب الذى يهيل عليها من سائر أنواع الحلى والجوهرات وأما الابنة فانها تنفصل عن أبيها وأمها وذوى قرباها لتبحث لهم عن السعادة والمستقبل الذى ينظرونه منها ولكن كيف تنفصل انها تنفصل بشجاعة وبسالة تدل على انها تخاطبهم بلسان حالها قائلة لهم (انى لا أحملكم ثقلة فى ايجاد زوج لى وانما سأجده بنفسى فانظروا كيف انى سأفيكم حقوقكم وعنايتكم بى حتى بلغت هذا الطول بصورة تظهر بها العظمة وعزة النفس) ومانطقها بهذه الاقوال الا الامنية والثقة بأنها بواسطة جمالها المنصوب مثاله فى المرآة ستحصل على الزوج الذى تريده والسعادة التى ترغب فيها والمفهوم أيتها المادام أنهم اذا لم يرسلوها أصبحت فى ذلك الوقت عدوة لعائلتها ثم تأتى الآن للبحث بالفتيات غير الجميلات فهؤلاء لما كن محرومات من آمال أولئك الجميلات من حيث انهن لم ينلن الامنية والثقة فى النظر الى مرآة وجوههن بينما يكن مأيوسات من حالتهن واضطرارهن الى صرف العمر والسعى والاهتمام والخدمة فى بلادهن اذ تتوارد عليهن الرسائل من بنات أعمامهن وأخوالهن غير الجميلات مثلهن اللاتى ذهبن الى الاستانة فيقرأن فى سطورها ما يفيد أنهن متمتعات بالراحة وانهن قد حصلن على الاستراحة التامة لتملصهن من عذاب الخدمة والاهتمام بحرث وفلاحة الاراضى ثم يتبين لهن من الرسائل التى يأخذنها بعد ذلك أن الجارية التى قامت بخدمتها قد أخذلها

سيدها منزلا مكافأة لها على صداقتها وزوجها من رجل ملائم لها ثم متى وضعت طفلا ترسل الى أهلها سلام هذا الطفل بمعنى أنها تلوث أصابع الطفل بالحبر وترسمها فى هامش الرسالة فتنوب هذه العلامة عن اهداء السلام ويظهر لهن من تلك الرسائل أن الجارية بعد زواجها لم تزل متمتعة بحماية سيدها وعنايته بها فتقع هذه الانباء فى قلوب البنات موقعا عجيبا الى حد أنهن ينفرن من البقاء فى منزلهن الذى شببن به ويصير فى عينهن ظلاما وتتولد فيهن الكراهة من الاطعمة التى ألفنها وكانت لذيذة الطعم فى أفواههن وبالجملة فانهن يرين الخدمة التى تعودن عليها ثقيلة جدا وبالنظر الى هذه الخيالات التى تتجسم فى أذهانهن لا يبقى لهن من ميل الى العمل فيستولى عليهن الخمول والكسل ويعرضن حينئذ أنفسهن للاهانة والتكدير من أمهاتهن وآبائهن أو يسمعن منهن كلاما أمر من الصبر وأثقل من اتعاب الاعمال مثل قولهم لهن ان الخبز لا يؤكل بدون عمل وغير ذلك من الكلمات التى تمس كرامتهن فتأخذ كل واحدة منهن أن تناجى نفسها قائلة أليس غريبا أن أضطر أولا الى الزرع ثم الى الحصاد ثم لصنع الخبز لاجل أن آكل لقمة من الطعام فاذا ذهبت الى الاستانة صرت هناك مصاحبة لاحد الافندية فيأتينى الخبز والطعام المطبوخ وفى مقابلة ذلك لا أسأل الا عن خدمة المنزل فاذا أصبحت سيدة أليس أنى أهتم بادارة منزلى وتدبيره أما هنا فما هى المكافأة التى من المحتمل أن أراها بازاء ما أؤديه من الخدمة على أنى اذا خدمت أحد الافندية حصلت ولا ريب على المكافأة ثم أصير حرة وأستخدم الخدم وحينئذ أصبح سيدة وعلى أثر هذه المناجاة تشتد بها الرغبة فى الذهاب الى الاستانة واشتغال فكر الفتيات بتصور هذه الخيالات مع محبتها أمها وأباها تنظر اليهما من قبيل شكرها النعمة واذا كانت هذه الاحوال لا توجب التحسين الكلى الا أنه من حيث انى لم آتك بهذه الايضاحات الا على سبيل الحكاية والمعلومات وحيث انى لم أتعرض فيها للحكم على اصابتها او العكس أطلب منك اذا كنت لا ترين هذه الخيالات التى تتجسم فى ذهن الفتاة الجركسية موافقة لحب وطنها وعائلتها وتحملينها على حب الذات الصرف فصرحى بعلاحظتك المقنعة قالت

أرى أيتها السيدة أنك عرفت الرقيقة تعريفا لطيفا بهذا المقدار حتى يكاد يجعل كل انسان ميالا الى أن يكون رقيقا قلت

كلا أيتها المدام لا يجب أن نكثر سواد الارقاء الى هذا الحد فان ذلك يصيب نقصا فى عدد حماتهم بالنسبة اليهم وبالنتيجة تقل قوة الحماية أيضا

وبينا كنا نحن الثنتان نتضاحك من ذلك كانت الراهبة الى هذا الوقت لم تشترك معنا بالمحاورة ورب عالم تنتبه اليها أيضا كما ينبغى حسب ما استفيد ذلك من مرآها أما أنا فقد انتبهت لكلام المدام انتباها يختلف عن صورته الاولى فقلت

ان المعلومات التى بينتها لك عن الجوارى انما هى مبنية على القواعد الشرعية الاساسية وعلى عادات وأفعال الاسر التى تراعى هاته القواعد مع سائر المقتضيات الانسانية والافان العالم منه المليح والقبيح حتى إن القبيح فى بعض الاشياء متغلب على الحسن والفطرة البشرية منهمكة فى تغيير وتحويل الاشياء الحسنة الى الوجهة الرديئة ميالة مع سوء الاستعمال فبناء على ذلك لا ينكر بالكلية أن يتخلل مسئلة الاسارة أمور شتى من القبائح اذ أنه لابد أن يوجد أيضا آباء يبيعون بناتهم اللاتى يكن غير راغبات فى الخروج عن أوكارهن وذلك لمجرد أن يستفيدوا من ثمنهن كما أن هنالك سادات يعاملون الجارية التى يكونون قد اشتروها

معاملة تخالف المروءة الشرعية فبعد أن يستخدموها ثلاث سنين أو خمس سنين يبيعونها أيضا من شخص آخر تكرارا ميلا فى ذلك الى المنفعة الشخصية أليس أن الناس يسيؤن الاستعمال ويخبطون فى لجج التأويلات الفاسدة فيما يتعلق حتى بأكثر القوانين نفعا وأشد القواعد فائدة وحسنا تبعا لاغراضهم الذاتية وأما بحسب الانسانية فان الامر الذى يوجب التأسى والتسلى أن الذين يذهبون هذا المذهب فى سوء استعمال الشريعة وسوء تأويل العرف والعادات الاسلامية إنما هم دون الطفيف وهؤلاء من حيث الانظار والافكار العمومية معدودون من أرباب التجاوز الذين خرجوا عن الحق ودائرة المروءة وتلطخوا بالعار

أما المادام فانها قد تلقت هذه الملاحظات بأهمية مخصوصة وبعد أن اعترفت أنه كثيرا ما يطرأ على المروءة أمور من عدم الرعاية بين الآباء والاولاد والازواج والاخوة فى أوروبا أيضا قالت

أيتها السيدة انه مهما يمكن أن يقال من المطاعن على الرقيق بجميعه قد قيل فى أوروبا وسطر فى الاوراق وأصبح معلوما عند كل انسان غير أن المسائل التى كانت مجهولة لدينا عن الرقيق انما هى النقط التى أتيت على تعريفها وبيانها فلقد أصبحت من جراء بيانك ممتنة شاكرة على أن لى شيأ آخر أسألك اياه وهو انك قد أحسنت كل الاحسان فى بيان الآمال والرغائب التى تتجسم فى مخيلات الفتيات الجركسيات عندما يفارقن أباءهن وأمهاتهن ولكن ما رأيك وقولك فيمن يبيعون الاطفال الذين يكونون لم يبلغوا بعد السن الذى يتسنى لهم فيه أن يميزوا مراكزهم ولا يكونون عرفوا فيه شيأ من أحوال العالم قلت

أيتها المادام ان هؤلاء لا يكتفون بأن تصبح بناتهم ذات يوم من السيدات وانما يتشوقون الى تزينهن بحلى العلم والتربية التى ترفع شأن المرأة وتمكنها من السيادة وهم يحبون أولادهم محبة كافية الى درجة انهم يأبون ابقاءهم فى ذل الاحتقار لديهم اذا تعلمين من هم الذين يشترون الجوارى الصغيرات قالت

لا جرم ان مجرد التفكر فى بيعهن قد أورث فؤادى دهشة هذا حدها حتى انه لم يبق لدى من ميل لان أفتكر فيمن هم الذين يشترونهن قلت

أتمنعك هذه الدهشة من الاصغاء الى ما سألقيه عليك من الايضاحات قالت

كلا انى كلى آذان صاغية اليك قلت

ان بعض من يشترون الجوارى الصغيرات هم العقيمون من البنين فيجعلونهن بمثابة أولادهن والبعض الآخر يأخذون الجميلات منهن فيهيؤنهن للسيادة بمعنى أنهم يعلمونهن القراءة والكتابة ويربونهن تربية بنات المدن العظيمة ليصبحن فى المستقبل بمقام السيدات وعليه فان سيد الجارية التى يمكن فى المستقبل أن تباع بخمسمائة ليرا الى ألف ليرا لا يقصر فى الاهتمام بها والاحسان اليها بما تصل اليه يد الامكان وأكثر العيال التى تشترى الجوارى ليتزوجاهن انما هى من هذا البعض الذى اشرت اليه والبعض أيضا يربون هؤلاء البنات الصغيرات فى بيوتهم الى أن يكبرن فيكن زوجات لاولادهم ويوجد قسم من هؤلاء الصغيرات تأخذهن العيال الكبيرة ليكن بمنزلة مصاحبات أو رفيقات لاولادها ولكل فتاة من ذوى البيوتات الكبيرة جارية صغيرة مماثلة لها بالسن فهذه الجارية تتعلم القراءة والكتابة مع سيدتها وتتربى التربية عينها ومتى تزوجت السيدة يطلق سراح هاته الجارية فى اليوم الذى يحتفل فيه بعرسها ومن المعلوم أن تهذيبها كسيدتها يؤهلها للحصول على زوج ملائم لها فهذه أيتها المادام هى الاسباب التى تبعث على بيع الجوارى

الصغيرات لان الجراكسة بالنظر الى ما يرون من هذه المعاملات الحسنة يبيعون بناتهم اللاتى يتيمن بعد وفاة أمهن فينقلنهم بذلك من حضن والداتهن الى أحضان والدات آخر يعتنين بخبرهن ويحصلن فى جانبهن على منتهى السعادة قالت

لاأخفى عنك أن الايضاحات التى سمعتها منك تخيل لى بالنظر الى ما سمعته ووعيته قبلا أننى لم آت الى تركيا وانما أتيت بطريق الغلط الى بلاد أخرى قلت

إن السبب فى ذلك منحصر فى كون الاوربيين الذين يأتون الى دار السعادة يذهبون تواً الى الفنادق فى بك أوغلى فيصرفون أوقاتهم بين أهالى هذا القسم من دار السعادة ليس الاويتمكنون الى حد ما من الوقوف على شؤنهم وأما جهات استانبول واسكدار وداخل البوغاز فلا يعرفون منها الا الطرق والارصفة ولا أكتمك أن صور المعيشة فيها وطرق أصولها وعاداتها لا تنطبق على ما ماثلها فى بك أوغلى بل ليس بينهما قياس على وجه الاطلاق وزيادة على ذلك ان التراجمة الذين يتخذونهم بصفة أدلاء لا يعرفون على الحقيقة شيأ مما خرج عن عالم بك أوغلى ولما كانوا مضطرين الى الاجابة عن الاسئلة التى تلقى عليهم كانوا يتكلمون بما يوافق عقلهم ولا يلائم أفكارهم وبعبارة أوضح انهم يهرفون بما لا يعرفون والسواح أيضا يظنون كلامهم صوابا فينزلونه منزلة الحقائق ويسطرونه فى كتب سياحتهم حتى اننا نكاد عند قراءة بعض هذه الكتب نتوهم وهما أنها تبحث فى احدى البلاد التى لا تعرفها

وفى أثناء ذلك دخلت علينا جارية حبشية ولما كانت منذ ربيت الى ان شبت على محبة الزينة والانتظام كانت زينتها التى دخلت علينا بها حسنة جدا فلما رأتها المادام قالت باستغراب

من تكون هذه أرى حلاها تفوق حسنا وإتقانا على حلى رئيسة الخدم عندكم قلت

انها جارية قد تربت عندنا منذ الصغر الى ان كبرت أما عملها فكثير فلما حان زمن عتقها عرضنا عليها الحرية فأبت قالت لماذا قلت

أبت ذلك محتجة أنها لن ترى فى الحرية ما تراه هنا من الراحة ولكن نحن قد تركناها مخيرة فيما ترغب أى اننا أعطيناها سندا يحق لها بمقتضاه أن تعتق نفسها بنفسها متى شاءت

ثم ان المادام نادت الحبشية المذكورة وأجلستها على مقربة منها وسألتها بواسطتى لماذا تأبى العتق والحرية فترجمت جواب الحبشية للمادام باللغة الافرنسية كما يأتى قالت لها

ما فائدتى من الحرية انى متى رأيت زوجا ملائما لى فحينئذ أعتق نفسى بنفسى فعندئذ سألتها المادام عن الزوج الذى ترغب فيه وكيف تحب أن يكون

فأجابتها الحبشية انها اذا لم تحصل على زوج يطعمها نظير الطعام الذى تتناوله فى بيت سيدها ويكسوها بمثل ما تكتسيه من الالبسة ولا يحملها أكثر من الخدمة التى تقوم بها فى منزل مولاها فلا تتزوج

وفى أثناء ذلك أطلق مدفع الافطار فذهبنا الى غرفة الطعام وجلسنا على المائدة أما المادام بعد أن أمعنت النظر فى صينية الافطار قالت

لقد جرت العادة عندنا أيضا أن يكون على المائدة بعض أشكال متنوعة مما يسمونه عرفا واصطلاحا بمقدمات الطعام أو النقول (هوردور) فينتج من ذلك أن هذه العادة مألوفة عندكم أيضا قلت

أجل انها عادة مخصوصة بشهر رمضان ومماثلة للمائدة التى أنزلت على حضرة عيسى عليه السلام

أما الراهبة التى كانت ملازمة للصمت المطلق ولم تشترك معنا بالحديث بل ربما كانت لم تهتم بمحاورتنا أصلا فانها عندما سمعت منى هذا الجواب التفتت الى قائلة

ماهى مائدة عيسى التى تقلدونها قلت

لايخفى أن الحواريين وان كانوا قد أبصروا الحضرة (عيسى عليه السلام) أعمالا كثيرة من خوارق العادات الا أن جميع ذلك كان من المعجزات الارضية فلما رغبوا فى أن يبصروا معجزة سماوية وقالوا له (ياعيسى ابن مريم أينزل ربك علينا مائدة من السماء) أجابهم قائلا (اذا كنتم مؤمنين فاتقوا الله) فقالوا له حينئذ (نريد أن نأكل من هاته المائدة وتطمئن قلوبنا ونعلم علم اليقين أنك من الصادقين ثم نكون على المائدة المذكورة من الشاهدين) فقال حضرة عيسى (يارب أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك على نبوّتى) فقصة المائدة مذكورة فى القران الكريم على الوجه المشروح قالت الراهبة

فهل نزلت مثل هذه المائدة قلت

نعم فقد ذهب المفسرون الى انه بناء على دعاء حضرة عيسى أنزلت الملائكة مائدة من السماء وكانت مائدة مغطاة بمنديل قد نزلت على حين كانت من طرفيها الاعلى والاسفل ملفوفة بقطعة من نسيج فرفع عيسى عليه السلام غطاءها بعد أن شكر الحق سبحانه وتعالى وقد رأى الحواريون ذلك رأى العين فكان عليها مأكولات متنوّعة وقد اختلفت الروايات فى أشكال وأنواع هذه المأكولات والرواية المشهورة تفيد أنه قد كان على المائدة المذكورة خبز وسمك و بعض الخضراوات وسمن وعسل وجبن ومقددات فنحن نجمع مثل هذه الاشياء ونرتب مائدة الافطار على هذا الوجه و بعد الافطار نتبرك بأبد أ بتناوله طعام المساء الاصلى

وعقيب هذه المحاورة تكلم الزائرتان عن طعام الاتراك فوقعت لديهما حلوى صدر الدجاج موقع الاستحسان التام وأثنتا على لذتها واعترفتا بان الطعام اجمالا خفيف جدا ثم انتقلنا الى البحث عن الصيام فبعد اذ أحاطت المادام علما ان الصيام هو عبارة عن عدم الاكل والشرب من قبل الفجر الى المساء قالت بلسان رقيق للغاية ان الصيام على هذا الوجه انما هو عبادة صعبة جدا وكأنها تحاول ان تجعلنا نعترف نحن أنفسنا بقدر هذه الصعوبة فقلت لها حينئذ

ليس فى ذلك من صعوبة على الاطلاق بالنظر الى ماأوتيناه من الالطاف الالهية لاجرم ان القطاعات والرياضات عند المسيحيين ليست بأقل كلفة من الصيام حتى انه على حين ان أرباب الزهد والتقوى فى النصرانية من رجال ونساء وهم الذين انقطعوا اليها وتجردوا من سائر الاشياء لم يكونوا بنادرين نرى انهم لايكادون يمرون على خواطرهم قضية كونهم عرضوا أنفسهم لصعوبة خارجة عن حد الاستطاعة بانقطاعهم عن الانتفاعات واللذات الدنيوية فما تقولين بذلك ياعزيزتى

قالت الراهبة أقول انه مهما حصل من العبادات فى سبيل الشكر للطف الله واحسانه يكون قليلا قلت لاريب فى ذلك حتى انه قد ورد النص فى القرآن الكريم بحق الرهبان حيث تفضل الحق سبحانه وتعالى بقوله ان أشد الناس عداوة للمؤمنين اليهود والمشركون وأقرب الناس مودة للمؤمنين الذين قالوا انا نصارى وذلك لان منهم قسيسين (علماء) ورهبانا (زهادا) وانهم لايستكبرون ولا يأبون قبول الحق و بعد ان

انتهينا من الاكل نهضنا عن المائدة ومررنا الى القاعة حيث تناولنا القهوة وبعد هنيهة أخذت أترجم بين الزائرتين وبين صاحبة المنزل وأفراد العائلة ثم ان المادام بناء على الرغبة التى أظهرتها قبلا سارت بصحبة بعض افراد العائلة للتفرج على غرف منزلنا وكنت وقتئذ مرافقة لهم وكان فى احدى الغرف واحدة تقرأ تفسير المواهب وحيث انها كانت تقرؤه وهى مستورة الرأس بكمال الاحترام التفتت الراهبة الىّ وقالت سائلة

هل ان هذه السيدة تقرأ القرآن قلت

تقرأ تفسيره فى اللغة التركية قالت الراهبة

بأى شئ تتعلق الآيات التى تقرؤها يا ترى

فسألت القارئة (فى أى سورة تقرئين) قالت

فى سورة آل عمران

فما فهمت الراهبة جوابها باللغة الفرنسوية قالت

من تعنين بعمران قلت

يوجد باسم عمران اثنان الاول والد حضرة سيدنا موسى عليه السلام والثانى والد حضرة مريم والاثنان من بيوت بنى اسرائيل قالت الراهبة

بأى مناسبة ورد هنا ذكر عمران قلت

ان عمران قد توفى بينما كانت زوجته حنة حاملا وقد نذرت الطفل الذى ستضعه لخدمة بيت المقدس لانه فى ذلك الزمن كانت عادة جارية عند ذوى البيوتات أن يقدموا أولادهم الذكور لخدمة بيت المقدس فحنة أيضا على أمل أنها ستضع ولدا ذكرا كانت نذرته لخدمة بيت المقدس ولما وضعتها أنثى سمتها مريم ومعناه بالعبرانية (عابدة زاهدة) ولكن بما أنها لم تضع ذكرا أصبحت حزينة متحسرة وقالت (رب انى وضعتها أنثى) أما جناب الحق فقد قبلها بقبول حسن وربّاها تربية حسنة ولما عرضتها حنة لخدمة بيت المقدس لاجل ان تفى بنذرها تسابق الجميع لاجل تربيتها لانها بنت إمامهم ووقعت بينهم المنافسة فاقترعوا عليها فيما بينهم فكانت القرعة لحضرة زكرياء فخصص والهاجرة فى المسجد وتعهد حضرة زكرياء بتربيتها وفى اثناء ذلك أتته البشرى من الله أنه سيأتيه ولد يكون اسمه يحيى على ان فى القرآن الكريم سورة منسوبة لمريم يقال لها (سورة مريم) فيها تفصيل هذه القصص قالت الراهبة

أرجو تلاوة هذه السورة لنسمعها

وحينئذ فتحت سورة مريم وصارت تلاوة الآيات المتعلقة بحضرة زكريا وحضرة مريم وتفاسيرها أما أنا فبادرت بترجمة ذلك بالفرنسوية فأفهمتها أن حضرة مريم رأت جبرائيل عليه السلام بصورة بشر وانه نفخ الروح فى طوق قميصها وبينت لها تفصيلا ان حضرة مريم عندما شعرت من نفسها بعلائم وضع الحمل جاءت الى جذع النخلة وقالت بأى وجه أقابل قومى يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ثم كيف جاءها جبرائيل وواساها وكيف تكلم حضرة عيسى وهو فى المهد وما كدت أنتهى من هذا البيان المأخوذ عن القرآن الكريم والتفاسير حتى ظهرت دلائل التأثير العظيم على وجه الراهبة وقالت

يتضح من ذلك أنكم تعتقدون أن حضرة عيسى ولد بلا أب فقلت لها

كيف وعندنا أن من لا يعتقد هذا الاعتقاد يكون كافرا فنحن لا نفرق بين أحد من الانبياء لكن نعلم أن ستة منهم يعني محمدا وعيسى وموسى وابراهيم ونوحا وآدم عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الانبياء فان الله الذي خلق آدم من تراب لا يرتاب أحد في كونه قادرا أن يخلق انسانا آخر بلا أب وهذا لا يمكن استبعاده لا عقلا ولا حكمة أيضا قالت الراهبة

أتعتقدون أنتم بالاناجيل الشريفة قلت

أجل نعتقد أن الحق جل شأنه قد نزل على حضرة عيسى كتابا اسمه الانجيل الشريف وقد ورد ذكر الانجيل في عدة مواضع من القرآن الكريم وذكر في القرآن بعض مندرجات الانجيل الشريف وقد صرح القرآن الكريم ان حضرة عيسى عليه السلام بشر بقوله (انه سيأتي نبي بعدي يقال له أحمد) قالت الراهبة ما المعنى من ذلك اني لا أعرف مثل هذه الرواية قلت

فلننظر في الفصل الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من انجيل يوحنا قلت هذا وأخرجت نسخة الاناجيل الفرنسوية من المكتبة ثم فتحت هذه الفصول الثلاثة وقرأت الآية السادسة عشرة والتاسعة والعشرين من الفصل الرابع عشر والآية السادسة والعشرين من الفصل الخامس عشر والآية الاولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والثالثة عشرة من الفصل السادس المتعلقة بمجيء نبي بعد حضرة سيدنا عيسى (عليه السلام) قالت الراهبة

ليس في هذه الآية معنى يشير الى مجيء نبي بعد حضرة سيدنا عيسى والكنيسة قد فسرتها تفسيرا يختلف عما ذهبت اليه ولما كان انجيل يوحنا دقيقا كان لا يمكن لكل انسان أن يفهمه قلت

نعم ان فهم انجيل يوحنا كما ينبغي لفي غاية الصعوبة لكن من قراءتنا لهذه الآية يستفاد في أية حالة أنه سيأتي نبي آخر بعد حضرة سيدنا عيسى قالت

والذات الذي يشير به أنه سيأتي قد ورد ذكره في الانجيل باليونانية (بارقليط) ومعناه في الفرنسوية (المضري) قلت

نحن نظن ان البارقليط محرف عن (بريقليت) قالت

اني لم أسمع قط بكلمة (بريقليت) قلت

أما أنا فقد رأيتها في الكتب الفرنسوية

وأخرجت ترجمة القرآن الكريم بالفرنسوية من المكتبة وقرأت الآية السادسة من سورة الصف وأشرت الى حاشية المترجم (فارميرسكي) المتعلقة بذلك وها أنا أنقلها حرفيا وذكرته حرفيا وصار تعريبه كما يأتي

ان لمحمد عند المسلمين عدة أسماء بمعزل عن النعوت وبعض الصفات وهي تبلغ نحو المائة عدا فهو يسمى أحمد والمعظم والمصطفى والمختار ومحمود والمبجل الخ فكلمة (ماهوميت) المستعملة عندنا مأخوذة عن محمد (المبجل) وهذه الكلمة آتية من أصل كلمة أحمد ومعناها تماما وهي (أي كلمة أحمد) مماثلة لكلمة بارا قليط باليونانية أي المعظم فالمسلمون يدعون أن يسوع المسيح (عليه السلام) وعد بمجيء محمد أخذ منه معنى بريكيلتوس (انجيل يوحنا السادس عشر ١١) وان البارقليط بارا كلينوس الذي يفسر بنزول الروح القدس ليس الا تغيرا عن بريكيلتوس وتصوره ضعف ايمان المسيحيين قالت المادام

قد توسعتما بهذا البحث الدينى ونتائج مثل هذه الحقائق انما هى من الاشياء التى لاتظهر الا فى الآخرة قلت
لاشك ولا ريب غير اننا نحن منذ الآن لا يمسنا خوف واضطراب من هذا الوجه على الاطلاق فان سيدنا
ونبينا (صلى الله عليه وسلم) قد جعل أمته تعرف الانبياء السالفين (عليهم السلام) وتصدقهم وكأننا
بذلك قد استحضرنا توجههم وشفاعتهم لاجلنا

وعند ذلك أذن المؤذن للعشاء فنهض أهل المنزل لاداء صلاة التراويح وحينئذ سألت الزائرتان عن سبب
ذهابهن فأنبأتهما انهن ذاهبات لاداء الصلاة التى تؤديها فى ليالى رمضان قالت المادام

ألا تذهبين أنت لاداء هذه الصلاة قلت

ان وظيفة اكرام الضيوف منوطة بى هذا الوقت وسأذهب لتأديتها بعدئذ قالت

أيمكن لنا أن نحضر ونرى هذه العبادة قلت

اذا رغبتما فى تحمل المشقة فلا بأس من ذلك ان مثل هذه العبادات عندنا غير ممنوع على أحد أن ينظرها
ودين المسلمين ظاهر للعيان وفى ذلك أقوال مشهورة قالت

نكون فى غاية الامتنان فقلت

تفضلا وسرت بهما الى محل النساء المفروز عن محل الرجال وهنالك أخذنا فى مشاهدة ومعاينة النساء
اللاتى يؤدين الصلاة جماعة وكانت تسألانى عن معانى سورة الاخلاص التى تتكرر بعد كل سلام
فاترجمها لهما قالت المادام

لاجرم ان هذا التكرار (لسورة الاخلاص) له قدر فان بها ألفاظا جميلة جدا

وعندما قرئت الآية الكريمة وهى (ربنا آمنا الخ) بعد سورة الاخلاص فى آخر سلام التراويح رفع الجميع
أيديهن الى العلا فسألتنى الزائرتان بقولهما ما الذى تقرؤه المصليات فقلت

انها آية من القرآن الكريم وهى حكاية كلام الحواريين ومعناها (يا ربنا قد آمنا بالكتاب الذى أنزلته علينا
واتبعنا الرسول (عيسى) فاكتبنا مع الشاهدين وهذه الآية تقرأ عادة فى نهاية صلاة التراويح التى تقام
فى شهر رمضان فقالت الراهبة

ما قولكم أنتم فى الحواريين قلت

هؤلاء نعم من خواص أصحاب حضرة سيدنا عيسى عليه السلام قالت الراهبة

أتقولون ان حضرة سيدنا عيسى ابن الله قلت

كلا نقول انه عبد الله ومن كبار الانبياء قالت الراهبة

أما تعتقدون انه ولد بلا أب قلت

نعم كما تقدم سابقا ان الحق سبحانه وتعالى خلقه بلا أب على وجه خارق للعادة وخلق آدم من التراب بلا أب
ولا أم وقد عبر عن آدم انه ابن الله فى آخر آية من الفصل الثالث من انجيل لوقا وورد التصريح فى التوراة
بعد وقعة قابيل وهابيل أن أولاد آدم قد انقسموا الى فرقتين فكانوا أبناء الله وأبناء الشيطان ولو اقتضى أن
يكون الحق جل جلاله أبا حيث انه ولد بلا أب لزم عن ذلك أن يبحث له عن أم ولو قيل انه ملك لسقط القائل
بذلك فى عقائد الميتولوجى الباطلة التى نهت عنها الشرائع والشريعة الموسوية أيضا ولو كان يعبر عن الله
بلفظة أب لكان العبيد المؤمنون والاعزاء يقال لهم أبناء الله لاجرم أن لكل مسألة مثل هذه التعبيرات

المجازية وبينما كان التعبير عن الله بالاب من هذا القبيل المجازي اذنهض للتفتيش عن الابوة الحقيقية فحصل الايهام من تعبير الاب والابن بالابوة والبنوة المادية وبسبب ذلك منع استعمال هذه التعبيرات في الشريعة الاسلامية والا فانا نحن أيضا نسمي الكعبة المكرمة بيت الله يعني البيت المحترم والمشرف عند الله وذلك لايفيد ان لله بيتا حقيقيا فان الحق سبحانه وتعالى منزه عن المكان كذلك يقال عندنا يدالله والمراد بها قدرة الله لان الحق جل جلاله منزه عن الجسمانية قالت الراهبة

أتعتقدون بانتقال حضرة سيدنا عيسى الى السماء بعد صلبه قلت

نعتقد بصعوده الى السماء ولا نعتقد بصلبه قالت

ياعجبا ما هذا القول ان اليهود يقولون نحن صلبناه ونحن نقول نعم انهم صلبوه أليس مما يوجب النظر أن دينا يأتي بعد ستمائة سنة يكذب الطرفين قلت

ليس في هذه المسئلة عند المسيحيين من رواية وصلت اليهم بلا انقطاع من تبع يتعلق بهم تواتر وانما أخذوا الشيء الذي سمعوه من اليهود فقبلوه فالاسلامية والحالة هذه لاتجرح رواية النصارى على الاطلاق وانما هي تجرح رواية اليهود لانه من المعلوم أن اليهود أخذوا سيدنا عيسى عليه السلام ليلا الى أحد البيوت واذ ذاك تفرق الحواريون بأجمعهم على انه وان كان أحدهم قد ذهب من خلفه حالة كونه كان بعيدا عنه الا أن هذا أيضا قد ذهب بحال سبيله حينما أدخلوا حضرة سيدنا عيسى عليه السلام الى ذلك البيت ولم يطلع أحد على ما حصل في الداخل وقد كان في ذلك اليوم أشخاص أخر حكم عليهم بالاعدام فمن اشتداد الظلمة ظن انهم أخذوا سيدنا عيسى والحال انهم صلبوا شخصا شبه به والحق سبحانه رفع سيدنا عيسى عليه السلام الى السماء فهذا هو الحق الذي بلغناه

وحينئذ تمت الصلاة فتقدمت المرطبات على جاري العادة وأخذنا في مداولة أحاديث الوداد وبعض النوادر ثم ان المادام أوضحت لنا اذ ذاك أنها قد حصلت على المعلومات اللازمة من سياحتها واطلعت على اشياء كثيرة كانت تجهلها من قبل فشكرت لنا كل الشكر وحمدت مارأته منا من الاكرام لها والعناية بها واشتركت الراهبة بالثناء أيضا مصرحة بامتنانها وسرورها مما رأته ووقفت عليه وكلاهما ودعتانا أحسن وداع وذهبتا ممتنتين شاكرتين

المحاورة الثانية

بعد أسبوع واحد من اجتماعنا بتينك الضيفتين كما فصلنا ذلك في المحاورة الاولى أخذت كتابا ولما فضضت ختامه وجدت ضمنه رقعة زيارة وكتابا آخر مظروفا وقد خط على رقعة الزيارة كلمات معناها أن مرسلتها تود أن تعلم ماذا كان يمكننا قبولها في منزلنا أم لا واذا أمكن ففي أي وقت يتسنى لها أن تزورنا وبما اني لم أعرف اسم المرسلة المومى اليها فضضت ختام الكتاب الثاني فعرفت توقيع صاحبته وهي مادام من معتبري السواح كانت جاءت منذ السنة الماضية الى دار السعادة واجتمعت بها في منزلنا وقد ذكرت بكتابها اجتماعنا الماضي ثم قالت ان مادام ر . احدى حبيباتها الاعزاء متهيئة للذهاب بصحبة زوجها لمشاهدة دار السعادة وانها قد طلبت منها الايضاحات اللازمة عن المحال الحرية بالنظر والفرجة فيها من حيث انها كانت ذهبت قبلا اليها وانها كثيرة الشوق والميل للاجتماع مع العائلات التركية وسألتها عن الواسطة التي تمكنها من الفوز بهذه الامنية وان هذه المادام من العالمات الفاضلات اللاتي يسر الاجتماع بهن ولاجل ذلك

أوصتها أن تذهب الى منزلنا وانها على أمل تام من أنها ستلاقى فيه مطلق الحرية ثم زادت على ذلك بان مادام ر وان كانت انكليزية المحتد والنشأة الا أنها عارفة بعدة لغات وهى تعرف اللغة الفرنسوية كما تعرف لغتها وانه لا يمكن أن تجعل لنا ثقلة من التكلم معها واختتمت كتابها بقولها ان مادام ر الموحى اليها حرية بان تدعى فيلسوفة وانه ليس فى هذا الوصف مغالاة على الاطلاق وحيث ان الشخص الذى أحضر الكتاب كان لا يزال فى انتظار الجواب بلغته أن يخبر المادام الموحى اليها أن تتفضل لزيارتنا فى اليوم الثانى وان تؤانسنا بمناولة طعام الافطار معنا وفى اليوم المذكور وفد على منزلنا عدد من ذوى قربانا للافطار وذلك جريا على العادة المألوفة فى شهر رمضان من التزاور الذى يحصل بين الاهل والاقرباء وبينما كنا جالسين فى القاعة قبيل الساعة الحادية عشرة من النهار دخلت علينا جارية فقالت

أنبئت من الخارج أن المادام قد أتت وانها على أهبة الدخول الى فناء الدار

وما كادت تتم عبارتها حتى نهضت مسرعة لاستقبال الضيفة الموحى اليها وقد كنت أظن مما اقتبسته من رواية صاحبة الكتاب أنى سأقبل فيلسوفة طاعنة فى السن فاذا بى أرى غيداء حسناء لا تتجاوز الثلاثين من العمر وكانت هذه المادام مرتدية بلباس فى غاية الحسن وملقية على كتفها كسوة شتوية موافقة لآخر زى ولائقة بأعظم الزيارات وعند مقابلتى اياها رفعت قبعتها عن رأسها فتجلى للعيان شعرها المعقود بيد أمهر المواشط وكان مجموعا فى أم رأسها بطريقة تستجلب الانظار

لاجرم أن كتابة صاحبة الكتاب السابق الايماء اليها كانت تحملنى على الاعتقاد بأن الفيلسوفة التى سأراها فى دار السعادة يجب أن تكون من النساء المسنات اللاتى لا تهمهن الزينة ولا يعتنين بالازياء ولكننى بعد ان تمكنت من معرفة مادام ر . . . علمت أنها ليست من الجاهلات اللواتى يبيض المطاحن شعورهن وانما هى قد تلقت العلوم والفنون منذ سن الصبا عن والدها الذى يعد من عشاق العلم والمعارف وانها ما فتئت الى الآن صارفة قصارى جهدها وجدها الى اقتباس الآداب فما وصلت الى الثلاثين من عمرها حتى كانت قد صرفت معظمه فى سبيل التحصيل وبلغت شأوا رفيعا فى التهذيب وثبت عندى مما رأيته فيها من الميل والاجتهاد الى الوقوف والاطلاع على جميع الاشياء انها تعتقد بنفسها انها لم تصل الى الدرجة المطلوبة من العلم والمعرفة وان ما تعرفه دون الطفيف وان الطواحين لن تبيض شعرها الذى لا يزال غير مبيض ولا يمكن أن تصل أوقاتها بالبطالة وانها ستصرف بقية عمرها فى طلب المعارف وتحصيل العلوم والفنون كما صرفته الى هذا الوقت فكانت حرية بان يطلق عليها اسم الفاضلة وأما اتقانها للزينة وتغاليها فى الكسوة وترتيب شعرها فلم يكن الا لاجل المحافظة على شرف اسمها وعنوانها بين قريناتها ولكى لا يمزق عرضها الناقدون وينسبوا اليها الخسة والبخل مع ما هى عليه من الثروة العظيمة والغريب أن هذه المادام ليست من النساء اللاتى يحملهن جمالهن على الكبر والغرور فانها كانت كأنها لا تعرف هذا الجمال ولا تنظر اليه بل لا تهتم به وانما كانت تنظر الى جمال طبيعتها وأخلاقها وأغرب من ذلك أن هاته الحسناء التى هامت بالعلم وتيمها عاشقه ولم يكن فى قلبها أدنى فراغ يسع غيره فد اقترنت برجل هو فى سن والدها لانها قد سلبت بعلمه وعشقت فضله وكان هذا الزوج العالم واسع الثروة فتمكنت بواسطة ذلك من تحصيل سائر العلوم ووقفت على جملة أشياء ولما كانت راغبة فى أن تشرك حاسة النظر بحاسة الادراك وان تشاهد بأم

رأسها مادرسته من الفنون وما اطلعت عليـه من سائر آداب وآثار الدنيا أخذت تطوف فى كل جهة من العالم بصورة لائقة بمركزها قصدا للتسوح والتفرج على آثار الكون

وكانت هذه المادام ناقلة مروحة جميلة جـدا قد سلمتها مع ردائها الى الجارية وهذه المروحة من المراوح ذات القيمة التى تنقلها أكـبر المادامات لا لاجـل رفع الحر وترطيب الهواء ولكن لاجل اظهارها للناس وبيان قيمتها وغلاء سعرها حتى ولئن كان الهواء رطبا وليس من حاجة اليها ولما كان هواء تلك الليلة غير حار الى حد أن يكون هنالك حاجـة الى استخدام المروحة لم تشأ هذه المادام أن تبقيها معها عند دخولها الى القاعة فتركتها مع الجارية فى الخارج وقد دل هـذا العمل دلالة واضحة على أنها لم تنقل هذه المروحة بقصد الفخفخة وانما بقصـد المحافظة على شأنها وشهرتها ليس إلا وبالجـلة فان هـذه الرقة المجسمة التى لم تكن تعرف ما هو الغرور ولم تختبر العظمة والكـبر كانت بادية عليها آثار التواضع ومخايل أنس الجانب وكانت تتكلم بصوت لطيف يقع الى أعماق القلب ويدخل الآذان بلا استئذان وكان شعرها الكستانى النادر فى الانكليز وعيناها الزرقاوان تزيدان سيماها الجميلة جمالا وعذوبة أما ألبستها فانها وان كانت كما فصلت قبلا حسنة ومن آخر زى غير أنها كانت فى غاية البساطة ولم تكن مزينة بالازهار وما ماثل من أنواع البهرجة وكانت تشير الى نبالتها وكمالها بعد أن نزعت رداءها وقبعتها وكنت قد سرحت بجملتها نظر الانتقاد قدمت لها ساعدى وقلت

أيتها المادام إن جمعيتنا لما كانت خلوا من الرجال أقدم لك ساعدى فعساك أن تتفضلى بقبوله قالت أشكرك أيتها السيدة مكارم أخلاقك أفلست أنى متشرفة بالسيدة التى أثنت عليها صديقتى مادام ج قلت

ان العناية بالضيف فرض واجب القضاء على فلا حاجـة لما تفضلت به من عبارات الشكر والشرف الذى أشرت اليه انما هو الاحسان أو لتنبيه مادام ج . . . على غير استحقاق

وبعد ان أخـذت المادام بذراعها الى القاعة عرفتها بصاحبة المنزل وأفراد العائلة وسائر من كان هنالك من الاقرباء والانسباء كل منهن على حـدة وترجمت لصاحبة الدار وافراد العائـلة التحيات التى كلفتها بها مادام ج الموحى اليها وبلغتها تشكر كل واحدة منهن وحينئذ تقدمت للمادام القهوة فشربت فنجانا كاملا وقالت انها لم تكن تألف شرب القهوة ولكن انها لم تذق الى الآن مثلها ولذلك شربت الفنجان بتمامه أما أنا فقد بينت لها أن للترك طريقة مخصوصة لطبخ القهوة تختلف عن طريقة الافرنج وعرفتها كيفية طبخها ثم أنبأتها أن قهوة البن على عكس التبغ فبمقدار تطوافها فى البحر بمقدار ذلك يفسـد طعمها وأن هـذه القهوة هى من البن اليمنى قد أتى بها الى الشام بواسطة عربان غزة وجلبت منها الينا فلم تمر على البحر الا من بيروت الى هنا ولذلك كانت مرجحة على غيرها ثم سألتنى المادام عما اذا كان فى عزم السيدات الموجودات عندنا أن يبتن فى منزلنا هذه الليلة أم لا فقلت ان منازل أكثرهن قائمة على الخليج فسيذهبن اليها على ضوء القمر وان هاته الليلة هى الليلة الرابعة عشرة من الشهر فقد اخترنها للافطار على قصـد أن يستفدن بل يتمتعن بلطافة نور القمر وقت تمه

قالت انى على حين كنت راضية بان أجتمع بعائلة تركية فاجتماعى هذه الليلة اتفاقا بعـدة عائلات قـد

ملأ فؤادي سرورا فأنا أشكر لهن اختيارهن هاته الليلة للافطار ومجيئهن الى هذا المنزل حيث أسعدني الحظ بمرآهن

فترجمت كلام المادام لهن ونقلت لها كلامهن الدال على أنهن يشعرن بمثل ما تشعر به من المسرة والامتنان ثم قلت لها ان السيدات قد تولتهن الدهشة من جمالها ورقتها وأنهن لن يقنعن ببيان منتهن لها ولكن يتأسفن لعدم معرفة اللسان لمسامرتها مباشرة وجملة القول أنني بواسطة الترجمة ونقل كلام الفريقين الى البعض الآخر مكنت الالفة والصحبة بين المادام وبين السيدات ومع أنه لم يمر على مجيء مادام ر . . . الى دار السعادة أكثر من أسبوع واحد فقد خصصت من وقتها ساعة واحدة لتعليم التركية فحفظت منها جملة مفردات وبينا كنت أترجم لها كلام السيدات المومأ اليهن كانت في بعض الاحيان تجيب بلفظة ثم أولا اشارة الى أنها كانت تفهم بعض الكلمات وكنت أترجم لها ما خفي عنها من سائر العبارات وكانت المفردات التي حفظتها في خلال الاسبوع مسطرة في محفظتها وهي كثيرة جدا الى حد يوجب التعجب وقد أنبأتني أنها عند رجوعها الى بلادها لا تهمل تعلم التركية وانما ستستمر على الدرس والمطالعة وكانت تلفظ المفردات التي تعلمتها لفظا حسنا مما يثبت لها الاستعداد الطبيعي ومع أنها انكليزية المحتد والمولد فقد كانت تتكلم الفرنسوية كاحدى الباريسيات

وكانت منذ دخولها الى القاعة تمعن النظر أيما امعان بجميع من كان هناك من السيدات متنقلة من الواحدة الى الأخرى على انها لم تكن تنظر اليهن بعين البلهاء الحمقاء وانما كانت تلقي عليهن نظرة التدقيق والامعان اما أنا فقد حملت ذلك عنها على رغبة التأمل بالنسبة للسيدات التركيات وطريقة زينتهن وبعد مدة انقطعت عن الكلام تواوضاعفت تدقيقها وامعانها الكل من الخواتين على حدة ثم ما عتمت أن ظهرت على وجهها آثار التفكر كما يحصل في الغالب لكل انسان يحاول الحصول على شيء يراه ممتنعا عليه وقرنت حاجبيها قليلا فباحت شفتاها بما في ضميرها والتفتت الي قائلة

لقد بذلت جهدي هذه الفترة على أمل ان أتمكن من كشف شيء كنت ادعي الحصول عليه فلم أوفق اليه وذهب ذلك التفكر ادراجا فاني ألجأ الى مروءتك بازالة ما حصل لي من اليأس على أثر اخفاق مسعاي وعساك أن تعني بايضاح يكون لي منه ما أرجوه من السلوى فقلت

مري أيتها المادام قالت

من من هؤلاء السيدات الموجودات في القاعة ضرة للاخرى قلت

عفوا أيتها المادام أتسمحين لي قبل ان آتيك بالبيان عما أمرت به ان أسألك سؤالا واحدا قالت

تفضلي أيتها السيدة قلت

على أية صورة تدعين كشف المسئلة قالت .

بنظر أن كلا منهن ضرة للاخرى فلقد مر على هنا نصف ساعة تحريت بها عمن تنظر الى الثانية منهن بعين الخصومة والبغضاء ولكنني لم أر الآن كل واحدة منهن تنظر الى الأخرى بعين الحب والتودد لا جرم أن فقدان الضرائر في مثل هاته الجمعية الكبيرة كان يحملني على التفكر بأن ذلك ممتنع الامكان في تركيا لعلمي أن عدم وجود الضرائر نادر بدرجة يشير بها الزوج الى زوجته بالبنان أما الآن فقد تأسفت اذ علمت أن نظري الذي كنت أظنه قد خدعني قلت

لم يخطئ نظرك أيتها المادام وانما أنت على مثل ماعلمت الا أن الجهة الثانية معاكسة لما تعلمين على الخط المستقيم لان وجود الضرائر هو نادر الى درجة يشار اليها بالاصابع قالت

عفوا أيتها السيدة فما هذا القول قلت

لا أقول الا الحقيقة أيتها المادام قالت

فاذن لا يوجد ضرائر بين السيدات الموجودات هنا في الوقت الحاضر قلت

كما أنه لا يوجد بينهن ضرائر كذلك لا ضرة لاحداهن مع الاخرى قالت

انى بحسب الانوثة ولئن كنت ممتنة بسبب محبتى وميلى الى السيدات بنات النوع من ندرة تلك الحال الا أنه من حيث وجود الضرائر فلو تمكنت من مشاهدة مثل هؤلاء لاصبحت فى غاية الامتنان قلت

لقد نطقت بالصواب أيتها المادام ان النساء من أى ملة كن فهن على اتفاق بهذا الشأن قالت

يا عجبا يفهم من ذلك انه على حين انك تركية فأنت بهذا الخصوص من رأيى قلت

انى الى الآن لم أفهم ماهية فكرك أيتها المادام فانى لست منفردة بالتأثر على السيدات اللاتى يتزوج رجالهن بغيرهن وانما السيدات التركيات بجملتهن متفقة معك على فكرك قالت

أما أنا فقد كنت أسمع أن المرأة التى يقترن زوجها بامرأة غيرها لن تتذمر من فعله وانما تحسب ذلك أمرا الهيا فتمتثله بالطاعة والاذعان قلت

لو كان ذلك أمرا الهيا على الاطلاق لوجب على كل رجل أن يقترن بأكثر من زوجة واحدة ان الله سبحانه وتعالى لم يأمر الرجال أن يقترنوا حالا بزوجات على زوجاتهم وانما سمح وأجاز ذلك عند مسيس الحاجة فلو كان هنالك أمر الهى كما تقولين ففى وقت الموت أيطلب فقط أمر الله لا جرم انك تعتقدين مثلنا أن أمر الموت بيد الله ولكن هل أتى عليك زمن طلبت به هذا الامر قالت

لا أنكر عليك الحق فى مثل هذا الوجه ولكننى سمعت أن الله فى الشريعة الاسلامية أمر الرجال أن يقترنوا بأربع زوجات قلت

ان هذا الامر الذى تقولين عنه انما هو بمثابة اذن اجازه الله بحسب الايجاب ولقد كان تعدد الزوجات جائزا فى الشرائع السالفة بل لم يكن له حد معلوم أيضا فالشريعة الاسلامية نهت عن أكثر من أربع وهذا مقيد بقيود وشروط صعبة جدا بحيث ان فى اجرائه على صورة موافقة للشرع اشكالا لامزيد عليه لان الرجل الذى يقترن بزوجات متعددات يجبر أن يفرز لكل منهن منزلا على حدة وأن تكون نقوش غرفه مماثلة لبعضها البعض الآخر فضلا عن الاثاث والرياش وان لا يكون ثمت بون وفرق بين ألبستهن وزينتهن وفى مثل ذلك لا أزيدك علما بما هنالك من الصعوبة المتعسر تذليلها ولما كان من واجبات الرجل عندنا أن يهتم بادارة زوجته وطعامها وكسوتها وسائر حاجاتها كان تعدد الزوجات نادرا بالنظر الى تعذر القيام بضروريات واحدة فضلا عن كثيرات فى عصرنا الحاضر وزيادة عن ذلك أن المرأة التى لا ترى من زوجها عناية بشؤنها وادارتها يحق لها أن تذهب الى المحكمة فتشكو ظلامتها والمحكمة تأمر الرجل أن ينفق على زوجته كما أن الزوج يصبح حينئذ مجبرا على امتثال هذه الاوامر قالت

ان الرجل المتمول يقتدر على ادارة أربع زوجات فلا يمنعه ذلك من تعددهن قلت

كلا لا يمنعه من ذلك ولكن مشروط عليه أن يساوى بين كل من زوجاته وأن لا يميز إحداهن عن الاخرى

بالعطايا والهدايا ولا يظهر لواحدة منهن حبا يزيد عن حبه للاخرى فاذا خاف أن لا يعدل بينهن فيجب عليه شرعا الاكتفاء بواحدة قالت

يا عجبا ان المشاكل كثيرة ألم يكن أولى من التعصب ووضع هذه المشاكل والعقبات منع هذا الامر قلت

يا أيتها السادام فاذا كانت الزوجة عقيمة والزوج راغبا فى البنين أو كانت المرأة مريضة والزوج يطلب زوجة أفلا يساعد بزوجة أخرى قالت

ألا يوجد طلاق فانه يطلقها ويأخذ غيرها ويجتمع بزوجة واحدة قلت

انما نصرف النظر مراعاة لخاطرك عما تلاقيه المرأة العقيمة من المحنة والمشقة اذا لم تتمكن من الحصول على زوج آخر ولكن كيف نسمح بطرح الزوجة المريضة فى قارعة الطريق قالت

انى أوافق على هذا القول بالنظر الى كونه صوابا فقط ماذا تقولين عن رجل يتزوج على زوجته مع ان له ولدا ومع ان زوجته حسناء ومتمتعة بأحسن صحة قلت

أيتها السادام ان الحمام يكتفى بأنثى واحدة على ان الديك يتسلط على عدة دجاجات أليس الانسان نوعا من أنواع الحيوان قالت

أليس التمثل بالحمام أقرب الى الملاءمة والصواب قلت

لاجرم أن ذلك منتهى الحكمة والحق والاكثرية على هذا المذهب الا ان الشريعة اللازمة لجمعية مدنية مؤلفة من ملايين من الانفس يجب أن يكون لها أحكام موافقة لأى الاحوال تدفع بها عن ذويها سائر المحذورات وتنيلهم ما يبتغون من المسرات والطيبات وانى لا حكم معك أيضا انه فى سوء استعمال المساعدة الممنوحة فى تعدد الزوجات مظلمة للنساء غير أن النساء اللاتى لا يحتملن هذا الظلم والاعتساف لهن حقوق معلومة على حدة تنقذهن من هذا الجور فالمنع القطعى فى تعدد الزوجات قد أورث الجمعيات المدنية اضرارا وخسارات شوهدت رأى العين ومن جملة ذلك أن كثيرا من الرجال الاوروباويين فى الوقت الحاضر أصبحوا بلا زوجات وعددا غفيرا من النساء بتن بلا أزواج فاتسع بذلك مجال العادات السيئة ألا وهى كثرة المسيكات والخليلات فلو شئنا أن ننقذ النساء من تأثر الضرائر أى من ان يكون لرجل واحد ثنتان أو ثلاث لفتح خرق أمر وأنكى من الخرق الاول بمعنى انه يظهر اذ ذاك سفالة كثير من الاطفال المعصومين الذين يأتون الى هذا العالم بصورة غير مشروعة ونشأ عن ذلك أكدار لعدد من بنى الانسان وأورثهم هذا الامر خجلا يلازمهم طول العمر على أنه اذا اتفق عندنا أن رجلا كان قليل الوفاء واقترن بامرأة ثانية علاوة على زوجته الحسناء الفتاة الصحيحة البنية أمكن لها أن تطلق منه وتقترن بزوج آخر كما تريد وتجدد سعادة حالها ولكن هل فى وسع الاطفال الذين لا علم لهم بانفسهم وما يصيرون اليه فى مؤتنف الايام وما يتقلب عليهم يوميا من صنوف الضر الذى تسود به وجوههم أن يمتنعوا عن المجىء الى الدنيا ان المرأة المسلمة تحرم شيأ من الحقوق الانسانية فى أى الاحوال على ان أولئك المساكين الذين يدعون أولادا طبيعيين محرومون من جميع الحقوق الانسانية فانهم مهما بذلوا من السعى والاقدام ومهما أجهدوا نفوسهم ومهما بلغوا من المعرفة والعلم والثروة الواسعة لا يمكن الافتخار بهم وانما يكونون حطة لوالديهم ويضعون من قدرهم ويوجبون لهم الحياء والخجل وليس من عائلة تقبل فى تزويج احدى بناتهم برجل منهم اذ من حيث انه لا عائلة له لا يليق به الانتساب الى عائلة ما أما البنات ومصيرهن فلا أرى

من حاجة للافاضة بهذا الموضوع لما أن ذلك معلوم لديك فانهن محرومات من أن يحببن ويكن محبوبات لان علامة (النقولة) منقوشة على جباههن بصورة لاتمحى على الاطلاق فما ذنب هؤلاء أيتها المادام قالت

لاجرم ان هؤلاء المساكين لم يأتوا الى الدنيا في الحالة التي يرغبون بل بعد ذلك لامناص ولا مخرج لهم من هاته الحال وان كانوا غير راضين عنها قلت

أما المرأة المسلمة فتكون ضرة برضاها واذا أبت ذلك فتطلق وتذهب الى زوج آخر والشريعة الاسلامية لكي تمنع مجيء أولاد الزنا الى الدنيا منعت الزنا قطعيا وأجازت للرجال الذين لايكتفون بزوجة واحدة تعدد الزوجات ومقابلة لذلك وضعت الطلاق بحيث ان النساء اللاتي لايرغبن ان يكن ضرائر يمكنهن أن يبحثن عن زوج يرضى بزوجة واحدة قالت

لقد أصبت فيما رويت من هذه الجهة فلا أزيد على لفظة الاستحسان شيأ ولكن من حيث انا من نوع النساء يجب أن نتدرج في مراقي الغيرة قليلا ونتكلم كلمات لاجل حماية أهل النوع ان الزوج والزوجة هما جسم واحد فبينا يجب أن يعيشا بالحب الكائن بينهما دون أن يتخلله شيء من الشبهات اذ نرى الزوجة المسكينة في كل يوم بل في كل ساعة تناجي نفسها قائلة (هل ان زوجي يتزوج علي بامرأة أخرى) فيحقك أية لذة من حياة الخوف والقلق والاضطراب قلت

اذا وجد نساء يفتخرن بمحبة أزواجهن فليس الا النساء المسلمين أيتها المادام ان تزوج الزوج على زوجته حالة كونها في قبضة يده أي حالة كونه لم يتركها فيفيد كأنه لم يتزوج لان المحافظة على زوجته دليل محبته لها ولايمكن أن يقام أعظم من هذا الدليل على اثبات حب الزوج ووفائه والرجال عندنا لايكونون تحت منة النساء كما يحصل عندكم بسبب المهر المعكوس ليتحاشوا الزواج ثانية بل بعكس ذلك فان الرجل حين الزواج هو الذي يدفع الدراهم لتجهيز البنت وهنالك قسم من المال يبقى دينا بذمته واجب الاداء وهو المهر المؤجل فاذا وقع بينهما طلاق استوفت المرأة دينها من الرجل واضطرته ان ينفق عليها ثلاثة أشهر وعشرة أيام بحيث انها لاتحمل شيأ من الضيق حتى تتمكن من الحصول على زوج آخر قالت

في الواقع انا وان كنا ندفع الاموال الا أن الرجال راغبون فينا كل الرغبة قلت

اذا انتقلنا الى البحث بأمر الرغبة نرى الحرمة والرعاية التي تؤدى للنساء عندنا لاتقل عن مثلها عندكم وربما كانت على نوع ما أعظم نحن لانغتر بالظواهر ننظر الى الحقائق فان النساء في الاسلام محترمات بمرتبة القران حتى انه لايجوز لفرقة عسكرية سيارة صغيرة غير خليقة بالامنية ان تستصحب معها المصحف الشريف والنساء وأما الفرق الكبيرة العسكرية التي تكون سلامتها مأمولة في الغالب فتستصحب معها المصحف الشريف والنساء أيضا

أما المادام فانها بعد ان أعملت الفكرة قليلا التمست مني أن أترجم كلامها والتفتت الى النساء قائلة لهن اجمالا

من حيث في الاسلام يجوز للرجال متى أرادوا أن يقترنوا بزوجات علاوة على زوجاتهم أفليس عندكن خوف من ذلك

فأجابت احدى السيدات قائلة

أواه ان زوجي يحبني فلا يمكن أن يتزوج

وأجابت الثانية فليتزوج ليرى أنني لست ممن يرضين في البقاء عنده

وقالت الثالثة اذا كان لا يحبني فبعد أن يتزوج لا أخشى من وقوع القحط في الرجال للحصول على زوج لي

وأجابت سيدة أخرى ان زوجي حقا في أن يتزوج لانني أنا أكبر منه بثمان سنوات أو تسع سنوات فهو الآن كهل في الخامسة والاربعين من العمر أما أنا ففي الرابعة والخمسين وانني متى كنت معه في محل واحد لأخجل من أن نمر معا بازاء المرآة

وبعد أن ترجمت لها هذه الفقرة التزمت المادام الصمت وبعد تفكر قليل التفتت الي قائلة

يقال ان نبيكم (صلى الله عليه وسلم) كان يحب النساء كثيرا أليس كذلك قلت

أجل ان نبينا تفضل بقوله حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب (أي الرائحة العطرية) والنساء وقرة عيني في الصلاة قالت

الظاهر أنه لذلك أخذ كثيرا من النساء حتى إن أحد عبيده بعد أن طلق زوجته تزوجها وقيل ان ذلك سبب اعتراض بعض المعترضين قلت

ان جواب كلماتك يحتاج الى التفصيل فاذا لم يكن مما يوجب تصديع الخاطر أتقدم الى بيانه قالت

انني أشكرك شكرا جزيلا لانني أرغب كثيرا الوقوف على حقائق هذه الاشياء قلت

ان نبينا (صلى الله عليه وسلم) تزوج في بادئ الامر بخديجة الكبرى وفي مدة حياتها لم يتزوج بامرأة غيرها فالذرية النبوية انما هي باقية عنها وبعد وفاتها زوجه حضرة أبي بكر صديقه الحميم بابنته عائشة فلما ترملت حفصة ابنة حضرة عمر رغب بها كل من أبي بكر وعثمان فلم يتم شيء من ذلك على أن نبينا رغبة منه في تلطيف عمر تزوج بها وأنتم تعلمون ما كان عليه حضرة عمر من رفعة الشأن والقدر وجميع نسائه انما اقترن بهن لسر وحكمة مما تقدم بيانه وهنالك سبب مستقل يتعلق بمسألة التحري والبحث عن الكفء في أمر الزواج فهذه المسألة كان يراعيها العرب مراعاة فوق الحد وكانت قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل تأنف من أن تصل بناتهن ونساؤهن الى رجال غير أكفائهن ومن حيث ان المشركين في أوائل الاسلام كانوا يسومون المسلمين جورا وعسفا وجفاء هاجر عدد من سراتهم باهاليهم الى بلاد الحبشة ثم بعد ذلك كانت الهجرة الى المدينة بوجه عام وهذه المهاجرة أفقرت المسلمين وفي أثناء هذه الحلبة أصبح عدد كبير من الرجال عزابا وكثيرات من النساء أرامل ولما كان الزنا من المحرمات العظيمة في دين الاسلام لم تراع مسألة الكفاءة تماما ومع ذلك فان هذه المسألة أي أمل وجود الاكفاء لم تبرح من أذهان المهاجرين ولم تكن تطمئن قلوب المسلمين على النساء اللاتي لم يحصلن على الاكفاء فهذا هو السبب الرئيس في تكثير الزوجات المطهرات بعد الهجرة النبوية وها أنا ذا أورد لك بعض أمثلة في هذا الشان إن أم حبيبة ابنة أبي سفيان من رؤساء قريش كانت أول من آمن فهاجرت مع زوجها الى البلاد الحبشية فتوفاه الله هنالك ولبثت هي ثابتة في دين الاسلام وحيث ان أكثر رؤساء قريش قتلوا في غزوة بدر صار أبو سفيان رئيس القريش في مكة وبلغ مكانة قصوى من النفوذ حتى انه ليقال انه بعد عبد المطلب لم يأت رئيس صاحب نفوذ كأبي سفيان فانه كان يسوق

قريشا بجملتها فى السبيل الذى يريده ولو كانت أم حبيبة راغبة فى الدنيا لذهبت توا الى مكة على أمل أن تستفيد من نفوذ والدها واقباله ومكانته

غير أنها لم تكن من أولئك الذين يبيعون دينهم بدنياهم فحالة هاته المرأة المتدينة الصابرة التى انقطعت فى ديار الغربة قد استجلبت شفقة أهل الاسلام فكان من الامور الطبيعية الافتكار بمعاملتها باللطف لتحصل على السلوى وحيث لم يكن من أهل الاسلام أكفاء لها الا بنو عبد المطلب ولذلك أرسل الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) سفيرا الى النجاشى مظهرا رغبته فى الاقتران بام حبيبة والنجاشى أيضا عقد نكاحها فى الحبش على الرسول الاكرم وأرسلها بكمال الاحترام الى المدينة المنورة فالنساء بالطبع لا يردن أن يكون لهن ضرائر الا أن الزوجات المطهرات وعلى الخصوص حضرة عائشة زوجة النبى المحبوبة لديه والمزينة بالعلم والفضل لم يكن يقلن شيأ عن تعدد زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) لانهن كن يقدرن هذه المسائل المهمة حق قدرها

كذلك أبو سلمة بن برة بنت عبد المطلب كان من أول الذين آمنوا ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاجر مع زوجته أم سلمة الى الحبش ثم الى المدينة وتوفى من جرح أصابه فى حرب أحد فظلت أم سلمة أرملة ولما كانت من أشراف قريش ومن ربات الحسن والجمال طلبها كل من أبى بكر وعمر فلم تقبل ثم طلبها حضرة النبى (صلى الله عليه وسلم) فرضيت فتزوجها وبعد ذلك تزوج الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) أيضا زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة معتوقه فهذا ما بعث المعترضين على الاعتراض كما قلت أما نحن فنعتبر أمر هذا الزواج مسئلة مهمة والراغب فى الوقوف على الحقيقة يلزم أن يكون على معرفة من ترجمة حال زيد وزينب اجمالا

أما زيد بن حارثة فهو من قبيلة قضاعة أخذ أسيرا بينما كان صغيرا وبيع فى مكة فاشترته حضرة خديجة ووهبته الى الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) فأعتقه وتبناه وكان الناس يسمونه زيد بن محمد وهو أحد الاربعة الذين آمنوا ابتداء وهم خديجة وأبو بكر وزيد وعلى وكان الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) يستخدم زيدا فى أهم الاشغال ويوليه قيادة الجيش الى أية جهة كان يرسل اليها الجند وجملة القول أن زيد ابن حارثة كان مظهر الحسن توجه الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم وكان من أعاظم الملة الاسلامية فزوجه الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم بابنة خالته أى بزينب بنت أميمة بنت عبد المطلب غير ان زيد ابن حارثة مع انه كان عربى الاصل لم يكن قرشيا أما بنات قريش فلم يكن يعرفن أكفاء لهن فى سائر القبائل خصوصا أولاد عبد المطلب فانه يبحث لهن عن الاكفاء فى أشراف قريش على أن حضرة زينب لو كانت مسرورة من زيد لوجب أن تكون متكدرة من حيث إنه لم يكن كفأ لها كما أن زيدا أيضا أخذ يفتكر فى تلك المسئلة الدقيقة فحمل أطوار زينب العادية على الكبر والعظمة وهو أمر طبيعى كما لا يخفى فذهب ذات يوم الى الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) وشكا اليه ما يراه من عظمة زينب بالنظر الى قرابته منها وأنبأه انه سيطلقها اذ بذلك يكون قد أنقذها من زوج غير كفء لها وخلص نفسه من عظمتها على ان الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) قال له ما معناه (دع عنك هذا الفكر وخف الله إن المرأة لا تطلق لمثل هذه الاشياء) ومع هذا فان زيدا لو طلقها لما أمكن أن يكون كفأ لمثل هذه السيدة الشريفة الا صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) فكان يمر بخاطره الرفيع وجوب الاقتران بها

تطييبا

تطييبا لخاطره' واحقاقا لحقوقها على انه لم يكن يظهر ذلك لان الشخص الذى كان يتخذ ولدا فى ذلك الزمان كان عند الناس بمثابة الولد الحقيقى تماما فكانوا يزعمون بل يعتقدون أن من كان فى مقام الاب لا يجوز له أن يتزوج بمطلقة من تبناه على ان الاحكام الشرعية لمثل هذه المسائل لم يكن حاصل التفصيل بوضعها اذ ذاك أما زيد فانه بعد اذ أظهر أنه لم يعد يتحمل عظمة زينب ذهب اليها فطلقها و بعد ان انقضت عدتها نزلت الآيات الكريمة بالوحى الالهى فى بيان الاحكام الشرعية و بموجب هذا الوحى الربانى تزوج الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) وصدر الامر بالتفريق بين الاولاد بالتبنى و بين الاولاد الحقيقيين وان ينتسب أولئك الى آبائهم و بعد أن كان يدعى زيد بن محمد صار يدعى بزيد بن حارثة قالت

يفهم من ذلك أن هذه الكيفية متبعة أيضا عن مسئلة الاكفاء قلت

نعم ان الاصل فيها عبارة عن ذلك و فروع حكمتها أيضا انما هى توثيق الاحكام الشرعية التى ستكون قانونا للامة فى المستقبل

ثم ان المادام أخذت بأطراف الحديث مع السيدات وكانت تسأل عن أسماء بعض مسميات فى اللغة التركية و تقيدها فى محفظتها و بعد انقضاء برهة على مثل هذه الحالة التفتت الى وقالت

ألا تشتكين من اجباركن على التستر و الحجاب ومن حرمانكن من مصاحبة الرجال قلت

أيتها المادام ان الجواب الذى سأجيب به عن سؤالك ينقسم الى قسمين الاول يتعلق بالامر الشرعى و الثانى بالعرف و العادة بمقتضى ايجاب الحال و الزمان واليك البيان ان شعور النساء زينة لهن و داعية لاستجلاب الانظار كثيرا بناء على ذلك كما أن الملة الموسوية قد منعت من اراءة هذه الزينة المبهجة للرجل هكذا الشريعة الاسلامية نهت عنها أيضا قالت

اذن كان يجب عليكن أن تسترن شعوركن فقط حالة كونى رأيت النساء المسلمات فى الازقة يحتجبن تمام الاحتجاب غير مكتفيات بستر الشعور قلت

أجل ان ستر الشعر كاف أيتها المادام على ان المرأة يجب أن تحافظ على كل طرف من ألبستها المكتسية بها وان تكون فى حالة لا تجعل بها سبيلا لاظهار قوامها و كسمها فالنساء التركيات اللاتى تربين الآن يكتسين بمثل ما تكتسى النساء الاوروبيات و السيدات اللاتى تشاهدينهن فى هذه الجمعية هن الآن بألبسة الزيارات فاذا كان هنالك عرس أو وليمة اكتسين بمثل ما تكتسين أنتن به فى الليالى الراقصة وفى الولائم فاذا لبس شئ عارض الزينة فوق هذه البهرجان و ستر الرأس بستار فوق الشعر عد ذلك تسترا موافقا للشريعة أما النقاب (يأشمق) و الغطاء المسمى (فرجة و چارشاف) فهى من عادات البلاد التى اتخذت مؤخرا ومازال القرويات و نساء العشائر يكتفين بستر الرأس فقط لان ملابسهن خالية من ضروب الزينة فهن و الحالة هذه يجالسن الرجال و يجلن معهم و يشاركنهم فى الاشغال وأذكرك قبيلة الملثمين الضاربة فى صحارى افريقيا وهى القبيلة التى تشكل منها دولة فى بلاد المغرب و نساء هذه القبيلة الى الآن يجلن سافرات الوجوه أما الرجال فانهم يسترون وجوههم وهذه عادة مألوفة عندهم فاذا كانت شعور النساء المسلمين مستورة فالوجه شرعا غير محرم وعليه فان النساء لا يمتنعن شرعا من محادثة الرجال و الاجتماع بهم اذا كانت أجسامهن مستورة بالملابس ومضروب على شعورهن الخمار قالت

فاذن لماذا لا تجتمعن بالرجال و لا تجالسنهم قلت

ان في كل ملة عادات كثيرة واصطلاحات شتى حادثة وهذا أصبح عندنا عادة مألوفة

والحالة هذه لم يكن ذلك من الضروريات الدينية

ان النساء في زمن نبينا (صلى الله عليه وسلم) كن يسترن رؤسهن وكن يجتمعن بالرجال حالة كون شعورهن مغطاة وكل يعلم أن كثيرا من السراة كانوا يذهبون الى حضرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها كريمة حضرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ويتذاكرون معها وفي التواريخ أن أهالي مكة بينما كانوا من ذوي العصيان على النبي صلى الله عليه وسلم وفد أبو سفيان رئيس رؤساء مكة على المدينة بعقد الصلح ولما لم يفز بوعد من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه ذهب الى حضرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها يرجوها التوسط في الصلح وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم العلماء وأفاضل الاصحاب الكرام يتواردون على مجلس زوجته المطهرة عائشة رضي الله عنها ويطرحون عليها المسائل ويسألون الاجوبة عنها وكان النساء المباركات في ذلك العصر فاضلات عالمات كالرجال أما حضرة فاطمة وحضرة عائشة رضي الله عنهما فقد اشتهرتا أيما اشتهار بالعلم والفضل وقرض الشعر وفصاحة الانشاء وكان الرجال فضلا عن النساء يستفيدون من علمهما وفضلهما وبعد زمن السعادة كان كثيرون يتعلمون السنة من حضرة عائشة رضي الله عنها وكانوا يذهبون الى مجالسها العالى فيتلقون ذلك عنها فكما أن تبليغ الشريعة كانت على مثل ما وصفت في زمن حضرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم هكذا كان أزواجه وبناته المطهرات يسترن رؤسهن أيضا وكانت أمهات المؤمنين بجملتهن حائزات على شرف لا يضاهى ومنزلة لا تبارى لدى جميع الناس وكانت الناس تتبرك بزيارتهن غير أن حضرة عائشة رضي الله عنها كانت ممتازة عنهن بالعلم والفضل فكان الاصحاب الكرام يرجعون اليها زيادة عن غيرها ويتعلمون منها الاحكام الدينية ولذلك كان كلامها مسموعا ومعتبرا أكثر من سائرهن وكانت هي محترمة كل الاحترام قالت

أهي عائشة التي افترى عليها قلت

هي عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه التي كان افترى عليها بعض المنافقين أليس أن اليهود قد افتروا هذا الافتراء على حضرة مريم سيدة النساء قالت

أسألك عفوا على قطع حديثك فداوي ما بدأت به قلت

ان قاعدة التستر ظلت وقتا طويلا على مثل هاته الحال الا أن فساد الزمان قد أفرغها في صور أخرى فالعادة منعت النساء من الاجتماع بالرجال ومجالستهم قالت

اذا كانت أحكام الحجاب في دين الاسلام كما وصفت فلماذا لا تسمحون للرجال برؤية البنات اللاتي سيكن لهم زوجات قلت

ان هنالك أماكن تجيز ذلك وخصوصا في بوسنة فان الرجال لا يقترنون بالبنات الا بعد أن تتمكن من الفريقين روابط المحبة وهذه أصبحت عادة عندهم وفي كل محل يجوز شرعا أن يرى الرجل وجه الفتاة التي سيقترن بها حتى إن نبينا صلى الله عليه وسلم قال (انظروا وخذوا خيرهن) لكن لكل بلدة عادة مخصوصة بها فأهل تلك البلدة لن يتمكنوا من نبذ هذه العادة والخروج عن دائرة الحد المرسوم وجميع ذلك من العادات لا من المسائل الدينية قالت

لاجرم أنها عادة غير ملائمة فالواجب تركها أليس أن اقتران الرجل ببنت لا يعرفها وانتقال البنت الى رجل تعرفه من أعظم المشاكل قلت

ان هذا لم يكن من المشاكل العظيمة عندنا فلو كان فى شئ من ذلك لنبذ ظهريا غير أنه بمقتضى المساغ فى ديننا يمكن اذا حصل اتفاق بين عائلتى الفتاة والشاب أن يرى كل منهما الآخر قبل الزواج قالت أتكفى نظرة واحدة لاجرم أنه يجب عليهما أن يجتمعا مليا ببعضهما بعضا وأن يتسامرا ويتعاطوا بلا وان يدرس كل منهما طبيعة الآخر وأخلاقه وأحسن من ذلك أن يتحابا وتتمكن بينهما عقود الحب ليعيشا فى الزواج عيشة راضية قلت

فى اعتقادنا أن الوسيلة المفيدة فى الالفة وحسن الامتزاج ليست فى شئ مما ذهبت اليه ان ثمانين بل تسعين فى المائة من الزواج عندنا على مثل هاته الاصول تأتى بأفضل نتيجة من حسن الامتزاج مع أن المناكحات التى تحصل فى أوروبا جميعها بوجه الحب والعشق لا يترتب عليها امتزاج بين الزوجين فان كثيرا ممن تزوجوا عشقا وهياما قد انطفأت جذوة حبهم بعد ستة أشهر أو سنة من زواجهم وأصبح عشقهم هباء منثورا كأن لم يكن بالامس شيأ مذكورا ثم كثيرا ما أدى بهم ذلك الى الانفصال عن بعضهما بعضا واضطر كل منهما أن يعيش منفردا ولعمرى ان العشق الحقيقى انما هو أندر من النادر لكن كثيرون الذين يسعون اليه أليس أنه يوجد عدد لا يحصى من الفتيان يتوهمون الوساوس عشقا ويظنونه حبا فيسقطون فى أوحال الخيال أليس أن هذا الظن الخيالى يصل بهم الى حد أنهم ينفصلون عن آبائهم وأمهاتهم فيفرون من منازلهم وينعزلون عن أقاربهم غير أنهم يشعرون بعد ذلك بفساد هذا الوهم والظن فيندمون ولات ساعة مندم ويكرهون ظنونهم وينقلب عشقهم حقدا وبغضا

فيصيرون الى أسوإ الاحوال ومعلوم أنه لا يجب الحكم على الظنون فى انتخاب الزوجة والزوج بل يجب أن تهتم العيال فى الوقوف على الحقائق وعندى أن الشاب والفتاة متى كانا متعاشقين متحابين فلا يتأتى لهما أن يدرسا أخلاق بعضهما بعضا ولا آدابهما وطبيعتهما وصفاتهما ومزاياهما ولا أن يقدرا حق قدرها وانما تقدير ذلك منوط بأكابر العائلتين فينبغى للوالدين أن يعقدا العقد بعد استشارة أولادهما وبناتهما واستحصال رضاها وبخلاف ذلك اذا تركت لمثل هؤلاء الفتيان أنتجت أكدارا كثيرة للوالدين والاقرباء والمحبين وربما أبلتهم بلا مرا وأظن ان فى أوروبا أيضا لا يطلقون العنان للبنات والشبان ولا يمنحوهن الحرية التامة فى مثل هذا الزواج أليس كذلك أيتها المادام قالت

هكذا لا يطلق للفتيان عنان الحرية للتفكر فى نهاية عواقب الامور قلت

وجملة القول انه من الخطإ أيتها المادام حسبان هذه الامور من مقتضى الدين فليست سوى عادات وان لكل بلاد عادات مخصوصة بها والانسان أسير العادة أما تعديل العادة فانه يتم تدريجا والطفرة محال والمسلمون قد ازدادوا تمسكا بعادة ستر الوجه بالنظر الى الفائدة التى رأوها منها والعادات الحسنة والقبيحة ليست مخصوصة بقوم دون آخرين وانما ذلك متساو فى جميع الملل ثم اذا أمررت النظر على الشرائع السالفة رأيت ان الدين الذى يصدق على دين جاء قبله قد بدل وعدل بعضا من أحكامه أيضا وللحكم الزمان تأثير كلى فى هذا الباب ان حضرة حواء عليها السلام كانت تضع توأمين ذكرا وأنثى ولم يكن من الجائز فى

ذلك الزمان أن يقترن الفتى بالفتاة فى حين انهما نزلا من بطن واحد بل كان من مقتضى شريعة آدم ان يكون الزواج بمن وضع فى بطن آخر وعليه فان حضرة آدم عليه السلام عندما أمر أن يتأهل قابيل الذى ولد ابتداء بتوأم هابيل وهذا بتوأم قابيل لم يرض بذلك قابيل فقتل أخاه هابيل فمما تقدم يعلم ان اقتران التوأمين كان ممنوعا ثم بعد ذلك حرم نكاح الاخت تحريما مطلقا وكان من الجائز ان يقترن الرجل باخته ويجمع بينهما الى أن جاء حضرة موسى عليه السلام فاصبح هذا الحكم أيضا منسوخا وانى أضرب لك مثالا آخر من انجيل متى فقد ورد فى الفصل التاسع عشر منه أن حضرة عيسى عليه السلام حالة كونه صدق على التوراة فقد منع الطلاق وقت ذلك سئل بما معناه (إذا لماذا أذن موسى بالطلاق) فأجاب حضرة عيسى (ان موسى انما كان أذن بالطلاق بالنظر الى قسوة قلوبكم) و بناء عليه فان حضرة عيسى منع الطلاق لغير علة الزنا

قالت أجل

وفى أثناء ذلك أطلقت مدافع الافطار فذهبنا الى المائدة أما المادام فكانت تتناول من كافة ألوان الطعام بقابلية ولم تره غريبا عن ذوقها وكانت تسألنا عن أسمائها فلما صار الطعام على وشك الختام أقبل الارز فقالت سائلة ان الارز عند الاتراك انما يقدم فى آخر الطعام وهو دليل على نفاد الالوان قلت نعم إنه لكما أشرت

قالت ان استانبول هى بمثابة فهرست للانسان كما ان مائدة الاتراك بمنزلة فهرست للطعام فقد أكلت على هذه المائدة من طعام جميع الامم

وفى الواقع ان ما قالته المادام كان صحيحا وقد كنا ذكرنا لها أسماء الطعام اجابة لسؤالها فكان مؤلفا فى ذلك المساء من اللحم والسمك وكانا مطبوخين على النسق الافرنجى وكان ثم دجاج جركسى وكشك الفقراء المعروف فى البلاد العربية وشيخ المحشى والباذنجان بالزيت وكنت أترجم للسيدات اللاتى على المائدة كلام المادام وكانت الغرفة التى تناولنا فيها الطعام قائمة فى الطابق العلوى من المنزل وعلى طرف الجنينة وكان لها باب كبير بمصراعين يفتحان على جنينتنا فبعد اذ نهضنا عن المائدة لم نعد الى القاعة وانما أرسلنا كرسيين الى الجنينة من الباب المطل عليها قاصد أن نروح أنفاسنا بعبير الزهر التى كانت تتضوع كأريج المسك وتناولنا القهوة هنالك وكان القمر بدرا أى فى اليوم الرابع عشر يرسل أشعته فينير ظلمات الارض والهواء كان عليلا لطيفا جدا و بعد اذ انتهينا من شرب القهوة تبادلنا مناولة الاذرع وتفرقت جمعيتنا التى كانت مؤلفة من طبقات متفاوتة فى السن فى أطراف الجنينة العريضة الواسعة وكانت تجتمع أحيانا لمبادلة بعض الكلمات ثم تفترق ذهابا وايابا أما جمعيتنا فكانت مؤلفة من خمس وهن المادام وهذه العاجزة وثلاثة أفراد العائلة وكان أكثر جمعيتنا يتعاطين التدخين بالسيكارات يدخن بعد الافطار بمزيد اللذة وكانت شرارات السيكارات تضىء وتلمع من خلال الازهار والاشجار وكانت تلك الليلة من أحسن الصدف التى تمناها المادام لانها كانت جامعة عددا كبيرا من الاقارب وهو ما كانت تلك المادام تود مشاهدته ولما أعيانا السير على القدمين دخلنا الى كشك محجم القاعة محاط من أطرافه بالنوافذ والشبابيك وألقينا فيه عصا التسيار ثم أقبل سائر الخواتين ودخلنا الى هذا الكشك وأخذنا معا باطراف الحديث وقد جلست المادام وهذه العاجزة تجاه النافذة القائمة فى الوسط وكانت المياه التى تتدفق من شلالات الحوض الكبير

القائم بازاء الكشك تطرب الآذان بأصوات خريرها وتكسرها وحبوبها المنتشرة فى الحوض كقطع الماس تمثل منظرا لطيفا جدا وكان محل جلوسنا وموقعه جميلا للغاية فانا فضلا عن مشاهدة الجنينة والحوض كنا نشاهد البحر من وراء الجنينة ولكن ما أدراك ما هو ذلك البحر انما هو البحر الذى كان يتراءى للعين كأنه من صفائح الفضة واللجين بما انتشر فوقه من أضواء النور المنبعثة من قمر الليل بل البحر الذى تغزلت به الشعراء فوصفوه باشعارهم وصفا لا يحتمله المقام وكان فى تلك الليلة ساكنا كل السكون والهواء كان يهب صحيحا فيعود عليلا بارجاء الازهار وكانت السماء صافية والافق خال من الكدورة فكنا لا نعرف أين نوجه الانظار فى تلك الليلة البديعة أنوجهها الى البحر الذى كان صفيحة من لجين أم نوجهها الى الاجرام السماوية التى كانت تلمع وتضىء فى ذلك الفضاء عيانا كغادة حسناء ألقت عنها حجابها أم نوجهها الى البدر المنير الذى كان يفوق عليها ضياء ونورا ولألأة أم نوجهها الى الحصى الصغيرة التى كانت تلمع وتبرق فى الجنينة من انعكاس نور البدر فتمثل دمالج من الماس تلمع فى زنود الحسان لاجرم ان تلك المناظر كانت تحير المرء فلا يهتدى الى أحسنها سبيلا على أن المادام قد وجهت أنظارها الى العلاء فأرسلت عينيها فى فضاء السماء وكانت هذه الخاتون العالمة بفن الهيئة والهندسة قد طبقت دروسها على خريطة العالم بما استفادته تلك الليلة من لمعان السماء فبعد سكوت مستطيل صرفته فى النظر الى هاته المناظر التفتت الىّ قائلة

هل لك إلمام بفن الهيئة

قلت قليل جدا

قالت أيمكن لك أن ترى كوكب القطب الشمالى

قلت نعم ان رأس الدب الاصغر يرى من ورائنا

قالت أيمكن لنا تفريج الابراج

قلت ان القمر بدر وكثير اللمعان وفى ظنى أن ذلك متعذر علينا وعلمى فى هذا الفن ناقص جدا فهل لك أن تلذى سمعى ببعض التفصيلات

قالت أجل مع المنة

ثم أخذت المادام تنقل لى أسماء السيارات ووضعيتها ودوراتها وأبعادها وتبدلات أشكالها بصورة بالغة حد الاتقان والكمال فى بسط النقل وحسن البيان حتى دهشت لتلك القوة الحافظة التى وهبتها الا انه مهما حصل المرء من العلم والمعرفة فليس من السهل أن يحفظ فى ذهنه أبعاد النجوم عن بعضها ويذكره بتدقيق تام وكانت تروى لى بايضاح وتفصيل أقوال الفلاسفة والحكماء المتعلقة بفن الهيئة ومقدار ما تغلب عليهم من تغير الافكار والآراء وكيف ان المتأخرين قد جرحوا أقوال من تقدمهم وكيف ان الذين جاؤا على اثر هؤلاء المتأخرين قد عادوا الى تصويب واستحسان كلام الاولين والتصديق عليه وتشرح شرحا مستوفيا عن أوضاع النجوم والسيارات ومع أن المادام كانت فى المحاورات الاولى تلقى علىّ كثيرا من الاسئلة فصرت الآن أسألها عن عدة أشياء أما هى فانها بعدما لم يبق فى كنانة علمها منزع ولم تضن علىّ بايضاح وبيان ما حولت نظرها الى جهة البحر وأخذت تشرح لى بتفصيل عن عكس القمر فى البحر وعن كيفية ضيائه وأسباب لمعانه ثم وجهت نظرها الى الجنينة وصارت تبحث فى المعادن والنباتات وتأتى عليها

بما يحتاج اليه المقام من الايضاحات وكانت تتكلم عن هذه الفنون بلذة تفوق لذة العاشق الذى يتحدث بذكر عشيقته وتظهر على سيماها آثار الرقة واللطف بادية فيها دلائل الكياسة والظرف ولا غرابة فى ذلك لانها انما كانت تتحدث بذكر العلوم الحكمية التى كانت تعشقها وبعد هنيهة ألقت نظرها على الاشجار الكبيرة وكانت تخمن مقادير أعمارها

فقلت لها انى سأريك شجرة معمرة أكثر من أشجار الفستق ثم أخذتها بيدها حتى وصلت بها الى شجرة ضخمة وأريتها إياها فتقربت اليها وبعد أن دققت فيها تدقيقا تاما قالت

أيتها السيدة ان هاته الشجرة هى أقدم من العثمانيين فى الاستانة وهى باقية من زمن الامبراطورية لان وصولها الى هذا الطول يحتاج الى عدة أعصر ثم عدنا بعد ذلك الى الكشك فاستأنفت المادام حديثها العلمى وأخذت تلقى على ضروبا من الحكمة ثم قالت

أخشى أن أكون أورثت لك مللا بكلامى فى هذا الموضوع ولكن ماحيلتى وأنا أرى فى مثل هذه المحاورات لذة مزيدة

قلت ماذا تقولين أيتها المادام إنى كثيرا ما كنت أود أن أبين شكرى لما استفدته فى هذه الليلة من ألفاظك البليغة وعلومك العالية الا أنى خشية من قطع الحديث عليك توقفت عن تأدية الشكر بل لم أتجرأ أن أبديه فانا أهنئك بهذه المنزلة العلية وأشكر لك عنايتك فقد استفدت بآدابك كثيرا

قالت أنا أطوف الجهات وأذهب الى المراقص وليالى الفرح والمسرات ولا أحب الخروج عن دائرة العادات لكن لا بنية اظهار زينتى وعرض نفسى على الانظار كما تفعل أكثر النساء ولا أكتسى بالالبسة الحريرية الرفيعة الاثمان بقصد العظمة والافتخار وانما ألبسها لاجل أن يلتذ سمعى بصدى اهتزاز أمواجها وخشيشها فى الهواء متخذة ذلك بمثابة اختبار لدروس الحكمة التى تلقيتها ماذا أقول عن أولئك الناس الذين يدخلون الى قاعات المراقص فتأخذهم نشأة الحظ والسرور من ضياء القناديل والشموع المتلائئة فيها ومن لمعان الثريات وأنوارها المنعكسة ولكنهم لا يعلمون شيأ من أسباب هذا الحظ ولا يفقهون ماهية تلك الاشياء التى تبعثهم على هاتيك المسرات لعمرى انهم لو أحاطوا علما بالتمثلات لهم فيها حكمة الله بأجلى بيان لازدادوا اندهاشا بقدرته وقوته التى حيرت بنى الانسان ولاشتغلوا بذكره وتسبيحه أكثر من اشتغالهم بالملاهى نعم انى أرى فرقا بين الحجارة الماسية التى أصفها وبين حجارة الثريات العلوية وعندى أن هذا الفرق انما هو ناشئ عن الحجارة الماسية بواسطة انعكاس ضياء القناديل والشموع عليها تمثل للعيان الالوان السبع الاصلية بمنتهى الرقة واللطف والظرف مالا يوجد فى الحجارة البلورية ويشهد الله أنى لا أنظر الى النساء فى تلك الليالى نظرة الحاسدة لجمالهن الباحثة عن قصورهن الراغبة فى كشف عيوبهن بل ربما كنت أدقق فى أكثرهن جمالا وفى أخلاق أطوار الفتيات المعصومات لانقش هذا الجمال وهاته الاطوار فى مخيلتى وأتخذ الخيال الذى أرسمه قاعدة أتصورها فى كل وقت انى أدخل الى قاعات الميسر فى المراقص وأتفرج على الالعاب ولكن لا لاحد الذين يربحون ولا لتأخذنى الشفقة على من يخسرون (لانهم انما يخسرون أموالهم بطيبة خاطر منهم) بل أدخلها لانظر مع التعجب تلاعب هذا المعدن الاصفر بالالباب واستهزاءه باولئك الذين ينفقونه جزافا على مذابح شهواتهم كأن لاقيمة له مع أنهم لم يجمعوه الا بشق الانفس لم يجمعوه الا بعرق الجبين لم يجمعوه الا بالمتاعب والمشقات التى تقرض العظم قبل اللحم لم يجمعوها الا باهراق الدماء

فهم يلعبون به لكن بعد أن يلعب بألبابهم وأرواحهم وشرفهم أليس من موجبات الدهشة والاستغراب أن أولئك الذين يتلفون أنفسهم فى سبيل الحصول على واحد من هذا المعدن يستبدلون تعبهم ويعتاضون عن مشقاتهم بساعة من الحظ مامن شىء يجرى بالفرجة أكثر من مناظر الجمعية فى المراقص وليالى الافراح والتدقيق بنظر الافراد المجتمعين الذى يتبادله كل منهم بل مامن لذة تضاهى لذة مشاهدة الانظار التى يتسارقها الفتيان العشاق الذين يرهبون من آبائهم ويحتجبون أمهاتهم ويتضايقون فى الازدحام فان العيون وهى منافذ القلوب تغنى عن لسان المقال أما اذا اجتمع الجمال فى العيون فان الكلمات التى ترسلها الى الافهام لتسمو وتعلو قبولا على الالفاظ التى تخرج من بين الاسنان الدرية والشفاه المرجانية إذ أن الكلمات التى تصدر من الفم لا تكون بجملتها صحيحة وجوابا وانما تصدر موزونة مموهة بالكذب ولكن العيون بعيدة عن التمويه منزهة عن التصنع والتقليد فبينما يتكلم الفم بالمحال اذ تظهر الحقيقة من مجرد النظر على العينين نعم إنه لا حاجة للسؤال فى مثل هذه الجمعية عن أرباب الدسائس والكذبة والمنافقين فان العيون تكشف الخفايا وتشير الى كلام المحبين والاعداء والوالدين والوالدات والاولاد إن حماية الآباء وشفقة الامهات وهيام العشاق ومحبة الاصدقاء وغرض الاعداء كل ذلك يعلم من العينين والعيون تطلع تمام الاطلاع على جملة أشياء لا يستطيع الانسان أن يسأل عنها بلسانه فالعيون ترجمان القلب

فلما وصلت المادام الى هذا الحد من البيان التزمت جانب الصمت ثم وضعت مرفقها على النافذة وأسندت رأسها بيديها كأنما كانت تناجى الارواح ومع أنها قطعت حديثها كنت أصغى اليها كأنها لا تزال تتكلم وبعبارة أقرب للحقيقة ان أذنى كانتا راغبتين فى الاشتغال بعكس خيال هاتيك الالفاظ الدرية كأنهما لا تريدان أن تبعدا عن تصورهما ذلك الخيال الفتان وأن تغلقا دون استماع خطبتها المملوءة حكمة وآدابا أليس أن ما تجملت به هاته العالمة العالية الاخلاق من الحسن والظرف انما هو صحيفة جميلة لكتاب الحكمة الدال على حكمة وقدرة الخالق القادر الحكيم أما أنا فقد توغلت فى مطالعة تلك الصحيفة التى فتحت أمامى إن البعض اذا فهموا أن فى أرباب الجمال قصورا لم ينظر بالكلية فبعد أن يفتكروا مليا بهذا القصور الذى لم تعرف ماهيته يتمكنون من الوصول الى ادراكه بما آتاهم الله من المعرفة التى هى سر من أسرار حكمته المستورة عنا وهكذا المادام فان الخالق قد حباها بنعمته ولطفه ولم يحرمها من هاته الجاذبة التى تسترق الالباب

أليست تلك الجاذبة هى التى تجعل القبيح محبوبا كالجميل ولكن ما هو تعريف هذه الجاذبة لعمرى إنها لا تظهر للعيان ولا تمثل الا بالاذهان ليس لها شكل معروف ولا جسم موصوف فالبصيرة تدركها ولا تنظرها الابصار وتعشقها القلوب قبل الافكار وكما أنها بادية فى الوجه والهيئات فهى أبدا ممثلة فى الكلمات ظاهرة فى الاصوات أما لطافة كلمات هذه المادام وحلاوة صوتها فانهما متناسبة مع ملاحة وجهها ولاجل ذلك كانت تلفظ كلماتها اللطيفة بصوت رقيق ولهجة مؤثرة تفوق رقة ولطافة الاصوات الجميلة عند نشيد الاشعار وكانت الجبهة المعراة من عنقها ويديها مغطاة بنسيج اسود يسترسل فوق فرعها فكانت تمثل الضياء المنعكس من سماء ذلك الليل أعنى أنها تمثل الالوان الصافية الزرقاء التى تبدو من السماء فى خلال احتجابها بالغيوم وكان جسمها الابيض الشفاف يظهر من تحت النسيج الاسود كأنه صفائح

من الثلج الابيض الناصع والصدف المضيء اللماع وبينما كنت سائحة فى فضاء التصور بهذا الهيكل العجيب التفتت الى الموحى اليها وقالت

باى شئ تفتكرين ولماذا أراك ملتزمة جانب الصمت فقلت

انى أفتكر بك كما تنظرين لا جرم أنك قد وقفت على جميع الاشياء وأمعنت فيها النظر الدقيق فعرفت حكمتها فى حين انك أحطت بها علما يقتضى حتما ان تكونى صرفت وقتا طويلا فى النظر الى المرآة لاجل التدقيق بجمالك ومحاسنك لانك لست بمحتاجة الى مثال آخر فى مشاهدة الجمال

قالت أجل انى غير ناكرة وأعلم قدر احسان حضرة الخالق سبحانه بالحسن والملاحة التى خصنى بها وشاكرة هذا الاحسان ولست كبعض النساء اللاتى يتظاهرن بأنهن لا يعرفن أنفسهن أهن جميلات أم لا وهن يقصدن أن يكن معروفات بأنهن أكثر النساء جمالا ولا أحسد اللاتى هن جميلات أكثر منى كما أننى أعرف قصورى أيضا فانظرى أيتها السيدة هل ترين تناسبا بين ما أوتيته من الجمال وبين هاته الايدى والاقدام إن كبرهما انما هو نقص محض ولكنى لست بآسفة على ذلك بل أنا ممتنة اذ لو لم يكن بى هذا القصور لربما كان استولى على الغرور ولكنت لا أدرك أن الغرور غير لائق بالعبيد على أن قصورى قد عرفنى أن العبد لا يمكن أن يكون بلا قصور وأنه لا يليق بنا الغرور مع هذا النقص ولاجل ذلك لا أشكو مما أراه من النقص فى يدى ورجلى وذلك لا كون على الدوام مسرورة

لا جرم أن المادام كانت تتكلم بالصواب لان يديها ورجليها لم تكن متناسبة مع مجموع حسنها ولكننى لا أعلم اذا كان يتيسر لكل عبد أن ينظر قصوره ويكسر عظمته وكبرياءه أما اذا اجتمع العلم مع علو الاخلاق فيتولد من ذلك انسان كامل كالمادام الموحى اليها

ثم قالت المادام وفى حين أن الناس تبدو مظاهر عجزهم وضعفهم لاعينهم بكثير من الدلائل تراهم ينسون أنفسهم ويجترؤن على الغرور كأن لم تكن تلك الادلة شيأ مذكورا مع اننا اذا خفضنا رؤسنا الى الاسفل ورفعناها الى الاعلى نشاهد عظمة الله جل جلاله وضعف ذواتنا نحن لا يلزمنا أن نتوغل فى أغوار نفوسنا ولا أن نصعد فى درجات الاوج الاعلى وانما علينا أن ننظر الى البحر والسماء فاهى المناظر والمظاهر التى تجلوها لنا السماء أليست تقول لنا بلسان حالها انكم عاجزون عن مشاهدة أقمارى والوصول الى معرفة أسرارى لماذا الانتسوح فى الاجرام السماوية التى فهمنا أن كلا منها انما هو عالم مستقل أم نهتم بذلك كثيرا بلى لقد اخترعنا المناطير زعما منا أننا سنوفق الى الوصول الى تلك الاجرام فخاب الظن وكنا اذ ذاك فى حالة الغرور ولكن كان كل اقتدارنا أن بلغنا بعد الجهد الجهيد والسعى المتواصل للصعود الى عدد معلوم من الكيلو مترات هذا ما فهمناه وقد هبطنا من ذلك العلو بصورة هائلة أرتنا الموت عيانا وسمعنا كلمات التهديد تخاطبنا قائلة بلسان الجلال انكم غير مأذونين أن تصعدوا الى أعلى من هذا الحد وأنتم لم تخلقوا لتعيشوا فى هذا الفضاء فاما أن تعودوا من حيث أتيتم واما أن ترضوا بالموت صاغرين حتى اذا أخذ الدم يتدفق من مسامتنا ورأينا هاته الحال المدهشة أجبرنا على الرجوع أفلم يكن ذلك من الغرور المحض

قلت لقد نطقت بالصواب على أن صاحب هذه الافكار يجب أن يكون نظيرك من ذوى الاخلاق الحسنة والعلم الواسع اذ لا يختلف اثنان أن الانسان أينما وجه التفاته وفى أى شئ حصر فكره وتأمله تجلى له عظمة الله ووحدانيته عيانا ولكن هل تحسبين أن أى الناس ينظر الى ذلك بهذا النظر المجرد وأنه يسر

فقط من لون السماء الصافي ولمعان الكواكب وسكون البحر ونور القمر وضياء الشمس فيكشف بهذا السرور ليس إلا

لا جرم أن الانسان كيفما التفت وأينما وجه نظره يتمثل لدى عينيه عظمة الله ووحدانيته

ولكن أنت تعلمين أن أكثر مذاهب النصارى يعتقدون بالتثليث فلا أدري كيف يمكن توفيق ذلك مع الوحدانية

قالت من المعلوم أن المسائل الدينية مستندة الى الرواية لا الى أدلة عقلية اما أنا فقد افتكرت كثيرا في مسئلة التثليث فلم أتمكن من توفيقها على العقل والحكمة ولاجل ذلك أعتقد بوحدانية الله

قلت اذن يقتضي أن تكوني على مذهب الاربانيين

قالت كلا إن هذا المذهب قد انقرض فان مجمع أزنيق قد محاه محوا فالتثليث عند النصارى انما هو بمثابة سر لا يدركه العقل فليس لهم الا التسليم والاعتقاد

قلت ان الانجيل الشريف خال من النص والتصريح المتعلق بمسئلة التثليث فليس ثمة اكراه في الاعتقاد بشئ لا ينطبق على المعقول أما مسئلة التثليث فقد ظهرت بعد حضرة سيدنا عيسى وبعده باعصر ولا يوجد في الاناجيل قول يثبت ذلك وما هنالك من بعض التعبيرات لا تتخذ سندا وحجة لان التوراة الشريف والانجيل الشريف لو ظلا كما نزلا دون أن يطرأ عليهما تغيير أو تحريف لكانا حجة على اثبات هاته الامور ومعلوم أن الانجيل الشريف لا يعرف في أية لغة كتب بادي بدء اذ لا يزال ذلك مختلفا فيه فمن المحتمل أن الوقت لم يمكن من كتابته فبقي محفوظا في الاذهان حتى اذا عرج حضرة سيدنا عيسى (عليه السلام) الى الملا الاعلى درج ما بقي مستظهرا في اذهان الحواريين من الآيات الانجيلية في الاناجيل على طرز الحكاية وعلى ذلك فان الاناجيل التي كتبت وهي تزيد عن الخمسين عدا انما جرى التدقيق بها بعد ثلثمائة سنة من ميلاد سيدنا عيسى (عليه السلام) فأبقى منها أربعة وترك الباقي وفي جهات كثيرة من هاته الاناجيل الاربع مباينات كلية يناقض بعضها البعض الآخر وهذا من الامور الطبيعية لان النصرانية ظلت ثلثمائة سنة تحت طي الخفاء وفي الوقوف على الحقيقة في اخلال هذا المقدار من السنين اشكال لا يحتاج الى ايضاح

قالت ما قولك في التوراة

قلت لا يخفى أن التوراة قد أحرقت وفقدت حينا من الزمن ثم كتبت عن الحفظ مجددا فمن هذه الجهة لا تفيد علم اليقين بخبر واحد وبين أيدينا الآن ثلاث نسخ منها يناقض بعضها بعضا وفي ذلك دليل كاف على أنها محرفة لان كلام الله لا يمكن وجود التناقض فيه

قالت ما هي المناقضات التي رأيتها في التوراة

قلت مهلا فاني سأجدلك فيها تناقضا مهما قلت ذلك والتفت الى جارية كانت على مقربة مني وأشرت اليها ان تأتيني بالمحفظة الحمراء الموضوعة على الطاولة فاسرعت الجارية وجاءت بالمحفظة المطلوبة ودفعتها اليها فاستأنفت الحديث مع المادام وقلت

اليك بيان التناقض ان المدة التي مرت من خلقة ادم عليه السلام الى طوفان نوح عليه السلام انما هي بمقتضى النسخة العبرانية (١٦٥٦) سنة وبموجب النسخة اليونانية (٢٢٦٢) سنة وبموجب النسخة السامرية (١٣٠٧) سنوات ولما كان هذا التناقض والاختلاف فاحشا جدا كان يتعذر التوفيق بين هاته النسخ وبموجب النسخ الثلاث أيضا يظهر أن نوحا عليه السلام كان حين الطوفان بالغا ستمائة

من العمر و بحسب النسخة السامرية يلزم ان يكون نوح عليه السلام حين وفاة آدم عليه السلام بالغا ٢٢٣ سنة من العمر وهذا مردود باطل باتفاق المؤرخين والنسخة العبرانية مع النسخة اليونانية أيضا تكذب ذلك لان ولادة حضرة نوح بموجب النسخة اليونانية انما كانت بعد سبعمائة واثنتين وثلاثين سنة ثم ان المدة من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام هي ٢٩٢ سنة بمقتضى النسخة العبرانية و ١٠٧٢ بموجب النسخة اليونانية و ٩٤٢ بحسب النسخة السامرية وهذا اختلاف فاحش أيضا ومما تقدم أعلاه يظهر أنه بحسب النسخة العبرانية كانت ولادة ابراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنتين وتسعين سنة حالة كونه قد جاء مصرحا في الآية الثامنة من الباب التاسع من سفر التكوين ان نوحا عليه السلام قد عاش ثلثمائة وخمسين سنة بعد الطوفان فمن ذلك يلزم أن يكون ابراهيم حين وفاة حضرة نوح في الثامنة والخمسين من عمره وهذا باطل باتفاق المؤرخين والنسخة اليونانية والسامرية أيضا تكذبانه لان ولادة حضرة ابراهيم بحسب النسخة الاولى كانت بعد وفاة نوح بتسعمائة واثنتين وعشرين سنة وبموجب الثانية بخمسمائة واثنتين وتسعين سنة ولما كان من المستحيل العقلي وجود التناقض في كلام الله كانت آيات التوراة الشريفة المتعلقة بهذا البحث محرفة لامحالة

قالت المادام أجل انى أعلم ان القرآن قد وصل اليكم كما سمع من نبيكم دون أن تطرأ عليه العوارض

قلت هو كذلك وعلاوة على هذا فان المجتهدين عندنا لم يزيدوا شيأ على عقائدنا الدينية مخالفا للعقل والحكم ونحن يمكننا ان نزن عقائدنا في ميزان الحكمة أما النصرانية فان أبواب الحكمة مقفلة عندها

قالت في الحقيقة ان دينكم موافق للعقل والحكمة وهو من الاديان التي يمكن لكثير من العلماء الذين جردتهم مسئلة التثليث من الدين قبوله والتدين به ولقد توصلت بواسطة هذه الايضاحات التي وقفت عليها الى حل إشكال كنت مترددة في حله وذلك ان المرسلين عندنا في حين انهم أنفقوا كثيرا من الاموال وألقوا بانفسهم في التهالك والاخطار رغبة في دعوة الخلق الى النصرانية فلم ينجحوا تمام النجاح وأما حجاجكم وتجاركم فقد تمكنوا من دعوة ألوف من الناس الى الاسلامية بمزيد السهولة في كثير من الاماكن التي مروا فيها ولقد طالما افتكرت في سر هذا الامر وحكمته فلم أهتد اليه سبيلا أما الآن فقد فهمت ان لطافة دينكم وسهولته وانطباقه على الحكمة قد حمل الخلق على قبوله بهذه السهولة وفي الحقيقة ان دينكم لامرية في حقيته ولا مطعن عليه ولكن هنالك مسئلة واحدة تجعل الناس نفورا منه وتقوم سدا في وجه حسنه ألا وهي مسئلة الحجاب عند النساء فانه من الصعب جدا على الرجال والنساء من المسيحيين الذين ألفوا الحرية وعدم التستر أن يرضوا به ولو لم تكن فيه هاته المسئلة لاصبح عدد كثير من الخلق الذين يبحثون عن دين لهم مسلمين

قلت لقد بينت لك ان قاعدة الحجاب في الشريعة انما هي ستر الشعور

قالت وهذا لا يرضونه لانهم متى صاروا مسلمين أجبروا على اتباعه

قلت ان المرأة التي لا تستر شعورها لا تخرج من الدين وانما ترتكب إثما وأساس الدين الاسلامي الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام فالشخص الذي يعتقد ويسلم بهاتين القضيتين على أي دين ومذهب كان فهو مسلم ولا شرط في ذلك كليا نعم ان على المسلم بعض تكاليف إلهية كالصلاة والصيام وهي الفروض التي أمر بها الحق سبحانه وتعالى وقتل النفس وارتكاب المعاصي وهي الامور التي نهى عنها

لأن الذين لا يمتثلون أمر الله ولا يجتنبون نهيه يكونون من الفاسقين ويستحقون فى الآخرة العذاب ولكن مع ذلك فهم مسلمون اذ ينالون فى نهاية الامر جنة النعيم والله ان شاء عفا عنهم وان شاء عذبهم بقدر اثمهم ثم يدخلهم جنته ولا يدخل بين الله والعبد والمسلمون لا يحتاجون فى استحصال العفو عن آثامهم كالنصارى الى القسس وليسوا بمجبرين على الذهاب حالا الى الجامع لاداء العبادة نظير المسيحيين الذين يكونون مجبرين فى عباداتهم للذهاب الى الكنيسة فاذا رغبوا فى التوبة والاستغفار انسحبوا الى زواية ما فناجوا الحق سبحانه وتعالى وليسوا بمجبرين أن يكشفوا ضمائرهم وخفاياهم لغير الله أما المادام فانها بعد صمت قليل عادت الى التفكر والتأمل بمقتضى لطافتها الطبيعية وصرت واياها على اتفاق فى الرأى وأما اللاتى كن فى الرواق فكان بعض منهن يتحادثن مع البعض الآخر وبعض يجلسن فى الرواق مسرورات بضوء القمر حتى انهن طلبن القهوة مرة ثانية وأحببن ان يكرمننا بفنجان آخر على اننا اعتذرنا عن قبوله وكانت احدى الزائرات فى تلك الاثناء تنشد نشيدا تركيا بصوت خافت وقد لاحظت على المادام انها سرت من صوتها ونشيدها فانها كانت ترعاها السمع ثم ما عتمت أن باحت بسرورها وانشراحها من صوت المنشدة فى مثل هذا الوقت الذى كان الهواء ساكنا به أما أنا فالتفت الى المنشدة وقلت إنه حسن فأنشدى شيأ محزنا مؤثرا يناسب هذا الصوت المهموس

قالت ما الذى يجب أن أنشده

قلت شيأ من الحجاز

فأخذت السيدة تنشد نشيدا لطيفا من الحجاز بصوت رخيم مؤثر للغاية وكانت المادام تصغى اليها تمام الاصغاء

فقلت أيتها المادام أليست الامواج التى تحصل من ارتجاج الهواء على ثوبك الحريرى فى المراقص تشابه هذا الصوت

قالت أجل انى أفتكر بهذا الامر ويلذنى سماع الانغام على اختلاف خروجها وفى الحقيقة ان المادام كانت تستمع الغناء بلذة لامزيد عليها وبعد انتهاء الانشاد حولت المادام ذهنها الى التفكر فى الصدى والموسيقى من حيث العلوم الحكمية كما ان هاته العاجزة على كونى لست بواقفة تماما على ما مر فى ذهن هاته المرأة العالمة من ضروب الحكمة العالية الا أنى قد أخذت افتكر ببعض أشياء توارت على ذهنى القاصر فسبحت فى فضاء التصور مدة لا أعرف مقدارها ولكننى أعلم ان يدا مستنى وصوتا دخل فى أذنى فالتفت واذا بجارية خدمتى الخاصة تنبهنى قائلة

ياسيدتى لقد مسك البرد

قلت ان يدك حارة فمن أين أتاك انى بردت حتى أيقظتنى

قالت انى منذ هنيهة قد شعرت بالبرد فارتديت بالكساء ولما رأيتك جالسة هنا ملتزمة جانب الصمت ظننتك راقدة فخفت أن تصابى بالبرد ولذلك نبهتك لانى ما تمكنت من مشاهدة وجهك فلما لمست يدك شعرت انك باردة حقيقة

قلت فالحق معك فاذهبى وأتينا بغطاءين لان ضيفتنا المادام تكون قد بردت أكثر منى من حيث ان يديها وعنقها لا يسترهما الا ستار شفاف

أما المادام فقد استيقظت على صوت محاورتنا فهبت من بحرانها وأخذت تلتفت ذات اليمين وذات الشمال فلم تر غير الجارية اذ أن رفيقاتنا كن خرجن وأبقيننا وحدنا فقالت

لقد ضاقت صدورهن من سكرتنا فتفرقن وتركننا منفردتين فما هاته الحال الغريبة لاجرم أنه ليس من أحد يرضى عمن يكونون فى حالة الصمت والراقدون لا يريدون أحدا عندهم وقد تذكرنا حال الرقاد بحالتنا أوان الموت وفى الحقيقة ان حالتنا الحاضرة تمثل حالة الموت

قالت هيهات أيتها المادام أن يكون فى النوم وفى الموت راحة مثل التى رأيناها فى هاته الليلة حينما كانت أفكارنا سائحة فى بحور التصورات اللذيذة

أما هذه الكلمات فقد ذهبت بصفاء وانشراح كل منا فان ذكر الموت الذى سيكون خاتمة عمرنا قد جعلناه ختاما الفرحنا وسرورنا فى تلك الليلة على ان الموت الذى مع كوننا نرغب أبدا فى أن نهرب منه نرى أنفسنا متقربين اليه فقد تمثل لنا كثيرا فى تلك الليلة فتجلى لنا كأنه يقول بلسان الحال إيا كما أن تنسيانى وفى هذا الوقت أيضا قد بدت لنا عظمة الخالق الباقى وظهر لدينا عجزنا فرأينا بعين الحقيقة أن كل شئ فان ولا دائم الا الله سبحانه فهذا الفكر الرهيب لم يمكنا من البقاء حيث كنا فخرجنا نفتش على رفيقاتنا لنجتمع بهن ثم دخلنا جملة الى القاعة فى ضمن المنزل وقد أثرت فينا تلك الافكار تأثيرا شديدا فصرنا نرجف من هولها وتنتفض من دهشتها وفى تلك الاثناء أتى بالمبردات فطافت بها الجوارى على الزائرات غير ان المادام ترددت فى قبولها وقد لحظت منها قالت

انى راغبة فى كأس من الشاى فهل ترغبين أيتها المادام أن يؤتى بكأس منه قالت لله أيتها السيدة انى أشكرك وأرغب بالشاى وأرجو أن يؤتى الى بكأس منه

ومامر على ذلك بضع دقائق حتى أتى بالشاى المطلوب فشربناه فعاودتنا الحرارة وبعد جلوس هنيهة من الوقت اتصل بالآذان صدى ترتيب مائدة السحور فهبت المسافرات لاستدعاء القوارب

أما المادام فأوصت أن يأتوها بعجلتها ولما كانت القوارب رابطة على الرصيف وكانت تهيئتها أسهل من تهيئة العجلة تمكن الزائرات من ركوبها قبل مجيء العجلة فذهبت كل واحدة منهن فى وجهتها المقصودة ثم جاء النبأ الى المادام بتهيئة العجلة فنهضت على أقدامها وارتدت بثوبها وأخذت مروحتها بيدها ثم قالت وهى على قدم الذهاب

انى أشكرك شكرا جزيلا لما أوليتينى من المعروف فى هاته الليلة ولا يخفى ان المقصد من السياحة انما هو مشاهدة مالم تشاهده العين ومعرفة الاشياء غير المعروفة وكانى ميالة الى الوقوف على أحوال كل مكان هكذا كان من أخص آمالى ان أطلع على تركيا وعاداتها وأفكارها وعقائدها ولاجل ذلك صرفت فى هذا السبيل وقتا طويلا ولم أقصر فى النفقات ولكننى أقول الحق ان المعلومات التى حصلت عليها الى الآن لا توازى شيأ من العلم الصحيح الذى وقفت عليه هذه الليلة فأنا ممتنة جدا

فقلت لها ان اكرام الضيف ملتزم عندنا فهما حصل فى سبيل ذلك من المشقة فانحسبه الا محض راحة لاجرم ان رغائبك لا تتعدى حد الكلام وهذا سهل للغاية فياحبذا لو تكرر هذا الاجتماع وياحبذا لو أمكن مصادفة كثيرات من أمثالك لان محادثة عالمة وفاضلة نظيرك انما هو من حسن الطالع ولذلك أقدم لك تشكراتى القلبية على ما أنلتينيه من الحظ فى هاته الليلة وهاته العاجزة قد تحصلت بهذه المدة الوجيزة على

معلومات

معلومات كثيرة كان يلزم ان أطالع عدة كتب حتى أتمكن من الحصول عليها فأبثك أيتها المادام شكرى وأعلن امتنانى الحقيقى

قالت المادام سيبقى أثر هاته الليلة وأثر الاجتماع بك ثانيا فى الذهن الى ماشاء الله

قالت هذه العبارة الاخيرة ثم ودعتنى وذهبت فى عجلتها

على انى وان كنت لا أعرف ماذا كانت تحافظ حقيقة على الذكرى كما قالت قد شعرت بتأثير كلماتها فى قلبى فانى لا أزال أهز بذكرى تلك الليلة وأفتكر بمحادثتنا غير انى لم آخذ منها حتى الآن كتابا وقد علمت أنها ذهبت للتسوح فى البلاد العربية وسمعت أنها ستضع كتابا فى سياحتها فلا ريب ان هذا الكتاب سيكون مجمعا للحقائق وهذا متوقف على اتمام السياحة ومتعلق بالتوفيق الالهى

المحاورة الثالثة

ان شهر مايس (نوار أو ايار) بغاية اللطف والنشاط فهو متوسط بين حر الصيف وبرد الشتاء بمعنى ان حره أقل من حر الصيف وبرده أخف من برد الشتاء ففى مثل هذا الشهر الذى انتشرت به الروائح الذكية وضاعت أرواح الازهار المتنوعة كنت جالسة صباح يوم منه فى احدى غرف البستان وكانت نوافذ الغرفة مفتوحة يدخل منها ألطف الروائح العطرية التى تشابه المسك أستغفر الله انى لم أحسن الوصف والتمثيل فشتان بين تلك الرائحة وبين رائحة المسك التى قد توجب لبعض الناس سرورا ولبعضهم كدرا فى حين أن رائحة الورد والقرنفل والياسمين وما ماثل من الازهار التى كانت منتشرة فى أرض الجنينة وفى جدرانها يتضوع منها أريج ينعش الارواح وروائح الاشجار التى كانت قريبة من نوافذ الغرفة وأزهارها الناصعة البياض كل هاته الروائح الذكية كانت تتفوق بنشرها على رائحة المسك ومع هذا فان رائحة كل فصيلة منها تختلف عن الاخرى فلم يكن ثم مشابهة بينها على الاطلاق حتى إن رائحة الجنس الواحد منها كانت تختلف باختلاف أشكاله بين الاصفر والاحمر والابيض وهكذا يقال عن سائر أنواع الازهار وفى ذلك حكمة صمدانية تدق على الافهام أما البلابل فكانت فى صباح اليوم المذكور تطرب الجماد بنغماتها الشجية وتغرد تغريدا ترقص له القلوب فى الصدور وتردد باصواتها المطربة ما يمثل حالة العاشق الذى يطارح معشوقه كلمات الحب حتى اذا لم ينل منه جوابا ظهرت فى عنقه اشارات الذل والانكسار

وجملة القول أن روائح الازهار المتنوعة وأصوات البلابل ومناظر الاشجار المنتشرة فى البستان كانت تشترك بلذتها حاستا السمع والنظر

وعلى مثل ما تقدم وصفه كانت هذه العاجزة جالسة حوالى منفذة يحيط بها اثنتان من صويحباتى لمناولة قهوة البن بالحليب وكانت احداهما تدعى ص . . . خانم أما هذه السيدة فانها تحسن اللغة الانكليزية وتعرف قليلا من الافرنسية بمعنى أنها تفهم هذه اللغة ولكن ببطء وتتكلم ولكن بصعوبة وتكتب فى اللغة التركية بدرجة تتمكن بها من التعبير عن فكرها وافهام مرادها والسبب فى تضلعها فى اللغة الانكليزية زيادة عن اللغة التركية انما كان منشؤه مربيتها التى كانت انكليزية المحتد ولاجل ذلك تلقت منذ الصغر عنها اللغة الانكليزية فأتقنتها كل الاتقان وكانت أخلاق هاته السيدة قريبة من أخلاق الانكليز إذ أن للتربية تأثيرا كليا فى الاخلاق كما لا يخفى فكانت منزهة عن شوائب الكلفة تحب الصحة

وتألف العزلة وتميل الى الازياء ولما كنت على بينة من صفاء نيتها وحسن طويتها وكانت من قلبها ظاهرة للعيان ظهور الشمس فى رابعة النهار قلت لها انى سأعرض بذكرها فى رسالتى والتمست منها أن تأذن لى فى ذلك فلبت طلبى وأجابت مسؤلى وصرحت بسذاجة تامة أنه لامانع من ذلك أصلا حتى حمانى هذا التصريح على أن أسألها عن الطريقة التى تحب بها أن آتى على ذكرها فى هاته الرسالة فقالت جوابا عن ذلك انها على يقين من محبتى لها فهى واثقة بانى لايمكن أن أذمها أوأعرض فى ذكرها بالسوء ثم قالت وهب أنك هجوتنى أوطعنت علىّ فلا يؤثر ذلك شيأ فى قلبى لما أنك ستكتمين اسمى ولاتصرحين به بل ان الانتقاد علىّ أحسبه مفيدا جدا لى لما أنى أضطر والحالة هذه الى اصلاح الفاسد من صفاتى وأخلاقى

وأما رفيقتى الثانية فكان اسمها ن ... خانم وكانت تحسن لغتها التركية تكلما وقراءة وكتابة على أنها كانت تدل بعلمها وتحسب نفسها فوق درجتها وهذا الوهم قد بعثها على الوقوف عند الحد الذى كانت فيه فلم تتقدم عن تلك الدرجة شيأ على أنها لم تكن خالية من الذكاء وكانت أيضا ميالة الى مساعدة غيرها راغبة فى فائدة السوى وكانت ودودة راسخة فى الصداقة لاحبابها تكره الازياء الا أنها كانت تضطر عند الذهاب الى الولائم وجمعيات الافراح أن تجارى غيرها فى الاكتساء بألبسة على آخر طرز وأما فى سائر أوقاتها فكانت تلبس الالبسة التركية وهذه الالبسة التركية هى عبارة عن ثوب بسيط مما يقال له ثوب الغرفة على أن هذا الثوب ان لم يكن يعرف حقيقة ماذا كان يصح أن يقال له ثوب تركى الا أنه يستعمل على هذه الصورة وجملة القول أن السيدة ن كانت تميل الى الازياء التركية فى حين أن السيدة ص ... كانت لاتهوى ولاتحب سوى الالبسة الافرنجية

وكانت السيدة ص ... كثيرة الملل والضجر فى ذلك الصباح لانها قد اضطرت الى عمل ثوب جديد للذهاب به الى أحد الافراح كلفها ٣٥ ليرة وحيث ان الزفاف تأخر الى فصل الشتاء مست الحاجة بها الى عمل ثوب آخر اذ أن الثوب الاول لايصلح للفصل المذكور وفضلا عن ذلك فانها لو قصدت أن تلبس ثوب السنة الماضية الذى لم تلبسه أصلا لامتنع عليها الامر بسبب ماطرأ على الزى من التغيير وقد صرحت هذه السيدة بضجرها وكدرها من التغييرات المذكورة ومن غلاء الاسعار فى قيم الاقمشة وغيرها من صاحبات الاثواب ذاكرة أنها ابتاعت ذراع الحرير بثلاث ليرات ونظرا لتغير الزى الاول قد أحوجها الامر الى طرحه فى زاوية الاهمال

وكانت السيدة ص ... تروى أسباب كدرها على الوجه المذكور غير أن السيدة ن ... التى كانت تكره الازياء قد أدت بها تلك الرواية الى الحدة والانتقاد فصرحت بما أورثها بيان تلك السيدة من التأثر والكدر ثم عقب ذلك جرت المباحثة الآتى بيانها بين السيدتين فقالت السيدة ص ...

انى منذ السنة الماضية قد ازددت سمنا بحيث ان مشد الالبسة قد ضاق علىّ فهل يمكننى أن أجد من جنس القماش لاجل توسيعه وعلى كل فانى لو وضعت له قماشا بسيط اللون لوجب مزجه لا فقط من جهة الصدر بل من سائر أطرافه

قالت السيدة ن . كلا لايجب أن تحملى نفسك ثقلة لهذا الامر

قالت ص لها ولماذا

قالت ربما هزلت الى أن يحل الاجل المضروب فحينئذ ينطبق عليك المشد كما يلزم

قالت لها انك تحملينى عناء بهذا الفكر

فقالت كلا انى لم أقصد ذلك وانما أنت التى تحملين نفسك عناء فلا أخفى عنك أنى شأدعى الى ذاك الزفاف ولكننى اذا رأيت أنه سيطول الاجل على الذهاب اليه فانى استغنى عن ذلك

فقالت السيدة ص كأنما تعنين بما تقولين انك لا تحبين أن تكتسى فى الافراح على مقتضى أصول الزى

قالت لا لا أقصد ذلك وانما متى أردت أن أضع ثوبا آخذ القماش الى الخياطة وأطلب منها أن تصنع لى ثوبا من آخر زى وعند الحاجة أكتسى بهذا الثوب

قالت فاذا بطل زى الثوب الذى تكونين لم تكتسى به فماذا تصنعين

قالت لها أنادى الخياطة وأطلب منها أن تحوله الى الزى الجديد

قالت لا أعترض على ذلك وانما أخبرك انى أنفقت على هاته الاثواب خمسا وثلاثين ليره وبالنظر الى التغيير الذى طرأ على كسمه أصبح يحتاج الى خمسة أو ستة أذرع من قماش آخر ومعلوم ان القماش العاطل لا يصلح أن يضاف على الجيد وأقل ثمن ذراع القماش فهو من نصف ليرة الى ثلاث ليرات ويلزمه خمسة عشر ذراعا من التخريم فاذا كان الذراع بخمسين غرشا بلغ ثمن الاذرع سبعمائة وخمسين غرشا واذا أضيفت اليه أجرة الخياطة وهى ثلاث ليرات كان المجموع ثلاث عشرة ليرة ونصفا ثم ان الخياطة لا بد أن تضيف الى ذلك لا أقل من ليرتين بحجة انها أنفقت على بعض اللوازم الطفيفة فتصبح النفقات خمس عشرة ليرة ونصفا أليس ان هذه القيمة تكون قد ذهبت جزافا

قالت السيدة ن اذن ما تقولين عن الخمس والثلاثين ليرة الاولى ألم تذهب جزافا أيضا

قالت لسنا نجول عراة كما لا يخفى

قالت السيدة ن لا أقول يجب أن نكون عراة الابدان ولست أتأسف على الدراهم التى تنفق فى مشترى الاقمشة وانما أتأسف على الاموال التى تصرف فى سبيل التخاريم وما ماثل ذلك من الزوائد والاطراف وعلى القيم التى تدفع للخياطة لانها تكاد توازى نصف الخمس والثلاثين ليرة

قالت السيدة ص ما العمل هل يمكننا أن نلبس القماش كما هو ألست أنت تخيطين أثوابك أيضا ثم تلبسينها

قالت لها لقد أتيت بشئ يمنع ضرر الازياء فى الوقت الحاضر فانى فصلت ثوبا على الزى التركى من القماش الثقيل لا يضيق ولا يحتاج الى الابدال والتغيير وجملته بسيطا لا زخرفة فيه ولا زوائد وقد اقتصدت من اهمال التكاليف وزوائد عدة الاثواب واشتريت قطعة من الماس البرلنتى بحيث انى متى رغبت فى بيعها لا أخسر من ثمنها شيأ بمثلها وبما ماثلها

قالت السيدة ص ستكونين بمعزل عن العالم

قالت لها أنا لا أقول انه يجب على الجميع أن يكتسوا بمثل كسوتى ولكن لو اكتسيت بالثوب الذى تغير زيه الاول لعرضت نفسى للهزء والسخرية

فقلت للسيدة ص ان ذلك ليدهش كثيرا ولست بمنفردة فيه بل ان الاوربيات أنفسهم يرينه غريبا

أتحسبين متانة أقشتنا الوطنيــة ورخص أثمانها قبيحا ونبتاع ذراع القماش الافرنجي المزركش بالنحاس بليرتين ولا تعجبنا أقشة حلب والشام وبغـداد وديار بكر وكلها من الفضـة الخالصة لان ذراعها لا يتجاوز ثمنه الخمسـين غرشا ان كون القماش من متاعنا لا يمنع من أن نخيطه على الطرز الافرنجي أفلا يعجبـك هذا القماش الذي ترينه علي فانه عبارة عن ثوبين طولهما عشرون ذراعا دفعت ثمنها ثمانية مجيديات فيكون ثمن الذراع ثمانية غروش ولو كان هـذا القماش من أقشة أروبا الحريرية ما أمكن مشتري الذراع منه بأقل من عشرين غرشا ولقماشـنا مزية أخرى وهي أنه اذا تلوث بشئ فيمكن غسله وكيه وحينئذ يعود الى حالته الاولى

فقالت السيدة ص ... لاجرم غير ان أقشتنا كلها على نسق واحد فلا يمكن تغيير أزيائها

قلت لها الانصاف أيتها السيدة لو كان عنـدنا للاقشة الوطنية نصف الرغبـة في الاقشة الافرنجية لترقت أقشتنا أيما ترق فعلينا في بادئ الامر أن نسعى في أن تباع أقشتنا الحاضرة ليمكن ايجاد ألوان أخرى وان نهتم بها اهتمامنا بالاقشة الاروبية اذ لا يحق لنا أن نقول انا طلبنا اللون الفلاني من الاقشة الوطنيــة فلم نحصل عليـه ومعلوم ان في الوقت الحاضر أخذت تنسج في البلاد المحروسـة الشاهانيـة جميع الاقشة كالاطلس والخز وغير ذلك وهي أكثر مما يلزمنا وهـذه الاقشة لها محل من القبول في أروبا فلا أدري لماذا نحن ننفر منها أتظنين ان الافرنج يرضون ويسرون بما نفعله ومانسلكه من طرق التقليد لهم كلا انهم يعيبون علينا هذا الامر ولقد يحلي ما نقول كثيرات من النساء الافرنجيات عن ميـل الاروبيين الى أقشتنا ونفرتنا منها إذ أن هاته الاقشة ترسل الى أروبا على سبيل الهدايا ونحن لانكتسي بها على الاطلاق نعم اننا مضطرون الى الاكتساء ببعض الالبسـة الافرنجيـة ولكن هاته الالبسة هي كناية عن النايلات والجوارب والشيت والباتسته فان بلادنا خالية منها

قالت السيدة ن ... أليس عندنا من القماش الكتاني ما يعادل الشيت (بصمه)

فقلت لها كلا ان الاقشة الكتانية لا تغني عن الشيت شيأ فان الفقير يمكنه أن يشتري ذراع الشيت بستين باره ثم يخيطه ثوبا فيلبسه ويغسله وهلم جرا أما الاقشة الكتانية فانها قاسية بحيث اذا غسلت ازدادت خشونة عن الاول انظري الى هذا الجمع الحاضر فانك ترين ان الالبسة الليلية التي نكتسي بها في هذا الوقت كلها من الباتسته ولا يمكن أن نظفر لهـذه الغاية بأحسن منها أما أنت فترجحين الاقشـة الكتانية عليها

قالت السـيدة ن ... كلا ان ألبستي الليلية كلها من الباتسته ولا اكتسي بقماش آخر على الاطلاق

قلت لها اذن يجب على الانسان في بادئ الامر أن يهتم بنفسه ثم بغـيره وأنا لا أقول انه يجب ان نحـرم أنفسنا من المتاع الافرنجي تماما ولكن أريد انه يلزمنا أن نروج بضائعنا ولا ننبذها ظهريا

قالت السيدة ن ... صدقت فان الشيت أفادنا كثيرا واستنفد أموالنا أيضا

قلت لها أجل ان الشيت والباتسته تتوارد الى بلادنا من أوربا بكثرة لان الحاجـة اليها عمومية ولا شك انه اذا أردنا أن نحسب الاموال التي تخرج من بلادنا بمقابلة هذه الاقشة نراها كثـيرة جدا وموجبة للحيرة والدهشة

قالت السيدة ص ... اذن عزمت ان اشترى بالخمس عشرة ليرة التى سأنفقها على اصلاح ثوبى للسنة الماضية قماشاوطنياو أخيطه على الزى

قالت السيدة ن ... ما المانع من ان تخيطيه على الطرز التركى

قالت لها أى طرز تعنين . أمثل ثوبك الذى تلبسينه الآن يعنى ثوب الغرفة وثوب الصباح فان هذا لما انه يسمى العلوى أيقال عنه انه طرز تركى

قالت السيدة ن ... ان ثوب الغرفة (روب دى شامبر) انما يكتسى به فى الغرف بمعنى انه لا يمكن الظهور به امام الناس والقصد منه أن يحصل المرء على راحته و ثوب الصباح يكتسى به لكى يكون الانسان مرتاحا فى وقت الصباح أى انه بعكس ثوب الغرفة أما نحن فانه يمكننا أن نلبس أياشئنا منهما قاصد الحصول على الراحة فى جميع الاوقات

فقلت لها إن السيدة ص ... يميل قلبها الى الازياء الافرنجية فتخيطها كما تريد وأنت أيتها السيدة تميلين الى الزى التركى وهكذا تفعلين أما أنا فلاننى لا أكره الطرزين ترينى أخيطها أحيانا على الزى الافرنجى وأوقاتا على الطرز التركى حسب ما تميل اليه نفسى ولقد قلت إنه بما أننا لم نخرج عن عاداتنا الذلك لا نعرض أنفسنا للهزء على أنه متى أردنا أن نكتسى على الطرز الافرنجى يجب أن يكون الثوب من آخر زى حتى لا يضحك علينا الافرنجيات ولا شك أن حريتنا فى مسائل الكسوة انما هى نعمة مخصوصة والخلاصة أقول وأرجو أن لا يصعب عليكما مقالى انى لا أذهب مذهب احداكما من جهة التمسك بالتقاليد الافرنجية ما أقيد نفسى فيها تقييدا ولا أرد بعض الفوائد التى تشاهد فى الالبسة الافرنجية تعصبا للعادات التركية اذ أنه لا ينكر أن الازياء قد أفت بفائدة أخصها منع جر الاذيال

قالت السيدة ن ... أن الازياء تختلف كثيرا فلا تستقر على حال فبينا تكون على النسق الفلانى اذا انتقلت الى طرز آخر وبينا تكون ضيقة على الحقوين اذ تنفرج عنهما وبينا يجب أن تكون بسيطة للغاية اذ تتغير تغيرا مطلقا ثم ترين أيضا أن زى الاذيال قد عاد تكرارا فقلت لها نحن يجب علينا أن نتبع الازياء التى نحبها ونرضاها فالتى نراها غير ملائمة فى ذلك الوقت يلزمنا أن ننبذها ظهريا

وفى تلك الاثناء دخلت علينا سيدة مسنة فقالت

آه من فتيات هذا الزمان أرى أنهن لا يزلن مكتسيات بألبسة النوم حتى انهن لم يسرحن شعورهن أيضا وأسفاه عليهن من مسكينات انى لما كنت مثلكن لم أكن أعرف المحل الذى أطؤه

فقلت لها ألم تكونى تفتكرين بأى انسان

قالت العجوز كلا يا روحى لا أقصد ذلك مما قلت وانما قصدت فيما ذكرت مجرد المزاح لا غير ولعمرى انى الى مثل هذه الساعة لم أكن أقف فى محل معلوم بل كنت ألبس ثيابى وأطير ركضا

قالت السيدة ص ... هل لك أن تنبئينا كيف كانت كسوتك فى أيام صباك

قالت عند النهوض من الرقاد كنت أقف أمام المرآة فأربط عصابتى المسماة (حوطوز) وألبس ثيابى التى كانت مفتوحة تماما على الصدر

قالت السيدة ص ... هل كان الثوب المفتوح من الصدر موجودا فى ذلك الزمان اذن يفهم مما قلت أن هذا الزى كان هو الزى الدارج فى العصر السابق

قالت العجوز لا جرم فانه كان من جهة مفتوحا على الصدر ومن جهة ضيقا كثيرا واأسفاه عليكن أيتها الفتيات انكن لم ترين شيأ فأين هذا العصر من عصرنا الماضى

قلت لها ألم يكن فى عصر صباك عجائز لم يكن يستحسن ذوقك

قالت كيف لا فان عجائز ذلك العصر لم يكن يرضين ذوقنا وزينا

قلت ماذا كن يقلن عنه وكيف كانت كسوتهن

قالت العجوز ان العصابة المسماة (حوطوز) لم تكن عامة وانما كان للعجائز عصائب مخصوصة بهن يسمينها (فايق حوطوز) وكانت مؤلفة من سبعة أو ثمانية مناديل يعلوها ثلثمائة ابرة

قالت السيدة ص ... (خطابا الى السيدة ن ...) أيتها السيدة الميالة الى الازياء التركية انك مادمت شديدة الميل الى هذه الازياء فعليك بعمل هاته العصابة لانها تمثل الاكسام التركية كل التمثيل والا فاقصرى عن التضجر من الالبسة الغربية كأثواب الصباح والغرفة والجاكا الخ

قالت السيدة ن ... انى أرى راحة فى استعمال الاثواب التركية ولاجل ذلك أكتسى بها وما الفائدة من وضع مثل هذه الاحمال على رأسى

قالت السيدة ص ... اذن أرجوك أن لا تعترضى على كل الناس لانه قد تبين لك أن الازياء تتغير من وقت الى آخر وان هاته الحال موجودة عندنا أيضا على أن الفرق بين الزمانين أن الالبسة فى الماضى كانت تتغير مرة فى كل أربعين أو خمسين سنة أما الآن فانها تتغير فى كل ستة شهور

فقلت أجل ان ذلك تأثير السرعة فى أزمنتنا فان سكان الدنيا الذين يتقلبون أبدا من حال الى حال لا يمكن أن تبقى ألبستهم على حال واحدة

قالت فاذن صار يجب أن نلبس ثيابنا

قلت فلتأتوا بألبستك الى هنا

وبعد أن قلت ذلك جاؤا اليها بالالبسة فأخذت الجارية تلبسها وبينما كانت تربط رباطات المشد قالت آه انى حتى الآن لم أتعود تحمل هذا المشد فانه يضايقنى ويسلب راحتى فكيف أعمل لا أدرى

فقلت لها لا تلبسيه

قالت اذا لم يلبس لا يبقى من كسم للاثواب

فقلت لها البسيه اذا

قالت أنا لم أقل لك انه يؤثر فى معدتى

فقلت لها ماذا أقول يا سيدتى فاما أن تلبسيه أولا

قالت الامران ممتنعان

قلت لها اذا وجدت لهما ثالثا فعليه

قالت السيدة ن ... آه يا عزيزتى ان ثوبى الواسع لا يحملنى شيأ من هاته الاثقال

فقالت السيدة ص انه لا يعرف لك كسم لانه لا ينظر بل يبقى محجوبا

فقالت لها أيحسب ذلك عيبا فانه اذا كان به قصور فلا يشاهد

فقلت للسيدة ص ألم تقرئى ما كتبه مدحت أفندى بشأن المشد فى كتابه المسمى بالمصاحبات الليلية

قالت أما نيا عزيزتي ماذا قال بهذا الشان

فقلت لها هاهو على مقربة منك لخديه واقرئيه

قالت أريني المحل المقصود منه

فأخذت الكتاب ولما عثرت على الفقرة المتعلقة بالمشد دفعته الى السيدة ص فما أعتمت بعد قراءته أن قالت

يا عزيزتي انه لم يضع له قرارا قطعيا فقد استصوب الامرين أي ان يلبس وان لا يلبس

فقلت لها اذا تريدين أن يقول أكثر من ذلك فانه وافق على قول الحكماء وعلى قول الخياطين فقد قال مدحت أفندي اذا شاءت المرأة عزاعزيزا فلتلبسه واذا أرادت عمر الذيذا فعليها أن لا تلبسه وأنت مخيرة بين الامرين

وبعد أن انتهت الجارية من تلبيس السيدة وتكميل الازرار أخذت ملاقط الشعر لتحميها على النار ثم تعود بها لتصلح شعر سيدتها فقالت السيدة ص

ماهذا الكسل أيتها السيدات أليس في نيتكن أن تلبسن أثوابكن

فقلت لها لا يجب أن تهتمي بهذا الامر انني أستطيع أن ألبس ثيابي قبل أن تنتهي من تزيين شعرك

فقالت مخاطبة الى جاريتي اذهبي أنت وألبسي سيدتك ثيابها فانني أراها لا تحب أن تفعل ذلك من نفسها

فقالت لها الجارية إن سيدتي تكتسي بيدها ولا تحب أن ألبسها ثيابها

قالت أصحيح أنها متعودة على ذلك لعمري انها لا تعرف راحتها

فقلت لها لا يمكن أن أتصورته بما يزيد عن الاحتياج الى شخص آخر في أمر اللبس وكثيرا ما كنت ألاقي من العذاب ألوانا عندما كانت تأتي البنات أحيانا الى ويطلبن مني أن أسمح لهن في مساعدتي بلبس الثياب وقد قلت لهن مرارا انكن اذا كنتن راغبات في راحتي فدعنني وشأني ولا تتعرضن لمساعدتي ومذ حينئذ أصبحن لا يتعرضن لي بشيء من ذلك

قالت كيف تستطيعين أن تعقدي ربط المشد

فقلت لها عندما ألبسه لاول مرة أضيقه من الوراء الى الدرجة اللازمة وأتركه معقودا هكذا فلا يبقى الا ربطه من جهة الصدر وتزريره فافعل ذلك بنفسي خصوصا وأنت تعلمين انني لا أستعمل المشد يوميا اذ لست بميالة اليه كل الميل ومتى استعملته لا أشد كثيرا

قالت أنت تسرحين شعرك بنفسك أيضا أما أنا فانني منذ صغري كانت مربيتي هي التي تسرحه والآن قد تعلمت هذه الفتاة طريقتها فصارت ترتب شعري أحسن ترتيب

قلت لها فاذا لم تكن هذه الفتاة ماذا تفعلين

قالت لا جرم انني حينئذ ألاقي كثيرا من المشقة لانني ميالة الى الترتيب التام وأولئك البنات لا قدرة لهن على هذا العمل

فقالت جاريتي ان سيدتي تحسن تنظيف وصف الشعر كل الاحسان حتى اننا عندما نكون متهيآت للذهاب الى فرح ما تأخذهي في تسريحنا اذ ترى أننا لم نحسن صنعته

فقالت لعمري ان ذلك حسن جدا فان أمكن رتبي لي شعري الى أن تكون الفتاة قد انتهت من احماء الملاقط

فقلت لها أتحبين ان أرتبه كما كان مرتبا بالامس

قالت نعم

فبادرت فى الحال الى جمع الشعر وتسريحه ثم قلت قدتم المقصود ياسيدتى

قالت ياعجبا ماهذه العجلة

فقلت ماذا يهمك الاستعجال ماعليك الا أن تنظرى اذا كان أنى حسب المرغوب أم لا

فأخذت السيدة ص شعرها بيدها ونظرت اليه مليا ثم قالت

لاجرم أنه فى غاية الاتقان

غير أن زينتها لم تكن قد تمت لانها كانت تنتظر لكيه بالمقاط وفى تلك الاثناء دخلت جاريتها بالالاقط المحماة فخرجت الى غرفة ثانية لالبس ثيابى و بعد ان ابستها عدت الى حيث السيدة ص فوجدت أن عملية الكى لم تنته

فقالت ياعجبا أراك قد لبست ثيابك و زينت شعرك فى هذه الفترة

قالت السيدة ن لقد رأيت هناك رسما فاهذا الزى فقلت لها وجدته فى غرفة صناديق والدتى فهو رسم احدى المادامات فى الزمن القديم

قالت ماهذا الفسطان أرى انه لافرق بينه وبين المضرب (الخيمة) انظرى الى هذه العصبة وأنت أيتها السيدة ص تعالى وشاهدى زى ذلك العصر

فقالت لها أتقصدين أن استعجل ليحترق جبينى

قالت السيدة ن اذا كنت لاأصنع مثل هذا الفسطان فانى أقدر أصنع نظير عصبتها أنت تزينت بالزى الجديد وأنا أتزيا بالقديم أليس كله يحسب زيا فلا فرق بين ان يكون جديدا أو قديما ثم قالت لى ياعزيزتى وصديقتى أيوجد عندك قليل من البطانة السودا وشئ من القصب

فقلت لها بلا كسل أتشغلين نفسك بهذا الان

قالت لاجرم ان الزهور الموجودة فى البستان هى مرجحة على الزهور المنتشرة فى هذا الرسم لكونها طبيعية فاذا لم يكن ثمة مانع ان أجمع شيأ منها

قالت ذلك وخرجت الى الجنينة ثم عادت بالزهور التى رغبت فيها فصنعت شيأ مماثلا تماما لشكل العصبة المرسومة فى الرسم تعصبت بها وقد اشتهينا أن أحدا يسمع قهقهتنا اذ ذاك

فقالت السيدة ص عجبا هل كانت هاته العصبة فى زمن عصبة القايق الذى أشارت اليه المربية فان من تأمل شكلها الغريب أدرك انهما كانتا متعاصرتين قالت يحتمل ذلك

وفى تلك الاثناء أطلت احدى الجوارى رأسها من الباب قائلة لقد جاءت السيدة الكبيرة أما السيدة ن فانها لم تجد فرصة لرفع العصبة عن رأسها ولذلك دخلت الخزانة الموجودة فى الداخل لتعلق الثياب محتجبة عن أعين والدتى التى دخلت علينا وخاطبتنا بما يأتى

لقد ذهب عنى ان أخبركن أيتها الفتيات انه جاءنا أمس خبر يفيد انه سيأتينا اليوم زائرات أجنبيات وانهن يرجوننا ان نستقبلهن بالازياء التركية

وفى ذلك الوقت ظهر وجه السيدة ن وكشفت العصبة لان الموى اليها لم تتمكن من اخفاء نفسها ضمن الخزانة فتمسك بالتعاليق ولكن لم يجدها ذلك نفعا حيث فتح باب الخزانة وظهرت العصبة التى كانت تحاول

اخفاءها فأخذنا جميعنا بالقهقهة بحيث اضطرت السيدة ن ان تهرب الى خارج الغرفة ولما سكنت ضوضاء القهقهة سألتنا الوالدة عن أسباب الضحك فأفهمناها حقيقة الواقعة

فقالت الوالدة أسرعن بارتداء ملابسكن فان الساعة قريبة من الرابعة

فقلت يا عجبا ترى فى أية ساعة عزمن على المجيء فقالت لقد أنبأن انهن يحضرن بعد الظهر على انهن لم يعين ساعة معلومة

ثم خرجت ولما كانت السيدة ن . . تحب الاكتساء بألبسة تركية لم تكن معرضة للنقلة وقد قضت الضرورة ان أحضر رداء للسيدة ص . . فاحضرت ثوبين من الأثواب التركية أحدهما للسيدة ص . . والآخر لى وبعد أن ارتدينا بهما وضعت كل منا على رأسها عصبة مزينة بالازهار المماثلة للون الأثواب مما كنت صنعتها بيدى ولما مررنا من امام المرآة رأيت ان زينة السيدة ص . . تفوق زينتنا حسنا وجمالا وقد اعترفت لها بذلك لان المشد الذى كانت تلبسه قد زاد بحسن كسمها فظهرت بمظهر لا يكون الا بمن يستعملن المشدات وقد تبين لى ان المشد يجعل انتظاما كليا للالبسة التركية أكثر منه للالبسة الافرنجية كما ان وضع الازهار فى مفرق الشعر مما يزيد الوجه رونقا ولطافة

فقالت السيدة ص . . اذا كان أعجبك هذا المظهر فعليك ان تفرقى شعرك كشعرى وان تلبسى المشد

فقلت لها نعم انى سألبس المشد ولكن فرق الشعر يستغرق وقتا طويلا ولقد آن وقت مناولة الطعام وكما كنا لا نعلم الساعة التى يأتى بها القادمات الينا أرى من المناسب ان نكون على استعداد لاستقبالهن وبعد عشر دقائق كنا جميعا على قدم الاستعداد فدعونا الى المائدة وبعد الطعام عدنا الى غرفتنا

فقالت السيدة ص . . لله أنتن انه لو وجدت معنا السيدة ق . . لكان بذلك حسنا للغاية

فقلت لها القد مر وقت طويل ولم نرها

قالت السيدة ص . . ان الظلم الذى تلاقيه من زوجها قد سلب راحتها ومنعها من الخروج

قالت السيدة ن . . من العبث ان يعيشا معا على انهما اذا افترقا زالت تلك الصعوبة فى الحياة وكثيرا ما قالت له السيدة ق انى لا أريدك فلنفترق أما هو فقد كان له عن قولها اذن صماء

قلت ماهى أسباب عدم راحتهما

قالت السيدة ص . . ان الرجل سيء الاخلاق وهو لاقل سبب يضربها وهى كثيرا ما قالت له انه يتركها لانها لم تعد تحتمل معاملته وهو كان يقول لها انه يموت ولا يتركها

قلت فاذا هو يحبها

قالت السيدة ص ليتها لم تكن هذه المحبة

قالت السيدة ن ان الرجل لا اخلاق له فانه لا فقط يعامل امرأته هذه المعاملة بل هو كذلك مع الخادم والخادمة ولا قبل له على نبذ هذه الاخلاق السيئة ولا على ترك امرأته

قالت السيدة ص ان زوجته لا تقبله فهل تجبر على البقاء معه

قالت السيدة ن أجل انها فى اليوم الماضى كانت تقول انه من نفسه لا يريد ان يتركها وانها ستضطر فى آخر الامر الى مراجعة المحكمة

قالت لها ان الطلاق انما هو راجع لارادة الرجال لا غير فاذا قصدوا أن يطلقوا نساءهم أمكن لهم ذلك

بكلمة واحدة أما المرأة فاذا كانت راغبة فى الطلاق تضطر الى مراجعة المحكمة ثم قالت لى وأنت كنت تقولين منذ مدة ان الامر مشكل عند المسيحيين فانهم لا يستطيعون أن ينفصلوا عن بعضهم بعد الزواج وانما يجبر الرجل أو المرأة أى منهما كان سيء الاخلاق ان يصرف عمره بالنكد والكرب بعدم جواز الطلاق وانا نحن أحسن حالا لوجود الطلاق عندنا فانظرى لنا وسيلة للطلاق

فقلت لها كيف ترغبين ان يكون

قالت أرغب أن يكون فى الامر مساواة بين الرجل والمرأة بمعنى أن النساء يكن كالرجال قادرات أن يطلقن رجالهن بنفس السهولة الموجودة عند الرجال

فقلت لها من رغب فى ذلك فيذهب الى اناطاكية ويعقد فيها عقد نكاحه قالت ماذا تقصدين بذلك

قلت ان المرأة متى لبست ثوبا أزرق تطلق من زوجها والسلام

قالت السيدة ن أتقولين حقيقة أم أنت راغبة فى المزاح

قلت لها اذا كنت ترتابين فى قولى اذهبى الى اناطاكية تتأكدى ما قلت

قالت السيدة ص ... وضحى أكثر من ذلك وزيدينى معرفة

قلت ان المرأة فى انطاكية عند زفافها تأخذ معها ثوبا أزرق ففى أى وقت أرادت ترك زوجها تلبس الثوب الازرق وحينئذ يعتقد بأنها صارت مطلقة وهذا الحال معتبرة فى عرف البلدة أيضا

وأما المرأة الفقيرة التى لا تملك ثوبا أزرق فانها تستعيره من امرأة أخرى وتلبسه ومتى انتهت من غرضها تعيده الى صاحبته

قالت السيدة ن ... كيف يمكنهم توفيق هذا الامر على الاحكام الشرعية

فقلت ألم تكن مسئلة الشرط موجودة شرعا فالظاهر أنهم حين الزواج يتزوجون بهذا الشرط فيعتقدون مقاولة من مقتضاها ان المرأة تطلق متى لبست ثوبا أزرق

قالت الذى أعلمه أن النساء يشترطن على رجالهن الامر الذى يرغبنه فاذا فعلوه أصبحن طالقات منهم على انى ما كنت سمعت بما تقولين الآن

فقلت يفهم من ذلك أن نساء انطاكية أعقل منا كثيرا فانهن متى تزوجن يضعن شروطا ويتزوجن بموجبها وليس ذلك منحصرا بنساء انطاكية فقط وانما فى عشيرة عنزة عادة مألوفة وهى أن يربط سجف فى المضارب ويبقى مربوطا على الاستمرار فاذا كانت المرأة راغبة فى ترك زوجها حلت رباط السجف . وفى ذلك اشارة الى أنها أصبحت طالقة منه ولعشيرة التركمان المسماة (تحيرلى) عادة أخرى من هذا القبيل وذلك ان المرأة متى أرسلت سفيرا الى زوجها تخبره بواسطته انها نفرت منه فحينئذ تصير طالقة وكل ذلك موقوف على الشرط

قالت السيدة ص ... لعمرى انهم عند النكاح عندنا لو وضعوا شرطا بثوب وردى أو افلاطونى لكان ذلك حسنا جدا

فقلت لو وضعوا عندنا مثل ذلك من يعلم عدد الرجال الذين كنا نطلقهم فى كل شهر

قالت لاى سبب أليس عندنا عقل يوازى عقل نساء انطاكية ونساء العشيرة

قلت ان الاشياء التى تولد عندنا الاسباب كثيرة اذ من المعلوم أن نساء الخارج متى شبعت بطونهن ولبسن

ثوبا

ثوبا مالم تبق لهن حاجة من الحاجات وليس عندهن ما عندنا من ضروب النزهة والترف حتى تأخذهن الحدة من أزواجهن اذا منعوهن عن الذهاب الى الحدائق والمنتديات

قالت ما معنى هذا الكلام ان أكثر رجال الخارج والعشائر يتزوجون عدة نساء فهل من سبب يبعث على الحدة والكدر أكثر من هذا السبب

فقلت إنهن يكن مسرورات من الضرائر وهن اللاتى يرغبن فى تزويج رجالهن حتى تبلغ أزواجهم أربعا لانه كلما كثرت الضرائر قلت عنهن الخدمة فاذا أخذ الرجل على زوجته امرأة ثانية خفت عنها نصف الخدمة فاذا اقترن بثالثة كانت مطالبة بالثلث واذا أخذ الرابعة هبطت خدمتها الى الربع وهؤلاء النساء المسكينات يرغبن فى تخفيض خدمتهن الى الخمس لو كان ذلك بالامكان ولكن الشريعة لا تأذن بأكثر من أربع

قالت ان ذلك العجب لاجل الخدمة يقبلن الضرائر

قلت أيتها السيدة أعندك نظيرهن حيوانات وبهائم وجمال ومعاول لنقب الارض وهل تضطرين الى تحميلها الاخشاب والاعشاب أذهب عنك كيف نستثقل عقص الشعر وتسريحه وإنما مفتقرات الى أن نستمد المعونة والمساعدة من الجوارى

قالت أنا لا أريد هذه الخدمة التى يتحملنها ولا الضرائر أيضا وانما يعجبنى من عاداتهن مسئلة الثوب الازرق

قالت السيدة ن . . . لننظر فيما اذا كان ذلك حسنا هنا والا فانه كما قالت رفيقتنا اذا لبس النساء ثوبهن أبصرن الى حالة الرجل غير المتأهل .

قلت انى أنقل لكن فقرة تكون مثالا لما نحن بصدده فقد اتفق ان امرأة كانت فى أثناء بحثها مع زوجها عن محبتها له تقول له دائما (آه ياسيدى انى أسأل الله أن يقبض روحى بين يديك فانى أفضل الموت على الانفصال عنك) وكان الرجل نبيها واقفا على أسرار العالم وأما المرأة فقد كانت جاهلة بالقراءة والكتابة لا تعلم شيأ من أحوال الدنيا ففى ذات يوم جاء الرجل الى بيته وكان مغموما جدا بحيث انه كان لا يقوى على فتح فيه والتلفظ بكلمة من الكلمات فزوجته حملت ذلك على انحراف فى صحته وأخذت تسأله عن سبب كدره أما هو فأجابها انه لم يكن منحرف الصحة وانما طرأ عليه حادث عظيم كدره جدا وان هذا الحادث مهم الى حد أنه لا يقوى على بيانه وبعد إلحاح كلى من المرأة عقبه سكوت طويل من الرجل قال لها أخيرا (آه يازوجتى المحبوبة أنت تعلمين انه لحد الآن كان الرجال يطلقون نساءهم ولكن وضعت الآن أصول جديدة من مقتضاها أنه يجوز من الآن فصاعدا للنساء أن يطلقن رجالهن فأنت لا تنكرين على محبتى لك وتعلمين انه لما كان عدم الانفصال عنك متعلقا بى دون غيرى لم يكن لى أقل هم وكدر من هذا القبيل أما الآن فانى أفتكر ماذا يحل بى من القهر والنكد لو قصدت أن تطلقينى) فأجابته هى قائلة اقلع عن هذا الفكر ولا تهتم به فأنا لا أتركك ولا أطلقك بالكلية)

وبعد ان مر على ذلك نصف ساعة طلب الرجل منها شربة ماء فالتفتت اليه قائلة (عفوا أنا لست بقائمة فقم أنت واشرب) فأجابها الرجل بقوله (ياعزيزتى هل من العدل ان أقوم أنا وأنت لا تقومين انى أشتغل من الصبح الى المساء لاجل القيام بحاجتك ورغائبك والله يعلم ما ألاقى من المتاعب حتى إذا أتيت الى البيت بعد تلك المشقات ألا يلزم أن أرتاح فيه قليلا) أما هى فأجابته قائلة (ان رجليك غير مكسورتين فقم

واشرب) وفى خلال هذه المحاورة بينهما غلبت الحدة على المرأة فقالت له (لا تزدنى فوق طاقتى فاننى أسمعك من فى مالا تحب)

قالت السيدة ص . . . ان هاته الامثلة قد وضعت بقصد المزاح بين الرجال والنساء وانى أنا أسف على كلامك الذى قلته

فقلت لها أنا لم أروما رويتك حقيقة وانما نقلته من الفكاهة ولكنه مثل ما جرى بالنقل ومع ذلك فانه لا يسعنا أن ننكر أن النساء هن أقل صبرا وجلدا من الرجال

قالت لماذا إنه ليوجد بين النساء من هن أكثر عقلا وأشد صبرا من الرجال كما ان كثيرا من الرجال هم أدنى معرفة وأقل جلدا وأعظم جهلا من النساء

قلت نعم لا أنكر صواب القول ولكن ذلك من قبيل الاستثناء أيتها الصديقة والاعتبار فى كل شئ للاكثرية وهكذا تصدر الاحكام حتى ان الاوربيين الذين يطلقون عنان الحرية لنسائهم لما أنهم يعلمون أن النساء أدنى معرفة من الرجال يسلمون المهر الذى يخصصونه كثمن جهاز ابنائهم الى الرجال ولا يبقونه بأيدى النساء

قالت وهذا لا أريده بأن أرى أموالى بيد زوجى

قلت حيث ان الرجال يستطيعون أن يحسنوا ادارتها جرت العادة عندهم أن يسلموها الهم

قالت فاذا خطر للرجل ابتلاع أموال زوجته ميلا مع أهوائه واسترسالا الى اهانتها واحتقارالها

قلت هذا محول على طالعها

قالت كلا أنا لا أمكنه أن يخوننى بواسطة دراهمى

قلت ماذا تعملين

قالت اننى أطلقه من تلك الساعة

قلت ان الطلاق عندهم لفى غاية الاشكال والطلاق لاجل بلع أموال المرأة انما هو فى عداد المستحيلات وأما عندنا فلا حاجة أن نتحمل مشقة الطلاق لاجل ذلك لان أموال المرأة لا تدخل تحت حكم الرجل حتى يتمكن من هضمها

وحينئذ سمعنا صوت تابشير ان احدى السفن تتقرب من الشاطئ فانصرف ذهننا الى أن الضيوف قادمون عليها فنهضنا ووقفنا على النافذة المطلة على الساحل فرأينا فى جملة الخارجين منها ثلاث نساء مرتديات بألبسة جميلة

قالت السيدة ص . . . انظرى الى هاته المدام البيضاء وتأملى فى حسن ألبستها البسيطة

قلت لعلهن من ضيفاتنا

قالت ولكن أراهن قد تجاوزن الباب

قالت السيدة ن . . . ربما أنهن يأتين الينا من باب المنزل انظرى الرجل الذى يصحبهن وهذا طبيعى لانهن لا يحضرن منفردات

قالت السيدة ص . . . أنهن ها قد دخلن من باب المنزل ولعمرى انهن جميلات وألبستهن من آخر زى فكيف تحبين أن تدخلينى عليهن بألبستى الحاضرة لاجرم أنهن يحسبننا لا ندرك شيأ فلا أحب أن أظهر أمامهن بألبسة بسيطة فى حين أنهن مكتسيات بألطف كسوة ولو عرفت أن الامر سيكون كذلك للبست

أحسن الأثواب وأكملها فتفضلي يا عزيزتي باعطائي ثوبا من الاثواب الافرنجية الجميلة لأرتديه وأظهر به أمامهن

قلت لها يا عزيزتي هل من الممكن أن تحضر خياطة لتخيط لنا أثوابا موافقة ثم ان ثوبي التركي قد جاء ملائما لك من حيث انه مفتوح الصدر ولكن مشدي لا يمكن أن يلائم كسمك وأنت تعلمين أنه لو وجد قماش من لونه وأحضرنا خياطة مخصوصة لتخيطه على طريقته موافقا لك من آخر زي للزم لاجل ذلك نهار كامل فهل نؤجل مقابلة ضيفاتنا الى غد قالت لعمري انني أخجل من الظهور أمامهن في حالتي الحاضرة

قالت السيدة ن . . يا عزيزتي يمكن أن تحتجبي فلا تظهري أمامهن

قالت ماشاء الله كيف يمكن ذلك وأنا راغبة في التفرج عليهن وعلى ألبستهن الجميلة

قالت أيتها السيدات ان السادامات القادمات الينا ولم يكن عارفات بأن لنا ألبسة أفرنجية ما كن طلبن منا أن نكتسي بألبسة تركية ومن المعلوم أنه يجب علينا آن نخدم ذوق ورغبة الضيف أكثر من ذوقنا ورغائبنا وبينما كنا نهزل ونهذر على هذا الوجه كانت السادامات دخلن الى القاعة فنهضنا لاستقبالهن وبعد أن حييناهن جلسنا الى مقربة منهن وقد تبين لنا من منظرهن أن احداهن ذات بعل وتبلغ السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من سني العمر ممشوقة القوام طويلة حسنة الكسم زرقاء العينين شقراء الشعر بيضاء البشرة جميلة الجملة والثانية ذات خدر في التاسعة عشرة أو العشرين من العمر وكانت هاتان الصبيتان شقيقتين والشقيقة الثانية معادلة للاولى بحسنها ولطفها ومع أن الجمال واحد لا أكثر غير أن أنواعه متعددة جدا الى حد أن ما يراه هذا جميلا يراه ذلك بالعكس بمعنى أن الاميال مختلفة في الناس لا يمكن أن تتفق على وجه واحد وذلك مما يمنعنا من البحث في أسرار الطبيعة ألا ترى أن فلانا يستحسن الحاجب الاسود والعين السوداء وفلانا يميل الى الشعر الاشقر والعين الزرقاء وفلانا يقف بين الذوقين فيعجبه الحد الاوسط من النوعين والبعض لا يرى جميلا في غير السمينات والآخر يحسب الجمال كل الجمال في الرفيعات الهزيلات وكثيرا ما نسمع قول فلان عندما يرى ذات سمن آه لو كانت أقل سمنا مما هي عليه الآن وقول الآخر عن الهزيلة لو كانت أكثر سمنا لبلغت أقصى درجات الجمال

لا جرم أن القول بجمال هذه وعدم جمال تلك بالنظر الى الامزجة والاذواق ليس من الانصاف في شئ . نعم إن كلا من الناس مخير في ميله ورغبته له أن يستحسن ما يستقبحه الآخر وبالعكس غير أنه لا يناسب أن يقال هذا جميل وذلك غير جميل بالنسبة الى الاميال والاذواق لان الحق سبحانه وتعالى قد برأ أهل الجمال على ألوان واشكال شتى فاغماض العين عن قدرته وحكمته غير موافق للعقلانية

وقد كانت الصغيرة جميلة الصورة الا أن جمالها يختلف عن جمال الكبرى ومع انها أقصر من شقيقتها باصبعين غير أن هيف قامتها ووجود الاولى أكثر سمنا منها يظهر للعين أنهما متساويتان قدا

وهي أن الصغيرة ذات عينين زرقاوين مائلتين الى الاخضرار وأهدابهما طويلة سوداء وحاجباها معتدلان في الوضع والرسم متوسطان بين القصر والطول وشعرهما أسود وشعر رأسها كاف (كستنائي) وهي بيضاء اللون كشقيقتها غير أن الفرق بين بياض الاثنتين أن بياض الكبرى مشرب بلون أحمر على حين أن بياض الصغرى كان ناصعا شفافا

وكان جمال الكبرى لاول نظرة بالعين الناظرة وأما الثانية فكانت على حد قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا

والمباينة الموجودة بينهما فى الهيئة من حيث ان الاولى كانت شقراء الجملة والثانية سوداء شعر الحاجبين والهدبين زرقاء العينين كستنائية الشعر على كونهما شقيقتين لاتعد غريبة فى بابها لان الاولاد الذين يأتون من آباء شقر وأمهات شقر تكون هيآتهم كهيئات آبائهم وأمهاتهم وهكذا الذين يكونون من أب أشقر ووالدة سوداء العينين والحاجبين والشعر وبالعكس فان بعضهم يشبه الاب والبعض الآخر يشبه الام كما حصل فى هيئة ذات الخدر المختلفة عن هيئة شقيقتها

ولما زايلنا ظهر السفينة رفعتا عنهما ثوب الزيارة الذى كنا نظرناه عليهما فتبدت للعين ألبستهما التى كانت مستورة بالثوب المذكور وكانت جميلة جدا وكانت ذات الخدر تلبس ثيابا حريرية بيضاء وقماشها بسيط للغاية والثانية لابسة ثوبا يضرب الى لون الفضة ظريفا وبسيطا أيضا

فلنأت الآن على وصف الضيفة الثالثة التى عرفنا أنها ذات خدر أيضا وهى كانت حسنة فى وقتها أما الآن فانها تبلغ نحو الخمسين من سنى الحياة ومع أن محياها وجسمها قد أقالهما العمر من عذاب الزى والزينة الا أنها كانت تحملهما هذه المشقة فقد كانت ألبستها وشعرها الممزوج بياضا فى غاية الترتيب ومنتهى الانتظام

وقد كنا فى القاعة مع الضيفان والوالدة وسائر أفراد العائلة فعرفتهن بالوالدة وتبادلن معها رسم السلام بالاشارة وقد فهمنا أن ذات الخدر المسنة تكون خالة الصبيتين الشقيقتين

وكانت السيدة ص . . . تشارك هذه العاجزة فى الترجمة باللغة الافرنسية فاخبرتنا الضيفات انه لم يمر على مجيئهن الى الاستانة الا ثلاثة أيام صرفن اليوم الاول فى الراحة من عناء السفر واليوم الثانى فى قبول زيارة أقربائهن وأحبابهن الساكنين فى دار السعادة واليوم فى التفرج على أسواق بك أوغلى ومخازنها بحيث اتضح لنا من افادتهن أنهن كن ينظرن الينا كانهن من عالم الترك ونسائهم

وفى خلال ذلك أخذت الشقيقتان تتكلمان معا باللغة الانكليزيه

فقلت خطابا للسيدة ص . . . اليك لقد تم الامر فانهما ستتكلمان باللسان الانكليزى بمعزل عنا ولذلك يلزم أن لا تجعلى لهما سبيلا بدركان أنك تفهمين اللسان المذكور

قالت كلا لاأتركهما يفهمان ولكن أرى أنهما بينما هما يتكلمان بالانكليزية خالتهما ملتزمة جانب الصمت فالظاهر أنها لا تعرف اللسان المذكور

فقلت لهما ماذا تقولان

قالت السيدة ص انهما قالتا اننا نعرف المعاملة الحسنة آه يا عزيزتى ألم أقل لك إنه يجب أن نلبس من آخر زى ثم نظهر أمامهن فلا نشك انهن سيحسبننا جاهلات لاندرك شيأ

وفى خلال ذلك التفتت البنت ذات البعل قائلة اننا كنا رجونا كن أن تكتسين ألبسة تركية فهل كان ثمة مانع لو أنكن قبلتن رجاءنا

فحينئذ التفتت الى ص قائلة بحيرة واستغراب (يا عجبا أيوجد أكثر من هذه الالبسة ألبسة تركية) وكادت تصرح عن فكرها وتلفظ هذه الكلمات بالانكليزية الا أنها لما كانت على مقربة منى وكان كلامها همسا وقد فطنت الى الزائرات اجتهدت فى تحويل الكلام الى الافرنسية ثم مزجته بالتركية فصار كلامها مركبا

من ثلاث لغات بحيث لايمكن لاحد أن يفهمه وعلى ذلك لم يشعر الزائرات بان أحدا منا يعرف اللسان الانكليزى وكان هو المطلوب

فقلت ان ألبستنا وأكسامنا هى تركية محضة

قالت ذات البعل لا يا عزيزتى ليست هى الاكسام التركية فاننا نرغب فى مشاهدة الاكسام المذكورة

قالت السيدة ص . . . كيف تكون الالبسة التركية تشيرين اليها

قالت ألا يوجد أثواب مذهبة

قلت الى ن خانم . . اذهبى يا صديقتى والبسى ثوبى المقصب الذى أعجبك منذ برهة وتعالى به ثم التفت الى ذات البعل وقلت ان السيدة ستلبس الثوب المذهب وتأتى به على الفور

قالت ذات البعل أشكركن كل الشكر ولعمرى إنكن عنوان الرقة

وما مر على ذلك غير برهة قصيرة حتى دخلت . ن خانم . مكتسية بثوبى المذهب غير أن زائراتنا لم يكن مطمئنات تمام الاطمئنان

قالت ذات البعل لا ليس مقصدنا هذا وانما نحن راغبات فى الاكسام التركية الصرفة

قالت ذات الخدر نعم الزى التركى ما أجمله

فقلت أيمكنكما أن تفهمانا ماهى الاكسام التركية التى ترغبانها وقد أعجبتكما وكيف يكون شكلها

قالت ذات البعل انها جاكيته (نوع ملبوس يصل للحزام فقط) قصيرة مطرزة بالذهب وقميص رفيع وشروال مقصب

فقلت لها الآن ترين هذا الزى

قالت السيدة ص ماذا تقولين من أين يمكنك ايجاد هذا الزى والظهور به

قلت الآن تنظرين

وحينئذ نهضت فاحضرت مجموعة الرسوم وقد كنت شاهدت فى الطريق امرأة مكتسية بصدرة مطرزة بالذهب وشروال مقصب فاخذت رسمها وقد فتحت المجموعة وعرضت على الزائرات الرسم المذكور وقلت أهذا هو الزى الذى تطلبينه فاجاب الزائرات الثلاث بصوت واحد

نعم نعم هذا هو بعينه وكنا نود أن نراكن وأنتن مكتسيات بمثل هذا الزى قلت أين رأيتن النساء اللاتى يلبسن هذه الازيا

قالت ذات البعل لم نشاهد المكتسيات به عيانا وانما رأين رسمهن فى باريز

قلت لها ففى مثل هذه الحال لا يمكنك هنا أيضا أن تشاهدى أكثر من ذلك

قالت ذات البعل لماذا لم يبق بين النساء التركيات من يكتسين بهذا الزى

فقلت لها كلا

قالت ذات الخدر وا أسفاه انه لزى جميل للغاية فاذا لا يتسنى لنا أن نشاهد فى دار السعادة من ربات هذا الزى

فقلت لها لا يمكن أن تشاهدن الا مثل هذا الرسم

قالت الخالة من هى صاحبة هذا الرسم

فقلت لا أدرى لقد رأيتها فى الطريق فأخذت رسمها

فقالت ذات البعل كأنما هى من ممثلات الروايات

قالت الخالة لا جرم انها كما أشرت

فقلت ان ممثلات الروايات عندنا جميعهن مسيحيات ففى مثل هذه الحال لا تكون هذه المرأة تركية وانما هى امرأة مسيحية

قالت ذات البعل انك فى باريز تنظر الى مثل هذه الرسوم كأنما هى من رسوم السيدات التركيات وتدقق كثيرا فى زينتهن ووجوههن فاذا يفهم من ذلك أن الزينة ليست بزينة تركية وذوات هاته الازياء لسن من السيدات التركيات

قلت أجل فكما أنه يمكن لاى الناس أن يرتسم بالزى الذى يرغب فيه هكذا أيضا بعض النساء المسيحيات يرتسمن بمثل هذه الازياء غير انى لا أدرى ماهو الزى الذى يلبسنه لانه على نحو ما تشاهدن فى هذا الرسم ترين على رأس صاحبته كفية من صنع البلاد العربية وعلى عاتقها صدرة من صدرات نساء الارناؤط وفى رجليها شروال والكرسى المنزل بالصدف الذى على قرب منها انما هو من صنع الشام والفنجان الموضوع عليه من متاع الهند والنارجيلة التى فى يدها لا أعرف حقيقة من استعمال نساء أية ملة من الملل أما شعرها فانه مقصوص على الزى الافرنجى وقد قص من أسفل على النسق الاوربى فاذا أمعنت النظر به حققت ذلك

قالت ذات البعل لا جرم أنه على الزى الافرنجى تماما فاذا كان هذا الزى لم يكن من الازياء التركية كذلك لم يكن هو زيا منه آخر فليس إلا زيا قد ركب من عدة أزياء "

ثم جاؤا الينا بصينية القهوة على العادة التركية وقد وضع الابريق فى السلسلة (أو السنبل) أو العازقى باللغة المصرية وهى مغطاة بمنديل فأعجب المسافرات بها كل الاعجاب واستأذننا فى معاينة كل قطعة منها على حدة وقد استحسن غطاء الصينية لانه كان مزركشا بالذهب وسألننا عن المحل الذى يباع به أباريق القهوة الفضية فهديتهن الى سوق الصاغة ثم بين لنا رغبتهن فى مشترى الاقمشة التركية وطلبن الينا أن نعرفهن عن الموضع الذى يباع به أحسنها فعرفتهن أن أقمشتنا متنوعة جدا وأوصيتهن أن يشترين من أقمشة بورسة أو الاقمشة العربية وقد صرفنا فى هذا الحديث قسما من الوقت وبعد ذلك فهمنا أن الشقيقتين هما ابنتا تاجر كثير الثروة وأن أمهما وأباهما فى باريز وان الاخت الكبيرة متأهلة من خمس سنوات وأن زوجها أيضا من مسلك والدها وان خالتهما تسكن مع والديهما وان ذات البعل تقيم فى بيت زوجها

قالت السيدة ص الى الخالة لماذا أنت لم تتأهلى

قالت هكذا كان نصيبى

فقالت لها أأنت لم ترغبى فى الزواج

قالت ان الزواج عندنا لا يخلو من الصعوبة

فقالت لها لاى سبب

قالت لمسئلة المهر (الدوته)

فقالت

فقالت ولكن أليس ان عدم الحصول على زوج بلا مهر انما هو مخصوص بغير الجميلات فاننا نسمع أن الجميلات يتزوجن بلا مهر

قالت نعم يتفق مثل ذلك ولكن غير الجميلات ذوات المهر كثيرا ما كن سببا فى حرمان الجميلات اللاتى لا مهر لهن من الازواج لانه لا تبقى واحدة منهن بلا زوج على حين أنه يندر وجود من يقترن بالجميلات الخاليات من المهر

فقالت لها ألم تقترن شقيقتك

قالت ذات البعل ان والدى أخذ والدتى عن حب ولقد كان يهوى أن يقترن بها ولو لم يكن لها مهر غير أن جدى دفع المهر بارادته وبعد تأهل والدى بست أو سبع سنوات أفلس جدى وكانت خالتى فتاة فى ذلك الوقت

قالت السيدة ص . وبعد ذلك ألم يتفق لها راغب على الاطلاق

قالت الخالة نعم تيسر ذلك وليس فقط أنه رغب فى الاقتران بى وانما حصل بيننا حب

فقالت السيدة ص ففى هذه الحالة لم يبق حكم لمسئلة المهر ولماذا لم تقترنى به

قالت لها انى أنقل اليك المسئلة من أولها فاقول بعد افلاس والدى كنت قطعت أملى من الزواج على الاطلاق ثم اتفق لى أن صادفت شابا غنيا بالمال والتهذيب والمعرفة محبا للعمل موافقا من سائر وجوهه قد اكتسب ثروة بكده واجتهاده فوقع فى قلب كل منا حب الآخر وهو الحب الطاهر الذى يتم به الزواج ولما كنت خالية من المهر اجتهدت كثيرا أن أتغلب على حبى وأنبذه ظهريا الا أن ما رأيته فيه من الميل القلبى الى الزواج قد ولد فى الجراءة على توطيد الآمال وتقررت المسئلة بيننا قطعيا كما أن والدى قد قبل بكمال الامتنان حسن نية هذا الشاب الذى سيقبلنى على علاتى خالية الوفاض من المال وثروته كافية لان أعيش فيها بكمال الراحة والهناء وكنا الى ذلك الوقت نعرف هذا الرجل انه ينتسب الى احدى العائلات من الايالات فلما حان الزمن الذى سيتقرر به زواجنا نهائيا اجتمع به والدى اجتماعا طويلا وتحادثا مليا وطلب منه ايضاحات عن أحواله وعن عائلته ففهم حينئذ أنه لا ينتسب الى عائلة معلومة وانما هو من الاولاد الطبيعيين (المنبوذين)

قالت السيدة ص . . وأسفاه ما أصعب ذلك اذا وجد الحب

قالت لها نعم انى كنت أحبه ولكن أيبقى موجب بعد ذلك لهذه المحبة ان معرفتى كونه ولدا منبوذا كافية لان تبعثنى على النفرة منه ولا يلزم الحب أكثر من هذا النفور

قلت لها وهل أمكن له أن يتناسى ذلك بمثل هذه السهولة

قالت كلا انه تأسف أسفا لا مزيد عليه وأصر كثيرا على الفرار بى الى بلد آخر حيث يقترن بى قائلا لى انه لا يتركنى أن أفتقر الى أى كان ما دامت عائلتى لا تقبله أما أنا فكيف يمكننى أن أرضاه فاننى اذا لم أفتكر بنفسى يجب أن أفتكر باولادى لاننى من حيث وضعتهم فى هذا العالم من أب منبوذ (نغل) سأبقى مخجولة أمامهم طول العمر وعندما افتكرت بأنى سأترك اسم عائلتى للانضمام الى رجل لا تعرف له عائلة ولا اسم لكى افتخر بالانتساب اليه رددته خائبا وأخبرته أننى لن أقترن به وانى صممت على أن لا أكلم رجلا فلست بمكلمته على الاطلاق

قالت السيدة ص هل تزوج هذا المنكود الحظ بعد ذلك بسوال قالت لم أعد أره بعد هاته الحادثة لانه زايل بار بقاصد او جهة أخرى ولا أدرى ما الذى جرى به أما أنا فحيث لم يكن عندى مهر (دوته) لم يتقدم لى طالب آخر وبعد فأنبئينى أنت ألا يوجد عندكم بنات متقدمات فى السن بلا ازواج

قالت لها لو دفع مليون من الدراهم لما وجد واحدة على الاطلاق فان القبيحات والفقيرات لا يكن قواعد فى البيوت

قالت ذات البعل انه يوجد عندكن مسئلة لا تخلو من الاشكال ألا وهى أن الرجال يستخدمون النساء كالجوارى

قلت ان ادارة البيت والانفاق على الزوجات عندنا انما هو من وظائف الرجال والنساء مهما كن مثريات فلسن مطالبات بالانفاق على البيت أما الرجل المقتدر فانه يستخدم فى بيته خادمة وطباخة واذا لم تتجاوز مقدرته حد خدمة نفسه فزوجته مروءة تقوم بخدمة البيت والا فان الرجل لا يستطيع أن يجبرها شرعا بذلك فقد اتفق فى أيام خلافة عمر أن رجلا من الاصحاب الكرام جاء الى دار الخلافة متظلما مشتكيا من زوجته فنظر عمر خارجا من حرمه وهو يتكلم بحدة فقال له (أى شئ حدث يا أمير المؤمنين) فأجابه عمر بقوله (ان حال النساء معلوم لا يحتاج الى ايضاح فزوجتى قد سببت لى هذه الحدة) وأنت ما الذى جاء بك الى هنا فأجابه انى أتيتك لاشكو اليك زوجتى أما وقد رأيتك على مثل هذه الحال فلا أرى محلا للشكوى فقال له عمر (صه لا يجب أن نرفع صوتنا فان نساءنا يقمن بادارة بيوتنا مع ان ذلك خارج عن وظيفتهن و يرضعن أولادنا ولسن مكلفات به فاذا أظهرنا هذه المسائل ينتج عنها ضرر لنا) فمن هذه القصة يتضح لك جليا أن النساء غير مطالبات ولا مكلفات شرعا بالخدمة

قالت ذات البعل أحسنت وانى سائلة منك سؤالا من عاداتكم أن الازواج عندما يدخلون على زوجاتهم فى غرفتهن ينظرون من داخل باب الغرفة فاذا رأى الزوج أن زوجته وضعت خفها أمام الباب يدخل الى الداخل حسبان أن ذلك اشارة على السماح له بالدخول وان لم ينظر الخف فيعود من حيث أتى

قالت السيدة ص . . . باللغة التركية أحسنت أن يكون ذلك من الغلط المأخوذ عن الفرجية الزرقاء

قالت ذلك ولم نستطع نحن الاثنتان من ضبط قهقهتنا أما السيدة ن . . . فلما كانت لم تعلم شيأ عن مسئلة الفرجية ولم تكن أحاطت علما بعبارة الخف التى أشارت اليها الزائرة التفتت الى قائلة ما الذى طرأ عليكما فأفهمتها القضية وحينئذ اشتركت معنا بالضحك وكان دوى قهقهتنا يملأ فضاء القاعة أما الزائرات فقد استغربن منا ذلك وقد لاحظت استغرابهن فقلت عفوا أيتها الزائرات انا لم نضحك من كلامكن وانما قد اتفق ان سبقت بيننا عبارة قبل مجيئكن مشابهة لعبارة صدرت منكن فكان ما كان من داعى الضحك ثم نقلت لهن مسئلة الفرجية الزرقاء وقلت انه كما يوجد بعض منا لا يكون لهن علم بأشياء واقعة فى بلادنا هذه الا يستبعد أن تتصل بكن معلومات مغلوطة عن كثير من الاشياء ولا جرم انه كلما بعدت المسافة كثر الوهم وزاد الغلط

قالت ذات الخدر المسموع عندنا أن النساء التركيات كلهن سمينات ينذر بينهن وجود الهزيلات فهل ذلك صحيح

قلت لها عجبا فما الموجب لذلك يا ترى

قالت

قالت يقال ان ذلك ناشئ عن احتجابهن وعدم خروجهن الى الاسواق الانادرا على انني مذ وصلت الى هذه العاصمة دققت كثيرا بنسائها فرأيت عكس ما سمعت أى ان السمينات بينكن قليلات جدا كما انى قد رأيت فى الطريق من بك أوغلى حتى وصلت الى الوابور كثيرا من النساء المستترات وفى الوابور أيضا يوجد نساء مستترات محتجبات

فقلت ان النساء عندنا لا ينحبسن فى البيوت وانما يمكن لهن أن يخرجن الى الاسواق فى أى وقت شئن وأن تشترى ماترغب

فقالت ذات البعل ان النساء التركيات هن أسيرات بأيدى أزواجهن فاننا نسمع أنهن لا يستطعن أن يعملن شيأ بدون اذن رجالهن

قلت لا جرم انه من وظيفة النساء فى أية ملة كانت أن يطعن أزواجهن على ان مثل هذه الوظائف هى عند المسيحيين أشد منها عند المسلمين لان صك النكاح عندكن انما يحرر مشروطا فيه أن تكون الزوجة فى كل حال تابعة لزوجها ومرتبطة به ففى مثل هاته الحال يحق للرجل أن يذهب بزوجته مجبرا الى أى محل شاء

قالت لا شك ولا ريب فى وجوب ذلك فانه من الامور الحسنة أن يكونا دائما مجتمعين

قلت فما قولك اذن فيما لو كان الزوج من عشاق السياحة وأراد الصعود توا الى القطب للاكتشاف أو كان ممن يميلون الى السياحة البحرية وأحب التوغل فى أعماق البحر على ظهر جارية تميل مع الارياح أو كان من المنطادين (البالونجيين) ورغب فى الصعود على طبقات الهواء

قالت ألا يحق للرجال عندكم اجبار النساء على الذهاب معهم

قلت يمكن لهم أخذهن الى الاماكن القريبة غير أنهم اذا كانوا قاصدين الاسفار الطويلة الشاسعة فالمرأة ذات الشهامة انما تذهب مع زوجها طوعا ومروءة لا غير واذا لم تذهب فلا تجبر وعندكم لا يجوز للمرأة أن تبيع شيأ من مالها الا باذن من الرجل أما نحن فان المرأة عندنا حرة مستقلة فى بيع واستهلاك ماتملكه

قالت الخالة كما سمعنا ان السيدات التركيات يلبسن الالبسة الافرنجية أكثر من الالبسة التركية وذلك ماحدانا الى الرجاء بأن تقبلننا وأنتن بالاكسام التركية أحقيق ذلك

قلت أجل ان أكثرهن على مثل ماوصفت

ثم التفتت ذات البعل الى البيانو قائلة أتعزفين بالبيانو (آلة موسيقية) فأجبت مشيرة الى السيدة ص .. ان هذه السيدة تحسن العزف أكثر منى بها لانها ادرسته نحو عشر سنوات

قالت لا جرم أن الضرب على هذه الآلة لا يمكن بأقل من عشر سنوات فقلت لها يمكن الضرب على البيانو بعشر سنوات على شريطة الاستمرار والتعود بلا انقطاع ولكن فى كم سنة يمكن حفظه تماما

قالت أما أنا فقد ابتدأت به منذ السنة السادسة من عمرى وها أنا ذا فى الثامنة والعشرين وقد مر على زواجى ست سنوات كنت الى ذلك العهد أى مدة ست عشرة سنة أعزف يوميا بهذه الآلة أربع ساعات وعندما تأهلت صرت أعزف به يومين فى الاسبوع وحتى الآن لم أتعلم البيانو أتعلمين ما المراد وما المعنى يعلم البيانو

قلت نعم ان علمي به قد حدانى الى صرف النظر عن تعلمه فما أكثر العازفين عددا وأقلهم معرفة تامة به لان علم البيانو انما هو علم يراد به معرفة الانغام من أول مرة بحسب أية نوطة كانت وسرعة عزفها والوصول الى هذا الحد من المعرفة لا يحصل بعدى عشر سنوات وان كانت متمادية وها نحن الآن نكلف هذه السيدة أن تضرب على الآلة فتنظرين انها تحسن الضرب جيدا ولكن ليكن معلومك ان الانغام التى ستطربنا بها قد كررتها على النوطة عدة مرات حتى أمكن لها الاجادة بها على ان المقصد من البيانو هو غير ذلك وما دام انه يوجد من يعزف البيانو فى هذا المجلس فالبيانو موجود والنوطة موجودة أيضا وفى هذا الحال يجب ضرب النغم على البيانو عند النظر الى النوطة لان مراجعة الانغام على النوطة عدة مرات وتكرار العزف بها لا يسمى عزفا ولا يترك فى المرء ميلا لسماعها أما أنا فانى عندما بدأت فى درس البيانو اشتغلت به أربع سنوات متوالية بمزيد الرغبة والاجتهاد وتعلمت النوطة بسرعة لا مزيد عليها وقد أخبرنى العارفون بالبيانو أن عزفى به كان حسنا وملذا غير أن وصولى الى الدرجة المقصودة حقق عندى ما يجب من المدة لبلوغ المطلوب فان تجربتى أرتنى أن أستاذى لم يتوفق الى هذا الامر فحملت ذلك على عدم كفاءته واستبدلته باستاذ طائر الشهرة فى هذا الفن وأول عمل بدأت به انى فتحت امامه نوطة لم يكن له بها عهد سابق فلم يحسن نغمها الا بعدان كررها ثلاث مرات فعدلت عن التحرى على أستاذ آخر ولكن أخذوا يستغربون عملى و يقولون انه لا يمكن الحصول على أستاذ أعرف منه فاخبرتهم بمطلوبى فانبؤنى انه قد يمكن أن يوجد فى دار السعادة شخص أو شخصان من الطرز المطلوب وعلمت من نتيجة تحقيقاتى أن مع الاستعداد التام والاستمرار على العزف يوميا أربع أو خمس ساعات يمكن تعلم البيانو فى خلال خمس عشرة سنة من حياتى على تعلم هذه الآلة تأسفت على التعب الذى نالنى فى مدة أربع سنوات وضربت صفحا عن درس البيانو فالآن صرت اذا رأيت نغما أعجبنى أفتح النوطة ولا أتمكن من اتقانه الا بعدان أكرره لا أقل من خمس عشرة مرة فهل ذات الخدر تحسن العزف بالبيانو

قالت ذات البعل نعم تعرف أن تعزف به ولكنها لم تصل بعد الى درجتى بل يلزمها وقت أيضا

قلت تلطفى وأسمعينا قليلا من أنغامك اللطيفة

فنهضت ذات البعل وجلست الى البيانو و رفعت غطاءه وبعدان نظرت الى العلامة التى فى داخله قالت انه بيانو باريزى لا جرم ان أحسن أجناسه انما تصنع فى باريز غيران فى بعض الجهات فى أوربا يصنعون منه جنسا حسنا ما أمكن ولقد نظرت فى حوانيت بك أوغلى كثيرا من هذه الآلات التى تنتسب الى عدة أماكن فسألت عما اذا كان يوجد من صنع هذه البلاد فأخبرونى انه لا يوجد فتعجب ولاجل ذلك أسألك ألا يصنعون عندكم من هذه الآلات

فقلت لها كلا فان المعامل عندنا لم تترق الترقى المطلوب الى هذا الحد ولقد كانت هذه الاشياء فى الازمنة السالفة ترسل من الشرق الى أوربا فانعكس الموضوع وأصبحت ترد الى الشرق من أوربا

قالت هل ان البيانو أرسل الى أوربا من الشرق

قلت معلوم أن شارلمان كان أرسل بعض الهدايا الى هرون الرشيد و بالمقابلة أهداه هرون الرشيد ساعة (وأرغون) و بعض الاقمشة النفيسة بحيث لما وصلت الى أوربا كان لها عند الاهالى وقع أشبه بالامور السحرية فكما ان الشرقيين يقلدون الاوربيين فى هذه الايام هكذا كان شارلمان فى عصره يقلد الدولة

العباسية بعلومها ومعارفها الا انه لم يتوفق الى ذلك ولا يخفى ان الارغون الذى يعزف به فى كنائس أوربا فى الوقت الحاضر انما ورد اليها من بغداد فى الازمنة السالفة أما البيانو فليس الا فرعا منه

قالت يا عجبا أيصنع الى الآن (أرغون) فى بغداد

فقلت كلا فانه ليس فى بغداد حتى ولا من يعرف ماهو الارغون

قالت ان ثروة البلاد انما تحصل بترقى مثل هذه الصنائع والمعارف .

قلت ان العلوم والمعارف والصنائع انما هى مع المدنية نظير اللازم والملزوم تترقى بنسبة ترقى المدنية اما المدنية فهى نظير سائح يطوف العالم مصحوبا بالعلوم والمعارف وسائر أنواع التجملات واللطائف ففى الازمنة المتوغلة فى القدم جالت فى مصر وبابل ومرت فى طريقها على البلاد اليونانية حتى اذا سقطت هذه البلاد وصارت خرابا سارت الى الاسكندرية وأشرقت أنوارها فى حكومة الملوك البطالسة وزادت أيام ازهارها ونقا وبهاء ثم ذهبت فى أيام الدولة العباسية الى العراق وألقت عصا التسيار فى بغداد مستعيضة بها عن بابل ثم سرت أشعة عمرانها الى ايران وتركستان وفى خلال ذلك امتدت من جهة الى العرب فحلت فى الاندلس ثم وردت على أوربا فاشرقت فيها اشراقا وكان الحكماء المسلمين أخذوا العلوم الحكمية عن اليونانية وأضافوا محصول أفكار الحكماء اليونانيين على اختراعاتهم فوصلوا بالعلوم الى درجة هى من الرفعة والتقدم بمكان عال هكذا فعل الاوربيين فانهم رأوا محصول مساعى العرب حاضرا مهيأ فصرفوا اليه أفكارهم وغاياتهم ورفعوا بجدهم شأن العلوم والمعارف الى درجة تحير العقول وتسحر الالباب وفى الوقت الحاضر يوجد سهولة كلية للاستفادة من محصول مساعى الاوربيين المشاهدة عيانا لاجل انتشار العلوم والصنائع عندنا

قالت اذا كان الواقع هكذا يلزم الاعتصام باصدقائكم القدماء

قلت لاشك انسا راغبون فيهم فى حضرة سلطاننا الحالى فانه منذ جلوسه الهمايونى قد تقدمت المعارف والصنائع فى بلادنا تقدما خارقا للعادة ولا نرتاب انه فى وقت قريب نرى المعارف والصنائع اجمالا بحالتى الكمال والاتقان ولا جرم أن مجىء السواح من أصحاب المعارف نظيركن انما هو علامة بينة على ما تقدم

قالت ذات الخدر اذا حسن لديك اعطنا نوطة يروق لديك نغمها وشقيقتى تعزف فيها البيانو

فلبيت الطلب وأتيتها بنوطة مخصوصة (بالاوبرا) فاخذتها ذات البعل ولحنتها على البيانو باحسن تلحين أطربنا وأدهشنا ولعمر الحق انى الى هذا العهد ما كنت سمعت بمثل عزفها وقد كانت كلما جئناها بنوطة تبادر الى تلحينها فى الحال فتحققت من ذلك انها بلغت فى هذا الفن الدرجة المطلوبة ثم أطربتنا بايقاع بعض الالحان المحفوظة فى ذاكرتها فجعلتنا حيارى من مهارتها ثم أخذت الشقيقتان تعزفان على البيانو بوقت واحد أى باربع أيد مما يقال له بالافرنسية (كاترمن) فاطربتنا أيما اطراب وشهدنا للذات الخدر انها من البارعات جدا فى هذا الفن

فقلت لهما ناشدتكما الله أن تعفيانا من الايقاع على البيانو بعد هذا الذى سمعناه

قالت ذات البعل اذا حسن أطربتنا ببعض الانغام التركية فقلت لها لا بأس انا نلحن بعض الالحان التركية واذا شئت بآلة تركية

قالت أكون ممتنة للغاية

وبعد أن وقعت السيدتين صون كل منا بفصل على البيانو من الانغام التركية نهضت احدانا الى العود

والثانية للكمنجة والثالثة للقانون فوقع على هاته الآلات فحينئذ سألتنا ذات البعل وشقيقتها عما اذا كان يمكن ايقاع الالحان الافرنجية على العود والقانون مثل الكمنجة التي تلحن في هذه الالحان فاجبتهما ان ذلك ممكن على أن عند الوصول الى نغمة سريعة تنفرد الكمنجة في الايقاع وبناء على ذلك أخذنا لحن بعض القطع الافرنجية الممكن تلحينها ثم نهضت الى البيانو ووقعت عليه بالاشتراك مع السيدة ن التي كانت توقع على الكمنجة قطعا افرنجية فقطعنا على هذه الصورة مرحلة من الوقت وبعد مناولة الطعام أحضرنا للضيفات أثمارا محلية وجبنا محليا وزيتونا ومقددات وغيرها من الاشياء المسماة عندنا فهوة ألتي فاستحسن جبننا كل الاستحسان وأنبأتنا ان مربياتنا مصنوعة على النسق الاوربي تماما وجملة القول أنهن تناولن منها بكمال الشكر والتقدير فجعلننا ممتنات منهن امتنانا لامزيد عليه ثم طفنا بهن في الحديقة وخضنا عباب الحديث المعقود بأهداب الولاء فلما أزفت الساعة الحادية عشرة موعد مجيء الوابور تناولت كل منهن قبعتها وسترتها وكانت الشقيقتان في خلال الحديث تتكلمان في اللغة الانكليزية أحيانا وكان كلامهما يتعلق بالثناء علينا وبيان امتنانهما منا فالحمد لله ان كلامهما لم يكن علينا الان سماع المذمة مواجهة مما لاتصبر عليه النفوس الابية ولما كان احترام الضيف دينا واجبا كان عدم مقابلة احترامها بالمثل مما يؤثر في قلوبنا كل التأثير وقد تصورت السيدة ص ... أن تبدي امتنانها للضيفات بلهجة انكليزية فصحى غير أن نسترها في أثناء الاجتماع منعها عن ايفاء هذا الواجب لعلمها ان التظاهر بمعرفة الانكليزي بعد التجاهل به لا يكون مشكورا وقد صرفنا ذاك النهار بالسرور والانشراح فاننا قطعنا قسما منه أي من الصباح الى الظهر بمنتهى مايكون من الحبور حتى اذا جاءت السائحات الافرنجيات صرفنا القسم الباقي على نغمات الالحان فكان ذلك من الطف الصدف أما السيدتان ص . ون . فانهما بقيتا تلك الليلة عندنا لانهما من جهة لم يريدا ترك تلك الجمعية ومن جهة أخرى لم يتيسر لهما وابور بعد ذهاب الضيفات فصرفنا تلك الليلة كما صرفنا ذاك النهار بغاية مايمكن من امرار الوقت بالسرور وقد كنا في أثناء حديثنا مع الضيفات الموحى اليهن بينا لهن ان سنصرف ليلة لطيفة مع رفيقاتنا المذكورات ثم قالت السيدة ن ان طالعنا اليوم فتح بالزهو والمسرات فهل من ساعة أشرف منها فقلت لها لاجرم اننا لو قصصنا حوادث هذا النهار على أحد المنجمين لأنبأنا ان طالعنا اليوم في برج الدلو من البروج الهوائية ولكان أفاض في بيان ان السعد يتناظر في بيت شرفه مع عطارد وان السعد الاكبر ناظر اليه بعين المودة والولاء والى غير ذلك من الاصطلاحات الفلكية لاجرم ان هاته الاشياء انما هي اتفاق حسن فنسأل الله ان يحفظنا من الصدف المعكوسة والمنكوسة وحقيقة ما يقال أخيرا اننا صرفنا هذا النهار والحمد لله على أحسن حال من الزهو والسرور (انتهى)

﴿ فاطمة بنت الامير أسعد الخليل ﴾

هي بنت الامير أسعد الخليل أحد أمراء الشيعة القاطنين في جبل عامل من أعمال سورية وهو من كبراء (عائلة علي صغير) ولدت سنة ١٢٥٦ من الهجرة وتوفي والدها وهي صغيرة جدا فتولى تربيتها شقيقها الامير محمد بك الاسعد فلما بلغت سن التعليم سلمها للمعلمين لتدرس العلوم فتلقت جملة علوم في أقرب وقت وكانت ذات عقل وفطنة ونباهة وكياسة فحفظت القرآن الشريف ودرست التفاسير الجمة وأخذت

الدروس الفقهية على أشهر العلماء الشيعية ودرست النحو والصرف والبيان حتى فاقت نساء عصرها وأهل جلدتها فذاع صيتها فى الافاق ولما بلغت الثامنة عشرة من سنيها تقدم اليها الامير على بيك الاسعد بالخطوبة فأنعم له شقيقها بها

وكان الامير المذكور حاكما على بلاد بشارة ومحل اقامته قلعة تبنين التى هى قاعدة بلاد بشارة وتلك القلعة بناها هيوسنت أومر صاحب طبرية سنة ١١٠٧ وجعلها معقلا لغزو صور وما يليها وهى على مرتفع صعب المرتقى فى وسط بقعة خصبة وعامرة بين الجبال تكثر فيها الكروم والثمار والغابات ويسميها الافرنج طورون وكانت حصنا منيعا مهما وسمى بها عائلة أصحابها وسنة ١٥٥١ أقيم هونفردى صاحب تبنين عاملا للملك بلدوين الثالث وقد فتح هذه البلاد صلاح الدين الايوبى سنة ١١٨٧ الموافقة لسنة ٥٨٣ هجرية) وذلك انه قد سير اليها ابن أخيه تقى الدين ففتحها وأخرج الافرنج منها وسنة ٥٩٤ كانت تبنين بيد الملك العادل بن صلاح الدين فرحل اليها الافرنج وحاصروها وقاتلوا من بها وجدوا فى القتال ونقبوا الحصن من جهاتهم فلما رأى من بالقلعة ذلك خافوا على أنفسهم وأموالهم فنزل بعضهم يطلب الامان على أنفسهم وأموالهم ليستلموا القلعة فقال لهم بعض الافرنج ان سلمتم استأسركم صاحب الجيش وقتلكم فعادوا وأصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمى نفسه وكان الملك العادل قد كاتب أخاه الملك العزيز بمصر فسار مجدا حتى وصل الى عسقلان فلما علم الافرنج ذلك وان ليس لهم ملك أرسلوا الى ملك قبرص وزوجوه ملكتهم وكان هذا محبا للسلم فكف عن حصار تبنين ثم اصطلحوا مع الملك العادل وتعاقبت الملوك والامراء على تملك تلك القلعة مدة مديدة حتى تملكها أمراء بيت على صغير المذكورين الذين منهم الامير على بيك الاسعد وكانت السيدة فاطمة من تلك العائلة وانهم كانوا فى ذلك الوقت يحافظون على نسبهم الشريف من أن يخلطوا به نسب آخر من عامة الناس ولا يزوجون الا لبعضهم البعض وكان الامير على بيك الاسعد اذ ذاك كبير تلك العائلة مقاما ورفعة وهو الحاكم الوحيد على بلاد بشارة من قبل الدولة العلية وكان مشهورا بالكرم وحسن السياسة ومتصفا بالعدل فى أحكامه ولما زفت اليه السيدة فاطمة نقلها من (الطيبة) التى هى بلد والدها ومسقط رأسها ومنبت صباها ومهد طفوليتها الى تبنين فشق ذلك على شقيقها محمد بيك الاسعد وعلى أهلها وأهل بلدتها لانها كانت محسنة الى الفقير من أهل البلد ومعينة للمسكين وعائدة للمريض وكان يحبها كل من فى تلك البلدة وكان شقيقها يعتمد عليها فى بعض الآراء الادارية وغيرها على صغر سنها

ولما انتقلت الى تبنين نالت بحسن آدابها وكمال عقلها ورقة لطفها ونضارة جمالها حظوة عظيمة عند زوجها حتى ملكت زمام الامور فضلا عن تملكها فؤاد زوجها وتقلدت ادارة الاشغال المنزلية وفازت على كل نسائه وأهل ذلك النادى فلما رأى منها على بيك ذلك الحزم والعزم الذى يفوق حزم أعاظم الرجال أحب مشاركتها فى الاحكام واعتمد على آرائها السديدة فتعاطت الاحكام مع زوجها وشاركته بالرأى وحكمت وعدلت فى حكمها بين الناس حتى أحبها الكبير والصغير والغنى والفقير ولم يغير هافى مركزها الحقيقى ما صارت اليه من الدولة والسلطة عن حبها الفعل الخير والاحسان الى الفقراء كما كانت تفعل فى بيت أبيها بل جعلت فى دارها محلا مخصوصا لتربية الاولاد اليتامى وأولاد السبيل وشهرت بفعل الخير وقصدها المضطرون ولجأ اليها الخائفون وكل ذلك لم يبذل لها حجاب بل كانت تتعاطى الاحكام من

وراء الحجاب وتنظر فى الدعاوى داخل الحجاب وكان كل من فى ديوان الامير على بيك يعجبون بآرائها وسمو أفكارها الدقائق من الامور الغامضة من الاحكام الشرعيـة ولم تزل كذلك الى سـنة ١٢٨١ هجرية وكان البيك المومى اليه قد تأخر عليه شئ من الاموال الاميرية لان كرمه الحاتمى كان يضطره الى ذلك حيث انه كان فى دولة عظيمة وكان إذا ركب يركـب معه فوق المائتى فارس من حشمـه وذلك خلاف الخدم والسـياس والعمال والطباخين والفراشين ومايتبع دائرة الحريم من وكلاء وخدم وطباخين وغـير ذلك وكان فى قلعـة تبنين محل للضيوف يسع الفى شخص وفيـه من المفروشات والاثاث مايليق بذلك القصر الفاخر كل غرفة بما يلزم لها لراحة الضيوف وله فراشون مختصون لخدمة الضيوف فقط والطباخون كذلك غير الذين يخدمون المقيمين من العائلة وكل هؤلاء الاتباع لهم الرواتب من دائرة الامير المومى اليـه وكانت تأتى الشعراء والطالبون من كل صوب وهو لا يرد أحدا بدون جائزة وتفد اليه الزائرون من كل المدن الشهيرة من كبار المتوظفين وغيرهم يمضون عنـده فصل الصيف فى القلعة لحسن هوائها وطيب مركزها وخصب تربة تلك الاراضى والجبال النضرة وقد كان له حساد وأعداء من أقرب الناس اليه قد أضمروا له الضغينة وألقوا الدسائس حسدا منهم لما ناله من المجد والرفعة وعملوا على القاء القبض عليه ومحاسبته على الاموال الاميرية فحوسب فى مدة ثمانية شهور وهو تحت الحجز وظهر طرفه مبالغ جسيمة فقامت السيدة فاطمة فى أثناء ذلك باعباء هذا الحمل الثقيل وتدبرت الاموال المطلوبة من بعلها وقد جمعتها من مالها وأموال عائلتها وباعت حليها وحلى كل امرأة فى دائرتها حتى تمكنت من سـداد تلك الاموال المطلوبة وكانت تفعل ذلك بكل حزم يفوق شهامـة الرجال وصدر الامر بخلاصه فى أواخر سنة ١٢٨١ هجرية وبعـد ذلك أراد الرجوع الى وطنه من محل ما كان محجورا عليه وهى قلعة دمشق الشام فدخلت سنة ١٢٨٢ هجرية التى جاء فيها الوباء العام المشهور (بالكوليرة) وهنالك قبل انتقاله الى وطنـه أصيب بالكوليره بدمشق الشام ومكث ثلاثة أيام وتوفاه الله تعالى وكان برفقته أخوها الامير محمـد بيك الاسـعد فأصيب الامير أيضا بهذا الداء ولحق بابن عمه وكانت وفاتهما فى أسبوع واحد تاركين لآلهما الحزن الطويل فكانت نكبة عظيمة على السيدة فاطمة المذكورة ونكبت تلك العائلة أيضا بوفاة أميرها فلازمت المترجمة الاحزان والاكدار بسبب فقد بطليها الزوج والاخ فى آن واحد وانقطعت الى (الزريرية) وهى مزرعة من مزارع زوجها فاقتسمت ما يخصها ويخص بناتها الثلاثة لانها كانت ولدت له جملة أولاد من ذكور واناث فلم يعش لها الا هؤلاء الثلاث بنات وكان للامير على بيك أولاد من غيرها ذكور واناث أيضا فضمتهم جميعا بحسن ادارتها الى بعضهم وقسمت عليهم الارض بحسب الفريضة الشرعيـة بدون أن تجعل للحكومة مدخلا فى ذلك وشرعت فى بناء دار لكل من أولادها وأولاد زوجها للسكنى وأرضت الكل بحسن تدبيرها وسداد رأيها وأتمت ذلك البناء على ما أحب الاولاد

وخصصت من مالها شيأ مخصوصا لتربية اليتامى وفك كرب المكروب وقسمت وقتها بين سكناها (بالزريرية) (والطيبة) عند شقيقها الاصغر الامير خليل بيك الاسعد ولم تزل حفظها الله على هذه السجايا الحسنة الى الآن يضرب بها المثل فى تلك الاصقاع

ولها فى الشعر شئ قليل وأما فى النثر فيشهد لها اليراع وتنطق لها الطروس

﴿ فكيهة جارية أحيحة بن الجلاح ﴾

كانت أحسن الناس صوتا فى زمانها وأعلمهم فى ضروب الغناء وأنواعه وكانت قينات المدينة يأخذن عنها فنون هذا العلم ومن حسن صوتها قد افتتن بها كثير من النساء والشبان ولها حكاية مع تبع لطيفة نذكرها لحسن موقعها وثبات جاش تلك الجارية وهى ان تبعا أبا كرب بن حسان بن سعد الحميرى كان سائرا من اليمن يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل قبله فمر بالمدينة فخلف بها ابناله ومضى حتى قدم الشام ثم سار من الشام حتى قدم العراق فنزل بالمشقر فقتل ابنه غيلة بالمدينة فبلغه وهو بالمشقر فكر راجعا الى المدينة وهو يقول

يا ذا المعاهد لا تزال ترود * رمد بعينك عادها أم عود
منع الرقاد فما أغمض ساعة * نبط بيثرب آمنون قعود
لا تستقى بيديك ان لم تلقها * حربا كأن أشاءها مجرود

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مجمع على خرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبى الذرية فنزل بسفح أحد فاحتفر بها بئرا وهى البئر التى يقال لها الى اليوم بئر الملك ثم أرسل الى أشراف أهل المدينة ليأتوه فكان فيمن أرسل اليه زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد وكانوا يسمون الازياد وأحيحة بن الجلاح فلما جاء رسوله قال الازياد انما أرسل الينا ليملكنا على أهل يثرب فقال أحيحة والله مادعاكم لخير وقال ليت حظى من أبى كرب ان يرد خبره حبله فذهبت مثلا فخرجوا اليه وخرج أحيحة ومعه فكيهة جاريته وخباء وخمر فضرب الخباء وجعل فيه الجارية والخمر ثم خرج حتى استأذن على تبع فاذن له وأجلسه معه على زربية تحته وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة فجعل يخبره عنها وجعل تبع كلما أخبره عن شئ منها يقول كل ذلك على هذه الزربية يريد بذلك تبع قتل أحيحة ففطن أحيحة انه يريد قتله فخرج من عنده فدخل خباءه فشرب الخمر وقرض أبياتا وأمر فكيهة ان تغنيه بها وجعل تبع عليه حرسا والابيات هى

يشتاق شوقى الى فكيهة لو * أمست قريبا ممن يطالبها
لتبكنى قينه ومزهرها * ولتبكنى قهوة وشاربها
ولتبكنى ناقة اذا رحلت * وغاب فى سردح مناكبها
ولتبكنى عصبة اذا جمعت * لم يعلم الناس ما عواقبها

فلم تزل فكيهة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته فلما نام الحرس قال لها انى ذاهب الى أهلى فسدى عليك الخباء فاذا جاء رسول الملك فقولى هو نائم فاذا أبوا الا أن يوقظونى فقولى قد رجع الى أهله وأرسلنى الى الملك برسالة فان ذهبوا بك اليه فقولى له يقول لك أحيحة اغدر بقينة أودع ثم انطلق فتحصن فى أطمه الضحيان وأرسل تبع من جوف الليل الى الازياد فقتلهم على قفارة من قفار تلك الحرة وأرسل الى أحيحة ليقتله فخرجت اليهم فكيهة فقالت هو راقد فانصرفوا وترددوا عليها مرارا كل ذلك تقول هو راقد ثم عادوا فقالوا لتوقظنه أو لندخلن عليك قالت فانه قد رجع الى أهله وأرسلنى الى الملك برسالة فذهبوا بها الى الملك فلما دخلت عليه سألها عنه فاخبرته خبره وقالت يقول لك اغدر بقينة أودع فذهبت كلمة أحيحة هذه مثلا فجرد له كتيبة من خيله ثم أرسلهم فى طلبه فوجدوه قد تحصن فى أطمه فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار ويرميهم

بالنبل والحجارة ورمى اليهم بالليل بالتمر فلما مضت الثلاث رجعوا الى تبع فقالوا تبعثنا الى رجل يقاتلنا بالنهار ويضيفنا بالليل فتركه وانصرف

﴿فريدة مولاة آل الربيع﴾

هى مولدة نشأت بالحجاز ثم وقعت الى آل الربيع فعلمت الغناء فى دورهم ثم صارت الى البرامكة فلما قتل جعفر بن يحيى ونكبوا هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها ثم صارت الى الامين فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجها السندى بن الحرشى وماتت عنده ولها صنعة جيدة منها فى شعر الوليد بن يزيد

ويح سلمى لو ترانى * لعناها ما عنانى
واقفا فى الدار أبكى * عاشقا حور الغوانى

ومن صنعتها أيضا

ألا أيها الركب النيام ألا هبوا * نسائلكم هل يقتل الرجل الحب
ألا رب ركب قد وقفت مطيهم * عليك ولولا أنت لم يقف الركب

﴿فريدة جارية الواثق﴾

كانت لعمرو بن بانة وهو أهداها الى الواثق وكانت من الموصوفات المحسنات وكانت حسنة الوجه حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم وتزوجها المتوكل بعد الواثق وقال صاحب الاغانى عن محمد بن الحرث انه قال كانت لى نوبة فى خدمة الواثق فى كل جمعة اذا حضرت ركبت الى الدار فان نشط الى الطرب أقمت عنده وان لم ينشط انصرفت وكان رسمنا ان لا يحضر أحدنا الا فى نوبته فانى لفى منزلى فى غير يوم نوبتى اذ أرسل الخليفة من هجموا على وقالوا الى أجب أمير المؤمنين فقلت هذا اليوم لم يحضرنى أمير المؤمنين قط لعلكم غلطتم فقالوا الله المستعان لا تطول وبادر فقد أمرنا ان لا ندعك تستقر على الارض فداخلنى فزع شديد وخفت ان يكون ساع قد سعى بى أو بلية حدثت فى رأى الخليفة على فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار فذهبت لأدخل على رسمى من حيث كنت أدخل فمنعت وأخذ بيدى الخدم فادخلونى وعدلوا بى الى طرق لا أعرفها فزاد ذلك فى جزعى وغمى ثم لم يزل الخدم يسلموننى من خدم الى خدم حتى أفضيت الى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب ثم أفضيت الى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك واذا بالواثق فى صدره على سرير مرصع بالجواهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب والى جانبه فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفى حجرها عود فلما رآنى قال جودت والله يا محمد الينا الينا فقبلت الارض ثم قلت خيرا يا أمير المؤمنين قال خيرا ترى أما تنتظر ما نحن فيه أنا طلبت والله ثالثا يؤانسنا فلم أر أحق منك فبحياتى بادر فكل شيأ من الطعام وبادر الينا فقلت قد والله يا سيدى أكلت وشربت أيضا قال فاجلس فجلست وقال هاتوا لمحمد رطلا فى قدح فاحضر ذلك ثم قال الفريدة غنى فغنت

أهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن مل ء عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل أنها * قلتك ولا ان قل منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر وجعل الواثق يجاذبها وفى خلال ذلك تغنى الصوت بعد الصوت وأغنى أنا فى خلال

غنائها فرأينا أحسن ما مر لاحد فانا كذلك اذ رفع رجله فضرب صدر فريدة بها ضربة تدحرجت من أعلى السرير الى الارض وتفتت عودها ومرت تعدو وتصيح وبقيت أنا كالمنزوع الروح ولم أشك ان عينه وقعت الى وقد نظرت اليها ونظرت الى فاطرق ساعة الى الارض متحيرا واطرقت أتوقع ضرب العنق فانى لكذلك اذ قال يا محمد فوثبت فقال ويحك أرأيت أغرب مما تهيأ علينا فقلت يا سيدى الساعة والله تخرج روحى فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله فما كان سبب الذنب قال لا والله ولكن فكرت أن جعفرا يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هى قاعدة معى فلم أطق الصبر وخامرنى ما أخرجنى الى ما رأيت فسرى عنى وقلت بل يقتل الله جعفرا ويحيا أمير المؤمنين أبدا وقبلت الارض وقلت يا سيدى الله الله ارحمها ومر بردها فقال لبعض الخدم الوقوف من يجيء بها فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفى يدها عودها وعليها غير الثياب التى كانت عليها اقبل فلما رآها جذبها وعانقها فبكت وجعل هو يبكى واندفعت أنا بالبكاء فقالت ما ذنبى يا مولاى وبأى شيء استوجبت هذا فاعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى وهى تبكى أيضا فقالت سألتك بالله يا أمير المؤمنين الا ضربت عنقى الساعة وأرحتنى من هذا الفكر وأرحت نفسك من الهم بى وجعلت تبكى وهو يبكى ثم مسحا أعينهما ورجعت الى مكانها وأومأ الى الخدم الوقوف بشيء لا أعرفه فمضوا وأحضروا أكياسا فيها دراهم ودنانير ورزما فيها ثياب كثيرة وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقدا ما رأيت قط مثل جوهره فالبسها اياه وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدى وخمسة تخوت فيها ثياب وعدنا الى أمرنا والى أحسن مما كنا فلم نزل كذلك الى الليل ثم تفرقنا وضرب الدهر ضربه وتقلد المتوكل فوالله انى لفى منزلى بعد نوبتى اذ هجم على رسل الخليفة فما أمهلونى حتى ركبت وصرت الى الدار فادخلت والله الحجرة بعينها واذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثق على السرير بعينه والى جانبه فريدة فلما رآنى قال ويحك أما ترى ما أنا فيه من هذه أنا منذ غدوة أطالبها بان تغنينى فتأبى ذلك فقلت لها يا سبحان الله أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر بحياتى غنى فعرفت والله انه تم التفاؤل ثم اندفعت تغنى

مقيم بالمجازة من قنونا * وأهلك بالاجيفر فالثماد

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

ثم ضربت بالعود الارض ورمت بنفسها عن السرير ومرت تعدو وهى تصيح واسيداه فقال لى ويحك ماهذا فقلت لا أدرى والله يا سيدى فقال فما ترى فقلت أرى أن أنصرف أنا وتحضر هى ومعها غيرها فان الامر يؤول الى ما يريد أمير المؤمنين قال فانصرف فى حفظ الله فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة

وقال محمد بن عبد الملك سمعت فريدة تغنى

أخلاى بى شجو وليس بكم شجو * وكل امرئ مما بصاحبه خلو

أذاب الهوى لحمى وجسمى ومفصلى * فلم يبق الا الروح والجسد النضو

وما من محب نال ممن يحبه * هوى صادقا الا سيدخله زهو

بليت وكان المزح بدء بليتى * فأحببت جهلا والبلايا لها بدو

وعلقت من يزهو على تجبرا * وانى فى كل الخصال له كفو

قال فما سمعت قبله ولا بعده غناء أحسن منه وقال عمرو بن بانة غنيت امام الواثق يوما

قلت خلى فاقبلى معذرتى * ما كذا يجزى محب من أحب

فقال لى تقدم الى الستارة فألقه على فريدة فالقيته عليها قالت هو خلى أو خل كيف هو فعلمت انه اسألتنى عن صاحبة لها اسمها خل وكانت ربية معها وأخفت ذلك عن الواثق
وبقيت مدة فى دار خلافة الواثق حتى ماتت عنده

﴿فضل المدنية﴾

كانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المنورة فازدادت طبقتها فى الغناء وأخذ عنها جملة من المغنين ولها أصوات حسنة مذكورة بالاغانى وبقيت بالمدينة الى أن ماتت بها

﴿فضل الشاعرة﴾

كانت فضل جارية مولدة من مولدات البصرة وكانت أمها من مولدات اليمامة بها ولدت ونشأت فى دار رجل من عبد القيس وباعها بعد ان أدبها وخرجت واشتريت وأهديت الى المتوكل وكانت هى تزعم أن الذى باعها أخوها وان أباه وطئ أمها فولدتها منه فأدبها وخرجها معترفا بها وان بنيه من غير أمها تواطؤا على بيعها وجحدها ولم تكن تعرف بعد ان أعتقت الا بفضل العبدية وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة فى قول الشعر ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها
قال أحمد بن أبى طاهر كانت فضل الشاعرة مع رجل من النخاسين بالكرخ يقال له حسنويه فاشتراها محمد ابن الفرج أخو عمر بن الفرج الراجحى وأهداها الى المتوكل فكانت تجلس للرجال ويأتيها الشعراء فالقى عليها يوما أبو دلف القاسم بن عيسى

قالوا عشقت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت فضل مجيبة له

ان المطية لا يلذ ركوبها * مالم تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أصحابه * حتى يؤلف للنظام بثقب

ولما دخلت على المتوكل يوم أهديت اليه قال لها أشاعرة أنت قالت كذا زعم من باعنى واشترانى فضحك وقال أنشدينا شيأ من شعرك فانشدته

استقبل الملك امام الهدى * عام ثلاث وثلاثينا
خلافة أفضت الى جعفر * وهو ابن سبع بعد عشرينا
انا لنرجو يا امام الهدى * أن تملك الناس ثمانينا
لاقدس الله امرأ لم يقل * عند دعائى لك آمينا

فاستحسن الابيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم وأمر عريب فغنت فيها
وكان المعتمد بن المتوكل عرضت عليه جارية وهو صغير فى خلافة أبيه فاشتط مولاها فى السوم فلم يشترها وخرج بها مولاها الى ابن الاغلب فبيعت هنالك ولما ولى المعتمد الخلافة سأل عن خبرها فقيل له انها بيعت وأولدها مولاها الذى اشتراها فقال لفضل قولى فيها شيأ فقالت

علم الجمال تركتني * في الحب أشهر من علم
ونصبتني ياخيتي * غرض المظنة والتهم
فارقتني بعد الدنو فصرت عندي كالحلم
لو أن نفسي فارقت * جسمي لفقدك لم تلم
ما كان ضرك لو وصلت فخف عن قلبي الالم
أولا فطيفي في المنا * م فلا أقل من اللمم
صلة المحب حبيبه * الله يعلمه كرم

وكتب محمد بن العباس اليزيدي يوما لها هذه الابيات

أصبحت فردا هائم العقل * الى غزال حسن الشكل
أخني فؤادي طول عهدي به * وبعده عني وعن وصلي
منية نفسي في هوى فضل * أن يجمع الله بها شملي
أهواك يا فضل هوى خالصا * فما بقلبي عنك من شغل

(فأجابته)

الصبر ينقص والسقام يزيد * والدار دانية وأنت بعيد
أشكوك أم أشكو اليك فانه * لا يستطيع سواهما المجهود
اني أعوذ بحرمتي بك في الهوى * من أن يطاع لديك في حسود

وكانت تهوى أحد جلسائها في مجلس الخليفة والخليفة لا يعلم ذلك فكتب لها خادملها يوما رقعة وسلمها اليها بحيث لا أحد يراهما فلما فضتها وجدت فيها

ألا ليت شعري فيك هل تذكرينني * فذكراك في الدنيا الى حبيب
وهل لي نصيب من فؤادك ثابتا * كما لك عندي في الفؤاد نصيب
ولست بموصول فأحيا بزورة * ولا النفس عند اليأس عنك تطيب

(فكتبت اليه)

نعم والهي انني بك صبة * فهل أنت يا من لاعدمت مثيب
لمن أنت منه في الفؤاد مصور * وفي العين نصب العين حين تغيب
فثق بوداد أنت مظهر مثله * على أن بي سقما وأنت طبيب

ومرة اتكأ المتوكل على يدها ويد بنان الشاعر وجعل يمشي في داره وقال لهما أجيزا الى قول الشاعر

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها * وعلمها حبي لها كيف تغضب

(فقالت فضل)

تصد وأدنو بالمودة جاهدا * وتبعد عني بالوصال وأقرب

(فقال بنان)

وعندي لها العتبى على كل حالة * فما منه لي بد ولا عنه مذهب

وألقى أحد أصحاب أحمد بن أبي طاهر عليها يوما

ومستفتح باب البلاء بنظرة * تزود منها قلبه حسرة الدهر

﴿فقالت بديهة﴾

فوالله لايدري اندري بماجنت * على قلبه أو أهلكته وماندري

وكان على بن الجهم يوما عند فضل الشاعرة فلحظها لحظة استرابت بها فقالت

يارب رام حسن تعرضه * يرمى ولا يشعر أني غرضه

﴿فقال مجيبالها﴾

أي فتى لحظك لم يمرضه * وأي عقد محكم لم ينقضه

فضحكت وقالت خذ في غير هذا الحديث

وكان بينها وبين سعيد بن حميد الشاعر مراسلات ومواصلات أدبية فحضر مجلسها يوما ومعه بنان فأقبلت على بنان وتركته وذهب مغاضبا لها وظهر لها في وجهه ذلك فكتبت اليه

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى * لاقصرت عن أشياء بالهزل والجد

ولكنني أبدى لهذا مودتي * وذاك وأخلو فيك بالبث والوجد

مخافة أن يغرى بنا قول كاشح * عدو فيسعى بالوصال الى الصد

﴿فكتب اليها سعيد﴾

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي * وأنهى جفوني أن تبثك ماعندي

فان كنت لاتدرين ماقد فعلته * بنا فانظرى ماذا على قاتل العمد

وجاءها أبو يوسف بن الدقاق الضرير وأبو منصور الباخرزي زائرين فحجبا عن الدخول اليها ولما رجعا وعلمت بجيئهما وانصرافهما قبل مقابلتها غمها ذلك فكتبت اليهما تعتذر

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة * ولكن أمر الله ماعنه مذهب

أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا * بصفح وعفو ماتعوذ مذنب

﴿فكتب اليها أبو منصور الباخرزي﴾

لئن أهديت عتبالك لى ولاخوتى * فمثلك يافضل الفضائل يعتب

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه * وكل امرئ لايقبل العذر مذنب

وقال المتوكل يوما لعلى بن المنجم كان بيني وبين فضل موعد وقبل مجيئها قد شربت وسكرت فنمت وجاءت فضل للموعد فحركتني بكل ما ينتبه به النائم فلم أنتبه فلما علمت ان لاصلة لها في كتبت رقعة ووضعتها على مخدتي وانصرفت فلما انتبهت وجدتها فاذا مكتوب فيها

قد بدا شبهك يامو * لاى يحدو بالظلام

قم بنا نقضي لبانا * ت التزام والتئام

قبل أن تفضحنا عو * دة أرواح النيام

وكانت فضل تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف وكانت شاعرة فكان أبو شبل عاصم بن وهب يعاون فضلا عليها ويهجوها مع فضل وكان القصيدى والحفصى يعينان خنساء على فضل وأبي شبل فقال أبو شبل على لسان فضل

خنساء طيري بجناحين * أصبحت معشوقة ثدلين
من كان يهوى عاشقا واحدا * فأنت تهوين عشيقين
هذا القصيدي وهذا الفتى الـ * ـحافصي قد زارك فردين
فضحت من هذا وهذا كما * يتم خنزير بجشين
﴿فقالت خنساء تجيبها﴾
ماذا مقال لك يا فضل بل * مقال خنزير بن فردين
يكنى أبا الشبل ولو أبصرت * عيناه شبلا راث كزين
﴿وقالت فضل فى خنساء﴾
ان خنساء لا جعلت فداها * اشتراها الكسار من مولاها
ولها نكهة يقول محادثـ * ـها أهذا حديثها أم فساها
﴿وقالت خنساء فى فضل وأبى شبل﴾
تقول له فضل اذا ما تخوفت * ركوب قبيح الذل فى طلب الوصل
حرام فتى لم يلق فى الحب ذلة * فقلت لها لابل حرام أبو شبل
﴿وقالت خنساء تهجو أبا شبل لما عاتبه فضل عليها﴾
ما ينقضى فكرى وطول تعجبى * من نعجة تكنى أبا الشبل
لعب الفحول بسفلها وعجانها * فتمردت كتمرد الفحل
لما كنيت بما كنيت به * وسمت النقصان بالفضل
كادت بنا الدنيا تميد ضحى * وترى السماء تذوب كالمهل

ولما وصلت هذه الابيات الى أبى شبل غضب منها ولم يجب عليها وقال يهجو مولاها هشاما

نعم مأوى العذاب بيت هشام * حين يرمى اللئام باغى اللئام
من أراد السرور عند حبيب * لينال السرور تحت الظلام
فهشام نهاره ودجى اللـ * ـيل سواء نفسى فداء هشام
ذاك حرز دوانه ليس تخلو * أبدا من تخرق الاقلام

وزارت فضل سعيد بن حميد ليلة على موعد بينهما فلما حصلت عنده جاءتها جاريتها مبادرة تعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها فقامت مبادرة فمضت فلما كان من غد كتب اليها ابن حميد

ضن الزمان بها فلما نلتها * ورد الفراق فكان أقبح وارد
والدمع ينطق للضمير مصدقا * قول المقر مكذبا للجاحد

وقال لها عبيد بن محمد صبيحة قتل المنتصر والمعتز ماذا نزل بكم البارحة فقالت

ان الزمان بذحل كان يطلبنا * ما كان أغفلنا عنه وأسهانا
مالى وللدهر قد أصبحت همته * مالى وللدهر ما للدهر لا كانا

وخرجت فصحة جارية المتوكل الى سيدها يوم نيروز وبيدها كأس بلور بشراب صاف فقال لها ما هذا فديتك قالت هديتى لك فى هذا اليوم عرفك الله بركته فأخذها من يدها ونظر اليها فاذا مكتوب على خدها

نقطة جعفر بالمسك فشرب الكأس وقبل خدها وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * بنفسى سواد المسك من حيث أثرا
لئن أثرت بالمسك سطرا بخدها * لقد أودعت قلبى من الحزن أسطرا
فيا من مناها فى السريرة جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ثم قالت أيضا

سلافة كالقمر الباهر * فى قدح كالكوكب الزاهر
يديرها خشف كبدر الدجى * فوق قضيب أهيف ناضر
على فتى أروع من هاشم * مثل الحسام المرهف الباتر

فلما سمع المتوكل هذه الابيات طرب طربا شديدا وأمر فغنى بها وأنعم على فضل إنعاما زائدا
وكتبت فضل الى سعيد بن حميد يوما

تبث هواك فى بدنى وروحى * فألف فيهما طمعا بياس

فأجابها سعيد فى وقتها

كفانا الله شر الياس إنى * لبغض الياس أبغض كل آس

قال ابن أبى المدور الوراق كنت يوما عند سعيد بن حميد وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل يتشعب وقد بلغه ميلها الى بنان المغنى وهو بين المصدق والمكذب بذلك فأقبل على صديق له فقال قد أصبحت والله من أمر فضل فى غرور أخادع نفسى بتكذيب العيان وأمنيها ما قد حيل دونه والله إن ارسالى بعد ما قد لاح من تغيرها الذل وان عدولى فى أمرها مشبه بالعجز وان تصبرى لمن دواعى التلف ولله در محمد بن أمية حيث يقول

ياليت شعرى ما يكون جوابى * أما الرسول فقد مضى بكتابى
وتعجلت نفسى الظنون وأشعرت * طمع الحريص وخيفة المرتاب
وتروعنى حركات كل محرك * والباب يقرعه وليس ببابى
كم نحو باب الدار لى من وثبة * أرجو الرسول بمطمع كذاب
والويل لى من بعد هذا كله * ان كان ما أخشاه رد جوابى

قال ابن المنجم غضب بنان المغنى على فضل الشاعرة فى أمر أنكره عليها فاعتذرت اليه فلم يقبل معذرتها فأنشدت فى ذلك مصبرة نفسها

يا فضل صبرا إنها ميتة * يجرعها الكاذب والصادق
ظن بنان أننى خنته * روحى اذا من بدنى طالق

وقال المتوكل لعلى بن الجهم قل بيتا وطالب فضل الشاعرة بأن تجيزه فقال على أجيزى يا فضل

لاذ بها يشتكى اليها * فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هنيهة ثم قالت

فلم يزل ضارعا اليها * تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقا * فمات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتي وأمر لها بمائتي دينار وأمر عريب فغنت بها وكتب سعيد بن حميد الى فضل رقعة قال في آخرها

تظنون أني قد تبدلت بعدكم * بديلا وبعض الظن إثم ومنكر
اذا كان قلبي في يديك رهينة * فكيف بلا قلب أصافي وأهجر

قال اسحق بن مسافر كنت يوما عند سعيد بن حميد اذ دخلت عليه فضل على غفلة فوثب اليها وسلم عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت قد جاءني وحياتك رسول من القصر فليس يمكنني الجلوس وكرهت ان أقيم ببابك ولا أراك فقال سعيد من وقته على البديهة

قربت ولا نرجو اللقاء ولا نرى * لنا حيلة يدنيك منا احتيالها
فأصبحت كالشمس المنيرة ضوءها * قريب ولكن أين منا منالها
وظاعنة ضنت بها غربة النوى * علينا ولكن قد يلم خيالها
تقربها الآمال ثم تعوقها * مماطلة الدنيا بها واعتلالها
ولكنها أمنية فلعلها * يجود بها صرف النوى وانتقالها

وتغاضب سعيد بن حميد وفضل أياما ثم كتب اليها

تعالى نجدد عهد الرضا * ونصفح في الحب عما مضى
ونجري على سنة العاشقين * ونضمن عني وعنك الرضا
ويبذل هذا لهذا هواه * ويصبر في حبه للقضا
ونخضع ذلا خضوع العبيد * لمولى عزيز اذا أعرضا
فاني مذ لج هذا العتاب * كأني أبطنت جمر الغضى

فسارت اليه وصالحته

وكان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس بن ثوابة فدعاه يوما وجاءه رسول فضل يسأله المصير اليها فمضى معه وتأخر عند أبي العباس فكتب اليه رقعة يعاتبه معاتبة فيها بعض الغلظة فكتب اليه سعيد

أقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه * الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدة * ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة * ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل احداث الليالي والردى * يوما ستصدع بيننا وتحول
فلئن سبقت لتبكين بحسرة * وليكثرن على منك عويل
ولتفجعن بمخلص لك وامق * حبل الوفاء بحبله موصول

وحضر سعيد يوما في منزل بعض اخوانه فوجد عندهم فضل فأقام معهم عامة يومهم وآخر النهار غضبت منهم على النبيذ ثم انصرفوا وهم على ذلك وبعد أيام اجتمع سعيد مع اخوانه المذكورين وتصادف مجيء فضل على غير موعد فدخلت عليهم وسلمت عليهم سواه فقالوا لها أتهجرين أبا عثمان فقالت أحب أن تسألوه ان لا يكلمني فقال سعيد

اليوم أيقنت أن الهجر متلفة * وأن صاحبه منه على خطر
كرب الحياة لمن أمسى على شرف * من المنية بين الخوف والحذر
يلوم عينيه أحيانا بذنبهما * ويحمل الذنب أحيانا على القدر
تنأون عنه وينأى قلبه معكم * فقلبه أبدا منه على سفر

فوثبت اليه وقبلت رأسه وقالت لا أهجرك والله أبدا ما حييت وبعد ذلك بمدة غضبت عليه فكتب اليها

يا أيها الظالم مالي ولك * أهكذا تهجر من واصلك
لا تصرف الرحمة عن أهلها * قد يعطف المولى على من ملك
ظلمت نفسا فيك علقتها * فدار بالظلم على الفلك
تبارك الله فما أعلم الله * بما ألقى وما أغفلك

فراجعت وصله وسارت اليه جوابا لرقعته

وكان سعيد يوما في مجلس الحسن بن مخلد اذ جاءه غلام برقعة فضل فقرأها وضحك فقال الحسن بن مخلد بحياتي عليك أقرئنيها فدفعها اليه فقرأها واذا هي تشكو فيها شدة شوقها الى سعيد فضحك وقال قد وحياتي ملحت فاجب فكتب اليها

يا واصف الشوق عندي من شواهده * قلب يهيم وعين دمعها يكف
والنفس شاهدة بالود عارفة * وأنفس الناس بالاهواء تأتلف
فكن على ثقة مني وبينة * أني على ثقة من كل ما تصف

فلما وصل اليها الجواب طاب قلبها وسارت اليه وأقامت عنده عامة النهار وكرت راجعة ولما تعشقت بنان ابن عمر المغني وعدلت عن سعيد أسف عليها وأظهر تجلدا ثم قال فيها

قالوا تعزى وقد بانوا فقلت لهم * بان العزاء على آثار من بانا
وكيف يملك سلوانا لحبهم * من لم يطق للهوى سرا وكتمانا
كانت عزائم صبري أستعين بها * صارت علي بحمد الله أعوانا
لا خير في الحب لا تبدى شواكله * ولا ترى منه في العينين عنوانا

قال محمد بن السري انه توجه الى سعيد بن حميد في حاجة له فوجده في منزل الحسن بن مخلد فقصده واذا برسول فضل ناوله رقعة منها وفيها الابيات التي أرسلتها الى محمد بن العباس اليزيدي وأولها

* الصبر ينقص والسقام تزيد *

وفي آخرها أنايا أباعثمان في حال التلف ولم تعدني ولا سألت عن خبري فاخذ بيد ابن السري ومضيا اليها فسألها عن خبرها فقالت هوذا أموت وتستريح مني فانشأ يقول

لا مت قبلي بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تموتينا
لكن نعيش بما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا انف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن ميتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصني بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستوسقا حينا

ثم السلام علينا فى مضاجعنا * حتى نعود الى ميزان منشينا

وبلغها حينما كانت مائلة الى بنان ان سعيدا عشق جارية من جوارى القيان فكتبت اليه

يا عالى السن سيئ الادب * شبت وأنت الغلام فى الطرب

ويحك ان القيان كالشرك الـ * منصوب بين الغرور والعطب

لا يتصدين للفقير ولا * يطلبن الا معادن الذهب

بينا تشكى هواك اذ عدلت * عن زفرات الشكوى الى الطلب

تلحظ هذا وذا وذاك وذى * لحظ محب وفعل مكتسب

وافتصد سعيد بن حميد يوما فقالت فضل لعريب وهل لك ان نذهب فنزور سعيدا قالت لها فلا مانع من ذلك وأرسلت اليه قبل زيارتها هدايا منها ألف جدى وحمل وألف دجاجة فائقة وألف طبق ريحان وفاكهة ومع ذلك طيب كثير وشراب وتحف حسان فكتب اليها سعيد وان سرورى لا يتم الا بحضورك فجاءته فى آخر النهار وجلست معه على الشراب وغنتهم عريب بما لزم فبينما هم كذلك واذا بالغلام يستأذن لبنان فأذن له فدخل اليهم واذا هو شاب طرير حسن الوجه حسن الغناء نظيف الثياب شكل فذهب بفضل كل مذهب فاقبلت عليه بحديثها ونظرها فتنمر سعيد واستطير غضبا وتبين بنان القصة فانصرف وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ثم أمسك فقالت منشدة

يا من أطلت تفرسى * فى وجهه وتنفسى

أفديك من متدلل * يزهو بقتل الانفس

هبنى أسأت وما أسأت * بلى أقول أنا المسى

أحلفتنى ان لا أسا * رق نظرة فى مجلسى

فنظرت نظرة مخطئ * أتبعتها بتفرس

ونسيت انى قد حلفـ * ـت فما عقوبة من نسى

فقام سعيد وقبل رأسها وقال لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن اساءته وغنت عريب فى هذا الشعر وشربوا عليه بقية يومهم ثم افترقوا وأثر بنان فى قلبها وعلقت به ثم لم تزل حتى واصلته وقطعت سعيدا

وكان ابراهيم بن المهدى يقول ان فضل كانت من أحسن خلق الله خطا وأفصحهم كلاما وأبلغهم فى مخاطبة وأثبتهم فى محاورة فقال يوما لسعيد بن حميد أظنك يا أبا عثمن تكتب لفضل رقاعها وتجيدها وتخرجها فقد أخذت نحوك فى الكلام وسلكت سبيلك فقال له وهو يضحك ما أخيب ظنك ليتها تسلم منى لا آخذ كلامها ورسائلها والله يا أخى لو أخذ أفاضل الكتاب وما ماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك (انتهى)

قصة النوبية

هى جارية السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من النساء العاقلات الصادقات وقد اشتهرت بالفضيلة وقيل عن أبى العباس فى قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) قال مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك نذرا فقال على

إن برآ مابهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكرا وقالت فاطمة كذلك وقالت جاريتهما فضة النوبية ان برأ سيداى صمت لله عز وجل شكرا فالبس الغلامان العافية وليس عند ال محمد قليل ولا كثير فانطلق على الى شمعون الخيبرى فاستقرض منه ثلاثة آصع من شعير فجاء بها فوضعها فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ أتاهم مسكين فوقف على الباب فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من أولاد المسلمين أطعمونى أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة فسمعه على فأمرهم باعطائه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة الى الصاع وخبزته وصلى على مع النبى صلى الله عليه وسلم ووضع الطعام بين يديه اذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدى أطعمونى فأعطوه الطعام فمكثوا يومين ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة الى الصاع الباقى فطحنته واختبزته وصلى على مع النبى صلى الله عليه وسلم ووضع الطعام بين يديه اذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا أطعمونى فانى أسير فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا الا الماء فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى مابهم من الجوع فأنزل الله تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

ومن ذلك يعلم أن المترجمة ساوت نفسها بسيدتها فاطمة الزهراء فنالت بذلك فخرا لم ينله غيرها من نساء العرب وبقيت بخدمة هذا البيت حتى توفاها الله رضى الله عنها

﴿فطنت بنت أحمد باشا والى طرابزون﴾

ولدت فى طرابزونه سنة ١٢٥٨ هجريه وتربت فى بيت أبيها أحسن تربية الى أن ترعرعت وصارت قابلة للتعليم فقدمها والدها الى مكتب حافظ أفندى أحد معلمى القراءة بتلك المدينة فصار يعلمها مبادى القراءة التركية والفارسية والقرآن الشريف فلما تعلمت تلك المبادى انتقل والدها الى الروملى الشرقية فأحضر لها المعلمين للخط وتدريس باقى العلوم حتى تعلمت كافة ما تحتاج اليه من التهذيب والتأديب ومالت نفسها الى العروض وبحوره وبرعت فيه أيضا حتى صارت نادرة زمانها ولها ديوان شعر باللغة التركية ومثله بالفارسية ولما أتمت علومها وبرعت فى كل ما ألقى اليها وآن أوان زواجها زوجها والدها من أحد الادباء الافاضل فعاشت معه عيشة حسنة وولدت له أولادا وبنات وتوفى عنها وهى فى زهرة شبابها وبعد وفاته بمدة خطبها محمد على بيك أفندى كاتب أول نظارة البحرية فى الاستانة وهى معه لغاية الآن فى عيشة راضية

ولها مؤلفات عقلية وحكمية باللغة التركية وأشعار غزلية وغيرها منها

سرنكون ايتدى فلك اسابنى بيمانه سن * جونكه دلشادا يلمز ناشاد اولان مستانه سن
عزم سوى ميكده الويرمدى جكدم اياق * باشنه جالسون همان أول بيوفاد مخانه سن
عيش ونوش وصحبتى دكزانك هيج برپوله * نيلرم ظل سراب آسا بومهما نخانه سن
جرعه نوش بادهٔ الطافى أو لمقدر محال * بندكان ترك ايتمسونمى مجلس شاهانه سن

وادئ الام وغمده قالدم أى ساقئ دهر * محرم ایتدی یاردیرا مجلسه بیگانه سن
شمعهٔ سوزانه حاجت قالمدی چونکه یتر * آتش کورندهیاقدی عاقبت پروانه سن
پرتوجام جم دارا ایله فخر ایلسون * بعدازین یادایتسون (فطنت) کبی دیوانه سن

(ومنها)

ایلسون تأثیر دردلک جانه الله عشقنه * کیرمسون غمخانمه بیگانه الله عشقنه
کیم بیلوردرداهلنک حالن ینه یاری بیلور * قیل ترحم دیدهٔ گریانه الله عشقنه
بزم جانانم اوزاق بوسوزش حسرت ایله * کل سنکله یانهیم پروانه الله عشقنه
زخم فرقت بک بتوردی قالمدی بنده مجال * سویلیك بوحالمی جانانه الله عشقنه
دل خراب اباد عشقکدر انوغه رحم ایدوب * فطنتی کل ایلمه دیوانه الله عشقنه

(ومنها)

ایتمه رغبت دشمن بدکاره الله عشقنه * ویرمه فرصت أو بلا هرمکاره الله عشقنه
أولمسون محرم رقیب اسراره الله عشقنه * سن ایدرسك راضیم ازاره الله عشقنه
(قیل مروت ویرمه یوز اغیاره الله عشقنه)

قاپلادی مرآت قلبم غم ورنج ملال * بسترغمده یاتوب درد کله أولدم بی مجال
حسرت دیدارلنا یمه ایلدی بك خسته حال * او بلا زاراولدی تنم کاسه أجل بولمق محال
(بن شهید غمزه کم برچاره الله عشقنه)

ای طبیب جان ودل رحم ایله بوبیمارکه * منتظر درکوزکوز اولمش زخمله تمارکه
باری برکون مظهر ایله مهر لطف آثارکه * دست لطفکله دواقیل خستهٔ ناچارکه
(مرهم کافور ایستر یاره الله عشقنه)

هی نه سحر ایتدك بکا أول چشم جادولر ایله * ایلدك عقلم پریشان زلف شبولر ایله
شانه وش صدچاك سینهم فکر گیسولر ایله * تازه یاره ایلمه مژکان وابرولر ایله
(بندزخمی ایچدك بیماره الله عشقنه)

قالمدی دلده تحمل غیری درد فرقته * ایله محرم سودیکم برکره بزم وصلته
صون لب جانبخشکی بومبتلای محنته * لعل نابك ایله جان ویرتا أمید صحته
(صولك نفسده برمددناچاره الله عشقنه)

سروقدلك صورتی آیرلمز أصلا دیدهدن * رخلرك کیتمز خیالی خاطر رنجیدهدن
نونهالم قاچمه لطف ایت عاشق غمدیدهدن * صاقلامه کل رویی بوبلبل شوریدهدن
(عرض دیدار ایله ای مهپاره الله عشقنه)

غمزهدنکم تاب ایدن کاه خون الود أولور * لحظهده بیك عاشق اشفته دل نابود اولور
نظرهٔ خشمك دخی احساندن معدود اولور * هرنکاهك آفت جان دل ینه خشنود اولور
(نه بلا یه دوشمش اول آواره الله عشقنه)

زنك غمدن صاف ایله سودیکم ایینه کی * قیل چراغ بزم وصلك عاجزبی کینه کی

شويله دلسوز ايلدى بو بندهٔ ديرينه كى * سينه سينه ياندى سينه م كورميلدن سينه كى
(مرحمت قيل(فطنت) غمخواره الله عشقنه)

(ومنها)

هر يرده سنك سايه صفت همدمك أولسه م * قلب ايله لرساكى بنى مدغمك أولسه م
بيله م كيمه درميل نهانى درونك * كيرسه م بوركك ايچنه هب محرمك أولسه م
غرق ايلر ايدم قطرهٔ ناچيز وجودم * كلبرك جمالكده سنك شبنمك أولسه م

فكتوريا ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

كانت ولادة فكتوريا فى الرابع والعشرين من شهر ايار (مايو) احد شهور سنة ١٨١٩ وأبوها دوق كنت ابن الملك جورج الثالث ملك الانكليز وأمها الاميرة فكتوريا مارى لويزا اخت ليوبولد ملك بلجيكا وتوفى أبوها دوق كنت فى أوائل سنة ١٨٢٠ وعمرها ثمانية أشهر فقط وكان من الرجال العظام المشهورين بالفضائل والفواضل الساعين فى ترقية شأن الامة السابقين الى عمل الخير والاحسان فانه كان مشتركا فى أكثر من ستين جمعية خيرية فقامت أمها على تربيتها واهتمت بامرها فوق ما ينظر من الوالدات ولاسيما اذا كن أميرات فان أولاد الملوك والاشراف قلما ينالهم من الاعتناء الوالدى ما ينال غيرهم من أولاد العامة ولكن فكتوريا نالت من ذلك الحظ الاوفر لاسيما لانها كانت وحيدة لامها فانقطعت الى تربيتها منتظرة أن يسلم لها زمام الملك يوما ما وتناط بها مهام السلطنة ولما صار لفكتوريا خمس سنوات من العمر عين لها البارلمنت أى مجلس الشورى الانكليزى ستة آلاف ليرة فى السنة لتنفق على تعليمها وتهذيبها فأكبت على الدرس حتى اذا صار لها من العمر احدى عشرة سنة فقط كانت تتكلم بالفرنسوية والجرمانية جيدا وتقرأ اللاتينية والطليانية وبرعت فى الموسيقى والتصوير وظهر منها ميل شديد الى العلوم الرياضية ولم يقتصر فى تربيتها على تهذيب عقلها وتوسيع معارفها بل صرفت الى ترويض جسمها لان العقل السليم لايكون فى الجسم السقيم فمرنت على ركوب الخيل وقطع البحار ونحو ذلك من الاعمال التى تقوى البنية وتجيد الصحة وتزيد الشجاعة وتنزع الخوف وبغير ذلك لم يكن ممكنا لامرأة أن تحكم على مئات الملايين وتتولى أمورهم أكثر من خمسين سنة متوالية على اختلاف أجناسهم وبلدانهم وأغراضهم وحياتها عرضة للخطر من الخارجين عليها من أهل البغى والمجانين

وسنة ١٨٣٠ رقى عمها الملك وليم الرابع الى سدة الملك ولم يكن له أولاد أحياء من زوجته الشرعية فعينت فكتوريا وارثة له قبل أن تبلغ أشدها وجعل راتبها السنوى ستة عشر ألف جنيه ولكن لم تزل مكبة على الدرس والتجول فى البلاد لتقرن معارفها التاريخية والجغرافيا بالمشاهدة وتطلع على أحوال البلاد من حيث الزراعة والصناعة ولما بلغت سن الرشد عند الانكليز وهو السنة الثامنة عشرة وذلك سنة ١٨٣٧ جرى لها احتفال عظيم فى البلاد وفى تلك السنة توفى عمها الملك وكانت وفاته فى العشرين من شهر يونيو (حزيران) فجاءها رؤساء المملكة وكانت نائمة فأيقظوها من نومها وأخبروها بوفاة عمها وبأن الملك صار اليها فأبدت من الحزم والنباهة ما أدهشهم وفى اليوم التالى نودى بها ملكة بريطانيا العظمى وارلندا فى قصر سنت جمس وللحال شرعت تحمل مهام مملكتها الواسعة وتهتم فى شؤونها حتى خيف على صحتها من الاعتلال وأشار عليها الاطباء أن تنقطع مدة عن الاشغال

وفى العشرين من نوفمبر (ت ٢) فتحت البرلمنت أول مرة وعين راتبها السنوى فيه ٣٨٥ ألف ليره وكان وزيرها الاعظم اللورد ملبرن وكان رجلا جليلا محنكا فى السياسة الا أنها علمت أنه لا يدوم لها وأنه لا بد لها من أن تهتم بسياسة مملكتها بنفسها فكانت تطلب منه أن يشرح لها كل قضية من القضايا السياسية ولم تكن تمضى ورقة مالم تفهم مؤداها جيدا

وفى الثامن والعشرين من يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٨ توجت فى دير وستمنستر ووزعت أوراق على المدعوين بقدر ما يسع المكان ولكن أتى جم غفير من كل أنحاء البلاد لمشاهدة تتويجها فصارت ورقة الدخول تباع بخمسين جنيه لشدة ما فى نفوس رعاياها من التشوق الى مشاهدتها وكان التاج الذى توجت به مرصعا بالحجارة الكريمة وثمنه (١١٢٧٦٠ ليرة انكليزية) وبلغت نفقات تتويجها ٦٩٤٢١ ليرة وهذا المبلغ قليل فى جانب المبلغ الذى أنفق على تتويج عمها فانه بلغ ٢٣٨ ألف ليره وأما تاجها فانه صاغه لها أبرع الصناع الموجودين فى تلك السنة وهو معجزة هذا الزمان وفيه يقال ليس فى الامكان أبدع مما كان قد صيغ من الذهب على شكل بديع ورصع بالفين وسبعمائة وثلاثة وثمانين حجرا من الماس بألطف ترصيع وفى مقدمة ياقوتة كبيرة حمراء تضىء كالمشكاة فى الليلة الليلاء قيل انها أهديت من الملك قشتيلة بالاندلس الى الامير الاسود أحد ملوك الانكليز سنة ١٣٦٧ ميلاديه وفى ذلك التاج ياقوتة زرقاء على غاية من الرونق والبهاء

وكانت قد رأت أميرا جرمانيا فى صغرها اسمه البرنس البرت بن دوق كوبرج والظاهر أنها أحبته من ذلك الحين فلما استوت على عرش المملكة أرادت أن تتبع سنة الله فى خلقه فكاشفت مجلس الشورى بانها عازمة أن تتزوج بهذا الامير فصوب المجلس رأيها وعين له ثلاثين ألف ليرة راتبا سنويا ولكنه اختلف فى نسبته اليها وفيمن منهما يكون له التقدم ففضت الملكة هذا المشكل بقولها ان مقامه يكون بعد مقامها بالنسبة الى المملكة فاقترنت به فى العاشر من فبراير (١٠ شباط) سنة ١٨٤٠ وكان لاقترانهما احتفال عظيم فى البلاد كلها

وفى الحادى والعشرين من نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٠ ولدت ابنته وهى التى صارت زوجة ولى عهد جرمانيا وفى السنة التالية ولدت ولى عهدها برنس أوف ويلس فعم الفرح والحبور فى البلاد كلها وقدروا النفقات التى أنفقت احتفالا بميلاده بمائتى ألف ليره وفى السنة التالية أى سنة ١٨٤٢ زارت اسكتلندا فاحتفل الشعب الاسكتلندى بها وبزوجها احتفالا عظيما ثم زارتها مرارا كثيرة وكانت أحوال المملكة فى اضطراب بسبب مرض البطاطا وما ترتب عليه من الضيق فى ارلندا فصرفت عنايتها وعناية مجالسها الى تخليص رعاياها من هذا الضيق والاقتصاص من المجرمين الذين يكثر عددهم فى كل بلاد اشتد الضيق فيها فوقعت فى مخاطر كثيرة بسبب ذلك كما سيجىء

وسنة ١٨٥٢ توفى القائد العظيم دوق ولنتون الذى قهر بونابرت فى واقعة وطرلو فحزنت عليه الملكة حزنا شديدا وكتبت تقول انها افتقدت فخر انكلترا ومجدها ورأسها وأعظم من قام فيها وهذا شأن كل ملك عظيم يقدر رجاله قدرهم ولا يبخس الناس أشياءهم

ثم انتشبت حرب القرم وكان الشعب الانكليزى يرى من واجباته مساعدة الدولة العلية ضد هجمات الروس فظن أن رأى البرنس البرت زوج الملكة مخالف لرأيه فى ذلك فاتهمه بالخيانة والتشيع للروس

وكثرت القلاقل والاشاعات فأشاع بعضهم أنه ألقى القبض عليه وأودع السجن وألقى القبض على الملكة أيضا لتشيعها له ولكن البرنس أعرب عن آرائه السياسية فى البرلمنت فهدأت أفكار الناس وزال اضطرابهم وفى الشهر التالى استعرضت الملكة الجيوش الذاهبة الى القرم وزارت العمارة البحرية قبل سفرها الى البلطيك واهتمت بحوادث هذه الحرب أشد اهتمام وفى ابريل (نيسان) سنة ١٨٥٥ زارهما الامبراطور نابوليون وزوجته فردت لهما الزيارة فى شهر أوغسطس مع زوجها

ثم جاءتها سنة ١٨٦١ بأشد المصائب فتوفيت أمها فى السادس عشر من مارس (اذار) وتوفى زوجها فى الرابع عشر من ديسمبر وله من العمر اثنتان وأربعون سنة فحزنت عليهما حزنا مفرطا ولم تعد ترى فى المحافل العمومية الا نادرا حتى لما احتفل بزواج ابنها ولى العهد لم تمض الا الى الكنيسة

وسنة ١٨٦٧ زارها جلالة السلطان عبد العزيز خان وملكة بروسيا وامبراطورة فرنسا ودهمتها مصيبتان أخريان الاولى وفاة ابنتها الاميرة ليس سنة ١٨٦٨ والثانية وفاة ابنها دوق النبى سنة ١٨٨٤ وما الملوك بمعزل عن المصائب والنوائب ولا ينجيهم منها حصن ولا معقل

وقد مر الآن على هذه الملكة السعيدة زيادة عن خمسين سنة وهى مستولية على سدة الملك ولم يملك أحد غيرها من ملوك الانكليز خمسين سنة فأكثر الا ثلاثة وهم الملك هنرى الثالث الذى ملك من سنة ١٢١٦ الى سنة ١٢٧٢ والملك ادوردا الثالث الذى ملك من سنة ١٣٢٧ الى سنة ١٣٧٧ والملك جورج الثالث الذى ملك من سنة ١٧٦٠ الى سنة ١٨٢٠.

وقد ارتقى الشعب الانكليزى مدة ملكها ارتقاء لا مثيل له وامتدت السلطنة الانكليزية فى الاقطار المسكونة حتى يقال ان الشمس لا تغرب عنها كلها فى الاربع والعشرين ساعة * وحدث فى السلطنة الانكليزية حوادث كثيرة تستحق الذكر غير ما ذكر منها تخفيض أجرة البوسطة وتعديل شريعة المساكين واسكتلندا وارلندا حتى صاروا ينتفعون نفعا حقيقيا من مساعدة الحكومة وصارت المساعدة تصل الى الذين يحتاجونها حقيقة ومنها الغاء شرائع الحبوب وكانت هذه الشرائع تمنع ادخال الحبوب الى انكلترا الا عند الغلاء الشديد بما تفرضه عليها من المكس الفاحش فى أوقات الرخص فاذا كان ثمن الكوارتر (نحو ٢٠٠ أقة) من القمح ٦٢ شلنا أخذت الحكومة مكسا عليه ٢٤ شلنا وثلثى الشلن وكلما قل الثمن شلنا زاد المكس شلنا واذا زاد الثمن عن ذلك قل المكس كثيرا فاذا بلغ الثمن ٦٩ شلنا صار المكس ١٥ شلنا وثلثين واذا بلغ الثمن ٧٣ شلنا صار المكس شلنا فاذا اشترى أحد قمحا حينما كان ثمن الكوارتر ١٨ شلنا ثم رخص القمح فصار ثمن الكوارتر ٦٩ شلنا بلغت خسارته فى كل كوارتر ١٨ شلنا وثلثى الشلن لانه يلزم حينئذ أن يدفع عليه مكسا ١٥ شلنا وثلثين بدلا من دفع شلن واحد

ومنها انتقال أملاك تركية الهند الشرقية الى الحكومة الانكليزية وبالتالى استيلاء الحكومة على كل بلاد الهند وجعلها قسما من السلطنة الانكليزية مع ان أهاليها يبلغون مائتى مليون وأهالى بريطانيا وارلندا لا يبلغون الآن ٣٥ مليون ومنها اباحة دخول البرلمنت لليهود ووضع نظام التعليم الجديد ولم يكن فى بلاد الانكليز نظام عام للتعليم حتى سنة ١٨٧٠ وما بعدها فأقرت الحكومة ترتيب المدارس على نظام ثابت وساعدتها بالاموال الوفيرة ففتحت أبواب المعرفة لكل ولد من أولاد الامة

ومنها

ومنها اكتشاف الذهب فى استراليا وكولمبيا ومد التلغراف بين انكلترا وأمريكا وبينها وبين كل ولايتها واتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة باتساع نطاق المعارف والاكتشافات العلمية وتكاثر السكك الحديدية والسفن التجارية

وفى الجملة تقول ان الشعب الانكليزى بلغ أوج مجده فى مدة هذه الملكة وتمتع بما يتبعه الناس من الحرية الشخصية حتى ان الحقوق التى طلبها الفيلسوف جون ستورت فى كتابه المعنون بالحرية لم يبق لها داع لان الجميع تمتعوا بها وبأكثر منها

ونودى الملكة فكتوريا امبراطورة الهند سنة ١٨٧٦ وقد ولد لها تسعة أولاد أربعة بنين وخمس بنات وهذه أسماؤهم مع ذكر رواتبهم السنوية

ليره	عدد	
٨٠٠٠	١	البرنسيس فكتوريا ارليد زوجة ولى عهد بروسيا
٤٠٠٠٠	٢	البرنس البرت برنس أوف ويلس
٦٥٠٠٠		دخل دوقية كورنول
١٠٠٠٠		لزوجة البرنس المذكور
	٣	البرنسيس السن وقد توفيت
٢٥٠٠٠	٤	الغرد دوق أدنبرج
٦٠٠٠	٥	البرنسيس هيلانة
٦٠٠٠	٦	البرنسيس لويزا
٢٥٠٠٠	٧	البرنس أرتر دوق كونوت
٦٠٠٠	٨	البرنس لبوبلد دوق البنى فقد توفى وجعل لزوجته فى السنة
٦٠٠٠	٩	الاميرة بياترس
٣٨٥٠٠٠		راتب الملكة السنوى
٤٥٠٠٠		داخل دوقية لنكستر

والملكة فكتوريا مشهورة فى حسن تدينها وشدة اهتمامها بتربية أولادها على مبادئ الديانة والتقوى وفى اهتمامها بالفقراء والمساكين والمحتاجين من رعاياها فتنفق عليهم من مالها وتشتغل بيدها أحزمة وأكيسة وترسلها لهم وتهتم أيضا فى شأن العلوم والمعارف شديد الاهتمام وتثيب المشتغلين فيها وتقطع لهم الرواتب السنوية جزاء لخدمتهم فالاستاذ هكسلى مثلا له راتب سنوى قدره ٣٠٠ ليرة والدكتور مرى له ٢٧٠ ليره فى السنة ومتيوارنلد له ٢٥٠ ليرة والفردولس ٢٠٠ ليره

ومع فضل هذه الملكة العظيمة وشدة تعلق شعبها بها وحبهم لها لم يصف لها كأس الحياة من المعتدين الطالبين قتلها فقد صدق من قال ان المناصب محفوفة بالمتاعب فبعد زواجها بأربعة أشهر كانت ذاهبة فى مركبة مفتوحة مع زوجها اذ دنا منها شاب اسمه اكسفرد وأطلق عليها طبنجة مرتين ولكنه لم يصبها بمكروه فحكم عليه بالموت ثم وجد فيه اختلال فى عقله فابدل الحكم بوضعه فى بيمارستان المجانين مدى الحياة وسنة ١٨٤٢ حاول واحد آخر قتلها وأطلق عليها طبنجة فحكم عليه بالموت ولكنها خففت الحكم وحكمت

عليه بالنفى المؤبد وبعد أسابيع قليلة حاول واحد آخر أن يطلق عليها الطبنجة فحكم عليه بالسجن وسنة ١٨٤٩ حاول رجل ارلندى قتلها ورماها بالرصاص فلم يلحق بها ضررا فحكم عليه بالنفى سبع سنوات وفى السنة التالية هجم عليها أحد الجنود وضربها بالعصا على وجهها فحكم عليه بالنفى سبع سنوات وسنة ١٨٧٢ أطلق عليها شاب طبنجة محاولا قتلها فلم يصبها ولدى النظر فى أمره وجد مجنونا فاودع البيمارستان وفى تلك السنة أرسل بعضهم رسالة الى السير هنرى بولسونبى يتهدد به الملكة بالقتل فهذه حياة الملوك وهذا حلوها ومرها

وللملكة فكتوريا مؤلفان شهيران الاول فى تاريخ حياة زوجها ألفه الجنرال غراى بارشادها والثانى تاريخ حياتها معه من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٦١ وأتبعته بكتاب آخر من نوعه نشرته فى أواخر سنة ١٨٨٣ وهو يمتد من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٨٢

اما زوجها البرنس البرت فهو ابن دوق سكس كوبرج كوثا وهى ولاية فى سكسونيا ولد فى السادس والعشرين من شهر أغسطس آب سنة ١٨١٩ ودرس العلوم العالية فى مدرسة بون الجامعة وبعد أن تخرج فى العلوم السياسية تعلق بالكيمياء والتاريخ الطبيعى والتصوير والموسيقى ويقال انه نظم رواية من نوع الاوبرا مثلت فى لندن بعد ئذ وكان بديع المنظر ماهرا بالفروسية

ولما اقترنت به الملكة فكتوريا على ما تقدم كان فى الحادية والعشرين من عمره فتح الاعانة الانكليزية وأعطيت له قيادة ألاى من الفرسان ورقى الى رتبة فيلد مرشال ثم وجهت اليه ألقاب ورتب كثيرة لان الشعب الانكليزى رأى منه رجلا حازما ساعيا فى خير الامة من غير أن يعرض نفسه للمسائل السياسية التى تعرض لمقاومة حزب من حزبى المملكة والملكة وجدته زوجا أمينا محبا أما السبيل الذى اختاره للسعى فى خير الامة من غير أن يعرض نفسه لمقاومة أهل السياسة فهو تنشيط العلوم والفنون فجعل رئيسا المدرسة كمبرج الجامعة لكثير من المجامع العلمية ولما كان رئيسا للمجمع العلمى البريطانى سنة ١٨٥٩ أعرب عن رأيه من جهة وجوب اهتمام الدولة بشأن العلم فقال سيزيد التفات الدولة الى العلم كان رجوحتى لا يبقى العلم معتمدا على احسان المحسنين بل يخاطب الدولة كما يخاطب الابن امه واثقا بحنوها ورغبتها فى نجاحه وستجد الدولة فى العلم عنصرا من عناصر قوتها ونجاحها وبسعيه فتح المعرض العام ببلاد الانكليز سنة ١٨٥١ ولكن لم يفسح الله له فى الاجل فوافته المنية وله من العمر اثنتان وأربعون سنة

﴿فكتوريا ودهول﴾

ان هذه السيدة من بنات أمريكا الجديرين بالذكر والمدح وممن يفتخر بهن فى الاجتهاد والتقدم لانها ربيت مع أختها تنيس كلفن فى بلاد أمريكا تربية حسنة ومن عهد نشأتهما ربيت معهما ملكة التقدم وحب التظاهر ومناظرة الرجال بالاعمال اليدية والمضاريب التجارية ومن شدة رغبتها فى التقدم قام بفكرهما أن يسويا بين الرجال والنساء فى الحقوق والمعاملات فأخذتا على عهدتهما من بدء نشأتهما نشر هذه الافكار والبرهنة على كفاءة النساء فى ادارة الاعمال المالية وغيرها مما لم يقم باداءه الى الآن سوى الرجال وبالفعل فانهما فقد أسستا بيتا ماليا كتبتا عليه عنوانهما فتعجب من ذلك أصحاب المضاربات (البنوكة) وتضاعف اندهاشهم لما سمعوا بعد تأسيس المحل المذكور بعدة أسابيع أن صاحبتيه

اكتسبتاعدة ملايين من الريالات وقد أعقب ذلك وقوع أرباب البنوك ذوى اللحى والشوارب فى وهدة الافلاس

وقد رسم بعض المصورين هاتين البنتين وعلى رأس كل منهما تاج رمزا على القوة والتسلط وأطلقت الجرائد ألسنتها بالثناء الجميل والشكر الجزيل على مهارتهما وتغالت فى ذلك حتى ان جريدة تلغراف نيويورك نشرت فى صدر احد أعدادها صورة تمثل البنتين راكبتين على عجلة يجرها رؤساء أكبر البيوت المالية فقامت جريدة نيويورك هرالد تصوب نحوهما سهام الانتقاد والتعزير وقالت إن الشرائع الاميريكية وعاداتها الاهلية تمنع النساء من السير فى المناهج السياسية والدخول فى ميادين الاعمال الاجتماعية مهما بلغت بهن درجة العلم والمعرفة ولما اتصل بهما هذا الكلام لم تعبا به بل أخذتا فى اتباع طريقهما الاول وحثتا السير فيه وانتهى الامر بهما الى أن أستاجر يدة أسبوعية بلغ عدد مشتركيها فى زمن يسير (٥٠٠٠٠) نفس ولما كانت القوانين الاميريكية تخول لجميع أبناء الوطن الذين بلغوا رشدهم الحق فى اعطاء أصواتهم بشرط أن يدفعوا ماعليهم من العوائد والرسوم التى اقتضتها نظامات الحكومة وكانت السيدة ودهول من بنات الوطن اللاتى توفر فيهن شروط بلوغ الرشد ولكنها لم تدفع ما استحق عليها من العوائد والرسوم فقد عرضت على هيئة الحكومة أن تعطى لها الاذن بالدخول فى مصاف الهيئة الاجتماعية وشفعت عن استعدادها لدفع الرسوم المطلوبة ثم أخذت تبرهن بعبارات فصيحة وقياسات صحيحة على وجوب مساواة النساء بالرجال فى الحقوق الوطنية وتحزب لمذهبها جم غفير من الناس وخمسمائة عضو من مجلس النواب نائبين عن ست وعشرين مقاطعة

وقد أخذ نجاح الاختين يتدرج فى مدارك الزيادة والنمو حتى انهما عولتا على نشر مبدئهما الجديد ألا وهو تحسين أحوال المرأة فى العائلة وكانتا فى كل أقوالهما وكتاباتهما توجهان سهام الانتقاد والتبكيت على كيفية تعليم الفتيات وقالتا انها مشحونة بقواعد طويلة مملة ومبادى تميل بهن الى اتخاذ التملق والخلق الذميم آلة لنوال ماربهن وذكرتا غير مرة أن البنت تتعلم لتكون فى المستقبل امرأة صالحة ووالدة مربية لاالتزوبقها وتهيئتها الان تكون داعية لاستلفات أنظار الشبان وأن أهلها وذوى قرابتها ومعلماتها يخفون عنها أنها ستكون فى يوم من الايام ربة بيتها ومديرة شؤن عائلة ستكون هى قوام نظامها وركن سعادتها وداعمة عزها وشوكتها ثم انهم فوق ذلك لايذكرونها بواجبها اذا صار بينها وبين الزواج زمن يسير وبالجملة فكانت جميع هذه الاقوال باعثة على قيام الجميع ضد هاتين الاختين فانهموهما بنشر المبادى الفاسدة والعبث بصفة النساء الطاهرات الذيل وقد تغالوا فى اتهامهما فنسبوهما الى بث المبادئ العاطلة فى العادات السليمة والاخلاق الحالية وبناء عليه صار وايغلوهما فى غياهب السجن ورغما عن كون المحكمة قد برأتهما وأطلقت سراحهما فان الناس استمروا يسومونهما الحيف والخسف وقالت احدى الجرائد الاميريكية فى ذلك مانصه

كانت اذا احتاجت فكتوريا ودهول أن تستأجر حجرة للتبيت فيها وكانت أجرة هذه الحجرة ٢٠٠٠ ريال لايسمح لها بسكناها بأقل من ٣٠٠٠ ريال (واذا نزلت باحدى الفنادق كانت تدفع عشرة أمثال مايدفعه غيرها وكثيرا ماقضت الليالى خارج المنازل لعدم قبول أحد أن يضيفها فى منزله)

ولما وصلتا الى هذا الحد حالتهما ورأتا عدم طيب المقام بارحتا أمريكا قاصدتين مدينة لوندره حيث

ذكرمت مثواهما احدى النساء الانكليزيات ولم يذهب سعيهما فى بلاد أمريكا هباء منثورا فانه لا يرى الانسان فى الولايات المتحدة بالقارة المذكورة محلا من المحلات الا وجدت المرأة فيه بجانب الرجل تؤدى الاعمال كما يؤديها هو وتحقق من أن حقوقها صارت مرعية فهى لا تمتنع من اكتساب ما يقوم بمعاشها ومعاش أو بها من أى عمل رضيت به فهذه هى النساء وهذا هو الفخر اذ أن امرأة تعجز عن أعمالها الرجال فى بلاد مثل أمريكا

﴿ فيدرابنة مينوس الكريتى ﴾

هى حليلة ثيزى ملك أثينا هامت أثناء تغيب زوجها بابنه أبيوليت المولود من زوجته الاولى انيوبا ملكة الامازون وكان جميلا فتانا ولما تمادى بها الوجد والالم وابتلاها الكتمان بالسقم باحت بما تجده من حر الجوى وبرحاء الهوى الى أمينة سرها أوتون أما أبيوليت فكان مفتونا بحب ادبسيا سجينة أبيه ذات النسب الملكى التى كانت أيضا كلفت به دون أن يعلم كل بما له فى قلب الآخر فكانوا يمثلون سلسلة عشاق ومعاشيق ولكن تحت طى الستر والخفاء مخافة الافتضاح اذا قدر الجفاء

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

فلما أرجف بموت ثيزى زينت أوتون لفيدر مطارحة أبيوليت أحاديث الوجد واطماعه تراث العرش بالنيابة عن ابنها الطفل الذى كانت الامة تتردد فى الاختيار بينه وبين ادبسيا تلك التى استبشرت بالفكاك من الاسر حالا يقافها أبيوليت على دخيلة الامر بعد اذ كانت يئست من الخلاص وتلا عليها لسان الحال ذوقى عذاب ربك لات حين مناص فعالتاه كلتاهما بحديث وجد مقيم معقد بلسان أغن ينشد

أرى فى فؤادى لوعة الحب لا تهدا * أهذا الذى سماه أهل الهوى وجدا

قال أدبسيا عقدى وودادى وولاء ورمى فيدر بسهمى نفرة وجفاء ولم يمض الامثل حسوة طائر أولهنة مسافر حتى قيل عاد ثيزى حيا فسقط فى يدى فيدر وقالت وبلاه لقد جئت شيأ فريا ثم عضت بنانها الخضيب بثنايا الندامة ونوقت الى قيمتها أوتون نبال التقريع والملامة ولكن كان قد سبق السيف العذل فلجأت الى الغدر والختل حتى اذا حل زوجها الصرح قابلته بوجه باسر ودمع ماطر وخرطوم كخلب كاسر وقالت بصوت يقصف كالهذيم ماجزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم إن ابيوليت رمانى لاقتناص عن قوس احتياله بحربات نافذات كادت تفرى عرضا وفروتثلم سدا المآرب وفى رواية ان ذلك كان بلسان أوتون ايتم الدست على ثيزى المغبون فانطلت عليه زخارفها وجهر فى مجاهل مخارفها فنشبت برجله الحبالة ولم يدر أن عرسه أروغ من ثعالة ففار على ابنه غيظا كما يفور المرجل ولعنه وهو يحرق عليه الأرّم قائلا امض الى حيث ألقت رحلها أم قشعم ثم توسل الى معبود البحر نبتون أن يهلك ابنه الخؤن فمضى أبيوليت فى رهط من حاشيته أسيفا حزينا قاصدا مدينة مسينة وكان أوعزالى أربسيا أن تلحق به ليشهد المعبودات على اقترانهما ولية طعا غاب العمر فى حجر بعضهما فبينما هو سائر على شاطئ البحر اذا بالامواج علت كالشواهق ثم هوت متكسرة كأنما رميت بجلاهق فبان من تحتها تنين أقشر هائل المنظر أجش الصوت تنوب أنيابه عن ملك الموت ففر القوم هلعا استوار بن عن الابصار الا ابيوليت فانه قابله بقلب من فولاذ وصدر كأنه تيار ورمى فؤاده بحربة هى للارواح أحرق أخبار وللاعمار أقطع

بتار

بتار فانهار عند أرجل الخيل كالنخلة السحوق منشعطا بدمه كادما الصخر بفمه فنفرت الخيل وأى نفار وشردت المركبة متسلقة بين الصخور في القفار حتى تكسرت العواجل وسقطا بيوليت على الصحصحان وكانت قد علقت رجله بالعنان فجعلت تجره الخيل مذعورة تتلاطم مدهوشة حتى تمزقت لحمانه بفعل الاشواك والصخور وتفجرت ينابيع دمه منسابة في تلك الشعاب والوعور ولم يدركه أصحابه الاوالجريض في ثغره والحشرجة في صدره فأوصاهم أن يبلغوا أباه ما كان وأنه برىء من افتراء دليلة المكر والبهتان وأن يتوسلوا اليه عنه بان يتخذ حبيبته أديسيا بدلا منه عزاء لمصابه وشهدا يحلى جام صابه وبعد مونه بدقائق أقبلت أديسيا تخطو دونه اهماج السوابق وانقضاض الصواعق فلما رأت محبوبها في تلك الحالة صعقت بصوت دوى له الجو وانطرحت الى جانبه لا تفرق ولا تعي ولما ثاب اليها حلمها عاد الجميع أدراجا واتخذوا الى المليك منهاجا فقصوا عليه ذلك النبأ الفاجع وكان قبل ذلك أن أونون أم البدائع ألقت بنفسها الى البحر كمدا لما جرى عن يدها من الفظائع ولما كاد صبح الحقيقة أن يلوح شربت فيدر سما ناقعا وقابلت ثيزى كاسرة طرفا دامعا وأنبأته نمت بوصمتها بما سيرته على هامة من الويل بداعية تلبيتها انداء شهوتها وكان السم قد استحكم في دورة دمائها فتحرقت مفردات أحشائها وسقطت أمامه جثة بلا روح فقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالتوبيخ والملامة وقطع مع اديسيا التى اصطفاها ابنة وخليلة عيشا ينغصه ذكرى (من يزرع العجلة يحصد الندامة)

﴿فيروزخونده﴾

بنت السلطان علاء الدين ملك دهلي في بلاد الهند كانت فريدة الزمان حسنا وبهاء وعقلا وذكاء ذات أدب وفصاحة وكياسة وملاحة محبة للمكرمات تفعل الخير مع كل من تراه مستحقا شاركت أخاها السلطان شهاب الدين في صعاب الامور وسلم لها زمام الاحكام حتى انها باصالة رأيها اضبطت المملكة أحسن مما كانت عليه في مدة أبيها وكان أخوها لا يقطع أمرا الا برأيها ومن شدة محبته لها لم يرض أن يزوجها خارجا عن مملكته وزوجها الشخص غريب اسمه الامير غدا ابن الامير هبة الله بن مهنى أمير عرب الشام بقصد أن يقيم عنده كما قاله ابن بطوطة في رحلته

قال انه لما جاء الامير غدا ابن الامير هبة الله سائحا في بلاد الهند مر على دهلي فأكرمه السلطان شهاب الدين اكراما زائدا وأحب أن يأخذه ضيفه من محبته للعرب فزوجه أخته المذكورة وعمل له فرحا عظيما وكيفيته أن عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونويس وعين ابن بطوطة لملازمة الامير غدا والكون معه في تلك الايام فأتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها فسحات القصر الاحمر وضرب في كل واحد منها قبة ضخمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزى أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن من مماليك السلطان وأحضر الطباخين والخبازين والشوايين والحلوانيين والشربدارية والتنبول وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ويحضر الامراء الكبار والاعزاء ليلا ونهارا فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا الى هذا القصر فزينه وفرشنه بأحسن الفرش واستحضر الامير سيف الدين لكونه عربيا غريبا لا أقران له وحففن به وأجلسنه على مرتبة معينة له وكان السلطان قد

أمر أن تكون ربيبة أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير غدا وأن تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أهله ولما أجلسه على المرتبة جعل له الحناء في يديه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن وانصرفن الى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم أن تقف التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلوتها على زوجها ويأتي الزوج بجماعته فلا يدخلون الا إن غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجوهر وبشاشية مثل ذلك ثم ركب الامير سيف الدين في أصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصا قد أعدّها وصنعوا شبيها اكليل من الياسمين والنسرين والريتون وله زخرف يغطي وجه المتكلل به وصدره وأتوا به وأعطوه الى الامير ليجعله على رأسه فأبى من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بامور الملك والحضر فحاوله ابن بطوطة وحلف عليه حتى جعله على رأسه وأتى باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم بأصحابه حملة غريبة وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات وبلغ ذلك السلطان فأعجبه فعله ودخل الى القصر وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر ملآن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكلهن وقوف على قدم اجلالا له وتعظيما فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتى صعد فأعطته التنبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤس الحاضرين من أصحابه ونقطها النساء والمغنيات تغنين حينئذ والاطبال والابواق والانفار تضرب خارج الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ بها الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلى أصحابه وجعلت العروس في محفة وحملها العبيد على أعناقهم الى قصره والخواتين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء ماشيات واذا مر بدار أمير أو كبير خرج اليهم ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته حتى أوصلوها الى قصره ولما كان بالغد بعثت العروس الى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم وأعطى السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبدرة دراهم من ألف دينار الى مائتي دينار وأعطى الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر وكذلك لاهل الطرب وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطى أحد شيأ لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العروس وأطعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضى العرس وأمر السلطان أن يعطى الامير غدا بلاد المالوة والجزرات وكنباية وسهروالة وجعل فتح الله المذكور نائبا عنه عليها وعظمه تعظيما شديدا وكان الامير جافيا فلم يقدر ذلك حق قدره وغلب عليه جفاء البادية فأداه ذلك الى النكبة به بعد عشرين ليلة من زفافه وذلك من تعدّيه على زوجته واحتقاره لها ولاهلها ورجال مملكتها فحقدوا عليه وأخرجوه من بينهم طريدا فريدا بدون زاد ولا راحلة وبقيت المترجمة في منزل أخيها معززة مكرمة لا ينقصها شيء سوى ما فاتها من محبة زوجها وهكذا الزمان لا يصفو لأحد

(حرف القاف)

قتيلة بنت النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشية العبدرية

كان أبوها طبيب العرب وحارب النضر فى يوم بدر مع قريش فأسر ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل قال التبريزى كان النبى صلى الله عليه وسلم تأذى به فقتله صبرا وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب فى أخبار العجم على العرب ويقول ان محمدا يأتيكم بأخبار ثمود وعاد وأنا أنبئكم بأخبار الاكاسرة والقياصرة يريد بذلك القدح بنبوته وقال ابن عباس فى قول الله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) انها نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى كتب الاعاجم من فارس والروم وكتب أهل الحيرة فيحدث بها أهل مكة واذا سمع القرآن أعرض عنه واستهزأ به فلما أسر يوم بدر أمر النبى عليا أن يضرب عنقه وعنق عقبة بن أبى معيط صبرا فقتلا فقالت قتيلة ترثى أباها وفى بعض الروايات أنها أتت محمدا فأنشدت الابيات الآتية فرق لها النبى وبكى وقال لها لو جئتنى من قبل لعفوت عنه ثم قال لا تقتل قريش صبرا بعد هذا والابيات رواها كثيرون وشرحها شارح الحماسة وهى

يا راكبا إن الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ به ميتا فان تحية * ما أن تزال بها النجائب تعنق

منى اليه وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق

قسرا يقاد إلى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد أولست صنو نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

لو كنت قابل فدية لفديته * بأعز ما يغلو لديك وينفق

فالنضر أقرب من تركت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق

وبعد ما انتهت من قصيدتها وقال لها النبى ما قال قالت تمدحه بقصيدة مطولة عثرنا منها على هذا البيت

الواهب الالف لا يبغى به بدلا * الا الاله ومعروفا بما اصطنعا

وهذه القصيدة لعمرى انها من القصائد التى يحق الافتخار بها لانها صادرة من ذات قناع وقد علمت قوة قائلتها من انسجام هذا البيت الذى ذكرنا منها لانه فى غاية الرقة والانسجام

وتزوجت قتيلة بعبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر بن عبد شمس فولدت له عليا والوليد ومحمدا وأم الحكم وقد أسلمت بعد قتل أبيها وصارت من الصحابيات المروى عنهن الحديث توفيت فى خلافة عمر بن الخطاب

﴿قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب﴾

كانت جارية صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب حاذقة قد أخذت عن ابراهيم وعن ابنه اسحق ويحيى المكى وزبير بن دحمان وكانت لصالح بن عبد الوهاب واشتراها الواثق وكان الواثق قد جمع أرباب الغناء فغنى أحدهم بين يديه لحنا لقلم فى شعر محمد بن كناس وهو

فىّ انقباض وحشمة فاذا * صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها * وقلت ماقلت غير محتشم

فسأل لمن الصنعة فيه فقيل لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب فبعث الى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره فقال ويلك من هو صالح بن عبد الوهاب هذا فأخبره به قال ابعث له فأشخصه هو وجاريته فقدما على الواثق فدخلت قلم فأمرها بالجلوس والغناء فغنت فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها فقال صالح أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر فغضب الواثق من ذلك وردها عليه ثم غنى بعده زرزر الكبير في مجلس الواثق صوتا لقلم وهو

أبت دار الاحبة أن تبينا * أجدك ما رأيت لها معينا

تقطع نفسه من حب ليلى * نفوسا ما أثبن ولا جزينا

فسأل لمن الغناء فقيل لقلم جارية صالح فبعث الى ابن الزيات أن أشخص صالحا ومعه قلم فلما أشخصهما دخلت على الواثق فأمرها أن تغنيه هذا الصوت فغنته فقال لها الصنعة فيه لك قالت نعم يا أمير المؤمنين قال بارك الله فيك وبعث الى صالح فأحضر فقال أما اذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيأ له فيه رغبة وقد أهديتها الى أمير المؤمنين فان من حقها على اذ تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه فبارك الله له فيها فقال له الواثق قد قبلتها وأمر ابن الزيات أن يدفع له خمسة آلاف دينار وسماها احتياطا فلم يعطه ابن الزيات المال ومطله به فوجه صالح الى قلم من أعلمها ذلك فغنت الواثق وقد اصطبح صوتا فقال لها بارك الله فيك وفيمن رباك فقالت يا سيدي وما نفع من رباني مني الا التعب والغرم علي والخروج مني صفرا قال أولم آمر له بخمسة آلاف دينار قالت بلى ولكن ابن الزيات لم يعطه شيأ فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع الى ابن الزيات بحمل خمسة آلاف دينار اليه وخمسة آلاف أخرى معها قال صالح فصرت مع الخادم اليه بالكتاب فقربني وقال أما الخمسة آلاف الاول فخذها فقد حضرت والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها اليك بعد جمعة فقمت ثم تناساني كأنه لم يعرفني وكتبت اليه كتابا أقتضيه فبعث الي اكتب لي قبضها (أي وصلا) وخذها بعد جمعة فكرهت أن أكتب قبضها فلا يحصل لي شئ فاستترت منه في منزل صديق لي فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه الى الواثق فبعث الي بالمال وأخذ كتابي بالقبض وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي

﴿ قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية ﴾

كانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصنعة الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها وقالت في مولاها تمدحه

ما في المغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم

اني حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

ومن قولها تشوقا الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما * خلق الهوى العذري من أخلاقها

نفسي الفداء لها فأي محاسن * في الدهر تشرق من سنى أشرافها

ومن حسن صوتها وجمالها وتهذيبها حظيت عند مولاها وبقيت عنده في عز واقبال الى أن ماتت فأسف عليها أسفا شديدا

(حرف الكاف)

كاترينة هنريات دو بلداك دو انتراغ

مركيزة فرنل حليلة هنري الرابع ملك فرانسا ولدت في ارليان سنة ١٥٧٩ للميلاد توفيت في باريس ٢٤ شباط سنة ١٦٣٣ وهي ابنة فرنسوا دو بلداك دو انتراغ من زوجته الثانية ماري توشيت التي كانت قبل أن تزوجها عشيقة شارل التاسع ملك فرانسا أما كاترينة فكانت بديعة المعاني غاية في الجمال والدلال والذكاء فتنة للناس ذكرها رجال الدولة لهنري الرابع بعد موت عشيقته غبريالة دواستري فهام بها قبل أن يراها ولما التقيا ألقته في شرك الغرام فلم يجد عنها بعد ذلك سلوى وكانت برشاقتها ورقتها تزيده شغفا بها فأعطاها ٥٠٠ ألف فرنك وعاهدها خطا على أن يتزوجها اذا ولدت له ولدا ذكرا فلما نمى الخبر الى وزيره سلي استشاط غيظا ومزق المعاهدة أما هنري فكتبها ثانية وقدمها لها في تشرين الاول سنة ١٥٩٩ وسنة ١٦٠٠ أسقطت فتزوج الملك بماري دومديشي وبعد تزوجه بها لقي كاترينه فأوسعته شتائم ولم يتمكن من اخماد غضبها الا بجعلها مركيزة لفرنل وطلب اليها أن تتقرب الى الملكة وتؤانسها وألح عليها بذلك فأجابته الى طلبه ورضيت أن تقيم في اللوفر وولدت هناك عدة أولاد وكانت فيه سببا لتنغيص عيشه وعيش الملكة وجرى لها مع سلي مناقشات شديدة فكان يذكرها أمورا تغيظها وكانت تطلب الى الملك أن يفصله فلم يجب طلبها أما ماري دومديشي فكانت تلح على هنري الرابع باسترجاع معاهدة الزواج التي عقدها معها وهي تمانع في ذلك أشد الممانعة وتريها الكل من يرغب في الاطلاع عليها غير أن تمنعها أوقع بينها وبين هنري خصاما فطلبت اليه أن يسمح لها بالذهاب الى انكلترا مع أولادها فسمح لها بذلك بشرط أن ترد عليه المعاهدة ولكنها لم تسلمها الا بعد أن قبضت ١٠٠ ألف فرنك وعدلت عن السفر الى انكلترا فبقيت في فرنسا وواطأت جماعة على خلع الملك من جملتهم أبوها والكونت دواوفرن أخوها لامها فلما كشفت المؤامرة حكم عليها بالموت وذلك في شباط سنة ١٦٠٥ غير انه كان لم يزل لجمالها سطوة على الملك فاسترضته عنها فبدل قصاصها هذا بالسجن وأطلق سبيلها أيضا ولم يلبث أن قربها ثانية فصار لها عنده من المنزلة والحب والاكرام ما كان لها أولا ولم تزل هذه حالها الى أن قرب الملك غيرها فهجرها فتركت البلاط الملكي وصرفت أيامها الاخيرة في فرنل وباريس ولما استنطقت ابنة كومان رفيقة الملكة مرغريتا بعد أن قتل هنري الرابع اتهمت كاترينا بالاشتراك في قتله غير أنه لما كان قد حكم على الابنة المذكورة بالسجن مدة حياتها بطولها لانها شهدت شهادة زور في غير تلك المسئلة لم يتمكن المؤرخون من الاستناد الى ما اتهمت به المركيزة ومن جملة الاولاد الذين ولدتهم كاترينة لهنري الرابع غبريالية انجاليك التي تزوجت دوق ابرنون وتوفيت سنة ١٦٢٧ وغستون هنري دو فرنل ولد سنة ١٦٠١ وسمي اسقف المتس قبل لبس ثوب القسيسية غير انه لم يتم لبسه بل جعل دوقا ثم بيرام وتزوج بنت الكانشيليا زسفير وتوفي سنة ١٦٨٢ ومن أراد الوقوف على تفاصيل هذه الحوادث فعليه بمطالعة الكتاب الذي ألفه دولسبكورو وترجمته عنوان عشق هنري الرابع وقد طبع في باريس سنة ١٨٦٣

كاترينه دوماتوفنا دشكوف

أميرة روسيا ولدت في سنة ١٧٦٤ توفيت بقرب موسكو سنة ١٨١٠ كانت ثالثة بنت للكونت (رومان فودونتروق) تربت تربية علمية عند عمها الوزير الاول وكانت منذ نعومة أظفارها ميالة الى الافكار الحرة وحب الاستقلال دخلت البلاط وهي صغيرة أخت ولية العهد كاترينة الثانية وتزوجت في سنة ١٧٦٢ بالبرنس وشكوف فأقامت معه مدة في موسكو ثم رجعت الى البلاط وكانت أختها اليصابات قد صارت نديمة الامبراطور بطرس الثالث الجديد فحملتها الغيرة من أختها وكرهتها الارتباك البلاط وأعمال رجاله على الاشتراك عندما بلغت الثامنة عشرة من السن في مؤامرة ادارتها وخلعت الامبراطور بطرس الثالث وقتلته وولت امرأته الالمانية الامبراطورة وليس من المحقق ان ما استخدمت من الوسائل لتقوية تلك المؤامرة كان موافقا للناموس فعند قتله لبست ثوب رجل وامتطت جوادا وقادت فرقة من العساكر ولم تكن المكافأة التي حصلت عليها من الامبراطورة كافية ورفضت أن تجعلها قائدة للعرس الامبراطوري وآل ميلها الى الاستقلال وخشونة طبعها الى حرمانها من رضا الامبراطورة فاعتزلت عن البلاط وأكبت على الدرس والمطالعة ومعاشرة العلماء وبعد وفاة زوجها ساحت في غربي أوروبا وسنة ١٧٨٢ عهدت اليها الامبراطورة رياسة الاكاديمية العلمية وسنة ١٧٨٤ عينتها لرياسة الاكاديمية الروسية الجديدة ولها من الكتابات النثرية والشعر بشئ كثير وبعد وفاة الامبراطورة كاترينة سنة ١٧٩٦ أمرها الامبراطور بولس أن تنزل في قرية صغيرة من ولاية نفضودود فتوسطوا أمرها فعفا عنها وخرجت من المنفى وصرفت باقي أيامها في أملاك لها بقرب موسكو

كاترينه امبراطورة الروسيا الاولى

ولدت كاترينا في شمالي ولاية لبغونيا سنة ١٦٨٢ وسميت مرثا وأبوها من مدبرين الاخانسر في الجيش الاسوجي واسمه يوحنا راب وتوفي قبل ولادتها بزمن قصير فربتها أمها ثلاث سنوات بالحزن والفاقة الشديدة وتوفيت وتركتها عالة على الناس فشفق عليها رجل من أهالي قريتها وعالها مدة ثم أتى بها كاهن لوتري الى بيته في مدينة مرينبرج خادمة لاولاده ويقال انها بقيت في بيته الى أن توفي وانها كانت تلتقط من أولاده مبادي العلوم التي كانوا يتعلمونها في المدارس ولكن كل ما يروى عنها في حداثتها أقاصيص لا يركن اليها والذي يذكره المؤرخون أنها تزوجت في مرينبرج بجندي اسوجي سنة ١٧٠١ وانه في السنة التالية فتح الروسيون مدينة مرينبرج وقتلوا زوجها وأخذوها أسيرة فضمها الجنرال بور اليه ثم اتصلت بالاميرة فشيكوف ورآها عندها الامبراطور بطرس الاكبر فراعه جمالها ولطف حديثها فقربها منه وكان قد طلق زوجته لمخالفتها له في المبدإ والرأي فعمد كاترينا في كنيسة الروم وسماها باسم كاترينا الكسيونا وأشهر زواجه بها سنة ١٧١٢ وكان قد تزوج بها سرا قبل ذلك ويقال ان الداعي لاشهار زواجه بها أنه لما فتح الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٧١١ رأى أنه لا صبر له على فراقها لحبه لها ولمشاركتها له في الرأي واجتهادها في مرضاته واعجابها باعماله ومآثره فسافر بها علنا الى ميدان القتال كملكة محفوفة بالمجد والجلال وكانت تركب معه وتعرض نفسها للمتاعب والاخطار وتتلطف بالجنود وتزور المرضى منهم وتطيب قلوبهم ثم اشتدت الازمة على الامبراطور وضيقت عليه الجنود العثمانية حتى أيقن بالوبال ويقال

إنه دخل خيمته حينئذ وأمر حرسه أن لا أحد يدخل عليه فجاءت كاترينا ودخلت عليه بالرغم عن أمره فلما رآها لم يتضرر من دخولها لاحتياجه الى سديد رأيها فأشارت عليه أنه يصالح العثمانيين ويرد لهم البلاد التى أخذها منهم وقالت انها تتكفل بارضاء بلطجى محمد قائد الجيش العثمانى فسر منها وفوض اليها تدبير الامر فاختارت ضابطا حكيما وأرسلته الى عسكر العثمانيين بهدية سنية من الجواهر الغراء والنقود فعقدت شروط الصلح وأمضاها الفريقان وقد ارتاب كثيرون من المتأخرين فى صحة هذا الخبر وقالوا إنه لا صحة لما يروى من مداخلة كاترينا فى عقد الصلح ومهما يكن من الامر فلا شبهة فى أن الامبراطور نفسه كان يحسب لها فضلا فى نجاته من الجنود العثمانية هو وجنوده وبعد ثلاث سنوات ولدت له ابنة ففرح بها فرحا عظيما وصنع رتبة سماها رتبة القديسة كاترينا اكراما لزوجته وجعل لها عيدا كل سنة تذكارا لها واتفق أنه تغلب قبيل ذلك على الاسطول الاسوجى وأسر أميره فأتى بالاسرى فى هذا العيد ودخل بهم مدينة بطرس برج باحتفال عظيم ثم سافر فى ممالك أوربا ينظر فى سياستها ويسبر غور رجالها وأخذ زوجته معه فولدت فى أثناء الطريق ولدا لم يعش الا يوما واحدا وكان هو قد سبقها قليلا فأسرعت اليه وهى نفساء لكى لا يمل من انتظارها وهذا دليل على أن رفاهية البلاط الملوكى لم تغير من طباعها ولا أضعفت من همتها وكانت تتفقد معه الاماكن التى زارها فى سياحته الاولى حينما زار أوربا لكى يتعلم صنائع أهاليها وفنونهم وسنة ١٧٢٤ ألبسها التاج وأوصى لها بالملك من بعده ويقال انه سار معها الى الكنيسة ماشيا بصفة قائد لفرقة جددها سماها شفالية الامبراطورة ووضع التاج على رأسها بيده وأمر بان يقرأ الاعلان الآتى الذى أنشأه قبل ذلك وهو من حضرة الامبراطور المتولى على جميع الدولة الروسية الى جميع فئات القسيسين والضباط الملكيين والعسكريين والاهليين عموما الموصوفين بالامانة لا يخفى على كل منكم العادة المستمرة الجارية فى الممالك المسيحية التى بمقتضاها يتوج الملوك زوجاتهم كما هو جار الآن وكما فعل الملوك المسيحيون الشرقيون فى الازمان الغابرة كالقيصر بازلند الذى توج زوجته زنوبيا والقيصر يوستنيانوس الذى توج زوجته لويسينا والقيصر هرقل الذى توج زوجته مرتينه والامبراطور ليون الفيلسوف الذى توج زوجته ماريا وكذا جماعة غيرهم من القياصرة قد وضعوا التاج الامبراطورى على رؤس نسائهم ولا محل لذكرهم هنا جميعهم ومن المعلوم أننا طالما خاطرنا بأنفسنا واقتحمنا الشدائد والاهوال مدة الحرب الاخيرة التى مكثت احدى وعشرين سنة متوالية لحفظ وطننا وقد أنهيت هذه الحروب بعون الله بالشرف الكامل وبالصلح الذى لم يسبق أنه وقع مثله لدولة روسيا ولم تحرز قط من الفخار ما حازته بهذه الحروب وحيث إن زوجتنا الامبراطورة كاترينا قد ساعدتنا على الخلاص من ربقة هذه الاخطار فى عدة وقائع ولاسيما التى حصلت بيننا وبين الجنود العثمانية على نهر بروت حيث تضعضع حال جيوشنا وآل أمرها الى ٢٢ ألف مقاتل وكانت العساكر العثمانية ٢٧٠ ألف وأظهرت فى تلك الازمنة غيرة عظيمة وشجاعة فائقة كما هو معلوم عند جيوشنا فبالنظر الى ذلك وبمقتضى التصرف والنفوذ الموهوب لنا من الله تعالى يتم تتويجها فى فصل الشتا من هذه السنة بمدينة موسكو وقد أعلنا ذلك قبلا لرعايانا المحبين الامناء ومحبتنا الامبراطورية لا تزال لهم بدون نقص ولا تغيير

ثم سافر الامبراطور بها فى أواخر سنة ١٧٢٤ وهى السنة التى توجها فيها وأمر بقتل الرجل الذى

اتهمها به والارجح أن تهمته لها كانت باطلة ولم تطل حياته بعد ذلك لانه توفى فى بداية سنة ١٧٢٥ فأخفت هى ورجال بلاطها خبر موته الى أن يستتب لها الامر من بعده وقد اتهمها البعض بانها دست له السم وهذا أيضا لا دليل على صحته ولاسيما انها لم تكن على يقين من وصول الامر اليها وتضاربت الآراء بعد وفاته فيمن يخلفه ولكن تحزب لها الامير تشكوف وغيره من أهالى المناصب الرفيعة والكلمة النافذة وتقدم رئيس اساقفة بلوسكو وأقر أمام الجنود والشعب أن الامبراطور رأوصى لها بالملك من بعده اذ قال انه لا يرى كفؤا ليخلفه غيرها ولما قال ذلك انكسرت شوكة أضدادها وأقر الجميع على مبايعتها فاستقرت على عرش روسيا فى خطة زوجها لانها سلمت تدبير أمور المملكة الى فشكوف الحكيم ومن الاعمال العظيمة التى عملتها أنها أبطلت مجلس الاعيان وألغت ألقاب الجمع المقدس وقيدت خدمة الدين ضمن دائرة الكتب المقدسة وعضدت مجالس المعارف وعينت لاعضائه المرتبات الطائلة وأناطت أشغال الدولة بمجلس شوراها السرى ولكنها لم تختم حياتها بالخير كما بدأتها اذ يقال انها مالت الى المسكر فى أواخر أيامها وعاشت عيشة أسرعت بها الى القبر فتوفيت فى السابع عشر من شهر مايو (ايار) سنة ١٧٢٧ ولا مشاحة فى أنها كانت امرأة عظيمة وقت نفسها من الذل وتسلطت على قلب ملك من أعظم ملوك عصرها ولم تقنع نفسها الكبيرة بانها صارت زوجة شرعية لهذا الملك العظيم بل رفعتها همتها الى عرش روسيا فصارت عالية على أشراف الروس العريقين فى النسب وأحسنت السياسة فيهم وأبقت لها بينهم ذكرا مجيدا

﴿ كاترينا الثانية امبراطورة روسيا وهى ابنة دوق انهلت زربست ﴾

هذه الملكة كانت أديبة عاقلة عالمة بضروب السياسة تبوأت الملك فى سنة ١٧٦٢ وتوفيت سنة ١٧٩٦ فكانت مدة ملكها أربعا وثلاثين سنة وفى أيامها اكتسبت روسيا نفوذا أوليا قاطعا فى السياسة الاوروباوية واعترف بانها من دول أوروبا العظمى وأدركت منافع السلم الخارجى بتوجيه خواطرها واجتهادها الى تقدم امبراطوريتها وبعد استوائها على عرش الملك بمدة وجيزة أرجعت العساكر المشتركة بحرب السبع سنين وجعلت عرشها محفوفا بجمهور من رجال السياسة والحرب المشهورين بالحذق أكثر من اشتهارهم بالسجايا ومنهم غالنسن ورومیانترف وبانينه وأورلوف وستلينكوف وسوفادوف وتشرنتشيف وربنين وبوتمكين وكانت لها اليد الطولى بتقسيم بولونيا فى عام سنة ١٧٧٢ وسنة ١٧٩٣ واستولت على ثلثيها وفى اثر حروب كثيرة ضمت الى روسيا القرم وأزوق وغيرهما ومساحة ماضم الى امبراطوريتها أيام ملكها نحو مائتين وخمسة وعشرين ألف ميل مربع ومنها كورلند وأما أعمالها الآيلة الى تقدم البلاد الداخلى فلم تكن أعمالها الحربية أعظم منها فان نحو خمسين ألفا من الغرباء المجدين استوطنوا أراضى روسيا الزراعية الجنوبية وأنشأت عدة بيوت للتعليم والاحسانات الى المعوزين وأكسبت التجارة البرية والبحرية والصناعة نجاحا عظيما ورواجا كثيرا وأصلحت ادارة الامبراطورية حق الاصلاح وسنة ١٧٦٦ عقدت جمعية من وكلاء الولايات لوضع قانون ونظام جديد وكانت درجة تعليم النساء فى أول ملكها منحطة جدا فأفرغت هذه وسعها فى سبيل ترقية قواهن العقلية واعلاء درجتهن فى الهيئة الاجتماعية ومن الوسائل التى استعملتها انشاؤها مدرسة كاثرينكية للبنات فى بطرس برج من

قوانينها أن الابنة متى دخلتها لا تتمكن من تركها الا لمضى سبع سنوات لاعتقادها ان هذه المدة تعتبر كافية لكمال التهذيب وكانت المدرسة المذكورة مقسومة الى قسمين القسم الاول لاجل تربية بنات الشرفا والثانى للدرجة الوسطى من الشعب وكان عدد البنات اللواتى تلقين التربية فيها ٥٠٠ ومن ذلك الحين سنة (١٧٦٤) أخذت مدارس الاناث بالازدياد فى كل روسيا وأنشأت اهن الامبراطورة محلات للرياضات الجسدية فى كل انحاء المملكة وبلغ عددها (سنة ١٨٧٣) ٢٠٠ وعدد التلميذات ٢٣٠٠٠ وتجمع دراهم خصوصية من البلديات للقيام بمصاريف المدارس المذكورة التى لم ينحصر نفعها فى تربية النساء الروسيات فقط والآن آل تقليل النفور والبغضاء الناتجة عن التفاوت فى حقوق الولادة والمركز والثروة فتذهب التلميذات الى محل الرياضات الجسدية بدون تمييز النسب والقرابة ويلبسن فى ظروف كثيرة ملابس واحدة وفى المدينة المؤلفة من أجناس مختلفة من الاهالى لا يراعون الجنسية فترى البنات التتريات والبشكيريات مختلطات مع الروسيات فى الشرق كاختلاط الروسيات والبولونيات فى الغرب واذا اعتبرنا الزمان الذى ابتدئ فيه بالاعتناء بتربية النساء فيها نحكم بانهن قد أظهرن من الذكاء والميل الطبيعى لتلقى العلوم والتربية الحسنة شيأ كثيرا وسنة ١٨٧٢ كان فى مدرسة زوريخ الكلية ٦٣ تلميذا و ٥٤ منهن من الروسيات ولا يراعون اختلاف الاديان فى ادخال التلميذ الى المدارس فحقوق الطوائف متساوية فى هذا الصدد ويوجد فى كل مدرسة كهنة مخصوصون للاهتمام بامور التلامذة الدينية فلا يتعرضون للمسلمين واليهود فى شئ من أمورهم الدينية واذا فرضنا ان عدد التلاميذ من مذهب واحد لم يكن كافيا لتعين المدرسة لهم مدرسا دينيا فيترك الاعتناء بامر دينهم الى والديهم أو أقاربهم وقد أبطلت الامبراطورة فيها القصاصات بالقتل أو الضرب ولا يحكمون بالقتل الآن الا على مرتكبى أكبر الجنايات ولا تقوى المجالس الجنائية على الحكم به ولكن تحال الدعوى الى مجالس عالية تتشكل فى هذه الظروف ولا يزالون فى سيبيريا يقاصون المجرمين بالضرب وذلك لاجل المحافظة على الترتيب بينهم وذكر فى تقرير سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٨ ان معدل عدد المذنبين فيها ٣٤٠٠٠ من ذنوب مدنية وجنائية وسياسية وعدد الذين حكم عليهم بالقصاصات من المذنبين وحكم على ١٢١١ منهم بالاشغال الشاقة وعلى ٢١٧٢ مذنبا بالابعاد الى سيبيريا وعلى ٢٤٨٨ بالنفى المؤبد وعلى ٦٦٦٧ بالسجن فى القلاع حيث يشتغلون بالصنائع اليدوية الشاقة وعلى ١٣٦٦٩ مذنبا بالسجن وعلى ٥٧٧٥٧ مذنبا بقصاصات خفيفة وأما جرائم السرقة فكانت ٣١ فى المائة من عدد المذنبين وحوادث القتل ٢ فى المائة وكان عدد النساء المذنبات فى الاربعة وثمانين ألفا نحو ١٨٨٠٠ وأكثر قليلا من عشرة فى المائة وبالجملة فان نتيجة اجتهاد هذه المملكة جعلت البلاد فى تقدم ظاهر حسدتها عليه باقى الدول وكانت مع ماهى عليه من سمو الافكار واتساع المدارك لا تألو جهدا من اشتغالها بفن التطريز والتصوير والنقش والحفر بالمعادن والعاج وذلك لتعلقها فى الصناعة وكانت محبة للعلماء مقربة لهم وأخصهم الفلاسفة المشهورون وكانت مرة أهدت الى فولتير علبة من العاج من صنع يدها فسر فولتير لهذه الهدية وبعد قليل كافأها بان قدم لها زوجا من الجرابات الحريرية من صنع يده وأرسل لها رسالة يقول فيها ان جلالتك تكرمت باهداء ماهو من أعمال الرجال ولكنه مصنوع بأيدى النساء فاهديتك ماهو من أعمال النساء ولكنه مصنوع بايدى الرجال وانى أرجو قبول هديتى وعساها أن تنال حظا لديك

ولما وصلت لها هذه الهدية سرت سرورا لامزيد عليه وأكرمته اكراما زائدا وبالجملة فان هذه الملكة لم يتول تخت روسيا من النساء مثلها

﴿ كبشة بنت معدى كرب الزبيدى أخت عمرو بن معديكرب المشهور صاحب الصمصامة ﴾

كانت مشهورة بين نساء زمانها بالحسن والجمال والذكاء والشجاعة والاقدام وكانت تقول الشعر ويغلب على شعرها الحماسة وطالما كانت تعرض على أخيها عمرو وتفاخره وكانت تزوجت عبد الله بن منقذ الهلالى وقد ائتلفت معه ائتلافا شديدا وأحبته حبا لامزيد عليه ومكثت معه مدة وهما على غاية ما يرام من الراحة والرفاهية حتى كان ذات يوم غزا غزوة فى العرب فكان فيها يومه وبلغ الخبر كبشة فشقت عليه الجيوب ولطمت الخدود ورثته بمراث كثيرة منها قولها

وأرسل عبد الله اذ حان يومه * الى قومه لا تعقلوا لهم دمى
ولا تأخذوا منهم افالا وأبكرا * وأترك فى بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمرا ان عمرا مسالم * وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان أنتم لم تثأروا واتديتم * فمشوا باذان النعام المصلم
ولا تشربوا الا فضول نسائكم * اذا ارتملت أعقابهن من الدم

﴿ كبك خاتون زوجة السلطان أوزبك ﴾

قال ابن بطوطة كبك خاتون (بفتح الكاف الاولى وفتح الباء الموحدة) بنت الامير نغطى (بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وأبوها كان مبتلى بعلة النقرس قال وقد رأيته فى غد دخولنا على الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ فى المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلمنا عليها وأحسنت فى السلام والكلام وقرأ قارئنا فاستحسنته وأمرت بالقمز فأحضر وناولتنى القدح بيدها كمثل ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها

وقد أجزلت لنا العطاء وهكذا عادتها فانها تكرم كل من تسمع به انه غريب ولها مآثر حسنة وخيرات واسعة ومبرات على الفقراء والمساكين لم يسبقها عليها أحد من نساء زمانها

﴿ كريمة بنت محمد بن حاتم ﴾

جاورت بمكة المكرمة وروت صحيح البخارى عن الكشميهنى وروايتها من أصح روايات البخارى وروت عن زاهر السرخسى وكانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها وهى فى الفهم والنباهة وحدة الذهن بحيث ترحل اليها أفاضل العلماء وكان لها مجلس بمكة المكرمة تجتمع فيه الطلبة والافاضل من رجال كل علم وهى تلقى على كل نوع مما يطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى وكان أكثر ميلها الى الحديث حتى بلغت فيه حدا لم يبلغه غيرها ولم تتزوج قط وبلغ عمرها ١٠٠ سنة وتوفيت بمكة المكرمة

﴿ كليوباتره ملكة مصر ﴾

هى من الملوك البطالسة الذين تغلبوا على مصر عقيب دولة الفراعنة اقترنت بأخيها بطليموس ديونيسيوس

سنة ٥٢ قبل الميلاد وكان فى سن الثالثة عشرة وهى فى سن السابعة عشرة فراودتها نفسها على الاستئثار بالعرش دونه فقاومها رجال البلاط وأوصياء زوجها القاصر حتى اذا أعيتها الحيلة عمدت على الاستنصار باغسطوس قيصر الرومان فألف ذات بينهما ولكنها بعد قليل تزوجت بأخيها الثانى ولم يكن قد أتى عليه احدى عشرة سنة فنودى به بأمر قيصر ملكا على مصر ثم مات هذا مسموما بعد زواجه بأربعة أعوام ولما خلا العرش من ملك بعث انطنيوس أحد مشتركى دولة الرومان الاربعة فاستدعى كليوباتره الى طرسوس حيثما كان ذاهبا الى محاربة بروتوس الرومانى فلبت الدعوة وسارت على أجنحة الرياح حتى بلغت نهر طرسوس وهنالك اتخذت لها سفينة فاخرة الاثاث أرجوانية السجف والقلاع مزدانة ببديع الاوانى ونفائس الجوهر وأفرغت على قدها الفتان حلة كسروية مدبجة بالدر وكللت جبينها الوضاح بتاج وهاج وألبست وصائفها الحور ثيابا خضرا من سندس واستبرق وتصدرت بينهن كأنها الشمس وكأنهن البدور وهن يضربن بالعيدان والقيثار ويطلقن البخور والند حتى عبق الشاطئ برياحها وماج النهر طربا بنغمات أعوادهن ولألاء محياهن فلما لقيها انطونيوس استطار فؤاده شغفا وذهب رشده هياما وكلفا فاعتم أن عاد معها الى الاسكندرية وهنالك زفت عليه حليلة فلم يستطع بعد على فراقها صبرا فغادر واجباته ومهامه الى التقادير وأصبح لا يستفيق من خمرة حبها سكرا ولما طار الخبر الى زوجته الاولى أوكتافيا نزغها من شيطان الغيرة نازغ فأغرت أخاها أوكتافيوس أحد الشركاء الاربعة على مخاصمته والانتقام منه فحشد جيشا خميسا وقصد به الديار المصرية فتغلب عليها بعد نزال يشيب لهوله الوليد ولما حمى الوطيس وأحس انطونيوس بسوء المنقلب سقط فى يده ولات حين ندامة فتناول مدية وطعن بها نفسه فكانت القاضية وأما كليوباتره فلما لم تنطل أساليبها على أوكتافيوس ولم تقو على احتلابه بما أوتيت من الجمال الباهر واللطف الساحر بفوات عرشها بعد ان أحاطت به جواريها وأترابها وكانت قد زينت رأسها بالتاج وأفرغت على جسدها البلورى حلة من نفيس الديباج ثم زحزحت غلالتها عن نهديها العاجيين وأطلقت حية خبيثة على صفحة صدرها المزرى باللجين فلدغتها لدغة مشوق ملهوف أوردها حياض الحتوف وكان ذلك سنة ٣٠ قبل المسيح وبموتها انقرض الله دولة البطالسة بعد أن حكمت مصر ٢٩٤ عاما فسبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون

كانت مدة ملك كليوباتره ٢٢ سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة الطب وقال العلامة المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر انه سبب وفاة كليوباتره كانت عند ما جمعت فى مجلسها أصناف الرياحين استحضرت حية من الحيات التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهى نوع من الحيات التى تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من أعضائه قفزت أذرعا كثيرة كالريح فلم تخطئ ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتى على الانسان ولا يعلم بها احد من فوره ويتوهم الناس انه قد مات حتف أنفه فجاءت بحية وضعتها فى اناء بلورى ثم لما علمت أن أغسطس أوكتافيوس أراد الدخول فى قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وان لا يلحقها العذاب بعدها فسمتها بالاناء فخمدت من فورها ثم جلست كليوباتره على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهور والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر

من عجائب الرياحين وغيرها مبسوطة فى مجلسها وامام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتفلت عليها فجفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والاصباغ فدخلت فى تلك الرياحين ودخل أغسطس أوكافيوس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى أنها تنطق فدنا منها فتبين أنها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها يلمسه ويتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها واختيارها للموت على الحياة مع الذل ثم ما كان من القاء الحية بين الرياحين فقال فى ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا الحية قد أفرغت سمها على الجارية ثم على الملكة لكان أغسطس أوكافيوس قد هلك من ساعته

وكانت كليوباتره دائما تحب القصف والخلاعة وتألف الملاهى وطالما تمنت أن يكون لها حبيب تركن اليه وتعول فى أمورها عليه

ولها أيام لطيفة وليال ظريفة ووقائع حسنة ونوادر مستحسنة

﴿ كنزة أم شملة بن برد المنقرى من ولد قيس ﴾

كانت من شاعرات العرب المتقدمات فى الادب اشتراها برد المنقرى وتزوجها فولدت له شملة بن برد وكان من الشجاعة على جانب عظيم وطالما اقتحم الحروب وأباد الاقران فمن شعرها حينما هجمت عليهم العرب عند غياب ولدها شملة قولها

ان يك ظنى صادقا وهو صادقى * بشملة يحبسهم بها محبسا أزلا

فياشمل شمر واطلب القوم بالذى * أصبت ولا تقبل قصاصا ولا عقلا

﴿ وقالت أيضا ﴾

الهفى على قومى الذين تجمعوا * بذى السيد لم يلقوا عليا ولا عمرا

فان يك ظنى صادقا وهو صادقى * بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا

وقد صدق قولها وبلغ الشعر ولدها فقال والله لاصدقنها قولها وقصد القوم فقابلهم وأبلى بهم بلاء حسنا واسترد منهم ما سلبوه من قبيلته ومن شعرها قولها

ألا حبذا أهل الملا غير أنه * اذا ذكرت مى فلا حبذا هيا

على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخلف طعمه * وان كان لون الماء أبيض صافيا

اذا ما أتاه وارد من ضرورة * تولى بأضعاف الذى جاء طاميا

كذلك مى فى الثياب اذا بدت * وأثوابها يخفين منها المخازيا

فلو أن غيلان الشقى بدت له * مجردة يوما لما قال ذا ليا

كفول مضى منه ولكن لرده * الى غيرمي أولا صبح ساليا

﴿ كلابة مولاة ثقيف ﴾

كانت عند عبد الله بن القاسم الاموي العبلي وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن في شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشدّ ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره ولعمري مالقي أحدا فيه خيرو لئن لقيته لأسودن وجهه فبلغه ذلك عنها وكان العبلي نازلا على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الضنق على ثلاثة أميال من مكة والعرج أعلاها قليلا مما يلي الطائف فبلغ العرجي أنه خرج الى مكة فأتى قصره فأطاف به فخرجت اليه كلابة وكان خلفها في قصره فصاحت به الملك ويلك وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر فاستسقاها فأبت أن تسقيه وقالت لا يوجد والله أثرك عندي أبدا فيلصق بي منك شر فانصرف وقال يستعلين وقال هذه الابيات ليتهمها الناس ويوقع بها أمام سيدها

حور بعثن رسولا في ملاطفة * ثقفا اذا عقل النساءة الوهم

الى ان أتينا هدأ اذا عقلت * أمرا سناوافتضنا ان همو علموا

فجئت أمشي على هول أجشمه * تجشم المرء هولا في الهوى كرم

اذا تخوفت من شئ أقول له * قد جف فامض بشئ قدر القلم

أمشي كما حركت ريح يمانية * غصنا من البان رطبا طله الديم

في حلة من طراز السوس مشربة * تعفو بهدابها ما أثرت قدم

خلت سبيلي كما خليت ذا عذر * اذا رأته عتاق الخيل يتجم

وهن في مجلس خال وليس له * عين عليهن أخشاها ولا ندم

حتى جلست ازاء الباب مكتتما * وطالب الحاج تحت الليل مكتتم

أبدين لي أعينا نجلا كما نظرت * أدم هجان أتاها مصعب قطم

قالت كلابة من هذا فقلت لها * أنا الذي أنت من أعدائه زعموا

انا امرؤ جد بي حب فاحرمني * حتى بليت وحتى شفني السقم

لا تكليني الى قوم لو انهمو * من بغضنا أطعموا الحى اذا طعموا

وأنعمي نعمة تجزى باحسنها * فطالما نالني من أهلك النعم

ستر المحبين في الدنيا لعلهمو * أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا

هذي يميني رهن بالوفاء لكم * فارضي بها ولأنف الكاشح الرغم

قالت رضيت ولكن جئت في قمر * هلا تلبثت حتى تدخل الظلم

فبت أسقي بأكواب أعل بها * من بارد طاب منا الطعم والنسم

حتى بدا ساطع للفجر نحسبه * سنا حريق بليل حين يضطرم

كغرة الفرس المنسوب قد حسرت * عنه الجلال تلالا وهو يلتجم

ودعتهن ولا شئ يراجعني * الا البنان والا الاعين السجم

اذا أردن كلامي عنده اعترضت * من دونه عبرات فانثني الكلم

تكاد اذ رمن نهضا للقيام معي * أعجازهن من الانصاف تنقصم

وقد أعطاه العرجي جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان وقال لا أجد لهذه الأمة شيأ أبلغ من ايقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع راتبها من ماله فلما سمع العبلي بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ثم أرسل بها بعد زمان على بعير الى مكة فاحلفها بين الركن والمقام ان العرجي كذب فيما قاله فحلفت سبعين يمينا فرضي عنها وردها فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجي (طالما مسنى من أهلها النعم) قال كذب والله ما مسه ذلك قط

(حرف اللام)

﴿لبنى بنت الحباب الكعبية﴾

كانت أحسن نساء زمانها وجها وأرقهن شمائل وأعذبهن منطقا وألطفهن اشارة ذات فصاحة وأدب ومعرفة بأشعار العرب وهي صاحبة قيس بن ذريح العذري رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب وكان سبب علاقته بها أنه ذهب لبعض حاجاته فربني كعب وقد احتدم الحر فاستقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما صدر قالت له ألا تبرد الحر عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه وجاء أبوها فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم ضياء اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه ومر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها فوجد عندها أضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى أبيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فغتم منه وجاء الى أمه فكان منها ما كان من أبيه فتركها وجاء الى الحسين بن علي بن أبي طالب وأخبره بالقضية فرثى له والتزم أن يكفيه هذا الشأن فمضى معه الى أبي لبنى فسأله في ذلك فأجاب فقال يا ابن رسول الله لو أرسلت لكفيت بيد أن هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبي قيس حافيا على حر الرمل فقام ذريح ومرغ وجهه على أقدامه ومشى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى وأدى الحسين المهر من عنده ولما تزوجها أقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من أحسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة ولكن لم تلد لبنى فساء ذلك أبويه فعرضا على قيس انه يتزوج بمن تجيء بولد وذلك أحفظ لنفسه وأبقى لماله فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا أسوءها قط وقام يدافعهما عشر سنين الى ان أقسم أبوه أن لا يكنه سقف الا أن يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الحر يجيؤه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك الى أن قدر الله وطلقها فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد سأل الجارية عن أمرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فنعه أهلها وأخبروه أنها ترتحل الليلة أو غدا فسقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

وإني لمفن دمع عيني بالبكا * حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي * بكفيك الا أن ما حان حائن

فلما حلت الى المدينة يئس قيس واشتد شوقه وزاد غرامه وأفضى به الحال الى مرض ألزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فلما أيس منه

استشار قومه فى دائه فاتفقت آراؤهم على أن يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل أن تقع عينه على من تسليه عن حب لبنى ففعل حتى نزل بحى من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خزوهى كالبدر حسنا فسألها عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون ونضحت على وجهه الماء فلما أفاق استنسبته فاذا هو قيس لبنى وكان أمرهما اشتهر فى العرب وجاء أخوها فاخبرته فركب حتى استرده وأقسم عليه أن يقيم عنده شهرا فقال له لقد شققت على وأجاب فكان الفزارى يعجب به ويعرض عليه المصاهرة حتى لامته العرب وقالوا نخشى أن يصير فعلك هذا سنة فى العرب فقال دعونى ففى مثل هذا فليرغب الكرام وألح عليه وزوجه باخته فلما بلغ لبنى قالت انه لغدار وانى طالما خطبت فأبيت والآن أجيب وكان أبوها قد اشتكى قيسا الى معاوية وقال انه يشبب بابنته فكتب الى مروان يهدر دمه وأمره أن يزوج ابنته بخالد بن حلدة الغطفانى ففعل وأجابت حين علمت بزواج قيس فجعل النساء يغنينها ليلة الزفاف

لبنى زوجها أصبح * لا حر بواديه

له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه

وقيس ميت حقا * صريع فى بواكيه

فلا يبعده الله * وبعدا للنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى أتى محل قومها فقالت له النساء ما تصنع بهذا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى محل خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله فقد الوالدين يتيم

يتيم جفاه الاقربون فجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

وحجت لبنى فى تلك السنة فاتفق خروج قيس أيضا فتلاقيا فبهت وأرسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمى * فآية تسليمى عليك طلوعها

بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها

ولو أبلغتها جارة قولى اسلمى * بكت جزعا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا شديدا فانهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتى * غداة غد اذ حل ما أتوقع

تمنيننى نيلا وتلوينني به * فنفسى شوقا كل يوم تقطع

ألومك فى شأنى وأنت مليمة * لعمرى وأجفى للمحب وأقطع

وأخبرت أنى فيك مت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع

اذا أنت لم تبكى على جنازة * لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع وأعلمته أنها انما تركت زيارته خوفا عليه أن يهلك والا فمنزلها عندها ما عنده ولكنها جالدة وجاء قيس الى المدينة بناقة من

له ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتنى غدا فى دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت لبنى لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الأحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكى أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها ساعة لا ينطق بلفظ ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال مالك غدا لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل على لبنى فقالت له ما هذا انه لقيس فحلف أنه لا يعرفه وأنشد قيس معاتبا لنفسه

أتبكى على لبنى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون وأظهر
كأنى فى أرجوحة بين أحبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان قد أهدر دمه فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لى أن أقيم ببلدها ففعل فنزل حين زال هدر دمه بحيها وتضافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض وأضرابهما وقد قصد قيس ابن أبى عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة فجاء ابن أبى عتيق الى الحسن والحسين وأعلمهما أن له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن يجداه عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه فى طلب ابن أبى عتيق وهم لم يعلموا الغرض قال سلوا ما شئتم فقال ابن أبى عتيق أهلا كان أو مالا قال نعم فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندى فقال أشهدكم أنها طالق فاستحيوا منه وعوّضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت ونقلت الى العدة وعاتبت لبنى قيسا على تزويجه الفزارية فحلف لها أن عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وأنه لو رآها لم يعرفها وأخبرته انها كارهة زوجها وأعلمته انها لم تتزوج به رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنها وتوفيت لبنى فى العدّة سنة ٣٣ وان قيسا حين بلغه ذلك خرج حتى وقف على قبرها وأنشد

ماتت لبنى فموتها موتى * هل ينفعن حسرة على الفوت
انى سأبكى بكاء مكتئب * قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمى عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وله فيها أشعار كثيرة منها

اذا خدرت رجلى تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التى لو أن نفسى تطيعنى * لفارقتها فى حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى وريشت * وريشت أخرى مثلها وبريت
فلما رمتنى أقصدتنى بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأننى * قرنت الى العيوق ثم هويت
فياليت أنى مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فوطن لهلكى منك نفسا فاننى * كأنك بى قد يا ذريح قضيت

وقال أيضا

عيد قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادنى العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي * انها لاتعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

وقال وقد سأله الطبيب مذ كم وجدت بهذه المرأة ماوجدت فانشد

تعلق روحي روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافا وفى المهد
فزاد كما زدنا وأصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنفصم العقد
ولكنه باق على كل حادث * وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

﴿لبانة ابنة ريطة بن على بن عبد الله بن طاهر﴾

كانت من أحسن نساء زمانها وأوفرهن عقلا وأعظمهن أدبا فصيحة المنطق عذبة اللسان شاعرة وشعرها مقبول ولها علم بضروب الغناء تزوجها محمد الامين بن هرون الرشيد فقتل ولم يبن بها فقالت ترثيه

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والرمح والفرس
أبكى على سيد فجعت به * أرملني قبل ليلة العرس
يافارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس
من للحروب التي تكون بها * ان أضرمت نارها بلا قبس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبر أم من لفائدة * أم من لذكر الاله فى الغلس

ولما قتل الامين رجعت الى منزل والدها ولم تمالك أن تبقى مع السيدة زبيدة بنت جعفر أم الامين لانها تشاءمت منها فخشيت على نفسها من الاهانة والاحتقار

وبعد أن استتب الامر الى المأمون جعل لها إدرارات ورواتب تنفق منها ولم يتركها تذهب الى حيث شاءت بل جعلها كأنها من حرم دار الخلافة وبقيت على ذلك الى أن ماتت بآخر خلافته

﴿لطيفة المذانية﴾

توفى أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فربيت فى بيت عمها حتى بلغت وكان لعمها ولد شاب يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطف والعفة فكانت لطيفة تنظر اليه فيعجبها الى أن تمكن حبه منها فمرضت وهى تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها أحيانا فاذا دخل الغلام أفاقت والتمست تأكل فأخبرت أباه فقال يا لها نعمة ثم زوجه بها فأوقع الله حبها فى قلبه فأقاما على أحسن حال مدة وهو يأمرها أن تكون دائما متزينة مطيبة ويقول لها لاأحب أن أراك الا كذا فلم يزالا على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت به وجدا شديدا فكانت تتزين بانواع زينتها كما كانت وتمضى فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعى مررت أنا وصاحب لى بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها علام ذا الحزن الطويل فانشأت

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يافتيان

وانى لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه حين يرانى

فبجينا منها ثم انحرنا فجلسنا بحيث لا ترانا ننظر ما تصنع فانشأت

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسنى * وكان يكثر فى الدنيا مـواساتى

قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل * كأننى لست من أهل المصيبات

لزمت ما كنت تهوى لمن تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآت

فمن رآنى رأى عبرى موالهـة * مشهورة الزى تبكى بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثنى باعجب ما رأيته فأخبرته بامر لطيفة فكتب الى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليـه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعى فلم يذكرها الرشيد مرة الا ذرفت عيناه

لويزا مارى كارولين

لويزا كونتة البينى زوجة آخر رجل من عائلة ستورت ولدت فى منس من بلجيكا سنة ١٧٥٣ وتوفيت فى فلورنسا سنة ١٨٢٤ وهى ابنة البرنس غستافوس أدولفوس تزوجت سنة ١٧٧٢ بشارل أدورد ستورت حفيد جمس الثانى وكان يدعى بحق الجلوس على تخت ملك بريطانيا ويعرف بكونت البينى وكان أكبر منها بثلاث وثلاثين سنة ويقال انه تزوجها أملا أن يولد له منها وارث شرعى لبيت ستورت الذى كان مناظر الملك انكلترا الا أنهما لم يتفقا فانها كانت جميلة فتينة مهذبة عاقلة وكان هو هرما خشن الطباع سيئ الخلق فعاش فى فلورنسا وهناك تعرفت بالغيارى الشاعر فحصل لها عنده اعتبار عظيم ويقال انه عشقها عشقا مفرطا وانها هى التى حركته الى تأليف تراجيدياته ولم تتهم قط بخيانة زوجها الا أن شدة فظاظته حملتها أخيرا على تركه فالتجأت الى دير فى فلورنسا ثم انتقلت الى دير فى رومية وسنة ١٧٨٣ تمكنت من فسخ زواجها بتوسط غستافوس الثالث ملك أسوج وسعى لها غستافوس المذكور براتب عينته لها الحكومة الفرنساوية غير انه قطع عنها عند حدوث الثورة ويقال انها بعد نحو سنتين من وفاة زوجها سنة ١٧٨٨ تزوجت الغيارى سرا وكان لها فى فلورنسا سطوة عظيمة جدا فى المصالح السياسية ونفوذ بين أكابر رجال الدولة فكان نابوليون يخافها وبعد وفاة الغيارى المذكور كانت تصرف معظم وقتها فى فلورنسا ويقال انها جرى لها هناك مع (فرنسوا كزافيه فابر) وهو مصور فرنسوى علائق ووداد متينة ولما توفيت دفنت فى كنيسة (سنتا كروتشا) فى فلورنسا فى نفس القبر الذى دفن فيه الغيارى وأقام لها كانوفا فوقه قبة جميلة

ليلى الاخيلية

هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الاخيل من بنى عامر بن صعصعة وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام وكان توبة بن الحمير بن عقيل الخفاجى يهواها ويقول فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه اياها وزوجها فى بنى الادلع فجاء يوما كما يجىء لزيارتها فاذا هى سافرة ولم ير منها اليه بشاشة فعلم ان ذلك لامر ما كان فرجع الى راحلته فركبها ومضى وبلغ بنى الادلع انه أتاها فتبعوه فقال توبة فى ذلك قصيدته المشهورة وهى

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نبل المرامى جفيرها
يقول رجال لا يضيرك نأيها * بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين أن تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسرورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان يوما كل حول نزورها
خليلى روحا راشدين فقد أبت * ضرية من دون الحبيب ونيرها
يقر بعينى ان أرى العيس تعتلى * بنا نحو ليلى وهى تجرى صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها * وسامح من بعد المرام عسيرها
وأشرف بالارض اليفاع لعلنى * أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى أن لا تفيدك صحبتى * لهيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لى الاسباب حتى بلغتها * برفقى وقد كاد ارتقائى يغيرها
فلما دخلت الخدر أطت نسوعه * وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاخ الذفار منصة * وذى سيرة قد كان قدما يسيرها
وانى ليشفينى من الشوق ان أرى * على الشرف النائى المخوف أزورها
وان أترك العيس الحسير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لا زال ريشك ناعما * ولا زلت فى خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغداة سفورها
وقد رابنى منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتى وقصورها
أرتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشى تديرها
ألا ياصفى النفس كيف بقولها * لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تجير وان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبا * وأنى بياض الوجه حر حرورها
وغيرنى أن كنت لما تغيرت * هواجر لا أكتنها وأسيرها
اذا كان يوم ذو سموم أسيره * وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر * لنفسى تقاها أو عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء ناء نصيرها
فان لا تناهوا اركب اللهو نحوها * وخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى فى مريرة * معذب ليلى ان رآنى أزورها
وأدماء من حر الهجان كأنها * مهاة صوار غير مامس كورها

من الناعبات المشي نعبا كأنما * نياط بجذع من أراك جريرها
من العسر كانيات حرف كأنها * مريرة كيف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة أرض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفه * وبين العشاء قد ربت منها أسيرها
أبت كثرة الأعداء أن يتجنبوا * كلابي حتى يستثار عقورها
وما يشتكي جهلي ولكن غرتي * تراها بأعدائي لبيناطرورها
أمخترمي ريب المنون ولم أزر * جواري من همدان بيضا نحورها
تنوء بأعجاز ثقال وأسوق * خدال وأقدام لطاف خصورها
أظن بها خيرا وأعلم أنها * ستنفك يوما أو يفك أسيرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما * أتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن إن كان بعلها * يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتها قلت ياأسلمي * ويا بأبي قولي اسلمي ما يضيرها

قيل وكان توبة إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت اليه في برقع فلما شهر أمره شكوه الى السلطان فأباحهم دمه ان أتاهم فكمنوا له في الموضع الذي كان يتلقاها فيه فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد وأنها اسفرت لذلك تحذره فركض فرسه فنجا وذلك قوله (وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت) البيت المتقدم ضمن القصيدة وقيل أيضا انه كان يكثر زيارتها فعاتبه أخوها وقومها فلم يعتب وشكوه الى قومه فلم يقلع فتظلموا منه الى السلطان فأهدر دمه ان أتاهم وعلمت ليلى بذلك وجاء هازوجها وكان غيورا فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنها ولئن أنذرته بذلك ليقتلنها قالت ليلى وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه فرصدوه بموضع ورصدته بآخر فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين فسفرت وألقيت البرقع عن رأسي فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم

وخرج يوما شخص من بني كلاب ثم من بني الصحمة يبتغي ابلا له حتى أوحش وأرمل ثم أمسى بأرض فنظر الى بيت بارز فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف فأبصر امرأة وصبيانا يدورون بالخباء فلم يكلمه أحد فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جرجرة إبل رائحة وسمع فيها صوت رجل حتى جاء بها فأناخها على البيت ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول ما هذا السواد حذاءك قالت راكب أناخ بناحيتنا حين غابت الشمس ولم أكلمه فقال لها كذبت ما هو الا بعض خلانك ونهض يضربها وهي تناشده قال الرجل فسمعته يقول والله لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك هذا فيغيثك فلما عيل صبرها قالت يا صاحب البعير يا رجل وأخذ الصحمي هراوته ثم أقبل يحضر حتى أتاها وهو يضربها فضربه ثلاث ضربات أو أربعا ثم أدركته المرأة فقالت يا عبد الله مالك ولنا نح عنا نفسك فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظن انه قتل الرجل وهو لا يدري من الحي بعد حتى أصبح في أخبية من الناس ورأى غنما فيها أمة مولدة فسألها عن أشياء حتى بلغ بها الذكر فقال أخبريني عن أناس وجدتهم بشعب كذا وكذا فضحكت وقالت انك تسألني عن شيء وأنت به عالم فقال وما ذاك لله بلادك فوالله ما أنا به عالم قالت ذاك ليلى الأخيلية وهي

أحسن الناس وجهاوزوجهارجل غيور فهو يعزب بهاعن الناس فلا يحل بهامعهم والله مايقربها أحدولا يضيفها فكيف نزلت أنت بها قال انما مررت فنظرت الى الخباء ولم أقربه وكتمها الامر وتحدث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يدرمن هو فلما أخبر باسم المرأة وأقرعلى نفسه تغنى بشعردل فيه على نفسه فقال

ألا ياليل أخت بنى عقيل * أناالصحمىُّ ان لم تعرفينى
دعتنى دعوة فجزت عنها * بصكات رفعت بها يمينى
فان تك غيرة أبريك منها * وان تك قدجننت فذاجنونى

وكان الحجاج يقول لليلى الاخيلية ان شبابك قدذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فاقسم عليك الا صدقتنى هل كانت بينكما ريبة قط أوخاطبك فى ذلك قط فقالت لا والله أيها الأمير الا انه قال لى ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قدخضع فيها لبعض الامر فقلت له

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها * فليس إليها ماحييت سبيل
لناصاحب لاينبغى أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله ماسمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك قالت وجه صاحباله الى حضرنا فقال اذا أتيت الحاضرمن بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهرلايسرى الىّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه * عزيزعلينا حاجة لاينالها

ولم يزل على ذلك حتى فرق بينهما الموت ومات توبة فى بعض الغزوات قتله بنوعوف بن عقيل فى خبريطول شرحه وكان ذلك سنة ٨٥ هجرية و ٦٩٥ مسيحية فلما بلغ خبرقتله لليلى الاخيلية رثته بمراث كثيرة منها

نظرت وركن من دنانين دونه * مفاوزحوضى أىّ نظرة ناظر
لآنس ان لم يقصرالطرف عنهم * فلم تقصرالاخبار والطرف قاصرى
فوارس أجلى شأوها عن عقيرة * لعاقرها فيها عقيرة عاقر
فآنست خيلا بالرقىّ مغيرة * سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بنى عوف ويشبر دونه * قتيل بنى عوف قتيل لجابر
توارده أسيافهم فكأنما * تصادرن عن اقطاع أبيض باتر
من الهندوانيات فى كل قطعة * دم زل عن أثر من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زغف حصينة * وأسمر خطى وخوصاء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * لهن بشباك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * وهن شواح بالشكيم السواجر
فلا يبعدنك الله توبة انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
فان لاتك القتلى بواء فانكم * ستلقون يوما ورده غير صادر

وان السليل اذ يبارى قتيلكم * كمرجومة من عركها غير طاهر
فان تكن القتلى بواء فانكم * فتى ماقتلتم آل عوف بن عامر
فتى لاتخطاه الرفاق ولايرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولاتأخذ الكوم الجلاد رماحها * لتوبة فى نحس الشتاء الصنابر
اذا مارأته قائما بسلاحه * اتقته الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجد منها برسل فقصره * ذرا المرهفات والقلاص النواحر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهاديس البساط المشافر
وتوبة أحيي من فتاة حيية * وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم فتى الدنيا وان كان فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فيطلعها عنه ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن أبراد اعتاقا لفتية * كرام ويرحل قبلهم فى الهواجر
ولم يتجل الصبح عنه وبطنه * لطيف كطى السب ليس بحادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق السارى قرى غير باسر
ولم يدع يوما للحفاظ وللعدا * وللحرب ترمى نارها بالشرائر
وللبازل الكوماء يرغو خوارها * وللخيل تعدو بالكماة المساعر
كأن لم تكن تقطع فلاة ولم تنخ * قلاص لدى بأومن الارض غابر
ويصبح بموماة كأن صريفها * صريف خطاطيف المدى فى المحاور
طوت نفعها عنا كلاب وأثرت * بنا أجهلوها بين غاو وشاعر
وقد كان حقا أن تقول سراتهم * لعا لأخينا عائشا غير عاثر
ودوية قفر يحار بها القطا * تخطيتها بالناعجات الضوامر
فتالله تبنى بيتها أم عاصم * على مثله إحدى الليالى الغوابر
فليس شهاب الحرب توبة بعدها * بغاز ولا غاد بركب مباكر
وقد كان طلاع النجاد وبين اللسان ومدلاج السرى غير فاتر
وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى * وسائق أو مغبوطة لم يغادر
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يعدل سواك بناصر
فان يك عبد الله آسى ابن أمه * وآب باسلاب الكمى المغاور
فكان كذات البو تضرب عنده * سباعا وقد ألقيته فى الحواجر
فان تك قد فارقته لك غادرا * وأى لحى غدر من فى المقابر
فاقسمت أبكى بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام ولا ابن مطرف * لتبكى البواكى أو لبشر بن عامر

غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا فى المصادر
ربيعى حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور تراه وغامر
كأن سنا نار يهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت ترثيه أيضا

أيا عين بكى توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها * بسبرة بين الاشمسات فياصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجنان بعنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أرض العدو سقيتها * مجاج بقيات المزاد المقير
ولما أهابوا بالنهاب حويتها * بخاظى البضيع كره غير أعسر
يمر ككر الاندرى مثابر * اذا ماونين مهلب الشد محضر
فألوت باعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ وسنور
ألم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت فى قنا متكسر
فياتوب للهيجا وياتوب للندا * ويا توب للمستنبح المتنور
ألا رب مكروب أجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

وقالت ترثيه

أقسمت أرثى بعد توبة هالكا * أحفل لمن دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حى وان عاش سالما * بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا * فلا بد يوما أن يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر * وليس على الايام والدهر غابر
ولا الحى مما يحدث الدهر معتب * ولا الميت ان لم يصبر الحى ناشر
وكل شباب أو جديد الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر
وكل قرينى ألفة لتفرق * شتاتا وان ضنا وطال التعاشر
فلا يبعدنك الله حيا وميتا * أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر

ويروى

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر
فيا ليت لا انفك أبكيك ما دعت * على فنن ورقاء أو طار طائر
قتيل بني عوف فيا لهفتا له * وما كنت إياهم عليه أحاذر
ولكنما أخشى عليه قبيلة * لها بدروب الروم باد وحاضر

وقالت ترثيه

كم هاتف بك من بالٍ وباكية * يا توب للضيف اذ تدعى وللجار
وتوب للخصم ان جاروا وان عندوا * وبدلوا الامر نقضا بعد إمرار
ان يصدروا الامر تطلعه موارده * أو يوردوا الامر تحلله باصدار

وقالت ترثيه

هراقت بنو عوف دما غير واحد * له نبأ نجد به سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يكن * له يوم هضب الردهتين نصير

وقالت ترثيه

يا عين بكي بدمع دائم السجم * وابكي لتوبة عند الروع والبهم
على فتى من بني سعد فجعت به * ماذا أجن به في الحفرة الرجم
من كل صافية صرف وقافية * مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدر حين يعيي القوم مصدرهم * وجفنة عند نحس الكوكب الشبم

وقالت لقابض وتعذي عبد الله أخا توبة

دعا قابضا والموت يخفق ظله * وما قابض اذ لم يجب بنجيب
وآسى عبد الله ثم ابن أمه * ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي

وسأل معاوية بن أبي سفيان يوما ليلى الاخيلية عن توبة بن الحمير فقال ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقا والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للاقران كريم المختبر عفيف المئزر جميل المنظر وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له قال وما قلت له قالت قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره * ألد ملد يغلب الحق باطله
اذا حل ركب في ذراه وظله * ليمنعهم مما تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح * يخافونه حتى تموت خصائله

فقال لها معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا فقالت من ساعتها ارتجالا

معاذ الهي كان والله سيدا * جوادا على العلات جما نوافله
أغر خفاجيا يرى البخل سبة * تحلب كفاه الندى وأنامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته * جميلا محياه قليلا غوائله
وقد علم الجوع الذي بات ساريا * على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحب الباع يا توب بالقرى * اذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من بات جاره * ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله فقال لها معاوية من أي الرجال كان فقالت

أتته المنايا حين تم تمامه * وأقصر عنه كل قرن يصاوله
وكان كليث الغاب يحمي عرينه * وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يطلب حلمه * وسم زعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها اخبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيأ الا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه ولقد أجدت حين قلت

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * فتى من عقيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها * عليه ولا ينفك جم التصرف
ينال عليات الامور بهونه * اذا هي أعيت كل خرق مشرف
هو الذوب بل أسدى الخلايا شبيهة * بدرياقة من خمر بيسان قرقف
فيا توب ما في العيش خير ولا ندى * يعد وقد أمسيت في ترب نفنف
وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك ال * منايا بسهم صائب الوقع أعجف
فيا ألف إلف كنت حيا مسلما * لالقاك مثل القسور المتطرف
كما كنت إذ كنت المرجى من الردى * اذا الخيل جالت بالقنا المتقصف
وكم من لهيف محجر قد أجبته * بابيض قطاع الضريبة مرهف
فانقذته والموت يحرق نابه * عليه ولم يطعن ولم يتنسف

قيل وكان الحجاج جالسا اذ استؤذن لليلى فقال الحجاج وأي ليلى قيل الاخيلية قال أدخلوها فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية فسلمت فرد الحجاج عليها ورحب بها وأمر الغلام فوضع لها وسادة فجلست فقال ما أقدمك قالت السلام على الامير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه قال وكيف خلفت قومك قالت تركتهم في حال خصب وأمن ودعة أما الخصب ففي الاموال وأما الامن فقد أمنهم الله عز وجل بك وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم ثم قالت ألا أنشدك قال ان شئت فقالت

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ال * منايا بكف الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها * اذا جمحت يوما وخيف أذاها
اذا سمع الحجاج صوت كتيبة * أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مصقولة فارسية * بايدي رجال يحسنون غذاها
أحجاج لا تعطي العصاة مناهم * ولا الله يعطي للعصاة مناها
ولا كل حلاف تقلد بيعة * فأعظم عهد الله ثم شراها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ لله بلادها ما أشعرها ثم أقبل على جلسائه فقال لهم أتدرون من هذه قالوا لا والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن انشادا قال هذه ليلى صاحبة توبة ثم قال لها أى النساء تختارين أن تنزلى عندها قالت سمهن لى فسماهن فاختارت هند بنت أسماء فدخلت عليها فصبت هند حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون سواها ولما كان الصباح قال الحجاج لعبيد بن موهب حاجبه مر لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها خز ثم قالت أصلح الله الامير قد أضر بنا العريف فى الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال فقال الحجاج اكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته وقيل ان ليلى لما دخلت على الحجاج فلما قالت (غلام اذا هز القناة سقاها) قال لها لا تقولى غلام وقولى همام فأمر لها بمائتين فقالت زدنى فقال اجعلوها ثلثمائة فقال بعض جلسائه انها غنم قالت الامير أكرم من ذلك وأعظم قدرا من أن يأمر لى الا بالابل قال فاستحى وأمر لها بثلثمائة بعير وانما كان أمر لها بغنم لا إبل

وبينما الحجاج بن يوسف جالس يوما دخل عليه الآذن فقال أصلح الله الامير بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير قال أدخلها فلما دخلت استنسبها فانتسبت له فقال ما أتى بك يا ليلى قالت اخلاف النجوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله المرد قال فأخبرينى عن الارض قالت الارض مقشعرة والفجاج مغبرة وذو الغنى مختل وذو الحد منفل قال وما سبب ذلك قالت اصابتنا سنون مجحفة مظلمة لم تدع لنا فصيلا ولا ربعا ولم تبق عافطة ولا نافطة فقد أهلكت الرجال ومزقت العيال وأفسدت الاموال ثم أنشدته الابيات التى ذكرناها متقدما وقال فى الخبر قال الحجاج هذه التى يقال فيها

نحن الاخايل لا يزال غلامنا * حتى يدب على العصا مشهورا
تبكى الرماح اذا فقدن أكفنا * جزعا وتعرفنا الرفاق بحورا

ثم قال لها يا ليلى أنشدينا بعض شعرك فى توبة فأنشدته قولها لعمرك ما بالموت عار على الفتى القصيدة فقال الحجاج لحاجبه اذهب فاقطع لسانها فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها فقالت ويلك انما قال لك الامير اقطع لسانها بالصلة والعطاء فارجع اليه واستأذنه فرجع اليه فاستأمره فاستشاط عليه وهم بقطع لسانه ثم أمر بها فدخلت عليه فقالت كاد وعهد الله يقطع مقولى وأنشدته

حجاج أنت الذى لا فوقه أحد * الا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت سنان الحرب ان هجت * وأنت للناس فى الداجى لنا تقد

ودخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معوية فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها فقال لها من أنت قالت له أنا الوالهة الحرى ليلى الاخيلية قال أنت التى تقولين

أريقت جفان ابن الخليع فأصبحت * حياض الندى زالت بهن المراتب
فلهى وعفى بطن قودى وحوله * كما انقض عرش البئر والورد عاصب

قالت أنا التى أقول ذلك قال فما أبقيت لنا قالت الذى أبقاه الله لك قال وماذاك قالت نسبا قرشيا وعيشا رخيا وامرأة مطاعة قال أفردته بالكرم قالت أفردته بما أفرده الله به قالت عاتكة انما جاءت تستعين بنا عليك فى عين تسقيها وتحميها لها ولست ليزيد ان شفعتها فى شىء من حاجاتها لتقديمها اعرابيا جلفا على أمير المؤمنين فوثبت ليلى على رجلها واندفعت تقول

ستحملني ورحلي ذات رحل * عليها بنت آباء كرام
اذا جعلت سواد الشام جيشا * وغلق دونها باب اللئام
فليس بعائد أبدا اليهم * ذووا الحاجات في غلس الظلام
أعاتك لو رأيت غداة بنّا * عزاء النفس عنكم واعتزامي
اذا لعلمت واستيقنت أني * مشيعة ولم ترعي ذمامي
أأجعل مثل توبة في نداه * أبا الذبان فوه الدهر دامي
معاذ الله ماعسفت برحلي * تغذّ السير للبلد التهامي
أقلت خليفة فسواه أحجى * بامرته وأولى باللئام
لثام الملك حين تعد كعب * ذووا الاخطار والخطي الحسام

فقيل لها أي الكعبين عنيت قالت ما إخال كعبا ككعبي

وقيل ان ليلى الاخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت وعجزت فقال لها ما رأى توبة فيك حين هويك قالت ما رآه الناس فيك حين ولوك فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها وكانت دخلت على مروان بن الحكم يوما فقال لها ويحك ياليلى بالغت في نعت توبة فقالت أصلح الله الامير والله ماقلت الاحقا ولقد قصرت ومارأيت رجلا قط كان أربط منه على الموت جاشا ولا أقل ايحاشا يحتدم حين يرى الحرب ويحمي الوطيس بالضرب فكان وعهد الله كما قلت

فتى لم يزل يزداد خيرا لمذنب * الى ان علاه الشيب فوق المسائح
تراه اذا ما الموت حل بورده * ضروبا على أقرانه بالصفائح
شجاع لدى الهيجاء بيت مشايح * اذا انحاز عن أقرانه كل سائح
فعاش حميد الاذميما فعاله * وصولا لقرباه يرى غير كالح

فقال لها مروان كيف يكون توبة على ما تقولين وقد كان خاربا والخارب سارق الابل خاصة فقالت والله ما كان خاربا ولا للموت هائبا ولكنه فتى له جاهلية ولو طال عمره وأنسأه لارعوى قلبه واقضى في حب الله نحبه وأقصر عن لهوه ولكنه كما قال عمه مسلم بن الوليد

فلله قوم غادروا ابن حمير * قتيلا صريعا للسيوف البواتر
لقد غادروا حزما وعزما ونائلا * وصبرا على اليوم العبوس القماطر
اذا هاب ورد الموت كل غضنفر * عظيم الحوايا ليته غير حاضر
مضى قدما حتى تلاقي بورده * وجاد بسيب في السنين القواشر

فقال لها مروان ياليلى أعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء فوالله لقد مات توبة وان كان لمن فتيان العرب وأشدائهم ولكنه أدركه الشقاء فهلك على أحوال الجاهلية وكان بينها وبين الجعدي مهاجاة وذلك أن رجلا من قشير يقال له ابن الحيا وهي أمه واسمه سوار بن أوفى بن سبرة هجاه وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جعدة وهم باصبهان فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة سميت بذلك لانه ذكر فيها مساوي قشير وعقيل وكل ما كانوا يسبون به وفخر بما ترقومه وبما كان من بطون بني عامر سوى هذين الحيين من قشير وعقيل فقال

جهلت على ابن الحيا وظلمتني * وجمعت قولا جاء بيتا مضللا

وقال أيضا في هذه القصة قصيدته التي أولها

أماترى ظلل الايام قد حسرت * عنى وشمرت ذيلا كان ذيالا

وهي طويلة يقول فيها

ويوم مكة اذ ماجدتم نفرا * حاموا على عقد الاحساب أزوالا

عند النجاشي اذ تعطون أيديكم * مقرنين ولا ترجون ارسالا

اذ تستحقون عند الخذل أن لكم * من آل جعدة أعماما وأخوالا

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم * وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

يعني عبد الله بن جعدة بن كعب

اذا تسربلتم فيه ليخيكم * مما يقول ابن ذي الجدين ان قالا

حتى وهبتم لعبد الله صاحبه * والقول فيكم باذن الله ما قالا

تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بانهم سقوا رجلا من جعدة أدركوه في سفر وقد جهد عطشا لبنا وماء فعاش فلما ذكر النابغة ذلك وفخر بماله وغض مما لهم دخلت ليلى الاخيلية بينهما فقالت

وما كنت لو فارقت جل عشيرة * لاذكر قعبى خازر قد تثملا

فلما بلغ النابغة قولها قال

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا * فقد ركبت أمرا أغر محجلا

وقد أكلت بقلا وخيما نباته * وقد شربت من آخر الصيف ابلا

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي * على أدلعي يملأ استك فيشلا

وكيف أهاجي شاعرا رمحه استه * خضيب البنان لا يزال مكحلا

فردت عليه ليلى فقالت

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا * وكنت صنيا بين صدين مجهلا

أنابغ ان تنبغ بلؤمك لا تجد * للؤمك إلا وسط جعدة مجعلا

تعيرني داء بأمك مثله * وأي نجيب لا يقال له هلا

فغلبته فلما أتى بني جعدة قولها هذا اجتمع ناس منهم فقالوا والله لنأتين صاحب المدينة وأمير المؤمنين فليأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة فانها قد شتمت اعراضنا وافترت علينا فتهيؤا لذلك وبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها فقالت

أتاني من الانباء أن عشيرة * بشوران يزجون المطي المذللا

يروح ويغدو وفدهم بصحيفة * ليستجلدوا لي ساء ذلك معملا

وأخبر بعض الرواة قال بينما معاوية يسير يوما اذ رأى راكبا فقال لبعض شرطه ائتني به واياك أن تروعه فأتاه فقال أجب أمير المؤمنين فقال اياه أردت فلما دنا الراكب حدر لثامه فاذا هي ليلى الاخيلية ثم أنشأت تقول

معاوى لم أكد آتيك تهوى * برحلى رادة الاصلاب ناب
قريح الظهر يفرح أن يراها * اذا وضعت وايتها الغراب
تجوب الارض نحولك ماتأنى * اذاما الأكم قنعها السراب
وكنت المرتجى وبك استغاثت * لتنعشها اذا بخل السحاب

فقال ماحاجتك فقالت ليس لمثلى أن يطلب الى مثلك حاجة فاعطاها خمسين من الابل ثم قال أخبريني عن مضر فقالت فاخر بمضر وحارب بقيس وكاثر بتميم وناظر باسد ومن جيد أشعارها امامدحت به آل مطرف قولها

يا أيها السدم الملوى رأسه * ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه * كعب اذا لوجدته مرؤما
ان الخليع ورهطه فى عامر * كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما
لاتغزون الدهر آل مطرف * لاظالما أبدا ولا مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم * وأسنة زرق تخال نجوما
ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

وذكر الاصمعى أن ليلى حينما كانت عند الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها هل لك من حاجة قالت نعم أصلح الله الامير تحملنى الى ابن عمى قتيبة بن مسلم وهو على خراسان يومئذ فحملها اليه فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية فلما كانت بالرى ماتت فقبرت هنالك هكذا ذكر الاصمعى وقيل انها حينما كانت عند الحجاج فقال لها هل لك من حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة أحكم فيه بما أرى فلما سمع النابغة بذلك هرب الى الشأم فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها ولم تزل فى طلبه حتى توفيت بقومس بلدة من أعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وفى رواية أخرى ان ليلى الاخيلية أقبلت من سفرة فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهى فى هودج لها فقالت والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى الا أن تلم به فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة فقالت السلام عليك ياتوبة ثم حولت وجهها الى القوم فقالت ماعرفت له كذبا قط قبل هذا قالوا كيف قالت أليس القائل

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقى * اليها صدى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلى بما لا أناله * ألا كل ماقرت به العين صالح

فما باله لم يسلم على كما قال وكانت الى جانب القبر بومة كامنة فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت فى وجه الجمل فنفر فرمى ليلى على رأسها فماتت من وقتها ودفنت الى جانبه وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها

﴿ليلى العامرية بنت مهدى بن سعد﴾

صاحبة قيس بن الملوح بن مزاحم الشهير بالمجنون ولم يكن مجنونا الا من العشق بدليل قوله

يسموني المجنون حين يرونني * نعم بي من ليلى الغداة جنون

وكان سبب عشقه لها أنه مر على ناقة وعليه حلتان من حلل الملوك بزمرة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فأعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم وكانت ليلى مع من حضر وحين وقعت عينه عليها لم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل فلما نحر الناقة جاءت لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى أعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها أتأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى وأقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقد استدعته بعد هذا المجلس للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف قال ومن لي بذلك فقالت له اجلس فجلس وجعلا يتحادثان حتى مضى الوقت ولم يزالا على ذلك حتى حجبها أبوها عنه وزوجها من غيره كما هو مشهور في قصتها ومن رقيق شعر ليلى

لم يكن المجنون في حالة * الا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى * وانني قد ذبت كتمانا

وقال له رجل من قومه اني قاصد حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها قال نعم أنشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله أعلم أن النفس قد هلكت * باليأس منك ولكني أمنيها

منيتك النفس حتى قد أضر بها * وأبصرت خلفا مما أمنيها

وساعة منك ألهوها ولو قصرت * أشهى الي من الدنيا وما فيها

قال الرجل فضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني الفرصة أنشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشي عليها ثم قالت أبلغه عني السلام وأنشدت

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبرا على ما قضاه الله فيك على * مرارة في اصطباري عنك أخفيها

وقال رباح بن عامر دخلت من نجد أريد الشام فأصابني مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لي فاذا بامرأة فسألتها التظليل فأشارت الى ناحية فدخلت ثم قالت للعبيد سلوه من أين الرحل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببني الحريش فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون فقلت إي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل الآن ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمي عليها فقلت ثم تبكين ولم أقل الاخيرا فقالت أنا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له ثم أنشدت

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع

بنفسي من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

وكان آخر مجلس للمجنون من ليلى أنه لما اختلط عقله وتوحش جاءت أمه اليها فأخبرتها وسألتها أن تزوره فعساها أن تخفف ما به فقالت أما نهارا فلا خيفة من أهلي وسآتيه ليلا فلما جن الليل جاءت فسلمت عليه ثم قالت

أخبرت أنك من أجلي جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسي فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين
لو تعلمين اذا ماغبت ماسقمي * وكيف تسهر عيني لم تلوميني

وقد امتحنته يوما لتنظر ماعنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته فسارّته ثم نظرت له قد تغير حتى كاد ينفطر فأنشدت

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما أردنا * وفي القلبين ثم هوى دفين
وأسرار اللواحظ ليس تخفى * وقد تغرى بذى الخطأ الظنون
وكيف يفوت هذا الناس شئ * ومافي الناس تظهره العيون

فسرّ بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

أظن هواها تاركي بمضلة * من الارض لا مال لدىّ ولا أهل
ولا أحد أفضى اليه وصيتي * ولا صاحب الا المطية والرحل
محا حبها حب الألى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

﴿ ليلى بنت طريف ﴾

وقيل الفارعة وقيل فاطمة والاول أشهر أخت الوليد بن طريف الشيباني الخارجي الذي خلع ربقة الطاعة في خلافة الرشيد فأرسل اليه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فظهر عليه وقتله سنة ١٧٩ هجرية (٧٩٥) ميلادية وكانت أخته من شواعر العرب تجيد الشعر وكانت من الفروسية على جانب عظيم ولما قتل أخوها صبحت القوم وعلى جسدها الدرع ولامة الحرب وجعلت تحمل على الناس ومن شجاعتها وفروسيتها قال القوم ان الوليد قد قتل وليست هذه الا أخته ليلى لانها تشابهه بالفروسية وبالتحقيق عرفت أنها ليلى وكان يزيد بن مزيد قريبا للوليد بن طريف لكونهما جميعا من شيبان فقال يزيد اتركوها ثم خرج اليها وضرب بالرمح قطاة فرسها وقال اعزبي عزب الله عليك قد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت ورثت أخاها بمراث كثيرة لم يبق منها الا القليل وكانت تسلك سبيل الخنساء في مراثيها لاخيها صخر ومن جملة ما أنشدت فيه قولها

بتل نباثى رسم قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجدا عدمليا وسوددا * وهمة مقدام ورأى حصيف
أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد العز الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف
فقدناه فقدان الربيع فليتنا * فديناه من ساداتنا بألوف

كأنك لم تشهد هناك ولم تكن * مقاما على الاعداء غير مخيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من الشرد في غضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ماعاش يرضى به الندى * فان مات لا يرضى الندى بحليف
خفيف على ظهر الجواد اذا عدا * وليس على أعدائه بخفيف
ومازال حتى أزهق الموت نفسه * شجا العدو أو نجا الضعيف
ألا يالقومي للحمام وللبلى * وللارض همت بعده برجوف
ألا يالقومي للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر مابين الكواكب اذهوى * وللشمس اذ ماأزمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الجثا حيث أضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليك سلام الله وقفا فانني * أرى الموت وقاعا بكل شريف

﴿وقولها فيه أيضا﴾

ذكرت الوليد وأيامه * اذا الارض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه في السماء * كما يبتغي أنفه الاجدع
أضاعك قومك فليطلبوا * إفادة مثل الذي ضيعوا
لو أن السيوف التي حدها * يصيبك تعلم ماتصنع
نبت عنك أو جعلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع

(حرف الميم)

﴿ماء السماء﴾

هي ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بنت ربيعة التغلبي ملكة العراق التي من سلالتها النعمان وباقي الملوك المناذرة لقبت بماء السماء لانها كانت في عصرها آية الجمال وعنوان المجد والجلال وكانت المناذرة تفتخر بها وجميع عرب العراق تحلف بحياتها وكانت مآثرها ومفاخرها على العرب لا يوصف لها حد ولا يدرك لها عد وكانت مكرمة عند الاكاسرة ونسائهم وطالما قدمت لها نساء الاكاسرة الهدايا النفيسة والاكاليل والجواهر اللطيفة وحق لمثلها أن تفتخر على نساء العرب والعجم بما جاء لها من الاولاد النجباء الذين دانت لهم البلاد وخدمتهم العباد مدة من الزمان حتى أذلوا جبابرة العرب والعجم فسبحان الحي الذي لا يموت

﴿ماريا أدجورت بنت أدوردا الثالث ملك انكلترا﴾

ولدت في برك شير سنة ١٧٦٧ وتوفيت في أدجورت تون من ايرلانده سنة ١٨٤٩ أخذت العلم عن

أبيها وكانت من البشاشة على جانب عظيم ومحبوبة عند الجميع وكان لها من الامل والرغبة اللذين لا بد منهما لنمو القوى العقليـة نموًا تامًا ما حملها على مدارمـة اجتهادها فى سبيل المطالعـة والدرس وكانت مولعة بالروايات فأتحفت قومها بروايات كثيرة النفع مفيـدة وكانت كل رواياتها أدبيـة مؤثرة فاكتسبت رضا العموم ومديحهم وقد طبعت كتابا فى ١٤ مجلدا فى لندن سنة ١٨٢٥ ثم طبعته ثانية فى ١٨ مجلدا سنة ١٨٣٢ وفى ٩ مجلدات سنة ١٨٤٨ وفى ١٠ مجلدات سنة ١٨٥٦ وكرر طبعه فى الولايات المتحدة الامريكانية

﴿ ماجدة القرشية ﴾

ذكر فى طبقات الشـعرانى أنها كانت من المتعبدات الصالحات الزاهـدات القائمات الليـل الصائمات النهار وكانت رضى الله عنها تقول ماحركة تسمع ولا قدم توضع الا ظننت أنى أموت فى اثرها وكانت تقول بالها من عقول ما أنقصها سـكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون فى المهـلة كأن المراد غـيرهم والتأذين ليس لهم ولا عنى بالامر سواهم وكانت تقول لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنة ورضا الرحمن الا بتعب الابدان

﴿ ماريا تريزيا ابنة كارلوس الرابع أمبراطور النمسا ﴾

ولدت سنة ١٧١٧ وتزوجت بدوق توسكانا سنة ١٧٣٦ ولما توفى والدها سـنة ١٧٤٠ ورثت الملك عنه واشـترك زوجها فيـه وقد قامت بعبء هـذا المنصب الخطير والبلاد تئن تحت وطأة الدين المتثاقل والخسائر الفاحشة التى لحقتها بسبب الحروب مع روسيا وسكرنيا وغيرها من دول أوروبا وزادت مهاجمات هـذه الدول مع وفاة والدها واستولى كل منها على مقاطعة من النمسا بدعوى انقطاع المذكورة من عائلة أبيها فاستولى فريدريك الكبير ملك بروسـيا على سيـسيليا وهى أخصب مقاطعات المملكة النمساوية وأغناها واستولت اسبانيا ونابولى على أملاكها فى ايطاليا فقطعت أوصال مملكتها وتركتها اسما بلا مسمى غـير أن ذلك لم يوهن عزم الملكة ماريا تريزيا التى فاقت الرجال حكمة ودراية فجمعت الاموال وحشـدت الجنود ودافعت عن بلادها دفاع اليأس فانكسرت والتجأت الى رعاياها المجريين فأنجدوها عن طيبة خاطر قيـل انها جمعتهم فى قصرها ودخلت عليهم حاملة ابنها ولى العهد وكان طفلا وأخذت تخاطبهم باللاتينية وتحثهم على الدفاع والذود عن الوطن وكان جمالها مفرطا وكلامها عذبا وفصاحتها تأخـذ بمجامع القلوب فسحر المجريون بها وذرفوا الدموع وجردوا سـيوفهم وعاهدوها على الدفاع الى الموت وبمساعدة المجريين تمكنت من عقد هدنة أكس لاشابل سنة ١٧٤٨ بعد حرب سبع سـنوات وخسارة كثير من أملاكها غـير أنها تمكنت بذلك من أن سمت زوجها أمـبراطورا واضطرت بقية الدول الى الاعتراف به ثم صرفت همتها الى ترقية العلوم والصـناعة والزراعة والتجارة فزادت المكاسب وتحسنت الاحوال وانتشلت البلاد من ضيقتها المالية وكانت تسوس البلاد بمساعدة زوجها ووزيرها كونتز المشهور ثم تجدد الحرب بينها وبين فريدريك الكبير ملك بروسيا ودامت سبـع سـنوات فضـعفت البلاد وخسرت ما كانت قد كسبته فى زمن السلم ثم عقب هذه الحرب سلم طويل فعادت الى ترقية العلوم والصنائع وأدخلت الى بلادها اصلاحات شتى وسنة ١٧٦٣ توفى زوجها فأشركت ابنها يوسف معها فى الملك واشـترك مع روسـيا وبروسـيا فى اقتسام بولاندا فنالها من ذلك الثلث وأضافت الى ذلك غاليسيا اولودوميريا وأخـذت من

الدولة العلية بوكونيا وتوفيت سنة ١٧٨٠ بعد ان ملكت أربعين سنة أظهرت في خلالها من الشجاعة والحزم والعزم والحكمة في السياسة وتدبير الرعية وترقية المعارف والصنائع ما فاقت به على الرجال ووصلت به النمسا في أيامها الى أوج مجدها وتوفيت عن ثلاثة بنين وست بنات وخلفها في الملك ابنها المذكور آنفا باسم يوسف الثاني

﴿ماريا متشل الفلكية الاميركية﴾

ماريا متشل ابنة رجل أمريكي من طائفة الكواكر ولدت سنة ١٨١٨ وكان أبوها مولعا بعلم الهيئة والحسابات الفلكية فتعلمت منه الحساب وكان لها ميل شديد الى العلوم الرياضية فبرعت فيها مع انها كانت تقوم بخدمة البيت من غسل الصحاف وما أشبه ذلك ولم يحاول أبوها صرفها عن ميلها الطبيعي بل قواه فيها بتعليمه اياها العلوم الرياضية كلها حتى سلك الابحر كما علم بنيه الذكور وكانت تقول ان المرأة تستطيع أن تتعلم سبع لغات وهي تعمل بيديها في الخياطة والتطريز وكان أبوها مستخدما في اللجنة التي تمسح الشواطئ البحرية فاستعان بها على أعماله الحسابية ومن ثم تعرفت بكثيرين من مشاهير علماء العصر وكان هؤلاء العلماء يزورونها ويحاورونها في المباحث العلمية ولم يكن أبوها في بسطة من العيش فعزمت على أن تساعده على السعي لعائلته فجعلت مديرة لاحد المكاتب العمومية وبقيت في هذا المنصب عشرين سنة منقطعة الى الدرس في منتخبات الكتب وكثيرا ما كانت تصنع الجوارب بيديها والكتاب مفتوح أمامها وهي تطالع فيه هذا في النهار وأما في الليل فكانت ترصد الكواكب في أفلاكها وسنة ١٨٤٧ اكتشفت نجما جديدا من ذوات الاذناب اكتشفته بالتلسكوب وحسبت ميله وصعوده المستقيم بالتدقيق فكتب أبوها الى مدير مرصد كمبردج يعلمه بذلك فلم يمض على هذا الاكتشاف الأسابيع قليلة حتى اشتهر اسمها في محافل العلماء وأذاعته الجرائد العلمية ومنحها ملك الدانيمرك نيشانا ذهبيا

ولما اكتشفت هذا الاكتشاف الفلكي كان لها في المكتبة عشر سنوات فأقامت فيها عشر سنوات أخرى عاكفة على الدرس ورصد الافلاك والمساعدة في تأليف الزيج (النتيجة أو التقويم) الاميركي السنوي ومكاتبة الجرائد العلمية وسنة ١٨٥٧ أتت أوروبا قصد مشاهدة مراصدها الفلكية والتعرف بعلمائها المشهورين فرحب بها العلماء وأكرموا مثواها الان شهرتها كانت تتقدمها حيثما ذهبت ولم تلبث في أوروبا الا سنة واحدة ثم عادت الى أمريكا واستمرت على تأليف الزيج للحكومة الى أن أنشأ مسيو فاسار مدرسة جامعة للبنات ومرصدا فلكيا فيها فجعلت مديرة لهذا المرصد وأستاذة لعلم الهيئة في المدرسة المذكورة وهي الآن عضو في مجمع العلوم الاميركي وفي جمعية الفنون والعلوم ولها تأليفان الواحد في أقمار زحل والثاني في أقمار المشترى ورصود معتبرة في النيازك وعبور الزهرة وقد بلغت فوق السبعين من عمرها وكلل الشيب رأسها ولكنها لم تزل تراقب الافلاك وتعلم بنات نوعها مراقبتها ومشاركة الرجال في أسمى المطالب العلمية

﴿ماريا مورغان الاميركية﴾

ولدت في جنوب ارلندا سنة ١٨٢٨ من أبوين من ذوي المقامات الرفيعة وربيت على ظهور الصافنات الجياد منذ نعومة أظفارها فلم تناهز العاشرة حتى صارت تسابق الفرسان وتكسب الرهان ثم توفي أبوها

فانتقلت أملاكه كلها الى بكره بحسب شريعة البلاد فاضطرت أن تسعى لنفسها فى طلب رزقها وكان لها أخت أصغر منها تعلمت فن التصوير وأرادت أن تتقنه فى مدينة رومية أم المصورين ومرضعتهم فذهبتا اليها سوية وتعرّفت هناك بهربت هوسمر النحات الاميركى وكان نزيلا فى رومية وعنده كثير من جياد الخيل فجعلت تركبها وتروضها حتى ذاع صيتها فى بلاد ايطاليا ولما مضى عليها سنتان فى رومية قصدت مدينة فلورنسا وكانت كرسى ملوك ايطاليا فدعاها الملك (فكتور عمانوئيل) اليه ورحب بها وأجلسها بجانبه وجعل يحدثها بأمر الخيل فرآها من أعرف الناس بها فأقامها مديرة على الاصطبلات الملكية وبقيت فى هذا المنصب العالى سنين كثيرة وكانت تذهب الى انكلترا وارلندا من وقت الى آخر لتبتاع له الجياد وأهداها نجما من الماس وساعة من الذهب عليها اسمه بجعارة الماس لما رآه فيها من الهمّة والاجتهاد وسنة ١٨٦٩ قصدت الولايات المتحدة الاميركية ومعها مكاتيب التوصية من سفير الولايات المتحدة فى ايطاليا الى رجل من أخصائه فوجدت أن الرجل مات فجأة قبل وصولها فسقط فى يدها ولم تعلم ماذا تعمل وعرض عليها مدير جريدة الشمس التى تطبع فى مدينة نيويورك أن تنشئ له ما يكتب فى جريدته عن الخيول وأخبارها فترددت فى قبول ذلك ولما لم تجد عملا آخر يقوم بمعيشتها قبلته وجعلت تتردد على أسواق الخيل وميادينها وتكتب فيها الفصول الضافية وتصدّت لها بقية الجرائد فى أول الامر وسلقتها بألسنة حداد ولكنها عادت فأثنت عليها بما هى أهله لما رأت من بلاغة انشائها وسمو مداركها ولين عريكتها وواسع خبرتها وأقامت فى هذا المنصب أكثر من عشرين سنة وكانت تكاتب كثيرا من الجرائد العلمية والادبية واشتهرت ببلاغة الانشاء وقوة الحجة وكانت ثقة قومها فى معرفة الخيول وزارت أوربا مرارا عديدة وأختها المصوّرة برفقتها ومنذ عهد غير بعيد أخذت تبنى دارا كبيرة وكانت تدفع نفقات البناء من المال الذى أحرزته بقلمها وأختها تعتنى بنقش الدار وتزويقها ولكن عاجلتها المنيّة قبل أن تسكنها وهى فى الرابعة والستين من عمرها وقد كتبت على جبين الدهر (ليس دون الرجال النساء)

﴿ مارى جان غومرد دوفوبرينى ﴾

كونتس بارى خليلة لويس الخامس عشر ولدت فى فوكولور من شمبانيا سنة ١٧٤٦ وقتلت فى باريس سنة ١٧٩٣ كانت بنت خياطة واستخدمت فى مخزن بباريس تباع فيه ملابس الرأس وكانت ذات جمال بارع سلبت فيه قلوب كثيرين من باريس ومن ضمن من تعلقوا بها الكونت جان دوبارى فأوعز الى بعض خدمه أن يصفها للملك ويذكر له محاسنها ودلالها محاولا بذلك بلوغ المناصب العالية وجمع ثروة وافرة فلما نمى خبرها الى لويس الخامس عشر زوجها بأخى الكونت المذكور ثم فتح لها أبواب البلاط الملكى فكانت تدخله كالخواتين الكريمات وسرى حبها فى عروق الملك فتمكن فيها ولم يعتره فتور مدة حياته بطولها أماما أنفق عليها من خزينة فرنسا فبلغ أكثر من خمسة وثلاثين مليون فرنك أمدت بجانب منها أقرباءها وأصدقاءها وتصدقت بجانب آخر على الفقراء كفارة عن اثمها وكانت تتداخل فى مصالح الدولة فحصل لها أهمية كبرى وهى التى حملت الملك على نفى دوق سوازول كبير وزرائه لانه كان أشد أعدائها وبهمتها أيضا على فض المجلس العالى الذى التأم سنة ١٧٧١ وابعاد أعضائه غير أن للزمان نكبات فلم يسلم منها من سلك مسلك الغرور فلما توفى الملك نفاها لويس السادس عشر من بلاطه غير أنه

سمح لها بالرجوع الى جناح القصر الملكى الذى بنى لها فى لوسيانه قرب فرساليا فأقامت فيه مع دوق برتياله عشيقها وكانت عيشتهما عيشة تنعم وسنة ١٧٩٢ سافرت الى انكلترا ولما رجعت منها ألقى عليها القبض سنة ١٧٩٣ بدعوى اختلاسها الاموال ومؤامرتها على الجمهورية ولبسها ثوب الحداد فى لوندرة على العائلة الملكية فحكم عليها بالقتل وكانت قد تشددت مدة المحاكمة غير أن عزيمتها خارت فى طريقها الى دكة الدم واستمرت الى آخر دقيقة من حياتها تسأل العفو بكلام يدعو الى الشفقة فلم يغن عنها ذلك شيأ وكانت ساعدت بعض الشعراء وقربتهم واقتبست منهم بعض معارف واستعانت بها على مقاصدها وبالجملة كانت بارة بالفقراء والمساكين

﴿مارى انتوانت ابنة دوق توسكا من ماريا تريزيا﴾

ولدت سنة ١٧٥٥ وتزوجت وهى فى السادسة عشرة من عمرها بولى عهد فرنسا لويس السادس عشر وكانت حينئذ على غاية البساطة وصفاء النيّة محبّة للمزح أنيسة العشرة بعيدة عن التأنف والرسوم المرعيّة فى قصور الملوك وسمى زوجها ملكا على فرنسا سنة ١٧٧٤ وكان ذلك بدأة أتعابها فكرهها الشعب الفرنساوى واتهمها بدسائس عديدة لم يقدر أن يثبت واحدة منها وكانت هفواتها العظيمة حبّ الفخفخة والولائم والمسرّات وقصورها عن ادراك ويلات البلاد ومصائبها

قيل انها رأت الفقراء يتضورون جوعا فقالت انى أحزن لفقرهم فاذا لم يكن لهم خبز يأكلونه فليأكلوا كعكا وكان الفرنساويون يزدادون بغضا لها وعداوة واتهموها بسرقة أموال البلاد وانفاقها على ما لا فائدة منه وهجم جمهور من رعاعهم على قصر فرساليا بقصد قتلها وطلبوا أن تخرج اليهم فخرجت بشجاعة وثبات يندر وجودهما فى مثل تلك الاحوال وأمسكت بيدها ولىّ العهد ابنها الطفل فلم يجسر أحد أن يرميها بشئ مخافة أن يصيبه وكان ذلك سبب نجاتها ثم أرادت مصالحة الامة فزارت بعض المعامل وأظهرت سرورها من تقدم الصناعة فيها وبينت اهتمامها بأحوال الشعب غير أن الخرق كان اتسع على الراقع فازداد الفرنساويون بغضا وكرها لها ولما رأت منهم ذلك صممت على الهرب من البلاد هى وزوجها فمانعها زوجها حاسبا أن هربه فى تلك الاحوال ضرب من الخيانة لبلاده وكان شريف النفس أبيها محبّا للامّة لا يشوبه الا ضعف الهمّة وفى أحد الايام هجم البعض عليه وأوقفوا مركبته فساءه ذلك وحسبه تعديّا شخصيّا فهرب مع عائلته فى ٢٠ يونيه سنة ١٧٩١ ولسوء حظه أمسك فى فاران وأرجع أسيرا الى باريس وزاد هياج الشعب ضدّ الملكة واتهموها بدسيسة مع النمسا وقويت حجة فرنسا وبعد عراك طويل ومعاناة أخطار شتى أظهرت أثناءها شجاعة غريبة وقوة نادرة وعزما وحزما تقصر عنهما الرجال حكم عليها المجلس بالقتل فى ١٥ اكتوبر سنة ١٧٩٣ وأنفذ الحكم فى اليوم الثانى وذلك بعد ما قتل زوجها بثمانية أشهر وهكذا انتهت حياة هذه الملكة الفريدة التى فاقت الرجال عزيمة وثباتا وقاسمتهم الاتعاب والمشاق

﴿مارى ستوارت ابنة يعقوب الخامس دوق سكوتلانده﴾

هى شهيرة عصرها جمالا ونجابة وزينة العالم الغربى علما ومهابة ولدت سنة ١٥٤٢ من زوجته (مارى دى لورين) التى ماتت بعد ولادتها بثمانية أيام وفى سنة ١٥٥٨ تزوج بها روفان الذى تولى تخت

فرنسا

فرنسا باسم فرنسيس الثانى ثم مات عنها بعد سنة ونصف فعادت الى بلادها حزينة وهناك ودعت فرنسا بأبيات هى غاية فى الرشاقة واللطف تعربها بما يأتى (وداعا يا فرنسا الانيقة يا بلادى التى ربيت صباى والتى فيها أقصى مشتهاى وداعا يا أيامى الغراء فى مملكة العز والصفاء ان الفلك الذى فصلنى عنك لم يفصل سوى شطرى وأما الشطر الآخر فهو ملك سأتركه فى مغناك ذريعة لذكراك) وكان نعاليها فى الاستمساك بالمذهب اللاتينى الذى كان استبدله قومها بمذهب لوثير جعلها بغيضة لدى الاهليين فرأت أن تتزلف اليهم بزواجها بابن عمها هنرى الذى لم يكن له من مزية سوى بسطة فى جسمه ومسحة فى جمال وجهه فزفت عليه سنة ١٥٦٥ وكان اشمأغيورا فاتهمها بحب كاتم أسرارها داود ريزيو الايتالى الذى كان جميلا فتانا وموسيقيا شهيرا فهجم عليه ليلة من باب خفى فى قصرها ولما رآه يعزف أمامها اشتعل حسدا وغيرة فقتله غيلة عند الباب الخارجى وفى سنة ١٥٦٧ هلك هنرى بكيفية تجلب الشك فى أمر موته فاتهمت به وعقيب ثلاثة أشهر تزوجت بلا تدبر فى العواقب بالكونت بوتويل الذى قيل عنه إنه المجهز بأمرها على زوجها فهاج فعلها هذا القوم فاتهموها بالخيانة والفاحشة وزجوها فى معتقل (لوس ليفان) وساموها جحد مذهبها علنا فأبت ولبثت سجينة حينما تخضت عن ولدها جمس الاول الذى وحد مملكتى سكوتلاندا والانكليز ثم حاولت الفرار فنفذت من شرافة عالية ونجت بنوع عجيب وكتبت اذ يئست من الملك مستجيرة بابنة عمها الملكة اليصابات وذلك سنة ١٥٦٨ فاستقدمتها بأمان ولما رأت ما أوتيت من محاسن الذات والصفات أضمرت لها شرا وحسدا ثم افترت عليها أمورا منها أنها قتلت زوجها وأودعتها سجنا ضيقا مكثت فيه ١٨ عاما اتخذت فى خلالها وسائل جمة للخلاص فلم تفلح ومن تلا نبأ سجنها وما التمست فيه من الضر والنكد لا يكاد يملك عبراته حزنا ووجدا ولو كان فؤاده جراصلدا ولم يكف اليصابات ذلك حتى اتهمتها ظلما ولؤما بأنها عاونت فريقا من أهل مذهبها على اهلاكها فخفرت ذمتها وحكمت عليها بالموت ثم أمرت الامير بيل وكان من أشد الناس عداوة لماري بأن يزورها فى السجن وينذرها بوشك القتل فسار مع فريق من الامراء وأبلغها الرسالة بلسان أمر من الصبر وفؤاد أقسى من الصخر فأجابته متجلدة انى لست من رعية ابنة عمى فكيف تأمر بقتلى واذا كان رضاها بموتى فأهلا به الا أن نفسا لا تسمح لجسم بأن يحتمل ضربة جلاد فهو اذن غير جدير بنعيم الملك الجواد ثم دعت قسيسها وكانوا قد حالوا بينهما فقال لها بعض النبلاء لو فاوضت أسقفا لوتيريا لكان أقرب للتقوى فأبت وكان أميركنت متحمسا فى البروتستانتية فقال ان حياتك لدينا موت وموتك حياة لنا ولما انصرفوا أمرت بالطعام وتناولت قليلا منه على عادتها وحانت منها التفاتة فرأت خدما مها يبكون فقالت لهم كفوا يا أخوتى وافرحوا بانطلاقى من هذا العالم عالم الشقاء ثم شربت بعد العشاء على أسمائهم رجالا ونساء فشربوا معها ركعا وقد مزجوا شرابهم من عيونهم بماء والتمسوا عفوها فعفت عنهم واستعفتهم عنها ثم كتبت وصيتها ووزعت بينهم حلاها وألبستها وكتبت الى ملك فرنسا رسائل وصاة فى حق جميع حاشيتها ثم تودعت من النوم بالغرار وأحيت سائر ليلها بالتهجد والاستغفار ولما ألقت الغزالة لعابها جاء أمر فى طلابها وكان النهار صاحيا ووجه السماء ضاحكا ضاحيا فلبست أبهى ثيابها وأسدلت عليها رداء من كتان وخرجت على النور وسبحتها فى بنانها وعلى محياها الصبيح الوقور سمات الخفر والتجلد وكان المجد والاجلال يسيران فى خدمتها ولما بلغت مقتلها استقبلها الاعيان والامراء وبينهم خادمها

ملفن يشرق بالبكاء فقالت له رويدك يا ملفن وكفاك نحيبا فانك عما قليل ترى مارى معتوقة من قيد أحزانها فقل لاهل سكوتلانده انى أموت كاثوليكية حافظة لفرنسا وسكوتلانده عهدى الهى اغفر لمن ظمئ الى دمى كما نظمأ الابل الى الماء الهى انك تعلم سرائرى وخفايا ضمائرى فبرئنى عند ابنى اليتيم أولهمه أن حياتى لم تدنس حرمته ولم تشن مملكته الهى وفقه الى أن ينهج مع ملكة الانكليز منهج صدق ووداد انك لغفور رحيم جواد ثم ذرفت مدامعها ككريات من الماس تقذف من الجبين وتدحرج على على صفحتى الجبين وودعت خادمها الوداع الاخير فاندفع فى البكاء حتى تولاه الاغماء ثم التفتت بجلال الى الامراء ورغبت اليهم أن يساعدوا خدمتها على احراز مالهم من وصيتها وان يمكنوهم من القيام حولها ساعة قتلها فتجافى أمير كنت عن مطلبها الثانى لوساوس شيطانية فقالت له لاتخف دركا من هذه النعاج الوديعة الوريقة التى لامأرب لها الا التملى منى بهذا الوداع الاليم وعندى أن حبيبتى لاتمنعنى ذلك كيف لا وأنا ملكة أيضا وابنة ملك وزوجة ملك وأقرب الناس اليها والله يعلم أنى أقول ذلك بقلب سليم وضمير مستقيم فلبوها حينئذ وسار أمامها الامراء وخادمها الخاص وراءها رافع رداءها حتى اذا بلغوا المذبح استوت على أريكة سوداء فتلى أمر قتلها فسمعته باصغاء ثم حاول الاساقفة أن يميلوا بها عن مذهبها فأجابتهم انى أموت على ماولدت فطلب الامراء أن يشتركوا معها فى الصلاة والدعاء فقالت لكم دينكم ولى دين ثم جثت وأخذت تصلى باللاتينية فتابعها خدمتها ولما فرغت كررت الاستغفار عن الملكة والدعاء لابنها فتقدم الجلاد مستسمحا فأجابته مسامحة ثم نزع عنها خدامها رداءها الاعلى باكيات نائحات فقابلتهن بالصبر وكف العبرات ثم غطت وجهها بقناع أسود واستوت على الخشبة قائلة الهى استودعتك روحى واستقبلت الموت

بعزمة بعثتها همة زحل * من دونها بمكان الارض من زحل

فتقدم الجلاد وقطع هامتها فهتف الاسقف هكذا التهلك أعداؤنا ثم حنطت جثتها ودفنت باحتفال فى كنيسة (بيتير بورغ) وصنع لها فى باريس مأتم حافل وكان لها من العمر يوم قتلها أربع وأربعون سنة وشهران ومازال رسمها محفوظا فوق سريرها فى ايدنبورغ قاعدة سكوتلانده ولها رسم آخر فى مجلسها الاول محفوظا مع تاج الملك والسيف والصولجان ووسام وخاتم ياقوتى فصه أكبر من البندقة وقد ألف مشاهير الكتبة بحياة مارى وبراثتها روايات كثيرة شعرا ونثرا تركوها بعدها للناس أمثولة وذكرى

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الارض من قاضى السماء

وكتبت الى اليصابات وهى فى سجنها تقول من مارى ستوارث الى اليصابات ملكة انكلترا القد برح الخفاء أيتها السيدة وظهرت عقبة من يتكل على عدلك فى حفظ الذمام وكرم الاخلاق وقد تبين لى أن المستجير بك عند البلاء كالمستجير بالنار من الرمضاء فعلام لاتقابلينى ولاى ذنب تلقيننى فى السجن وقد كنت آمل أن أرتع عندك فى القصور المنيعة ولماذا لم أرمنك الا الضغينة والبغضاء عوضا عن المودة والولاء وهل السجون والقبور لمثل مارى ستوارث حتى يحكم عليها مجلسك بها وعلى أى ذنب بنوا حكمهم ووافقتهم عليه يا ترى أساءك منى أن معتقدى يخالف معتقدك وانى لست ابنة كنيستك أو تعدين هذا ذنبا سياسيا حتى انقضيت على من أجله منتقمة متشفية على حين سلمت نفسى اليك وألقيت أمرى بين يديك وقلت خذوها فغلوها . اهلا قد قضى أهل المروءة فوا حرقلباه وآخر ما أقوله أيتها السيدة انك اذا كنت لاتنظرين فى سوء

حالى وشدة مصابى فتنازلى وانظرى بعض النظر فى مقامى واعلمى أن فى مارى ستوارث خلفا وأى خلف لعرش اسكتلانده انما أناعالمة أنك تقصدين التنكيل بى وأعلم السبب الداعى الى ذلك ولكننى لاأخاف تنكيلا ولا أرهب وعيدا ولاتهديدا فان اليصابات لم تعرف بعد أى عظيمة ضمها صدر مارى ستوارث فسأتحمل الظلم بنفس راضية دون أن أفوه ببنت شفة مكتفية بأن لى ربا ينصف المظلوم من الظالم وهو الذى يشيد الممالك ويقوضها ويرفع الملوك ويخفضها فايها الملك يااليصابات ولتقر عينك به وقد خلا لك الجو فاملكى واسرحى وامرحى ولكننى أذكرك فى الختام أن لاتحكمى بغير العدل والانسانية والسلام

فأجابتها اليصابات بما يأتى

انى لأقابلك أيتها السيدة حتى يبيض فودالك وتصفر خدالك من سجون انكلترا وأنت لاتتركينها ساعتئذ الا لتمثلى رواية محزنة يكون لك فيها الدور الاول والسلام .

﴿ مارى دوارليان ﴾

وهى ابنة الملك لويس فيلب الثانية ولدت فى بالرمو سنة ١٨١٣ وتزوجت سنة ١٨٣٧ بالكسندر دوق دوودتمبرغ وتوفيت سنة ١٨٣٩ كانت مغرمة بالفنون المستظرفة ولاسيما صناعة الحفر ومن محفوراتها تمثال جان دارك حفرته ولها من العمر ٢٠ سنة وهو الآن فى قاعة التحف فى فرساليه وقد حفرت تماثيل أخرى وصورت صورا كثيرة ظريفة جدا

﴿ مادام بلانشار ﴾

كانت من اللواتى اشتهرن بفن البالون أى المركبة الهوائية وكان زوجها بلانشار قد سقطت ثروته وخسر كل ما كان قد جمعه فأمسى فقيرا حتى انه قال لها وهو على فراش الموت انه لايرى لها فرجا بعد موته الا بأن تقتل نفسها شنقا أو غرقا ولكنها صممت على المسير فى السبيل الذى كان زوجها يسير فيه وبناء على ذلك شرعت فى الصعود فى الهواء وغير ذلك فصعدت مرارا كثيرة ونجحت كل النجاح وأتقنت العمل وتشجعت حتى انها كانت تعرض نفسها الاخطار كثيرة وكانت هذه المخاطرات واسطة لشدة رغبة القوم فى التفرج على أعمالها وبالنتيجة كانت تزيد مداخيلها المالية وكثيرا ما كانت تصادف من المخاطر ما كان يكاد يأتيها بالهلاك وصعدت مرة فأفلت منها عنان مركبتها فسقطت بها الى مكان موحل يغرق من سقط فيه فتعلقت المركبة فى الاشجار وكانت تندفع من مكان الى مكان بشدة مخيفة حتى ظن القوم الذين كانوا يتفرجون عليها انها تهلك اذا لم يبادر أهل القرى المجاورة لتخليصها أما عدد صعودها فى الهواء صعودا عموميا فكان بين الخمسين والستين مرة وكانت فى كل مرة تعمل أعمالا تختلف عن التى عملتها فى غيرها وفى سنة ١٨١٩ للميلاد صممت على أن تقيم وهى طائرة فى المركبة أعمالا نارية كالتى يقيمونها فى الافراح والاعياد والولائم وكانت تربط الاسهم النارية فى المركبة بحيث تقدر أن تشعلها بقضيب طويل فى رأسه نار مشتعلة وكانت تشعلها وتقطع الرباط فتقع مشتعلة الى أسفل فيراها المتفرجون هذا ومعلوم أن من أغرب الاعمال التى عملها بشر هذا العمل الذى كانت تتجاسر أن تعمله امرأة لانها كانت تصعد الى الهواء وتبعد عن الارض ألوفا من الاقدام بواسطة مادة قابلة جدا للاحتراق وموضوعة فى ظرف رقيق قابل

للاحتراق أيضا وتأخذ في إشعال البارود وغيره من المواد السريعة الاشتعال بقضيب طويل مشتعل وكان البعض ينظرون الى ذلك بعين الخوف لانهم كانوا يعلمون أن شرارة واحدة من القضيب المشتعل الرأس أو من المواد التى كانت تحرقها كافية لحرق تلك المركبة الكبيرة اذا وصلت الى الهيدروجين الذى كان يرفعها وهكذا حدث فان النار اشتعلت فاشتعل أسفل المركبة فأخذت تسقط بسرعة ثم احترقت الحبال التى كانت تربط مجلس المركبة وسقط فسقطت مادام بلا انشار على سطح من سطوح بيوت المدينة ومنها على الارض فماتت حالا

المتجردة هند زوجة المنذر بن ماء السماء

كانت من أعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا حبا فأمر النعمان يوما النابغة أن يصفها فقال

واذا طعنت طعنت فى مستهدف * رابى المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل ان هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل وقد ألبسته أحد خلخاليها وشدت رجله الى رجليها فقتله وللمنخل فيها أبيات منها

ان كنت عاذلتى فسيرى * نحو العراق ولا تحورى
ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر فى اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشى القطاة الى الغدير
فلثمتها فتنفست * كتنفس الظبى البهير
فدنت وقالت هل بجسـ * ـمك يا منخل من فتور
ماشف جسمى غير حبـ * ـك فاهتدى عنى وسيرى
وأحبها وتحبنى * ويحب ناقتها بعيرى
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فاننى * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى * رب الشويهة والبعير
ياهند هل من نائل * ياهند للعانى الاسير

متيم الهاشمية

كانت متيم صفراء مولدة من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت وغنت وأخذت عن اسحق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين وكانت من تخريج بذل المغنية وتعليمها وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد فاشتراها على بن هشام بعد ذلك فما ازدرت أحدا ممن كان يغشاه من المغنين وكانت من أحسن الناس وجها

وغناء وأدبا وكانت تقول شعرا مستحسنا من مثلها وحظيت عند علي بن هشام حظوة شديدة وتقدمت عنده على جواريه أجمع وهي أم أولاده كلهم فولدت له صفية وتكنى أم العباس ثم ولدت محمدا ويعرف بأبي عبد الله ثم ولدت بعدها ابنا يقال له هرون ويعرف بأبي جعفر سماه المأمون وكناه بهذا الاسم والكنية قال ولما توفي علي بن هشام عتقت وكان المأمون يبعث اليها فتجيبه فتغنيه فلما خرج المعتصم الى سر من رأى أرسل اليها فاستخلصها وأنزلها داخل الجوسق في دار كانت تسمى الدمشقي وأقطعها غيرها وكانت تستأذن المعتصم في الدخول الى بغداد الى ولدها فتزورهم ثم ضم اليها قلم وهي جارية لعلي بن هشام قال الحسن بن ابراهيم بن رباح سألت عبد الله بن العباس الربيعي من أحسن من أدركت صنعة قال اسحق قلت ثم من قال علويه قلت ثم من قال متيم قلت ثم من قال أنا فعجبت من تقديمه متيم على نفسه فقال الحق أحق أن يتبع

وكانت متيم جالسة بين يدي المعتصم ذات يوم ببغداد وابراهيم بن المهدي حاضر فغنت متيم

لزينب طيف تعتريني طوارقه * هدوا اذا ما النجم لاحت لواحقه

فأشار اليها ابراهيم أن تعيده فقالت متيم للمعتصم يا سيدي ابراهيم يستعيدني الصوت وكأني أراه يريد أن يأخذه فقال لا تعيديه فلما كان بعد أيام كان ابراهيم حاضرا مجلس المعتصم ومتيم غائبة فانصرف ابراهيم بعد حين الى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظرة لها مشرفة على الطريق فسمعها تغني هذا الصوت فضرب باب المنظرة بمقرعة وقال قد أخذناه بلا حمدك وكان المأمون سأل علي بن هشام أن يهبها له وكان بغناها معجبا فدفعه عن ذلك ولم يكن له منها ولد وقتئذ فلما ألح المأمون في طلبها حرص على على أن تعلق منه حتى حملت ويئس المأمون منها فيقال ان ذلك كان سببا لغضبه عليه حتى قتله

وقال علي بن محمد الهشامي انه أهدى الى علي بن هشام برذون أشهب قرطاسي وكان في النهاية من الحسن والفراهة وكان علي به معجبا وكان اسحق يرغب فيه رغبة شديدة وعرض لعلي بطلبه مرارا فلم يرض أن يعطيه له فسار اسحق الى علي يوما يعقب صنعة متيم في هذا الصوت

فلا زلن حسرى ظلعا كم حملنها * الى بلد ناء قليل الاصادق

فاستعاده اسحق واستحسنه ثم قال له بكم تشترى مني هذا الصوت فقال علي بن هشام جاريتي تصنع هذا الصوت وأشتريه منك قال قد أخذته الساعة وأدعيه فقول من يصدق قولي أو قولك فاختر الآن مني خلة من اثنتين إما ان تهبني البرذون وتحملني عليه وأما ان أبيت فأدعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته قال علي يؤخذ قولك ويترك قولي لا والله ما أظن هذا ولا أراه يا غلام قدم هذا البرذون الى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه لا بارك الله لك فيه

وكلم ابن هشام متيم يوما في كلام فأجابته جوابا لم يرضه فدفع يده في صدرها فغضبت ونهضت فتثاقلت عن الخروج اليه فكتب اليها

فليت يدي بانت غداة مددتها * اليك ولم ترجع بكف وساعد

فان يرجع الرحمن ما كان بيننا * فلست الى يوم التنادي بعائد

فصنعت له لحنا وخرجت اليه وصالحته وغنته الصوت . وعتبت عليه مرة فتمادى عتبها وترضاها فلم ترض فقال الدلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى صبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه ولقد صدق

العباس بن الاحنف حيث يقول

ما أرانى الا سأهجر من ليـ * ـس يرانى أقوى على الهجران

قد حدانى الى الجفاء وفائى * ما أضرّ الوفاء بالانسان

فخرجت اليه من وقتها وقال الهشامى كانت متيم تحبنى حبا شديدا محبة الاخت لاخيها وكانت تعرف أنى أحب النبق فبينما أنا جالس فى دارى فى ليلة من الليالى فى وقت السحر اذا أنا بباب يدق فقيل من هذا فقالوا خادم متيم يريد أن يدخل اليك فقلت يدخل فدخل ومعه صينية فيها نبق فقال لى ان متيم تقرئك السلام وتقول لك كنت عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءه نبق من أحسن ما يكون فأمر أن يوضع فى صينية ويقدموها الى متيم ففعلوا فأمرتنى أن آتى بها اليك ودفعت الىّ تكية من النقود حتى أدفعها الى الحراس ليخرجونى بها وها هى عند المعتصم

ووفدت على على بن هشام جدته من خراسان فقالت له يوما اعرض علىّ جواريك فعرضهن عليها ثم جلس على الشراب وغنت متيم وأطالت جدته الجلوس فلم ينبسط ابن هشام اليهن كما كان يفعل فقال هذين البيتين

أيبقى على هذا وأنت قريبة * وقد منع الزوار بعض التكلم

سلام عليكم لا سلام مودّع * ولكن سلام من حبيب متيم

وكتبها فى رقعة ورمى بها الى متيم فأخذتها ونهضت الى الصلاة ثم عادت وقد صنعت فيه لحنا فغنت فقالت شاهك وهى جدة ابن هشام ما أرانا الا قد ثقلنا عليكم اليوم وأمرت الجوارى فحملن محفتها وأمرت بجوائز للجوارى وساوت بينهن وأمرت لمتيم بمائة ألف درهم

ومرت متيم فى نسوة وهى مستخفية بقصر على بن هشام بعد قتله فلما رأت بابه مغلقا لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطرحت فى أفنيته المزابل وقفت وقالت

يا منزلا لم تبل أطلاله * حاشى لأطلالك أن تبلى

لم أبك أطلالك لكننى * أبكيت عيشى فيك إذ ولى

قد كان لى فيك هوى مدّة * غيبه الترب وما هلا

فصرت أبكى جاهدا فقده * عند ادّكارى حيثما حلا

فالعيش أولى ما بكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى

ثم سقطت من قامتها وجعل النسوة يناشدنها ويقلن الله الله فى نفسك فانك لا تؤاخذين الآن فبعد كل جهد حملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع

وقالت متيم بعث الىّ المعتصم بعد قدومه بغداد فذهبت اليه فأمرنى بالغناء فغنيت

هل مسعد لبكاء * بعبرة أو دماء

وذا الفقد خليل * لسادة نجباء

فقال اعدلى عن هذا البيت الى غيره فغنيته غيره من معناه فدمعت عيناه وقال غنى غير هذا فغنيته

أولئك قومى بعد عز ومنعة * تفانوا والا تذرف العين أكمد

فبكى وقال ويحك لا تغنى فى هذا المعنى شيأ فغنيت

لا تأمن الموت في حل وفي حرم * ان المنيات تغشى كل انسان
واسلك طريقك هو لا غير مكترث * فسوف يأتيك ما يجني لك الجاني

فقال والله لولا أني أعلم أنك غنيت بما في قلبك لصاحبك وانك لم تتنذر بي لمثلت بك ولكن خذوا بيدها فاخرجوها فأخرجت

ولما مات علي بن هشام جاء النوائح فطرح بعض من حضر من مغنياته عليهن نوحا من نوح متيم وكان حسنا جيدا فابطأ نوح النوائح التي جئن لحسنه وجودته وكانت زين حاضرة فاستحسنته جدا وقالت رضي الله عنك يا متيم كنت علما في السرور وأنت علم في المصائب وماتت متيم هي وابراهيم بن المهدي و بذل في آن واحد وكانت للمعتصم جارية ذات مجون فقالت يا سيدي أظن أن في الجنة عرسا فطلبوا هؤلاء اليه فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره فلما كان بعد أيام وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه وسمع المعتصم الجلبة فقال ما هذا فاخبر عنه فدعا بها فقال ما قصتك فبكت وقالت يا سيدي احترق كل ما أملكه فقال لا تجزعي فان هذا لم يحترق وانما استعاره أصحاب ذلك العرس

(مرغريتا الفرنساوية ملكة انكلترا)

هي مرغريتا اف انجو زوجة هنري السادس كانت من النساء العاقلات العالمات بضروب السياسة والاحكام تربت تربية مجد وشرف ولما اقترن بها هنري السادس استحوذت على قلبه وملكت الشعب الانكليزي بحسن سياستها وتدبيرها ملكا لم يسبق لغيرها من الملكات قبلها وكانت ظالمة عاتية على المذنبين لديها وكان زوجها حليما قليل الهمة سليم الطباع لا يبالي في الحوادث بقوة ونشاط حتى نشأ من سبب ضعفه وعدم اقتدار مرغريتا بمفردها على تدبير المملكة رجوع عائلة يورك على ما كانت تدعيه سابقا من حقوق التملك وكان كبار حزب لنكستر وهم الكردينال بوفورت ودوق دولدفورد ودوق دوغلوستر الذين دبروا الملك لما كان هنري السادس قاصرا قد توفوا عن آخرهم فقام رتشرد دوق يورك وهو والد ادورد الرابع وأخذ يظهر بكل رفق ودقة حقه في الملك فعضده في ذلك ارل ورويك وارل سلزبري وكان من أعيان انكلترا الاقوياء فجرد السيف لمقاتلة سمرست آخر الاشراف الكبار من عائلة لنكستر فانتصر في سنت البنس سنة ١٤٥٥ وكان ذلك الانتصار بداية الحرب بين حزب وردة لنكسترا الحمراء وحزب وردة يورك البيضاء وتقلبت الاحوال على رتشرد فكان ينجح مرة ثم يصادف فشلا مرة أخرى الى أن كسرته الملكة مرغريتا وذبحته في ويكفيلد سنة ١٤٦٠ فتقلد ابنه ادورد رياسة جيش مؤلف من سكان حدود ولس ومن سكان الجبال وهزم عساكر جرارة تحت قيادة ارل بمبروك وارل أرمند بالقرب من هرفرد ثم سار الى الجهة الجنوبية وأتى لنجدته ارل ورويك الذي انكسر في برنت فسار الى لندن فدخلها من دون ممانعة واستمال اليه الناس بحداثة سنه وجراءته وجماله وأقره المجلس العالي على تخت الملك في ٤ اذار (مارس) سنة ١٤٦١ فصار للمملكة ملكان وجيشان ملكيان مختلفان في البلاد واستعد الفريقان للقتال كل الاستعداد واجتمع في توتون بالقرب من يورك ١٠٠ ألف مقاتل من الانكليز من كلا الفريقين واصطفوا للقتال وقر الرأي على انه لا يعفى عن أسرى الحرب وابتدأت الواقعة في ٢٩ اذار (مارس) سنة ١٤٦١

والمظنون أنها أشد موقعة جرت فى انكلترا فانها دامت أكثر من يوم وقتل فيها ٣٠ ألف رجل وانكسر حزب لنكستر الذى كانت قائدته الملكة مرغريتا انكسارا تاما وثبت الملك لادوورد الرابع فسافرت مرغريتا الى فرنسا وطلبت مساعدة ملك الفرنسويين وفى سنة ١٤٦٤ رجعت الى اسكوتسيا بخمسمائة مقاتل من الفرنسويين واجتمع اليها قوم من الاسكوتسيين فأضرمت نار الحرب وجرى لها مع اللورد مونتاكيوت الجنرال الانكليزى موقعة بالقرب من هكسام فدارت عليها الدائرة وأسر ملك هنرى زوجها وكثيرون من الرؤساء والقواد وأما هى فهربت الى فرنسا أيضا وذبح ادوورد أعداءه ذبحا ذريعا فى أوائل الانتصار ثم عمد الى الحلم والرفق بالرعية وانتهز فرصة غياب مرغريتا فأطلق لنفسه العنان وتزوج سرا بامرأة اسمها اليزابيت أرملة السارجون غراى وابنة رتشرد ودفيل وهو البارون ريفرس وكان قد قابلها فى بيت أبيها وهو فى الصيد فى غابة غرفتون وفى شهر ايلول (ستمبر) أعلن جهارا أنها زوجته وملكة انكلترا ووجه الى أبيها لقب ارل فساء هذا الاقتران ارل ورويك العاتى المتكبر لان ادوورد كان يود أن يقترن بالبرنسيس بونة دوسافوا عهد اليه مخابرتها بذلك واستمالتها اليه فنجح فى مخابرته فكان من ادوورد ما تقدم فكبر الامر على الارل واستعظمه واتحد مع شقيق ادوورد وهو دوق كلارنس وجاهر بالعصيان سنة ١٤٦٩ فظهرت فى الحال نتيجة اتحاده مع أشراف البلاد وأكابرها غير المرتضين بتصرفات ادوورد وامتدت الثورات فى كل جهات البلاد وجند (روبين) من ردسدال فى كونيتة يورك ٦٠ ألف مقاتل وشهر الحرب فسار اليه ادوورد وكان ورويك قد ذهب الى فرنسا فاستمال اليه لويس الحادى عشر وصالح مرغريتا عدوته القديمة ورجع الى انكلترا بعساكر قليلة فنزل فى درتموت ولم يمض الأيام قلائل حتى صار عنده ٦٠ ألف مقاتل ونيف لان الشعب كان يحبه كثيرا فتقدم الى الشمال وكان تقدمه سببا لانحلال عزائم الجنود الملكية فهرب ادوورد الى هولاندة سنة ١٤٧٠ وأخرج خصمه من القصر الذى كان محبوسا فيه فسمع الناس فى أزقة لندن وشوارعها تضج مرة أخرى بذكر اسمه والتأم المجلس العالى بأمر الملك الجديد فحكم فيه على ادوورد بأنه غاصب وصادف المتحزبون له اهانة واحتقارا انقضت كل الاعمال التى جرت فى أيامه وكانت سطوة مرغريتا فى الشعب الانكليزى نافذة وأحزابها كثيرون وكلما أرادت الثورة تجد من يساعدها وآلت على نفسها أن لا تدع انكلترا فى راحة مادامت على قيد الحياة ولذلك صارت تلقى الدسائس والفتن وكلما سمعت بثورة كانت أول من بادر اليها الا أن دوق برغنديا كان يساعد ادوورد سرا فجمع ادوورد جيشا من الفلمنك فى مدة قصيرة وسار بهم الى رافنسبور وتقدم الى داخلية البلاد متظاهرا أنه لم يأت انكلترا الا للحصول على الاملاك التى ورثها من آبائه وكان يوصى رجاله بأن يصرخوا قائلين فليعش الملك هنرى الى ان وردت اليه نجدات كافية لمقاتلة أعدائه فجاهر بالعدوان والتقت العساكر فى برنت فى ١٤ نيسان (ابريل) سنة ١٤٧١ فدارت الدائرة على اللنكستريين وقتل ورويك فاستولى ادوورد على لندن مرة ثانية وقبض على هنرى أيضا وأرجعه الى الحبس وفى تلك الاثناء خرجت مرغريتا من فرنسا وأتت انكلترا مع ولدها ادوورد وكان له من العمر ١٨ سنة فنزلت فى ويموت بجيش فرنسوى فى نفس النهار الذى جرت فيه موقعة برنت وحدث بينها وبين دوق سمرست قتال فى تيوكسبرى فى ٤ ايار (مارس) سنة ١٤٧١ فانكسرت جنودها وقتل ابنها وأسرت هى فبقيت فى الاسر خمس سنين الى ان افتداها ملك فرنسا أما زوجها الملك هنرى

فمات

فمات فى الحبس بعد تلك المعركة بأسابيع قليلة وفى سنة ١٤٧٤ تواطأ كل من ادوردودوق برغنديا على قسمة فرنسا الى قسمين أحدهما يشتمل على الولايات الشمالية والشرقية تستولى عليه برغنديا والآخر تستولى عليه انكلترا فعبر أدورد فى مضيق كالى بجيش انكليزى الا أن دوق برغنديا لم يف بعهده فأرسل لادورد تحريرا يعتذر فيه عن قصوره ولما علمت مرغريتا بذلك سعت بكونها عقدت معاهدة ما بين أدوارد ولويس ملك فرنسا آلت الى نفع ادوارد فانه تقرر فيها ان لويس يدفع لادورد ولكل من كبار رجاله مرتبات سنوية وافرة وجرت هذه المعاهدة من دون قتال ثم ان مرغريتا أوقعت خلافا شديدا بين ادوردو أخيه كلارنس لان ادورد منع كلارنس بعد اخلته من التزوج بابنة دوق برغنديا وكانت وارثة الملك بعد أبيها وذات ثروة وافرة وبعد ذلك بمدة وجيزة قتل اثنان من أصحاب كلارنس لتهمات كاذبة كان من جملتها أنهما ساحران فأخذ كلارنس فى تبرئتهما فقتل سرا فى شهر شباط (فبراير) سنة ١٤٧٨ بدعوى أنه طعن فى عدالة الحكومة وانهمك ادورد فى آخر حياته فى اللذات والملاهى وأهمل مصالح المملكة وبقيت بعده مرغريتا مدة من الزمن حتى ماتت فى فرنسا وهى قريرة العين بأخذ ثارها من ادوارد حيث نكدت عليه كل حياته وتوفيت بعده بمدة طويلة

مرغريتادى فالوا

هى شقيقة فرنسيس الاول ملك فرنسا ومن أشهر النساء الكاتبات اللواتى نبغن فى عهده ولدت فى أنكولم سنة ١٤٩٢ وتزوجت بشرل دى فالوادوق الانسون سنة ١٥٠٩ ثم توفى زوجها سنة ١٥٢٧ فحزنت عليه حزنا شديدا وزادحزنها لما كان وقتئذ من أسر أخيها وما ألم بصحته من الاعتلال فسارت الى مدريد وخاطبت الامبراطور شرلكان ووزراءه فى أمره فاضطروا الى معاملته بالاكرام لما رأوه فيها من الحزم وعند رجوع فرنسيس الاول فرنسا بقى حافظا لاخته ذكرا جميلا وعقد زواجها سنة ١٥٢٧ على هنرى دالبريت ملك نافار فرزقت منه دالبريت والدة هنرى الرابع وكانت مرغريتادى فالوا المجاهرة بالمحاماة عن البروتستانت فرفعت الشكوى عليها الى أخيها وحرضت احدى الجرائد الكاتوليكية أن يبتدأ بعقوبتها اذا رغب فى استئصال الهرتقات من مملكته فتصام الملك عن استماع ذلك وقال ان أختى لا تعتقد الا ما أعتقده ولا يمكن أن تدين بدين يضر بمملكتى وقد اشتهرت هذه الكاتبة بطيبة القلب ومكارم الاخلاق وحب الفقراء فكانت تحسن بالاموال الطائلة على المستشفيات فى لانسون ومورتانى وبنت مكانا للقطاء أطلق عليه اسم الاولاد الحمر واتصفت بجميع المناقب حتى سماها بعض شعراء عصرها بالنجمة الرابعة وعروس الشعر العاشرة ومن الامور المقررة التى لا يختلف فيها اثنان أن أشغال هذه الملكة بالمركز الاعلى فى مراتب الآداب بين بنات عصرها واحرازها قصب السبق على جميع كتاب القرن السادس عشر وجمعها بين حدة الذكاء وقوة التصور ودقة النقد وشدة الاطلاع فكانما هى روض زاهر بالمعارف لا يفوتها شئ من متفرقات الفوائد وقد نبغت فى الشعر والنثر والسياسة واللاهوت واليونانية والعبرانية ودرست الموسيقى والهندسة وأتقنتهما وكانت غيورة على العلم تجل شأن العلماء وتحب معاشرتهم فلا يكاد يخلو اجتماع لها منهم وقد امتازت بسهولة الكتابة نثرا ونظما ومن أشهر مؤلفاتها كتاب اسمه الهبتاميرون وهو مجموع حكايات حكمية على نسق كليلة ودمنة اتخذه لافونتين نموذجا جرى عليه فى تأليف حكاياته الشهيرة

وانتقى منه المواضيع الادبية التي بنى عليها كتاباته ويقال ان مرغريتا كتبت القسم الاكبر من هذا الكتاب في هودجها أثناء تجوالها وأسفارها وكانت تكتب بسهولة وبلا مراجعة كأنها تكتب انشاء يملى عليها وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب أنه حدثت أمطار وزوابع عظيمة في جبال البيرنيس وكان الناس يتقاطرون في كل سنة الى جهة هنالك ذات ينابيع مفيدة للاستحمام بها والشرب منها طلبا للصحة والعافية فاضطروا أن يهجروها على اثر هذه الزوابع وتراكضوا أفواجا هربا من الموت المفاجئ فسقط بعضهم في النهر فحملتهم المياه الطاغية وأغرقتهم وهرب آخرون الى الغابات فافترستهم الوحوش الكاسرة وانهزم فريق منهم الى بعض القرى التي بعثوا اليها اللصوص وقطاع الطريق فسلبوهم أشياءهم وأوقعوا بهم أما العقلاء منهم فلجؤا الى دير سيدة سيراس ومكثوا هنالك ينتظرون الفرج وكان قد بوشر ببناء جسر يقطعون عليه النهر فلما طال أمر بنائه عقدوا العزم على أن يقص كل منهم قصته على رفقائه في كل يوم حتى لا يشعروا بطول المدة التي يقضونها بالانتظار وهذا الكتاب مجموع القصص المذكورة وفيها من الوقائع الادبية والنكات اللذيذة المفيدة ما يرتاح اليه الخواطر وقد ألحقت كل قصة من هذه القصص بتأملات لا تقل أهميتها عن بقية المؤلف من حيث اصابة المرمى وحسن الوضع أما منظومات هذه الملكة فنذكر منها المجموعة التي طبعت سنة ١٥٤٧ وهي تتألف من روايات وأسرار وهزليات ثم منظومة أخرى اسمها انتصار الحمل ورثاء سجين وكلها من خيار الاشعار النفيسة وكانت مولعة بالصنائع والفنون الجميلة فشيدت قصر ليو وضمت اليه الجنات البديعة ثم توفيت في قصر أودوس في التاريخ سنة ١٥٤٩ وفي سنة ١٥٥٠ كتبت (ملوت سنت مارت) سيرة حياتها وصدرتها بصورة مواعظ في اللاتينية والفرنساوية بعبارة فصيحة جدا فانتشرت بين الناس وأحرزت شهرة عظيمة ولا تزال الى يومنا هذا موضوع أحاديث الادباء وقد نصب لها تمثال في جنينة ليكسمبرج اظهارا لفضلها واقرارا بما كان لها من عظمة الشأن بين آل الادب والعرفان

﴿ مريم بنة عمران ﴾

ابن ساهم بن أمود بن منشا بن حزقيا بن أحرنق بن يوثام بن عزازيا بن أنصيا بن ناوس بن يوثا بن بارض بن نهنا ساط بن رادم بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام

كان زكريا بن يوحنا وعمران بن ساهم متزوجين باختين احداهما عند زكريا وهي اليصابات بنت فاقود أم يحيى والاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقود أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقد نذرت على نفسها ان رزقها الله بولد تتصدق به على البيت المقدس فيكون من خدمته ورهبانه فتقبل الله دعاءها وحملت بمريم فحررت ما في بطنها ولكن لم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا عن الدنيا وأشغالها خالصا لك وخادما لبيتك المقدس فقال لها زوجها ويحك ماذا صنعت ان كان في بطنك أنثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في وهم من ذلك وفي حالة حملها توفي زوجها عمران فلما أتمت مدة حملها وضعت جارية فقالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى في خدمة بيتك المقدس واني سميتها مريم وكانت مريم أجمل النساء وأفضلهن

وأحسنهن وأنبتها الله نباتا حسنا وكانت أخذتها أمها ولفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار كما نذرت على نفسها وقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار وكل منهم أراد أخذها وقال لهم زكريا وكان أكبرهم أنا أحق بها منكم لان عندى خالتها فقالت له الاحبار لا نفعل ذلك ولا نسلمها اليك ولكن نقترع عليها ومن خرج سهمه أخذها فاقترعوا فطلعت من سهم زكريا فأخذها وكفلها ووضعها الى خالتها أم يحيى واسترضعت منها حتى بلغت مبالغ النساء وبنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه مرتفعا لا يرقى اليها الا بسلم فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها فى كل يوم وكان اذا خرج من عندها أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها وجد عندها رزقا أى فاكهة فيقول لها من أين أتى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما ضعف زكريا عن حملها خرج الى قومه وقال لهم انى كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدى ويقوم بأداء خدمتها كما كنت أفعل بها فقالوا لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ماترى فلم نجد من يحملها فتقارعوا عليها بالسهام فخرجت من سهم رجل صالح نجار يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عمها فتكفل بها وحملها فقالت له مريم يا يوسف أحسن الظن بالله سيرزقنا من حيث لا نحتسب فجعل يوسف يرزقه الله برزق حسن ويأتى كل يوم لها بما يصلحها من كسبه فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق فتقول له هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فلما بلغت من العمر خمس عشرة سنة وهى اذ ذاك فى خدمة البيت المقدس وكان اعتراهم يوم شديد الحر نفد فيه ماؤها فأخذت قلتها وانطلقت الى العين التى فيها الماء لتملأها منها فلما ان أتت الى العين وجدت عندها جبريل قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله بعثنى اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال لها انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها وكانت وضعته اليه فلما انصرف عنها لبست درعها فحملت بعيسى باذن الله ثم ملأت قلتها وانصرفت الى مسجدها فلما ظهر عليها حملها كان أول من أنكر عليها ذلك ابن عمها يوسف النجار واستعظم ذلك الامر ولم يدر ماذا يصنع وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه وأعياه الأمر كلمها وقال لها انه قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على أن أكتمه فغلبنى ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبرينى يا مريم هل نبت زرع من غير بذر قالت نعم قال هل نبتت شجرة من غير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يكون من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدته أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت شجرا حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته فقال لها يوسف نعم ان الله قادر على كل شئ وقادر على أن يقول للشئ كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها من أمر الله وأنه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وضعف قوتها فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها خرجت من المسجد الى

بيت خالتها التلاد فيه فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها وأدخلتها ثم قالت لها يا مريم شعرت أني حاملة وانك أنت أيضا حاملة مثلى فاني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ولما أقامت في بيت خالتها أوحى الله اليها انك ان ولدت بجهة قومك قتلوك أنت وولدك فاخرجي من عندهم فأخذها يوسف النجار ابن عمها وخرج بها هاربا وقد حملها على حمار له حتى أتى قريبا من أرض مصر أدركها النفاس فألجأها الى أصل نخلة وكان ذلك في زمن الشتاء وكانت هذه النخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف وهي في موضع يقال له بيت لحم قال فلما اشتد الامر بمريم تضرعت الى ربها وقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فنوديت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فلما ولدت ونزل الغلام من بطنها ناداها وكلمها باذن الله تعالى وقد أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد ولما يسر الله لها أسباب ولادتها رجعت به الى قومها وكانت قد غابت عنهم أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى الصبي أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال عند ذلك الصبي وهو ابن أربعين يوما (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) فلما شاع خبره بين قومه أراد هيردوس ملكهم أن يهم بقتله فأخذهما يوسف النجار وهرب الى مصر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين الى أن بلغها أن هيردوس الملك قد مات فرجعت هي وابن عمها يوسف النجار الى أن أتوا الى جبل يقال له الناصرة فسكنوا فيه الى أن بلغ ولدها من العمر ثلاثين سنة ثم خرجوا الى قومهم وقيل ان وفاتها قبل رفع ولدها عيسى عليه السلام بست سنين

مدام نكر

هي ابنة رجل فقير الحال من خدمة الدين اشتهرت في حداثتها بجمالها وآدابها ورآها المؤرخ كين الانكليزي الشهير وكان سائحا في أوروبا فراعه جمالها وذكاؤها ووقعت منه موقعا عظيما وعزم على الاقتران بها ثم رجع الى بلاده وكاشف أباه بذلك فلم يسلم له بل تهدده بطرده من بيته وحرمانه من ميراثه ان فعل فوقع كين بين عصيان الهوى وعقوق الوالدين فاختار أصغرهما وهو الاول وبقيت محبة هذه الفتاة في فؤاده ثم استحالت مع الايام الى الاكرام والاعتبار وبعد قليل مات أبوها ولم يخلف مالا تعيش به فأقلعت الى مدينة جنيف لتعلم وتعيش من أجرة التعليم وهنالك رآها المسيو نكر وكان كاتبا في أحد البنوك فأحبها وعزم على أن يقترن بها حينما تنصلح أموره ولم يمض عليه سنون كثيرة حتى صار من كبار الاغنياء فتزوج بها سنة ١٧٦٤ واتخذها معينة له ومشيرة وأحبها حبا مفرطا وهي كانت أهلا لحبته واعتباره لانها جعلت غرضها من الحياة ارضاءه ودخلت باريس وعمرها ٢٥ سنة وهي غير معتادة على المعيشة في المدن الكبيرة ولا متربية تربية تؤهلها للدخول بين أهل الجاه والمجد وكان بباريس حينئذ أشهر فلاسفة فرنسا وكتابها فسولت لها نفسها أن تجعل لزوجها مقاما بين علمائها مثل مقامه بين أغنيائها ففتحت بيتها لهؤلاء الفلاسفة وجعلته ناديا لهم وكانت ترحب بهم وتجول معهم في الحديث وتحاول أن تقتادهم الى

التدين والتقوى وكان زوجها يعتمد عليها في مقابلة زواره وضيوفه وكان اذا دعا بعضهم الى بيته يقول لهم هلم نتمتع بحديث مدام نكر واعتزل الاشغال التجارية كلها وأناط بزوجته تدبير منزله وأمواله فكانت تحل وتربط وتبيع وتشتري وقد بينت ابنتها مدام دوستايل الكاتبة الشهيرة سبب ذلك بقولها لما رأى أبي أن أمي فقيرة لا مال معها ورآها شاعرة بذلك خاف أن تستصغر نفسها فسلمها كل أمواله وخول لها التصرف المطلق فيها لكي تشعر من نفسها أن المال لها فتنفذ وتخلص من صغر النفس وذهب كين المؤرخ المتقدم ذكره الى باريس فدعاه زوجها الى بيته وأحسن ضيافته وترحبت هي به وأخبرته أن دخل زوجها السنوي لا يقل عن عشرين ألف دينار ثم عين المسيو نكر وزير المالية فرنسا ومدبر الها فأصلح شؤون المالية واهتم باصلاح السجون والمستشفيات وكان الفضل الاول في ذلك لزوجته لانها كانت تتعهد السجون بنفسها وتتفقد كل أحوالها وتدبر الطرق المناسبة لاصلاحها وأنشأت بيمارستانا بباريس فسمي باسمها الى هذا اليوم وأقام زوجها في هذا المنصب الرفيع خمس سنوات وكانت هي المدبرة لامور ه اصعو بتها وأقر زوجها بفضلها وكان زوجها يفتخر بها ويعدد فضائلها فلامه البعض على ذلك لكنهم أخطؤا في لومهم خطأ بينا لانه اذا حق للانسان أن يفتخر بآبائه وجدوده وبعلمه وادابه كما فعل عمرو بن كلثوم والسموأل بن عادياء وأبو العلاء المعري في قصائدهم الفخرية حق له أيضا أن يفتخر بآل بيته ولاسيما بزوجته اذا كانت ممن يفتخر بها كمدام نكر هذه التي كانت مرشدة لزوجها ومدبرة لأموره وزهرة فضل عرفها في بيته ولكن المناصب محفوفة بالمتاعب ومن رقي العلى استهدف لوقع أسهم الردى فلم يمض على المسيو نكر خمس سنوات في هذا المنصب حتى كثر حساده وخيف عليه من عدوانهم فعزم على الاستعفاء وحثته عليه زوجته حتى استعفى وتنحى عن الاشغال السياسية فأسف محبو فرنسا على استعفائه ولامها البعض منهم لانها حثته على الاستعفاء ولكن عذرها واضح وجتهادا مغة ألا وهي أنها خافت عليه من العدوان وما تنفع المناصب والحياة في خطر والى ذلك أشارت في كتاب كتبته الى كين المؤرخ حيث قالت انني راغبة في هذا المنصب ولكنني لم أتأمل في عواقبه فاضطررت في الآخر أن أرغبه في تركه وقد أسفت فرنسا كلها على استعفائه ونحن أيضا آسفون جدًّا الاضطرارنا الى ترك هذا المنصب ولاسيما لاننا نخاف أن لا تجري أموره في مجراها بعد أن تركناه اما مسيو نكر فلم يترك الاشتغال بعد تركه للمنصب المذكور بل أكب على تأليف كتاب جاء من أبدع الكتب فبيع منه في أسبوع واحد ثمانون ألف نسخة وألفت مدام نكر كتابا في الطلاق أودعته آيات البلاغة وطبعته سنة ١٧٩٤ وتوفيت في تلك السنة بعد أن أصابها مرض عصبي مؤلم فحزن عليها زوجها حزنا مفرطا وأروى ضريحها بالعبرات وحق له الحزن والبكاء عليها لانها رفعت لواء عزه وأنارت سبل حياته بذكاء عقلها وسمو آدابها

﴿مريم مكاريوس﴾

ولدت مريم نمر مكاريوس في ربيع سنة ١٨٦٠ في حاصبيا مدينة من مدن سوريا قبل حدوث المذبحة الشهيرة فيها ببضعة عشر يوما وتيتمت من أبيها بتلك المذبحة التي شابت لهولها الولدان فحملتها أمها مع أخيها الى مدينة صيدا بعد ما قرت بهم الى قرية مجدل شمس بقرب جبل الشيخ ثم أتت الى مدينة بيروت وهي تغذيها بالبان الحزن وتغسل وجنتيها بدموع الحسرات وقامت عليها وعلى أخويها تربيهم بما اشتهر عنها من

الحكمة والذكاء الى أن بلغوا سن التمييز فأدخلتهم فى احدى مدارس القدس الشريفة ليتعلموا بها العلم الذى لم يكن لامهم حظ منه لانها ولدت وربيت فى عصر كان تعليم البنات محظورا فيه بحجة انه غير لازم لهن ويخشى منه عليهن كذا ظن أهل ذلك العصر وهو ظن أقبح من إثم فلم تلبث المترجمة فى القدس الا زمانا يسيرا حتى اختارت لها أمها مدرسة من أحسن مدارس بيروت أدخلتها ولم ترض أن تخرج منها قبل أن تتم دروسها كلها وتأخذ شهادتها فدرست من اللغة العربية وفنونها الصرف والنحو والبيان ومن الانكليزية كذلك ومن العلوم التاريخية والجغرافية والحساب والفلسفة الطبيعية والهيئة وغير ذلك وتمرنت على الاعمال اليدوية من خياطة وتطريز ونحوهما ونالت الشهادة المدرسية سنة ١٨٧٧ وكانت وهى فى المدرسة مشهورة باخلاص النية وسلامة الطوية وذكاء العقل وشدة الحياء

وبعد خروجها من المدرسة بقليل اقترن بها شاهين مكاريوس فأنشأت له بيتا زينته بلطفها ودبرته بحكمتها وفتحت أبوابه للاصدقاء الادباء من رجال ونساء فكانوا على مائدتها كأنهم فى ناد من النوادى العلمية والمحافل الادبية وهى تطربهم بعذب كلامها وتسكرهم بخمرة معانيه ورزقها الله ثلاثة أولاد ذكرين وانثى فربتهم أحسن تربية وعلمت كبيرهم مبادى العربية والانكليزية وكانت عازمة أن تعلم أخاه وأخته متى بلغوا سن التمييز ولكن أدركتها المنية قبل تحقيق المنى فخسر أطفالها خسارة لا تعوض وفى غرة سنة ١٨٨٠ اتفقت مع البعض من صديقاتها وعقدت جمعية أدبية سمتها باكورة سورية وانضم اليهن عدد من السيدات المهذبات فكن يتداولن الخطب والمناظرات ومن خطبها خطبة تاريخية انتقادية فى الخنساء الشاعرة العربية الشهيرة جمعت فيها ما تفرق فى كتب الادب وشفعته بانتقاد مكين يدل على توقد ذهنها ودقة نظرها وقد أدرجها المقتطف فى سنته التاسعة ولها أيضا مقالة عنوانها حرارة الماء أدرجت فى السنة الثانية منه ونبذ أخرى ورسائل ومناظرة عنوانها بنات سوريا مع البيكباشى الدكتور سليم موصلى ومناظرة عنوانها دفاع النساء عن النساء مع الدكتور شبلى أفندى شميل مؤلف الشذا سنذكرها فى هذه الترجمة لانها لا يزال صداها يدوى فى الآذان حتى الآن وقد كان هذان الدكتوران طبيبيها الخاصين حتى ساعة موتها وقد بذلا كل الجهد والعناية حفظا لحياتها الثمينة وأعياهما الداء العياء ولها فى اللطائف مقالة رنانة فى حيات زنوبية ملكة تدمر ورسائل شتى لم تطبع وقالت مرة فى مطالعة النساء للقصص والكتب الفكاهية ما نصه (نحن نميل طبعا الى قراءة سير الناس ولذلك نرى أكثر نساء العالم تقتبس معارفهن وفوائدهن من قراءة الكتب التى من هذا الباب ولا يخفى عليكن أن المرأة الصادقة لا تقصد بمطالعة الروايات وسير الناس مجرد تسلية الخاطر وإشغال المخيلة بما يهيج الاطفال ويسلى الاولاد الصغار ولكنها تقصد أولا تحصيل الفوائد اللازمة لها فى حياتها مثل معرفة الاخلاق واختلاف الاحوال وصروف الزمان والتصرف فى النوائب وفضل ممارسة الفضيلة ووخامة مرتع الرذيلة واعتبار العواطف الشريفة والاقتداء بالذين فاقوا فى حسن صفاتهم وكرم أخلاقهم وفازوا بجميل صبرهم وأفادوا بحسن تربيتهم واهتمامهم بجبر القلوب الكسيرة وتشجيع النفوس الصغيرة واصلاح شؤن هذه الفضائل وأمثالها تقصدها المرأة الحكيمة أولا فى مطالعة الروايات والسير وتقصد الفكاهة والتسلية ثانيا وانى طالما وددت لو كان لنا نحن بنات اللغة العربية ما لغيرنا من الروايات التى اذا قرأناها لم نعل وجوهنا حمرة الخجل ومن السير التى نجد فيها ما يوسع العقول ويهذب الاخلاق ويلطف العواطف ويكمل الادب ويعلم أحوال

العالم ويكشف لنا خبايا الطبع البشري فلم آل الى الآن قليل مما وقفت عليه ولم أزل أضطر الى مطالعة كتب الافرنج لتحصيل ما أشتهيه من هذا القبيل مع اننا في زمان تتبارى فيه أقلام الكتاب ويتباهى فيه أولو النباهة والذكاء) وقالت أيضا منتقدة إغفال ذكر الامهات من تراجم البنين والبنات ما نصه (ولم يذكر لنا المؤرخون عن اسم أم الخنساء ولم يكلفوا النفس أي كلمة عن التي قاست الاهوال وأحيت الليالي حرصا على حياة بنتها وحبا لتربيتها فأين الانصاف من ذلك وفضل البنت من فضل أمها وقد قال الفيلسوف إن الباري اذا شاء أن يخلق في أرض فيلا عظيما خلق فيلة عظيمة تلده وما أدرانا أن الخنساء لولا فضل أمها لم يكن فيها فضل تشتهر به ولولا حسن تربية أمها لها لما نبغت بما نبغت نعم انها ولدت من نسل امرئ القيس أشعر شعراء العرب والاقرب الى العقل أن تكون قريحته قد اتصلت اليها بحكم الوراثة ولكنها اتصفت أيضا بصفات أدبية أسمى من صفاتها العقلية ومن المعلوم أن امرأ القيس لم يفق في آدابه ولو فاق الشعراء في شعره فالمتأمل في سيرة الخنساء يجد مندوحة لاسناد الفضل الى أمها وان يكن على سبيل الزعم والتخمين ولو تنازل المؤرخون الى ذكر أم الخنساء وصفاتها لظهر الحق وانتفت الظنون وكفى بذلك فائدة ان لم يكن في ذكر الام غيرها) وقالت أيضا منتقدة سكوت الكتاب في السير والتراجم عما يحدث للانسان في صباه من الحوادث والنوادر ونحوها (وقد ضربوا صفحا أيضا عما جرى للخنساء في صباها ولم يشيروا الى أيام حداثتها والحال أن الانسان لا يتكمل الفائدة ولا اللذة في مطالعة سير غيره الا متى اطلع على أحوالهم فعرف نقائصهم وفضائلهم وحسناتهم وسيآتهم وما فاقوا فيه وقصروا عنه وكيف طرأت عليهم التجارب والمصاعب فتخاصموا منها وتغلبوا عليها وكيف توسعت قواهم العقلية واستقامت قواهم الادبية ونمت أبدانهم واشتدت قواهم الجسدية وما كانت فوادرهم ومزاياهم وسائر خصائصهم وهذه الامور كلها تظهر في زمان الطفولية والصبا أحسن ظهور ولذلك يجد القارئ معظم اللذة والطلاوة ان لم نقل معظم الفائدة أيضا في معرفة أحوال الشخص في طفوليته وحداثته) وقد عرفت المترجمة في ردها على الدكتور شبلي شميل بقولها ان الزوجة الفاضلة هي المعزية الحزين المفرجة الكروب الصابرة على مضض العيش ونغص الحياة الراضية بمشاركة الرجل في سرائه وضرائه المحافظة على ولائه الطالبة ستره الناسية نفسها في خدمته الباذلة حياتها في مسرته وتربية عائلته الممتازة بالوراعة والعفاف والطهارة وهذه الاوصاف قد كانت دأبها في حياتها وقد استكملتها واحدة فواحدة كما يعلم ذلك أصدقاؤها ومعارفها وأما أنا فلم يسعدني الحظ برؤيتها وبالاقتباس من أنوار معارفها

وفي سنة ١٨٨١ أنشأ بعض المحسنات الاميركانيات والوطنيات جمعية لتعليم النساء البائسات والتصدق عليهن فشاركتهن في هذا العمل المبرور وجعلت بيتها دار التلك الجمعية فكن يجتمعن فيه كل أسبوع يتعلمن ويأخذن ما يتصدق به عليهن من كساء ونقود وفي أواخر سنة ١٨٨٥ انتقلت المترجمة مع زوجها الى الديار المصرية ولما استقر بها القرار عكفت على المطالعة والدرس استعدادا لعمل حميد كانت ناوية أن تشرع فيه خدمة لبنات عصرها وفسح في أجلها ولكن باغتها على غرة مرض له باشلس يدخل الابدان مع الهواء وينشب في الرئتين أظفاره وهو المنية بعينها ولا دافع له من دواء ولا رقية

أمر رب العباد يقضي بما شا * وتعالى عن الخلائق سرمد

فأرجعت مريضة الى بر الشام في صيف تلك السنة ونزلت في قرية من أطيب قرى لبنان هواء وماء فأقامت

هنالك على ربى لبنان تصارع الداء بجودة الهواء الى أن دخل فصل الشتاء فقال الاطباء قد أزف الرحيل ومصر لمن كان مثلها خير دواء فرجعت الى مصر ومضت الى حلوان وعادت الى القاهرة وامتحنت كل علاج قديم وحديث أشار به الاطباء وكلهم من صفوة المعارف وأخلص الاصدقاء لها ولكن ماذا ينفع الدواء والداء عياء

ولم يذهب المرض الطويل والالم الشديد بشيء من بشاشة وجهها ولا من طلاوة حديثها ولا من حصافة رأيها فكانت تبش بوجه العوّاد مهما كانت آلامها قوية وتسامرهم وتطايبهم وترتئي الآراء السديدة وتقص الاحاديث المفيدة وهي عارفة بسير مرضها وبأن الشفاء فيه نادر ولما قطعت الرجاء من الحياة كاشفت ذويها فأرادوا أن يقووا آمالها فقالت اليكم عن المحال فقد أزف الرحيل وستحضرني الوفاة هذه الليلة ونادت زوجها وأخاها وكل واحد من أصدقائها باسمه وتكلمت معهم كلاما يلين له الجماد ويفتت الاكباد ثم أغمضت جفنيها وأسلمت الروح في الساعة الاولى من يوم ٢٢ اذار (مارس) سنة ١٣٠٦ في غرة فصل الربيع وهي في غرة ربيع الحياة

ومن آثارها رسالة بعثت بها الى جمعية السيدات اللواتي نلن الشهادة المدرسيّة في مدرسة البنات السورية في بيروت وذلك في شهر نيسان (ابريل) سنة ١٨٨٧ وهي

الى حضرة الرئيسة المحترمة والاعضاء المكرمات بعد التحية أقول اني لو خيرت لاخترت الحضور بينكن والتمتع بجمال الستكن واجتناء لذيذ أحاديثكن على المكاتبة وتبادل الاشواق بالحبر والقرطاس ولكن هذا نصيبنا فقد قسم لنا أن نترك الوطن العزيز وان نفارق صاحبات حبيبات ودارا ضمتنا جميعا فقضينا فيها أوقات أنس من أظرف الاوقات وتعلقت قلوبنا بها فصارت تحن اليها وتتحسر عليها ألا وهي المدرسة التي أنتن مجتمعات فيها الآن والتي تغذينا منها بألبان المعارف والعلوم لا ريب عندي أن كلا منكن تذكر الآن تلك الايام التي كنا نجتمع فيها معا كالاخوات بنات العائلة الواحدة مشمولات بنظر اللواتي كن يسهرن علينا سهر الامهات على البنات ونحن نرتع في نعيم الطهر والصبا نملأ منه صافي كأس الحياة لا هم لنا الا العلوم ولا غم الا عدم حفظ الدروس أما الآن فقد تبدلت تلك الاحوال وتشتت شملنا في كل الجهات حتى صار يصعب علينا الاجتماع جميعا في محل واحد ومكان كما هو مقتضى جمعيتنا هذه وقد وصلت دعوتكن الي وأنا بعيدة عنكن غير قادرة على الاجتماع معكن وقد قيل ان الطاعة خير من الذبيحة فلذلك رأيت أن أكتب اليكن ببعض ما شاهدته بعد اجتماعنا الاخير اجابة لطلبكن في الدعوة راجية منكن المعذرة على إشغال وقتكن بمطالعته لقلة ما تضمن من الفوائد فأقول فارقت بيروت في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٥ مع رفيقتي الصادقة الوداد السيدة ياقوت صروف قاصدين القاهرة محل اقامتنا الآن فمررنا بعدن رأيت فيها جماعة من بنات مدرستنا اللواتي سبقننا الى هذه البلاد ثم ركبنا القطار وسرنا أسرع من الطير في تلك المركبات العجيبة التي أزالت عناء الاسفار وقربت ما بعد من الديار فقطعنا في نحو ساعات ما يقطع عندنا في أسبوع من الزمان ولما دخلنا القاهرة وجدناها مدينة كبيرة متسعة الازقة والشوارع تختلف عن بيروت اختلافا عظيما ولكن لم تطل اقامتي فيها حتى صرت أشعر بالوحشة العظيمة لجبال لبنان التي حوت بيروت في كنفها والبحر المتوسط المنبسط أمامها كالبساط الازرق في رواق أجمل القصور هذا ومن يسمع عن القاهرة أو يقرأ كلام الكتاب فيها يتوهم أنها هي الفسطاط المدينة

القديمة الشهيرة والحال أن تلك لم يبق منها الا أطلال بالية و بيوت قليلة خربة أومتداعية وكلها فى جهة تعرف بعصر العتيقة فى هـذه الايام وأما المدينة ففى ٣٠ درجة من العرض الشمالى و ٢٨ درجة من الطول الغربى فى وسط سهل فسيح قد اختلطت فيه رمال البادية بالطين الذى جرفه نهر النيل الى مصر من قلب أفريقا و يحاذيها من ناحية الشرق الجبل المقطم وهو كبعض التلال المنبسطة فى ربى لبنان أو أوطأ منها ومن ناحية الغرب نهر النيل ملاصقا للبيوت التى على أطرافها ولغزارة مائه واتساعه العظيم يسمونه هنا بحرا وقد صدقوا فلو جمعت أنهار سوريا كلها معا لما ساوت جانبا منه والمدينة مؤلفة اليوم من بيوت قديمة وبيوت جديدة فالقديمة مبنية ومرتبة على الاصطلاح الشرقى والشوارع بينها ضيقة والازقة يغلب أن تكون قذرة والهواء غير نقى لانحصاره والمبانى غير جميلة ولكنها لاتخلو من محاسن كثيرة يلذبها ذو الذوق السليم كنحو رها المعروف بالمشربية فانه بديع الجمال و يزيده طول عهده حسنا وجمالا لان طول الزمان كبعد المكان يكسو الشىء أثوابا من الجمال والجديدة مبنية على الطراز الغربى الجديد ولا حاجة لوصفه وأحقر المبانى القديمة أكواخ الفلاحين وهى صغيرة قذرة فى جميع أنحاء القاهرة فيرى الانسان فى الارض الواحدة قصورا فخيمة ومبانى رشيقة وزخارف تسبى العقول وتبهر الابصار بجانبها تلك الاكواخ الحقيرة البناء القذرة الظاهر النتنة الداخل المعروفة عند المصريين بالعشش فكانى بمصر قد جمعت أبدع الصناعة الاوربية مع أحقر الصناعة الافريقية فى رقعة صغيرة من الارض وكانت القاهرة قديما محاطة بسور لاتزال آثاره ظاهرة فى بعض الجهات الى الآن ويقال إن الرياح كانت تسفى عليها رمال الصحراء قديما حتى تغشيها كما يغشى الضباب جوانب الانهار ولذلك كثر رمد العينين فيها وتلفت عيون الجانب الكبير من أهاليها ولكن لما حكم محمد على باشا وابراهيم باشا الذى تغلب على سورية وحكم عليها زمانا ولا يزال اسمه أشهر من نار على علم عندنا فى بلاد مصر عمرها الى درجة سامية فى التمدن فانشأ المدارس والمعامل و بنى المستشفيات وفتح الطرقات وغرس الاشجار وجعل القاهرة ثانية القسطنطينية فى الاتساع و بنى جامعه المعدود من أشهر جوامعها العديدة على مقربة من الجبل وكله مبنى من المرمر اللامع الذى يكاد يشف عما تحته ومزين بالنقوش والكتابات البديعة وفيه الثريات الكبيرة والطنافس النفيسة التى لم ترعينى أعظم منها ولا أبدع صفة ولما توفى الى رحمة ربه دفن فيه وأحيطت الحجرة التى دفن فيها بشبك من النحاس الاصفر المتقن الصنعة البديع الشكل والجامع يطل على المدينة وقد وقفت بجانبه فرأيت أمامى معظم القاهرة مقطعة بالشوارع تقطعا هندسيا وقد رفعت فيه قباب الجوامع على ماسواها من المبانى وعلت المآذن مئات كأنها شجر غاب فى سهل أوسوارى السفن فى البحر ويلى المدينة غربا نهر النيل جاريا بين حقول الزرع وغياض الشجر وغابات النخيل كأنه سيف صقيل مسلول على بساط أخضر نضير ويلى حواشيه اخضرار رمال الصحراء والاهرام الناطحة عنان السماء وهذا المنظر من المناظر التى تستحق أيدى أبدع المصورات وتعرضها قرة للعيون ونزهة للنفوس و بجانب هذا الجامع قلعة عظيمة كانت تسك فيها النقود و يعرف مكان سكها بالضربخانة والقلعة اليوم فى قبضة الجنود الانكليزية التى دخلت بلاد مصر بعد النازلة العرابية وفى القاهرة جوامع عديدة بعضها موصوف بجمال داخله رونق ولكن أشهرها فى الاسم يكاد يكون أدناها فى البناء أريد به الجامع الازهر الذى سمعتن به كثيرا فهو جامع للتدريس وفيه من الطلبة ماينيف عن عشرة آلاف طالب على ما يقال فهو أكثر مدارس

الارض طلبة وأقدمها عهدا فيما يظن ومنه يخرج أشهر علماء العربية والفقه والادب من المسلمين والذى اعتنى كثيرا بتحسين القاهرة وهندستها وترتيبها اسماعيل باشا والدسمو الخديوى الحالى قيل انه كان معلقا خارطة باريس فى غرفته الخاصة حيث يقع عينه عليها فى دخوله وخروجه وكان باذلا جهده فى تخطيط القاهرة بحسبها فخذ الطرق الواسعة فيها من طرف الى طرف حتى صارت المركبات تخترقها فى أكثر جهاتها وغرس الشجر على جانبيها ونور أشهر شوارعها بنور الغاز وشيد فيها المبانى الضخمة من قصور ونحوها وأشهرها مرسح للتمثيل يسمونه (الاوبرا) بالاسم الفرنساوى قد أنفقت عليه أموال كثيرة جدا حتى صار الناس لا يستكثرون فيها أعظم المبالغات وددت لو أن قلمى العاجز يستطيع وصف محاسن هذه (الاوبرا) فكنت أوفيها حقها أما الآن وأنا على ما أنا عليه من العجز والقصور فأكتفى بوصف وجيز لها ففى وسط قاعة التمثيل ثريا (أى نجفة) تنار بالغاز لها أنابيب من الصينى على هيئة الشمع فيتوهم الناظر اليها أنها شمع وقد صنع بعضها أكبر من بعض حتى كأنه ذاب مشتعلا وبعضها كأنه الشمع الذائب يقطر عن جوانبه وقد عبث النسيم باللهيب فأصاب حافة الشمعة وأذابها الى غير ذلك مما قلد فيه الشمع تمام التقليد وحجم هذه الثريا معتدل الاتساع وفى وسط القاعة أمام مرسح الملعب نحو ثمانمائة كرسى مشدودة بالمخمل العنابى وحولها أربع طبقات مستديرة بعضها فوق بعض وقد قسمت كل طبقة الى أربعين غرفة فى كل غرفة خمس كراسى ومقعد مشدود بالمخمل العنابى اللون وجدرانها مدهونة بمثل ذلك اللون وعلى بابها ستار من لونها وقد علقت مرآة كبيرة على جدار منها وفرشت أرضها بالطنافس وكل غرفة معدة لخمسة أشخاص وأما سقف القاعة فرسوم فيه صور أشهر الممثلين والموسيقيين وللخديوى غرفة خاصة ولحرمه غرفة خاصة مقابلها وكلتاهما على غاية الاحكام والهندام وفيهما من الفرش والوشى والتطريز ما يدهش الانظار هذا عدا ما فيها من قاعات الجلوس ومخازن الملابس والآلات وسائر المعادن وملابس للمثلين من المنسوجات المختلفة الالوان والاشكال من حرير وقطن وكتان ومن يجول فى مخازن الاوبرا يحسب أنه يجول فى أسواق مدينة قد حوت مخازنها من القماش والحلى والملابس والاحذية والاسلحة والآلات والدواليب والاجراس ما لا يوصف بخط القلم على القرطاس ومن مشاهد القاهرة أيضا الجسر الكبير على نهر النيل تمر عليه المركبات لاتساعه ويمشى على رصيفين بجانب طريق المركبات ولطوله لا تقطعه المركبات فى أقل من ثلاث دقائق أو أربع وكله من الحديد المفروش بالبلاط وهو يفتح ويقفل فى ساعة معينة من اليوم لمرور السفن بالجسور التى نقرأ وصفها فى كتب الافرنج ومن مشاهد القاهرة مدارسها العلمية وأشهرها مدرسة قصر العينى حيث يعلم فيها الطب والجراحة وهنالك صف من النساء يمرن على التمريض ويدرسن علم الولادة وبعض فروع الطب ويمتحن جهارا كبقية التلامذة من الشبان ومدرسة المهندسخانة وتدرس فيها العلوم العالية ولاسيما الرياضيات وصناعة الهندسة والمدارس فى مصر كثيرة أعظمها وأشهرها للحكومة ولكن أكثرها تعلم بالاجرة ومن المشاهد العلمية أيضا المرصد الفلكى والمعمل الكيماوى والمكتبة الخديوية ولعلها أحسن مكتبة فى الشرق وخصوصا فى كتبها العربية وأعظم مشاهد القاهرة اعتبارا معرض الآثار المصرية المعروفة هنا بالانتيكخانة ففيه من الآثار المصرية ما يعز وجوده فى غيره من معارض الدنيا من تماثيل وصور ونقوش وكتابات وآنية وأجسام محنطة قد حنط بعضها من قبل أيام موسى الكليم ولا يزال على رونقه

الاصلى

الاصلي حتى ان الكفن ما عليه من الالوان كالزنجاري والاصفر والاحمر لا تزال على ما كانت عليه من البهاء منذ آلاف من السنين مع ان ألوان هذا الزمان لا تقيم بل تحول وبهاؤها يزول وهذه الآثار يمتد زمانها من أيام أقدم الفراعنة الى الاسكندر فالبطالسة فالرومانيين فالاقباط بعدهم وبينها كثير من جثث ملوك المصريين وعيالهم محنطة من قبل أيام الخليل ابراهيم ولا تزال شعورها على رؤسها وألفائفها وأكفانها باقية عليها غير بالية وشاهدت هنالك شيأ كثيرا من الجواهر والحلى القديمة المصنوعة كحلى هذه الايام من أقراط وخواتم وأساور وعقود مرصعة بالحجارة الكريمة ترصيعا متقنا ومن الغريب أن بين الاساور ما هو على شكل الحية وعيناه حجران كريمان كأساور هذه الايام وشاهدت أيضا أسلحة كثيرة الانواع مختلفة الاشكال ومرايا مصنوعة من المعادن الصقيلة وأحذية ذات سيور وقعا وحصا وفولا وعدسا وبيضا وإجاصا ودوما وهو كبير يشبه السفرجل في هيئته وكانا من أحسن أنواع البوص وأمراسا ومكانس وأدوات البناء من الخشب والنحاس المعروف بالبرنز ولم أر بين تلك التحف أثر الحديد حتى مسامير التوابيت وغيرها كلها من الخشب أو النحاس اذ الحديد كان لا يزال مجهول الاستعمال في تلك الايام على ما أظن وهنالك تماثيل لاكثر الملوك القدماء منها من الرمر أو الحجر الصلد أو النحاس وأبدع ما في صنعتها وضع العيون التي رأيتها وهي متخذة من الحجارة الكريمة ولاتقان صناعتها في الشكل واللون واللمعان لا تمتاز عن عيون الاحياء الا بالجهد وهي أفضل كثيرا من العيون التي يصنعها أبناء هذا الزمان ومن أغرب التماثيل التي رأيتها هنالك تمثال من الحجر قد أمسك بيده عصا أظنها من العرعر والمظنون أنه صنع قبل أيام النبي موسى وأنه من أقدم مصنوعات البشر ومع ذلك فكأنه تمثال رجل من المصريين في هذه الايام ويسمى عندهم شيخ البلد وكل من دخل هذا المعرض علم بعض العلم عن عبادة المصريين واعتبارهم لجثث موتاهم بما يرى فيه من تماثيل الآلهة التي على صورة التمساح والسلحفاة والقرد والسنور والضفدع والخنفساء وغيرها من تماثيل الحيوانات بما يرى من الجثث المحنطة الملفوفة لفا محكما بلفائف الكتان المتناهي في الرقة وهي موضوعة في توابيت من الخشب وهذه التوابيت ترسم على ظواهرها صور وتغطى ظواهرها وبواطنها بكتابات بالخط المصري القديم المعروف بالهيروغليف ويوضع فيها من الجثث المحنطة والمآكل المحنطة المجففة مثل الارز والبيض واللحم والاثمار ونحوها وكانت عادتهم أن يضعوا التابوت المتضمن الجثة ضمن تابوت آخر وهذا ضمن آخر وهكذا حتى يبلغ عدد التوابيت أربعة أو أكثر أحيانا ثم يضعونها داخل تابوت من الحجر الاصم وقد رأيت تابوتا لاحدى الملكات قد صنع كله من الكتان المرصوص طاقا على طاق ثم عولج بنوع من الطلاء حتى صار كالخشب سمكا وصلابة والغالب أن كل أثر من هذه الآثار يكون مقرونا بكتابة هيروغليفية تبين ماهيته وما حالته وقد رافقنا داخل المعرض رجل مصري يقرأ هذا الخط ويترجمه لنا كما نقرأ نحن كتب الافرنج ونترجمها وفي القاهرة منتزهات مختلفة عظيمة الاتقان فيها تصدح الموسيقى وتسمع آلات الطرب في كثير من الاحيان بعضها في وسط المدينة وبعضها خارجها كمنتزه شبرا وهو قديم العهد والعباسية والازبكية والجزيرة وقد فضلت الجزيرة على ما سواها لانها قريبة الشبه من بقاع كثيرة في سوريا ولبنان والمفاوز بنظرة واحدة وهي تبعد نحو ميل عن وسط المدينة والطريق اليها واسعة نظيفة محاطة بالاشجار الملتفة على الجانبين ترش بالماء يوميا بجميع طرق المدينة فيتلبد ترابها ولا يثور غبارها تحت الحوافر والعجلات والاقدام وتطهر من خلالها

المروج المختلفة الالوان والنيل ينساب فى وسطها انسياب الافعوان وهى تؤدى الى قصر فخيم بناه اسمعيل باشا الخديوى السابق فى وسط حديقة غناء كثيرة الاشجار لطيفة الازهار واسعة الطرق عديدة التماثيل وجلب اليها الانواع العديدة من الوحش والطير حتى أشبهت معارض الحيوانات فى أوربا ولم يبق بها الا القليل فى هذه الايام والمنتزه العمومى قرب هذا القصر مركزه يعرف بالجبلاية ولعل المراد بها تصغير الجبل وهى تقليد الجبل الطبيعى قد صنعت حجارتها من الحصى والرمل عمر الصاعد الى قمتها فى مغارة واسعة كثيفة الظل رطبة الهواء يتسلسل الماء من نواحيها ويتدفق من بعض الثقوب التى فيها ويقطر من سقفها خيوط مدلاة قد رسب الكلس عليها وكستها الطبيعة فأشبهت الرواسب الكلسية التى تتدلى من سقوف بعض الكهوف السورية وفى جوانبها حياض كالنقر من الصخور قد سدت بالزجاج السميك كأنه ماء قد جمد فكون جدارا من الجليد وفى أرضها الحجارة كأنها أخذت من سقف المغارة وجوانبها وتدحرجت فى أرضها على ممر السنين وتوالى الحوادث والايام ثم يرقى على درج ملتف وكأنه طبيعى لم تمسه يد البشر حتى يصل الى قمتها فيجد هنالك فى طريقه بقعة كانت مزروعة بالاعشاب والازهار والاشجار ويرى حوله منظرا فسيحا من غياض الصنوبر (من شجر الفتنة ولعلها كتبت الصنوبر سهوا) والسنط وسهول القمح والحبوب والنيل ينسحب بينها كاسلاك الفضة وصحارى الرمال الى غير ذلك مما يشرح الصدر ويطيل العمر وأخبرت أنه يوجد ما هو أجل من هذه الجبلاية فى قصر يسمى قصر الجيزة ولكنى لم أره ويوجد جبلاية أصغر منها فى المنتزه الكبير فى وسط المدينة المعروفة بجنينة الازبكية وهى جنينة مساحتها لا تقل عن مساحة احدى قرى لبنان المتوسطة فى الاتساع فى وسطها بحيرة متسعة تسير فيها القوارب الصغار والكبار ودائر البحيرة الاشجار الكبيرة والازهار النضيرة والاراضى الخضراء والحدائق الغناء وفيها مرسح للتمثيل ومبان للطعام وقباب تضرب الموسيقى العسكرية فيها يوميا وأبوابها مفتوحة لعموم الناس ومخازن القاهرة الكبرى بيد الافرنج من الاجانب وأكثر جهاتها المطروقة من الخاصة والعامة مزدحمة بالقهاوى والحانات والخمارات ولم يترك الاوربيون المتعاطون الاسباب فى القاهرة واسطة الا أجروها لاجتذاب الاهالى الى الاسراف واللهو والطرب ولذلك ترى العامة من الاهلية يتهافتون على ما به خرابهم وبوارهم تهافت الفراش على لهب النار ولم نسمع حتى الآن بجمعية علمية أو أدبية للاهالى تذكرنا جمعيات بيروت أو اجتماعات مفيدة للشبان والشابات كالاجتماعات التى عندنا الا أننا منذ مدة حضرنا افتتاح جمعية علمية أدبية فى دار المرسلين الامريكيين كان فيها نحو مائة وخمسين نفسا حاضرين واجتماعاتها أسبوعية وقد تزايد عدد الحضور جلسة فجلسة حتى صار يبلغ خمسمائة فى هذه الايام وقد ضاقت القاعة دونهم فالامل أن هذه الجمعية تثبت وتنمو وتكون سببا لقيام غيرها من الجمعيات العلمية الادبية حتى ينتشر التهذيب الصحيح بين الشبان والاهالى الذين أوتوا حظا وافرا من اللطف الطبيعى ولين العريكة وسهولة الانقياد والله أسأل أن يقدرنا على قضاء خدمة نافعة لبنات هذه البلاد . انتهى

ومن كلامها مقالة أدرجت فى السنة الاولى من جرنال اللطائف تحت عنوان تربية الاولاد وهى خطبة ألقتها فى احد الاحتفالات قالت (قال الحكيم رب الولد فى طريقة أدب فتى شاب لا يحيد عنها وقال علماء الاخلاق من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وهما قولان جديران بالمراعاة وحريان بكل اعتبار لانهما صادران من أعقل الناس وأحكمهم متعلقان بأهم ما فى العالم من الاعطية والكنوز فان الاولاد هم عماد الهيئة

الاجتماعية منهم يقوم الافاضل ومنهم يقوم العلماء وولاة الامور ومنهم تتألف القبائل والامم والشعوب فهم أساس الهيئة الاجتماعية وبهم يتم انتظامها وتمدنها وارتقاؤها في مراتب الكمال

ولما كانت تربيتهم أقوى الوسائط المثقفة لعقولهم المهذبة لاخلاقهم المقومة لاعوجاجهم وكانت هذه التربية متوقفة على الوالدين خصوصا وغيرهم عموما كانت واجبات الوالدين نحو أولادهم من أعظم الواجبات والوديعة التي أمنهم البارى تعالى عليها أجل الودائع ولذلك لا يسع الوالدين الحنونين الا الاهتمام بتربية أولادهم والبحث عما يجعلها قويمة المنهاج شافية العلاج وهذا ما قصدت الكلام فيه بوجه الاختصار فأقول إن التربية ليست علما بقواعد وأصول كسائر العلوم يتعلمه الانسان من بطون الصحف ولكنها نوع من السياسة يراعى فيها الانسان أحوال الاولاد والزمان والمكان مع أنها لا تخلو من مبادئ عمومية يصح الجرى عليها في كل حال لكن أكثرها يتوقف على حكمة المربى وفطنته وغيرته وحسن أخلاقه ويكفيني أن أقول بالاجمال إن التربية يلزم لتمامها شروط بعضها يتعلق بالمربى وبعضها بالمربى فمن أعظم الشروط اللازمة في المربى أن يكون هو نفسه مربى حسن الطوية مهذب الاخلاق والاقوال حميد السيرة صافى السريرة والا ذهبت مساعيه عبثا وربما زادت أضرارها على منافعها لان المربى يميل بالطبع الى الاقتداء بمربيه في كل شيء وتقليده قولا وفعلا حتى كأنه صورة خالقته أو صدى صوته فاذا لم يجر المربى على حسب تربيته للمربى كذبت أقواله وأفعاله وأبطلت أمياله ومساعيه

يحكى أن السرطان أراد يوما أن يقوم خطوات ابنه فقال له مالك يا بني تمشى مجانبا ولا تقوم خطواتك قال رأيتك يا أبي تمشي كذلك قبلي فاقتديت بك وحسبي أن أشبهك ولقد أصاب قول من قال (ومن يشابه أبه فما ظلم) ويلزم المربى أيضا مع ذلك أن يكون حكيما متأنيا مالكا طبعه خبيرا بمواقع الاقوال ونتائج الافعال فيجعل كلامه مع المربى على قدر الحاجة اللازمة لتقويم أوده وتهذيب أخلاقه ويقصر أفعاله على ما يؤثر في نفس الطفل أحسن تأثير يحثه على الخير وينهاه عن المنكر وأما الشروط اللازمة في المربى فسأتكلم عليها في أواخر هذه المقالة (قلت) إن التربية تتوقف خصوصا على الوالدين وعموما على غيرهم ومعلوم أن معظم تربية الوالدين يتوقف على الامهات لا على الآباء لوجودهن غالب الاحيان مع أولادهن أيام الطفولية ولكون الاهتمام بهم من أخص واجباتهن وبما أن كثيرات منا نحن الحاضرات ههنا أمهات أولاد يقصدن تربية أولادهن أحسن تربية ويتقدن غيرة على تحسين طباعهم وتهذيب أخلاقهم فقد رأيت ان أبدى بعض ما عندى في هذا الشأن لعله يقع موقع القبول عند احدى السامعات فيفيد أو أسمع عنه ملاحظات من احداهن فأستفيد فأتقدم في الكلام بناء على أن الشروط اللازمة متكملة في المربيات السامعات لعلمي أنهن من اللواتى ربين أحسن تربية ولكن يعوزنا الاختبار والانتفاع بأثمار التجارب

أرى أن الوالدة لاتقدر أن تربي ولدها على ماتريد الا بعدما تستولي على عقله وعواطفه وتعرف طباعه والذي يدلني على ذلك هو أن التربية لاتنمي في نفس الطفل ماليس له أثر ولا وجود فيها بل ماهو موجود قد أودعه البارى تعالى فيها ولا تقتصر على انماء هذا الموجود بل تقدم النامى وتهذبه وتقويه وتشدده فمثل الوالدة في تربية ولدها مثل الغارس في تربية غرسه ألا ترين كيف يهدله الارض ويسويها ويسمدها ويرويها حتى يتأصل فيها كلما نما وطال يقومه اذا رآه معوجا ويقضبه ويهذبه حتى يقوى ويعلو ويحسن منظره هكذا تفعل الام في ولدها بالتربية تنظر الى جسده وتقويه وتنميه بالطعام والرياضة والاتقاء من الآفات وتنظر الى عواطفه وقواه العقلية والادبية فتوسعها وتقويها وتقوم اعوجاجها وتهذبها فان لم تكن هذه بيدها وطوع أمرها فكيف تقدر عليها ولكن تكون خاضعة لها وطوع ارادتها

يجب على الوالدة أن تنتبه على تربية ولدها وهو طفل صغير ضعيف الارادة وتتعهده منذ ذلك الحين تارة بالامر والنهي كالسلطان المطلق وطورا بالحب والرفق كالصديق الحبيب حتى تكون مهيبة عنده مسموعة الكلمة ومحبوبة منه ومقبولة الاوامر وهذا غاية عظمة الملوك والحكام ومنتهى ما يبلغون اليه في سياستهم مع الرعية وهو أن يكونوا مهيبين محبوبين مسموعي الكلمة معززي الجانب

اذا راقبت الام ولدها وجدت أنه لا يبلغ من العمر نصف سنة حتى تظهر عليه علامات الفهم وتبدو منه أفعال الارادة فيغضب ويرضى ويبكي وقت الغيظ ويتبسم وقت الرضا وحينئذ يجب على الام أن تتخذ ماعندها من الحكمة لتطبع ارادتها على لوح نفسه وتغرس محبتها في أعماق فؤاده وتنفذ كلمتها في أمرها ونهيها له متدرجة من الامور الصغيرة الى المبادى الكلية على توالي الايام فمتى صار يطلب شيأ لايناسب اعطاؤه اياه تمنعه عنه ولا تطاوعه ولو بكى وصرخ صراخا شديدا حتى يرسخ في ذهنه أن البكاء والصراخ لا ينيله المطلوب اذا لم ترد الوالدة ذلك وأن الطاعة خير من العناد واذا أصر الطفل على مسك مالا يخصه بعدما منعته والدته من ذلك مرارا فلا تخفيه من أمامه خوفا من بكائه بل تردة عنه بكل لطف وحزم وتفهمه بقدر الطاقة ان ذلك الشئ لا يخصه وأنه يجب أن يطيع والدته ويخضع ارادته لارادتها ولا تزال تعلمه بمثل هذين المثلين حتى تتأصل الطاعة لوالدته في نفسه وتنمو فيه مع نماء قوى عقله ولكن ليس بالغضب والعنف بل بالرفق واللين واللطف

ومن خطا الوالدين والوالدات في التربية أنهم يحبون البشاشة في وجه الولد والملاطفة في معاملته تؤول الى استخفافه بكلامهم وتمرده عليهم فلذلك تراهم لايكلمونه الازجرا ولا ينظرون اليه الاشزرا واذا ارتكب أقل ذنب أوسعوه ضربا وتعنيفا واذا ضحك أولعب في حضرتهم وبخوه وانتهروه كأنه قد جنى ذنبا زاعمين أن ذلك كله يزيد سطوتهم عليه ويمكن الطاعة في نفسه لهم وهذا صحيح ولكن الى حد معين لان هذه المعاملة تمكن سلطة الوالدين على أولادهم ولكنها تكون ثقيلة عليهم مكروهة عندهم يترقبون الفرص لخالفتها ويحتالون للتخلص منها ولذلك كثيرا ما تكون نتيجتها فيهم تربية الخوف والخيانة والبغض

والكراهة

والكراهة فى نفوسهم و يتلوذلك المكر والرياء أوالعصيان والتمرد كما لايخفى اذ القسوة والعنف فى المتسلط يجعلانه مهيبا ولكن مكروها ومطاعا ولكن مستثقلا والنفوس الابية لا تذل الا الى حين ولا تصبر على الضيم الا ريثما تجد بابا للدفع

فيجب على الوالدين والوالدات خصوصا أن يعاملوا أولادهم فى التربية بالرفق وأن يقابلوهم بوجوه باشة الاحيث لاتقبل البشاشة وأن يكون كلامهم فى الانذار والتوبيخ مقرونا بالتأنى والهدو حتى يفهم الولد مؤداه و يقبله عن اقتناع لا عن خوف ورعدة كما يكون اذا أدبته أمه عن غضب وحنق إطفاء لنار غيظها والحزم والهدو والتأنى فى تربية الطفل وتأديبه تلقى لمربيته هيبة فى فؤاده ليس فوقها هيبة فتبقى مقرونة بالطاعة له طول أيامه ولاسيما انها تكون ممزوجة فى نفسه بالحب والمودة والخلاصة أنه يجب على الام أن تجعل لها فى نفس ولدها طاعة مؤسسة على الحب تدوم الى طويل لا طاعة مؤسسة على الخوف تدوم الى قصير وكما يطلب من الوالدة أن تكون حاكمة متسلطة على عقل ولدها وعواطفه يطلب منها أن تكون بمنزلة الصديق والرفيق له تخصص جانبا من وقتها للملاعبته بالملاعب المختلفة وتسليه تارة بقص القصص المفيدة عليه وطورا بتعليمه ما ينير ذهنه وحثه على ما يميل اليه من طبعه حتى تتعلق نفسه بها تعلقا شديدا و يفضل مجالستها واستماع أقوالها على مجالسة كل واحد سواها فيكتسب منها فى أثناء ذلك ما تريد أن تلقيه فى ذهنه من الافكار والمبادئ وينمو على ما تحب أن ينمو عليه وههنا مندوحة واسعة للكلام على الاتعاب التى يجب على الوالدة أن تهبها لأولادها حتى تدفع عنهم الملل والضجر وما ينشأ عنهما من المساوى الكثيرة التى تفسد التربية والاخلاق وههنا محل الكلام على تدبير ما يلزم لتحسين ذوق الولد وتعويده على حسب ما هو جميل واعتبار ما هو نافع ومفيد وتربيته على مراقبة الامور وملاحظة ما حواليه من الكائنات وعجائب طبائعها وغرائب أفعالها وههنا محل الكلام أيضا على ترويضه وتقوية جسده ولكنى لا أتعرض لشئ من ذلك كله لئلا يضيق المقام واعتمادا على ما هو شائع منه فى كتبنا وجرائدنا

وصدق الوالدة مع ولدها فى كل مواعيدها أمر لابد منه فى التربية وكذبها عليه يربيه على الكذب لامحالة والدعاء عليه يحط قيمتها فى عينه ويفسد آدابه وتكثير الاوامر عليه والطلبات منه تلقيه فى الحيرة والارتباك فيصير يطلب الابتعاد عنها ولا يصدق أن يتيسر له الفرار من وجهها حتى يغافلها و يسرع الى أصدقائه وملاعبه قال بعض الحكماء الصدق أهم ما يجب اتباعه فى تربية الصغار وتهذيبهم فمن كذب على ولده كذبة علمه الكذب وقال أيضا ان تهذيب الولد يبتدئ بنظرة أمه والتفات أبيه وتبسم أخته أو أختيها أو أخيه

ومن أغلاط التربية عندنا انه اذا قامت الأم لتأديب ولدها فكثيرا ما يعارضها الاب ويحمى الولد من التأديب كأن أمه عدوة له تقصد الانتقام منه واذا قام الاب لتأديب ولده عارضته الام وكل ذلك مما يمنع فوائد التربية عن الولد ويحمله على الظن بأنهما صادرة عن الغضب والانتقام لا عن حب الواجب وحسن

المقصد ومن أغلاطنا في التربية أيضا ما لا نتحرى تعويد الاولاد على الاعتماد على أنفسهم والاستقلال عن سواهم بل اذا رأينا في ولدنا ميلا الى شيء من ذلك أمتناه اجابة لدواعي الخوف والشفقة التي في غير محلها فاذا رأت الام ابنها يميل الى حز الخشب والنجارة بسكين أخذت السكين من يده خوفا من أن يجرح إصبعه جرحا طفيفا ولا يخطر لها أن توصي أباه ليبتاع له عدة صغيرة للنجارة ليتعود بها على عمل أعمال كثيرة تنفعه في أيامه وتبعد عنه الضجر والسآمة والحال ان أكثر مخترعي الافرنج يربون على حب الاختراع بأمور كهذه وهم أولاد صغار واذا رأت الام ولدها يركض في الشمس وراء الفراش والجنادب صاحت وولولت خوفا عليه من حر الشمس وكان الاولى بها أن تشتري له كتابا ذا صور وتربيه على مراقبة المخلوقات الطبيعية قيل ان لينيوس المعدود من أعظم علماء النبات كان في صغره يحب الازهار فزرع له أبوه أرضا وقسمها على وفق ذوقه فكان يتفقدها ويعتني بها ولما شب ولع بدراسة علم النبات حتى طار صيته في الآفاق ويجب الحذر في التربية من اضعاف عزيمة الولد وارادته فان والدات كثيرات يذللن الولد حتى لا تبقى له ارادة فاذا شب كان ضعيفا وكانت تربيته أعظم مصيبة عليه وكثيرون ينكرون فوائد التربية ويقولون ان وجودها وعدمها سيان ويستشهدون على ذلك بقولهم ان فلانا ربي في صغره أحسن تربية فكان أحسن الاولاد وكان يقدر له أعظم النجاح فلما كبر أتى المنكرات ولم يجن الا ثمار الذل والفشل والآخر ربي في صغره أردأ تربية ولما كبر فاق فضلا ونبلا وكرم أخلاق وخالف ظن الناس فيه (أقول) ان إنكار هؤلاء الناس لمنافع التربية مبني على وهم فاسد وهو أن التربية انماء الموجود وتحسينه كما مر في بدء الكلام ولا توجد ما ليس موجودا فقد يخص البارى بمواهب أناسا دون آخرين حتى انهم مع قلة التربية يفوقون سواهم ممن ربي تربية حسنة ولكن لو تساوت مواهب الفريقين لفاق المربي بالاخلاق ولذلك اشترط في المربي أن يكون قابلا للتربية من طبعه وقليل من لا يقبلها ومهما اقوى في الفطرة حسك الشرور وغلظت أصول المساوى والآثام فانها تضعف حتى تضمحل وتزول بحسن التربية وجميل الاعتناء اهـ

ومن كلامها المقالة التي أدرجت في جريدة المقتطف العلمية ردا على الدكتور شبلي شميل ونصها بحروفها ان حضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل يعد من جملة الذين اذا أطعموا أشبعوا واذا ضربوا أوجعوا فمقالته التي عنوانها الرجل والمرأة وهل يتساويان (المندرجة في الجزأين السادس والسابع من مقتطف هذه السنة) قد حوت من الشواهد والحقائق ما يشبع عقول القارئين ومن التحامل على المرأة والاجحاف بحقها ما يوجع نفوس القارئات وليس لنا وجه لدفع قوله بانه خصم ذو غرض أو رجل قليل المعارف لا يعبأ بقوله لانه قال وأعاد القول مرارا انه ليس قصده حط شأن المرأة بل تقرير الحق الواقع والذي نعهده فيه من الصدق في القول والاخلاص في القصد يكذبنا ان سميناه خصما أو نسبنا اليه الغرض وأقواله وكتاباته تشهد له بسعة الاطلاع وغزارة المعارف فلا نصدق اذا حططنا في علمه ومعارفه ومع ذلك فلا ريب انه لم ينصف في حكمه على المرأة ولم يعدل في ذكر مناقبها واخلاقها وما ذلك في حكمي الا عن سهو واذ الانسان عرضة للسهو

والنسيان

والنسيان والظاهر أن اعتقاده فى المرأة منقول أصلا عن ألسنة العامة فلما تحرك فى أقوال العلماء وغاص على أدائهم لم يلتقط منها الا ما أيد ذلك الاعتقاد المتداول خلفا عن سلف وأغفل ما يؤيد خلافه وكم من مرة زل العلماء وضل الفقهاء من تأثير الاوهام المتوارثة والاغلاط السائرة ولولا ذلك لكان من المحال أن يرضى حضرة الدكتور الفاضل بما فى خطبته من الانحراف والاجحاف كما سترى

أولا ان القسم الاول من المقالة المذكورة مقصور على اثبات ان الذكور من الحيوانات العالية أشد من الاناث وان الرجل أضخم من المرأة جثة وأكبر جمجمة وأثخن عظما وأقسى عضلا وأنضر بشرة ودمه أثقل نبضا ناوأغلظ قواما وجسده أكثر فسادا وانحلالا اذ يفرز من الحامض الكربونيك أكثر مما تفرز هى وغير ذلك مما يدل على ان الرجل أشد من المرأة وما لبث أن جعل هذه الاوصاف دليلا على الشدة حتى انتقل الى جعلها امتيازا يمتاز بها الرجل ولم يؤيد هذا الامتياز بان حضرة الدكتور يذكر مقابله امتياز المرأة على الرجل بالجمال واعتدال القوام ولطف التركيب والغضاضة والبضاضة ونحوها من الاوصاف التى تميزها عليه كما هو مسلم به اجماعا أيضا الا انه ان كانت ضخامة الجسم والقوة الوحشية تعدان امتيازا للرجل من وجه فلطف القد وحسن الخلق يعدان امتيازا للمرأة من أوجه والانصاف يقتضى ذكرهما عند ذكر غيرهما لكن حضرة الدكتور أغفلهما تمام الاغفال

ثم انه ذكر تقوس القدم فى الرجل وانبساطها فى المرأة دليلا على ارتقائه فى الخلق أكثر منها وكذلك يزرر ثيابه عن اليمين وهى تزررها عن اليسار وكذلك بطء نموه وسرعة نموها الى غير ذلك من الادلة التى لم يسلم بصحة مدلولها واحد حتى ينفيها آحاد وترك الامر والانصاف يقتضى ذكر الامر المقرر قبل الشواهد التى لم تثبت صحتها ولا صحة ما يستشهد عليه بها

ثانيا ان فحوى القسم الثانى من مقالة حضرة الدكتور هى إثبات أن الرجل أعظم عقلا وادراكا من المرأة وقد عدد فيه القوى العقلية التى زعم أن الرجال يفوقون فيها النساء ولم يذكر للنساء قوة يفقن فيها والذى أعلم ان كل الباحثين (حتى الذين بحثوا قديما عما اذا كان للمرأة نفس) لم ينكروا أن المرأة تفوق الرجل فى بعض القوى العاقلة مثل الادراك عن طريق الحواس المعروف بالشعور وسلامة البداهة والذوق العقلى ثم ان حضرته يبنى حكمه بصغر عقل المرأة عن عقل الرجل بكون دماغه أثقل من دماغها ولما كان لا يحق لى الاعتراض فى معرض مثل هذا الحسيب ان أسأل جنابه هل يعتبر ثقل الدماغ دليلا قاطعا على كبر العقل لان الذى نعلمه (وهو مأخوذ عن أحدث مناقشة للعلماء فى هذا الشأن) ان كبر العقل بمعزل عن ثقل الدماغ فقد يكون الانسان من أعقل أهل زمانه ودماغه خفيف جدا أو متوسط فى الثقل وقد يكون من أصغر الناس عقلا ودماغه ثقيل جدا ولذلك لا تقنع عقولنا القاصرة بأن ثقل الدماغ دليل كبر العقل حتى يتبين لنا ذلك بالبرهان القاطع

ثالثا ان معظم الاجحاف كان فى كلام حضرة الدكتور عن اداب المرأة وفضائلها وهنا لا أخشى ان أخالف

حضرته تمام المخالفة اذا لمحقق المشهور ان الفضائل نصيب المرأة فهى المعزية الحزين المفرجة المكروب الصابرة على مضض العيش ونغص الحياة الراضية بمشاركة الرجل فى سرائه وضرائه المحافظة على ولائه الطالبة لمسرته الناسية نفسها فى خدمته الباذلة حياتها لمسرته وتربية عائلته الممتازة بالوراعة والعفاف والطهارة الى غير ذلك مما يعد منه ولا يقدر حسبى ماذكرت

﴿مريم بنت يعقوب الانصارى﴾

سكنت اشبيلية وأصلها على ماقيل من شلب وكانت صدر نبهائها وأدبائها وممن لهن قدر منجبيها ونجبائها سردت البديع أحسن سرد وافترست المعانى كالاسد الورد وأبرزت درر المحاسن من صدفها وحازت من أنخر الاجادة وشرفها ومدحت ملوك كا طوقتهم من مدائحها قلائد وزفت اليهم من معانيها خرائد وجلتها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقلص لها من الحظوة ظل وارف وقد أثبت المقرى مايعترف بحقها ويعرف به مقدار سبقها وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا واشتهرت باشبيلية بعد الاربعمائة وذكرها الحيدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى لها بدنانير وكتب اليها

مالى بشكر الذى أوليت من قبل * لو أننى حزت نطق اللسن فى الحلل
يافذة الظرف فى هذا الزمان ويا * وحيدة العصر فى الاخلاص والعمل
أشبهت مريما العذراء فى ورع * وفقت خنساء فى الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك فى قول وفى عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالى بشكر الذى نظمت فى عنقى * من اللآلى وما أوليت من قبل
حليتنى بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التى سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى على العصا * وتمشى بها مشى الاسير المكبل

﴿مريم صوفيا امبراطورة الروسية﴾

هي ابنة ملك الدانيمرك وشقيقة امبراطورة استوريا والبرنسيس قرينة الدوق أوف وليس ولي عهد انكلترا أميرة نساء هذا الزمان وأديبتهن في هذا العصر والاوان ربيت في بيت أبيها بهيئة بسيطة لا تعلو عن حالة المتوسطات بالغنى والثروة من نساء العالم وقد طرحت كل كبرياء وتشامخ من صبوتها ولم تزل على ذلك حتى الآن وهي في مقام تنحني أمامها أعناق نحو ومائة مليون من البشر وقد زادها الله عزا وكمالا بالمواهب الطبيعية فانها على جانب كبير من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق ولين العريكة وعلى جانب أعظم من غزارة العقل وحدة الذهن وصدق التصور وحسن البديهة وقد استودع الله في هيكلها اللطيف من القوة والشجاعة ما يعز وجوده في خير أشداء الرجال ومن شريف طباعها أنها شديدة الحب لجلالة الامبراطور قرينها ميالة الى عمل الحسنات منشطة للمعارف لا تحب التداخل في شؤن السياسة كثيرا نزوعة الى العمل شديدة الكره للكسل والكسالى مولعة بمطالعة الكتب المفيدة تخيط أكثر ثيابها بيدها الامر الذى يكشف عن ضعة في نفسها الكريمة لا تحب الاسراف والتبذير تقوم بنفسها مع مساعدة احدى الفاضلات بتعليم بنيها الثلاثة وابنتيها ولشدة ميلها الدروس والمطالعة أصبحت تتكلم بعدد من اللغات وبالاجمال ان شريف خلالها تقوم واعظا ونذيرا في نساء العالم قاطبة يرد المتكبرات الى الضعة واللين والواهنات القوى الى النشاط والاقدام والمسرفات الى الاقتصاد والمبتعدات عن عمل البر والاحسان الى حبه والعمل به

(مزروعة بنت عملوق الحميرية)

كانت من فصحاء زمانها ومن اللواتي كن في فتوح الشام حضرت الحروب مع خالد بن الوليد بالشام ومصر وشهدت حرب النسوة في وقعة سحور مع خولة بنت الازور ولها شعر في رثاء ولدها وهو مأسور في وقعة انطاكية وهو

أياولدي قد زاد قلبي تلهبا * وقد أحرقت مني الخدود الدوامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة * وقد حميت مني الحشا والاضالع
وأسأل عنك الركب كي يخبروني * بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادقا * ولا منهم من قال انك راجع
فياولدي مذ غبت كدرت عيشتي * فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله * ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان كنت حيا صمت لله حجة * وان تكن الاخرى فما العبد صانع

فقالت لها ولمن معها سلمى بنت سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات أبهذا أمركن الله أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة

قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فاصبرن تؤجرن فقالت لها من روعة إن كلامك هو الحق وأتيت بالصدق ثم سكتن عن البكاء

(مسكة جارية الناصر محمد بن قلاوون)

قد نشأت فى داره وصارت قهرمانة منزله يقتدى برأيها فى عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الاعياد والمواسم وترتيب شؤن الحريم السلطانى وتربية أولاد السلطان وطال عمرها وصار لها من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجل وصفه وصنعت براومعروفا كبيرا واشتهرت وبعد صيتها وانتشر وتقدمت عند السلطان وكانت مسموعة الكلمة عنده وعند حرمه وذلك لحسن خدمتها وصنيعها وصيانتها المنزله وقد صنعت مصانع كثيرة مثل مساجد وتكايا ومدارس وغير ذلك جميعها تهدم

ومن مآثرها الجامع الذى أنشأته بخط الحنفى بمصر قال فيه صاحب خطط مصر الجديدة التوفيقية ان سوق مسكة قرب جامع الشيخ صالح أبى حديد بخط الحنفى له بابان منقوش باعلى أحدهما بالرخام (بسم الله الرحمن الرحيم أمرت بانشاء هذا المسجد المبارك الفقيرة الى الله تعالى الحاجة الى بيت الله الزائرة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الست الرفيعة مسكة سنة ست وأربعين وسبعمائة) ومنقوش بدائره من الخارج بالجرسورة يس وبه منبر مكتوب عليه انما يعمر مساجد الله الآية وكان الفراغ من الجامع المبارك فى شهور سنة ست وأربعين وسبعمائة الى غير ذلك من الاوصاف الجيدة

ولما توفيت الست مسكة دفنت فيه وقبرها ظاهر للآن وانما الجامع معطل وغير مقام الشعائر لتخربه حالة وجود أحكار له فى ديوان الاوقاف المصرية

(مفضلة الفزارية بنت عرفجة الفزارى)

كانت تحت محمد بن عوف الطائى وكانت بديعة الجمال فصيحة المقال عالمة بضروب الشعر وشعرها فيه بلاغة تستحسن ومن قولها فى زوجها محمد المذكور حين قتل فى بعض غزواته

ألا لا أرى لما تلبد بالثرى * ولا ميتا حتى ذكرت محمدا
حرام على عينىّ بعد محمد * طوال الليالى لا تمسان إثمدا
فكم من فتى موته لو تجردت * له الحرب لم يفن الحمار المقيدا
وأجر يدعو الله كل عشية * ليبعده لا بل هو الآن أبعدا
ألم تريا ما كان أحلى محمدا * وأجلدان راح فى القوم أو غدا
ترى منكبيه ينفضان قميصه * كنفض الردينىّ الرداء المنضدا

(منفوسة

(منفوسة بنت زيد بن أبى الغوار رضى الله تعالى عنها)

كانت اذا مات ولدها تضع رأسه على حجرها وتقول والله لتقدمك أمامى خير عندى من تأخرك بعدى واصبرى عليك أولى من جزعى عليك ولئن كان فراقك حسرة فان فى توقع أجرك لخيره ثم تنشد قول عمرو ابن معديكرب رضى الله عنه

وإنا القوم لاتفيض دموعنا * على هالك منا وان قصم الظهر

(مهجة القرطبية صاحبة ولادة)

كانت من أجمل النساء فى زمانها وأخفهن وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى أن تهجوها ومن شعرها فى ولادة حينما كانتا مصطلحتين

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فمازال يحمى عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

ولها أشعار كثيرة لم نشأ جمعها واقتصرنا منها على هذا المقدار

(مى ابنة طلابة بن قيس بن عاصم الغسانى)

كان جدها قيس من اجلاء ملوك العرب وأفاضلهم حتى ضربت به الامثال لجلاله وسماحته وحسن جواره ودماثته وكانت مى قصيرة عذبة الكلام بليغة غزالة العينين زجاء الحاجبين مر عليها غيلان بن معدى الكنانى المعروف بذى الرمة وكان غيسانيا مليحا وشاعرا فصيحا فأدركه الظمأ فمال الى سرادق علا عروضه وأطنابه وامتدت أوتاده وأسبابه واذا بمى تمشط رأسها وقد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل النخل ووجهها يشف من خلاله فقال غيلان هل من إداوة تنقع الاوام وتشفى من السقام فأسرعت الى ماء شيب باللبن وسقته ثم رحبت به وأنزلته بمجلس يأكل مما هيأت وعيونها تروى له عن الايام ماخبأت فلما انصرف آخر النهار الاوفى قلبه لاعج وأوار كأنهما مارج من نار فعطف يعاودها على طول الشقة وفرط المشقة وينشد

وكنت اذا ماجئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وحدث يوما عقبة الفزارى فقال ما معناه أتانى يوما ذو الرمة فقال إن فى مية خلوفا فهل لك ان تسعدنى فى الزيارة فقلت لبيك ثم سرنا حتى اذا أتينا الربع نظرت النساء الى غيلان فعرفنه فجئن يتهادين وبينهن مى حتى جلسن لائذات به فقالت حسناء منهن أسمعنا ياذا الرمة ماقلت فالتفت الى وقال لى أنشدها ماروبت

عنى فاندفعت أقول قصيدته التى أولها

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه

ولما بلغت قوله

نظرت الى أظعان مى كأنها * ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه

فأسبلت العينان والقلب كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه

بكى وامق حال الفراق ولم تحل * حوائلها أسراره ومعاتبه

هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها أسراره ومقانبه

قالت الحسناء لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فى الانشاد فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذى * أحدثها الا الذى أنا كاذبه

اذا فرمانى الله من حيث لا أرى * ولازال فى أرض عدو أحاربه

قالت مى ويحك ياذا الرمة خف عواقب الله ثم مازلت فى الانشاد حتى بلغت قوله

اذا راحت من حب لمى سوارح * على القلب أمته جميعا عوازبه

قالت الحسناء قتلته يا مى قتلك الله فقالت مى ما أصحه وهنيأ له فأصعد ذو الرمة زفرة كاد حرها يحرق عارضيه أما أنا فدا ومت انشادى حتى انتهيت الى قوله

اذا راجعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضى الدرع سالبه

فيالك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل شاربه

فقالت الحسناء يا مية قد رجع الآن القول وبدا الوجه فمن لنا بأن ينضى الدرع سالبه فضحكت مى ثم قالت الحسناء ان لهذين شأنا فقم بنا عنهما فقمت مع من قام وجلست بحيث أراهما فتعاتبا طويلا ولم يبرح غيلان من مكانه ولم يسمع من حديثهما سوى قولها كذبت والله ولا أدرى بم كذبته ثم جاءنى ومعه نافجة طيب أهدته اياها فقال شأنك وهذه ثم قال وهذى قلادة أعطتنيها فوالله لاقلدنها بعيرا ثم عقدها فى سيفه كالحمائل وانصرفنا ثم وقفنا على أطلال مى فأنشد

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى * ولازال منهلا بجرعائك القطر

وان لم تكونى غير شام بقفرة * تجر بها الاذيال صيفية كدر

وانضمت عيناه بالعبرة وقال انى جلد صبور وان كان منى ما ترى ثم انصرفنا وكان آخر العهد به فوالله ما رأيت أشد منه صبابة ولا أحسن صبرا ومن لطائف أشعاره قوله

اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مى زاد قلبى هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

﴿ مية بنت ضرار الضبية ﴾

كانت ذات أدب وفصاحة وحماسة ولها شعر موزون ورثاء مستحسن فى أخيها قبيصة وكان قتل فى احدى الغزوات ومنه قولها

لا تبعـدن وكل شئ ذاهب * زين المجالس والندى قبيصا

يطوى اذا ما الشيخ أبهم فضله * بطنا من الزاد الخبيث خميصا

﴿ مية بنت عتبة ﴾

كانت صاحبة حسن وجمال فى زمانها وكان أبوها أميرا فى قومه مطاعا فى عشيرته وكانت هى لعلو منزلة أبيها مسموعة الكلمة أيضا وكان رأيها حسنا يستشير ونها فى أمورهم وكان لها معرفة بمعانى الشعر ولما مات ابوها رثته بأبيات منها ما عثرنا عليه وهو *

تروحنا من اللعباء عصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

على مثل ابن مية فانعياه * يشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبى عتيبة شمريا * ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا باليدين اذا اشمعلت * عوان الحرب لاروعا هيوبا

﴿ مريم نحاس نوفل ﴾

هى ابنة جبرائيل نصر الله نحاس ولدت فى بيروت فى ٦ كانون الثانى سنة ١٨٥٦ (يناير) وتهذبت فى المدارس الانكليزية السورية مدة ثمان سنوات بين خارجية وداخلية فتعلمت اللغتين العربية والانكليزية مع التاريخ والجغرافيا والحساب والبيانو وجميع أشغال الابرة واليد وفى ١٤ تشرين الثانى نوفمبر سنة ١٨٧٢ اقترنت بنسيم أفندى نوفل فى المركز الصيفى فى جبل لبنان اذ كان والدها وقرينها المذكور من متوظفى الحكومة اللبنانية

وفى خلال سنة ١٨٧٣ شرعت بتأليف كتاب عام لاحياء ذكر بنات جنسها اللطيف وسمته بكتاب معرض الحسناء فى تراجم مشاهير النساء وهو يتضمن تراجم شهيرات النساء من الاموات والاحياء مرتبا على نسق القواميس الافرنجية وقد أعلنت فى أكثر الجرائد عن هذا المشروع المبتكر وصرفت باقى عزيمتها على الاشتغال به باذلة فى سبيله كل ما أحرزته من الحلى والمجوهرات حتى لا يقال إن للرجال العلم والادب وللنساء الجمال والذهب وريثما أصبح القسم الاول منه على وشك النهاية رفعته الى من اشتهرت بين بنات جنسها مؤسسة المدرسة السيوفية فى مصر القاهرة التى كان فيها نحو الثلثمائة تلميذة يغتذين من ألبان معارفها وآدابها حضرة الاميرة جشم آفت هانم أفندى ثالث حرم سمو اسمعيل باشا الخديوى السابق

فأفاضت عليها من نعم القبول ما حمل مقدمته الى نشر جميل الشكر والامتنان فى جريدة الاهرام الغراء ذاكرة ما وعدت به الاميرة من المكارم والاحسان وفى حزيران (يوليو) سنة ١٨٧٩ طبع بأمر دولتها مثال الكتاب يتضمن المقدمة وترجمة حياة الاميرة المشار اليها وتراجم بعض النساء الشهيرات وقد وزع فى كثير من البلدان العربية غير أن سفر الجناب الخديوى السابق مع آل بيته الكرام الى نابولى فى تلك السنة أوقف السعى باتمام القسم الثانى من تراجم الاحياء ومن ثم فان الحوادث الغريبة التى أضاعت قسما من المعدات والصور التى حضرت لتزيين الكتاب اضطرت المؤلفة أن تصبر على مضض الايام وفى صدرها حزازات من حكم الزمان ومن كساد بضائع الآداب فى البلاد الشرقية

وهذه الاسباب والمسببات التى قضت بتأخير هذا الكتاب الى حين من الزمن ما برحت تتردد مع الايام فى فكر المؤلفة حتى توفاها الله فى صباح يوم الاثنين من شهر ابريل نيسان سنة ١٨٨٨ بعد أن أوصت قرينها باتمام مشروعها الذى قضت بين محابره ودفاتره مدة العمر

وقد رثاها حضرة الشاعر الاديب الياس أفندى نوفل بقصيدة رنانة فمن جملة ما قال فيها عن وصف الفقيدة

كانت لها التقوى كأبهى حلة * وصنيع أيديها أجل خضابها

وجمال عنوان أسر جمالها * وبياض باطنها كلون ثيابها

وردت سماحة وجهها عن قلبها * وبدت معارفها بطى كتابها

(حرف النون)

﴿نائلة بنت الفرافصة بن الاخوص﴾

ابن عمرو وقيل ابن عفر بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن على بن جناب الكلبية زوجة عثمان بن عفان وكان سبب زواجه بها أن سعيد بن العاص تزوج هند بنت الفرافصة فبلغ ذلك عثمان فكتب اليه أما بعد فانه قد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كلب فاكتب الى بنسبها وجمالها فكتب اليه أما بعد فان نسبها انها بنت الفرافصة بن الاخوص وجمالها انها بيضاء مديدة فكتب ان كانت لها أخت فزوجنيها فبعث سعيد الى الفرافصة يخطب ابنته على عثمان فأمر ابنه ضبا أن يزوجها اياه وكان ضب مسلما وكان الفرافصة نصرانيا فلما أرادوا حملها اليه قال لها أبوها يا بنية انك تقدمين على نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظى عنى خصلتين فتكحلى وتطيبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر فلما حملت كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها فانشدت تقول

ألست ترى ياضب بالله اننى * مصاحبة نحو المدينة أركبا

اذا قطعوا حزنا تحث ركابهم * كما زعزعت ريح يراعا منقبا

لقد كان فى أبناء حصن بن ضمضم * لك الويل ما يغنى الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان قعد على سريره ووضع لها سريرا حياله فجلست عليه فوضع عثمان قلنسوته فبدا الصلع فقال يا ابنة الفرافصة لا يهولنك ما ترين من صلعى فان وراءه ما تحبين فسكتت فقال اما أن تقومى الى واما أن أقوم اليك فقالت أما ماذكرت من الصلع فانى من نساء أحب بعولتهن اليهن السادة الصلع وأما قولك اما أن تقومى الى واما أن أقوم اليك فوالله ما تجشمته من جنبات السماوة أبعد مما بينى وبينك بل أقوم اليك فقامت فجلست الى جانبه فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ثم قال لها اطرحى عنك رداءك فطرحته ثم قال لها اطرحى خمارك فطرحته ثم قال لها انزعى درعك فنزعته ثم قال لها حلى ازارك فقالت ذاك إليك فحل ازارها فكانت من أحظى نسائه عنده

وروى عن أبى الجراح مولى أم حبيبة أنه قال كنت مع عثمان فى الدار فما شعرت الا وقد خرج محمد بن أبى بكر ونائلة تقول هم فى الصلح واذا بالناس قد دخلوا من الخوخة ونزلوا برأس الحبال من سور الدار ومعهم السيوف فرميت بنفسى وجلست عليه وسمعت صياحهم فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها فقال لها عثمان خذى خمارك فلعمرى لدخولهم على أعظم من حرمة شعرك وأهوى رجل اليه بالسيف فاتقته بيدها فقطع إصبعين من أصابعها ثم قتلوه وخرجوا يكبرون ولما قتل عثمان قالت نائلة

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

ومالى لا أبكى وتبكى قرابتى * وقد غيبت عنا فضول أبى عمرو

وكتبت نائلة الى معاوية بن أبى سفيان وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير وهذه صورة ما كتبت من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فانى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر ونصركم على عدوكم وأسبغ عليكم نعمه أنشدكم بالله وأذكركم حقه وحق خليفته الذى لم تنصروه وبعزمة الله عليكم فانه قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله وان أمير المؤمنين بغى عليه ولو لم يكن له عليكم حق الا حق الولاية ثم أتى اليه ما أتى لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه فى الاسلام وحسن بلائه وأنه أجاب داعى الله وصدق رسوله والله أعلم انه اذ انتخبه فأعطاه شرف الدنيا والآخرة وانى أقص عليكم خبره لانى كنت شاهدة أمره كله حتى قضى الله عليه ان أهل المدينة حصروه فى داره يحرسونه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بسلاحهم يمنعونه كل شئ قدروا عليه حتى منعوه الماء يحضرون فيقولون له الافك فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وكان على مع المحضرين من أهل المدينة ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من مزينة

وجهينة وأنباط يثرب ولا أرى سائرهم ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره ثم انه رمي بالنبل والحجارة فنهاهم علي وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم فردوها اليهم فلم يزدهم ذلك على القتال الا جراءة وفي الامر الا اغراء ثم أحرقوا باب الدار فجاءهم ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا إن في المسجد أناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرج الى المسجد حتى يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مظلة عليه من كل ناحية وما أرى أحدا يعادل فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح فلبس درعه وقال لاصحابه لولا أنتم ما لبست درعا فوثب عليه القوم فكلمهم الزبير وأخذ عليهم ميثاقا في صحيفة وبعث بها الى عثمان ان عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تضروه بشئ فكلموا وتحرجوا فوضع السلاح فلم يكن الا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر حتى أخذوا بلحيته وذبحوه ودعوه باللقب فقال أنا عبد الله خليفته فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا بها فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه فتوطؤنا وطأ شديدا وعرينا من ثيابنا وحرمة أمير المؤمنين أعظم فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه وقد أرسلت اليكم بثوبه وعليه دمه وانه والله لئن كان سلم من قتله لم يسلم من خذله فانظروا وأين أنتم من الله عز وجل فانا نشتكي ما مسنا اليه ونستنصر وليه وصالح عباده ورحمة الله على عثمان ولعن من قتله وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدور فحلف رجال من أهل الشأم أن لا يطؤا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم فكانت هذه الرسالة بسببها واقعة صفين

﴿ ناجية بنت ضمضم المرى ﴾

هي أخت هرم بن ضمضم كانت من شاعرات العرب الذين يحضرون الوقائع ويحرضون على القتال ولها أشعار قالتها في أخيها هرم المذكور حين قتله ورد بن حابس العبسي في حرب داحس

يالهف قلبي لهفة المفجوع * أن لا أرى هرما على مودوع
من أجل سيدنا ومصرع جنبه * علق الفؤاد بحنظل مجدوع

وقالت فيه أيضا

دعته المنايا دعوة فأجابها * وجاور لحدا خارجا في الغماغم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره أصحابه في التزاحم
فان يك غالته المنايا وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

ولها أيضا

الواهب المائة التلا * دلنا ويكفينا العظيمة

والدافــع الخصم الالــدّ اذا تفوضح فى الخصومــة
بلســـــان لقمان بن عا * دوفصــل خطبته الحكيمة
أبجتهـم بعــــد التجا * ذب والتـدافع فى الحكومة

نزهون الغرناطية

جوهرة لم يسمح بمثلها الدهر وفريدة فاقت على نساء العصر فالآداب الانقطـة من بحرها الرائـق وما الجمال الامن نور وجهها الشارق لهـانادلم يؤمـه الا الافاضل ومجلس لم يجتمع فيـه الا كل عاقل وكانت لطيفة المسامرة حسنة المحاضرة حافظة لاشعار العرب وأمثالها ولم يكن بغرناطة اذذاك أحد من أمثالها وهى من أهل المائة الخامسـة ذكرها الحجازى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يامـن له ألف خــلّ * من عاشــق وصديق
أراك خليــت للنا * س منــزلا فى الطريق

فأجابته

حللت أبابكر محـلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقـدم أهـل الحق حب أبى بكر

ولما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصـد نزهون توارك غـيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ماقلت حقا * من بعد عهـد كريم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخـزوم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم

وقال لها بعض الثقلاء ماعلى من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شــقوة لما رآنى رأى له * تمنيه أن يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيأ فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقد اجتمعت مرة مع ابن قزمان فى دار الوزير أبى بكر فقالت له عقب ارتجال بديع وكان يلبس جبة صفراء أحسنت يابقرة بنى اسرائيل الا أنك لاتسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما

يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن ندافعوا معه حتى رموه فى البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع يا وزير وقال له أبياتا أضربنا عنها العدم اللزوم ونزوحها عن حد الآداب فأمر له بما يليق من الثياب وأجزل له الصلة وكانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليها أبو بكر الكندى فقال يخاطب المخزومى

لو كنت تبصر من تجالسه * فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون

لغدوت أخرس من جلالته * البدر يطلع من أزرته * والغصن يمرح فى غلالته

ومن شعرها

لله درّ الليالى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد

لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد

﴿نعمى جارية ظريف بن نعيم﴾

كانت أديبة ظريفة ذات جمال زاهر ولطف باهر وكان سيدها شغف بها شديدا فلما كان يوم وهو جالس فى داره اذا بشرطة الحجاج دخلت عليه فأخذوه حتى أدخلوه عليه فقال على بالجارية فقال أصلح الله الامير انها روحى فلا تكن سبب هلاكى فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم أنها لا تبقى له ان عرف الخليفة بأمرها فوجهها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله أطلقه وأخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فأقام بها مدة متنغص الحياة فأراد أن يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع فى رقعة ان رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته نعمى أن تغنى لى ثلاثة أصوات اقترحتها ثم يفعل ما يشاء أن يفعل فلما قرأ القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف أحضر الشاب والجارية وقال مرها بما شئت فقال لها اغنى قول قيس بن ذريح

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

سأبكى على نفسى بعين غزيرة * بكاء حزين فى الوثاق أسير

وكنا جميعا قبل أن يظهر النوى * بأنعم حالى غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور

فغنت فمزق أثوابه ثم قال لها اغنى قول جميل

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر

تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر

فليت الهى قد قضى ذاك مرة * ويعلم ربى عند ذلك ما شكرى

ولو سألت منى حياتى بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من أمرى

فدفنت فغشى عليه ثم أفاق فقال غنى قول المجنون

عرضت على نفسى العزاء فقيل لى * من الآن فايأس لا أعزك من صبر

اذا بان من تهوى وأصبح نائيا * فلا شئ أجدى من حلولك فى القبر

فلما اغنت قام فألقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه أيظن أنى أخرجت جارية وأعود فيها خذها يا غلام فأعطها الورثته أو فتصدقوا بها عليه فلما نزلوا بها اطرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهى تقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

وألقت نفسها فى الحفيرة فماتت

﴿السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب﴾

قال المقريزى ان أمها أم ولد تزوجها اسحق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر فولدت له ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وبعده تزوجت بالحسن بن زيد فولدت له نفيسة وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذى لا مزيد عليه فيقال انها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها ألا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها الا الفائزون وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لا تأكل الا فى كل ثلاث ليال أكلة واحدة وذكر أن الامام الشافعى رضى الله عنه زارها من وراء الحجاب وقال لها ادعى لى وكان صحبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت رضى الله عنها بعد موت الامام الشافعى بأربع سنين وقيل انها كانت فيمن صلى على الامام الشافعى رضى الله عنه وقد توفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة ودفنت فى منزلها المعروف بخط درب السباع بمصر ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة وانها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت فى حزبها الى قوله تعالى قل لمن ما فى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها مع قوله تعالى الرحمة وكان سبب دخولها الى مصر كما قال ابن خلكان أنها دخلت مصر مع زوجها (٢) اسحق بن جعفر (٢)
وقيل مع أبيها الحسن وانها لما استقر بها المقام ودخل الشافعى الى مصر حضر اليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو الى الآن باق كما كان ولما توفى الامام الشافعى أدخلت جنازته اليها وصلت عليه فى دارها

ولما ماتت عزم زوجها على حملها الى المدينة فسأله المصريون بقاءها عندهم فأبقاها ودفنت فى الموضع المعروف بها الآن

وقال الشيخ محمد الصبان فى كتابه اسعاف الراغبين ان السيدة نفيسة رضى الله عنها ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهد وكانت ذات مال ولما ورد الشافعى الى مصر كانت

تحسن اليه وربما صلى بها فى رمضان ولما قدمت مصر كانت بها ابنت عمها السيدة سكينة ولها بها الشهرة التامة فخاصت عليها الشهرة فصار للسيدة نفيسة القبول التام بين الخاص والعام وماتت وهى صائمة فألزموها الفطر فقالت واعجباه لى منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأفطر الآن هذا لا يكون ثم قرأت سورة الانعام فلما وصلت الى قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم ماتت ودفنت بمدفنها المشهور الآن

وقال السخاوى فى كتاب المزارات ان سبب قدوم السيدة نفيسة الى مصر أنها حجت ثلاثين حجة وفى الحجة الاخيرة توجهت مع زوجها الى بيت المقدس فزارت قبر الخليل ابراهيم وأتت مع زوجها مصر فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وكان لقدومها الى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ونزلت أولا عند كبير التجار بمصر وهو جمال الدين عبد الله بن الجصاص وكان من أصحاب المعروف والبر فاقامت عنده شهورا يأتى اليها الناس من سائر الآفاق للتبرك ثم تحولت الى مكانها المدفونة به وهبه لها أمير مصر السرى بن الحكم وسبب ذلك ان بنتا يهودية زمنة تركتها أمها عندها وذهبت الى الحمام فقدر الله شفاءها على يد السيدة رضى الله عنها وعند ذلك اسلمت البنت وأبواها وجماعة من الجيران يبلغ عددهم نحو السبعين نفرا ولما شاع ذلك لم يبق أحد فى مصر الا قصد زيارتها وكثر الناس على بابها فطلبت الرحيل الى بلاد الحجاز فشق على أهل مصر ذلك وسألوها الاقامة فأبت فركب اليها السرى بن الحكم وسألها الاقامة فقالت انى امرأة ضعيفة وقد شغلونى عن عبادة ربى ومكانى قد ضاق بهذا الجمع الكثيف فقال لها السرى أما ضيق المكان فان لى دارا واسعة بدرب السباع فأشهد الله أنى قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها منى وأما الجموع الوافرة فقررى معهم أن يكون ذلك يومين فى كل أسبوع وباقى أيامك فى خدمة مولاك فجعلت لهم يوم السبت ويوم الاربعاء الى أن توفيت

وقد أقبل على زيارتها فى الحياة وبعد الممات خلق كثير لا يحصون من العلماء والخلفاء والاولياء وغيرهم وقيل ان الحنفى كان يقول عند زيارتها السلام والتحية والاكرام من العلى الرحمن على نفيسة الطاهرة المطهرة سلالة البررة وابنة علم العشرة الامام حيدرة السلام عليك يا ابنة الحسن المسموم أخى الامام الحسين سيد الشهداء المظلوم السلام عليك يا ابنة فاطمة الزهرا وسلالة خديجة الكبرى رضى الله تبارك وتعالى عنك وعن جدك وأبيك وحشرنا فى زمرة والديك وزائريك اللهم بما كان بينك وبين جدها ليلة المعراج اجعل لنا من همنا الذى نزل بنا انفراج واقض حوائجنا فى الدنيا والآخرة يارب العالمين وكان بعض زائريها يقول عند مشهدها

يارب انى مؤمن بمحمد * وبآل بيت محمد بتوال
فبحقهم كن شافعا لى منقذا * من فتنة الدنيا وشر مآل

وكان بعضهم يقول أيضا

يابنى الزهراء والنور الذى * ظن موسى أنه نار قبس
لا أوالى قط من عاداكم * انهم آخر سطر فى عبس

وبعد وفاتها صارت أرباب الدولة تبنى ضريحها الشريف تبركا بمقامها المنيف فمنهم ذات الحجاب المنيع والقدر الرفيع والدة السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب أنشأت رباطا بجوارها والملك الناصر محمد بن قلاوون أمر بانشاء جامع بخطبة وشيد بناءه ولما توفى الخليفة أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن العباس المعروف بالامير فى سنة احدى وسبعمائة أمر السلطان الناصر أن يدفن بالمشهد النفيسى فدفن هنالك وأقيمت عليه قبة

ومن النوادر التى حصلت فى مشهد السيدة نفيسة كما قال الجبرتى فى تاريخه والامير على باشا مبارك فى خططه انه فى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف اجتمع الخدام فى المشهد النفيسى بواسطة كبيرهم الشيخ وأظهروا عنزا صغيرا وزعموا أن جماعة أسرى من بلاد النصارى توسلوا بالسيدة نفيسة وأحضروا ذلك العنز لذبحه فى الليلة التى يجتمعون فيها للذكر والدعاء ويتوسلون فى خلاصهم من الاسر فاطلع عليهم الكافر فزجرهم وسبهم ومنعهم من ذبح العنز فرأى فى المنام رؤيا هالته فاعتقهم وأعطاهم دراهم وصرفهم مكرمين فحضروا الى مصر ومعهم العنز فذهبوا بها الى المشهد النفيسى وكثرت فيه الخرافات وتقاويل الناس فمن قائل انهم أصبحوا وجدوها عند المقام ومن قائل فوق المنارة ومن قائل سمعناها تتكلم ومنهم من يقول السيدة أوصت عليها وان الشيخ سمع كلامها من القبر ثم بعد هذه الشهرة أبرزها للناس وجعلها بجانبه وجعل يقول من الخرافات التى يستجلب بها قلوب الناس ويجمع بها الدنيا وتسامع الناس بذلك وأقبلوا من كل فج رجالا ونساء لزيارتها وأتوا للشيخ بالنذور والهدايا وعرفهم انها لا تأكل الا قلب اللوز والفستق ولا تشرب الا ماء الورد والسكر المكرر فأتوه من كل جانب بالقناطير من ذلك وعملوا للعنز القلائد والاطواق الذهبية وافتتنوا بها وشاع ذلك الخبر عند الوزراء والامراء وأكابر النساء فجعلن يرسلن كل على قدر مقامه من النذور وازدحمن على زيارتها فأرسل الامير عبد الرحمن كتخدا الى الشيخ عبد اللطيف يلتمس منه الحضور اليه بالعنز ليتبرك بها هو وحريمه فركب الشيخ بغلته والعنز فى حجره وبصحبته الطبول والبيارق والجم الغفير من الناس حتى دخلوا الى بيت ذلك الامير على تلك الحالة وصعد بها الى المجلس وعنده كثير من الامراء فتمسح بها وأمر بادخالها الى الحريم للبركة وكان قد أوصى بذبحها وطبخها فلما ذبحوها وطبخوها أخرجوها مع الغداء فأكلوا منها وصار الشيخ يأكل والامير يقول كل يا شيخ من هذا التيس السمين فيقول والله انه طيب ونفيس وهو لا يعلم انه عنزه وهم يتغامزون ويضحكون فلما أكلوا وشربوا القهوة طلب الشيخ العنز فعرفه الامير أن الذى كان بين يديه وأكل منه هو العنز فبهت الشيخ عند ذلك ثم بكته الامير ووبخه وأمر أن يوضع جلد العنز على عمامته وأن يذهب به كما جاء بموكبه وبين يديه الطبول والاشائر ووكل به من

أوصله الى محله على الصورة المذكورة وفى ذلك يقول الاديب الكامل والشاعر الناثر عبد الله بن سلامة الادكاوى

بينت رسول الله طيبة الثنا * نفيسة لاتظفر بما شئت من عز
ورم من جداها كل خير فانها * لطلابها ياصاح أنفع من كنز
ومن أعجب الاشياء تيس أراد أن * يضل الورى فى حبها منه بالعنز
فعاجلها من نور الله قلبه * بذبح وأضحى الشيخ من أجلها مخزى

نصرة ايلياس غريب

ولدت نصرة غريب بطرابلس الشام عام ١٨٦٢ من عائلة غريب وأمها من فاضلات النساء فورثت منها طيب الاخلاق وصفاء النية ورقة الجانب وكانت وحيدتها فاعتنت بتربيتها وأرضعتها لبان العلوم فى أحسن مدارس طرابلس فتمكنت منها المناقب الحسنة بالقدوة والتربية وهذه القوى الثلاث أى الوراثة والقدوة والتربية مصدر الاخلاق ودعامتها فقلما طيب فرع أصله خبيث وقلما يخبث فرع أصله طيب ولما بلغت السابعة عشرة اقترنت بجناب الوجيه عزتلو ادوار بيك ايلياس وسكنا فى مدينة الاسكندرية مدة ثم انتقلا الى مصر القاهرة واشتهرت بين معارفها وسيداتها بالذكاء وصفاء النية وعزة النفس وحب الانسانية وقيل إنها كانت تتصدق على الارامل والمحتاجين الصدقات الكثيرة مع ما كانت عليه من الاقتصاد فى النفقات والابتعاد عن الاسراف فى المعيشة

وكانت تعين زوجها فى جميع أشغاله وفى تدبير بيتها ولها الرأى الصائب والقول السديد كما شهد هو نفسه ولما جاءت الى القاهرة ورأت أن ليس فيها عند الطائفة الارثوذكسية جمعية خيرية أخذت تحث وجهاء هذه الطائفة على انشاء جمعية مثل جمعية الاسكندرية لمساعدة المساكين

وكانت تحب جريدة المقتطف العلمية وتطالعها وتذاكر فى بعض مواضيعها وتلتذ بالمذاكرة العلمية فتصغى اليها بكليتها لكى يفهم دقائق الامور وكانت كثيرة المطالعة دقيقة الانتقاد واذا أعجبها كتاب أشارت على صديقاتها بمطالعته واذا رأت فى كتاب مالا يستحسن ذمته ولامت واضعيه

وكانت اجتمعت مع مريم مكاريوس وأخريات من الفاضلات يتذاكرن فى حالة المرأة الشرقية ووددن أن يعم تعليم البنات وتهذيبهن على أسلوب يصرفهن عن الاكتفاء بقشور التمدن الاوربى ويرغبهن باقتباس الفضائل السامية التى ترفع شأن المرأة وتؤهلها لتربية النوع الانسانى

ولما كانت على هذه الصفات الحسنة لم تكن طويلة العمر مديدة الحياة حتى كانت تنفع بنات جنسها ولكن اختطفتها المنية وهى فى ريعان الشباب فتوفيت مأسوفا عليها من الجميع

نوار بنت أعين بن صعصعة

ابن ناجية بن عقال المجاشعي كانت أحسن نساء زمانها وجها وأجملهن خلقا وأفصحهن منطقا وكانت ذات أدب زائد ومعرفة تامة بالاوابد مكرمة عند قومها مسموعة الكلمة فيهم تزوج بها الفرزدق الشاعر المشهور رغما عنها قيل إن سبب زواجها به انه كان خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيت به وكان الفرزدق وليها وهو ابن عمها فارسلت اليه أن زوجني من هذا الرجل فقال لها لا أفعل الا أن تشهدي بانك قد رضيت بمن أزوجك به ففعلت فلما توثق منها قال أرسلي الى القوم أن يأتوا فجاء بنو عبد الله بن دارم فلما اجتمعوا في مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم اني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدق فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص الى عبد الله بن الزبير حين أعياها أهل البصرة أن لا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة فلم تجد من يحملها اليه وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة ويقال لهم بنو أم النسير فسألتهم برحم تجمعهم وكانت بينها وبينهم قرابة وأقسمت عليهم ليحملنها فحملوها فبلغ ذلك الفرزدق فاستنهض عدة من أهل البصرة فانهضوه وأوقر واله عدة من الابل وأعين بنفقة فتبع النوار وقال

ولولا أن يقول بنو عدي * ألم تك أم حنظلة النوار
أتتكم يا بني ملكان عني * قواف لا تقسمها البحار

وقال فيهم أيضا

لعمري لقد أردى النوار وساقها * الى اليوم أحلام خفاف عقولها
أطاعت بني أم النسير فأصبحت * على قتب يعلو الفلاة دليلها
وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى * به قبلها الازواج خاب رحيلها
وان امرأ أمسى يخبب زوجتي * كساع الى أسد الشرى يستبيلها
ومن دون أبواب الاسود بسالة * وبسطة أيد يمنع الضيم طولها
وان أمير المؤمنين لعالم * بتأويل ما أوصى العباد رسولها
فدونكها يا ابن الزبير فانها * مولعة يوهي الحجارة قيلها
وما جادل الاقوام من ذي خصومة * كورهاء مشنوء اليها حليلها

فادركها وقد قدمت مكة فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبان الفزاري وكانت عند عبد الله بن الزبير فلما قدم الفرزدق الى مكة اشرأب الناس اليه ونزل على بني عبد الله بن الزبير فاستنشدوه واستحدثوه فكان مما أنشدهم قوله

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتى * إن المنوه باسمه الموثوق

بأبى عمارة خير من وطئ الحصى * وجرت له فى الصالحين عروق

بين الحوارى الاغر وهاشم * ثم الخليفة بعد والصديق

وقال أيضا

ياحمز هل لك فى ذى حاجة عرضت * أنصاره بمكان غير ممطور

فأنت أحرى قريش أن تكون لها * وأنت بين أبى بكر ومنظور

بين الحوارى والصديق فى شعب * (٢) صبتين فى طلب الاسلام والخير (٢)

ثم شفعوه الى أبيهم فجعل يقبل شفاعتهم فى الظاهر حتى اذا جاء الى خولة قلبته عن رأيه فمال الى النوار فقال الفرزدق فى ذلك

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فبلغ ذلك ابن الزبير فدعا بالنوار فقال ان شئت فرقت بينكما وأقتله فلا يهجونا أبدا وان شئت سيرته الى بلاد العدو فيقتل فقالت لا أريد واحدة منهما فقال لها انه ابن عمك وهو فيك راغب فأزوجك اياه فقالت وقد فضلت عذابها على هـ لاكه نعم قد رضيت فدعا بالفرزدق وقال له جئنى بصداق النوار والا فرقت بينكما فقال الفرزدق أنا فى بلاد غربة فكيف أصنع وانك تحكم على لتثب عليها وتصطفيها النفسك وكان ابن الزبير حديدا فقال لها هل أنت وقومك الا جالية العرب ثم أمر فأقيم الفرزدق من مجلسه وأقبل على من حضر فقال ان بنى تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الاسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه فاجمعت العرب بما انتهكت منه مالم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة ثم حتم على الفرزدق ان لم يحضر صداقها ليقتلنه شرقتله فبلغ ذلك الفرزدق فقال ان ابن الزبير يعيرنا بالجلاء ثم قال

فان تغضب قريش أو لتغضى * فان الارض توعبها تميم

هم عدد النجوم وكل حى * سواهم لا تعد لهم نجوم

ولولا بيت مكة ما ثويتم * بما صبح المنابت والاروم

بها كثر العديد وطاب منكم * وغيركم أخيذ الريش هيم

فهلا عن تعلل من غدرتم * بخونته وعذبه الحميم

فعبد الله مهلا عن أذاتى * فانى لا الضعيف ولا السؤم

ولكنى صفاة لم تدنس * تزل الطير عنها والعصوم

أنا ابن العاقر الخور الصفايا * يضنوا حين فتحت العلوم

فبلغ هذا الشعر ابن الزبير فأسره فى نفسه وخرج يوما للصلاة فرأى الفرزدق فى طريقه فمد الى عنقه

فكادبدقها وقال له لابدّ أن تنفذ حكمي فتركه لايعي مايفعل فقيل له عليك بسلم بن زياد فانه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال فذهب اليه وقص عليه قصته فقال له كم صداقها قال أربعة آلاف دينار فأمر له بها وبألفين للنفقة فقال الفرزدق في ذلك

دعي مغلق الابواب دون فعالهم * ولكن تمشي بي هبلت الى سلم

الى من يرى المعروف سهلا سبيله * ويفعل أفعال الرجال التي تنمي

ولما ذهب الى ابن الزبير ونقده المال سلمها له ومالها معها فقال الفرزدق خرجنا ونحن متباغضان فعدنا ونحن متحابان وأنشد يقول لها

(هلمي لابن عمك لاتكوني * كمختار على الفرس الحمارا)

فجاء بها الى البصرة فقال جرير

ألالاتلم عرس الفرزدق جامحا * فلورضيت رمح استه لاستقرت

فقال الفرزدق مجيباله

وأمك لولاقيتها بي مرة * وجاءت بها جرف استها لاستقرت

وقيل انها لما كرهت الفرزدق حين زوجها نفسها لجأت الى بني قيس بن عاصم فقال فيها

بني عاصم لاتجنبوها فانكم * ملاجئ للسوآت دسم العمائم

بني عاصم لوكان حياأبوكم * للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

فبلغهم ذلك الشعر وقالوا له والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة

وكانت النوار دائما تخاصم معه وتغضب منه وتنفر عنه ومكثت معه زمانا طويلا وهي في نكد وعدم راحة وكانت عندما تغضب منه تقول ويحك أنت تعلم انك انما تزوجتني ضغطة وخدعة عليّ ولم تزل في كل ذلك على مضض حتى حلفت اليمين الموثق ثم حنثت بها وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لجرير بن عباد بن ضبيعة فجعل يأتي النوار وبه ردغ وعليه الاثر فقالت له النوار هل تزوجتها الاهدادية تعني حيا من بني أزد بن عمان فقال الفرزدق

تريك نجوم الله والشمس حية * كرام بنات الحرث بن عباد

أبوها الذي قاد النعامة بعدما * أبت وائل في الحرب غير تمادي

نساء أبوهن الاغر ولم تكن * من الازد في جاراتها وهداد

ولم يك في الحي الغموض محلها * ولا في العمانيين رهط زياد

عدلت بها مثل النوار فأصبحت * وقدرضيت بالنصف بعد بعاد

ولم تزل النوار بالفرزدق ترفق به وتستعطفه حتى أجابها الى طلاقها وأخذ عليها أن لاتفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج برجل غيره بعده ولاتمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن

البصري على طلاقها فأجابها الى ذلك واستصحب معه راوية أبي شفقل وراوية أخرى وصحبت النوار رجالا كثيرة كانوا يلوذون بالسواري خوفا من الفرزدق أن يراهم فسار واجميعا حتى أتوا الحسن البصري فقال له الفرزدق يا أبا سعيد اشهد أن النوار طالق ثلاثا فقال الحسن قد شهدنا فلما انصرفوا قال الفرزدق لابي شفقل قد ندمت فقال له والله اني لاظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت يعني بذلك الحسن البصري والله لئن رجعت لترجمن بالاحجار ومضى وهو يقول

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

ولو أني ملكت يدي وقلبي * لكان علي للقدر الخيار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح ما يضيء له النهار

وقيل ان النوار أوصت الفرزدق قبل موتها أن يصلي عليها الحسن البصري فأخبره الفرزدق في بذلك فقال له ان كانت وفاتها قبلنا فأخبرني بها فكان كذلك وقد توفيت وأخرجت وجاء الحسن البصري وسبقهما الناس فانتظروهما فأقبلا والناس منتظرون فقال الحسن ما للناس فقال الفرزدق ينتظرون خير الناس وشر الناس فقال الحسن لست بخير الناس ولا شرها ثم صلوا عليها ودفنوها وقال له الحسن ما أعددت لهذا المضجع قال شهادة أن لا إله الا الله منذ سبعين سنة ثم نظر الى قبر النوار وأنشد

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

أخاف وراء القبر ان لم يعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يقود الفرزدقا

نيكتو ريس

هي ملكة فرعونية من ملوك مصر وهي من ملوك الدولة السادسة المصرية كانت أكثر نساء عصرها لطفا وجمالا وأشهر بنات مصرها فضلا وكمالا وأغزر علماء زمانها عقلا ودهاء وأوفر الناس حزما وذكاء قيل ان المصريين أشربوا حبها وفتنوا بها فأدخلوها بعد الممات في مصاف المعبودات ومما ذكر عن دهائها أن فريقا من رجال الدولة وثبوا على أخيها وقتلوه اذ كان ملكا قبلها وكان ذلك منهم بغيا وظلما ولما خلفته على العرش دعت الباغين لمأدبة أعدتها لهم في قصر عظيم جميل قائم على أخدود بجوار نهر النيل ولما مدت الاسمطة وابتدؤا بالطعام وآلات الطرب عازفة تبدد بالحانها كائب الاشجان وتغنيهم بأغاريد تغنيهم عن ارتشاف سلافة الحان أمرت اذ ذاك بماء نهر النيل فانساب عليهم حتى أغرقهم عن آخرهم وكانوا زهاء الخمسين فلقوا كنودهم الذميم وأمات عليهم ان كيدي عظيم

وما من يد الا يد الله فوقها * وما ظالم الا سيبلى بظالم

(حرف الهاء)

﴿هاجر زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام﴾

كانت جارية مصرية ذات هيئة جميلة قد وهبها فرعون ملك مصر لسارة زوجة ابراهيم عليه السلام حينما كانت عنده وقد وهبتها سارة لابراهيم عليه السلام وقالت له اني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها ولدا فتزوجها ابراهيم وقد رزقه الله منها اسمعيل عليه السلام وذهب بهما الى مكة لسبب ان اسحق بن سارة اقتتل مع اسمعيل ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لاتساكنيني في بلد وأمرت ابراهيم بعزلهما عنها وقد أوحى الله اليه أن يأتي بهما مكة ففعل وأنزلهما موضع الحجر وأمرها أن تتخذ عريشا ثم قال (رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ثم انصرف فاتبعته هاجر فقالت الى من تكلنا فجعل لايرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لايضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر قربة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت الى الجبال التي أدنى من الارض فصعدت الى الصفا وتسمعت لعلها تسمع صوتا أوترى أنيسا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فأقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم انها سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تدري السعي كالانسان المجهد فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه منه حتى استيقنت وجعلت تدعوا اسمعيل تعني يا ألله قد أسمعتني صوتا فأغثني فقد هلكت ومن معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال فقد وكلكما الى كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر قربة لها وجعلت تستقي فيها تدخره فقال لها جبريل عليه السلام انها روى وجعلت أم اسمعيل تجعلها بئرا بحيث لايخرج منها الماء الى خارجها خوفا من نفادها فقال لها جبريل لاتخافي الظمأ على أهل هذا البلدة فانها عين لشرب ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشأم فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لها ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا بها وهم سكان مكة حتى شب اسمعيل وماتت هاجر قبل سيدتها سارة ودفنت في الحجر

﴿هجيمة أم الدرداء﴾

كانت فقيهة عاقلة جليلة وهي أم بلال بن أبي الدرداء قيل خطبها معاوية بعد ان توفي زوجها فلم تجب وروى

عنها جماعة من التابعين الكبار وكانت تقيم ببيت المقدس ستة أشهر وبدمشق ستة أشهر وكانت تجالس للصلاة فى صفوف الرجال وكانت تحب مجالس العلماء وكانت تقول أفضل العلم المعرفة وتقول تعلموا الحكمة صغارا تعملوا بها كبارا وكانت لا تفتر عن الصلاة ملازمة للعبادة وكانت معظمة عند بنى أمية وتوفيت بعد أبى الدرداء بدمشق ودفنت بباب الصغير

﴿هزيلة الجديسية﴾

كانت بنو طسم بن لوذ بن أزهر بن سام بن نوح وبنو جديس بن عامر بن أزهر بن سام بن نوح ساكنين فى موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيرا وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عمليقا وكان ظالما وقد تمادى فى الظلم وان هزيلة هذه طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت أيها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه منى كرها ويتركنى بعده ورها فقال زوجها أيها الملك أعطيت مهرها كاملا ولم أصب منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما أنت فاعل فأمر الملك بالغلام فصار فى غلمانه وان تباع المرأة فيعطى زوجها خمس ثمنها ويباع الرجل وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأنفذ حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لامتورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم وأنى بعترتى * وأصبح بعلى فى الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى تزوجت الشموس وهى عفيرة بنت عفار وقيل يعفر وقيل عبار أخت الاسود فلما أرادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها الفتيان فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها تعثر فى دمائها وقد شقت درعها من قبل ومن دبر والدم يبين وهى فى أقبح منظر تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا ياقوم بعل حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر

وقالت أيضا لتحريض قومها

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة * جهارا وزفت بالنساء الى بعل
ولو اننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم * وذبوا النار الحرب بالحطب الجزل

وإلا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل
وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تغيب عن الكحل
ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلما سمع أخوها الاسود قولها وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى داركم لا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فأطيعونى فيما آمركم فانه عز الدهر وقد حمى جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فانى أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون فى الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع وجعله التلاد ودفن هو وقومه سيوفهم فى الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون فى حللهم فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة منهم وقد نجى الله هذه القبيلة بسبب تلك الفتاة

﴿هند أم سلمة﴾

بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة كانت امرأة لابى سلمة عبد الله بن عبد الاسد وهاجر بها الى أرض الحبشة فى الهجرتين فولدت له هناك زينب ثم ولدت سلمة ودرة وعمر قيل انها لما هاجرت الى المدينة قالت حينما أجمع أبو سلمة الخروج رحل بعيرا له وحملنى وحمل معى ابنى سلمة ثم خرج يقود بعيره فلما رآه رجال بنى المغيرة قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نترك تسير بها فى البلاد ونزعوا خطام البعير من يده وأخذونى وغضبت عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة وأهووا الى سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة حتى لحق بالمدينة وبذلك فرقوا بينى وبين زوجى وولدى فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريبها حتى مر بى رجل من بنى عمى من بنى المغيرة فرأى ما بى فرحمنى فقال لبنى المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة لزوجها فرقتم بينها وبينه وبين ابنها فقالوا الحقى بزوجك ان شئت ولما علم بنو عبد الاسد بذلك ردوا على ابنى فرحلت بعيرى ووضعت ابنى فى حجرى ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة وما معى أحد من خلق الله تعالى فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بنى عبد الدار فقال أين يا ابنة بنى أمية فقلت أريد زوجى بالمدينة فقال هل معك أحد فقلت لا والله وابنى هذا فقال والله مالك من منزل فأخذ بخطام البعير فانطلق معى

يقودني فوالله ماصحبت رجلا من العرب كان أكرم منه اذا بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ثم تأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ننزل فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي الى المدينة فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة نازلا بها فادخلتها على بركة الله تعالى ثم انصرف راجعا الى مكة وكانت تقول ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب بيت أبي سلمة ومارأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة وهي أول ظعينة هاجرت الى المدينة وقيل انه لما انقضت عدتها بعث أبو بكر اليها يخطبها عليه فلم تزوجه فبعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب يخطبها عليه فقالت أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني امرأة غيرى واني امرأة مصبية وليس أحد من أوليائي شاهدا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ارجع اليها فقل لها أما قولك اني امرأة مصبية فستكفين صبيانك وأما قولك ليس أحد من أوليائي شاهدا فليس أحد من أوليائك شاهدا أو غائبا يكره ذلك وقولك انك امرأة غيرى فسندعو الله يصرف عنك الغيرة فلما بلغها ذلك قالت لابنها عمر قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه وحكي عنها انها قالت في بيتي نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وكانت من أجمل النساء وشهدت غزوة خيبر وتوفيت بعد قتل الحسين أي سنة ٦١ للهجرة وقيل بل توفيت سنة ٥٩ وسند الرأي الاول ما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل فقال لها اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فخنطته في قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فأعلمت الناس بقتله وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثا وقد عاشت أربعا وثمانين سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع من أرض الحجاز

﴿هند بنت النعمان بن بشير﴾

كانت أحسن نساء زمانها خلقا وخلقا وأدبا ولطفا وفصاحة ولها إلمام بالنثر والنظم فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم وأقام بها بالمعرة مدة طويلة ثم انه رحل بها الى العراق فأقامت معه ماشاء الله ودخل عليها في بعض الايام فسمعها تقول وهي واقفة على المرآة

وما هند الا مهرة عربية * سلالة أفراس تحللها بغل

فان ولدت أنثى فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف راجعا ولم تكن علمت به وأراد طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر

عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا كنا فحمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم هى لك بشارة بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها لنفسه فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين انى لا أجرى العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط أقول أن يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك الذى أنت فيه ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا فلما قرأ كتابها ضحك ضحكا شديدا وأرسل الى الحجاج بذلك فأجاب ولم يخالف وامتثل الامر وأرسل الى هند يأمرها بالتجهيز وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج ومشى حافيا وأخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فأخذت هند تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها اكشفى لى ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفتها فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه وأنشدت

وما نبالى اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

فلما سمع ذلك منها الحجاج قال مجيبا لها

فان تضحكى يا هند يارب ليلة * تركتك فيها تسهرين نواحا

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فرمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال سقط منا درهم فرده الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم فقال بل دينار فقالت الحمد لله اذ سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل وسكت ولم يرد جوابا ودخلت على عبد الملك بن مروان فأعجب بها وبجمالها وسفه رأى الحجاج بتخليه عنها ونالت عنده حظوة زائدة

﴿هند جارية محمد بن عبد الله بن مسلم الشاطبى﴾

كانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن سعيد يدعوها للحضور عنده بعودها وكانت تحسن ضرب العود بهذين البيتين

ياهند هل لك فى زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا * نغمات عودك فى الثقيل الاول

فكتبت اليه فى ظهر رقعته تقول

ياسيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول

حسبى من الاسراع نحوك أننى * كنت الجواب مع الرسول المقبل

سارت اليه كما وعدته وأتموا الليلة فلما يسمع بمثلها الدهر حتى عاجلهم نور الفجر فتفرقوا وكل منهما يسخط

على يوم الفراق ويتمنى أن يكون بعدها التلاق

﴿هند بنت النعمان﴾

ابن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم

كانت هند من أجمل نساء أهلها وزمانها وأمها مارية الكندية وكان يهواها عدى بن زيد بن حماد بن زيد ابن أيوب الشاعر العبادى ولها يقول

علق الاحشاء من هند علق * مستسر فيه نصب وأرق

وهى قصيدة طويلة وفيها أيضا يقول

من لقلب مدنف أو معتمد * قد عصى كل نصوح ومفد

وهى طويلة أيضا وفيها يقول

ياخليلىّ يسرا التعسيرا * ثم روحا فهجرا تهجيرا

واعرجابى على ديار لهند * ليس ان عجتما المطىّ كثيرا

وقد تزوجها وكان سبب عشقه لها انها خرجت فى خميس الفصح تتقرب فى البيعة ولها حينئذ احدى عشرة سنة وذلك فى ملك المنذر وقد قدم عدى حينئذ بهدية من كسرى الى المنذر والنعمان يومئذ فتى شاب فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدى ليتقرب وكانت مديدة القامة عبلة الجسم معتدلة القوام فرآها عدى وهى غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها وقد كان جواريها رأين عديا وهو مقبل فلم يقلن لها وذلك كى يراها عدى وانما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية قد كانت أحبت عديا فلم تدر كيف تأتى له فلما رأت هند عديا ينظر اليها شق عليها ذلك وسبت جواريها ونالت بعضهن بضرب فوقعت هند فى نفس عدى فلبث حولا لا يخبر بذلك أحدا فلما كان بعد حول وظنت مارية ان هندا قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة رومية ووصفت لها من فيها من الرواهب ومن يأتيها من جوارى الحيرة وحسن بنائها وسرجها وقالت لها سلى أمك الاذن لك فى اتيانها فسألتها ذلك فأذنت لها وبادرت مارية الى عدى فأخبرته الخبر فبادر فلبس قباء كان أهداه له فرخان شاه مرد وكان مذهبا لم ير مثله حسنا وكان عدى حسن الوجه مديد القامة حلو العينين حسن المبسم نقى الثغر وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة فدخل البيعة فلما رأته مارية قالت لهند انظرى الى هذا الفتى فهو والله أحسن من كل ما ترين من البرج وغيرها قالت ومن هو قالت عدى بن زيد قالت أتخافين أن يعرفنى ان دنوت منه لأراه من قريب قالت ومن أين يعرفك وما رآك قط فلا تخافى من حيث يعرفك فدنت هند منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحته وما عليه من الثياب فذهلت لما رأته وصارت تنظر اليه وعرفت مارية ما بها وتبينته فى وجهها

فقالت لها كليه فكلمته وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته وانصرف هو بمثل حالها فلما كان الغد تعرضت له مارية فلما رآها هش لها وكان قبل ذلك لا يكلمها وقال لها ما غدا بك قالت حاجة اليك قال اذكريها فوالله لا تسأليني شيأ الا أعطيتك اياه فعرفته انها تهواه وان حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند وعاهدته على ذلك فاجاب طلبها ثم أتت هندا فقالت أما تشتهين ان ترى عديا قالت وكيف لي به قالت أعده مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه قالت أفعل فواعدته الى ذلك المكان فاتاه وأشرفت هند عليه فكادت أن تموت وقالت ان لم تدخليه الي هلكت فبادرت مارية الى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته الخبر وذكرت انها قد شغفت به وسبب ذلك رؤيتها اياه في يوم الفصح وأنه ان لم يزوجها به افتضحت في أمره وماتت فقال لها ويلك وكيف أبدؤه بذلك فقالت هو أرغب من أن تبدأه أنت وأنا احتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره وأتت عديا فأخبرته الخبر وقالت ادعه فاذا أخذ الشراب منه فاخطب اليه هندا فانه غير رادك قال أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا قالت ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه فصنع عدي طعاما واحتفل فيه ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام وذلك في يوم الاثنين فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ففعل فلما أخذ منه الشراب خطبها الى النعمان فاجابه وزوجه وضمها اليه بعد ثلاثة أيام فكانت معه حتى قتل النعمان فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الاسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وخطبها المغيرة وقدم بدير هند فنزل ودخل عليها بعد أن استأذن عليها فأذنت له وبسطت له مسحا فجلس عليه ثم قالت له ما جاء بك قال جئتك خاطبا قالت والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتك في لاجبتك ولكنك أردت أن تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته فبحق معبودك أماهذا أردت قال إي والله قالت فلا سبيل اليه قال لها اذا سألتك عن أمور هل أنت مجيبة لي عنها قالت نعم قل فقال اخبريني ما كان أبوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت ينسبهم من أياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف أحدهما من بني سالم والآخر من بني يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب أحدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال أبي ما لحي معه على اياد فضل فخرجا وأبي يقول

إن ثقيفا لم تكن هوازنا * ولم تناسب عامرا ومازنا

الا حديثا أنبت المحاسنا

فقال المغيرة أما نحن فمن هوازن وأبوك أعلم ثم قال أخبريني أي العرب كان أحب الى أبيك قالت أطوعهم له قال ومن أولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت مستنفقهم (٢) في طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف أطاع فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى فاكتفى المغيرة بذلك ثم قام وانصرف وقال فيها (٢)

أدركت مامنيت نفسى خاليـا * لله درك ياابنـة النعـمان
فلقـد رددت على المغيرة ذهنه * ان الملوك نقيـة الاذهـان
ياهند حسبك قد صدقت فأمسكى * فالصـدق خـير مقالة الانسان

هند بنت أثاثة

كان أبوها أثاثة من أمراء العرب المشهورين بالشجاعة والفروسية والكرم وكانت هى من ذوات الشهامة والمروءة والحكم أديبة فاضلة كاملة عاقلة لها معرفة بالشعر والعروض ومما قالته رثاء فى أبيها حين قتل هذه الابيات

لقد ضمت العفراء مجدا وسوددا * وحلما أصيلا وافر اللب والعـقل
عبيدة فابكيه لاضياف غربة * وأرملة تهوى لاشعث كالجذل
وبكيه للاقوام فى كل شتوة * اذا احمر آفاق السماء من المحـل
وبكيـه للايتام والريح زفزف * وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلى
فان تصبح النيران قد مات ضوءها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليـل أو لملتمس القرى * ومستنبح أضحى لديه على رسـل

هند بنت زيد بن مخرمة الانصارية

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقـلا وكمالا وأفصحهن منطقا ومقالا لها مقالات بليغة وأشعار بديعة وكانت مع ماهى عليـه من التنعم ثبتة الجنان قوية البنية جريئـة على الحروب حضرت جملة وقائع مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب لانها كانت من شيعته وكانت لها غـيرة شـديدة على على وأصحابه وكان كل من قتـل ترثيـه بمراث جيـدة وتحرض القوم على اتباع خطة على وطالما أراد معاوية أن يوقع بها ولم يتيسر له ذلك

ولما قتل معاوية حجر بن عدى بن حاتم الطائى أقامت له مأتما ورثته بقصائد طويلة وأشعار غزيرة منها قولها

ترفع أيها القمر المنـيـر * تبصر هل ترى حجرا يسـير
يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعـم الامـير
تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد لها محولا * كأن لم يحيها مزن مطـير
ألا ياحجر حجر بنى عـدى * تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ماأردى عديا * وشيخا فى دمشق له زئـير

يرى قتل الخيار عليه حقا * له من شر أمته وزير
ألا يا ليت جرامات موتا * ولم ينحر كما نحر البعير
فان يهلك فكل زعيم قوم * من الدنيا الى هلك يصير

ومنها قولها

دموع عيني ديمة تقطر * تبكي على حجر ولا تفتر
لو كانت القوس على أسرة * ما حمل السيف له الاعور

ومنها قولها

لقد مات بالبيضاء من جانب الحمى * فتى كان زينا للكواكب والشهب
يلوذ به الجاني مخافة ما جنى * كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب
تظل بنات العم والخال حوله * صوادي لا يروين بالبارد العذب

وماتت في خلافة معاوية بعد ما وفدت عليه وأكرمها اكراما زائدا

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية

كانت تحت الفاكهة بن المغيرة المخزومي وتزوجت بعده بأبي سفيان بن حرب وهي أم معاوية أسلمت في الفتح بعد اسلام زوجها أبي سفيان وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم على نكاحها وكان بينهما في الاسلام ليلة واحدة وكانت امرأة لها نفس وأنفة ورأي وعقل وشهدت أحدا كافرة وكانت تحرض الناس على القتال وترتجز

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطي البارق
والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

وتقول أيضا

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وكان أبو دجانة الانصاري أخذ سيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجم على المشركين وأبلى بلاء حسنا حتى وصل الى هند وهي ترتجز وخلفها النساء يضربن الدفوف خلف الرجال فأراد أن يعلوها بالسيف ثم امتنع خشية العار ثم انه لما قتل حمزة مثلت به وشقت بطنه واستخرجت كبده فلاكتها فلم تطق إساغتها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليها وأصابه حزن شديد على ذلك ولما بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ضمن كلامه للنساء وهند معهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا قالت هند انك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه وقال ولا تسرقن قالت والله اني كنت لأصيب من مال

أبى سفيان الهنة والهنة فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما مامضى فأنت منه فى حل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهند قالت أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك قال ولا تزنين قالت وهل تزنى الحرة قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتم يوم بدر كبارا فأنت وهم أعلم فضحك عمر بن الخطاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق قال ولا تعصينني فى معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فقال النبى لعمر بايعهن واستغفر لهن فبايعهن ثم قالت هند للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها فقال لها خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك وبعد ذلك شهدت اليرموك مع زوجها وتوفيت فى خلافة عمر سنة ثلاث عشرة للهجرة

وكانت شاعرة أديبة فصيحة ولها أشعار كثيرة منها ما قالته فى أبيها عتبة حين قتل يوم بدر

أعينى جودا بدمع سرب * على خير خندف اذ ينقلب
تداعى له رهطه غدوة * بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم * يعلونه بعد ما قد عطب
يجرون منه عفير التراب * على وجهه عاريا قد سلب
وكان لنا جبلا راسيا * جميل المراح كثير العشب
(٢) وأما برى فلم أعنه * فأوتى من خير ما يحتسب (٢)

وقالت أيضا

يريب علينا دهرنا فيسوءنا * ويأبى فما نأتى بشئ نغالبه
أبعد قتيل من لؤى بن غالب * يراع امرؤ أن مات أومات صاحبه
الارب يوم قد رزئت مرزأ * تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عنى مألكا * فان ألقه يوما فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب إنه * لكل امرئ فى الناس مولى يطالبه

وقالت أيضا

لله عينا من رأى * هلكا كهلك رجاليه
يارب باك لى غدا * فى النائبات وباكيه
كم غادروا يوم القليـ * ـب غداة تلك الداعيه
من كل غيث فى السنيـ * ـن اذا الكواكب خاويه
قد كنت أحذر ما أرى * فاليوم حق حذاريه
قد كنت أحذر ما أرى * فأنا الغداة مراميه

يارب قائلة غدا * ياويح أم معاويه

وقالت أيضا

ياعين بكى عتبة * شيخاشديد الرقبه

يطعم يوم المسغبة * يدفع يوم الغلبه

انى عليه حربه * ملهوفة مستلبه

ليهبطن يثربه * بغارة منشعبه

فيه الخيول مقربه * كل سواء سلهبه

هند بنت معبد بن خالد بن نافلة

كانت أشعر نساء زمانها وأحسنهن أدبا وأكملهن رأيا وأجلهن وجها قيل انه لما قتل ابن أخيها خالد بن حبيب بن خالد ندبته واتبعتها نساء العرب حتى لم يرامرأة من قبيلتها الاوكانت باكية ورثته بقصائد وأبيات منها ماقالته يوم مأتمه

أمسى بواكيك ملان البكا * وشر عهد الناس عهد النسا

فابن حبيب فابكيا خالدا * لجفنة ملأى وزق روى

وابن حبيب فابكيا خالدا * لطعنة يقصر عنها الأسا

إن تبكيا لاتبكيا هينا * ومابما مسكما من خفا

اذتخرج الكاعب من خدرها * يومك لاتذكر فيه الحيا

وقالت ترثى أباها خالدا

اأميم هيهات الصبا ذهب الصبا * وأطار عنى الحلم جهل غراب

أين الاولى بالامس كانوا جيرة * أمسوا دفين جنادل وتراب

ماتوا ولو أنى قدرت بحيلة * لاخذت صرف الموت عن أحبابى

ماحيلتى الاالبكاء عليهم * إن البكاء سلاح كل مصاب

هند بنت كعب بن عمرو بن ليث الهندى

زوجة عبدالله بن عجلان يتصل نسبها مع نسبه كانت ذات حسن وجمال وقدواعتدال وبهاء وكمال وسبب زواجها الى عبدالله بن عجلان انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علاربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصعدن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فأخذت

تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها في خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فلم يقدر وقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاثة رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فأنشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا لمستها

أتتني سهام من لحاظ فأرشقت * بقلبي ولو أستطيع رداً رددتها

ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقا له فقال اكتم ما بك واخطبها الى أبيها فانه يزوجكها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال وأنعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليهما ثمان سنين ولم تحمل وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى فألح عليه وهو لم يجب الى أن بلغه يوما أن عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وأرسل اليه يدعوه وقد جلس مع أكابر الحي فمنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف أنك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لتموتن وأظن أنك فاعل فأبى عبد الله الا الخروج فجاذبته وبيدها مخلقة بالزعفران فأثرت في ثوبه فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد أن يقضي معه وأنشد

طلقت هندا طائعا * فندمت بعد فراقها

فالعين تذرف دمعها * كالدر من آماقها

متحلبا فوق الردا * فتجول في رقراقها

خود رداح طفلة * ما الفحش من أخلاقها

ولقد ألذ حديثها * فأسر عند عناقها

ان كنت ساقية ببز * ل الادم أو بحقاقها

فاسقي بني نهد اذا * شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف تلـ * حقها غداة لحاقها

بأسنة زرق صبحـ * ـنا القوم حد رقاقها

حتى ترى قصد القنا * والبيض في أعناقها

فلما رجعت هند الى أبيها خطبها رجل من بني نمير فزوجها أبوها منه فبنى بها عندهم وأخرجها الى بلده فلم يزل عبد الله بن عجلان دنفا سقيما يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات أسفا عليها وعرضوا عليه بنات الحي جميعا فلم يقبل واحدة منهن وقيل ان بني عامر الذين تزوجت هند منهم كان بينهم وبين نهد مغاورات

تهوى اليها الافئدة والقلوب ولها اليد الطولى فى نظم الغزل والنسيب فمن ذلك قولها

وعاذلة تغدو على تلومنى * على الشوق لم تمح الصبابة من قلبى

فمالى ان أحببت أرض عشيرتى * وأبغضت طرفاء القصية من ذنب

فلو أن ريحا بلغت وهى مرسل * حفى لناجيت الجنوب على النقب

فقلت لها أدى اليهم رسالتى * ولا تخلطيها طال سعدك بالترب

فانى اذا هبت شمالا سألتها * هل ازداد صداح النميرة من قرب

وهيبة بنت عبد العزى بن عبد قيس

كانت من شاعرات العرب اللاتى لهن علم بالادب وكانت متزوجة بشخص من قومها يسمى زيد بن مية وكان جار الزبرقان بن بدر فشد عليه رجل يقال له هزال من بنى عوف بن كعب بن سعد بن عبد مناة فقتله بجوار الزبرقان فقالت امرأته ترثيه وتوبخ الزبرقان على تركه بثاره

متى تردوا عكاظ توافقوها * بأسماع مجادعها قصار

أجيران ابن مية خبرونى * أعين لابن مية أو ضمار

تجلل خزيها عوف بن كعب * فليس لخلعها منها اعتذار

فانكم وما تخفون منها * كذات الشيب ليس لها خمار

فلما سمع الزبرقان ذلك الشعر منها حلف ليقتلنه وبعد ذلك سعت العرب بينهما صلحا فاصطلحا وفدى ابن مية بمال وتزوج هزال بخليدة أخت الزبرقان وانصرف الامر

ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله الاموى

كانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاورة مشكورة المذاكرة مشهورة بالصيانة والعفاف أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتجادل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وكانت نهاية فى الادب والظرف حضور شاهد وحرارة آبد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها وقيل انها بالغرب كعلية ابنة المهدى العباسى بالشرق الا أن ولادة تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنوادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة فى الغناء ولها نوادر كثيرة مع الادباء والشعراء ومن أخبارها مع أبى الوليد بن زيدون

كما قاله الفتح بن خاقان فى القلائد أن ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضئ بنور محياها فى الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الضرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى فى نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردة وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل لوادى القرى وراح من روضتها بانع وريح طيبة الثرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما فى ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله * كأنما رق لى فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأنه أعين اذ عاينت أرقى * بكت لما بى فجال الدمع رقراقا
ورد تألق فى ضاحى منابته * فازداد منه الضحى فى العين إشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
لو كان وفى المنى فى جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لا سكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه مالاقى
يا علقى الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسى اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجارى بمحض الود من زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وكانت ولادة معجبة بنفسها مفتخرة على بنات جنسها حتى من زيادة إعجابها كتبت بالذهب على الطراز الايمن من عصابتها

أنا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت قد طالت مدة مقابلتها مع ابن زيدون فهاج بها الشوق والغرام وتضاعف عندها الوجد والهيام وذلك بعد ما دلت عليه إدلالها وتسربلت من التمنع أعظم سربالها فكتبت اليه قائلة

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فاني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

فلما وصلت رقعتها الى ابن زيدون أعلمها أنه لها بالانتظار وفي فؤاده متأجج لهيب نار ولا يطفئها الا اللقاء وأعد لها مجلسا ناضرا أوجد فيه من جميع الازهار واللطائف ومن كل فاكهة زوجين ولما آن الوقت المعين للحضور أقبلت ترفل بالدمقس وبالحرير كأنها من الحور العين فتقابلا وتصافحا ودار بينهما العتاب وقضيا مجلسهما يتعاطيان أكؤس الآداب الى أن آن أوان الانصراف مالت اليه مودعة بانعطاف

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن * زاد في تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنى * حفظ الله زمانا أطلعك

إن يطل بعدك ليلي فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وانصرفت على أمل اللقاء ومكثت زمانا لم تحصل مقابلتهم الدواع سياسية أخرت ابن زيدون عن التمكن من الاجتماع بها فكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقي

وقد كنت أوقات التزاور في الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت في حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقي

تمر الليالي لا أرى البين ينقضي * ولا الصبر من رق التشوق معتقي

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

وكتبت بعد الشعر في أثناء الكتابة وكنت ربما حثثتني على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا واني انتقدت عليك قولك * سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا *

فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

فأجابها متشكرا لها على انتقادها وعلم أنها مصيبة بهذا الانتقاد وفي آخر رقعته قال

لحى الله يوما لست فيه بملتق * محياك من أجل النوى المتفرق

وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأى سرور للكئيب المؤرق

وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بأننى بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

فخجل من ذلك وأرسل اليها يتنصل ويستسمحها فلم تسامحه واستحكمت النفرة بينهما وكانت لقبته بالمسدس فقالت فيه مرة

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطى ومأبون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لأخصى على

وكان ابن عبدوس الوزير يهواها وهى تأبى مسامرته ودائما تتهكم عليه ومن تهكماتها مرت يوما به وهو جالس أمام داره وبجانبه بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما تحدث بشئ من الاقذار وقد نشر أبو عامر الوزير كميه ونظر فى عطفيه وحشد أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا

وبسبب تعلق ابن عبدوس بولادة أرسل ابن زيدون اليه بالرسالة المشهورة التى شرحها غير واحد من أدباء الشرق كالجمال بن نباتة والصفدى وغيرهما وفيهما من التلميحات والتحذيرات ما لامزيد عليه وأرسل ابن زيدون لابن عبدوس أيضا رسالة لاشتراكه معه فى هواها يقول فى آخرها

أثرت هزبر الشرى اذربض * ونبهته اذهدا فاغتمض

ومازلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغى لما انقبض

وان سكون الشجاع النهو * ش ليس بمانعه أن يعض

عمدت لشعرى ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض

أضاقت أساليب هذا القريـ * ـض أم قد عفا رسمه فانقرض

لعمرى فوقت سهم النضال * وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض

.. هي المايعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

ومن كلام ابن زيدون فيها قصيدته المشهورة التي منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وأخبارها مع ابن زيدون كثيرة

وكان لها مداعبات مع الادباء ومنهم الاصبحي المشهور فقالت تهجوه يوما

ياأصبحي اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذي العرش رب المنن

قدنلت باست ابنك مالم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وحكاية بوران مفصلة بترجمتها ولولادة حكايات غير ماذكر في جملة كتب متفرقة لم يمكن الحصول عليها لعزة وجودها وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربعة وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى

(حرف اللام ألف)

﴿لانيلسون المغنية الأسوجية﴾

هي من أشهر مغنيات الافرنج ولدت هذه الفتاة من أبوين فقيرين من الفلاحين في أسوج ولكنها اشتهرت شهرة عظيمة فأحرزت قصب السبق والتقدم على أقرانها ونالت الحظوة عند الملوك والعظماء فلم يبق أحد من رؤساء الحكومات الأتحفها بوسام أوشئ من علامات الشرف بحيث لوأرادت أن تتزين بكل ماعندها من النياشين لما وسعها صدرها وتزوجت الكنت دي ميراندا وعند ذهابها أخيرا الى بلادها أسوج وزوج مع المسيو سترا كوف احتفل مواطنوها باستقبالها احتفالا عظيما وأطلق لها مائة مدفع ومدفع اجلالا لشأنها ولما سافرت سنة ١٨٧٠ الى أميركا بلغ مدخولها اليومي ثلاثين ألف فرنك جمعت في الشهور الستة الاول من إقامتها هناك ماينيف عن ستة ملايين فرنك أوثلثمائة ألف ليرة فليتأمل

﴿لادي رسل ابنة تومار وتسلي وزير مالية انكلترا﴾

ولدت سنة ١٦٣٦ وتزوجت بأميرال الذي اسمه اللورد فوغان سنة ١٦٥٣ فتوفي عنها بعد أربع سنوات ثم اقترن بها الشريف وليم رسل فأحبها وأحبته حبا مفرطا وكان رسل شهما مقداما نافذ الكلمة فاستعان به بعض أهل الثورة الخارجين على الملك فمالأهم على قصدهم ثم كشف الامر فقبض عليه وألقي في السجن وهي تجهل السبب الذي سجن لاجله ولما قيد الى المحكمة وقفت بجانبه وسمعت الحكم الذي صدر عليه بالموت وعادت معه الى السجن مظهرة الجلد الشديد لكي لاتكسر قلبه وجعلت تشدد عزائمه وتذاكره في الوسائط التي يمكن استخدامها للتخفيف قصاصه أولتأجيله وكان يعلم أن السعي في ذلك

يذهب سدى ولكنه تركها تسعى لانه قال فى نفسه لوتركتنى الى التقادير بدرن أن تستعمل كل الوسائط الممكنة لنجاتى لما وجدت الى الصبر عنى سبيلا فانتجعت كل روض وألقت دلوها فى كل حوض ولكنها عادت بخفى حنين لانها لم تجد للقضاء مردا وجعلت تشدد عزائم زوجها وكان لسان حالها يقول

جانب السلطان واحذر بطشه * لا تعاند من اذا قال فعل

ثم ودعته الوداع الاخير فودعها وهو يقول انى أودع الحياة طيب النفس قرير العين لانى تركت ورائى أولادا لا يفقدون شيأ بفقدى وزوجة عفيفة فاضلة فيها الكفاية لان تدبر أمورها وأمور أولادها على أتم المراد وقد وعدتنى أنها تقينى بنفسها من أجل أولادها وهذا حسبى ولما قضى عليه أرسل الملك يخبرها أنه غير قاصد أن ينتفع بموت زوجها فيبقى لها ولاولادها كل مقتنياته فرأت أن حبها الاولادها يدعو الى شكره ولو مكرهة فارسلت اليه كتابا تشكره به وكانت من فريدات عصرها فى الكتابة والانشاء ثم انتقلت بأولادها الى الريف وأطلقت العنان للزفرات والعبرات التى كانت قد حجبتها مخافة شماتة الاعداء وكتبت فى ذلك الحين الى أحد القسوس الفضلاء تقول له أنت تعرفنا تماما فلا تلمنى على الحزن ولو أفرط نعم ان كثيرات أصبن بما أصبت ولكن أين فقيدهن من فقيدى حتى يتجدد حزنهن كما يتجدد حزنى وكتبت بعد ذلك تقول اللهم أرنى مقاصد عنايتك فيما ابتليتنى به لكى لا أسقط تحت ثقل كآبتى انى أستحق هذا القصاص ولا أشكو منه ولكن قلبى حزين وقد عزت السلوى لان رفيق حياتى وقسيم أفراحى وأحزانى ليس معى أواه ان نفسى تتوق الى مسامرته ومساكنته ومواكلته قد صارت الحياة على حملا ثقيلا ولكن لا بد من الصبر على مضض الايام والترفع فوق أفراح الدهر وأحزانه ثم دالت تلك الدولة وصار الملك الى الملك الذى كان زوجها من حزبه فغمرها وابنها بالانعام تعويضا لهما عما فقداه بفقد زوجها ولكن ابنها لم يعش طويلا حتى يتمتع بهذا الانعام لان الجدرى وافاه وهو فى الثلاثين من عمره وقصف غصن شبابه وعاشت بعد ذلك سنين كثيرة وماتت عن سبع وثمانين من العمر وقد اجتمع فى هذه المرأة الفاضلة لطف النساء وصبرهن وفطنتهن وهمة الرجال وحكمتهم واقدامهم وعاشت وماتت طاهرة السيرة والسريرة ولها رسائل كثيرة تحلها محلا رفيعا بين مشاهير الكتبة . انتهى

﴿يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الزاهرة ببولاق مصر القاهرة الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى﴾

سبحانك يامن أحسنت خلق الانسان وجملته بحلية البيان واختصصت بمزيد اللطائف من نوعه الرجال وشغفت ألبابهم بربات الحجال حليتهن بعد الحسن بالدلال والخفر فظفرن بملك الافئدة أيما ظفر فهن للب الحازم يسلبن وبه يلعبن ولا سود العقلاء يغلبن فيتحكمن ميزت بعضهن بعد هذا بفائق الالطاف وبديع الظرف فحذقن فيما وجهن اليه أنظارهن من دقائق الفنون

ورقائق الشؤن حتى سبقن فى هذا المجال كثيرا من أبطال الرجال وصار للواحدة منهن بما حازته من أكمل المعارف وأجمل النوادر والطوارف ما اشتهرت به فى زمانها ومن أبهج المآثر وجليل المفاخر ما امتازت به على أمثالها فى آنها واعتنى لذلك بشأنهن فضلاء الاذكياء وجهابذة النجباء فدوّنوا مناقبهن وتراجمهن وما اشتهر لهن من جميل الآثار وملؤا بذلك بطون الاسفار وممن جاراهم فى ذلك المجال على فاره النجب ففتح عن خبايا أخبارهن الكنوز وأزال عن محاسنهن الحجب السيدة التى تشرف بها بيت السيادة والفاضلة التى بث اللطائف لها عادة النجيبة الجهبذية والذكية الالمعية العلامة الشهيرة والفائقة النحريرة سيدة من اتسم بالكمال وامتاز الست زينب فوّاز أدام الله كمالها وبهجتها وأطال فى بث المعارف حياتها ومدّتها فانها حفظها الله ألفت هذا الكتاب وغرست فى روضته من شهى الثمرات الادبية كل لذيذ مستطاب وسمته (الدرّ المنثور فى طبقات ربات الخدور) أرتنا فيه عوارف ربات النقاب وأماطت عن محيا نوادرهن وغرائبهن النقاب وأبدت لنا من نفائسهن العلمية والحكمية العجب العجاب بعبارات على احكام نسجها مهفهفة ومعان على قوة متانتها الطيفة مستظرفة فلله حسن ما ألفت وجودة ما صنفت لقد أنعشت الالباب وأفادت الطلاب بكل حليف الحق صواب فشكر الله لها هذا الصنع الجليل وجزاها عليه الجزاء الجزيل ولما كان نادرة بهية وفكاهة شهية يشتاقه كل فؤاد ويبلغ به مطالعه من السرور كل مراد انتهض لطبعه رغبة فى عموم نفعه الجناب الامجد والملاذ الاسعد حضرة محمد أفندى زهران أدام الله حضرته وأدام فى روض القبول نضرته بالمطبعة الزاهية البهية ببولاق مصر المعزية فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة المهيبة الداورية من بلغت به رعيته غاية الأمانى أفندينا المعظم ﴿عباس باشا حلمى الثانى﴾ أدام الله أيامه ووالى على رعيته إنعامه ملحوظا هذا الطبع الجميل بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الاميرية محمد بك حسنى فى أواخر شهر رمضان المعظم عام ثلاثة عشر بعد ثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم

ولما آذن بدره بالتمام وفاح من أردانه مسك الختام قرظته مؤرخا عام طبعه وابتسام زهره وكمال ينعه بقولى

خود بدت للناظرين حسان * يمحو لضوء جبينها الوسنان

أم هذه درر نظمن بعسجد * بهج تحار بحسنه الاذهان

أم روضة أنف تنظم زهرها * سطرا تخلل نظمه الريحان

بل ذا كتاب أحكمت آياته * يتلو به سورا لها الانسان

سفر حوى من كل لطف جمه * تشفى بطيب حديثه الآذان

كنز تجمع فيه كل بديعة * ونفيسة تغلو لها الأثمان

بحر عميق ليس يدرك غوره * ألدر يخرج منه والمرجان

نظمت فرائده بنان خبيرة * بالنظم يحكم صنعها العرفان

فهامة نحريرة وذكية * شهدت بجودة ذهنها الأعيان

الست زينب فرع دوحة سادة * شادوا العلا فى الاكرمين وزانوا

أبدت لنا ذا السفر من آثارها الـ * حسنا وأظهر ضبطه الاوزان

وازداد بالطبع البهيج جماله * وكساه حلة زينه الاحسان

واذا انتهى فى الطبع قلت مؤرخا * الطبع بالدر النضيد يزان

سنة ١٣١٣   ١   ١١٢   ٢٣٧   ٨٩٥   ٦٨